THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

W. Arthur Jeffery

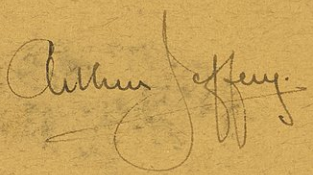

هذا كتاب ـــــــــــــــــــــــــــــ ألف با

للامام الكامل والعالم الفاضل فريد الدهر
ووحيد العصر أبي الحجاج يوسف بن
محمد البلوى تغمده الله بالرحمة
والغفران وأنزل عليه
شآبيب العفو
والاحسان
آمين

وجد على ظهر نسخة معزيا للاديب الشيخ عبد الله الادكاوى هذا النظم

هذا كتاب ألف با * به أهبت فلبى * كم همت فيما حواه * وغلّ منى لبا
وطالما كان دهرا * بأى علىّ وقد با * والآن من فضل ربى * فى ساحتى قد ألبا
لكننى لست ممن * يعدّ بين الالبا * الباع منى قصير * ان رمت نظما تأبى
أو رمت نثرا بديعا * غدا على الطبع صعبا * لكننى باقتنائى * لذا الكتاب ألف با
أفيد طبعى منه * والروح أكلا وشربا * حتى يصير ذكائى * لداء فكرى طبا
ويغتدى طب طبعى * لمن له قد أحبا * وأنثر الدرّ جهرا * على أكف الاحبا
من فىّ ان شئت نظما * يسير شرقا وغربا * وان أشاء فنثرا * يزيل ان قيل كربا
والحمد لله حمدا * يفوق فى العد تربا * ثم الصلاة على من * دنا من الله قربا
والآل والصحب طرّا * ومن لهم قد أحبا * ما أنشأ الله سحبا * وأنبت الله حبا
آمين آمين ربى * انى رضيتك ربا

2 B22 1870 v.1

(قال) الشيخ الفقيه المحدث الزاهد الحاج ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوى عرف بابن الشيخ رضى الله عنه

ان أفصح كلام سمع وأعجز * وأوضح نظام جمع وأوجز * حمد الله تعالى نفسه قبل ان يخلق جنه وانسه * وأغنى عن لفظ التحميد * ما افتتح به كتابه الحكيم الحميد * الذى يجمع الى الحمد الثناء والتمجيد * اذ يقول المولى الجليل الكبير * اذا قاله العبد الذليل الحقير * حمدنى عبدى * أثنى على عبدى مجدنى عبدى * فأبد أبه ألتمس خيره * ولا أبغى به بدلا غيره * (فأقول) الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * بهذه الكلمات كما تقدم افتتح الله كتابه * وبها أيضا افتتح رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء خطابه * فجاءه من الغيث ببركة هذا المقول * ما سالت منه فى الحين السيول * وهذا الخبر سقته هنا مجملا * وستراه بحول الله ونعمته داخل الكتاب مفصلا مكملا * (فالحمد لله) الجليل مولانا * على جزيل ما أولانا * من نعم حلت فكثرت أن تعد * وجلت فكبرت أن تحد * وعظمت أن يحصرها

انسان * أو يذكرها لسان * (والصلاة) على سيد العرب والعجم * المنتخب من جميع الامم * المبعوث بجوامع الكلم * وبدائع الحكم * محمد الرحيم بأمته الرؤف * المتحنن عليهم العطوف * ذى الخلق العظيم * والشرف الصميم والحسب الصريح * والنسب الصحيح * عفا عمن هفا * وحلم عمن جفا وصفح ونصح * وشفق ورفق * وعلم فعلم * صلى الله عليه وعلى آله وسلم * صلاة لا يعتريها فصم ولا قطع * ما طلع نجم ونجم طلع * ورضى الله عن أصحابه أجمعين وألحق بهم التابعين * وعم جميع المسلمين * برحمة شاملة * ونعمة كاملة انه شكور كريم * غفور رحيم (أما بعد) دام لنا ولكم السعد * فانى عزمت بعد استخارة ذى الطول * ومن بيده القوة والحول * ورغبتى اليه فى السداد فى العمل والقول * على ان أجمع فى هذه الاوراق * كل معنى رق أوراق * مما هو عندى مستحسن لا مستخشن * ومستملح لا مستقبح * وأثبت فيه من الفوائد * ما يزرى بالفرائد * ومن بدائع العلوم والفهوم * ما يرتقى به من التخوم الى النجوم * وجعلت ما أؤلف فيه وأبنى * لعبد الرحيم ابنى * ليقرأه بعد موتى وينظر الىّ منه بعد فوتى * اذ لم يلحق بعد لصغره درجة النبلاء * ولم يبلغ مرتبة العقلاء وأرجو أن يجعله الله منهم * ولا يقطع به عنهم * فيكون ان شاء الله تعالى بقراءة هذا الكتاب فى الزياده * الى ان يلحق بالساده

ان الهلال اذا رأيت نموّه * أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

وسميت ما جمعت لهذا الطفل المربا * (كتاب ألف با) * وقلت فيه

هذا كتاب ألف با * صنعته يا ألبا * من أجل نجلى المرجى * اذا شذا أن يلبا
أدعو لعلم ومن حق من دعا أن يلبا * وأنت عبد الرحيم الطفل الصغير المربا
اذا عقلت فقل قد * رضيت بالله ربا * ودين الاسلام دينا * وبالنبى المنبا
محمد قل رسولا * وقل نبيا محبا * ثم استقم واتبعه * تزدد من الله قربا
وذا الكتاب اتخذه * لداء جهلك طبا * فانه صنع مرء * طب لمن حب طبا
هذى وصاة أب لم * يزل لشخصك صبا * ولو يطيق عليك الخيرات أجمع صبا

هذا كان السبب فى هذا المجموع وليس بحمد الله عن أحد بممنوع بل هو مباح لمن طلبه من الطلبه * ومتاح لمن أراده من الراده (فأقول) مستعينا بالله ومتوكلا عليه * متبريا من الحول والقوّة الا اليه

مبحث أما بعد

(أوّل) ما أبدؤكم به من العلم وأفيدكم به يا أحبائي ذوي الفهم أني قلت (أما بعد) وهذه اللفظة من فصيح الكلام * وأوّل من قالها داود عليه السلام وكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى وفصل الخطاب انها أما بعد وانه أوّل من قالها ويقال ان أوّل من كتبها من العرب قس بن ساعدة الايادي (وقلت) دام لنا ولكم السعد * بدأت بنفسي * وثنيت بأهلي وودّي وأنسي * وتلك السنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا من الانبياء عليهم السلام بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى أخي كذا هذا نص مسلم بن الحجاج رحمه الله ذكره ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام (وفيه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لرأى العجب * حدّثني بالكتاب أجمع بمالقة حرسها الله تعالى الفقيه المحدّث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خلف الانصاري عرف بابن الفخار رحمه الله قراءة مني عليه عن ابن العربي عن الطبري عن عبد الغافر عن الجلودي عن ابن سفيان عن مسلم رحمهم الله أجمعين * وهذه أيضا فائدة في السند * أيها الولد * وكذا أصنع ان شاء الله بكل شيخ لقيته أذكر سنده وبلده (وفائدة أخرى) في لفظة سعد * بعد قولي أما بعد * سقتها على وزنها * مع الفضل المستودع في ضمنها * رأيت لبعض الادباء من النحاة رحمنا الله واياه * ما كتبته هنا بنصه * وجئت به من فصه * وذلك انه قال ان الله تعالى أودع هذا اللسان العربي أسرارا جليله * وحكما شريفه * علمها من علمها * وجهلها كثير * (وذلك) انه فضل بعض الكلام على بعض في أصل الوضع * كما فضل بعض المتكلمين على بعض فالمطبوع في علم اللسان يجد للفظة سعد في نفسه معنى هو أوقع في القلب وأشرح من لفظة عين ومن لفظة اقبال وكل بمعنى واحد * وكذلك قولك الانصاف أمكن من العدل * والمدح أفخم وأكرم من لفظة الثناء * وذكر في هذا المعنى فصلا جزلا اختصرته * (فائدة) زائدة (سعادة) هي مصدر سعد بفتح السين واسم الفاعل منه سعيد * كما تقول سلم فهو سليم * ومسعود اسم مفعول من سعد بضم السين مثل حمد فهو محمود وتقول أسعده الله فهو مسعود ولا تقول مسعد وكان القياس ولكن استغنوا عنه بمسعود * وقراءة الكسائي وأما الذين سعدوا فتوجيهه على ما روي عن العرب سعده الله بمعنى أسعده فيكون مثل حزنه الله xi. 115.

واحزنه

وأحزنه وأنت أيها الطالب المدرك حصل هذه الفوائد فى صدرك * ثم الطلب غيرها أعطانا الله خيرها وكفانا ضيرها (رجع الكلام) ياغلام سبب تسميتى هذا الكتاب بهذه التسمية * وجمعى لهذه الابنية * أنى دعيت يوما من الأيام * لمشهد جماعة من الاعلام * وقيل لى قد اجتمعوا الكتب الحديث * فعجل اليهم بالسير الحثيث * واحمل معك جميع الاداه * من اللوح والقلم والدواه * وكنت قمت من المنام * فخفت الملام * فخرجت أستعجل استعجالا * واقتضبت فى الطريق هذين البيتين ارتجالا * وقلت لأنشدنهما اليوم * ولأطرفن بهما القوم * ولاصرفن عنى اللوم * فى ابطائى لاجل النوم * وهما

يا أيها السادة الالبا * دعوتم يوسف فلبا
وجاءكم فى يديه لوح * كأنه الطفل فى ألف با

وكنت فى الطريق أجمجم * ونفسى أتجمجم * شعر

وظننت القوى يبقى على ما * كان من قبل أن يلاقى الرجالا
فاذا القلب فى الحقيقة قلب * حار عما عهدت منه وحالا
الذى قال قبل انى وانى * من صفات الشجاع كان محالا
فتذكرت قولة المتنبى * حين قلبى عن البسالة زالا
واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

فما هو الا أن وصلت الى المجلس فما كدت بحرف أنبس الا أنى قعدت وسكتت وما أدرى أسلمت أم سكت فلما انفض ذلك الجمع * وثاب الى البصر والسمع رجعت الى نفسى أخاطبها * وبما قالته أطالبها * وقلت لها أرأيت احتقرت هذين الحرفين أعنى الالف والباء المؤتلفين أرأيت ان سألك عنهما سائل ماأنت له قائل * قلت مجيبا عنها اقول فيهما مبلغ علمى * ومنتهى فهمى قالت فألف واجمع * وقل حتى أسمع * فقلت أفعل ان شاء الله وبه أستعين وهو المعين وأزيدك على مطلوبك وأفيدك فوق مرغوبك * انى أكرر الالف مع الباء وماشا كلها مرارا شتى * ثم أشفعها بالوزن حتى تكون بيتا بعد ان أضم اليها كلمتين متشاكلتين باسم القافيه * دامت لنا ولكم العافيه ويكون الشكل فى الكل واحدا والمعنى على خلاف فافهم ثم أفعل ذلك

بالالف مع سائر حروف المعجم ليكسر الكتاب ويكثر الكلام وتعظم الفائدة وتعم المنفعه الا أنه لم يصح لى ذلك الا بضم الاشكال المؤتلفة فى حروف المعجم على تأليف بلادنا بعضها الى بعض مثل الباء والتاء والثاء فى بيت والجيم والحاء والخاء فى آخر والدال والذال وغير ذلك وبالحرى باجتماعها فيكمل منها كلها بيت وبيت وربما يضيق بعض الابيات عن جملتها فأذكرها خارجا عن البيت وربما لم يكمل الا بمعكوس اللفظة فأكمله بها ثم أفسر اللفظة بما أدريه وما وجدته فى كتب اللغة وما ذكره العلماء وأستشهد على ذلك بما أحفظه من الشعر وبما قالته العرب وربما ذكرت ما قاله غيرهم من المولدين المشهورين وربما ذكرت شعرا من لقيته من أشياخى وان لم يكن فى ذلك حجة ففيه أنس مع الثقة بمعرفتهم وفضل التقدم علينا فى كل أمرهم مع انى رأيت الفقيه القاضى أبا الفضل عياض بن موسى رحمه الله قد ساق فى أحد تآليفه شعرا للوزير أبى عبد الله محمد بن شرف رحمه الله وكان متأخرا فرأت عليه فى أحد تآليفه جزءا أرخه بثمان عشرة وأربعمائة فاستشهد أبو الفضل بذلك الشعر فى ضرب من البلاغة ذكره وسيأتى ذلك الشعر فى هذا الكتاب ان شاء الله لانه أعجبنى فحفظته وبعد حفظه فيه أثبته ولى أيضا فى مثل ذلك الانشاد على غرضى استشهاد وبينى وبين أبى الفضل هذا فى الاسناد شيخى الأجل الرفيع العماد أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الحميرى عرف بابن قرقول رحمه الله لقيته وسمعت عليه وأجازنى بجميع ما لديه (رجع الكلام) بعد فائدة على ما تقدم زائده وربما ذكرت من شعرى ما يليق بالباب وان لم يعد فى اللباب لكن للمرء بشعره شغف وان لم يكن ذا شرف كما يجب بابنه وهو الجون ومن غير اللون ألم تسمع قول بعضهم والمرء يعجب بابنه وبشعره نعم ويطيب له غناؤه وان طال فيه عناؤه ويولع بتصنيفه ويأبى من تعنيفه اياك أعنى يا مؤلف الكتاب تاب الله على جميعنا أحسن متاب ولى فى هذا المعنى مما كتبت به الى الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه أعرض عليه شعرا قلته بعد كلام ولا غرو كل امرئ مادح لهرته ومعجب بشعره وأنا الذى أقول

كل امرئ يعجبه شعره * حتى يراه ناقد غيره

فى أبيات ذكرتها بكمالها فى كتاب سميته تكميل الابيات وتتميم الحكايات مما اختصر للادبا * فى كتاب ألف با وقد ذكرت سببه فى أوّله فانظره هنالك ان أردته وبالله التوفيق وما أحسن ما له اعتذر صاحب كتاب الزهر حيث قال

ويسىء بالاحسان ظنا لا كمن * هو بابنه وبشعره مفتون

لكن يا بنى ان العاقل * رحل عن هذه المعاقل * ونزل بها الجاهل فعادت كالمجاهل (فقلت)

أحسن الله لى عزائى بنفسى * ان يكن يحسن العزاء لمذنب

تدرى من العاقل فى هذا المعنى ابن المقفع * الذى ارتدى بعقله وتلفع ومع هذا فعن الشعر ترفع وكان من البلاغة فى قلمه ولسانه حيث لا يبلغه أحد من أهل زمانه قيل له مالك لا تقول الشعر قال الذى أرضاه لا يجىء والذى يجىء لا أرضاه وقيل للمفضل لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمى به يمنعنى من قوله وأنشد

أبى الشعر الا أن يفى عرديه * على وياً بى منه ما كان محكما

فيا ليتنى اذ لم أجد حولك وشيه * ولم آلك من فرسانه كنت مفحما

وقال غيره

يموت رديء الشعر من قبل ربه * وجيده يبقى وان مات قائله

وقبله

نعونى ولما ينعنى غير شامت * وغير عدوّ قد أصيبت مقاتله

يقولون ان ذاق الردى مات شعره * وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره * ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت رديء الشعر البيت وقال الاشجعى

وانما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس ان كيسا وان حمقا

وان أفضل بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وقال ابراهيم بن المهدى

أحسن من تسعين بيتا سدى * جمعك معناهن فى بيت

وقالوا رب متكلم فيما لا يعنى * قال له الكلام دعنى وقال الشاعر

وان كلام المرء فى غير كنهه * لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

والكلام فى هذا المعنى طويل * لكن حسبنا الله ونعم الوكيل * اللهم الا أن يكون كما قال الشاعر اللبيب

كأن كلام الناس جمع عنده * فأطلق فى احسانهم يتخير

أو يكون حكيم القول * كما قال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكما ويروى لحكمة * فهذا الذى يسير العنق * طويل العنق * رجع القول الى صفة الابيات * التى ذكرها بعد لم يات مثال ماذكرته لك (أب) فى بابه (وأخ) و(اد) وكذلك فكذلك الى آخر حروف المعجم فلما لم يتزن لى ذلك احتلت عليه وتركت هذا المعنى وقلت أب الذى هو المرعى وأخ وأد وجئت بواو العطف فى اللفظة حتى تدخل فى الوزن ويصح دخولها فى العروض التى بنيت عليها وهى المتقارب الذى يجتمع من فعولن ثمانيا * وسقت مع أب وأت وأث مما يكون على وزن فعل أو فعل أو فعل أو فاع * فان هذا كله فى الوزن مع فعولن سواء وكذلك أفعل فى سائر الحروف * وأذكر خارج البيت ماهو على هذا الشكل مما لم يتزن أو مايتزن واستغنى عنه البيت على ماتراه ان شاء الله تعالى بعد هذا فاذا فرغت من البيت سقت معكوسه مثل وباء وتاء وثاء * ثم أفسره كذلك ثم أقول مقلوبه ألف بين حرفين مثل وباب وتاب وثاب * ثم أفسر كل لفظة منها ثم أقول مقلوبه أيضا حرف بين ألفين مثل وأبا وأتا وأثا ثم أرجع الى القافية فأفعل فيها مثل ذلك وربما كانت الواو من نفس الكلمة اذا لم أجد غيرها فأسوقها وأنبه عليها مثل وكل الذى هو الرجل الضعيف العاجز سقته مع وكل اللفظة التى هى ضد بعض وكذلك وشل الماء الجارى من الجبل مع وشل بعض أنامله وغير ذلك مما أقيم به شكل البيت ووزنه * وربما جلبت فائدة ثانية وعكسا آخر يفيد علما زائدا ثم أذكر مخارج الحروف وعملها ان كانت عاملة مع ماتشترك فى قافية واحدة ليقرب المخرج ومايجعل عوض صاحبه فى النطق ثم أذكر آخر البيت فصلا من الكلام المطول يكون عليه المعول * وسيأتى تفسير هذا الفصل ان شاء الله تعالى فيما يستقبل فاقبل وقد اجتمع لى من ذلك تسعة وعشرون بيتا عدد حروف المعجم لكن منها ماتكرر معكوسا ومقلوبا * ومنها مالم يكمل البيت الا بمعكوسه لقلة دوره فى الكلام * وزدت فى أول الشعر ثمانية أبيات * وفى آخره أربعة من الكلمات المزدوجات * المتشابهات الحروف * المتماثلات

الصنوف مثل الذى صنع ابن شرف فى قوله غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدى بهذا وله أيضا مثل هذا وهو نعمه نعمه نعمه نعمه نعمه نعمه نعمه اسم رجل ويعمه يتحير من قوله تعالى فى طغيانهم يعمهون وباقى الكلمات مفهوم الى غير ذلك مما يشكل حتى ينقط ويشكل ومثل هذا ما للحريرى فى مقاماته

زينت زينب بقد يقد * وتلاه ويلاه نهديهد

فى أبيات له وهذه الابيات المذكورة قبل الشعر وبعده أخذتها من شعرلى مطول من هذا النوع عدده ثمانية وعشرون بيتا جمعته فى جزء مع مالابن شرف فى ذلك من منثور مع أبيات لى أخر عددها أحد وأربعون بيتا قصدت بها نوعا من المعمى واللغز منها أبيات ثمانية لا تقرأ البتة الا أن تشكل وتفسر مثل

نصح تصيخ يصيح نضيخ * بصح تصبح بضيح نضيح

وسأفسر لك هذا البيت مع الابيات الاثنى عشر قبل الشعر وبعده فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وقد أوردت الكراسة المذكورة فى كتاب التكميل المذكور

(فصل) وهذا الكلام الذى سقته منثورا وفى صفة الابيات مذكورا قد نظمته فى أرجوزة لزوميه ذات قافية لاميه واعتنيت به هذا الاعتناء على ما فيه من العناء لانه الاصل فى الباب وعليه مدار الكتاب منه نبعت عيونه وتفرعت فنونه وها هى ذه فعه حليتها فئه تزيد على المائه

قال ابن شيخ يملى * على الذى يستملى * هذا الكتاب أصلى * أعددته لاصلى
به عظيم الجهل * حتى يرى يا أهلى * بالقرب لا بالمهل * يذوب ذوب المهل
صنعته من أجل * عبد الرحيم نجلى * وذا كموا لعلى * أسقيه من ذا العل
اذ قد روى من نهل * فهو أعز الاهل * باسم الحكيم العدل * سبحانه من عدل
ما ان له من عدل * رب بعلم عدلى * قربه لا تبعدلى * أملأ منه عدلى
أفرغه فأملى * منه على المستملى * فصلا وأى فصل * فى وصف شعر الاصل
فهو قصيد يسلى * قارئه فى رسل * يدر در الرسل * ليس بقول فسل
ولا حرام نسل * بل من بلى نسلى * لكل هم مسلى * ضمن وزن فعل
أو فعل أو فعل * واحتيل فى المعتل * منه وفى المختل * حتى اذا ما حلى

وزن فعول خلى * وبعد هذا الفعل * زوّجته كالنعل * لاختها فى الشكل
لكنه بالشكل * يدرى سم من فعل * ونعل من بعل * وفعل من فعلى
وجعل من جعل * وحمل من حملى * وجل من جمل * وحبل من حبل
وخبل من خبل * ورمل من رمل * وذا كثير المثل * يعجز عنه مثلى
فقل هذى السبل * تخفى على ذى النبل * الا بضبط الرجل * بالقيد أو بالحجل
فارضع لبان الثعل * واعلم بأن فعلى * لم أره يا شبلى * لاحد من قبلى
جئت به فى حفل * مسببا للثقل * فانهد به للختل * ولا تخف من قتل
فهو كمثل النصل * أبرزته للفصل * والفصل ضدّ الوصل * تعلو به وتعلى
لانه مستعلى * مستغلق لجعل * عليه أى قفل * فصار شبه الغفل
واللغز حين يغلى * قلوبنا بالشغل * حتى اذا ما جلى * عنه بكشف الجل
صقل أى صقل * وخف بعد الثقل * واعلم أياذا العقل * ان ليس ذا من نقلى
للغز بل للسكهل * من لم يكن ذا جهل * جمعته فى مهل * من جبل وسهل
فاختلطت بالهزل * ألفاظه والجزل * وهاكه يا خلى * كعسل أو خل
نخذه أو نخل * فرغت من سجلى * نفسى دعا الاجل * بصوتى المهلّ
ودمعى المنهل * يارب ألف شملى * يارب خفف حملى * واغفر لعبد قل
بالذنب مستقل * ياسيدى وقل لى * رضيت بالاقل * منك فسر فى حل
لأشرف المحل * جنة عدل نزلى * لا تخشين عذلى * مؤملا لوصلى
مؤمنا من فصلى * لك متاح فضلى * لك مباح بذلى * وبعد ذا أصلى
على الكريم الاصل * أحمد خير الرسل * وآله والنسل * والحمد وهو الكلى
* لله مولى الكل *

(فائدة فى القوافى * دامت لنا واكم العوافى) ذكر ابن جنى رحمه الله فى عيوب الشعر الايطاء وهو أن يجمع فى شعر واحد بين كلمتين بلفظ واحد ومثل منه أمثلة * ثم قال فان اختلف المعنيان لم يكن ايطاء * وكذلك ان كانت احدى الكلمتين معرفة والاخرى نكرة لم يكن ايطاء * وهذا الرجز الذى تقدّم على طوله وصعوبته * لما فيه من اللزوم ومؤنته * قد سلم من الايطاء بحمد الله وحسن معونته * وأما قولى فضلى وبذلى فقد تجمع الذال والضاد فى شعر واحد وستراه فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى * وخذ هدانا الله فائدة * على ما تقدّم زائدة * فى معنى اللغز

هو من قولهم ألغز اليربوع في جحره يمنة ويسرة وهو حفر يحفره عن يمين وشمال فيستخفي فيه يقال له اللغز واللغز وجمعه ألغاز واللغيزى بتشديد الغين مثل اللغز وليست الياء هنا للتصغير لان ياء التصغير لا تكون رابعة وسيأتي ذكر الشكل والشكل ان شاء الله تعالى وهذه أعز لك الله الابيات المذكوره بين يديك مسطوره

أخيّ أجيء بقيل ثقيل * مهيب مهيب بطلّ بطل
كلام كلام وياء وثاء * بحذر يحذر مدل مدل
ينبي ينبي بأني باني * خلال جلال تحل بجل
يفيد بقند بعود يعود * يعيد بعيد المحل المجل
يحدّ بحدّ يقدّ بقدّ * يوشي بوشي نحل نحل
أخال اخال بقول تقول * يعيب بغيب يخل بخل
تريد يزيد كلامي كلامي * ووعر وعز فقل فقل
كثير كبير معين معين * لغات لعاث كفل كفل
وآب وآب واب واب * وات وأث وبل وبل
وباء وباء وباء وباء * وتاء وثاء وبل ويل
وباب وثاب وناب وتاب * وثاب وبات ويل ويل
واج واح وأخ وأخ * واخ واح وجل وجل
وحاء وحاء وخاء وحا * وجاء وجاء وحل وجل
وأحا وأحا وأخا وأحا * وواخا اخاء وجل وحل
وحاح وحاح وحاح وحاخ * وحاح وحاح وحل وحل
وأدّ وأدّ وأذ واد * وأدّ وأذ وذل وذل
وأدّا وادّا وآ داوآذا * وادى واذى ودل ودل
وارّ وار وار وار * واز واز وزل وزل
وراء وراء وراء ورا * وراء وزاى وزل وزل
وزار وزار وراز ورار * وزار وراز وزل وزل
واط واط واط وطا * وطاء وظاء وطل وظل
والّ والّ والّ والّ * وكل وكل وكل وكل
وال وال وال وال * وال وال وال وال

والا والا والا * والا والا وال وال
وام وام وام وام * وام وام ومل ومل
وان وان وان وان * وآن وآن ونل وثل
و انا وانا وانا وانا * واناوانا وثل ونل
واص واص واص واص * واض واض وصل وضل
وأع أع وأغ أغ وواع وعا * وعاء وعل وغل وغل
واف واف واف وفا * وفاء وقاء وفل وقل
واس واس واس واس * واش واش وسل وسل
وساء وشاء وساء وسا * وشاء وشاء وشل وشل
واه واه واه وها * وهاء وهاء وهل وهل
وأو وأو وآو وأو * ووأواء وأواوول وول
ولاء ولاء ولاء ولا * ولا ولأو لآل لأل
وآى وأى واى واى * وآء وآء وأيل أيل
فرغنا فرغبا ترب برب * يمن بمن يحل بخل
خليل بخليل حسيب حسبت * انى آتى مصل مضل
كسير كسير بطين بطيء * وحاف وجاف يعل بعل
أبيت أتيت أمام امام * ورائى ورائى المدل المذل

بنى تركت لك هذه الابيات ذوات الاشكال ذات اشكال لكونها بريئة من الضبط عرية عن النقط وفعلت ذلك لتفتح لها ذهنك كما فتحت جفنك وتشحذ قريحتك فتريح ذبيحتك وتنظر ما أنتجت معرفتك وأخرجت مغرفتك فان كسوت الابيات جلبابها ومنحت أسيابها وفتحت أبوابها فاشكلها ببيانك قبل بنانك وبفصاحتك قبل راحتك وأنت حينئذ الولد وزين البلد ولمثلك يقال أجدت طلبت فوجدت بارك الله فيك وفيما تخرجه من فيك وان كانت الاخرى ولم تقو عليها البتة وعجزت عنها قريحتك الميتة فانظرها فى آخر الكتاب مخطوطه مشكولة منقوطه مفسرة ميسرة مكسوة معطره وكف عن لومى وأمسك

وبؤ بالعجز على نفسك وسل مرشدا وقل منشدا شعر

رحم الله الحريري لو كا * ن رأى قائل هذا سره

ودرى أن قد أتى بعده من * غاص فى البحر فوافى درّه

وبعد فهى كما تراها نوع من المعمى والاسم الذى لا يسمى وضرب من اللغز وجنس من الرمز اذ يشكل حتى يشكل واذا شكل وقرئ لم يفهم اذ هو مبهم حتى يفتح مقفله ويشرح مغفله فاذا فسر يسر واذا شرح فتح فتلج ان شاء الله الباب ويرفع لك الحجاب فتدخل المجالس والقباب فتعتنق الكواعب الاتراب وتعتبق الالوة والكباب وتغتبق اللذيذ من الشراب بالكؤس والاكواب وتسمع تلك النغمات من الغانيات وتلحظ ذلك الثبات والزهر الذى هو أشتات وتنظر الثمر الذى فى الغراسات الثابتات فى أشجار الجنات الثابتات على الانهار الجاريات الى غير ذلك من الانواع المستحسنات والملاذ الطيبات لعلك تقول هذا الذى ذكرته من المعانى الفاخرة هى صفة جنات الآخرة فأقول ان فى الدنيا ما هو أشهى وأحلى مما ذكرت وأغلى هو العلم الذى لا شئ أنفع ولا أرفع منه ولا لاحد غنى عنه ومن طعم حلاواته وتنعم بآياته وسحب ضافى أثوابه وشرب صافى أكوابه لم يشتغل بسواه ولم يعدل عن صواه ورآه أنفع شئ ناله فى اكتسابه وأرفع ثوب اكتسى به ألم تسمع ما قاله الشاعر المصيب الذى نال من العلم أوفر نصيب

فضيلة العلم

لئن رفع الغنى لواء مال * لأنت لواء علمك قد رفعتا

وان جلس الغنى على الحشايا * لأنت على الكواكب قد جلستا

ومهما اقتض ابكار الغوانى * فكم بكر من الحكم اقتضضتا

ثم قال يجهل من فضل المال على العلم

جعلت المال فوق العلم جهلا * لعمرك فى القضية ما عدلتا

وبينهما بنص الوحى بون * ستعلمه اذا طمه قرأتا

يريد قوله تعالى وقل رب زدنى علما * وهذا الشاعر هو أبو اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيرى رحمه الله والقصيد حسن طويل كان الاستاذ الفقيه أبو عبد الله ابن سورة شيخى رحمه الله يحمل طلبته على حفظه لجودته ولو اكتفى أحد بما عنده من العلم لاكتفى موسى عليه السلام ولكنه طلب الزيادة فقال للخضر عليه السلام

هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا * فلولا أن العلم أفضل الموجودات ما أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يستزيد منه * يروى انه لما كلمه الله تكليما ودرس التوراة حدثته نفسه ان الله تعالى لم يخلق خلقا أعلم منه فهون الله اليه نفسه بالخضر عليه السلام * خرج البخارى عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أن موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه قال له بل عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك الحديث دله فيه على الخضر عليهما السلام * قلت ومن يحيط بالعلم الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل يروى أن مقاتل بن سليمان قال يوما وقد دخلته أبهة العلم سلونى عما تحت العرش الى أسفل الثرى فقام اليه رجل فقال له ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولا نسألك الا عما كان فى الارض وذكره الله فى كتابه * أخبرنا عن كلب أصحاب الكهف ما كان لونه فأفحمه * وقال عالم آخر كذلك سلونى من العرش الى الفرش أخبركم به فقال له رجل من عرض الدنيا أسألك عن معاء النملة أفى نصفها الاعلى هو أو فى نصفها الاسفل فقال لا أدرى فأفحمه * وقال أحد الحكماء لست أطلب العلم طمعا فى غايته * والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله * وقال مالك بن دينار رضى الله عنه من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه * ومن طلبه للناس فخوائج الناس كثيرة * وقال ابن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا من العلم * ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن فى العلوم * وقال ابن سيرين العلم أكثر من أن يحاط به فخذ من كل شى أحسنه * وقال الشاعر

يلومونى ان رحت للعلم طالبا * أجمع من عند الرواة فنونه
واكتب ابكار العلوم وعونها * وأحفظ مما أستفيد عيونه

(فصل) ومما كتبته فى كتاب لبعض الاصحاب اعلم أيها المتعلم أن العلم انما هو بالتعلم * مع توفيق العلام * ذى الجلال والاكرام * الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم * والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون * فمن شكر الله زاده * وجعل التقوى زاده * ومن اتقاه علمه * وأراده وفهمه * واتقوا الله ويعلمكم الله

وقال بعض الشعراء وكان قد رجع فى حفظه الى وراء

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فأومأ الى ترك المعاصى

وقال بأن هذا العلم نور * ونور الله لا يؤتاه عاصى

ولكل شئ سبب * وسبب العلم التعلم * وهو لا ينال بالتراخى * ولا يدرك بالهوينا * بل بالجد والعزم * والقوة والحزم * كما قال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال الشاعر

أعكف على الكتب وادرس * تؤتى فخار النبوة

فالله قال ليحيى * خذ الكتاب بقوة

وفى كتاب مسلم بن الحجاج رحمه الله * لا ينال العلم * براحة الجسم * وقديما مازال أهل العلم والادب * ينسلون اليه من كل حدب * يجتنون أزهاره * ويقطفون ثماره * يستكثرون منه بلحظه * ويؤثرون ولو لفظه * يدأبون فى جمعه وضمه * وينصبون فى حفظه وفهمه * حتى ان أحدهم اذا كانت له به صبابه * ونال منه أدنى صبابه * جعله أكبر همه * وفداه بابيه وأمه ولم ينكب عن أمه بل واصل فيه ليله بنهاره حتى وصل الى أنهاره وأذاب مهجته حتى اقتحم لجته فاستطاب فيه العذاب لما ورد مياهه العذاب واستسهل ما ناله فيه من العناحين أوقفه على المنى فقال

فهذا الصنف فى الدنيا قليل * لعمرك بل أقل من القليل

بحقك هل رأيت لذا شبيها * بعصرك ذا أبن لى يا خليلى

من يضاهى هذا أو يجاريه وقد علا القمر فى مجاريه فان أضاف الى العلم العمل فقد نال الامل ورحل الى زحل وسما الى السما ولحق بالملأ الاعلى وكان حبيب الله تعالى * وقد قيل من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم وقالت الحكماء قال العلم التمسنى فان لم تجدنى فاعمل باحسن ما تعلم فاذا فعلت فأنا معك وما أمدح هذا البيت

حاز الشريفين من علم ومن عمل * وقلما يتأتى العلم والعمل

وأقول تريد تدرك هذا * وأنت فى اللهو تدرج

هيهات رمت محالا * ماذا بعشك فاخرج

ولقد أبلغ الذى قال

دنيوت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الازرا
وكابدوا الجد حتى مل أكثرهم * وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لاتحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

بعيد أن يناله * أهل اللهو والبطاله * ما ينالة الا الحازمون أولوا العقول

ولله در الذى يقول

شروط العلم أربعة * فأولها التفرغ له
ودرس ثم فهم ثم حفظ * عن الخلل
شروط من تكن فيه * والا لم ينل أمله

فالعلم اذا أعطيته كلك أعطاك بعضه وقلت فى هذا المعنى

اعلم بأن العلم ذو همة * وهو عزيز النفس ذو غيره
ينيلك البعض من انواره * ان لم تكن مصطحبا غيره
وان تكن مشتغلا مقبلا * على سواه لم تنل خيره
فاطرح الاشغال واعكف على * تحصيل ما يعطى وسر سيره
واحفظه واذكره ولا تنسه * واعمل به تنج من الحيره

واذا كان العلم بهذه الصفه * التى وصفه بها أهل المعرفه * فكيف يقاد لاهل الرقاد * وهل قط وصل * الذى كسل * أيستوى من درس وتعب مع من لها ولعب * هيهات هم هذا ضرسه * وذاك ضرسه * كذلك بينهما ما بين التبر والترب * والسمك والسماك فى القيمة والقرب * وجماع الامر وملاكه * وفيه يتبين حياة المرء وهلاكه * من كان همه بطنه وفرجه فلا ترجه * لذلك قلت

اذا أعطيت بطنك ما اشتهاه * وفرجك سؤله أنت البهيمه
وأخشى أن يقال غدا لك اذهب * فمالك عندنا والله قيمه
أتطمع أن تنال نعيم الاخرى * وقد آثرت دنياك الذميمه
محال نيل هذا بعد هذا * أيحضر عاجز قسم الغنيمه
اذا لافضل للطاوى حشاه * على من بطنه أبدا وليمه
فدع عنك الأمانى فهى زور * فليتك لو نجوت مع الهزيمه

ومع هذا فلا معطى ولا مانع * ولا ضار ولا نافع * الا الله سبحانه وتعالى * فمن أعطاه الله وصل * ومن حرمه انفصل * كم رأينا من أتعب نفسه فى الطلب وأنفد عمره فى جمع الكتب * والحرمان يبعده * والبله يقعده * لكن اذا كان قصده وجه الله تعالى * فانه لا يضيع بكرم المولى * فانه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما فأدركه كتب له كفلان من الاجر وهذه فائدة الطلب لله تعالى * ان وفق أيضا لهذه الطريقه * نسأل الله تعالى التوفيق * وهداية الطريق * لكنه يقال * من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له * ومن أكثر من شئ عرف به * وفى مصاحبة العلماء وحضور مجالسهم خير كثير * وفضل كبير * يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى * ويردكم عن الردى * وكان يقال علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب الى من قيام ليلة * ويروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنه * وطلبه عباده * ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد * وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة * وبذله لاهله قربه * لانه معالم الحلال والحرام * ومنار سبل أهل الجنة * والانيس فى الوحشه * والصاحب فى الغربه * والمحدث فى الخلوة * والدليل على السراء والضراء * والسلاح على الاعداء * والزين على الاخلاء * يرفع الله به أقواما ويجعلهم فى الخير قاده وأئمة تقتفى آثارهم * ويقتدى بأفعالهم وينتمى الى آدابهم * ترغب الملائكة فى خلتهم * وبأجنحتها تمسحهم * يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه * وسباع الطير وأنعامه * لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلم ويبلغ بالعلم منازل الاخيار * والدرجة العليا فى الدنيا والآخرة * والتفكر فيه يعدل بالصيام * ودراسته بالقيام به توصل الارحام * ويعرف الحلال من الحرام * العلم امام والعمل تابعه * يلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء * وفى بعض الاخبار ان أهل الجنة يحتاجون الى العلماء كما يحتاجون اليهم فى الدنيا * وذلك أنهم يرون ربهم فى كل جمعة فيقول تمنوا على ما شئتم فيلتفتون الى العلماء فيقولون ما نتمنى على ربنا فيقولون تمنوا

النظر الى وجه الله تعالى * وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر من مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه * وفتق مارتق من ذهنه * وسرّه ماوجد من الزيادة فى نفسه * وكانت له ولاية لما لا يعلم * وافادة لما تعلم وبعد هذا فعليك بالجدّ * ان ساعدك الجدّ * فبعد جهدك لا تلام * ياغلام *

* (فصل) * وفضل العلم كبير * والكلام فيه كثير * وحسبك أن ابن عبد البرّ ألف فيه وحده سفرا كبيرا * فماذا عسى أن أقول فيه لكن لا أخليك من بعض ذلك * ومن أمدح ماقيل فى العالم

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يعدّ من الاحياء وهو عديم

هذان البيتان لابن السيد رحمه الله * ويروى أن سفيان الثورى رحمه الله لما قدم عسقلان مكث ثلاثا لا يسأله انسان عن شئ فقال اكتروا لى أخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم * وقال فتح الموصلى أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال فكذلك القلب اذا منع الحكمة ثلاثة أيام يموت * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسألة من العلم أحب الىّ من قيام ليلة * وجاء فى الحديث طلب العلم فريضة على كل مسلم وقد حدّثنى شيخى الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السلفى الاصفهانى رحمه الله بمدينة الاسكندرية حماها الله سنة اثنتين وستين وخمسمائة * قال سمعت القاسم بن الفضل الثقفى رئيس أصفهان يقول سمعت أبا عمرو محمد بن بالوية النيسابورى بها يقول سمعت محمد بن يعقوب الاصم الاموى يقول سمعت الربيع ابن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وهذا كما تراه * وفصل الخطاب * ماقاله ابن شهاب * وقد سئل رحمه الله أيما أفضل العلم أو العمل فقال العلم لمن جهل والعمل لمن علم * وفى الشهاب ما استرذل الله عبدا الا حظر عنه العلم والادب * وقال على ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك * وقال عليه الصلاة والسلام مانحل والد ولدا أفضل من أدب حسن * وقيل من أدّب ولده * أرغم حسده ومن لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب * وسيأتيك قول ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وانظر قوله رضى الله

عنه

عنه ذللت طالبا هل تذل الا للمعلم * وكذلك ينبغي للطالب والا لم يحصل له شئ * ألم تسمع قول الشاعر

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

هذا زيد بن ثابت رضى الله عنه ركب فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله * قال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال له زيد أرني يدك فأخرج اليه يده فأخذها وقبلها * وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا وسأل رجل بعض العلماء فقال أيحسن بي أن أتعلم وأنا كبير فقال ان كان يحسن بك أن تعيش فانه يحسن بك أن تتعلم * وقال آخر ان كانت الجهالة تقبح بك فان التعلم يحسن بك * ويروى عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال له رجل أريد ان أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة * وكان عطاء يقول وددت اني أحسن العربية وهو يومئذ ابن تسعين سنة * ويروى عن علي رضى الله عنه انه قال كل يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم * وخرج الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم * وقال سفيان بن عيينة أحوج الناس الى العلم العلماء لان الجهل بهم أقبح وهم أعلام ومنارات يهتدى بهم وقال بعض الحكماء العالم يعرف نقص الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف فضل العالم لانه لم يكن عالما * ومن أمثالهم من جهل شيئا عاداه * وفي ذلك يقول ابن دريد

جهلت فعاديت العلوم وأهلها * كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى أن يرى متصدرا * ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

وكما قيل

ما الفضل الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

وقبل هذا

الناس من جهة التمثيل اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء

فان يكن لهم من أصلهم حسب * يفاخرون به فالطين والماء

يروى أن قائل هذه الابيات على بن أبى طالب رضى الله عنه وصدق فانه ليس على العالم شئ أصعب ولا أتعب من جاهل يغالطه بالجهل اذا لم يكن عنده عالم يفقه كلامه وكان مالك رحمه الله كثيرا ما يتمثل بقول القائل

وان عناء أن تفهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ويروى عن النسابة البكرى أن للعلم آفة وهجنة ونكدا فآفته نسيانه ونكده الكذب فيه وهجنته نشره عند غير أهله وقال أبو حامد ليس الظلم فى كف العلم عن أهله بأقل منه فى بثه لغير أهله

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال واضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب * وعن عيسى عليه السلام لا تطرحوا الدر بين أرجل الخنازير يعنى العلم عند الجهال وقال أيضا عليه الصلاة والسلام لا تنطقوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وهذا الخبر هو فى روايتى بسند عال وهو حديث حسن يشتمل على آداب ومواعظ أردت ان أثبته لك هنا بسندى يا ولدى حدثنى الحافظ السلفى بقراءتى عليه قال حدثنى الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى رئيس أصبهان بها قال حدثنى أبو بكر بن الحارث أخبرنا عبد الله محمد بن جعفر حدثنا القاسم بن عبد العزيز البغوى حدثنا عبيد الله بن محمد العيسى حدثنا أبو المقدام هشام بن زياد حدثنا محمد بن كعب القرظى قال عهدت عمر بن عبد العزيز وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك وهو شاب غليظ ممتلئ الجسم فلما استخلف أتيته بخناصرة فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى فاذا هو قد تغيرت حالته عما كان فجعلت أنظر اليه نظرا لا أكاد أصرف بصرى عنه فقال انك لتنظر الى نظرا ما كنت تنظره الى يا ابن كعب فقلت نعم تعجبنى فقال وما يعجبك قلت ما حال من لونك وشعث من شعرك ونحل من جسمك فقال كيف لو رأيتنى يا ابن كعب فى قبرى بعد ثالثة حين تقع حدقتاى على وجهى ويسيل منخراى وفمى صديدا ودودا كنت لى أشد نكرة ثم قال أعد على حديثا حدثتنيه عن ابن عباس فقلت حدثنا ابن عباس رضى الله عنهما

اقرأ واعتبر

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة وانما تجالسون بالامانة ولا تصلوا خلف النائم ولا المحدث واقتلوا الحية والعقرب وان كنتم فى صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر فى كتاب أخيه بغير اذنه فكأنما ينظر فى النار ومن أحب ان يكون أقوى الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى أيدى الناس ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا بلى يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يارسول الله قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا وأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يارسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره * روى أن عيسى بن مريم قام فى بنى اسرائيل فقال يابنى اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وقال مرة فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافؤا ظالما فيطل فضلكم عند ربكم يابنى اسرائيل الامر ثلاث أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه الى الله عز وجل ويروى عن الشافعى رضى الله عنه

أأنثر درا بين سارحة النعم * وأنظم يا قوما لراعية الغنم

وقال أبو العباس الناشى

واذا بليت بجاهل متحامل * حسب المحال من الامور صوابا
أوليته منى السكوت وربما * كان السكوت عن القبيح جوابا

وقيل لبعضهم مالكم لا تعاتبون الجهال ليعلموا فقال انا لا نكلف العمى بأن يبصروا ولا الصم بأن يسمعوا ومن أحسن ما قيل فى الجهل قول صالح ابن عبد القدوس

لا تبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى غيه * كذى الضنى عاد الى نكسه

وجاء فى الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت على علمه * ويروى معنى هذا عن على بن

ما حسن وما ابلغ

أبي طالب رضي الله عنه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وكان سهل رحمه الله يقول ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل * قيل يا أبا محمد فهل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل * وفي مثل هذا أنشدوا

ومن أعجب الاشياء أنك لا تدري * وأنك لا تدري بأنك لا تدري
فان تك لا تدري ولم تك بالذي * يسائل من يدري فكيف اذا تدري
تمام العمى طول السكوت وانما * شفاء العمى يوما سؤالك من يدري

ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال لا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ولا يستحي عالم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم * قلت وليس عارا على من ليس يعلم علما أن يقول اذا ما سئل لا أدري فذلك أحسن من أن يفتي الناس بالجهل الذي اولى بنفسه أن يزري * قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله * ويروى عن مالك رضي الله عنه انه كان يكتب اليه بالمسائل فيجيب في الاقل منها ويكتب على الاكثر لا أدري والشئ يعرف بضده * فكذلك أيضا ما أطمع الله تعالى بمثل العلوم * ومن العلم العلم بالعلم أي شئ هو * وقد ذكر أبو طالب في القوت ان الناس ألفوا كتبا كثيرة وسموا ما فيها علما وليس كذلك * هذا معنى كلامه رحمه الله وان لم يكن لفظه كذلك ورأيت لابي الوليد الوقشي

برح بي أن علوم الورى * علمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

قلت ولست ترى صاحب علم أي علم كان الا وهو يرى أن لا فوق ما يعلم ان كان صاحب علم حديث يرى فضله على ما سواه * وصاحب علم القرآن يرى نفسه فوقه بدرجات * وصاحب علم التفسير يرى غيره بعين التحقير * وصاحب الفقه يقول لا شئ فوقه * وصاحب الادب واللغة يقول هذا الذي به أخبرت هو الطريق الذي يفهم به كل ما ذكرت * وصاحب الطب يقول حفظ الصحة هو الاصل الذي تقوى به على العبادة حتى صاحب النجوم والحساب * يقول لا بد من معرفة هذا بلا ارتياب وصاحب الاصول يزيد على هذه الفصول ويقول يكفي أن اسمه أصل ولا يثبت الفرع بغير أصل وأما صاحب الكلام فعلى رسول الله السلام * وكل يرى أن مذهبه ورقة مذهبه * ثم يرجع كل على مخالفه في الطريقة * فلا يبلغ عريقة * حدثني الحافظ أبو الطاهر السلفي رحمه الله عن بعض شيوخه انه كان يقول الحديث عز

فى عز * والفقه خبز فى خبز والكلام رز فى رز * وينشد لنفسه

أهل الحديث هم الرجال الابزل * ومن المعالى فى الاعالى نزل

هل يستوى السمك الذى تحت الثرى * أبدا مقيم والسماك الاعزل

ويقول العلم باب للشرف * وما من العلم خلف

وكل من خالفنى * بابة تبن وعلف

وأنشد لى الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق الازدى لنفسه

يا طالبا للعلم مسترشدا * مستنصحا ان قبل الناصحا

ان كنت تبغى سننا قاصدا * تسألنى منتهجا واضحا

فاركض الى النص مطى السرى * فان فيه المتجر الرابحا

واطرح الرأى وأصحابه * ولا تكونن له لاقحا

وقال الخليل بن أحمد العلوم أربعة فعلم له أصل وفرع وعلم له أصل ولا فرع له وعلم له فرع ولا أصل له وعلم لا أصل له ولا فرع * فأما الذى له أصل وفرع فالحساب ليس بين أحد من الخلق فيه اختلاف وأما الذى له أصل ولا فرع له فالنجوم ليس لها حقيقة علم يبلغ تأثيرها فى العالم يعنى الاحكام والقضايا على الحقيقة * وأما الذى له فرع ولا أصل له فالطب أهله منه على التجارب الى يوم القيامة * وأما الذى لا أصل له ولا فرع فالجدل وقال غيره شر العلوم الفلسفة ولذلك يقول الفقيه الزاهد أبو عمران موسى بن عمران القيسى المعروف بالميرتلى رضى الله عنه

شر العلوم اذا اعتبر * ت أخى علم الفلسفه

لا تعملن بها لسا * نا ما حييت ولا شفه

لا خير فيما الفل أو * له وآخره سفه

وهذا الشاعر أحد الاذكياء الاولياء انظر حديثه فى باب التاء من هذا الكتاب الى غير ذلك مما يهول أمره ويطول ذكره وسيأتى منه طرف فى ذم القياس فى باب الميم * وأما أهل التصوف فيرون العلم علم الباطن من الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين وخواطر القلوب ومعاملة علام الغيوب ولعمر الله ان من ليس عنده علم بالله ولا أحكامه ولا حلاله وحرامه انه لمنزل عن العلم بمعزل وفصل الخطاب ان كل علم أريد به وجه الله وقام صاحبه فيه بأمر الله فهو ناج ان شاء الله وهذا كله بعد حصول ما لا بد منه مما هو فرض عليه وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى

مولاى بثلثمائة درهم فأعتقنى فقلت باى حرفة أحترف فاحترفت العلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المؤمنين زائرا فلم آذن له ان قلت كيف هذا قيل العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا افتقدوا فاذا افتقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا فاذا هربوا أمنوا فهذا مولى قد فاق بعلمه الاشراف * ومثل هذا ماروى حميد الطويل رضى الله عنه قال قدم رجل من أهل البادية البصرة فاستقبله خالد بن مهران فقال له يا أبا عبد الله أخبرنى عن سيد أهل هذا المصر من هو قال الحسن ابن أبى الحسن قال أعربى أم مولى فقال مولى قال لمن قال للانصار قال فبم سادهم قال احتاجوا اليه فى أمر دينهم واستغنى هو عن دنياهم فقال البدوى كفى بهذا سودد او سيأتى طرف من فضائل الحسن ان شاء الله تعالى * وهذه رابعة البصرية كانت أمة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة ولا يرغب فيها أحد لكبر سنها فرحمها بعض التجار واشتراها بنحو مائة درهم وأعتقها فاختارت العلم والعمل وأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زار هاز هاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم شأنها * وفيما أجازنى شيخى أبو عبد الله بن الفخار رحمه الله بسنده الى عبد الله بن وهب قال دخل عبد الملك بن مروان المسجد الحرام فرأى حلق العلم والذكر فأعجب بها فأشار الى حلقة فقال لمن هذه فقيل لعطاء ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لميمون بن مهران ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لمكحول ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لمجاهد وكلهم من أبناء الفرس الذين من اليمن فرجع الى منزله وبعث الى أحياء قريش فجمعهم فقال يا معشر قريش كنا فيما قد علمتم فمن الله علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الدين فقهرتموه حتى غلبكم أبناء الفرس فلم يرد عليه أحد الا على بن الحسين فانه قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ثم قال عبد الملك ما رأيت كهذا الحى من الفرس ملكوا من أول الدهر فما احتاجوا الينا وملكنا هم فما استغنينا عنهم ساعة فان قلت هذا النوع الذى ذكرت قبل هذا ليس من قبيل هذا بل هو غيره اذ شرف كل علم بشرف معلومه * ولذلك كان العلم والتفقه فى كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم أشرف العلوم وأنفعها فى الدنيا والآخرة وكل علم لا يدل على الله ولا توجد علامته على صاحبه فهو وبال وحجة عليه * كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم بالقلب

فذلك العلم النافع * وعن عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها يثمر وما أكثر المثمر وليس كلها ينافع وما أكثر العلماء وليس كلهم يرشد * وقال بعض الموفقين اطلب العلم لتعمل به ولا تطلبه لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وتأكل به مال الاغنياء وتستخدم به الفقراء فانما لك من علمك ما عملت به وعليك ما ضيعت منه * وقال عبد الله من تتبع العلم أو قال الاحاديث ليحدث بها لم يجد ريح الجنة * وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا * وقال الحسن رضى الله عنه اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا قولهم فان الله تعالى لم يدع قولا الا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه فاذا سمعت قولا حسنا فرويدا بصاحبه فان وافق قوله عمله فنعم ونعمت عين أخيه وأودائه وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان الناس قد أحسنوا القول كلهم فمن وافق فعله قوله فذاك الذى أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فانما يوبخ نفسه وقال الحسن رضى الله عنه فى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلام الى الله فاذا كان كلام طيب وعمل سيء ردّ القول على العمل وكان العمل أحق به من قوله * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ثم لم يعمل سبع مرّات * وكان من نقش خاتم الحسين رضى الله عنه علمت فاعمل وفى قصيد الالبيرى فى العلم من هذا المعنى

فواظبه وخذ بالجدّ فيه * فان أعطاكه الله أخذتا
وان أوتيت فيه طول باع * وقال الناس انك قد سبقتا
فلا تأمن سؤال الله عنه * بتوبيخ علمت فهل عملتا

وهذا المعنى قد سبق اليه أبو الدرداء رضى الله عنه قال ان أخوف ما أخاف اذا وقفت على الحساب أن يقال لى قد علمت فما عملت فيما علمت وذلك ان المرء فى الدنيا مبتلى بأربعة أشياء وهى الدنيا والشيطان والنفس والهوى وقد جمعهن الشاعر فى قوله

انى بليت بأربع يرمينني * بسهام قوس مالها توتير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى * يارب أنت على الخلاص قدير

فيحتاج الى أربعة أشياء يقاوم بها هذه الاربعة المذكورة وهى العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم أولا الطريق والافهو أعمى ثم يعمل بالعلم والافهو محجوب ثم يخلص العمل والافهو مفتون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات الى

أن يجد الامان والا فهو مغرور * ولذلك قال ذو النون رحمه الله الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملين والعاملون كلهم مغترون الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم وتقدم ان الشاعر جمع الصفات الاربع المتقدمة في بيت ورأيتها لابي عمران موسى المرتلي الزاهد رضي الله عنه مجموعة في بيت وقد زاد عليها ثنتين فصارت ستا فقال

ست بليت بها والمستعاذ به * من شرها من اليه الخلق تبتهل
نفسي وابليس والدنيا التي فتنت * من قبلنا والهوى والحرص والامل
ان لم يكن منك يا مولاي واقية * من شرها فقد اعيت عبدك الحيل

وكان من دعاء من قرأت عليه اللهم اجعلنا ممن قرأ ليعلم وعلم ليعمل وعمل فتقبل منه وفي الشهاب ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وفي الحديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وأنشد الفقيه المذكور لنفسه في هذا المعنى

من كان منتفعا به وبعلمه * يقظا وفي عمل حليف نعاس
فمثاله المسكين عند تأمل * وتثبت كذبالة النبراس
يأتي عليها الاحتراق ودأبها * أبدا تزايد ضوئها للناس

قلت وما أحسنهما اذا اجتمعا وما أكثر انتفاعهما وأقل اجتماعهما ألم تسمع الى ما قاله أحد النبهاء يرثي أحد الفقهاء

حاز الشريفين من علم ومن عمل * وقلما يتأتى العلم والعمل

والكلام أيضا في مثل هذا يطول والحق ثقيل فان قلت كذا أقول لك وأنا لم أقل لك اترك مالا يسعك جهله لانه أول ما يجب تحصيل الأهم فالأهم والأوكد فالأوكد فاذا أحكمت ذلك علما وعملا فالاشتغال بهذا خير من الاشتغال بطلب الدنيا وخير من جمع المال وتعلمه أنفع من تعلم الصناعة اذ هو ان أعطيته من كل حرفة أجود * ومن كل صنعة أعود * وأنت فان كانت لك همة وتذوقته فلن تتركه ولو نهيت عنه وأيضا فلن يمنعك عن طلب ما يكفيك من الدنيا اذا قنعت به وأما أنا فانما وضعت نوعا من العلم وضربا من اللغات كما وضعه غيري بل انما أخذت من تآليفهم وتطفلت على تصانيفهم فان قلت وأنت فهذا الذي ألفته وجمعته وفي هذا الكتاب أثبته ووضعته أحذر أن يكون من باب المباهاة والافتخار والمراآة

والاشتهار

والاشتهار وكم ضيعت فيه من زمان وعطلت عليه من أوان وقد كان الاشتغال بذكر المولى أحق منه وأولى وقد جاء عن سفيان الثورى انه خلا مع الفضيل بن عياض رضى الله عنهما فتذاكرا وبكيا فقال سفيان للفضيل انى لأرجو أن لا نكون جلسنا مجلسا أعظم بركة من هذا المجلس فقال الفضيل لكنى أخاف أن لا نكون جلسنا مجلسا أضر علينا منه قال ولم يا أبا على قال ألست قصدت الى أحسن حديثك فحدثتنى به وقصدت أنا الى أحسن حديثى فحدثتك به فتزينت لى وتزينت لك فبكى سفيان أشد من بكائه الاول وقال أحييتنى أحياك الله ومثل هذا اعترى للفضيل قصده رجل فلما علم بقبالة نحوه قفل بابه من خارج فلما جاء الرجل ورأى الباب مقفلا انصرف فقيل له فى ذلك فقال ما يصنع بى يظهر لى محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامى وهذا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب يوما كتابا أعجبه فزقه الى غير ذلك من أخبار الصالحين ومراعاتهم لأوقاتهم أن لا تذهب سدى كما يروى عن عطاء انه قال كنت مع سفيان الثورى رضى الله عنهما بمكة فى المسجد الحرام ونحن نتحدث اذ قال لى سفيان يا عطاء نحن جلوس والنهار يعمل عمله قلت انا لفى خير ان شاء الله قال أجل ولكنا نتلذذ به ثم قال يا عطاء ان المؤمن ليرى فى الموقف بعينه ما أعد الله له فى الجنة وهو مع ذلك يتمنى انه لم يخلق لشدة ما هو فيه مع أشياء سوى هذا تروى عن أهل الفضل مع قول الحكيم*

فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك فى القيامة أن تراه

فأين أنت من هؤلاء الرجال وأين حالك من هذه الاحوال فأقول لكل مقام مقال ولكل زمان رجال وعلى كل كلام جواب وفى كل مسئلة باب أول ما أقول لك فى ذلك لسنا نحن كأولئك لم نبلغ بعد الى مرتبتهم ولا ارتقينا الى درجتهم أولئك قوم كفوا عن الحرام فكفوا وصفوا من الآثام فاصطفوا ونحن خلطنا وخبطنا فخططنا وحبطنا وظلمنا فأظلمنا وما ظلمنا أسألك بحق ربك أين الذى اذا صلى بالناس جهرا فأخطأ فى قراءته أو خطب فأرتج عليه أو سئل عن مسئلة فلم يدر ما يقول فيها أو كتب رسالة أو قال شعرا فأخطأ فيه أو لحن أو كسر لا يعز ذلك عليه ولا يباليه ولا يهتم به ولا يكترث له وهؤلاء هم القدوة وفيهم الاسوة وأما أمثالنا فأينا الذى اذا أخطأ أو لحن لا يحزن لذلك ولا يغتم بل ليته لا يموت كمدا ويذوب حياء لا سيما ان كان ذلك بحضرة من يتعين بل ليته لا يعتذر من ذلك كأنه أذنب ذنبا بل ليته لا يكذب

فى اعتذاره أم أينا الذى لا يفرح اذا قيل له انك لفصيح وان خطك لمليح وان شعرك لطيب * وان صوتك لحسن * وانك لمتقن * وسريع الحفظ * بل ليته لا يغضب على من لا يبتديه بذلك * يا أخى هذه منزلة ما بلغتها أنا بعد نعم ولا تحدثنى نفسى بها الا أن يتداركنى الله كما تداركك أولئك القوم فهو مولانا * كما هو مولاهم ونحن عبيده كما هم * ونحن الآن والحمد لله أحسن من غيرنا * ممن ألف كتبا فى الاهجاء والامداح * وأبواب اللهو والمزاح * ومدح الراحة والراح وقد قيل لابن الاحنف مالك لا تكون كأبيك * قال دعوا أبى وقيسونى بأبنائكم * وقلما يشبه المرء أباه فى العلم والحلم * وفى ذلك يقول الشاعر

اذا ما رأيت امرأ حاذقا * فكن فى ابنه سيء الاعتقاد

فما ان ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار الا الرماد

وكان لمالك بن أنس رضى الله عنه ولد يدخل ويخرج ولا يجلس معه فى مجالس العلم فكان اذا نظر اليه يقول هاه ان مما يطيب نفسى ان هذا العلم لا يورث وان أحدا لا يخلف أباه فى مجلسه الا عبد الرحمن بن القاسم ورآه يوما نازلا من فوق ومعه حمام قد غطاه قال فعلم مالك انه قد فهمه الناس فقال الادب أدب الله لا أدب الآباء والامهات والخير خير الله لا خير الآباء والامهات وسأل سفيان بن عيينة رحمه الله رجلا فقال يا أبا محمد نشدتك بالله أطلبت هذا العلم يوم طلبته لله فأعرض عنه سفيان وسأله ثانية وثالثة فقال سفيان اللهم لا انا طلبناه تأدبا ونظرا فأبى الله الا أن يكون له وهذا الفن الذى أخذت انا فيه سأحتج عليه بما لا ينفيه قد قالت الفقهاء ما لا يتم الفرض الا به فهو فرض مثله أليس علم اللغة واللسان العربى مما لا يفهم كتاب الله الا بهما وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وليت شعرى هل كان الفضيل بن عياض وسفيان الثورى ونظراؤهما من أهل العلم ممن لا يعد كثرة يجهلون هذا الشان وهل بلغوا الى ما بلغوا الا بالعلم بهذا وغيره وكذلك جميع ما فى هذا الكتاب مذكور هل هو الا من كتب الائمة مصابيح الامة أهل الفضل والعلم الذى حفظوا على الاواخر علم الاوائل وما أغفلوا منه لفظة حتى ذكروا فى كتبهم مثل * حبطقطق وبشقشق وغير ذلك مما ترى بعضه فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهل هذه الالفاظ وغيرها الا آلة من آلات العلم وأداة من أدواته ومن لم يدر اسانا ولا لغة فكيف يفهم أو بم يتكلم وقد قال بعض

الحكماء ليت شعري أي شئ أدرك من فاته العلم أو أي شئ فاته من أدرك العلم وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة ترى أحدا من هذه الجماعة ذم أهل هذه الصناعة كيف وعلم اللسان هو نصف الانسان * ومن لم يكن له لسان فهو أخرس ومن كان أخرس فهو بهيمة والله تعالى يقول الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقالوا ما الانسان لولا البيان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة وانما المكروه في هذا الشان من قطع عمره كله بهذا الفن ولم يحسن غيره وأفنى زمانه فيه ولم يشتغل بسواه هذا عنده آلات كثيرة لم يعملها في غيرها وانما أتقن بعضها ببعض وقعد وغيره استعمل هذه الآلات في سائر الصناعات فأحر بهذا أن يكون أعلى من ذلك وأنفس وأحذق وأكيس وباب العمل بالعلم باب آخر قد تقدم منه طرف وستطلع منه في هذا الكتاب على أبواب كثيرة بحول الله تعالى ودونك أيها الولد فائدة زائدة طريفة أدبية * شريفة لغويه * تقدم حيطقطق وهذه اللفظة وقعت في بيت من الشعر أنشده المازني رحمه الله وهو

فائدة لغوية

جرت الخيل فقالت * حيطقطق حيطقطق

يحكي صوت جري الخيل كما قالوا الطقطقة أصوات حوافر الدواب مثل الدقدقة وكما قالوا جلنبلق لصوت الباب اذا فتح واذا أغلق ويكون الباب جافيا ضخما قال الشاعر فتفتحه طورا وطورا تجيفه * فتسمع في الحالين منه جلنبلق

أنشده المازني وساقه أهل اللغة شاهدا على أنه لا يوجد جيم وقاف في كلمة واحدة من كلام العرب الا أن يكون معربا أو حكاية صوت نحو الجردقة وهي الرغيف والجرموق الذي يلبس فوق الخف والجراموقة قوم بالموصل أصلهم من العجم والجوسق القصر وجلق بكسر الجيم واللام مع التشديد موضع بالشام والجوالق الوعاء بضم الجيم وجمعه جوالق بفتحها وغير ذلك أشياء قليل عددها استعلمها اذا علمت كما تجهلها اذا جهلت * وخذ أيها الولد النبيل * فائدة في التقبيل * تقدم ان زيد بن ثابت قبل يد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال أهل العلم قبلة الامام في اليد وقبلة الام في الرأس وقبلة الاخ في الخد وقبلة الاخت في الصدر وقبلة الزوجة في الفم * وقيل قبلة المؤمن المصافحة وقبلة الوالد الولد في الرأس وقبلة الام الولد في الخد وقبلة الاخ الاخت في العين وقال علي بن أبي طالب رضي الله

عنه قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الاخ أخاه دين وقبلة الامام العادل طاعة * يروى ان أباعبيدة قبل يد عمر رضى الله عنهما ثم تناول رجله فقال أما هذا فلا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافحه انسان لم ينزع يده من يده حتى يكون ذلك الانسان الذى ينزع يده وكره مالك رحمه الله تقبيل اليد وقال انه من صنيع الاعاجم وكذلك قال هشام لرجل قبل يده أفه ان العرب ماقبلت الايدى الا هلوعا ولا فعلته الاعاجم الا خضوعا واستأذن رجل المأمون فى تقبيل يده فقال ان قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمى خديعة ولا حاجة بك أن تذل ولا بنا أن نخدع * واستأذن أبو دلامة الشاعر المهدى فى تقبيل يده فقال أما هذه فدعها قال ما منعت أم عيال شيئا أيسر فقدا عليهم من هذه

(فصل) وقد قالوا فى البلاغة ان اللسان نصف الانسان ومن قال ذلك احتج بقول الاعور الشنى

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم شأنه فى صدرى وان كان مقصرا سقط من عينى وهذا مقتضى قول بعض المتقدمين المرء مخبوء تحت لسانه * وسئل الخليل عن البلاغة فقال كلمة تكشف عن البغية وقال الفضل قلت لبعض الاعراب ما البلاغة قال الايجاز فى غير عجز والاكثار فى غير خطل وهذا أيضا معنى قول جعفر بن يحيى اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا * ووصف يحيى بن زياد رجلا بالبلاغة فقال أخذ بزمام الكلام فقاده أحسن مقاد وساقه أحسن مساق فاسترجع به القلوب النافره واستصرف به الابصار الطامحه * وقال العتبى قيل لمسلمة بن بلال العبدى خطب جعفر بن سليمان خطبة لم نر أحسن منها ومادرينا أوجهه كان أحسن أم كلامه فقال أولئك قوم بوجوه الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون * وسأل المأمون العباس بن الحسن الطالبى عن رجل فقال رأيت له حلما وأناة ولم أر هنالك عجلة لا تسمع له لحنا ولا احالة يحدث الحديث على مطاويه وينشدك الشعر على مدارجه ويخبرك بالاخبار المتقنة ويرمى

اليك بالامثال المحكمة * وقال الكسائى لقينى اعرابى بمكة فجعلت أسأله وألح عليه فقال مارأيت رجلا أقدر على كلمة الى جنبها كلمة أشبه شئ بها وأبعد شئ منها منك وقيل لرجل قرشى مابال العرب تطيل كلامها وتقصرونه معاشر قريش فقال بالجندل يرمى الجندل ان كلامنا يقل لفظه ويكثر معناه ويكتفى بأوله ويستغنى بآخره * وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى وسمع شاعرا ينشد شعرا وقد أساء قولا وانشادا ان من الشعر ليوتا ملس المتون قليلة العيون ان فقدتها لم تبالها وان سمعتها لم تتفكه بها كذا رأيته قليلة العيون وأظنه كلية والله أعلم وقال اسحاق بن ابراهيم هذا أنشدت الرشيد شعرا مدحته به أقول فيه

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى * فليس الى ماتأمرين سبيل

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأى أمير المؤمنين جميل

قال فالتفت الى الفضل بن الربيع وقال ياعباسى قاتل الله أبيا تالا يزال يأتينا بها الموصلى فما أشد أصولها وأقل فضولها وأحسن فصولها وقال الموصلى ذكر اعرابى عشيرة رجل بجودة الشعر فقال مابين التراب والسحاب أشعر من أسرته * وذكر رجل كاتبا فقال جمع الدنيا بين طرف لسانه وسن قلمه وخط يده وفص خاتمه ومدح شاعر كاتبا فقال

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنسالك كل كمى هز عامله

وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وهذا البيت من أبدع كلام سمع وأبرع التزام جمع * وسمع رجل رجلا يتكلم فيحسن فقال له أبلغت وأوجزت وسهلت وكنت كالماء فى الرقة والجوهر فى اللطف والنار فى الذكاء وكلامك أخصب من الروض وأحسن تعلقا من العقيان فى صدور القيان * ووصف اعرابى رجلا فقال كان لسانه أرق من ورقه وألين من سرقه * وذكر العباسى العباس بن الحسن فقال كان والله كلامه يفت الخردل ويحط الجندل * وقال العتبى قيل لبليغ كيف رأيت كلام فلان قال يشجى بالريق ويملأ الصدور ويونق الاسماع ويستشرف الابصار ويأخذ أقطار البلاغة ويقصد المحجة ويردو يصدر بالحجة لله درأيه كيف يستصرف العيون اللامحة ويرد الاسماع الجامحة * ومدح شاعر قوما باصابة القول فقال

وأوتاد أرض الله فى كل بلدة * وموضع فتياها وعلم المشاجر

وما كان سحبان يشق غبارهم * ولا السوق من حيى هلال وعامر

السرف محركة شقق الحرير الابيض

يصيبون فصل القول فى كل منطق * كما طبقت فى العظم مدية جازر

والقول فى هذا الباب طويل ويكفى منه القليل فلنرجع أيها الانسان الى ذكر اللسان قال بعض النقاد اللسان ترجمان الفؤاد يعبر عنه بما أراد ألم تسمع قول الشاعر وبما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد

وقال آخر ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقال آخر قل لمن يفخر جهلا بالحسب * انما الناس لأم ولأب
أتراهم خلقوا من فضة * أومن الياقوت أوهذا الذهب
كان البيت * أوحديد أونحاس أوذهب * وكما فى الكتاب رأيته فذيلته
أترى فضلالهم من غيرهم * بسوى لحم وعظم وعصب
انما الفخر بعقل كامل * وبأخلاق كرام وأدب

وقال افلاطون باطن عقول الرجال أطراف أقلامها وظاهر عقولها فى حسن اختيارها وقال ارسطاطاليس لكل شئ صناعة وحسن الاختيار صناعة العقل

(فصل) وقد فضل قوم السكوت على الكلام وآخرون الكلام على السكوت قلت وليس السكوت بأفضل من الكلام الا من جهة العذر أوالعى أوالفضول فان النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرأ تكلم فسلم أوسكت فغنم فاذا سلم الانسان من الجهل وتكلم بالخير فلا شك انه أفضل من الساكت وقال بعض من فضل الكلام على السكوت لم تر والرواة سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه وذكر الله داود فقال وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وتذاكروا فى مجلس أبى مسهر الكلام وحسنه والصمت ونبله فقال أبو مسهر ان النجم ليس كالقمر انك تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما عبر به عن شئ فهو اكبر منه * وقال بعض العلماء ما أعلم فى الدنيا شيئا من البيوع يستطاع شراؤه بالسكوت ولا وشيجة بقل ويستطاع شراء الجنة من رب العالمين بالكلام وهو ذكر الله وقراءة القرآن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وقال سهل بن هارون ان الله رفع درجة اللسان فوق جوارح الجسد وشرف منزلته على سائر الاعضاء فأنطقه بتوحيده وتمجيده فهو أداة يظهر بها البيان وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به

الاشياء ومعز يرد به الحزن ومؤنس يذهب بالوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغينة وفصاح بمعانى الامور ودليل على مابطن فى القلوب ومخبر عما بطن من الاخبار ان سألته أوضح وان استنطقته أفصح وهو رسول العقل الى السامعين وأداته التى تجمع بين مفترق الحكم * وقال غيره لسان المرء أنجح شفعائه وأنفذ سلاحه على أعدائه وشاهد العقل ودليله * قلت هذا كله على استقامته وسداده وأما ارساله فى الفضول وفيما لا يصلح فالعى خير منه والسكوت أسلم لا محالة نعم والسكوت للجهال ستر قال الشاعر

وفى الصمت ستر للعيى وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وقال آخر اذا أنت لم تنطق بحق ولم تقل * صوابا فعن عى لسانك فاستر

وقال طرفه وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

وقال آخر لسان المرء ينبى عن جهاه * وعى المرء يستره السكوت

وقال أبو العتاهية الصمت أجمل بالفتى * من منطق فى غير حينه

وتكلم رجل فى مجلس الهيثم بن صالح فهذر فقال الهيثم بكلام أمثالك رزق أهل الصمت المحبة وأطال رجل الصمت فعيب به فقال ان حظ الرجل فى اذنه لنفسه وحظه فى لسانه لغيره وقال آخر ان فوت الصمت أيسر من خطل القول وقالوا أبلغ الصمت مايكون الكلام شرا منه وقالوا فى الصمت أمان من تحريف القول وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو نواس

خل جنبيك للرام * وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما العاقل من ألجم فاه بلجام
شبت ياهذا وماتترك أخلاق الغلام
والمنايا آكلات * شاربات للانام

وتكلم رجل بين يدى معاوية رحمه الله فهذر فلما أطال قال يا أمير المؤمنين أأسكت قال وهل تكلمت ثم أقبل على جلسائه فقال أماترون هذا يعثر فى كلامه بلسانه ويعثر لسانه بكلامه وتكلم رجل فى مجلس ابن عباس رضى الله عنهما فأساء الكلام فقال ابن عباس رضى الله عنه لغلام له أنت حر لوجه الله تعالى فقال الرجل ماسبب

هذا الشكر يا أبا العباس قال حمدت الله اذ لم يجعلني مثلك ووصف رجل قوما فقال منهم من يتقطع كلامه قبل أن يصل الى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه وقال كسرى أنوشروان عي الصمت خير من عي الكلام وقال آخر أعي العي بلاغة بعي * وسمع اعرابي رجلا يتكلم ويهذر ثم التفت الى الاعرابي فقال له ما البلاغة عندكم فقال له خلاف ما كنت فيه منذ اليوم وكان الاصمعي يقول من جيد أمثالهم ربما أسمع فأدع والصمت حكمة وقليل فاعله والكلام في هذا المعنى كثير وربما أعيى من فيه أعنى وقد تقدم فصل من هذا عند ذكر الشعر في أول الكتاب * ويروى أن رجلا كان يجالس الاحنف بن قيس وكان يطيل الصمت حتى أعجب به الاحنف ثم انه تكلم فقال للاحنف يا أبا بحر أتقدر أن تمشي على شرف المسجد فتمثل الاحنف بالبيت المتقدم * وكائن ترى من صامت لك معجب البيت ومثله أن رجلا كان في مجلس أبي يوسف وكان يطيل الصمت فقال له أبو يوسف يوما مالك لا تتكلم وتسأل عما بدا لك فقال بلى أيها الفقيه اني سائلك عن شئ فقال سل فقال متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس قال فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل فتبسم أبو يوسف وتمثل بقول القائل

وفي الصمت ستر للعيي وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

وقد تقدم هذا البيت الا انه يروى للغبي بغين منقوطة وباء موحدة وهو هنا بياء ين وعين وكذا قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسكندرية وفي فوائد أبي القاسم الادريسي بسنده قال أنشدنا ثعلب

عجبت لازراء العيي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالامر أعلما

وفي الصمت ستر البيت ومن الفوائد أيضا وقرأته على الحافظ بسنده الى أبي الفضل علي بن محمد القطان بزبيد اليمن

أنت من الصمت آمن الزلل * ومن كثير الكلام في وجل

لا تقل القول ثم تتبعه * ياليت ما قلت لم أكن أقل

وأنشدني أيضا لنفسه

لعمرك ما للمرء كالرب حافظ * ولا مثل عقل المرء للمرء واعظ

لسانك لا يلقيك في النحي لفظه * فانك مأخوذ بما أنت لافظ

قلت وآفات اللسان أيضا كثيرة قالوا في المثل اياك أن يضرب لسانك عنقك كذا

ذكر أبو عبيد القاسم وردّ عليه أبو عبيد البكرى فقال انما هو اياك وأن يضرب بالواو وكما ورد فى الحديث اذا بلغ الرجل السبعين فاياه واياه الشواب وأنشدنى فيما يخاف من اللسان ويارب ألسنة كالسيو * ف تقطع أعناق أصحابها

وقال آخر وقد يرجى لجرح السيف برء * وجرح الدهر ما جرح اللسان

وقال آخر * والقول ينفذ مالا ينفذ الابر * وقال آخر * وجرح اللسان كجرح اليد

وقالوا اللسان أجرح جوارح الانسان * وقال الصاحب بن عباد حفظ اللسان راحة الانسان فاحفظه حفظ الشكر للاحسان فآفة الانسان فى اللسان

ومما رأيته مسندا الى شيخى الحافظ السلفى رحمه الله قال سمعت أبا على محمد بن محمد المهدوى الهاشمى ببغداد يقول سمعت أبى يقول سمعت يحيى الازدى النحوى يقول كنت يوما فى حلقة أبى سعيد السيرافى فجاء أبو عبد الملك خطيب جامع المنصور فقاموا له وأجلوه فلما تمكن به المجلس قال قد قرأت قطعة من هذا العلم وأريد أن أستزيد منه فأيها خير سيبويه أو الفصيح فضحك من فى المجلس ثم قال له أبو سعيد ياسيدنا نحمده اسم أو فعل أو حرف ففكر ساعة ثم قال حرف ففحكوا ثانيا فلما قام لم يقوموا له قلت وكيف يعتدل القول أو يستقيم لذى الفهم السقيم ألم تسمع قول الشاعر وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقال آخر وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وفصل الخطاب المفضى الى عين الصواب ما رأيته ولعلى رويته أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ يا معاذ أنت سالم ما سكت فان تكلمت فلك أو عليك وهذا حديث يسير يحتوى على علم كثير وقد رأيت أن أثبته بالكلية لعل الله أن ينفعنى به بالنيه قال معاذ رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل اذا عملته دخلت الجنة قال بخ بخ سألت عظيما وهو يسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وان شئت نبأتك برأس هذا الامر وعموده وذروة سنامه أما رأسه فالاسلام من أسلم سلم وأما عموده فالصلاة وأما ذروة سنامه فالجهاد فى سبيل الله ان شئت نبأتك بجوامع من الخير الصيام جنة والصدقة تمحو الخطيئة وقيام العبد فى جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وان شئت نبأتك بما هو أملك بالناس من ذلك فأشار باصبعه الى لسانه فقلت وانى لمأخوذ بما تكلمت به

فقال ويحك وهل يكب الناس على وجوههم الا ألسنتهم انك سالم ماسكت فاذا تكلمت فلك أو عليك * ومما قرأته بالاسكندرية فى التاريخ المذكور على الفقيه الشريف أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثمانى رحمه الله من ذرية عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الفارسى رحمه الله يقول سمعت الحسن بن حبيب النيسابورى يقول سمعت أبى يقول سمعت محمد بن محمد الورّاق يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول اذا سكت فأنا واحد من الناس واذا تكلمت فأنا واحد فى الناس قال وسمعته يقول أفواه الرجال حوانيتها وأسنانها مفاتيحها فاذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البيطار والتمار من الزمار وقال الشاعر

المرء يعجبنى وما كلمته * ويقال لى هذا اللبيب اللهذم
فاذا قدحت زناده وسبرته * فى الكف زاف كما يزيف الدرهم

وقال آخر

ترى الناس أشباها اذا جلسوا معا * وفى الناس زيف مثل زيف الدراهم

وقال عدى بن الرقاع

القوم أشباه وبين حلومهم * بون كذاك تفاضل الاشياء

قال وحدّثنا محمد بن الحسين بن خلف البغدادى قال حدّثنا أبو الفضل بن المأمون قراءة عليه قال حدّثنا أبو بكر الانبارى قال حدّثنا محمد بن المرزبان أنبأنا أبو عبد الله محمد بن شجاع قال حدّثنا محمد بن زياد قال تكلم رجل عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأحسن فقال عمر هذا والله هو السحر الحلال قلت الرجل الذى تكلم عند عمر رضى الله عنه هو والله أعلم الذى ذكر بعض الرواة انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز فقدم عليه وفود أهل كل بلد فتقدّم اليه وفد أهل الحجاز فاشرأبّ منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغر يه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو أن الامر بالسنّ لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك فقال عمر صدقت تكلم فهذا هو السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة لم نقدم اليك رغبة ولا رهبة لانا قد أمنا فى أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سنّ الغلام فقيل عشر

المرزئة بوزن التهنئة معناها المصيبة كالرزء والرزية اه قاموس

سنين

سنين وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر قد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا في النار أعاذك الله ان تكون منهم وألحقك بسالف هذه الامة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ زاجر أخذ الشاعر قوله هذا هو السحر الحلال فقال

هو السحر الحلال لمجتنيه * ولم أر قبله سحرا حلالا

وقالوا الاصغران القلب واللسان والاصمعان القلب الذكي والرأي الحازم يقال فلان أصمع القلب اذا كان حديد القلب نقلته من الدلائل قال الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان طرة راقتك فاخبر فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر
وما الزين في باد تراه وانما * يزين الفتى مخبوره حين يخبر

وجاء في الشهاب جمال الرجل فصاحة لسانه وقال ابن سيرين ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة ولا على امرأة أحسن من شهم وخرج ثابت رحمه الله أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبيض بض فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال العباس ما يضحكك يا رسول الله أضحك الله سنك فقال أعجبني جمالك يا عم النبي قال وما الجمال في الرجل يا رسول الله قال اللسان وأنشدوا

رأيت العز في أدب وعقل * وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بحسن * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه * له وجه وليس له لسان

يقال فلان لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان وقالوا الصورة الحسنة بلا لسان كالبيت الحسن ليس فيه أهل وكان العتابي لا يبالي بما لبس فقيل له في ذلك فقال أخزى الله امرأ يرضى أن ترفعه هيئته جماله وماله انما ذلك حظ النساء والرجال الازرياء لا والله حتى يرفعه كبرياه وأصغراه همته ونفسه ولسانه وقلبه وقالوا زينة الرجل بيانه لا ثيابه كما قال الآخر لبعض الملوك وكان في جبة له فاحتقره فقال ان الجبة لا تتكلم انما يتكلم من فيها وأنشدني الحافظ رحمه الله بسنده قال أنشدني الصباح بن منصور الشاركي لنفسه

ان أمس فى سمل والتذل فى حلل * فعادة الدهر فى ذى الجود والكرم

المشجب الخشبة التى تلقى عليها الثياب

أما ترى المشجب الديباج ملبسه * والنصل ملبسه شبران من أدم

وفى المقامات للحريرى من هذا المعنى

ما ان يضر العضب كون قرابه * خلقا ولا البازى حقارة عشه

وسيأتى قول الشاعر

على ثياب فوق قيمتها الفلس * وفيهن نفس دون قيمتها الانس

وخرج الواقدى أن عبد الله بن عوف الاشجع قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما رآه نظر الى رجل دميم فقال عبد الله يارسول الله انه لا يستقى فى مسوك الرجال انما يحتاج من الرجل الى أصغريه قلبه ولسانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خصلتان يحبهما الله وفى رواية ورسوله الاناة والحلم فقال يارسول الله أشئ حدث أم شئ جبلت عليه فقال لا بل شئ جبلت عليه * وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله والحكاية المشهورة عن كثير اذ دخل على عبد الملك بن مروان فقال لما رآه أن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال يا أمير المؤمنين كل عنده محله رحب الفنا شامخ البنا عالى السنا ثم أنشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور

ويعجبك الطرير اذا تراه * فيخلف ظنك الرجل الطرير

فى أبيات آخرها فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير

ذكر ذلك أبو على فى الامالى وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام فى الامثال ان قائل ذلك المثل المنذر بن ماء السماء قاله لشقة بن ضمرة فقال له شقة ان الرجال ليسوا بجزر يراد منها الاجسام انما المرء باصغريه قلبه ولسانه وقال البكرى فى شرح الامثال انما قال له ان الرجال لا تكال بالقفزان وليست بمسوك يستقى بها الماء وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان قال قال ببيان وان صال صال بجنان فأعجب المنذر ما سمع منه ودخل بعض العلماء على الرشيد وكان دميم الصورة قصير القامة فاستحقره الرشيد وقال ما أقبح هذا الوجه فقال العالم يا أمير المؤمنين ان حسن الوجه ليس مما يتوسل به عند الملوك هذا يوسف عليه السلام أحسن الناس وجها قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ولم يقل انى حسن الوجه جميل قال

صدقت ارتفع فرفع قدره وقرب مجلسه

(فصل وأما الملح والآداب) فقد حدثني السلفي رحمه الله فيما رويه عن أشياخه انهم كانوا يقولون لقاطات الادب كقراضات الذهب قلت وما رأيت أحدا ممن لقيته من أهل الآفاق الا وله تعاليق وأوراق تحتوي على حكايات وأشعار ورسائل وأخبار *وهذه الملح هي حلية الكتاب وزينة أهل الآداب وفاكهة أولى الالباب من أهل هذا الباب تنشط الكسلان وتوقظ الوسنان وتبعث الطالب على الزيادة الى أن يلحق بالسادة وقال الاصمعي توصلت بالملح ونلت بالغريب وقرأت على الحافظ رحمه الله قال سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري ببغداد وقرأنا عليه جزءا من حكايات أبي عمرو بن حيوية الخزاز يرويه عن أبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد وفيه ملح ومضاحك فوضع يده على وجهه وتبسم وقال لا يسعني الا الرواية فقد رواه الي أزهد خلق الله أبو الحسن القزويني رحمه الله ثم ساق من فضائل أبي الحسن هذا قال سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن السراج النحوي ببغداد يقول رأيت على أبي الحسن القزويني الزاهد ثوبا رفيعا لينا فخطر ببالي كيف مثله في زهده يلبس مثل هذا * فقال في الحال بعد أن نظر الي قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال وحضرنا عنده يوما لقراءة الحديث فتمادى بنا الوقت الى أن وصلت الينا الشمس وتأذينا بحرها فقلت في نفسي لو تحرك الشيخ الى الظل فقال والله في الحال قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون *وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول اني لاستجم نفسي ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق * وعن علي رضي الله عنه سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد وقال أيضا ان القلب اذا أكره عمي وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير أحضوا أي اذا ملتم من الفقه والحديث وعلم القرآن فخذوا في الاشعار وأخبار العرب كما أن الابل اذا ملت ما حملا من النبت رعت الحمض وهو ما ملح منه ومنه قول الزهري هاتوا من أشعاركم فان الاذن مجاجة والنفس حمضة أي انها تشتهي الشيء بعد الشيء كما تفعل الابل وسيأتي تفسير الحمض في باب النون بأكثر من هذا ان شاء الله تعالى *وقال بعض الحكماء ان للاذان مجة وللقلوب ملالا فنفروا بين الحكمتين ليكون ذلك استجماما *ذكر هذه

الاخبار الفقيه القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله فى كتابه الذى سماه كتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد قال وفى الحديث من الفقه التحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفس وجلاء للقلوب وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذى عليه باب ماجاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر وأدخل فى الباب هذا الحديث يعنى حديث أم زرع وحديث خرافة * ثم قال وهذا كله مالم يكن دائما متصلا * وانما يكون فى النادر والاحيان كما قال ساعة بعد ساعة واما أن يكون ذلك عادة الرجل حتى يعرف بذلك ويتخذه ديدنا ويطرف به الناس ويضحكهم دائما فذلك مذموم غير محمود دال على سقوط المروءة ورذالة الهمة وقد عد هذا الفن الفقهاء فيما يقدح فى عدالة الشاهد قال وفيه من الفقه جواز المدح فى بعض الاحايين واباحة الدعابة مع الاهل وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل فهو من حسن العشرة * وقد كان عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا * ومن أحسن ماقيل فى المزح قول أبى الفتح البستى

أفد طبعك المكدود بالجد راحة * بنجم وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ماتعطى الطعام من الملح

وكان ابن الماجشون ينشد

انما للناس منا * حسن خلق ومزاح * ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح

ولغيره

مازح أخاك اذا أراد مزاحا * فاذا أباه فلا تزده جماحا
فلربما مزح الصديق بمزحة * كانت لكل عداوة مفتاحا

وأنشدنى الحافظ لنفسه

المزح حقار أس كل قطيعة * والمزح منقصة تشين فظيعه
فاتركه فهو يشين من يعتاده * واهجره فهو الى الفراق ذريعه

وقال غيره

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الايام فى كرها عقلا
فاياك اياك المزاح فانه * يجرئ عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

ولى من شعر لزومى

قل كيف يرجو فلاحا * من كان خصما فلاحا
فاتركه واترك مزاحا * واجعله عنك مزاحا

* (فائدة زائدة) * المزاح بكسر الميم مصدر مازحه وهما يتمازحان والاسم المزاح بالضم والمزاحة أيضا مثله والمزح الدعابة والممازحة المفاكهة * ومن أمثالهم قولهم (لاتفاكه أمه ولا تبل على أكمه) والفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه أيضا الأشر البطر وقرئ ونعمة كانوا فيها فكهين أى أشرين وقرئ فاكهين أى ناعمين وقوله تعالى فظلتم تفكهون فعناه تندمون وقيل تعجبون لهلاكه بعد خضرته وقد روى عكرمة فى حديث يرفعه أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة ويحكى ذلك أيضا عن على وابن ثابت وابن سيرين والشعبى وغيرهم وقد ذكر ابن قتيبة فى أدب الكتاب من هذا فصلا فانظره هنالك وقد قال عمر رضى الله عنه ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا * وعن زيد بن ثابت انه كان من أفكه الناس فى أهله وأجدهم اذا جلس مع القوم وكان مالك رحمه الله من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده وكان يقول يجب على الانسان أن يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم * وحديث أم زرع مشهور وهو الذى فسره عياض المذكور رحمه الله فجاء فى سفر صغير * وأما حديث خرافة فخرج الترمذى فى الشمائل عن عائشة رضى الله عنها قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديث خرافة * فقال أتدرون ما خرافة ان خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن فى الجاهلية فمكث دهرا فيهم ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس حديث خرافة فهذا من حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وخرج البخارى رضى الله عنه فى باب المداراة مع الناس وفيه يذكر عن أبى الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الشاعر فى هذا المعنى

أكاشره وأعلم أن كلا * على ما ساء صاحبه حريص

خرجه ثابت رحمه الله وقال الكشر بدو الاسنان عند التبسم وجاء عن مجاهد رضى الله عنه أنه قال ان الرجلين اذا تلاقيا وتصافحا وتكاشرا تحاتت ذنوبهما كما تحات ورق الشجر فقال له رجل ان هذا ليسير فقر أمجاهد لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقالوا اذا لقيت المؤمن فصافحه واذا

رأيت الفاجر فخالقه وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خالقوا الناس وزايلوهم ودينكم فلا تهملوه وفى هذا المعنى قال الشاعر

خالق الناس بخلق حسن * لا تكن كلا على الناس تهن

والقدوة فى هذا الشأن والأسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليه رجل وكان محمقا جافيا ومع ذلك كان سيد قومه فقال بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك فى وجهه فقالت له عائشة رضى الله عنها فى ذلك فقال متى عهدتنى فحاشا ان من شر الناس عند الله يوم القيامة من اتقاه الناس لشره أو كما قال عليه الصلاة والسلام * (فائدة زائدة) هذا الرجل هو عيينة بن حصن وقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خالقوا الناس المخالقة ضد المخالفة وهى موافقة الناس على اخلاقهم وخلق الانسان هو الذى طبع عليه ويقال فلان كريم الخلق وكريم الخليقة والجمع الاخلاق والخلائق * ومن وصية لبعض العلماء حق على العاقل أن يخالق من لقيه وأن يتنزيا بزى من سا كنه وقد قال بعض الشعراء * ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

وقالوا كل من الطعام ما تشتهى والبس من الثياب ما تشتهى الناس يريد انه لا يعلم أحد ما فى بطنك كما يعلم ما على ظهرك

* (فصل) * وأما تعلم العربية فقد قال النبى عليه الصلاة والسلام أعربوا القرآن فانه عربى وكفى بمن لا يحسن اعراب القرآن أنه لا تجوز الصلاة خلفه لانه يلحن فيقول ما لم يقله الله ولا رسوله * ومن أشد ما رأيت فى اللحن ما خرجه الخطابى رحمه الله عن الاصمعى قال ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل فى جملة قول النبى صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار لانه لم يكن يلحن فهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت عليه وقال الاصمعى أيضا سمعت حماد بن سلمة يقول من لحن فى حديثى فليس يحدث عنى وقال الخليل لحن أيوب فقال أستغفر الله وسأل رجل الحسن فقال يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال يا ابن أخى فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعربوا الكلام كى تعربوا القرآن وقال عمر رضى الله عنه تعلموا اعراب القرآن كما تعلموا حفظه وقال أبو بكر الصديق لأن أعرب آية من القرآن أحب الى من أن أحفظ آية ذكر هذا

أبو عبيد رحمه الله في كتاب فضل القرآن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن أقرأ فأخطئ أحب الي من أن أقرأ فألحن لاني اذا أخطأت رجعت واذا لحنت افتريت وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يضرب ولده على اللحن وقال رجل للحسن يا أبا سعيد فقال له الحسن كسبك للمال شغلك أن تقول يا أبا سعيد ثم قال تعلموا الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان وأتى عثمان البستي الى الحسن فقال ما تقول أصلحك الله في رجل زعف فقال له الحسن ومازعف لعلك تريد رعف قال فاستحيا البستي وطلب العربية * ودخل رجل على زياد فقال له ان أبينا هلك وان أخينا غلبنا على ميراثنا في أبانا فقال له زياد ماضيعت من نفسك اكثر مما ضاع من مالك * وجاء رجل الى أحد الفقهاء فقال له رجل هلك وترك أبيه وأخيه فقال له قل وترك أباه وأخاه فقال الرجل وترك أباه وأخاه فما لأباه ومالأخاه قال له قل فما لأبيه ومالأخيه فقال له الرجل ما أراك تريد الا خلافي ومر وتركه * وسمع أعرابي اماما يقرأ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بنصب التاء فقال سبحان الله هذا قبل الاسلام فبيح فكيف بعده فقيل له انه لحن وانما القراءة ولا تنكحوا فقال قبحه الله لا تجعلوه بعدها اماما فانه يحل ماحرم الله * ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وقال بعض السلف ربما دعوت فلحنت فأخاف أن لا يستجاب لي وسمع الاصمعي رجلا يدعو ربه ويقول في دعائه ياذو الجلال والاكرام فقال له ما اسمك فقال ليث فقال

ناجى ربه باللحن ليث * لذاك اذا دعاه لا يجيب

وحدث هيثم عن بعض المشيخة أن رجلا أتى منزل ابراهيم فقال أها هنا أبا عمران فسكت ابراهيم فقال أههنا أبي عمران فقال ابراهيم قل الثالثة وادخل * ومر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بقوم يتناضلون ورمى بعضهم فأخطأ فقال له عمر أخطأت فقال يا أمير المؤمنين نحن متعلمين فقال والله لخطاؤك في كلامك أشد علينا من خطائك في نضالك احفظوا القرآن وتفقهوا في الدين وتعلموا اللحن واللحن في هذا الموضع اللغة قاله الاصمعي وقال غيره هو نوع من التعريض من قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول اى في نحوه ومعناه قال الشاعر

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا * واللحن يفهمه ذوو الالباب

أي بينت لكم واللحن بفتح الحاء الفطنة وربما سكنوا الحاء فيها وأما في الخطأ

فالسكون لاغير يقال لحن الرجل يلحن لحنا فهو لاحن ومن الفطنة لحن يلحن لحنا فهو لحن ويقال لحنت للرجل فلحن لحنا أى فهمته ففهم وألحنته أنا اياه الحانا فهو لحن وهذا المعنى أراد الشاعر بقوله

منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وهذا البيت للفزارى واسمه مالك بن أسماء يكنى أبا سعيد كان من شعراء الدولة الاموية وفى هذا الشعر

أمغطى منى على بصرى للحب أم أنت أجمل الناس حسنا

أخذه من قول الآخر

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحة * وحسنا على النسوان أم ليس لى عقل

وجاء فى الحديث من ذكر اللحن قوله عليه الصلاة والسلام انكم تختصمون الىّ ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بشئ من أخى أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار وجاء منه أيضا ما قال للرجال من أصحابه الذين بعثهم عينا لينظروا الى عدوهم من اليهود وكانوا مصالحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه عنهم أنهم قد نقضوا الصلح فقال عليه الصلاة والسلام للقوم الذين بعثهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فأخبروا به الناس فمضى القوم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم من الغدر فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه وقالوا عضل والقارة وهما قبيلتان من العرب كانوا قد غدروا أيضا ونقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فهؤلاء فى الغدر كأولئك قلت واللحن قبيح اذا لم يغير المعنى فكيف اذا غيره * وقد أرخص كثير من العلماء أن يصلح اللحن الذى يأتى فى الحديث من قبل النقلة روى عن الاوزاعى رحمه الله أنه قال أعربوا الحديث فان القوم كانوا عربا وقال لا بأس باصلاح اللحن فى الحديث وقال عمر بن شيبة قال لى عفان قال لنا همام ما سمعتم من حديث قتادة فأعربوه فان قتادة كان لا يلحن ثم قال لنا عفان قال لنا حماد بن سلمة من لحن فى حديثى فليس يحدث عنى وقد تقدم وعن الحسن بن على الحلوانى قال ما وجدتم فى كتابى عن عفان لحنا فأعربوه فان عفان كان لا يلحن وقال لنا عفان ما وجدتم فى كتابى عن حماد بن سلمة لحنا فأعربوه فان حمادا كان لا يلحن وقال حماد ما وجدتم

Bergsträsser Grundzüge 2.

فى كتابى عن قتادة لحنا فأعربوه فان قتادة كان لا يلحن * وقد أجاز بعض العلماء أن يترك المكتوب على حاله ويعتذر عنه ويقرأ على الصواب ويحتج بقول عثمان بن عفان رضى الله عنه فى القرآن العزيز أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها فأقامه رضى الله عنه بلسانه وترك الرسم على حاله * وقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله كثيرا من هذا النوع فى مشكل القرآن له مثل ان هذان لساحران والمقيمين الصلاة والصابرين فى البأساء والضراء وغير ذلك وخرج وجوهها والحمد لله فانظره هنالك ان شاء الله تعالى * وقد اختلف أهل الحديث فى ذلك فمنهم من رأى انه لا يسمع الراوى له الا أن يأتى بالالفاظ التى سمع وقرأ بلا زيادة ولا نقصان كما يروى عن أبى معمر قال انى لأسمع الحديث لحنا فأحن اتباعا لما سمعت * ومنهم من يتساهل فى ذلك فيقول اذا أتيت بمعنى الحديث فلا أبالى ألفاظه وعلى هذين الطريقتين طائفة من العلماء رحمهم الله والأحسن والاولى ايراد اللفظ والمعنى والله الموفق والمعين * وممن لحن متعمدا اتباعا للمخاطب وأدبا معه الشعبى رضى الله عنه وكان من العلم والعربية حيث كان دخل يوما على الحجاج وكان الحجاج أيضا فصيحا حتى انه يضرب به المثل فى الفصاحة فقال له الحجاج كم عطاك قال ألفين قال ويحك كم عطاؤك قال ألفان قال فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك قال لحن الامير فلحنت وأعرب فأعربت ولم أكن ليلحن الامير فأعرب أنا عليه فأكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول فأعجبه ذلك ووهب له مالا وتقدم ذكر فصاحة الحجاج * أرسلت مرة للخطيب أبى محمد رضى الله عنه كتابا فيه مقطوعة من الشعر ذكرت فيها حاجتى فكتب الى كذلك منظوما فيه جواب كتابى أوله

وافى كتابك يا أبا الحجاج * تبدو عليه فصاحة الحجاج

ان أردت الكتابين انظرهما فى التكميل * وقال عبد الملك بن عمير رأيت فصحاء الناس أبان بن عمرو بن عثمان ومحمد بن سعد بن أبى وقاص وأبان بن سعيد والحسن بن أبى الحسن البصرى وأبا الاسود الدؤلى فأما أبان بن عمرو فانه كان يصلى فسمع رجلا يقول ركبت دابتى فقمصت بى فقصا فخفف الصلاة وقال قاصا لا أم لك وقد ذكر الخطابى رحمه الله هذه اللفظة وأنشد شاهدا على ذلك لابى النجم

ليس خليلى بالملول اللاصى * ولا يبرذون خصاه الخاصى

فلج فى ذعر وفى قماص

وأما محمد بن سعد فانى سمعته يوما يتكلم فسبق الى لسانه مالم يرد فلحن فقال حسبى الله والله لوجدت حرارتها فى حلقى قبل أن اتكلم أما والله ما نعرف سينكم من ميمكم من رائكم ولكن والله ان تكلمنا لنعربن * وأما أبان بن سعيد فكان يقول اللحن فى الرجل ذى الهيئة كالدنس فى الثوب الجيد وقال ابن شبرمة زين الرجال النحو وزين النساء الشحم وأما الحسن فانه قال يوما توضيت فقيل له أتلحن يا أبا سعيد فقال انما لغة هذيل وفيها فساد انتهى كلامه خرجه ثابت ابن قاسم فى الدلائل رحمه الله ولم يذكر لابى الاسود شيئا ويقال انه أول من وضع النحو ويقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ذكر أن رجلين تداعيا الى على ابن أبى طالب رضى الله عنه فادعى أحدهما قبل الآخر مالا فأعذر على الى الآخر فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين ماله عندى حق فقال ادفع له ماله فقال وكيف ذلك وأنا أردت نفى المال عنى فقال على رضى الله عنه فسد اللسان ورب الكعبة يا أبا الاسود أنح للناس نحوا يعتمدون عليه فقال وكيف أقول يا أمير المؤمنين فقال قل الكلام عربية وعجمية لا يخلو من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف ذكر ذلك الاستاذ أبو نصر رحمه الله وقيل ان أبا الاسود سمع بنية له صغيرة تقول وقد نظرت الى السماء فقالت له يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها فقالت لم أرد هذا انما أردت ان السماء حسنة فقال لها فقولى ما أحسن السماء فلما أصبح ذهب الى على فذكر ذلك له وقال انى أخاف أن يفسد لسان العرب فصنع أبوابا فى علم العربية ثم زاد عليها من بعده حتى صار الى ما ترى وكما أوردت الحكاية نقلتها من حفظى بلفظى والحمد لله * وقيل انما صنع ذلك حين سمع رجلا يقرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فقال لا يسعنى الا أن أصنع شيئا أصلح به لحن هذا أو كلاما هذا معناه ويقال ان زيادا سأله ذلك فأبى عليه فبعث زياد رجلا يقعد له بطريقه وأمره أن يقرأ شيئا من القرآن ويتعمد اللحن فقرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال عز وجه الله ان الله لا يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد فقال يا هذا قد أجبتك الى ما سألت وكان زياد من فصحاء الناس وبلغائهم وكان أبو الاسود رحمه الله واسمه ظالم بن عمرو يعد فى الصحابة والتابعين والمحدثين والشعراء والنحويين وقد ذكره الخطابى رحمه الله فى كتابه وقال عن محمد بن سلام الجمحى قال أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبلها

ووضع

ووضع قياسها أبو الاسود وكان رجلا من أهل البصرة وانما فعل ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة ثم قال السليقة من الكلام ما كان الغالب عليه السهولة وهو مع ذلك فصيح اللفظ منسوب الى السليقة وهى الطبيعة يقال يقرأ بالسليقة أى بطبعه لم يقرأ على القراء ولم يأخذه عن تعليم قال الشاعر

ولست بنحوى يلوك لسانه * ولكن سليقى أقول فأعرب

ومما قيل من الشعر فى اللحن واستحسن

النحو يبسط من لسان الألكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن

واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منه مقيم الألسن

وكان يقال اذا أردت أن تعظم فى عين من كنت عنده صغيرا ويصغر فى عينك من كان عندك كبيرا فتعلم العربية * وقال الشعبى الآداب والعربية رأس كل صناعة وقال أبو محمد بن العلا قال حماد بن سلمة رحمه الله أنفقت على الادب أربعة آلاف فليت ما انفقت على الحديث أنفقت على الادب فان النصارى صحفوا حرفا فكفروا أوحى الله الى عيسى ابن مريم أنت نبيى وأنا ولدتك فقرؤا أنت بنيى وأنا ولدتك فكفروا * وقال عبد الملك بن مروان أصلحوا من ألسنتكم فان المرء تنوبه النائبة فيستعير الثوب والدابة ولا يمكنه أن يستعير اللسان * وحدث قاسم بن أصبغ قال حدثنا المبرد قال حدثنا أبو حاتم عن الاصمعى عن أبى محرز خلف الاحمر مولى بلال بن أبى بردة قال قرأنا الكتب وقلبناها فكلها نجدها علمنا وانما تعزى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تكلم بالعربية ورضى دين العرب دينا لنفسه ورضى حكمها له وعليه فهو عربى وقد برئ من العجمة وبرئت منه قال أبو محرز الا أنا اذا تدبرنا فى الاوائل وجدنا العرب أرجح حظا ولا سيما من اتقى الله منهم قال أبو العباس وكان خلف الاحمر مولدا ظريفا نحويا شاعرا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسلمان الفارسى رضى الله عنه يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك فقال يا رسول الله وكيف أبغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضنى وفى حديث آخر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لسلمان الفارسى رضى الله عنه أحب العرب لثلاث قرآنك عربى ونبيك عربى ولسانك فى الجنة عربى وستأتى هذه الحكاية أطول من هذا ان شاء الله وفى حديث آخر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان الله خلق الخلق فاختار من

الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختارنى من قريش فأنا خيار من خيار الى خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وفى حديث آخر ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم أخذ هذا المعنى شيخنا الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن على القيسى رضى الله عنه فقال

للعرب الفضل على الناس * وخيرها أولاد الياس
والنضر منظور الى فضله * ثم قريش عزها راسى
والسادة الغرّ بنو هاشم * خيارها فى الجود والباس
والمصطفى خير بنى هاشم * وخير مبعوث الى الناس

فى قطعة ستراها مع أخرى للفقيه أبى محمد عبد الحق وأخرى لى فى باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الشعر فديوان العرب الأبعد منهم والاقرب وقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما ويروى لحكمة فأما تفسير الحكمة فهو ما وقع فى شرح الشهاب لابى القاسم بن ابراهيم الوراق قال ابن دريد الحكمة كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة وحكم ومنه قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال النبى عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فيدها ثم اتبع ضالة أخرى ينتفع بها ويردع نفسه عن هواها وقال مكحول سمع ابن جريج كلمة حكمة فقال ضالتى ورب الكعبة وسيأتى تفسير الحكم ان شاء الله تعالى وقال ابن عباس فى قول الله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال المعرفة بالقرآن وقال مجاهد فى قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفقه والاصابة فى القول * وأما الشعر فقد مدح به الرسول صلى الله عليه وسلم فأثاب عليه وقال عليه السلام انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح رواه ابن حبيب وقد كان له شعراء مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم أجب عن رسول الله اللهم أيده بروح القدس وفى رواية اهجهم أو هاجهم وجبريل معك * وقد أنشده ابن أبى سلمى بمسجده فى مشهده فقال

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول

وفيها من التشبيب مايسبي لب اللبيب فلم يرد عليه النبي ماقاله ولا كره منه تلك المقاله وقد كان عليه الصلاة والسلام يستنشد الشعر فينشد ثم يستزيد فيزاد ويعجبه ذلك اذا وافق صاحبه الحق * وذكر ابن الانباري عن أبي بكرة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده اعرابي ينشده الشعر فقلت يارسول الله أشعرا أم قرآنا فقال في هذا مرة وفي هذا مرة وقال في الكتاب كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينشدان الشعر وهما يطوفان حول البيت وسيأتي هذا المعنى مستوفى في باب الهاء من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * فان أردت أن تعرف مقدار الشعر وانه عند قائله أنفس من الدر فانظر ماخرج ابن هشام وماذكره في كتاب السير أن حسان بن ثابت رضي الله عنه لما قال قصيدته التي أولها

منع النوم بالعشاء هموم * وخيال اذا تغور النجوم

قالها ليلا فدعا قومه فقال لهم خشيت أن يدركني أجلي قبل أن أصيح فلا ترووها عني ولذا كان العلماء رضي الله عنهم يرون درجة من لا يقوله نازلة لاسيما عند النازلة وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه وقد قيل له ان فلانا لا ينشد الشعر فقال تنسك تنسكا أعجميا أبو بكر شاعر وعمر شاعر وعلي أشعر الثلاثة * وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة بيت الا يقول الشعر فقيل له وماهو فقال

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

وقال بعض السلف الشعر لا ينكره الا أحد رجلين مراء يظهر بذلك نسكه أو جاهل به لا يصلح لروايته * يحكى أن أبا عبيد الله بن زياد دخل على معاوية رضي الله عنه فأجلسه معه على سريره وقال له يا ابن أخي أقرأت القرآن قال نعم قال له وروايت الشعر قال ما أروى منه شيئا لاني تجنبته قال له ولم يا ابن أخي فوالله لقد رأيتني بصفين واني لعلى الهرب فما ردني الا قول عمرو بن الاطنابة

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واقدامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي
أدافع عن مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صحيح

فلم كرهت الشعر أي بنيّ اروه كلما تهيأ لك أن ترويه فانه يشجع الجبان ويسخي البخيل ويهز البليد * وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها في صدر حاجته فيستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها نفس اللئيم * وكان رضي الله عنه متى عرضه أمر أنشد فيه شعرا وكذلك روى عن عائشة رضي الله عنها * وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى قلت رضي الله عن عمر اذ يقول في الشعر يستعطف به قلب الكريم حدث الاصمعي قال سمعت بيتين لم أحتفل بهما ثم قلت هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب وهما

اذا شئت أن تلقى أخا لك معبسا * وجداه في الماضين كعب وحاتم

فكشفه عما في يديه فاذا هما * تكشف أخلاق الرجال الدراهم

قال فاني لعند الرشيد ذات يوم وذكر حديثا طويلا دار الى معنى البيتين فقلت في نفسي جاء موضع البيتين فأنشدتهما الرشيد وكان غضبان قال فتجلى عن الرشيد وأمر لي بألفي دينار في البيتين وما كانا يساويان عندي درهمين وقال عمر رضي الله عنه علموا أولادكم الكتابة والعوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا وروّوهم ما يحسن من الشعر وفي رواية وخير الخلق للمرأة المغزل ذكره في هذا الخبر العوم من قول عمر رضي الله عنه وقد جاء من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم ذكره ابن أبي زمنين في كتاب آداب الاسلام وقال عن ابن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه انتهوا الى غدير فسبحوا فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه وأنا أسبح الى صاحبي فسبحوا وسبح النبي عليه الصلاة والسلام الى أبي بكر وسيأتي الكلام على الرمي في باب الهاء مع الركوب ان شاء الله * قلت والشيء يذكر بالشيء ذكرني عوم النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه المذكورين في هذا الخبر مسابقته صلى الله عليه وسلم مع عائشة رضي الله عنها خرج ابن أبي زمنين في كتابه المذكور عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر من أسفاره قالت فنزلنا منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالي حتى أسابقك فسبقته وخرجت معه بعد ذلك في سفر آخر فنزلنا منزلا فقال تعالي حتى أسابقك فسبقني ثم ضرب بيده بين كتفيّ وقال هذه بتلك * وكان عروة بن أذينة الفقيه المحدث الذي روى عنه مالك وغيره رحمة الله عليهم شاعرا مجيدا مغرما في الشعر وكان من أجل علماء المدينة وكان مع علمه

وثقته وثبوته رقيق الغزل * يحكى أن امرأة وقفت عليه فقالت له أنت الذى يقال عنه الرجل الصالح العالم وأنت القائل

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لحرّ على الاحشاء يتقد

والله ماخرج هذا من قلب سليم أو كما قالت هذا معناه وكان رضى الله عنه عزيز النفس أبىّ الطبع وفد على هشام بن عبد الملك فقال له أنت القائل

لقد علمت وما الاسراف لى طمع * أنّ الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعيينى

قال نعم قال فما أقدمك علينا قال سأنظر فى أمرى وخرج من فوره ذلك فأخبر بذلك هشام فأتبعه بجائزة * رجع الكلام الى معنى الشعر المتقدّم وفضائله قال الاصمعى لما أنشد أشجع بن عمرو السلمى قصيدته التى برز فيها فلما انتهى الى قوله

وعلى عدوّك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

فلما سمع هذين البيتين استوى جالسا وقال هكذا والله تمدح الملوك * ووقع فى الشهاب قول الرسول عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكما وان من القول عيا وان من البيان لسحرا * قال بعض العلماء معنى ان من الشعر لحكما * ان منه ما يلزم المقول له كلزوم الحكم للمحكوم عليه اصابة للمعنى وقصد الثواب وفى هذا يقول أبو تمام

ولولا سبيل سنها الشعر ما درى * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة * ويرضى بما يقضى له وهو ظالم

ولم أر كالمعروف ترعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم

وان العلى مالم ير الشعر بينها * لكالارض غفلا ليس فيها معالم

وما هو الا القول يسرى فيغتدى * له غرر فى أوجه ومواسم

ويروى ومياسم المسم المكواة وأصل الياء واو فان شئت قلت فى جمعه مياسم على اللفظ وان شئت قلت مواسم على الاصل كما قال صاحب كتاب تاج اللغة والاحسن عندى أن يكتب مثل هذا بالياء فرقا بينه وبين مواسم الحج الذى واحدها موسم بالواو لا غير * فمن حكمه أن بنى أنف الناقة كان اذا ذكر أنف

الناقة عند أحدمنهم غضب فضلا عن أن يسب أحدمنهم به أو يعيرفاهوالا أن قال الحطيئة فيهم

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

فلما قال هذا فيهم جعلوا يفخرون بهذا البيت واذا سئل أحدهم عن نسبه لم يبدأ الا بابن أنف الناقة بعد ما كان يغضب اذا ذكر * وأنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم * وكذلك كان بنو العجلان بضدّ هذا يفخرون بهذا الاسم و يتشرفون به لان جدّهم عبدالله بن كعب سمى العجلان لانه كان يعجل قرى الاضياف ونزل به حيّ من طى فبعث اليهم عبداله بقراهم وقال له أعجل علهم ففعل العبد فأعتقه لعجلته فقال القوم ماينبغى أن يسمى هذا الا العجلان فسمى به فكان شرفا لهم الى أن هجاهم أحد الشعراء فقال

وماسمى العجلان الا بقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبى و يكنى عن العجلان * ويروى انهم استعدوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على هذا الشاعر وقالوا هجانا فقال وماقال فيكم فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم وذلة * فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فان الله لا يعادى مسلما قالوا فقد قال

قبيلته لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال وددت ان آل الخطاب كانوا كذلك قالوا فقد قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل

فقال كفى ضيما عا يمن تأكل الكلاب لحمه قالوا فقد قال

ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال ذلك أصفى للماء وأقل للزحام قالوا فقد قال

وماسمى العجلان الا بقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال سيد القوم خادمهم قال الذى أورد الحكاية وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعلم بما فى هذا الشعر من الذم ولكنه درأ الحدود بالشبهات * ومثل هذه الحكاية فى الاستعداء بعمر رضى الله عنه ما روى ان الحطيئة هجا الزبرقان

ابن بدر بقوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فلما بلغت الزبرقان استعدى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنشده البيت فقال عمر رضى الله عنه ما أرى به بأسا فقال الزبرقان والله يا أمير المؤمنين ما هجيت بيت قط أشد على منه فبعث عمر الى حسان بن ثابت رضى الله عنهما فقال انظر ان كان هجاه فقال حسان رضى الله عنه ما هجاه ولكن سلح عليه ولم يكن عمر رضى الله عنه يجهل موضع الهجاء فى البيت ولكنه كره أن يتعرض لشأنه فأمر بالحطيئة الى الحبس وقال يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين فكتب اليه من الحبس يستعطفه

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت هى الاثر

ويروى لكن بك استأثروا فلما قرأها عمر رضى الله عنه أمر باطلاقه وأخذ عليه أن لا يهجو مسلما وقوله فى الشعر الكاسى أراد المكسو كما قال الله تعالى من ماء دافق أى مدفوق وعيشة راضية لانه يقال كسى العريان ولا يقال كسا قاله الفراء رحمه الله وفى هذا الشعر بعد البيت المتقدم

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

ومن نوع ما تقدم ان من الشعر لحكما ما يروى أن المحلق كان خاملا لا يذكر حتى طرقه الاعشى فى فتية وليس عنده الا ناقة فأتى أمه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رأيت أن تأذنى لى فى نحر الناقة فقالت نعم يا بنى فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابا وشوى لهم بعض لحمها فأصبح الاعشى ومن معه راحلين فلم يشعر المحلق حتى أتته القصيدة التى أولها * أرقت وما هذا السهاد المؤرق * وفيها * وبات على النار الندى والمحلق * وهى مشهورة فاشتهر وعرف كرمه وكانت أمه تخطب اليه وتقول * وبات على النار الندى والمحلق * كذا رأيته فى كتاب تاج اللغة المحلق وبينه فقال المحلق بكسر اللام رجل من ولد أبى بكر بن كلاب من بنى عامر الذى

يقول فيه الاعشى * وبات على النار الندى والمحلق * وقال فيه أيضا

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

وقد فسر صاحب الكامل الشيخ وذكر فيه رواية أخرى السيح بالسين والحاء المهملة وفى هذا الشعر

لعمرى قد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار بالبقاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا * بأسحم داج عوض لا نتفرق

ترى الجود يجرى سائلا فوق وجهه * كما زان متن الهندوانى رونق

تقدم ذكر الاعشى وليس واحدا قال ابن دريد رحمه الله العشى من الشعراء ثمانية قال أبو عبيد البكرى رحمه الله وقد حكى قوله وتتبعتهم انا فوجدتهم خمسة عشر أعشى ثم سماهم انظرهم فى اللآلى من تآليفه (قلت) وأنت أى بنى أظنك لا تعرف الاعشى ولا العشا وانما تعرف العشا من أجل العشا فدونك هذه الفائدة بارزة من الغشا قال أهل اللغة الاعشى الذى لا يبصر اذا أظلم عليه الوقت بالليل والاغطش الضعيف البصر والاخفش كذلك ويزيد عليه صغر العين والاحول الذى ينظر الى المحاجر والاقبل الذى ينظر الى عرض أنفه والازرق الاخضر الحدقة والاملح أشد من الزرق وهو الذى يضرب الى البياض والادعج الشديد سواد العين والاحور الشديد سواد العين الشديد بياض الابيض منها والانجل الواسع العينين فى حسن والاشكل الذى يخالط الحمرة سواد عينيه والاشهل أن تكون الحمرة أكثر من صاحب الشكلة * قال بعض الحكماء قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فالكلام زوجان منثور ومنظوم فالمنثور قول العامة والمنظوم قول الشعراء يريد ما يحل من هذا يحل من هذا وما يحرم من هذا يحرم من هذا قال الشاعر وما الشعر الا خطبة من مؤلف * لمنطق حق أو لمنطق باطل

ذكر أوصاف العين

وخرج أبو نعيم الحافظ رحمه الله فى كتاب حلية الاولياء وذكر الشعر فقال فأما الشعر المحكم الموزون فهو من الحكم الحسن المخزون يخص الله به البارع فى العلم ذا الفنون فقد كان أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يشعرون (قلت) والكلام القبيح حرام من أى نوع كان مثل مدح الخمر والكلام باطنا والهجو ولقد أذكرنى هذا الكلام خبرا كنت أنسيته كلفنى بعض الاصحاب نسخ جزء فانتسخته حتى انتهيت

منه الى أبواب فيه تتضمن مدح الخمر وأوصافها وتحسينها وشار بها فتركت مواضعها من الكتاب بياضا وتعديتها الى غيرها وكان اذذاك فى شئ من خير ثم لما أتممت الكتاب بعثت به اليه مع قطعة شعر قلتها أعتذر اليه من صنيعى وكان اسمه محمدا وهى أياعبدالاله فدتك نفسى * تبلغ من أخ برّ سلامه

بهذا الجزء أبواب تراها * تضمنت الندامى والمدامه

أأكتبها فتقرأ بعد موتى * اذا شالت عن الجسد النعامه

وربما أعنت على فساد * فأحصل ان فعلت على الندامه

وقد قال الحكيم وقال حقا * وقول الحق داع للكرامه

فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرّك أن تراه فى القيامه

فخليت المواضع من كتابى * بياضا فهو أقرب للسلامه

وأما قوله وان من القول عيا قال وحشى فى تفسيره هو أن يتكلم الرجل بالعلم بين يدى من هو أعلم منه * كما يروى أن رجلا قال لبعض الولاة ان جار الى تزندق فاستفهمه عن مذهبه فقال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاصى * فقال له الامير ما أدرى على أى شئ أحسدك أعلى معرفتك بالانساب أم على معرفتك بالكلام * ومثله ما يروى أن رجلا كانت له لحية طويلة جلس الى جماعة من أهل العلم وهم يتكلمون فى أيام الجمل وصفين فقال لهم ما تقولون فى معاوية وعلى قالوا له وما تقول أنت فقال أوليس هو على بن فاطمة قالوا ومن كانت فاطمة قال امرأة النبى صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت معاوية قالوا وما كانت قصة على قال لهم قتل فى غزوة خيبر مع النبى عليه السلام * ومثله ما يروى أن رجلا سأل عمرو بن قنبر وكان من كبار أصحاب مالك رضى الله عنهما فقال له ما تقول فيمن وجد فى خفه حصاة من المسجد وهو فى طريق داره فقال له عمرو يلقيها عن خفه فقال له أوليس الحصاة تصيح حتى ترد الى مكانها فعلم عمرو بن قنبر عيه فقال له كالمستهزئ به دعها تصيح حتى ينفلق حلقها فقال الرجل أولها حلق فقال عمرو ومن أين تصيح اذا * وأما قوله ان من البيان لسحرا فالسحر فى كلامهم الصرف والخديعة * وأما السحر بفتح السين فالرئة ومنه قول أبى جهل انتفخ سحره وقول عائشة رضى الله عنها بين سحرى ونحرى قال ثابت رحمه الله فى الدلائل معناه انه يغلب على القلوب بحجته ويسبيها بحلاوته فكانه سحر السامع ومنه حديث عمر بن عبد العزيز رحمه

لطيفه

الله أن رجلا كلمه فى حاجته فأبطأ عليه فلم يزل يتلطف به ويتلين له حتى أذعن له عمر بحاجته وقال هذا والله السحر الحلال * وقال الشاعر

لقد خشيت أن أكون ساحرا * راوية مرّا ومرّاشاعرا

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام للزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم حين قدما عليه وسأل عمرا عن الزبرقان فأثنى خيرا فقال الزبرقان يارسول الله قد علم منى أكثر مما قال ولكنه حسدنى فقال عمرو يارسول الله انه كذا وكذا وأثنى شرا ثم قال والله يارسول الله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الآخرة رضيت عنه فقلت بأحسن ماعلمت وسخطت فقلت بأسوء ماعلمت فحينئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا * وقد فسر ابن عبد ربه البيان فقال البيان كل شئ كشف لك قناع المعنى الخفى حتى يتأدى الى الفهم و يتقبله العقل فذلك البيان الذى ذكره الله فى كتابه ومنّ به على عباده فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وقالوا الروح عماد البدن * والعلم عماد الروح * والبيان عماد العلم

* (فصل) * رجع الكلام الى الشعر قلت قد تقدّم ان من البيان لسحرا وقول ثابت رحمه الله انه القول الذى يغلب على القلوب بحجته و يسبيها بحلاوته فكان هذا القول الى الذم أقرب منه الى المدح والدليل على ذلك ان الله سماه فسادا فقال بعد قوله ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقد تقدّم قولهم السحر الحلال فلولا انه حرام ماخصه اذا كان صلاحا بالحلال وأما الحرام فهو الذى يسوق الكلام المسجع المطبوع فى معرض الرد على المخاطب كانه علم متبع أوسنة معمول بها كما قال الذى كاف أن يغرم دية الجنين الذى سقط من ضربته * كيف أغرم مالا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل و يروى يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعه انما هذا من اخوان الكهان قال الراوى من أجل سجعه الذى سجع ومثله الرجل العابدى من بنى عابد حين جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب دية ابنه وكان قد قتله رجل أعتق سائبة فقال عمر رضى الله عنه لا دية له فقال العابدى أرأيت لو قتله ابنى فقال عمر اذا تخرج واديته فقال العابدى هو اذا كالارقم ان يترك ياقم وان يقتل ينقم * خرجه مالك رحمه الله فى الموطأ فهذا العابدى قد سجع بباطل ليردّ به حقا وهذا هو المكروه من البلاغة

التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قائلها على هذا النحو ان الله ليبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها وقال فى ضدة ثلاث يبغض بهن العبد فى الدنيا ويدرك بها فى الآخرة ما هو أعظم من ذلك الرحم والحياء وعى اللسان خرجه ثابت وفسر الرحم بالرحمة وجاء فى القرآن وأقرب رحما فسر برا ومرحمة قال الشاعر

أحنى وأرحم من أم بولدتها * رحما واشجع من ذى لبوة ضارى

قلت والبلاغة والفصاحة لا تتم الا بالتوفيق الى التحقيق والاستقامة والسلوك على سواء الطريق والافصاح بها منسوب الى التزويق والترقيق وان كان ذا تشقيق وتدقيق وخير منه من كان يقوى على التقوى وان كان أعجميا عجميا ولم يكن اعرابيا عربيا وقد حدثنى الحافظ رحمه الله بسنده الى أبى زرعة الطبرى قال دخلت على نفطويه الاديب وكان معى جماعة من الفقراء وكان بين يديه أولاد الرؤساء والوزراء فقام لنا نفطويه وقال ادخلوا يا سادة ورحب بنا وفرح فرحا شديدا قد تبين فى وجهه فتعجب الصبيان من فرحه بنا فقطن نفطويه فقال اكتبوا يا صبيان ما أملى عليكم وأنشأ يقول

سيبلى لسان كان يعرب لفظه * فيا ليته فى موقف العرض يسلم

وما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى * وما ضر ذا التقوى لسان معجم

وقال ابراهيم من أدهم لقد أعربنا فى كلامنا فلحن ولحنا فى أعمالنا فما نعرب وقال الاوزاعى اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع * تقدم ذكر حسان فى الاحسان وأريد أن اذكر لك هنا من فضائله فصلا لتتخذه أصلا كان رضى الله عنه أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى يقول فيه

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

وفى هذا الشعر المذكور أبيات يمدح فيها الخمر ومر يوما بقوم يشربون الخمر فنهاهم فقالوا لقد أردنا تركها فزينها لنا قولك * ونشربها فتترك كاملوكا * فقال والله ما قلتها الا فى الجاهلية وما شربتها منذ أسلمت رضى الله عنه وفى هذا الشعر

كان سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء

وقال فيه أيضا * لسانى صارم لا عيب فيه * وهو الذى يقول

فان أهلك فقد أبقيت بعدى * قوافى تعجب المتمثلينا

رقيقات القواطع محكمات * لوان الشعر يلبس لارتدينا

وكان شاعرا محسنا كثير الاحسان طويل اللسان خلقا وخلقا يروى انه كان يضرب بلسانه أرنبة انفه هو وابنه وجده ويقول لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه وابنه هذا أطنه عبد الرحمن ومن حذقه ونبله انه لسعه زنبور وهو صغير فجاء الى أبيه يبكى فقال له مالك فقال له لسعنى طائر كانه ملتف فى بردتى حبرة فقال له أبوه قلت والله الشعر وأم عبد الرحمن هذا سيرين ابنة شمعون أخت مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الرحمن يفخر بأنه ابن خالة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت سيرين هذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه الى غير ذلك من فضائله رضى الله عنه * وبعد هذه الفصول والمقدمات فالاعمال بالنيات والمجازى عليها علام الخفيات وفى آخر الحديث وانما لكل امرئ ما نوى فمن نوى الخير فما عليه توى وستري تفسير توى مع اشكاله ثوى ونوى فى باب النون ان شاء الله تعالى وأنا قد جمعت هذا الكتاب ومرادى أن نذكر الله تعالى فيه ونصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم متى جرى ذكره لأنى لما رأيت ذلك الشعر عقده انحلت بالفتح وظلمه انجلت بالشرح جعلت فى آخر كل باب منه فصلا جزلا طويلا نبيلا أردت أن أزيده به انشراحا وايضاحا بتفسير آية من كتاب الله تعالى وضياء وسنا بأحاديث عن نبيه المصطفى مع ذكر مآثر ومفاخر عن أصحابه عليهم اكمل الرضا وحكايات ومواعظ مرويات عن العلماء وأخبار وأشعار عن الحكماء ورقائق عن أهل اليقين وحقائق عن المتقين وآتى فيه بعجائب رأيتها وغرائب رويتها وأشياء كانت عندى مضاعة صيرتها مذاعة وأخبارا كانت متفرقة فجمعتها ومستورة فأبرزتها وكنت عولت أولا أن يكون لغويا موجزا صغير الجرم مكتنزا فما هو الا أن شرعت فى تأليفه وأخذت فى تصنيفه فأقبلت بحمد الله على الفوائد من كل أوب وألمعت الى الشوارد بيد وثوب فمن آية من القرآن العظيم الذى بنوره يهتدى وحكاية عن النبى الكريم الذى بأموره يقتدى ومن حكمة زهدية جدية وكلمة غزلية هزلية فهذه مطربة مسليه وتلك مكربة مبكيه الى غير ذلك من مسألة فقهية من لباب اللباب وأخرى نحوية قل

أن توجد فى كتاب ومن نظم ونثر لاشياخى أولى الالباب ومالى أيضا من هذا النوع مما يليق بالباب وعلى هذا الفن عوّلت أبرزه وفى هذا المجموع عزمت أحرزه فمازلت بهذه الفوائد ألطف شاردا تها فأربطها وتلك القرائد أتحف واردا تها فأضبطها حتى اذا صار الكل صيدى وفى ملكى وتحت قيدى أودعت جميع ذلك الآن هذا الديوان فكبر جرمه وكثر علمه وعادطويل الذيل جزيل النيل ينشط القارى والسامع وينفع ان شاء الله الكاتب والجامع ويستفيد منه المبتدى والشادى والحاضر والبادى والذكى والبكى والعى والالمعى لانى وضعت فى هذا التأليف المنى من كل شئ علمته فنا كما قال محمد بن يزيد رحمه الله فى بعض تراجم كتاب الكامل هذا كتاب اذكر فيه من كل شئ وكتابى هذا كله كذلك والحمد لله على ذلك وان كنت قد جمعت فيه بين جدّ وهزل ولين وجزل فما ذاك الا لأنشط الناظر وأستجم الخاطر وأقول

خلطت الجدّ بالهزل * ولين القول بالجزل
فسر للجد تثبته * وسر للهزل بالعزل

سر الاوّل من السير وسر الثانى من السيرة ومع ذلك فلا بدّ من خطأ فيه لان ذلك وصفى مع عجزى عن كمال العلم وضعفى فمن عثر على شئ من ذلك فليعلم انى لم أعتمده فلا يعتقده وليخرّجه له وجها ولا ينجه به المؤلف نجها كما شاهدت ذلك فى بعض المولدين ممن ليس بعشر من قبله فى علم ولا دين يخطئه ويحمل عليه ويضيف الجهل جهرا اليه وليس ذلك بمستقيم وما يفعله الا كل خبيث القلب سقيم وانما يعدّ فى الاكياس من صوّب خطأ الناس والتمس له وجها فى كلام العرب وفى لغتها الواسعة الأبعد منها والاقرب وأما طلب عوراتهم والتماس عثراتهم فليس ذلك فى حكم المروّة ولا يدل على حسن آداب الفتوّة وما أرى السبب فى ذلك والعلة الا ضيق الحوصلة أو الحسد والغيرة على ما آتى الله غيره فنهض بما أولاه مولاه من فضله وأقام هو على جهله أو لان المؤلف كان معاصره ومماشيه ومحاضره كما قال ابن شرف رحمه الله

أغرى الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم
ليس الا لأنهم حسدوا الحى ورقوا على العظام الرميم

الى غير ذلك من الابيات التى قالها الماضى ويقولها أيضا الآتى ولى أيضا فى هذا

المعنى قطعة ابتدأت بها كتابى كتاب التكميل وآخرها

ولكن حرمة الموتى تراعى * لهم والحى مهتضم طليح

فيعطى للقديم من السهام المعلى والحديث له المنيح

انظرها بكمالها فى التكميل المذكور وعلى ذلك فانى أحرج على من أراد أن ينتسخ كتابى هذا أن يجرده أو يسلخه أو يختصره فيمسخه لانى ألفته كما يقول الناس شحمة بفحمه وتمرة بجمره ولعلك ماتستحسنه غيرك يستحسنه وماتستقبحه غيرك يستملحه فدعه كما وقع على مابه من صحة أو فدع وخذ كله أو فدع اللهم الا من أراد أن يعلق منه نقفا فعنه الحرج قد انتفى لانى أعلم ان الطالب اذا رأى شيئا أعجبه لابد وأن يكتبه وبعد كتبه اياه يحفظه ويمدحه ويقرظه وقد بلغ بأحدهم الافراط فى مدح كلام سمعه من غيره فقال أكتبه فقال نعم اكتبه فى الاوراق فان مثله يكتب نقشا بالخناجر فى الاحداق فأول من يناله نفع هذا الكتاب ان شاء الله أنا وأرجو بذلك عند الله أجرا وهنا أتذكر به ماشرد وأتعلم به ماورد ويكون بابا من العلم قد أحرزته وجزءا منه قد حويته لانه ليس لك من العلم الا ماحفظته لا ماكتبته وأحسن من محفوظك ماسمع من ملفوظك لانه يقال العالم يكتب أحسن مايسمع ويحفظ أحسن مايكتب ويتكلم بأحسن مايحفظ وبضد هذا ماوصف به بعضهم رجلا فقال يغلط فى علمه من وجوه أربعة يسمع غير مايقال له ويحفظ غير مايسمع ويكتب غير مايحفظ ويحدث بغير مايكتب وقال أعرابى حرف فى تامور قلبك أحسن من عشرة فى كتبك والتامور علقة القلب وفى مثل هذا ينشد

اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع

أتحضر فى مجلس جامع * وعلمك فى الدار مستودع

وقال الخليل بن أحمد اجعل مافى كتبك رأس مال ومافى قلبك للنفقة وكنت أقرأ باشبيلية على رجل فاضل رحمه الله فيسألنى عن المسألة فربما أتوقف فيقول عجل بالجواب الرفقة سائرة فأقول مامعنى هذا فيقول ربما تسأل وأنت فى الطريق وقالوا العلم ماعبر معك الوادى وعمر بك النادى وكما يقال فى الكلام العلم ماتدخل به الحمام ولى فى هذا المعنى

لاتودعن علمك ياحاذق * فى صحف يسرقها السارق

بل صدرك اجعله وعاء له * مفتاحه مقولك الناطق
حينئذ ان قال عنك امرؤ * أنك تدرى فهو الصادق
بالله قل لى يافتى ان تسل * عن قصة صاحبها طارق
وقال عجل قل لنا شرحها * الركب عنى ذاهب زاهق
والعلم فى بيتك مستودع * فى كتب منظرها رائق
كيف ترى حالك هل فوق ذا * من خجل يرمقه الرامق
لآخر فى صدره علمه * وهو بما يحفظه واثق
ان سيل كان القول فى شدقه * لكل مايفتقه راتق
شتان مابينكما أنت فى العلم ضعيف وهو الفائق
فادرس ولا تغفل وكن حافظا * وربك اسأل فهو الرازق

مثل هذا الكلام عسى ان يقع فى قلب من له همه فيجعل العلم همه فيبعثه العلم على العمل وينشطه من الكسل فأكون ان شاء الله مصيبا ولى من عمله نصيبا ومع هذا فان ربى الوهاب الكريم وهب لى ولدا سميته عبد الرحيم وقلت فيه

أهلا بمولود أتى من بعدما * أخذ الزمان شبابنا فأبانه
لكن على كبرى وشيب مفارقى * الله يعلم ما كرهت مكانه
سميته عبد الرحيم تبركا * باسم الذى سنى لنا اتيانه
الله يهديه وايانا لما * نرجو به منه غدا رضوانه
وأنا سأنفعه وأحسن عونه * ما استطعت ان أرخى الزمان عنانه
وأنيله علمى وما اكتنبته * وأبيحه ماقد كتمت عيانه
وان المنية عجلت فخليفتى * ربى عليه فهو يصلح شانه
ذاك الذى أرجو وظنى به * فى أمره سبحانه سبحانه

والولد كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابنته فاطمة رضى الله عنها انما فاطمة بضعة منى يريبنى مارابها ويؤذينى ماأذاها وفى رواية أخرى يبسطنى مابسطها ويقبضنى ماقبضها معناه يسرنى ماسرها ويسوءنى ماساءها خرجه ثابت فى الدلائل وكذا فسره قال أهل اللغة يقال راب وأراب بمعنى وأفضل مانحل والد ولده أدب حسن وقد تقدم كما تقدم أيضا * والمرء يعجب بابنه وبشعره * وحب الولد شديد ونفعه وكيد كيف لا وولده انما هو كبده كما قال

وانما أولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الارض

وقال غدا بني وراح مثلي * يلبس ما قد خلعت عني

فسرني ما رأيت منه * وساءني ما رأيت مني

ولي في هذا المعنى

عندي بني رعاه ربي * ما زاد فيه مني ينقص

يقوى اذا ما ضعفت حتى * اذا مشينا أحبو ويقمص

ان قلت يا صاح كيف هذا * اقصص حديثي علي وانصص

نقل قضاء الاله هذا * فاطلع أو اهبط واقص أو ارقص

فسنة الله من يعمر * ينكس ونحو الاعقاب ينكص

والكلام في الاولاد واد ومن أملح ما أحفظ منه قول بعضهم وقد غاب عن ولده صغيرا أخبرت انه للحفيد بن زهر القرطبي رحمه الله

ولي واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلفت قلبي لديه

نأت عنه داري فيا وحشتي * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وأبكي عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الي ومني اليه

قال في هذا الشعر ولي واحد وأبو الولد الواحد أبدا كثير الشفقة زائد المقة ومن كلام الفرس من حرم الولد فقد حرم السرور ومن كان له ولد واحد فهو بمنزلة من لا ولد له وقال آخر

طربت الى الاصيبية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وقال آخر وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النأي يسلي من الصد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

وكثيرا ما كنت أنشد اذا اغتربت عن بلدي وخلفت به أهلي وولدي قول يزيد بن الطثرية قال ثعلب وهو راوية * الطثرة الخصب وكثرة الخير

بنفسي من لا يستقل بنفسه * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

فضع في يديه من تركت وديعة * فان لديه لا تضيع الودائع

فقلت أنا لا محالة في السبيل سائر والى ربي الجليل صائر ومن دخل في عشر

المعترك فماله من متروك وهذا صبي صغير وأنا شيخ كبير أخاف أن تفجأني المنيه قبل أن أبلغ في تأديبه الامنيه والمعترك معترك الحرب وهو موضع القتال حيث الطعن والضرب وفي الشهاب معترك أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقد كنت أدبت اخوته جهدي وعلمتهم ما عندي فقلت ان عاش هذا المولود وأنا مفقود ويكون من أهل الطلب ويتعلق منه بسبب يتعرف من هذا الكتاب صفتي وحيث انتهت معرفتي فمن عاين من السيف أثره فكأنه في يده أبصره ومن همده شهره فلعل ذلك يبعثه على التعلم والازدياد من التفهم ويكسبه نشاطا وبالعلم اغتباطا وعساه اذا علم انه من جمع أبيه ونظم فيه يحمله على حفظ ما فيه وقد سئلت أن أجيزه فيما أجمله مما أرويه وأحمله ففعلت ذلك وكتبت اجازته في شعر يطول ووضعته بكماله في غير هذا الكتاب والحمد لله مع ما كتبت به من الاجازات المنظومة لاشخاص معلومة حسبما طلب مني من استجازني بمنظوم نسبه اليه فأجزته عليه مع استجازاتي أشياخي رحمهم الله بالمنظوم والمنثور مع قطع من الشعر كقطع الزهور وأيضا

فكم دار بنيت وكم جدار * أقمت وكم بها سقفا سمكت
وكم بئر حفرت وكم غراس * غرست وكم فجاج قد سلكت
وكم بيدي كتبت وكم فؤادي * أمل وكم كسبت وكم ملكت
وها أنا سوف أترك جميعا * وهذا منه أحسن ما تركت
لعل الله ينفعني وغيري * به حيا وأيضا ان هلكت

رأيت في بعض الكتب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يموت ويترك ورقة من علم الا كانت له الورقة سترا من النار وأنت يا من له قد * أتعبت نفسي تعبا * حتى جمعت كلاما * غضا طريا ورطبا سبكته لك سبكا * سكبته لك سكبا * من كل الانواع فنا * فنا وضربا فضربا أعملت في ذاك كفا بالكتب والفكر قلبا * فحين أحكمت أمري * أودعت ذلك كتبا خذها هنيئا مريئا * كفيت نسخا وسغبا * وعند تحصيلها قل * أهلا وسهلا ورحبا ثم ارو ها بعدعني * وكن لذا العلم صلبا * فقد أجزتك فيما * أرويه شرقا وغربا وكل نظم ونثر * قيدته لك كتبا * فاعمل بكل جميل * منه تنل منه قربا وقل لربك وامدد * يديك رغبا ورهبا * يارب فارحم أبي انه تكفل صعبا

واغفر له كل ذنب * وهب له الفوز وهبا * والمسلمين فانا * للكل غيرك ربا

* (فصل) * وهذا الكتاب الفقه كما ذكرت لولدى أو لمن يكون كمثله من مبتدى فربما جمعت فيه من الكلام بين الغث والسمين والرخيص والثمين والجد والهزل والضعيف والجزل كما تقدم فيه القول من قبل وجلبت ما حضر من يابس وأخضر وعقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم بها يستدل على معرفتهم وأفهامهم وبتآليفهم وأوضاعهم يعرف الطول والقصر فى باعهم ويدرى اختلاف طباعهم فمنهم من كلامه مقفر موعر مقعد مبعد ومنهم من كلامه سهل هين سلس لين تستطيبه اذا تذوقته وتستحليه متى رمقته وربما تستعيده ونيتك تستفيده وليس ذلك فى النثر المخزون بل هو كذلك فى الشعر الموزون فمن السهل الممتنع القريب المرتفع الذى تطمع فيه وتظن انه منك يقرب فاذا هو عنك يهرب ما انشدنى بعض الادباء ونحن فى نيل مصر على ظهر الماء يصف واليا كان اسمه سليمان وله أخ اسمه على

قال لى يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
هات صفنى وعليا * أينا أسخى وأرفع
قلت انى ان أقل بينـ * ـكما بالحق تجزع
قال كلا قلت بل لا * قال عجل قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

أين هذا من قول الآخر

فما للنوى جد النوى قطع النوى * كذاك النوى قطاعة لوصال

ولما أنشده الاصمعى رحمه الله قال وددت ان الله تعالى سلط على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله ومثله فى الفتور ما قاله بعض متخلى الشعر فى زياد بن عمرو

زياد بن عمرو وعينه كزجاجة * وأسنانه بيض وقد طر شاربه

ومثله

ذكر الحبيب حبيبه * فبكى بكاء صالحا
وجرى الدموع بشاربيه * فذاق طعما مالحا

(فصل) وأنت تعرف بالذوق الاسفل والفوق كم بين هذا الذى تقدم وبين ما عليك يقدم قال بعض العلماء أربعة ما عرفوا ما خرج من أفواههم وهو أحسن ما قالت العرب قول العقيلى رحمه الله

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

وقول الآخر ألا عائذ بالله من عدم الغنى * ومن رغبة يوما الى غير مرغب

وقول الآخر

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وقول الآخر من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

ومن أحسن ما قيل فى انجاز الوعد قول عوف بن مجلز

ذكرت مواعيد الامير بن طاهر * ومثل العطايا فى الاكف عداته

وزكيت مالم أحوه من عطائه * وكنت كمن حلت عليه زكاته

وقيل فى التجربة مما يستحسن

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

فرب خدن وان أبدى بشاشته * يخفى على خدنه أعدى من الذيب

غيره وان مدحك من لم تبله صلف * وان ذمك بعد المدح تكذيب

وقال بعض العلماء اجتمعت الامم على تباينها واختلافها على بيتين وهما

تلفى بكل بلاد ان حللت بها * أرضا بأرض وجيرانا بجيران

والآخر من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وهذا البيت قد تقدم للحطيئة أنشد نيه الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب رضى الله عنه زمن الحداثة وقال لى أرأيت لو أنشدك أحد * من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * وقال لك أجزه ما كنت تقول له فلم أدر ما أقول فسألته فقال * جوازيه يا ابنة الهيثم * فى سؤالات سألنى عنها من هذا النوع على جهة التدريب ذكرتها فى غير هذا الموضع جزاه الله وايانا خيرا والبيت المتقدم الذى هو ذكر الحبيب حبيبه ذكره ابن السيد رحمه الله فى فصل وصف فيه الشعر أنه مؤسس على المحال مبنى على تزوير المقال ولاجل ذلك اذا سلك الشاعر المطبوع مسلك الزهد وخرج عن طريق الهزل الى طريق الجد غاض رونق قوله وماؤه ونقصت طلاوة شعره وبهاؤه كقول الشاعر ذكر الحبيب حبيبه البيت حتى اذا أفرط فى المحال وأغرق وقال ما لا يمكن أن يتوهم أو يتحقق عد من أهل الصناعة وشهد له بالتقدم فيها والبراعة كقول الآخر

ويا أخا الذود قد طال الظماء بها * لا تعرف الورد فى يداء مقفار

ردبا القلاص الى عينى ومحجرها * تروا القلاص بدمع واكف جار

وقول أبي الطيب * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى * انتهى كلامه قلت وهذا الذى قاله ابن السيد رحمه الله قد قاله قبله علماء جلة * روى ابن أخى الاصمعى عن عمه قال الشعر فكر يقوى فى الشر ويسهل واذا دخل فى الخير ضعف ولان هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره وقيل لحسان سقط شعرك أم هو من شعرك فى الاسلام يا أبا الحسام فقال للقائل يا ابن أخى ان الاسلام يحجز عن الكذب أو يمنع من الكذب وان الشعر يزينه الكذب يعنى ان شأن التجويد فى الشعر الافراط فى الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب كما تقدم والله الموفق

*(فصل) وأنا أقول لمن وجد فى هذا الكتاب لفظا مستعملا مبتذلا أو كلاما مقفرا موعرا انظر الى الفائدة لا غيره * وخذه لو كان على الغره

ولا تلم من ضمه الوزن أن * يجمع بين الجزع والدره

وقد علمت انى لا أسلم من منتقد يتعلق بطوقى معتقدا انه فى المعرفة فوقى على أنى لا أدعيها وانى مع سنى الآن أستدعيها وأقر بقصر الباع فى كل الانواع فمثل هذا المنتقد أقصد واياه أنشد

أنا المقر بجهلى * وأنت صاحب فضل * أخو ذكاء وعقل * وذو ذكاء ونبل

قل ما تريد فانى * جعلت فى الحل خلى * ولست فى ذاك بدعا * قد قيل فى الناس قبلى

لكن ترى سائر الها * ب باقيا دون قفل * التاء والتاء حتى * للياء سهل بن سهل

انزل عليه وألف * وضم شكلا لشكل * حتى ترى كيف تقفو * وكيف تسلك سبلى

أو كيف تعجز عنها * تقول ماذا الذ شغلى

وقد رأيت لبعض المصنفين وقد ذكر كتابه وانه لا يخلو من عائب فقال بعد كلام الناس كما قالوا أعداء لما جهلوا وأصدقاء لما ألفوا فليعلم العائب انه لم يذهب عنا موضع ما فطن له منا ولا غبنا عن ما شهد من تأليفنا ولا قصرنا عن معرفة ما استخرج علينا ومن كتب من ألف واحدا فقد وجد طلبه واقتنى فائدة فالربح له والخسران على من استخرجه له لا عليه انتهى كلامه * وفى أمثال الحكماء من ألف فقد استهدف وقد بين العتابى هذا المعنى فقال من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد استهدف للحسد والعيب وان أساء فقد تعرض للشتم واستقذف بكل لسان كذار أيته للمدح وأظنه للقدح لان الكلام الذى بعده يدل

عليه

عليه وقال الجاحظ لا يزال المرء فى فسحة من عقله مالم يصنع كتابا يعرض فيه على الناس مكنون فضله ويتصفح فيه ان أخطأ مبلغ عقله وصدق لانه يقال من امتحن قولا ظهر على عيبه ومن طلب عيبا وجده على انه لا يعيب العياب الا العياب ولا تجده أبدا الا وفيه أكثر مما يقذفه من فيه كما قال الاحنف وقد قال له رجل دلنى على رجل كثير العيوب فقال اطلب عيبا فانه يعيب الناس بفضل ما فيه وقال الشاعر * ويأخذ عيب المرء من عيب نفسه * مراد لعمرى ما أراد قريب * ولله در الذى يقول * ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه يعنى ان معايبه قليلة يأخذها العد وانه مما يتعين ويشتغل بذكره وانه محسود على ما هو عليه فيجعل له عيبا وحدثنى السلفى رحمه الله فيما رواه عن أبى نصر عن أحمد انه قال سمعت أبا بكر أحمد بن على بن ثابت الحافظ يقول من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس وأنا قد عولت على هذا فاسترحت وجعلت الناس منى فى حل فأرحت وقلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

لكن على شريطة من رأى خللا فلينبهنى عليه ان كنت حيا وان كنت ميتا فليصلحه ان كان من أهل العلم وذوى الفهم وقد كان الخطابى رحمه الله على جلالة قدره ومكانته من العلم يقول فى كتابه كل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله فى اصلاحه وأداء حق النصيحة فيه فان الانسان ضعيف لا يسلم من الخطأ الا ان يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله عز وجل ذلك ونرغب اليه فى درکه انه جواد وهاب * هذا كلامه فى كتابه فى شرح الحديث * وقال فى كتاب أبى عبيد رحمه الله بلغنى ان القاسم بن سلام مكث فى تصنيف كتابه أربعين سنة يسأل العلماء عما أودعه من تفسير الحديث والناس اذ ذاك متوافرون والروض أنف والحوض ملآن وروى عن أبى زيد انه قال لا يبيض الكتاب حتى يسود ولما رأيت هذا الكلام الذى هو الدر من هذا الامام الحر قلت

يا صاح قل واقصد بذا الخطاب * ليوسف الخطاب لا الخطابى

اذا يقول مثل ذا الخطابى * فأنت قل ما أليق الخطابى

أعزكم الله قد سمعتم مقالة هؤلاء الاعلام كالخطابى وابن سلام والعتابى والجاحظ وابن ثابت الحافظ وفى كل ما قالوا صدقوا والحق فيما به نطقوا وأنا أقول أيضا

وأصدق وأرتق ما أفتق أى بنى انه من حكى قول الناس فما عليه من باس وقد كنت أظن ان التأليف يصعب فاذا هو أسهل شئ وأقرب خذ كلام الناس من هنا وضعه هنا وقل مؤلفه أنا وفى ذلك أقول

ظننت اللغات غدت تصعب * على من بغاها ومن يطلب
اذا هى أسهل شئ وما * أراها اذا طلبت تهرب
وما هى الا كما قاله * ابن قزمان فى النحو اذ يطرب
وأى غريب به ثم الا * تقل ضارب ثم قل يضرب
كذلك مؤلفها اليوم ان * يرد جمعها أوله يذهب
تراه يهرول لا ينثنى * وأذيال له خلفه يسحب
الى كتب الناس يخلوبها * ويقعد ينسخ أو يكتب
فينقل منها الى كتبه * ويعد الى نفسه ينسب
يقول كتابى ألفته * ويلقى له اسمابه يعرب
وهل هو الا كلام الشيوخ الالى قبل أنفسهم أتعبوا
فهذا الخليل ويونس أو * أبو عمرو أو أحمد ثعلب
والاخفش وابن قريب وعمرو * وذا ابن دريد وذا قطرب
وان كنت خليت أصحابهم * فلكون ذلك كذا فاحسبوا
وقدمت قوما وأخرت قوما * من أجل القوافى فلا تعتبوا
فهم كالنجوم تضىء لنا * وموضعها شرق أو مغرب
وكلهم سيد عالم * وقل عامل فاضل طيب
هم أهل ذا الشان أربابه * هم صنفوا بوبوا رتبوا
ومن جاء من بعدهم انه الطفيلى حقا فلا تعجبوا
أيا ليت شعرى ماذا عسى * يقول مؤلفنا المطنب
أيلقى كلاما قد اغفله الأئمة أو من له مذهب
فيا ليته قال ألفته * من اقوالهم فهو الاصوب
وينمى المقال الى أهله * ولا يدّعيه ولا يغصب
كمثلى أنا قلت هذا كتاب * وليس بحق ولا أكذب
وهل لى فيه سوى كاغد * وغير مداد به أكتب

وترصيف قول الائمة فى * مواضع منه كما بوبوا
وان كان نظم فربما * ولكن من الغث قد يقرب
واياى أعنى بما قلته * ولم ألك غيرى بذا أجدب
بدأت بنفسى أوبخها * لكى تستريحوا ولا تتعبوا
ومن شاء منكم يقل فليقل * فانى أقول ولا أغضب
هنيئا مريئا لعزة ما اس * تحلته من عرض من تحجب
وأنت الهى فلا تنسنى * من الخير يا من له أرغب
تغمد عبدك والمسلمين * بعفو خطيئتنا يغلب
وصل على أحمد المصطفى * رسولك من داره يثرب

وسيأتى الكلام فى تسمية المدينة يثرب فى باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد تقدم ذكر الطفيلى وسيأتى ان شاء الله فى باب الباء وخذ الآن فائدة أيها الطالب النبيل والصاحب الجليل فى فضل الخليل لتنظره بعين التبجيل وتفضله على أبناء هذا الجيل فانه رجل جليل * ذكر ابن عائشة قال كان الخليل بن أحمد يغزو سنة ويحج سنة الى أن مات رضى الله عنه وبعث اليه سليمان بن على الهاشمى بطرف وكساء وفاكهة فقبل الفاكهة وردّ ما سوى ذلك وكتب اليه وكان سليمان استدعاه

أبلغ سليمان أنى عنه فى دعة * وفى غنى غير أنى لست ذا مال
سخى بنفسى أنى لا أرى أحدا * يموت هزلا ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه * ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

وفى رواية لما أتاه الرسول أخرج له خبزا يابسا وقال ما عندى غيره هذا ومادمت أجده فلا أحتاج الى سليمان ولا غيره قال فأبلغه عنك قال أبلغ سليمان الابيات انتهى وانما جرأنى على هذا الذى صنعت حتى وضعت فى هذا الكتاب ماوضعت انى كنت فى سن الحداثة وزمن الطلب أسمع الحكاية من الشيخ فتعجبنى فاكتبها عنه وأحفظها فلما صرت فى حد من يقرأ الكتب ويطالعها كنت أرى تلك الحكاية فى الكتاب فأقول من هاهنا أخذها ثم أجدها بعينها فى كتاب آخر وفى آخر فقلت اذا كان العلماء النظار والمصنفون الكبار يفعلون هذا فأنا بهم أيضا

أقتدى بل أنا أحق لانى مبتدى فحملنى ذلك على أن تشجعت فجمعت وفعلت أفعالى التى فعلت وجعلت فى كتابى من كلام الناس ماجعلت وأنت فما عليك قد ساقه الله اليك فدعها كما وقعت وخذ الفائده مهما نفعت وتلق الحكمة ولو من غير حكيم واغتنم العلم ولو من غير حليم فقد جاء فى الشهاب الحكمة ضالة المؤمن وأخبرنى من أثق به انه قال فى كتاب البزار يطلبها حيث وجدها ولو فى أيدى الشرط وفى الحديث رب حامل فقه الى من هو أفقه منه ومع هذا فأنا المعترف انه ليس لى من هذا التصنيف سوى التأليف ولا من العلوم المستودعة فيه سوى الترتيب والتبويب اللهم الا ماكان من فقره ساقتها فكره أو نظم جلبه فهم أو عكس وقلب سمح بهما القلب أو كلام جعلته لغيرى سلما ولربما ولعلما على أنى أنبه عليه ولا أستره بل أقول قبله قلت ثم أذكره وها أنا أقول وبأشياخى أصول

ماكان من نظم ومن نثر به * فهما اللذان حويتهما أثراكى
وسواه للعلماء ساداتى أجل * أقول عنهم أنهم أشراكى
بل قادتى بهم أعز وأهتدى * وأذل أهل الشك والاشراك

وقد أكثرت من القول حتى آلت الفريضة الى العول وقد آن أن ابتدئ بعون الله ذى الطول ومن بيده القوة والحول وأقدم هنا بابا فى حروف المعجم كلها وشرفها وفضلها وفى الكتابة وكيف تعلمها الصحابة (قلت) وللخط فضل وشرف ومنفعة لا تجهل بل تعرف به تقيد العلوم وتثبت وتزرع فى الصدور فتنبت ألم تسمع ربك الاكرم حيث يقول فى الكتاب المحكم علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقال عليه الصلاة والسلام قيدوا العلم بالكتابة وخرج ابن شاهين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله انى لا أحفظ شيئا فقال استعن بيمينك على حفظك يعنى الكتب ولما عدمت العرب الكتابة فى الجاهلية وكانت أمة أمية جعل لها الشعر العوض فأدركت به الغرض أقامته مقامها فدونت به كلامها وعرفت به أيامها كما يروى الشعر ديوان العرب وفضل الكتابة كبير والكلام فيها وفى مدحها كثير * ومن أمدح ماقيل فى كاتب

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنسالك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وهذا البيت من الشعر النفيس وفيه ضرب من التجنيس ويكفى صاحب

الخط مدحا ماقاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه من خط وخاط وفرس وعام فذاكم الغلام على ان من كان خطه حسنا واستعمله فى النسخ ضيع كثيرا من العلم كما حدثنى الحافظ فيما قرأت عليه بالاسكندرية قال سمعت أبا طاهر محمد بن عمر بالكرخ يقول سمعت أبا الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا مسلم محمد بن أحمد بن على الكاتب البغدادى يقول سمعت أبا بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقرى يقول سمعت أبا العباس ثعلبا يقول اذا أردت أن تكون أعلم الناس فاكسر القلم وحدثنى الحافظ أيضا رحمه الله قال سمعت أبا القاسم بن أبى يعقوب الحافظ يقول سمعت أبا الحسن الفقيه الشيرازى ببغداد يقول سمعت فناخسرو يعنى عضد الدولة بن بويه يقول لطالب العلم ينبغى أن يكون خطه رديئا حتى لا يشتغل بالكتب انما يشتغل بالدرس والسهر وحدثنى الحافظ أيضا قال سمعت أبا الرجا بندار بن محمد بن جعفر الخلقانى بأصبهان يقول سمعت أبا بكر أحمد ابن جعفر الحافظ المعروف بالفقيه يقول ينبغى لطالب الحديث أن يكون سريع القراءة والكتابة سريع المشى (رجع) * تقدم ذكر حروف المعجم وسميت حروف المعجم لانها منقطة أعجمية أى انها لا تفهم حتى يضاف بعضها الى بعض وتعجم أى تنقط والنقط عندهم الشكل وقد يقال لهذا النقط المعروف عندنا والشكل الضبط والحركات وأصله التقييد تقول شكلت الكتاب شكلا أى قيدته وضبطته وشكلت الدابة شكالا وشكلت الطائر شكولا والشكل الضرب المتشابه ومنه قول الله عز وجل وآخر من شكله أزواج أى من ضربه ومنه قول الرجل ما أنت من شكلى أى من ضربى والشكل المثل والشكل بالكسر الدل يقال امرأة ذات شكل والشكلة بالضم كهيئة الحمرة تكون فى بياض العين كالشهلة فى سوادها وعين شكلاء بينة الشكل وفى صفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكل العين جاء فى تفسيره طويل شق العين خرجه الترمذى وتقول أشكل الامر اذا اشتبه عليك والقوم أشكال أى أشباه قاله أبو عمرو رحمه الله قال ثابت رحمه الله فى الدلائل يقال كتاب معجم وتعجيمه تنقيطه لكيما تستبين عجمته قال الشاعر

معنى المعجم

لمن الديار بعاقل فالانعم * كالوحى فى رق الزبور المعجم

وقد قال أبو زيد القيسونى يقولون هم الاعجم ولم يعرفوا المعجم وقال الراجز

سلوم لو أصبحت وسط الاعجم * فى الروم او فارس أو فى الديلم

اذا الزنا ك ولو بسلم

وأنكر على أبي محمد عبد الله بن قتيبة قوله لا يجوز ان يقال أعجمي الا لمن تنسبه الى عجمة اللسان وان كان عربي النسب قال وقول ابي زيد أولى أن يكون محفوظا وقال الخطابي رحمه الله يقال رجل أعجم اذا كان في لسانه عجمة وان كان من العرب و رجل أعجمي وعجمي اذا كان أصله من العجم وان كان فصيح اللسان قال الفراء ويقال رجل اعرابي اذا نسب الى أنه من اعراب البادية وعربي اذا نسبته الى أنه من العرب فان كان يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت عربانى خرج هذا من حديث عبد الله ما كانتعاجم أن ملكا ينطق على لسان عمر رضى الله عنه وفسره قال قوله نتعاجم أي نتكلف ونوري وكل من كنى عن شئ وأخفى بيانه ولم يفصح به فقد أعجمه قال ذو الرمة

أحب المكان القفر من أجل أنني * به أتغنى باسمها غير معجم

وانما قيل للبهيمة عجماء لانه لا بيان لصوتها * وأنشد شاهدا على ان الرجل اذا كان في لسانه عجمة يقال له أعجم قول الشاعر

ومازال كتمانيك حتى كأنني * برجع جواب السائلي عنك أعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمي * سلمت وهل حي من الناس يسلم

وقال أبو عمر والمقرى رحمه الله في كتابه المحكم وتقول أعجمت الكتاب اعجاما اذا نقطته وهو معجم وانا معجم وكتاب معجم ومعجم أي منقوط وحروف المعجم هي المقطعة من الهجاء وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما انها مبينة للكلام مأخوذ من قولك أعجمت الشئ اذا بينته والثاني ان الكلام يختبر بها مأخوذ من قولك عجمت العود وغيره اذا اختبرته انتهى ومن هذا قول الحجاج ان أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها ذكره محمد بن يزيد في الكامل وفسر عجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب قال والمصدر العجم ويقال لنوى كل شئ عجم مفتوحا ومن أسكن فقد أخطأ قال صاحب كتاب تاج اللغة العجم النقط بالسواد مثل التاء عليها نقطتان يقال أعجمت الحروف والتعجيم مثله ولا تقول عجمت ومنه حروف المعجم ومعناه حروف الخط المعجم كما تقول مسجد الجامع وصلاة الاولى أي مسجد القوم الجامع وصلاة الساعة الاولى قال وناس يجعلون المعجم بمعنى الاعجام مصدرا مثل المخرج والمدخل أي من شأن هذه الحروف أن تعجم وأعجمت الكتاب خلاف قولك أعربته

قال رؤبة الشعر لا يستطيعه من يظلمه * يريد أن يعربه فيعجمه

أي يأتي به أعجميا يعني يلحن فيه قال والعجم بالضم خلاف العرب والابل العجم التي تعجم العضاه والشوك فتجترئ به عن الحمض

(باب معرفة الحروف المقطعة أوائل السور)

وذلك ان الله تعالى أقسم ببعضها في كتابه الكريم في أوائل بعض السور مقطعة وموصولة ومجمعة ومفصولة كما ترى أقسم بالتين والزيتون والعاديات والعصر وغير ذلك قال ابن عزيز (الم) وسائر حروف الهجاء في أوائل السور وكان بعض المفسرين يجعلها أسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به وكان بعضهم يجعلها أقساما أقسم الله بها لشرفها وفضلها ولانها مبادئ كتبه المنزلة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا وبعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى كقول ابن عباس رضي الله عنهما في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وروى عنه أيضا ان معنى كهيعص كبير هاد عزيز صادق ذكر هذا المهدوي وقال هذا مذهب مستعمل في لغة العرب ومثله قوله

نادوهم ألا الجموا ألاتا * قالوا جميعا كلهم ألافا

يريد ألا تركبوا وفاركبوا وقال طرفة بن العبد في كلام له ويل لتا وأشار الى رقبته مما يجني ذا وأشار الى لسانه وسيأتي مع قوله يقال تي وتا بمعنى ذه * ومثله قوله

قلت لها قفي فقالت قاف * لا تحسبي أنا نسينا الايجاف

فاكتفى بقولها قاف من وقفت ذكره أبو بكر النقاش رحمه الله ويروى عن سعيد ابن جبير أن كهيعص كاف هاد عزيز صادق * وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه في الم الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم وعنه ان الروحمون فواتح ثلاث سور اذا جمعت كانت الرحمن وقيل في الرا انا الله أرى وفي ألم انا الله أعلم وفي المص انا الله أفصل * وقيل أقسم بحروف المعجم كلها واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل تعلمت ابت ث وهو لا يريد هذه الاربعة انما يريد جميعها وكما يقول أحفظ من شعر امرئ القيس قفا نبك * وهو يريد القصيدة بكمالها وكما يقول قرأت الحمد لله وهو يريد السورة كلها وقد سأل أحمد بن يحيى ثعلب رحمه الله عن قسم الله تعالى بهذه الاسماء فقال

رأيت الرؤساء من العلماء رضى الله عنهم يقولون معناه وخلق الذى لا يقدر أحد أن يخلق مثله لقد كان كذا وكذا يريد والله أعلم قسمه بمثل ق يريد الجبل ونون يعنى الدواة وشبه ذلك من مخلوقاته على مذهب من فسر ذلك بهذه فاذا جاء القسم بعد الحروف نحو قوله تعالى والتين والزيتون والسماء والطارق فقد قيل ان ذلك على حذف واضمار تقديره ورب التين والزيتون ورب السماء والطارق كما قال تعالى فى موضع آخر فورب السماء والارض انه لحق وقيل انما أراد بذكر هذه الاشياء التنبيه على قدر عظمها عنده وله سبحانه أن يعظم ما شاء من مخلوقاته ويفعل ما يشاء سبحانه وقد يجوز أن يريد أن يتعبدنا بتعظيم هذه الاشياء فلذلك خصها بالذكر وأقسم بها والله أعلم بكتابه * ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه هى أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذى اذا دعى به أجاب وقال داود بن أبى هند سألت الشعبى رحمه الله عن فواتح السور فقال يا داود لكل كتاب سر وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما بدا لك وقال الربيع ابن أنس الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقال بعض المفسرين افتتح الله هذه السور بهذه الحروف وهى عربية كلها ليس فيها حرف من حروف المعجم ليسطل به ما زعم الكفار من ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعلم من يهود ونصارى كما قال تعالى حكاية عنهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين والله أعلم بما أراد من ذلك كله وقد قال ابن سلام فى تفسيره سمعت بعض من أقتدى به من مشايخنا يقول ان الامساك عن تفسيرها أولى وقال شيخى الفقيه الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن الحسن الخشمى ثم السهيلى ويكنى أبا القاسم رحمه الله فى شرح السيرة ولهذه الحروف التى فى أوائل هذه السور معان جمة وفوائد لطيفة وما كان الله لينزل فى الكتاب مما لا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه وذوى الالباب من صحبه بما لا يفهمون وقد أنزله بيانا وشفاء لما فى الصدور وفى تخصيصه هذه الحروف بأوائل بعض السور دون بعض وكونها أربعة عشر حرفا حكم لمن تدبرها وقد جمعها فى كلام ستراه بعد ان شاء الله تعالى وروى عن كعب الاحبار انه قال أول من كتب العربى والسريانى وسائر الكتب آدم عليه الصلاة والسلام قبل موته بثلثمائة سنة كتبها فى طين ثم طبخه فلما أغرق الله الارض أيام نوح عليه السلام بقى ذلك فأصاب

كل قوم كتابهم و بقى الكتاب العربى الى أن خص الله تعالى به اسماعيل عليه السلام فأصابه وتعلمه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أول من تعلم الكتاب العربى اسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه وروى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير انهما قالا أول من وضع الكتاب العربى قوم من الاوائل نزلوا فى عدنان بن أدد بن أدد أسماؤهم أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الكتاب العربى على أسمائهم ووجدوا أحرفا ليست من أسمائهم وهى الخاء والثاء والذال والغين والشين والظاء فسموها الروادف يريد تخذ ظغش والله أعلم لم يذكره فى الخبر أنا قلته وقد روى انهم كانوا ملوك مدين وان رئيسهم كلمن وانهم هلكوا يوم الظلة وهم قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلمن ترثيه

كلمون هدركنى * هلكه وسط المحله * سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

وقال رجل من أهل مدين يرثيهم

ملوك بنى حطى وهوز منهم * وسعفاص من أهل المكارم والفخر

وقال آخر من أهل مدين يرثيهم

ألا ياشعيب قد نطقت مقالة * سبقت بها عمرا وحى بنى عمرو
ملوك بنى حطى وهوز منهم * وسعفص أهل فى المكارم والفخر
هم صبحوا أهل الحجاز بغارة * كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر

ويذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتى اعرابيا فقال له هل تحسن أن تقرأ شيئا من القرآن قال نعم قال له فاقرأ أم القرآن فقال والله ما أحسن البنات فكيف الام قال فضربه ثم أسلمه الى الكتاب فمكث فيه حينا فهرب ثم انشأ يقول

أتيت مهاجرين فعلموني * ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله فى رق صحيح * وآيات القران مفصلات
وخطوا لى أباجاد وقالوا * تعلم سعفصا وقريشيات
وما أن ناوا الكتابة والتهجى * وماحظ البنين من البنات

(فصل) ويكره لمعلم القرآن أن يعلم الصبيان هذه الاسماء خشية أن يعدوها من القرآن قال سحنون أكره للمعلم أن يعلم أباجاد قال وأرى أن يتقدم الى المعلمين فى ذلك * وقد سمعت جعفر بن غياث يحدث ان أباجاد أسماء الشياطين

ألقوها على ألسنة العرب فى الجاهلية فكتبوها قال محمد وسمعت بعض أهل العلم يقول انها اسماء ولد سابور الملك ملك فارس أمر العرب الذين كانوا فى طاعته أن يكتبوها فلا أرى لاحد أن يكتبها فان ذلك حرام وقد أخبرنى سحنون عن سعيد عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قوم ينظرون فى النجوم يكتبون أباجاد أولئك لا خلاق لهم ذكر هذا أبو الحسن على بن محمد القابسى فى كتاب التفضلة فى تأديب المتعلمين *(قلت) ومع هذا فان الناس لم يتركوها ولعلهم لم يبلغهم هذا أو قصدوا المنفعة فيها لحصرها جميع حروف المعجم والله أعلم وسهل ذلك عليهم أيضا ما خرجه أبو عمرو المقرى فى كتاب المحكم له بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لكل شئ تفسير علمه من علمه وجهله من جهله ثم فسر أباجاد أبى آدم الطاعة وجد فى أكل الشجرة وهوّاز زل فهوى من السماء الى الارض وحطى حطت خطايا ه كلمن أكل من الشجرة ومن عليه بالتوبة سعفص عصى فأخرج من النعيم الى النكد قرشت أقر بالذنب فأمن العقوبة ووقع أيضا فى كتاب المبدأ ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لما بلغ تسع سنين أسلمته امه الى الكتاب عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يسأله عن شئ الا بدره عيسى الى علمه قبل أن يعلمه اياه فعلمه أباجاد فقال عيسى عليه السلام وما أبوجاد قال المعلم لا أدرى فقال عيسى كيف تعلم ما لا تدرى ما هو فقال المعلم فعلمنى اذا فقال له عيسى عليه السلام قم من مجلسك فقام فجلس عيسى مجلسه وقال سلنى فقال المعلم ما أبوجاد فقال عيسى الالف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله وبهجته والدال دين الله فعجب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أباجاد عيسى بن مريم عليه السلام *قال وسأل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تفسير أبى جاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا تفسير أبى جاد فان فيه الاعاجيب قيل يا رسول الله وما أبوجاد قال الالف آلاء الله حرف من أسمائه وأما الباء فبهجة الله وجماله وجلاله وأما الجيم فجنة الله وأما الدال فدين الله وأما هوّز فالهاء الهاوية وفسر جميع الحروف كذلك الى آخر قرشت فى نوع ما تقدم فهذا ما جاء فيه والله أعلم

*(فصل) *وأما ابن اسحاق فذكر فى السير ان ادريس عليه الصلاة والسلام كان أول نبى أعطى النبوة والخط بالقلم ذكره بغير اسناد وذكر فى كتابه الكبير عن

شهر بن حوشب عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أوّل من كتب بالقلم ادريس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أوّل من كتب بالعربية اسماعيل عليه السلام قال أبو عمرو وهذه الرواية أصح من رواية من روى أوّل من تكلم بالعربية اسماعيل والخلاف كثير في أوّل من تكلم بالعربية وفي أوّل من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز فقيل حرب بن أمية وقيل سفيان بن أمية وقيل عبد الدار بن قصي تعلمه بالحيرة وتعلمه أهل الحيرة من الانبار ويروى عن زياد بن أنعم قال قلت لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما معاشر قريش هل كنتم في الجاهلية تكتبون غير الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاء بالالف واللام والميم والشكل والنقط وبما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قلت فمن علمكم الكتاب قال حرب بن أمية قلت فمن أين تعلمه قال من أهل الانبار قلت فمن علم أهل الانبار قال طارئ طرأ عليهم من أرض اليمن من كندة قلت فمن علم ذلك الطارئ قال الخلجان بن الموهم فانه كان كاتب هود نبي الله بالوحي عن الله عز وجل ذكر هذا الكلام أبو عمرو في المحكم ويروى أنه سألوا المهاجرين من أين تعلموا الكتابة فقالوا من أهل الحيرة قيل وأهل الحيرة من أين تعلموها فقالوا من أهل الانبار فكان أهل مكة يحسنون الكتابة بمكة وكان أهل المدينة لا يحسنونها فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت وقعة بدر وأسر فيها من أسر من أهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل بدر ان بكم عيلة فلا يفلت منهم يعني الاسارى أحد الا بفداء أو ضربة عنق وكان فداؤهم أربعين أوقية عن كل انسان الا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فان فداءه كان مائة أوقية فكان من لا مال له من الاسارى يقبل منه أن يعلم عشرة من غلمان أهل المدينة الكتابة ويخلى سبيله فيومئذ تعلم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من الانصار ومعنى كتبت الكتاب أي جمعت حروفه وقيل كتيبة لاجتماعها قاله ابن قتيبة

(فصل) ومما جاء في الخط قال بعض العلماء كتاب الامم على نوعين أحدهما أن يبتدئ الكاتب خطه من يمينه الى يساره وهي العربية والسريانية والعبرانية والنوع الآخر ابتداء الخط من يسار الكاتب الى يمينه وهي الرومية واليونانية وكتابة الفرس واحتجوا في ذلك بانهم ابتدؤها على اليسار ليكون الاستمداد عن حركة القلب

لا عليه قال واحسن الكتابة الصينية وذلك انها نقش وصورة وانما يكتب الكاتب منها في اليوم ثلاث ورقات ورأيت في بعض الكتب ان عادا كانت كتابتها نقشا في الصخر واستشهد على ذلك بقول يزيد بن المخرم

اذا قلدتهن بنى خزيم * بقين لهم بقاء سطور عاد

يريد قوافي شعره يعني ان عادا كانت كتابتها نقشا في الصخر فهي لا تندرس وقال كعب بن زهير لمزرد بن ضرار

أنا ابن الذى لم يخزنى فى حياته * ولم أخزه حتى تغيب فى الرجم

اتى العجم والآفاق منه قصائد * بقين بقاء الوحى فى الحجر الاصم

وفى آخرها أقول شبيهات بما قال عالما * بحسن ومن يشبه أباه فما ظلم

فأشبهته من بين من وطئ الحصى * ولم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم

ومما قيل فى الخط القلم أحد اللسانين كما قيل قلة العيال أحد اليسارين قيل لنصر بن يسار فلان لا يخط قال تلك الزمانة الخفية قال ابن التوأم خط القلم يقول بكل مكان وفى كل زمان ويترجم الى كل انسان ولفظ الانسان لا يجاوز الآذان ولا يعم الناس بالبيان وقيل الخط لسان اليد وهو أفضل أجزاء اليد وقال اسماعيل عقول الرجال تحت أسنان أقلامها وقال عبيد الله بن العباس بن الحسن العلوى الخط لسان اليد وصدق * وقال بعض العلماء من حلف أن لا يكلم أحدا فكتب اليه أو كتب بطلاق امرأته بيده ولم يتكلم بلسانه فانه حانث وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكم به تفصل شذورها وينظم منثورها وقيل صنعة الخط حلى العقول وقال بشر ابن المعتمر القلب معدن والعقل جوهر واللسان مستنبط والقلم صائغ والخط صيغة وقال مسلمة بن الوليد الخط هو المقيد للباقين حكم الماضين والمخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة فى معان معقودة بحروف معلومة من ألف ولام وميم وتاء متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكر ونتاجها التأليف تخرس مفردة وتنطق مزدوجة بلا أصوات مسموعة ولا ألسن مشهورة (قلت) انظر هذا الكلام ما أسمنه وأحسنه وأكمله وأتقنه انما أراد به والله أعلم تمام الخبر وكمال الفائدة لان الحرف الواحد لا يفيد على انفراده حتى يزدوج بغيره وحينئذ يكون كلاما مفيدا وقد يكون للبعض منه معنى مفيد أيضا على ماسيأتى بعد ان شاء الله * (فصل) * وقد سقت هذا الخبر شاهدا على الخط والكتاب وتطرقت منه الى

تحصيل هذه الفوائد فى هذا الكتاب وكذا أفعل بكل خبر أو حديث عجيب أطرق اليه بأدنى سبب حتى أقيده بالكتابة فى هذا الامام ثم أرجع الى بقية الكلام

بالله قل لى يافتى انى * أسألك الآن برد الجواب
لولم أسق ذاك ولا غيره * بأى شئ كنت أملى الكتاب
آخذ من ذاك وألقى هنا * حتى يرى السفر كتخت الثياب
ولست فى أخذى له غاصبا * لكنه عارية للثواب
وان يكن ذاك أتب عاجلا * فالله غفار لمن بعد تاب

بقى من حديث الاسارى بقيه أذكرها الآن بغير تقيه وأطول بقدر مقدرتى اذ قد قدمت معذرتى تقدم ان العباس رضى الله عنه كان فداؤه مائة أوقية قال الاستاذ رحمه الله قد آتاه الله خيرا مما أخذ منه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مال من البحرين فقال له خذ فبسط ثوبه وأخذ مالم يقدر على حمله حتى خفف منه فى حديث طويل وصدق الله تعالى لانه يقول سبحانه يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وفى هذه الآية الشريفة بشرى عظيمة للعباس رضى الله عنه اذ أخذ أكثر مما أعطى وغفر له فيه ما أخطأ وكان الذى أسر العباس أبو اليسر واسمه كعب بن عمرو وكان قصيرا دميما وكان العباس رضى الله عنه عظيم الخلق طويل القامة من مقبلى الظعن يعنى انه كان يدرك فم الظعينة وهى راكبة على البعير وهو على قدميه فى الارض وفى مسند البزار قيل للعباس رضى الله عنه كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته فقال ماهو الا أن لقيته فظهر فى عينى كأنه خندمة والخندمة جبل بمكة وذكر أبو عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد أعانك عليه ملك كريم ولما فدى العباس نفسه وابن أخيه عقيل بن أبى طالب قال لرسول الله لقد تركتنى أتكفف قريشا فقيرا معدما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الذهب التى تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا وقلت لها كيت وكيت فقال من أعلمك بهذا يا ابن أخى فقال الله فقال هذا حديث ما اطلع عليه الا عالم السرائر أشهد أنك رسول الله وأم الفضل هذه رضى الله عنها هى لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد ولدت أم الفضل للعباس سبعة نجباء عبد الله بن عباس صاحب

التفسير الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وعسى أن يأتى له موضع فى الكتاب أزين بذكره أوراقى واضرب فى ميدان فخره أرواقى واخوته الستة عبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وكثير واختلف فى كثير فقيل ان أمه رومية وأختهم أم حبيب وفى أم الفضل يقول الشاعر

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعرفه أوسهل
كسبعة من بطن أم الفضل * أكرم بهامن كهلة وكهل
عم النبى المصطفى ذى الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وكان له أيضا سوى هؤلاء ثلاثة من غير أم الفضل عون والحرث وتمام وكان أصغرهم تمام وهؤلاء لأم ولد رومية تسمى سبا ويقال شقيقهم كثير المتقدم الذكر وكان العباس يحمل تماما هذا ويقول

تموا بتمام فصاروا عشره * يارب فاجعلهم كراما بررة
واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره

قلت أجاب الله دعاء العباس رضى الله عنه وعن بنيه الاكياس كانوا كما أراد أبوهم واشتهى كلهم له رواية ونهى ومع ذلك فيقال مارؤيت قبور أشد تباعدا بعضها من بعض من قبور بنى العباس بن عبد المطلب ولدتهم أمهم أم الفضل فى دار واحدة واستشهد الفضل بأجنادين ومات معبد وعبد الرحمن بافريقية وتوفى عبد الله بالطائف وعبيد الله باليمن وقثم بسمرقند وكثير وأمه سبا المذكورة أخذته الذبحة بينبع رضى الله عنهم أجمعين * تقدم أن العباس رضى الله عنه كان من مقبلى الظعن خرج محمد بن يزيد رحمه الله فى الكامل أن العباس كان الى منكب عبد المطلب وكان عبد الله بن عباس الى منكب العباس وكان على بن عبد الله الى منكب أبيه عبد الله وطاف على هذا بالبيت وهنالك عجوز قديمة وعلى قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذى فرع الناس فقيل هو على بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس وهو يطوف بالبيت كانه فسطاط أبيض وكان ابن عفير يقول أدرك الاسلام من العرب عشرة نفر طول كل واحد منهم عشرة أشبار عبادة بن الصامت منهم رضى الله عنهم وكان طول جبلة ابن الايهم اثنى عشر شبرا وكان يمسح الارض برجليه وهو راكب وسيأتى خبره وكيف أسلم ثم ارتد ومات نصرانيا فى باب الكاف فانظره هنالك ان شاء الله تعالى

أولاد أبي طالب

وكان منهم أيضا عقيل المذكور تأخر اسلامه الى يوم الحديبية قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما أعلم من حب عمي اياك وكان لابيه أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الولد طالب وعقيل وجعفر وعلى كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بمثل ذلك وجعفر أسن من علي بمثل ذلك أما الثلاثة فلا خفاء باسلامهم وأما طالب فلا يعلم له اسلام يقال ان الجن اختطفته فذهب وعقيل هذا هو المذكور في الموطأ كنت أرى طنفسة لعقيل بن أبي طالب تطرح الى جدار المسجد الغربي وفسرت الطنفسة انها مقعد يجلس عليه ويقال فيها طنفسة بفتح الفاء وكسرها وجمعها طنافس ومثله قول أبي الدرداء رضي الله عنه لا أبالي ان أصلي على ست طنافس بعضها فوق بعض وكان في الاسارى أيضا نوفل بن الحارث بن عبد المطلب تأخر اسلامه الى عام الخندق وقيل بل أسلم حين أسر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك فقال ليس عندي مال أفتدي به فقال افد نفسك بأرماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد ان لي بجدة أرماحا غير الله أشهد انك رسول الله ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعانه عند الخروج اليها بثلاثة آلاف رمح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين توفي نوفل هذا بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان في الاسارى أيضا أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه لقيط وقيل هاشم وقيل هشيم امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها وفيها يقول اذ كان بالشام تاجرا

ذكرت زينب لما يممت اضما * وقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الامين جزاه الله صالحة * وكل بعل سيثنى بالذي علما

يريد بقوله يممت راحلته والله أعلم وكان الذي أسره عبد الله بن جبير فجاء أخوه عمرو بن الربيع في فدائه بمال فيه قلادة لزينب كانت أمها خديجة رضي الله عنها قد أدخلتها بها على أبي العاص فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لاصحابه ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا الذي لها فافعلوا فقالوا نعم وهاجرت زينب

مسلمة من مكة الى المدينة وتركته بمكة على شركه فلم يزل كذلك حتى كان قبل الفتح خرج بتجارة الى الشام ومعه أموال من أموال قريش من المشركين فلما انصرف لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم زيد بن حارثة فأخذوا ما فى تلك العير وأسروا ناسا وأفلت أبو العاص ثم أقبل من الليل حتى دخل على زينب فاستجار بها فأجارته فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح وكبر وكبر الناس معه صرخت زينب أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذى نفسى بيده ما علمت بشئ كان حتى سمعت ما سمعتم انه يجير على المسلمين أدناهم ثم انصرف فدخل على ابنته فقال أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له فقالت انه جاء فى طلب ماله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث فى تلك السرية فاجتمعوا اليه فقال لهم ان هذا الرجل منا بحيث علمتم وقد أصبتم له مالا وهو فىء أفاءه الله عليكم وأنا أحب أن تحسنوا فتردوا اليه الذى له وان أبيتم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله ما فقد منه شيئا فاحتمله الى مكة فأدى الى كل ذى مال من قريش ماله الذى كان أبضع معه ثم قال يا معشر قريش هل بقى لاحد منكم مال لم يأخذه قالوا جزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام الا تخوف أن تظنوا انى آكل أموالكم ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما وحسن اسلامه ورد عليه ابنته زينب رضى الله عنهما ولدت زينب لابى العاص هذا امامة وعليا وهذه امامة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس صلاة الفريضة وهو حاملها ذكر ذلك البخارى رحمه الله تزوج امامة هذه على بن أبى طالب بعد موت فاطمة رضى الله عنها وكانت أمرته بذلك وماتت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقيل ثلاثة وقيل بسبعين يوما والله أعلم وما رؤيت ضاحكة بعده صلى الله عليه وسلم الا يوما افترا رابطرف نابها وكان سنها يوم ماتت ثلاثين سنة وكان سنها يوم تزوجها على رضى الله عنه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وسن على احدى وعشرين سنة ونصفا وكانت أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اذا دخلت عليه قام اليها فقبلها ورحب بها كما كانت هى تصنع به صلى الله عليه وسلم ولما حانت وفاتها

أمرت أسماء بنت عميس أن لا يدخل عليها أحد وان تغسلها هي وعلي فكان كذلك وقيل انها غسلت نفسها قبل موتها وقالت قد غسلت نفسي فلا أغسل وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى ولما توفي علي عن أمامة تزوجها بعده ابن عمه المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب يروى ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لامامة هذه اني لا آمن أن يخطبك معاوية بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها كتب معاوية الى مروان بن الحكم يأمره أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا قد أرسل يخطبني فان كان لك بنا حاجة فأقبل فأقبل وخطبها الى الحسن بن علي فزوجها منه رضي الله عنهم وهو مراهق الحلم وكان يوم الفتح رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت زينب قبل الفتح بعام وأسلم أبو العاص وحسن اسلامه في خبر طويل ذكره ابن اسحاق وغيره وكانت قريش قد أرادته على أن يطلق زينب فأبى وأتى خيرا وأرادت عتبة وعتيبة ابني أبي لهب على طلاق رقية وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلا هوانا بهما أعني الرجلين وكرامة لهما أعني المرأتين ولبعلهما عثمان بن عفان رضي الله عنهم تزوج الواحدة بعد الاخرى كانت الاولى رقية تزوجها بمكة وكانت أكبر بناته فهاجر بها الى أرض الحبشة فقال صلى الله عليه وسلم انهما الاول من هاجر الى الله بعد ابراهيم ولوط ثم هاجر الى المدينة فله هجرتان ثم تزوج أم كلثوم بعد موت رقية رضي الله عنهما وكان له من رقية ولد اسمه عبد الله ذكروا انه بلغ ست سنين فنقره ديك على عينه فرض فمات وجاء في الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لو أن لي ثالثة لزوجتها اياه فمن أجل جمعه بين رقية وأم كلثوم الواحدة بعد الاخرى كان يقال له ذو النورين وكانت رقية كما تقدم أكبر بناته وبعدها زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة رضي الله عنهن وصلى على أبيهن وأمهن واحذر أن تسب عتبة فانه أسلم مع أخ لهما ثالث اسمه معتب يوم فتح مكة وبها أقاما حتى ماتا ولهما بها عقب ومن ولد عتبة بها الفضل بن العباس بن عتبة المعروف بالاخضر سمي بذلك لقوله في أبيات

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة في بيت العرب

وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان عتبة ومعتب قد هربا من الاسلام فأرسل اليهما عمهما العباس فقدما وأسلما فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا

معه حنينا والطائف وأما عتيبة فانه لما أسلمت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارقها وقال يا محمد فارقت ابنتك وتركت دينك فلا تحب لي خيرا أبدا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه فخرج الى الشام تاجرا فلما كان في بعض الطريق جاءهم الاسد ففزع وقال أترى ابن أبي كبشة قاتلي وهو بمكة وأنا بالشام فأدخله أصحابه بينهم وتوسطوا به جميعهم فلما كان في بعض الليل أتاهم الاسد فتقراهم رجلا رجلا حتى أتى اليه فشدخه من بينهم وأما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل حمالة الحطب فيكفيهما ما أنزل الله فيهما من قوله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب وزاد الله أبا لهب عدو الله خزيا في الدنيا ظاهرا أصابه الله بالعدسة فقتلته * ذكر الطبري في تاريخه ان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدى أشد العدوى فلما رمي بها أبو لهب تباعد عنه بنوه فبقي ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن فلما خافوا السبة دفعوه بعود في حفرته ثم قذفوه بالحجارة وقيل لم يحفروا له ولكن أسندوه الى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط حتى ووري ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذكر أن عائشة رضي الله عنها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها * نقلت أكثر هذا الكلام من كتاب شيخي الفقيه الاستاذ أبي القاسم السهيلي رحمه الله في شرح السيرة وهو روايتي عنه تقدم ذكر عتيبة وعتبة وربما أشكل عليك أيهما المسلم منهما واشتبه وقد قلت فيهما بيتين كي تعلم من كفر منهما ومن أسلم

كرهت عتيبة اذ أجرما * وأحببت عتبة اذ أسلما

كذاك معتب أسلم فاحترز أن تسب فتى مسلما

ومثل عتبة وعتيبة في الصلاح والفحش عبد الله وعبيد الله ابنا جحش عبد الله تبين وتبصر فأسلم وعبيد الله افتتن وتنصر فأجرم وسأسوق ذكرهما معا ومن أخبارهما معا ان شاء الله تعالى والله الموفق * جاء في هذا الفصل أمر كأنه لي أصل وهو ان الاكبر ممن ذكرهما الافضل وان الاصغر هو الارذل وأريد أن أسوق في هذا الفصل من عرفت من شخصين أحدهما مكبر والآخر مصغرا ذكر المكبر بالمدح والمصغر بالقدح كما تقدم فيمن كفر ومن أسلم قالوا في المثل (أسعد أم سعيد) اذا سئل عن الشئ أهو مما يحب أم يكره فان قيل سعد مكبرا فهو المحمود المضموم وان قيل سعيد مصغرا فهو المنبوذ المذموم وأصله فيما ذكر أن سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أدد خرجا

فى حاجة لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد بعد فضرب بهما المثل فيما نفع وضرّ وساء وسرّ وسيأتى حديث سعد وسعيد عند ذكر الحديث ذو شجون وقد ذكر ذلك زياد وأشار الى هذا المعنى خطيب أهل البصرة فأغلظ فى خطبته وقال والله لآخذنّ المقبل بالمدبر والمحسن بالمسيء والمطيع بالعاصى حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول يا سعد انج فان سعيدا قد قتل فى خبر طويل وفى آخره فقام اليه الاشعث بن قيس فقال أصلح الله الامير ان الجواد بشدّه وان السيف بحدّه وان المرء بجدّه وان جدّك بلغ بك ما ترى وان الثناء بعد البلاء ولسنا نثنى عليك حتى نبتليك فأول خبرا نثن به * ينظر قول الاشعث هذا الى قول الشاعر

لا تمدحنّ امرأ حتى تجربه * ولا تذمنّه من غير تجريب
فحمدك المرء مالم تبله خطأ * وذمك المرء بعد الحمد تكذيب

(قلت) خرجت من شئ الى غيره * وهكذا أشياخنا يصنعون
ان ألفوا أو صنفوا انهم * فى كل روض وجدوا يرتعون

قرأت على القاضى أبى محمد العثمانى الديباجى رحمه الله مقصورة ابن دريد وفيها من الشرح أثناء الابيات ومن أخبار امرئ القيس وجذيمة وقصير وغيرهم ما هو أكثر من هذه الاصناف وهذا أنفع من ذلك بأضعاف مع ان نفسى لمثل هذا أميل وهو من الذى قبله على أسهل فلذلك أطلت فطلت وصلت فقلت

هذى المقالة أولى * من قول هوّز وحطى
قلبى يميل لهذا * نعم وكفى وخطى
لكننى سأفى يا * أحباب قلبى بشرطى
لو لم أتم الذى قد * بدأته كنت أخطى

خبر طرفة بن العبد والمتلمس

ومما بدأته ولم أكمله بعد حديث طرفة بن العبد الذى تقدّم قبل ذا وقوله ويل لذا من ذا ذكر الخطابى رحمه الله بسنده عن سماك بن حرب عن يحيى بن أبى يحيى عن أبيه قال انى لأسير على فرس لى فى الجاهلية اذا أنا بطرفة بن العبد فقال يا أبا يحيى احملنى خلفك قلت أين تريد قال الى موضع كذا اسماه فحملته ثم نزل فاذا غلام آدم أزرق أوقص أزور أفدع قال فقلت ويلك يا طرفة ما أشدّ تشاول خلقك قال فكيف لو أريتك من خلقى ما هو أشدّ من هذا قلت وأى شئ هو فأخرج لسانه فاذا هو أسود كأنه لسان ظبى قلت ما رأيت كاليوم قط شيئا أعجب قال فأهوى بيده الى

رقبته وقال ويل لذا مما يجني ذا قال فكان الذي جنى عليه أن قتل وكان سبب قتله أنه والمتلمس كانا ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة فهجواه فكتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما انه أمر لهما بجائزة وكتب اليه يأمره بقتلهما فخرجا حتى اذا كانا ببعض الطريق اذا هما بشيخ على جنب الطريق يحدث ويأكل من خبز في يده فقال له المتلمس ما رأيت كاليوم شيخا أحمق فقال الشيخ أحمق مني من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس وقال لغلام رآه أتقرأ يا غلام قال نعم ففك صحيفته فدفعها الى الغلام فاذا فيها أما بعد فاذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك ففيها والله ما في صحيفتي فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ علي فقذف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وقال

قذفت بها في النهي من جنب كافر * كذلك أقتو كل خط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيتها * يحول بها التيار في كل جدول

وأخذ نحو الشام وأخذ طرفة نحو البحرين فلما وافى صاحب البلد ضرب عنقه ويقال سقاه الخمر وفصد أكحليه الى أن مات وفيه يقول المتلمس

كطرفة بن العبد كان هذيهم * ضربوا صميم قذاله بمهند

فضرب المثل بصحيفة المتلمس وفيه يقول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

وقوله تشاول خلقك يريد اختلافه قال الخطابي وأراه من قولهم شال الميزان اذا ارتفع وسيأتي شال وشل في باب الشين ان شاء الله تعالى من هذا الكتاب وقوله كذلك أقتو قال ابن الاعرابي يقال لأقتونك قتاوتك أي لأجزينك جزاءك قال ابن دريد ومثله لأنبلنك نبالتك ولأمنونك مناوتك بفتح الميم وكسرها أي لأجزينك جزاءك خرج القصة الخطابي رحمه الله تعالى في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه كتب لعيينة بن حصن كتابا فلما أخذ كتابه قال يا محمد أترانى حاملا الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس ثم ذكر ما تقدم (قلت) وهذه الحروف أعني حروف المعجم قد حصرها أبجد هوز حطي الخ وهي ثمانية وعشرون حرفا فيها آية من آيات الله تعالى اجتمع فيها خط علم الاولين والآخرين ومنها يتفرع جميع كلامهم وجميع كتبهم الى ما جعل الله فيها من السر واستأثر به من علم ذلك وقد استنبط منها أهل كل علم على قدر اتساعهم من ذلك الحساب الذي هو أصل من أصول العلم الوكيد

المعين على الدين لان به يعلم عدد الصلوات والزكوات والصيام والشهور والسنين وتحدد السنون من الشهور والشهور من الجمعات والجمعات من الايام والايام من الساعات والساعات من الدرج والدرج من الدقائق والدقائق من الشعائر والشعائر من الانفاس وتنتهي قسمة الانفاس الى أجزاء لا يعلمها الا الله تعالى ومنشأ هذه الازمنة من دوران الفلك ويستدل على ذلك بسير الكواكب والشمس والقمر فتنشأ بين ذلك الازمنة والاوقات التي يستدل بها على معالم الدين من أوقات الصلاة والصيام والحج وحين الزكاة ومدد عدد النساء ومحل الآجال ويقيد ذلك كله بالحساب والعدد حتى لا يشذ شئ مما يحتاج الى علمه بالتاريخ المصطلح عليه وقد عدد الله تعالى نعمه علينا بذلك في قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * وحقيقة الزمان انما هو مقابلة حادث بحادث آخر تقول متى يجيء فلان فيقال اذا كان كذا لامعنى للزمان الا هذا وقد دقق أهل الاصول الازمنة حتى صيروها الى جزء لا يتقسم كما فعلوا بكل جرم وجسم دققوه الى الجزء الفرد الذي سموه بالجوهر وحجتهم في ذلك قول الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لم يرد الساعة من النهار التي هي واحدة من اثنتي عشرة ساعة في النهار اذ معلوم ان المرء لا يستأخر دقيقة ولا نفسا اذا تمت انفاسه وفي ساعة من الانفاس اعداد كثيرة وفي نفس من الاجزاء ما لا يعلمه الا الذي خلقه وهي معدودة محدودة كما يروى ان رجلا قدم من سفر وكان قد غاب عن أهله مدة فلما وصل الى قريب من البلد دخل خربة يقضي فيها حاجته فدخل عليه ملك الموت عليه السلام فقال له ما تريد قال أقبض روحك قال دعني حتى أدخل البلد فأسلم على أهلي فقال له قد تم رزقك فقال له الرجل أستغني عن الرزق حتى آتيهم قال له قد تمت انفاسك وسقط ميتا أو كما قال هذا معناه ومثله ما يروى ان رجلا جاءه ملك الموت عليه السلام وهو في درج الغرفة فسأله أن يتركه حتى يصعد الى الغرفة أو يهبط من الدرج فلم يفعل وقبض روحه في الدرج (رجع الكلام الى الحساب) فأخذت العرب حسابها من أبجد المذكور فوجدوه ينتهي من واحد الى ألف لا زيادة ولا نقصان أولها الالف الذي هو واحد وآخرها الغين الذي هو ألف والدليل على معرفتهم بالعدد المذكور قول يهود العرب حين أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم

بيان الزمان

حساب أبجد

ألم حيث سألوه من أنزل عليك هذا أجبريل أخبرك بها عن الله قال لهم نعم قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه ثم قالوا الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فهذا احدى وسبعون سنة ثم قالوا له هل معك غيرها قال نعم المص قالوا هذه أثقل وأطول ثم جعلوا يعدون ثم كذلك فى الرا والمر وكذا وكذا ويعدون حتى اذا فرغوا قالوا لقد اشتبه علينا أمره وقال بعضهم لبعض ما يدريكم لعله قد جمع لمحمد هذا كله الى آخر العدد فهذه الحروف كانت العرب تحسب وإياها كانت تعرف وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بيديه كلتيهما صلى الله عليه وسلم وحبس ابهامه فى الثالثة انما أراد بهذا والله أعلم ان هذه الامة انما تعبدت برؤية الهلال عند الصوم وعند الافطار لا بالحساب الذى يقوله الحساب والمنجمون من ان الهلال لم يظهر اذا كان فى حجاب الشمس أو فى السرار مما لم نتعبد به وأحالنا عليه الصلاة والسلام على الرؤية التى يستوى فيها الناس فقال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا له ولا نقول مع هذا انهم كانوا لا يعرفون هذا العقد بالاصابع فان فى الحديث الذى وصف به الراوى هيئة القعود فى التشهد قال ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى واليمنى على فخذه اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد وهيب تسعين وفى رواية وعقد النبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون الراوى حكى فعل النبى صلى الله عليه وسلم ومع علمهم بالعقد فان العلماء كانوا اذا سبحوا أو كبروا عقدوا ذلك بجميع أصابع اليدين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واعقدن بالانامل فانهن مسؤلات مستنطقات ورأيت أحد أشياخى رحمه الله يحسب بجميع أصابع يديه فقلت له فى ذلك فذكر لى هذا الحديث وقال قوم من أهل النجوم المتشرعين ان فى هذه الحروف آية عددها عدد منازل القمر ويدغم منها مع لام التعريف نصفها أربعة عشر ويظهر معها أربعة عشر النصف الآخر وكذلك المنازل يظهر معها أربعة عشر ويغيب أربعة عشر سرمدا وأقصى ما تبلغ الكلمة بالزوائد سبعة أحرف عدد الدرارى السبعة وهذا اتفاق غريب مثال اللام المدغمة من الحروف الدار والنار ومثال المظهرة البحر والفجر الى آخرها وسبب هذا الادغام مخارج الحروف على ما سيأتى تفسيره ان شاء الله

تعالى

تعالى والذى اجتمع من هذه الحروف فى أوائل السور أربعة عشر حرفا سوى المتكرر رجعها الاستاذ أبو القاسم السهيلى فى قوله (ألم يسطع نص حقكره) وقال يجتمع فيها من العدد على حساب أبى جاد تسعمائة وثلاثة وليس يبعد ان يكون من مقتضاها اشارة الى الالف الذى بعث النبى عليه الصلاة والسلام فيه الذى هو السابع من الآلاف غير انه يحتمل ان يكون من مبعثه أو من هجرته أو من وفاته وقد روى ان المتوكل سأل جعفر بن عبد الواحد عما بقى من الدنيا فحدثه بحديث رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وان أساءت فنصف يوم وفى حديث آخر لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى خمسمائة عام وفى حديث زمل الخزاعى حين قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه وقال فيها رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات والى جنبك ناقة عجفاء كأنك تبعثها فعبر الناقة بقيام الساعة ودرجات المنبر بسبعة آلاف سنة أنا فى آخرها ألفا * وقال ابن عباس الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة ومع هذا كله فقد قرب الله أمر الساعة بقوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير * وخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تدور رحى الاسلام بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فان يهلكوا فبسبيل من هلك وان يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما قال قلت أمما بقى أو مما مضى قال مما مضى * قال الهروى فى تفسير هذا الحديث قال الحميدى ويروى تزول وكان تزول أقرب لانها تزول عن ثبوتها واستقرارها وتدور بما يكرهون فان كان الصحيح سنة خمس ففيها قدم اهل مصر وحصروا عثمان وان كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير الى الجمل وان كانت سنة سبع ففيها كانت صفين وقال الخطابى يريد عليه الصلاة والسلام ان هذه المدة اذا انقضت حدث فى الاسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك يقال للامر اذا تغير واستحال دارت رحاه وهذا والله أعلم اشارة الى انقضاء مدة الخلافة وقوله بقى لهم دينهم أى ملكهم وسلطانهم وذلك من لدن بايع الحسن معاوية الى انقضاء أيام بنى أمية من المشرق نحو من سبعين سنة كذا وقع الحديث هنا وخرج أبو القاسم على بن محمد بن عبدوس السكافى رحمه الله فى كتاب التسلى عن الدنيا قال روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى

ثلاثون سنة ثم يكون الملك قال وجدت في بعض التواريخ أيام أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وثمانية أيام وأيام عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وثمانية عشر يوما وأيام عثمان رضي الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرون يوما وأيام علي رضوان الله عليه أربع سنين وسبعة أشهر ويوم واحد وأيام الحسن رضي الله عنه خمسة أشهر وعشرة أيام قال فجمعت ذلك كله فكان ثلاثين سنة لا تزيد يوما ولا تنقص آخر فلو خرج هذا في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لكان يصلح لذلك وبالله التوفيق تقدم ذكر الحسن وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ولدته أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وولدت الحسين رضي الله عنه بعده في العام الثاني وكان له منهما سواهما محسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى * ذكر أبو عمر رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه قال لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قلت سميته حربا فقال بل هو حسن فلما ولد الحسين قال أروني ابني ما سميتموه قلت سميته حربا قال بل هو حسين فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قلت حربا قال بل هو محسن وفي رواية ثم قال اني سميتهم باسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر ووقع في كتاب تاريخ الرقي أن عليا سمى ابنه الاكبر حمزة وسمى حسينا جعفرا فسماهما النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين قال علي رضي الله عنه كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر الى الرأس والحسين أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أسفل من ذلك انتهى كلامه تزوج أم كلثوم التي من فاطمة رضي الله عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه زوجها منه أبوها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولما خطبها اليه قال له انها صغيرة فقال له عمر زوجنيها يا أبا الحسن فاني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد فقال له علي رضي الله عنه أنا أبعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتكها فبعثها اليه ببرد وقال لها قولي له هذا البرد الذي سقت لك فقالت ذلك لعمر فقال قولي له قد رضيت رضي الله عنك ووضع يده على ساقها فكشفها فقالت له أتفعل هذا لولا انك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم خرجت حتى جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت بعثتني الى شيخ سوء قال يا بنية انه زوجك فجاء عمر الى مجلس المهاجرين فقال لهم رفؤني فقالوا بماذا يا أمير

المؤمنين

المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل نسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وسببي وصهري فكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب وأردت ان أجمع اليه الصهر فرفؤه وتزوجها على مهر أربعين ألفا فولدت له زيد بن عمر وتوفي هو وأمه في يوم واحد وفي ساعة واحدة ولم يورث واحد منهما من صاحبه لانه لم يدر من مات قبل صاحبه وولدت لعمر أيضا رقية وكان لعلي من خولة بنت اياس وهي الحنفية محمد بن علي وله من أسماء بنت عميس يحيى ومن سوى هؤلاء عشرون ولدا بين ذكور واناث من أمهات شتى رضوان الله تعالى عليهم وذكر أبو ابراهيم عبيد الله بن محمد الخجندي رحمه الله ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبض عن تسعة وعشرين ولدا أربعة عشر ذكرا وخمسة عشر أنثى الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم من فاطمة رضي الله عنها ومحمد الاكبر وعباس الاكبر وعمر وأبو بكر وعبد الله وعثمان وجعفر ومحمد الاصغر وعباس ويحيى وزينب الصغرى وأم كلثوم الصغرى ورقية الكبرى ورقية الصغرى وأم الكرام وخديجة وجمانة وأم هانئ وميمونة وأم سلمة وأمامة ونفيسة ورملة انتهى كلامه توفي محسن وهو صغير وتوفي الحسن بالمدينة بعد أن صالح معاوية وكفى الله المؤمنين القتال وصدق رسوله بقوله صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال عليه الصلاة والسلام ثم أتى المدينة فمات بها رضي الله عنه يقال ان امرأته سمته وأما الحسين فلا خفاء بقتله بكربلاء وأما زينب فتزوجها عبد الله بن جعفر وولدت له وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب وولدت له كما تقدم ثم تزوجت بعده أزواجا رضي الله عنهم أجمعين (رجع الكلام الى الحروف * بعد ما نفدت الظروف)

الحساب بالحروف

(فصل) والحساب بهذه الحروف أولى من الحساب بالاشكال المصطلح عليها عند الحساب لعان منها أن بهذه الحروف كانت العرب تحسب ونحن عرب فلا نتعداها الى سواها ومنها انك ان احتجت اليها رسمتها حروفا وقرأتها فحصل لك منها علم الفن الذي تقصد اليه وقد وجدنا ذلك في كلمات تتضمن معان من الحساب لا تقدر على رسمها بغيرها من ذلك قولهم ا د د ز ب ه ز ج و ح د * وهذا كلام يقرأ ويحفظ نعم وهو موزون وضع ليعرف به أي يوم يدخل

الشهر العجمى من الايام وهى اثنا عشر حرفا الاثنى عشر شهرا مثاله الالف واحد
فى حساب أبى جاد كما تقدم لاوّل شهر من السنة الشمسية وهو ينير ان دخل مثلا يوم
السبت عرفته ثم تبنى عليه وتقول على التوالى الدال لفبراير وهو أربعة فتقول
يدخل فبراير يوم الثلاثا وهو اليوم الرابع والدال أيضا أربعة لمارس فتحسب
من السبت أربعة فيدخل مارس يوم الثلاثا كذلك والزاى سبعة لابريل
فتحسب سبعة أيام بالسبت يدخل ابريل الجمعة والباء لمايه وهى اثنان يدخل
يوم الاحد وكذلك تفعل بسائر الشهور الى آخرها وهذا لا تعلمه بالحساب الرومى
ولا بحساب الغبار لانه لا يقرأ ولعلك أن تقول فررت من العجمى بالحساب
ورجعت الى أسماء الشهور الاعجمية فأقول ذلك لان الله تعالى قد قدّر جريان
الشمس على خلاف جريان القمر والاعتماد فى القمر على الرؤية والاعتماد
فى الشمس على الحساب لان السنة الشمسية أيامها لا تزيد ولا تنقص الا نقصانا يسيرا
وزيادة قليلة على اختلاف فى ذلك عند الحساب ويعلم ذلك بدورانها وقطعها
المشارق والمغارب كل سنة على ترتيب واحد لا زيادة فيه ولا نقصان ذلك تقدير
العزيز العليم والشهر القمرى كما تراه مرّة ثلاثين ومرّة تسعا وعشرين كما شاء
الله وقدّره لحكمة بالغة وتدبير عجيب وأيضا فان العرب لم تكن تجهل تسمية
هذه الشهور الاعجمية وان كانت لها أسماء سوى ينير وفبراير فقد كانوا يعرفون
أسماءها بالسريانية ويسمونها بها كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
انه كان يقول من بشرنى بخروج ادار فله دينار أو كما قال وكما تقول العرب
مطرة فى نيسان خير من ألفى سان وادار هو مارس ونيسان هو ابريل يعنون المطر
فيه أنفع للنبات والزرع من ألفى دابة سانية تسنو بالماء من الارض فهذا عندهم
معلوم لانهم يحتاجون الى معرفة ذلك بسبب الزراعة والحصاد والابار والجذاذ
وغير ذلك مما جعل الله له من السنة أوقاتا معلومة لا تتعدّاها وكما ان عندنا ينير
وفبراير ومارس وابريل ومايه ويونيه ويوليه واغشت وشتنبر واكتوبر ونونبر ودجنبر
كذلك عندهم كانون الآخر وشباط وادار ونيسان وايار وخزيران وتموز وآب
وايلول وتشرين الاوّل وتشرين الآخر وكانون الاوّل وهذه القسمية على مقابلة
شهورنا واما أوّل سنتهم فتشرين الاوّل وعدد أيام سنتهم مثل عدد السنة الاعجمية
سواء الا ان شهورهم كلها ثلاثين ثلاثين وشهور الاعجمية سبعة منها من أحد

وثلاثين وأربعة من ثلاثين وفبرايرمن ثمانية وعشرين يوماور بيع يوم وتعرف الذى هومن أحد وثلاثين بحروف أيضا جعلوها لذلك وهى قولك (فازرجل ختم بحج) أو (يعقوب بن عياض) تبدأ بيتيرله أول حرف من احدى الكلمتين كل منقوط من أحد وثلاثين وكل معرى من ثلاثين وقد تقدم أن فبرايرمن ثمانية وعشرين وكان تسمية الشهور العربية المستعملة لمحرم وصفر وربيع الاوّل وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوّال وذوالقعدة وذوالحجة فكذلك كان فى الجاهلية من يسمى المحرم مؤتمرا وصفرناجراوربيعا الاوّل خواناوربيعا الآخر بصاناوو بصاناوو بصاناوجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخرة برية وقيل ربى مثل رنى ورجبا الاصم وشعبانا وعلا ورمضان ناتقا وشوالا عاذلا قال الفراء ومنهم من يقول وعلان وذا القعدة هواعا وذا الحجة برکاوقد عدوا مؤتمرا من أيام المجوز وهى سبعة أيام نظمها بعضهم فقال

كسع الشتاء بسبعة غبر * أيام شهلتنا من الشهر
فاذا انقضت أيامها ومضت * صن وصنبر مع الوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر * ومعلل ومطفئ الجمر
ذهب الشتاء موليا عجلا * وأتتك وافدة من البحر

يقال هذه الابيات لأبى شبل الاعرابى والشهلة المجوز فان قيل لم سميت الشهور بهذه الاسامى أعنى جمادى وربيعا ورمضان قيل لانهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق خوان زمن الربيع فسمى ربيعا وكذلك رمضان وافق زمن الحرّ وجمادى زمن البرد فسمى به وكذلك سائرها والله أعلم وكذلك تسمية الايام عندهم بغير التسمية المعلومة عندنا فيسمون يوم الاحد أوّل ويوم الاثنين أهون وسيأتى ذكرها منظومة الى آخر الايام ان شاء الله تعالى * تقدّم ذكر كانون ووقع ذكره فى الحديث الذى خرجه مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمرّ باناء ليس عليه غطاء أوسقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء قال الليث بن سعد الاعاجم عندنا يتقون ذلك فى كانون الاوّل وفى الحاشية كانون الاوّل هو دجنبر وفى كتب اللغة الكانون والكانونة موقد النار وقد يقال للرجل الثقيل كانون قال الحطيئة

قوله بصاناكغراب ورمان وبصان كسحبان ونعمان اه

أغر بالا اذا استودعت سرا * وكونا على المتحدثينا

معرفة حلول الشمس فى منازل الفجر لاشهر الغاربة

﴿فصل﴾ وأذكر لك هنا من الحساب فائدة أخرى أفادنيها بعض الحجاج استفادها بدمشق وذلك ان أحد علماء هذه الطريقة اختصر معرفة ترحيل الشمس الذى صنع فيه الهاشمى قصيدته التى اشتهرت عند من له عناية بالنجوم التى منها

اذا ما ثلاث بعد عشرين وفيت * لمرس فان الشمس بالنطح تطلع

ومنزلة الشمس البطين اذا خلت * لابريل خمس ليس فى ذاك مدفع

كذلك الى آخر المنازل وآخر العام فاختصر هذا الدمشقى ذلك وجعل معرفة ذلك بالحروف أخذ أوّل حرف من شهر يئير وهو الياء وأضاف اليه حرف الدال وهو أربعة وأخذ أوّل حرف من المنزلة وهو الباء من بلع فجاء منه يدب يقول اذا مضى من يئير أربعة أيام حلت الشمس فى سعد بلع كما قال الهاشمى

وفى رابع النيروز للشمس منزل * قد اغتال سعد نجمه فهو يبلع

فهذه ثلاثة أحرف أقامها مقام البيت وقال الهاشمى

وان شرع النيروز فى سبع عشرة * فللشمس باب فى السعود ومطلع

وقال الدمشقى عوض هذا البيت يئيس الياء الاولى اسم يئير والثانية منه بعشر والزاى بسبعة فذلك سبعة عشر يوما وحلت الشمس فى سعد السعود الذى جعل له الدمشقى السين من السعود لا من سعد كما جعل الباء لبلع والذال للذابح ثم مضى على ذلك الى آخر العدد وآخر العام بشئ مختصر قريب عجيب غريب وهو

يدب يئيس يلخ فيهم فكهر مبيب مكبن أهب ايحث مأد ميده مكزه يطذ يكبن يهط يحج غأخ غيدص غكزع شطس شكبغ أهز ايحد الق نيجش نكون دطب دكبس وقيل فى هذا دكبذ يكون حرف الذال من سعد الذابح وان قلت دكبس تكون السين من سعد بالسين كتبه لى رحمه الله وبالذال رأيته أولى لانه جعل الباء فى يدب المذكور أوّلا من بلع وجعل فى يئيس من سعد السعود وقس على هذا ما ذكرته لك اجعل أوّل حرف من الكلمات لاوّل حرف من اسم الشهر وآخر حرف منها لاسم المنزلة وما بينهما للاعداد وابدأ كما ذكر من يئير واختم بدجنبر تجده صحيحا ان شاء الله تعالى وانما أردت بهذا كله أن تعرف أن هذا الحساب بحروف المعجم أولى وأعز وأعلى ولا حول ولا قوّة الا بالله وحده

(ودونك فائدة أخرى) قلت وكما دلت هذه الحروف على العدد كذلك يدل العدد على

الحروف كما قال الشاعر

اذا ماشئت أن تدرى الذى حار الورى فيه
أضف خمسا لأربعة * وأعط الثوب رافيه

ألغز هذا الشاعر بقوله أضف خمسا لأربعة يريد بخمسة حرف الهاء و بأربعة حرف الدال يجىء من هذا (ده) ثم قال رافيه يريد راء فيه فجاء من مجموعه دهر وهو الذى حار الورى فيه وسيأتى قول هشام بن عبد الملك لاعرابى وقد مرّ على ميل عليه مكتوب خمسة فسأله ما عليه فقال الاعرابى مجن صورة الحاء وحلقة صفة الميم وثلاث كأنها ظباء صفة السين وهامة كأنها منقار طائر صفة الهاء فقال هشام خمسة * ودونك فائدة يا ابن الوالدة الدهر قالوا مدّة الاشياء الساكنة والزمان مدّة الاشياء المتحركة

سنى أهل الكهف

﴿فصل﴾ ومن معنى ما تقدّم قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا أى انها ثلثمائة بحساب الشمسية وان حسبت بالاهلة زادت تسعا لأن أصحاب الكهف من أمّة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم و يؤرخون به فجاء اللفظ فى القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم وتتم الفائدة بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب فان حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر واشتقاق السنة من قولهم سنا يسنو اذا دار حول البئر والدابة هى السانية فكذلك السنة دورة من دورات الشمس وقد تسمى دارا ففى الخبر ان بين آدم ونوح ألف دار أى ألف سنة ومن هذا قول الحريرى رحمه الله

ولا تضع فرصة السرور فما * تدرى أيوما تعيش أم دارا

يريد أم عاما أو سنة والله أعلم ثم قد تسمى العرب السنة عاما والعام سنة اتساعا ولكن بينهما فى حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقا ولا كلام أفصح من القرآن فقد جاء فيه ما هو من هذا الغرض قال الله تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ولم يقل أعواما لان رؤيا يوسف عليه السلام دلت على سبع سنين شداد والعرب تعبر عن الشدّة والجوع باسم السنة تقول أكلتهم السنون كما قال الله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وكما قال الشاعر (راعى سنين تتابعت جدبا) ومن ثم قالوا أسنت القوم اذا قحطوا و يعبرون بالعام عن الرخاء والخصب والقرآن نزل على مذاهبهم قال تعالى بعد ذكره السنين التى تدل على الشدّة ثم يأتى

من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون قال قتادة العنب والزيتون فاتسق الكلام والتأم أحسن التئام بتنزيل الحكيم العلام وان كان قال تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ومعلوم ان تلك السنين كانت خصبة مباركة لانه أفاء الله فيها من الرزق ما أكل فيها وفى السبع بعدها ولكن انما ذكر لفظ العام بعد السبع الشداد لانه ليس بعد الشدة الا الرخاء * وينظر الى هذا المعنى قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما قيل انما ذكر أولا السنين لانه كان فى شدائد فى مدته كلها الا خمسين عاما مذ جاءه الفرج وأتاه الغوث ويجوز أن يكون الله سبحانه علم ان عمره كان ألفا الا ان الخمسين منها كانت أعواما فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخمسين خاصة لانه ينقص ما بينهما مقدار عام ونصف أو نحوه والله أعلم بما أراد من ذلك والذى ورد فى القرآن أيضا من ذكر السنة والعام ينظر الى هذا ألا ترى قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقوله ألف سنة مما تعدون لما كان فى معرض التكثير والتفخيم لطول ذلك اليوم وهول ذلك المقام جاء بلفظ السنة التى هى أطول من العام وكذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة لفظ السنة هنا أولى من لفظ العام لانه مخبر عن اكتهال الانسان وتمام قوته واستوائه ولفائدة أخرى وذلك انه خبر عن السن والسن يعتبر بالسنين وأصل ذلك فى الحيوان لأن النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف المعتبر بالسنة الشمسية ألا تراهم يقولون ربعى للكبير وصيفى للمؤخر كما قال الراجز

ان بنى صبية صيفيون * أفلح من كان له ربعيون

واستعمل ذلك فى الآدميين اتساعا وان كان أصله فى الحيوان يقال ابن سنة وابن سنتين كما يقولون ابن مخاض وابن لبون وأما قوله تعالى وحمله وفصاله فى عامين فذلك لان الرضاع من الاحكام الشرعية التى تعبدنا بها كالصيام والحج وذلك بالاهلة كما قال تعالى قل هى مواقيت للناس والحج وكذلك قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما ولم يقل سنة لانه يعنى شهر المحرم وصفر وربيع الى آخر العام ولم تكن العبادة ولا الشرع بأيلول ولا بتشرين ولا بنيسان ولا فبراير ولكل مقام مقال فسبحان الكبير المتعال * نقلت أكثر هذا الفصل من كتاب الاستاذ رحمه الله الا يسيرا أدخلته فيه من غيره والله المخلص وبقى من مشكل الآية قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم

قيل معناه سيقولون ذلك وعلى هذا القول قراءة ابن مسعود وقالوا البثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين بزيادة قالوا وقيل غير ذلك والله أعلم بكتابه * تقدم ذكر الكهف وأهل الاندلس يزعمون انه فى بلادهم وذلك باطل والكهف انما هو فى الاقليم الخامس بين عمورية وأنقره وهو جبل عظيم فيه كهف تحت الارض وهو على أساطين وله باب من حجارة وفى داخله قوم أموات كأنهم أحياء مفتوحة أعينهم فى ظلمة لا تستبان وجوههم الا بالمصابيح وأجسامهم قد يبست وجلودهم لاصقة بالعظام وشعورهم باقية ولا يدخل أحد اليهم الا أخذته هيبة عظيمة وفزع من هول منظرهم وعليهم موكلون يحفظون المكان لا يحدث عليهم حادث ذكر ذلك اسحاق بن الحسن فى بعض التواريخ ورأيت فى كتاب آخر أن الكهف المذكور فى مدينة يقال لها أفسوس وهى من القسطنطينية على ستة فراسخ والله أعلم وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال غزونا مع معاوية غزوة المضيق فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس ليس ذلك لك قد منع الله من ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم علمهم فبعث ناسا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم

* (فصل) * قد تقدم الكلام فى ذكر أدار فى أسماء الشهور قال بعض العلماء ان القيامة تقوم فى شهر مارس وهو ادار الذى كان عمر بن الخطاب يستبشر بخروجه كما تقدم واستدل على ذلك أيضا بقول الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت قال وانما تكون كذلك فى هذا الشهر المذكور ثم قال تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس والله أعلم بما أراده من ذلك لا اله الا هو (قلت) ولا نقول ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يعلم بأشراط الساعة ومقدماتها الكائنة قبلها التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم خرجه مسلم رحمه الله وفى بعض الروايات تنزل معهم اذا نزلوا وتقيل معهم اذا قالوا وفى رواية

من قول الصاحب وريح تلقى الناس فى البحر فان صح ذلك القول عن عمر فى ادار فانما قاله على وجه الشفقة والحذار وعلى تقريب مايخاف ويتوقع اذ الشفيق يسوء ظن مولع وقد قلت فى ذلك

ماقاله عمر هزلا ولا هذرا * حاشاه حاشاه من هزل ومن هذر
لكن مقالته ان صح ذلكم * عنه على جهة الاشفاق والحذر
هذا هو الظن بالفاروق ياسندى * فقل مقالته ان شئت أو فذر
وكن بقول رسول الله متعظا * والعشر الايات يامغرور فانتظر
وكن على حذر من فجأة موتك ان * الموت مدرك من فى البدو والحضر
وماعليك من الآيات ان نزلت * والموت ينزل بالآصال والبكر
من مات منا فقد قامت قيامته * ومن يعش فهو للاموات بالاثر

تقدم ذكر العشر الآيات وفيها الدخان وفى القرآن العزيز فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين قال المهدوى رحمه الله قال على رضى الله عنه لم يأت الدخان بعد وسيأتى دخان يصيب المسلمين منه مثل الزكام وينفذ الكافر * وروى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه من آيات الساعة وقال ابن مسعود رحمه الله قد مضى الدخان وهو ما أصاب المشركين من الجوع بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء الارض دخانا وقد كشفه الله تعالى عنهم ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم وكان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم على قريش حين أبطؤا عن الاسلام قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم الجوع حتى أكلوا الميتة والعظام حتى كان أحدهم يرى بينه وبين السماء دخانا من الجهد قال ابن أبى زمنين قيل للجوع دخان ليبس الارض فى سنة الجدب وانقطاع النبات وارتفاع الغبار ومن كلامهم جوع أغبر وسنة غبراء لسنة المجاعة * وأما الدابة فان ابن عباس رضى الله عنهما قال هى دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة تمسح كل انسان على مسجده فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء فتفشو فى وجهه حتى يبيض لها وجهه وأما الكافر فتكون نكتة سوداء فتفشو فى وجهه حتى يسود لها وجهه حتى انهم يتبايعون فى أسواقهم يقول كيف تبيع هذا يامؤمن ويقول كيف تأخذ هذا يا كافر فما يرد بعضهم على بعض * وعن خالد بن معدان لتخرجن الدابة حتى يدخل الناس فى بيوتهم فتخبرهم بأعمالهم حتى تقول أنت من أهل النار

دابة الارض

وانت

وأنت من أهل الجنة * وعن أنس ان فيها من كل أمة سيماء وان سيماها من هذه الامة انها تتكلم بلسان عربي وقال ابن سلام وفي بعض القرآت تحدثهم ان الناس كانوا بي لا يوقنون وجاء من ذكرها في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب جياد قالوا وفيم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين وسيأتي حديث الدجال

(فصل رجع الكلام الى الحروف) قال الكندي لا أعلم كتابا يحتمل من تحليل الحروف وتدقيقها ما تحتمله العربية (قلت) يريد والله أعلم ان الكلمة تحتمل أن تكون كثيرة الحروف ويكون لها معنى فان نقصت حرفا صارت بمعنى آخر فان نقصت آخر صارت كذلك أي بمعنى آخر حتى تصير الى حرف واحد فيدل أيضا على معنى وكذلك تبنيها كما هد متها وتعقدها كما حللتها فتزيد حرفا فيحدث معنى ثم كذلك فكذلك الى تمامها وأعلى ما تنتهي اليه الكلمة بالحروف الزوائد سبعة ثم قد تكون الكلمة مغلغلة من النقط أو الشكل فتقرر هما على وجوه * مثال ذلك مطلب ما يخرج من زيد

زيد وعمرو لهذين الاسمين العلمين أليس لفظة زيد ان لم تنقطها تقول زند لهذا الذي يقدح به أو للذي في الذراع وزبد للرغوة التي تعلو الماء واللبن كما قال الشاعر

*وتحت الرغوة اللبن الصريح *وفي القرآن العزيز فاحتمل السيل زبدا رابيا وربد جمع أربد وزبد وهو ما أهداه الكافر للمسلم وزبد معلوم وربد وهو العود وقيل الآس وتقول زيد في السعر كذا وهذا زيد على هذا أي زيادة عليه وفيه لغات غير ذلك ثم اذا تتبع الكلام في هذه الالفاظ بالقلب والعكس تشعب وتسلسل وتولد وتنسل والمدار أن يكون عندك دقيق وتكون في الصنعة ذا تشقيق وتدقيق فان مخت ذلك وكان فقد ساعدك الامكان على أن تصنع من الاطمة ما تريد كذا وكذا وأعلاها الثريد وكذلك ان كنت ذا علم وذكاء وفهم أحرزت من الكلمة الواحدة عشرا وأبرزت لها لبابا وقشرا وطويتها طيا ونشرتها نشرا حتى يجد لها الفطن الكيس عرفا ونشرا ويعلم الأديب الأريب والنبيل اللبيب ان الله مولاك قد أولاك في العلم سعه وما ضيق على غيرك فعليك وسعه وهذه درجة العلماء وأهل اللغة القدماء رضي الله عن جميعهم وجزاهم خيرا على صنيعهم وأما أنا فما أعملت فيه يراعتي فليس من براعتي ولا أدعي ان تلك صناعتي انما أنا متطفل وبكلامهم متكفل من تآليفهم أستقي ومن تصانيفهم أنتقي وأضع ذلك كله في كتابي والى الله

متابى وعليه ثوابى واليه اياباى وان أردت ان أضرب لك مثلا فيما تقدم فتأهب
لجيوش عليك تقدم أليس قد ذكرت لك ان شكل زيد رند وفسرته انه الآس أو العود
فيما ذكر * ومعكوس رند دنر قال صاحب كتاب العين دنر وجهه اذا أشرق
كالدينار وفرس مدنر أشهب فيه تدنير سواد تخالطه شهبة * ومقلوبه ردن وهو
مقدم كم القميص وجمعه أردان وليل مردن مظلم وعرق مردن أى يمس
الجلد كله وجمل رادنى جعد الوبر كريم والردن الحرير قال الاعشى
* على محصص كسكاء الردن * ويقال الخز والروادن النساء اللواتى ينسجن الحرير
وأنشد عجبت لكهل قاعد بين نسوة * يقات بما ردت عليه الروادن *
ومعنى يقات يقتات من القوت وسيأتى شرح ذلك ان شاء الله تعالى وردينة اسم
امرأة تنسب اليها الرماح الردينية والاردن اسم كورة بالشام ومقلوبه أيضا
ندر ندر الشئ سقط من جوف شئ ومنه قول سلمة بن الاكوع فضربت رأس الرجل
فندر خرجه مسلم رحمه الله وكذلك نوادر الكلام تندر وهو مايأتى بالندرة وسيأتى
نرد تفسير الندرة ان شاء الله تعالى والاندر البيدر لغة شامية * ومقلوبه أيضا نرد وهو شئ
درن يلعب به فارسى وقد جاء فى الحديث النهى عنه * ومقلوبه أيضا درن وهو الوسخ ومنه
الحديث فما ترون ذلك يبقى من درنه يقال درن الثوب والدرين والدرانة الحشيش
وأهل الكوفة يسمون الاحمق درينة ودرانة من أسماء النساء * ومن شكل زيد
زيد زبد بفتح الزاى وكسر الباء موضع بالشام وزبيد بزيادة ياء بلد باليمن كبير معروف
ربد * ومن شكله أيضا ربد جمع أربد وأربداء والربدة فى لون النعام سواد مختلط بغبرة
وفى الحديث تربد وجهه أى تغير والأربد ضرب من الحيات وأربد اسم رجل
معروف وربد السيف فرنده وهو الذى تراه فيه شبه الغبار أو مدب النمل
دبر * ومعكوسه دبر دبر الشئ خلاف قبله وأدبر الشئ ولى وفى القرآن من هذا ويولون
الدبر وقيل الدبر هنا الظهر والليل اذا دبر ويقرأ والليل اذا أدبر ويقال دبر يدبر
دبورا اتبع الاثر وفى الحديث من هذا قول عمر رضى الله عنه ظننت انه سيدبرنا يعنى
النبى صلى الله عليه وسلم يريد انهم يموتون ويكون النبى صلى الله عليه وسلم يدبرهم أى
يموت بعدهم قال هذا حين مات النبى صلى الله عليه وسلم وتقول جعلته دبر أذنى أى
خلفها اذا لم تلتفت اليه وتصاممت عنه ودابر الشئ آخره وفى التنزيل فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ويقال جعل الله الدبرة عليه اى الهزيمة

والدبرة له أى النصرة والظفر ومنه قول أبى جهل لعنه الله يوم قتل وهو بآخر رمق لمن الدبرة اليوم فقال له ابن مسعود رضى الله عنه لله ولرسوله ثم خر رأسه ودابرت الرجل عاديته وأصله ان المتهاجرين يولى كل واحد منهما صاحبه دبره ويعرض عنه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تدابروا والدبور ريح من قبل المغرب والجمع الدبر والدبابير ودابرة الطائر الاصبع التى من خلف ومنه فى الحديث يأتون الصلاة دبارا وهو الذى يأتيها بعد أن تفوته و يقال فلان لا يعرف قبيلا من دبير والقبيل ماوليك والدبير ماخالفك و يقال القبيل فتل القطن والدبير فتل السكتان والصوف وقد فسره ابن قتيبة بغير هذا أنظره فى أدب الكتاب ودبار اسم ليلة الاربعاء ويقال دبر القوم يدبرون دبارا هلكوا ودبرت الدابة فهى دبرة والدبرة واحدة الدبر والدبرة الساقية بين المزارع والجمع دبار ودبرت الامر نظرت فى عاقبته ودبرت المملوك أوجبت عتقه بعد الموت والرأى الدبرى الذى يكون من غير روية وكذلك الجواب الدبرى ودبرت الحديث اذا حدثت به عن غيرك وهو يدبر حديث فلان أى يرويه وكانوا يقولون نعوذ بالله من الرأى الدبرى والدبر اسم النحل واحدته دبرة وتجمع أيضا على دبور و يقال أيضا للزنابير دبر واحدته دبرة كذلك ومن أسماء النحل أيضا الخشرم واحدته خشرمة ومنهم من يقول لا واحد له من لفظه ومن الخشرم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم ذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه خرجه ثابت رحمه الله وقال الخشرم هنا مأوى الزنابير والنحل وقد يجىء فى الشعر الخشرم اسما لجماعة الزنابير قال طفيل

فقلت ألا ياهؤلاء وقد بدت * سوابقها كالخشرم المتحدب

ومن أسماء النحل أيضا الشول والنوب واللوب وسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ووقع فى السير من قول النجاشى رضى الله عنه دبر من ذهب و يروى دبر وفسره الدبر الجبل بلسان الحبشة وقال صاحب العين الدبر المال الكثير ويكون للواحد والاثنين والجمع والدبر أيضا صغار الجراد ومنه يقال مال دبر قاله أبو حنيفة والدبران نجم يدبر الثريا أى يتبعها * ومقلوب دبر بدر البدر ليلة أربع عشرة وتقول بدر فلان اذا سبق اليه وكذلك ابتدره وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر من لقيه بالسلام والبادرة ما يبدر من حدة الرجل والبادرتان جانبا الكركرتين وفى الحديث ترجف بوادره قال ابن قتيبة هى جمع بادرة وهى لحمة بين المنكب

بدر

برد

والعنق وكذلك هي من الفرس وغيره * ومن مقلوبه برد من قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فسرها هنا بالنوم ويقال في مثل (منع البرد البرد) فالاول هو البرد المعلوم والثاني النوم ومن البرد المعلوم قوله تعالى كوني بردا وسلاما على ابراهيم ومن شكله برد من قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وبرد واحد البرود العصب وهي نوع من الاردية رقاق والبردة أيضا كساء يلتحف به ومن هذا في الحديث كثير والبرد جمع بريد والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أيضا الرسول على دواب البريد ويجمع أيضا على برد ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحبس بالعهد ولا أحبس البرد وتقول ضربته حتى برد أي مات وفي حديث أبي جهل فضربه ابنا عفراء حتى برد وبرد الشيء يبرد وبردته أنا وبرد الحديد سحله بالمبرد وبرد عينه بالكحل يبردها واسم الكحل البرود وسحاب برد ذو قر وبرد القوم أصابهم البرد وبرد عليه كذا زمه وأبرد القوم ساروا في آخر النهار ومنه الابراد بصلاة الظهر في شدة الحر والابردان الغداة والعشي ومن شكل بردتردى أعني في الصورة لا في الوزن وكذا أفعل بمثله مهما أذكره فلا تنكره من قوله تعالى ومايغني عنه ماله اذا تردى

درب

* ومعكوس بردرب وهو باب السكة الواسع وكل مدخل الى الروم درب وتقول فلان درب بكذا اذا كان حاذقا كيسا والدربة العادة

ذرب

* ومن شكل درب ذرب والذرب الحاد من كل شيء يقال لسان ذرب وسنان ذرب ومذروب ومذرب وقد ذرب ذربا وذرابة وقوم ذرب وامرأة ذربة سليطة وتذريب السيف أن ينقع في السم ثم يشحذ وسم ذرب وذرب الجرح اتسع ولم يقبل البرء والذرب من الامراض التي لا تبرأ وذربت معدته ذربا اذا فسدت

ذبر

* ومن مقلوب هذه اللفظة ويشبه نحو ما تقدم ذبر تقول ذبر يذبر ذبرا كتب ويقال قرأ ويقال الذبور الفقه بالشيء ومن شكله ذبر الكتاب مثل زبر يزبر بالضم ويزبر بالكسر قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول أنا أعرف بزبرتي أي بخطي وكتابتي والزبر الكتاب والجمع زبر وزبور وقرأ بعضهم وآتينا داود زبورا بضم الزاي ومن قرأ زبورا فهو كتابه صلى الله عليه وسلم هذا بالزاي ويقال بالذال ذبرت الكتاب كما تقدم أذبره وأذبره بالضم والكسر ذبرا قال أبو ذؤيب

عرفت الديار كرقم الدواة يذبرها الكاتب الحميري

ر بذ

يذبرها بالذال وبكسر الباء وضمهما * ومعكوس هذه اللفظة ربذ الربذخفة

الرجل واليد فى المشى والعمل يقال انه لربذ والربذة صوفة يهنأ بها البعير والربذة خرقة الحائض وربذة الصائغ خرقة يمسح بها ويقال رجل ربذة لا خير عنده والربذة عهنة تعلق على البعير والربذة أيضا موضع معلوم فيه كان يسكن أبو ذر رحمه الله *ومن مقلوبه بذر الحب يبذره بذرا زرعه والبذر ما زرع والجمع بذور والبذر النسل ورجل بذور وبذير وقد بذر بذارة اذا لم يمسك سرا وبذر اذا أفسد ماله وأنفقه فى السرف وبذر اسم بئر من بئار مكة شرفها الله تعالى حفرها هاشم بن عبد مناف *ومن شكل بذر نذر النذر ما ينذره الانسان على نفسه والمصدر النذر ومنه الحديث ولا نذر فيما لا يملك والنذير اسم الذى يعطى والنذار اسم للانذار يقال أنذر بكذا أى أعلم وأنذرتهم فنذروا أى علموا والنذر جماعة النذير وفى التنزيل كذبت ثمود بالنذر وفى هذه السورة فكيف كان عذابى ونذر وهو بمعنى انذارى والله أعلم *ومن شكله ذئر ذئر الرجل يذأر ذأرا اغتاظ وامرأة ذائر أى ناشز ومنه الحديث ذئر النساء على أزواجهن قال الاصمعى نفرن ونشزن واجتر أن يقال منه امرأة ذائر على فاعل مثل الرجل قال عبيد

ولقد أتانى عن تميم انهم * ذئروا لمقتل عامر وتعصبوا

يعنى نفروا من ذلك وأنكروه ويقال ذئر الرجل فزع وأذأرته ألجأته ومن شكل زيد الاول زئد الرجل اذا فزع فهو مزؤد ومنه قول الشاعر

حملت به فى ليلة مزؤدة * كرها وعقد نظامها لم يحلل

وريد بالراء قال صاحب العين الريد الحيد فى الجبل وهو الحرف الناتئ فيه والجمع ريود *ومعكوس هذه اللفظة دير وهو معروف دار الحمار وساكنه ديرانى وديار ومقلوبه ردى الرجل يردى فهو ردٍ اذا هلك وأرداه الله ومنه قوله تعالى واتبع هواه فتردى وتردى فى هوة تهوّر فيها وتردى بالرداء وارتدى به والردى مصدر قولك ردت الخيل ردياً وردياناً والرديان مشى الحمار من آريه الى متمعكه ورديت الشئ بالمرداة كسرته والمرداة الصخرة وهو مردى حرب وتقول أردى الشئ على غيره أربى عليه والمرادى المرامى والردىء بالهمز ضد الجيد وفعله بالواو تقول ردو الشئ رداءة فهو ردىء ورجل مردى اذا فعل فعلا رديئا وردأت الرجل بكذا جعلت له قوة والاسم الردء من قوله تعالى ردأ يصدقنى وتقول أردأته أعنته *ومن شكل زيد رئد يقال رئدت المتاع رئدا نضدته ورئد البيت اسقاطه ومرئد اسم رجل

بذر

نذر

ذئر

زئد

ريد

دير

ردى

رئد

دثر ثرد

والمرثد أيضا من أسماء الاسد * ومعكوس هذا دثر الشئ درس والدثار ما يتدثر به * ومن مقلوب رثد ثرد يقال ثردت الذبيحة بالتشديد قتلتها من غير أن تفرى أوداجها والثرد الفت والثريدة معروفة ويقال أيضا ثريد ومنه الحديث فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذه جملة علم خرجت من لفظة زيد وقيدت لك فى هذا الكتاب بقيد بدأت لك فيها أيها الطالب المريد بالثريد وبه ختمت هذا الفصل اذ هو الاصل وجاء فى الحديث تفضيله وسيأتيك تفصيله فهو اذا أول ما يجب تحصيله فان عدمت ثريد الطعام فدونك ثريد الكلام اجتز بحولك القصيد عن لولئ العصيد و بصحائف العلوم عن صحاف الطعوم و بتعريف صفات الاعراب وتصريف لغات الأعراب عن الطعام والشراب

فقوت الروح أرواح المعانى * وليس بأن طعمت وأن شربتا

وكن فى العلم طويل الباع و فى الطعم قليل الاتساع اكتف بالكف من الصاع و بالظلف من الذراع فان الحر يجزأ بالكراع

هذا الكلام قد أتى كما ترى * جميعه حق وليس مفترى
ممسكا مسوكا معطرا * ملخصا مخلصا محبرا
مرصعا مسجعا مفقرا * فاقرأه فهو ممتع لمن قرا
فيه قرى للضيف يوما ان عرا * كما أتى فى مثل قبل جرى
يحفظه أهل البوادى والقرى * ان الحديث طرف من القرى

وها أنا أصنع بعمرو ما صنعت بزيد فليهنك الصيد لكن على ايثار التقليل على الاكثار وحذر التثقيل فى القيل خشية العثار فأقول عمرو اسم لرجل فيكون مأخوذا من العمر الذى هو الكم يقال سجد على عمر به أى على كميه أو من العمر الذى هو احد عمور الاسنان وهو مابدا من اللثة وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن السواك مازال جبريل يوصينى به حتى خشيت على عمورى وهو اللحم الذى بين الاسنان كما تقدم أو يكون من العمر الذى هو القرط أو الشنف كما قال التنوخى وهو المعرى

مطلب مايخرج من عمرو

وعمر هند كان الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

يقول قرط هذه المرأة يعنت القلوب و يعذبها كما يفعل عمرو بن هند بقومه وله خبر يطول أو يكون أخذ من العمر أعنى عمر الانسان يقال فيه عمر وعمر وعمر

فهذه

فهذه أربعة أوجه ذكرها الاستاذ رحمه الله قال وزاد صاحب كتاب العين وجها خامسا فقال العمر ضرب من النخل طويل ويقال فيه عمر أيضا قال وكان ابن أبي ليلى يستاك بعسيب العمر فان صرفت من هذه اللفظة فعلا خرجت الى معنى غيره مثل عمر فلان داره وعمر أرضه وعمره الله فيها وعمر طويلا وغير ذلك العمارة وتخرج الى معنى آخر تقول عمرت الارض عمارة فهي عامرة ومعمورة والعمارة أجر العمارة والعمرة في الحج معروفة والعمار كل شئ على الرأس من قلنسوة أو تاج ويقال العمار الريحان والمعتمر في الحج من العمرة كما تقدم والمعتمر أيضا المعمر والمعتمر الزائر كما قال (وراكب جاء من تثليث معتمر) والعمارة والعمارة أصغر من القبيلة والعمرى أن تجعل للرجل الشئ عمرك أو عمره وأعمرت الارض وجدتها عامرة وكنت بعمر ترضاه أي بمنزل ومنه قول الشاعر

يالك من قنبرة بعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

وعمر وكثير في الصحابة وكذلك عمرو أعلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفضله كثير وشرفه كبير رضي الله عنه وعن جميع أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فائدة زائدة) الذي قال يالك من قنبرة هو كليب بن وائل كان له حمى يرعى فيه ابله وابل صهره جساس فنزل رجل من جرهم على البسوس وهي خالة جساس وكانت له ناقة فكان يرسلها في الحمى مع ابل جساس فطاف كليب يوما في حماه مع جساس فرأى قنبرة قد عششت في الحمى وباضت فطارت ورفرفت على العش وصرصرت فقال كليب الابيات وله خبر طويل من أنه كيف عقرت الناقة وقتل عاقرها وهاجت حرب البسوس الذي يضرب به المثل فان عكست لفظة عمرو جاء منه رمع رمع تقول رمع الرجل رمعانا اذا تحرك والرماعة ما تحرك من رأس الصبي الصغير والرماعة الاست والبرامع الحصى البيض واحدها برمع ويقال الحجارة الرخوة ورمع منزل بعينه ذكر ذلك صاحب العين وفي الطرة في المصنف رمع أنف الرجل يرمع رمعانا اذا تحرك من غضب فان قلبت جاء منه مرع يمرع مرعا وهو الكلأ وقد أمرع مرع القوم أصابوا الكلأ وأمرع الوادي ومرع اذا أكلأ فهو ممرع والمريع الخصيب ومن أمثالهم (أمرعت فانزل) والمرع الاسم والمرعة طائر صغير والجمع المرع وتقلبه أيضا فيجيء منه معر الظفر يمعر اذا انصل من شئ أصابه ومعر رأس الرجل

وأمعر ذهب شعره وأمعرت الارض اذا لم يكن فيها نبات وأمعر الرجل افتقر وتمعر وجهه وفى الحديث فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه تغير وتقلبه

عرم أيضا فتقول عرم الانسان يعرم فهو عارم وعرم والعرم المسناة وفى التنزيل سيل العرم وفسر كذا بالمسناة وهى السد والعرمة السكر وهى السد أيضا وجمعها عرم وقيل اسم للوادى قاله عطاء وقيل هو الجرذ الذى خرب السد وقيل هو صفة للسيل من العرامة وقيل غير ذلك والله أعلم وسيأتى والعرم الحيات المنقطة بالحمرة والسواد والعرمة الكدس المدوس ليذرى والعرمرم الجيش الكثير والعرمرم الشديد الحجمة وقد تقدم العمر والعمر والكلام عليهما وتقلبه أيضا فتقول لرعم

رعم الشمس يرعمها اذا راقب غيوبتها ورعمت الشاة ترعم اذا سال من أنفها الرعام فهى رعوم وفى الحديث من هذا صل فى مراحها يعنى الغنم وامسح الرعام ويروى فى هذا الموضع وامسح الرغام بالغين المنقوطة وفتح الراء وهو التراب اللين والثرى وسيأتى ورعوم اسم امرأة وكذلك رعمى ومرعم اسم بلدة قاله البكرى

غمر فى المعجم فان نقطت العين من عمر جاء منه غمر وهو الماء الكثير والجمع غمار والاغمار الاغتماس وفى الحديث انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر الحديث وفرس غمر سريع والغمر السيد الجواد والغمر موضع بحيزتيماء قال حميد بن ثور * نظرت بوادى الغمر والليل مقبل * والغمر أيضا بئر بمكة لبنى سليم وغمير وغمرة موضعان وغمازة بضم أوله وبزاى بئر معروفة بين البصرة والبحرين قاله البكرى والغمرة غمرة الحرب وغمرة الماء وغيرها والمغامر الذى يرمى بنفسه فى الغمرة وغمار الناس جماعتهم والغمر بضم الغين الذى لم يجرب الامور وبكسرها الحقد وقال ابن السيد يقال فى هذا غمر للرجل الذى لم يجرب الامور وغمر بضم الغين والميم وغمر بفتحهما والغمر بفتح الغين والميم ريح اللحم والغمر بضم الغين وفتح الميم قدح صغير وكذلك التغمر أقل الشرب ويقال دار غامرة أى خراب

غرم وكذلك الارض وهى ضد العامرة وتقلب هذه اللفظة فتقول غرم غرما ومغرما وفى التنزيل فهم من مغرم مثقلون والغريم الغارم والغرام العذاب اللازم قاله صاحب العين والمراغمة الهجران والمراغم المتسع وفى التنزيل يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة وفى التفسير المراغم والمهاجر واحد يقال راغمت وهاجرت وأصله أن الرجل كان اذا أسلم خرج من قومه مراغما أى مغاضبا مقاطعا ومن

مغرة مرغ

مقلوبها المغرة طين أحمر وثوب ممغر والامغر الاحمر الوجه والشعر ومن مقلوبها المرغ الاسباغ بالدهن وقد مرغ عرضه ومراغ الابل مترغها وفى الحديث من هذا اقول هما رحين أجنب فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة وفى لفظ آخر فتمعكت فى التراب ثم صليت ومراغة اسم بلدة والبها ينسب المراغى أنشدنى الحافظ رحمه الله قال أنشدنى أبو المظفر لنفسه فى أبى النجيب المراغى

شعر المراغى وحوشيته * كعلم أسلمه أسقمه
يلزم ماليس له لازما * لكنه يترك مايلزمه

غمز

فان جعلت الراء زايا قلت غمز والغمز الاشارة بالجفن وفى التنزيل واذا مروا بهم يتغامزون والغمز العصر باليد ومنه فى الحديث فيغمزنى فأفتح عليه ونحن نصلى وكذلك فغمزه رجل الى جنبه هذا كله باليد لا بالجفن والغميزة ضعف فى العمل والمغمز المطعن قال الاخطل

أكلت القطاط فأفنيتها * فهل فى الخنانيص من مغمز

يقوله فى رجل يهجوه ويهزأ به ومنه قولهم ليس فى فلان غمزة أى مطعن والمغموز المتهم والغمز فى الدابة ان تغمز من رجلها يريد تعرج والغمز بالتحريك رذل المال قاله الاصمعى ورجل غمز أيضا ضعيف وقد تقدم غمازة اسم بئر ومن مقلوبه

رغم

رغم بغين منقوطة والترغم التكذب والتغضب أيضا مع كلام والترغم حنين خفى كما يترغم الفصيل فان صحفت لفظة عمرو وجعلت منه مكان الراء زايا جاء منه

معز زعم

معز وذلك معلوم ويقال لها المعزى والمعزاة والمعيز والامعوز جماعة التيوس من الظباء ويأتى من معكوس هذه اللفظة زعم ومعناه قال والزعم والزعم القول وهو الظن أيضا وقرأ الكسائى هذا الله بزعمهم بضم الزاى والزعيم الكفيل وفى القرآن وأنا به زعيم وفى الحديث الزعيم غارم والزعيم ايضا السيد والزعامة السيادة وسيأتى قول لبيد والزعامة للغلام ويأتى من هذه اللفظة عزم وفى القرآن فاذا عزم الامر وفى مثل (قد أحزم لو أعزم) ويقال فلان ذو عزم وذو عزيمة وذو عزيم ومن

عزم

مقلوبها زمع هنة شبيه أظفار الغنم فى الرسغ ويقال الزمع الشعرات التى خلف الثنة والزمع رذال الناس واتباعهم والجمع أزماع والزميع الشجاع والزميع السريع وأزمعت السير عزمت عليه وفى الحديث من هذا اذا أزمع السير وهو الزماع وأزمع النبت اذا كان قطعا متفرقة وزمعة اسم رجل والد احدى نسوة النبى صلى الله

زمع

عليه وسلم سودة بنت زمعة قال أبو عبيد البكرى زمع ساكنة الميم من منازل حمير باليمن ومن مقلوبها مزع الفرس والظبى مزعا اذا أسرعا والمرأة تمزع القطن اذا قطعته ثم ألقته والمزعة قطعة من لحم وتكون من الريش والقطن ومزعت اللحم فرقته ويقال فلان يتمزع غيظا أى يتقطع والمزعة بقية من دسم انتهى الكلام فى عمرو كما انتهى فى زيد بعون من به القوة والايد وذلك على حد الاقتصار على الاختصار وان أردت التطويل والتكثير بالتذييل لما وقع فى الفصلين من القال والقيل فدونك فصلا جزلا فى تذييل بعض اللغات بما جاء منها فى القرآن العزيز من الآيات وايصالها بالحديث والحكايات لكن أيضا على نوع من التقصى عن التقصى اذ لو تتبع ما فيها من الكلام الى التمام لآل الى الملال لكن اقنع بما أوتيته ياغلام والسلام وانما أكتب ما قضى لى ان أكتب فلا تلم ولا تعتب

مزع

قصة زيد بن حارثة

(فصل) تقدم فى الباب الاول ذكر زيد وقيدته لك كما ذكرت بقيد جاء فى القرآن العزيز هذا الاسم منصوصا وخص به صاحبه دون الناس خصوصا ولا أعلم فى القرآن من جاء اسمه مصرحا به وليس بنبى غيره وهذه فضيلة فى حقه رضى الله عنه قال تعالى فى حقه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها هو زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم به حكيم بن حزام بن خويلد من الشام فى جملة رقيق فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ياعمة اختارى أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحى فيرجى أم أتى دونه الاجل
فو الله ما أدرى وانى لسائل * أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل
وياليت شعرى هل لك الدهر أوبة * فحسبى من الدنيا رجوعك لى عمل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه اذا قارب الطفل
وان هبت الارياح هيجن ذكره * فيا طول ما حزنى عليه وما وجل
سأعمل نص العيس فى الارض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل
حياتى أو تأتى على منيتى * فكل امرئ فان وان غره الأمل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلم وصلى معه وكان أول

من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب أسلم وهو ابن عشر سنين وزيد هذا أسلم بعد علي وهو أيضا صغير وأول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال الكبار أبو بكر الصديق رضي الله عنه و بلال مولاه رضي الله عنهم فلما قدم حارثة هذا على ابنه زيد خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت فأقم عندي وان شئت فانطلق مع أبيك فقال بل أقيم عندك فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يدعى زيد بن محمد فلما أنزل الله تعالى أدعوهم لآبائهم قال أنا زيد بن حارثة وهو زوج زينب التي قال الله تعالى فيها فلما قضى زيد منها وطرا الآية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وسيأتي طرف من خبرها وتزوج هو أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها بركة ولدت له أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل زيد يوم مؤتة أميرا مع جعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ذكر معنى هذا الكلام محمد بن اسحاق وفي زيد قال عليه الصلاة والسلام وأيم الله ان كان لاحب الناس الي وايم الله ان هذا يعني أسامة لاحبهم الي من بعده وأوصيكم به فانه من صالحيكم ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفضله في العطاء على ابنه عبد الله بن عمر فكان يعطيه خمسة آلاف ولابنه عبد الله بن عمر ألفين فقال له ابن عمر فضلت علي أسامة وقد شهدت ما لم يشهد فقال ان أسامة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك وأبوه كان أحب اليه من أبيك وسيأتي طرف من ذكره وذكر أبيه في باب الفاء ان شاء الله تعالى رضي الله عنهم أجمعين وجزاهم خيرا على صنيعهم * تقدم ان زيدا قتل يوم مؤتة شهيدا وكان قد نجاه الله قبل ذلك من القتل جاء في فضائله رضي الله عنه انه اكترى من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه المكاري أن ينزله حيث شاء فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما أراد أن يقتله قال دعني أصل ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت يا أرحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله قال فهاب ذلك فخرج فطلب فلم ير شيئا فرجع الي فناديت يا أرحم الراحمين ففعل ذلك ثلاثا فاذا أنا بفارس على فرس بيده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في السماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك (قلت) وكما كان زيد حب

حكاية زيد مع اللص

رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبه (بلغه ان أم قرفة) كانت تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمكنه الله منها قتلها قتلا عنيفا كذا قال ابن اسحاق وفسر غيره القتل العنيف قال ربطها بفرسين ثم أجريا بها حتى ماتت وذكر أبو عبيد فى كتاب الاموال ان أم قرفة ارتدت فقتلها أبو بكر رضى الله عنه وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت وجمعت النساء يضرب بالدفوف لعنها الله (قلت) خلاف المرزبانة رضى الله عنها لما بلغها موته صلى الله عليه وسلم بصنعاء اجتمعت مع نساء الابناء فشققن الجيوب وضربن الخدود وأما المرزبانة فشقت درعها من بين يديها ومن خلفها رضى الله عنهن أجمع ولم يرتد من الابناء أحد والحمد لله رب العالمين وتنبأ فيهم الاسود العنسى لعنه الله وغلب على المرزبانة فاحتالت فى قتله على ما يأتى فى باب اللام ان شاء الله تعالى وأم قرفة هذه التى ضرب بها المثل فى الامتناع فيقال (امنع من أم قرفة) كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا كلهم لها ذو رحم محرم واسمها فاطمة بنت بدر وكنيت بابنها قرفة الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم وكان لها سوا بنون تسعة قتلوا مع طليحة يوم بزاخة وبنتها هى التى خرجت فى سهم سلمة بن الاكوع فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فقال هى لك يا رسول الله ففدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا كان فى قريش من المسلمين خرج حديث هذه المرأة أبو داود رحمه الله وفى السير انه صلى الله عليه وسلم أهداها لخاله حزن بن وهب فولدت له عبد الرحمن والحمد لله وممن كان لها منعة وعز فى قومها عجوز لبنى رئام تسمى خويلة كان يدخل عليها أربعون رجلا كلهم لها محرم بنو اخوة وبنو أخوات وكانت مع ذلك عقيما وكانت هند بنت صعصعة عمة الفرزدق تقول من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتى يحل لها أن تضع عندهم خمارها فصرمتى لها أبى صعصعة وأخى غالب وخالى الاقرع بن حابس وزوجى الزبرقان بن بدر فسميت ذات الخمار وتقدم ريد وفسر أنه الريحان وفى القرآن ذكر الريحان قال الله تعالى والحب ذو العصف والريحان والعصف ورق الزرع والريحان الرزق وكذلك فروح وريحان قيل فيه الرزق وقيل الاستراحة وقال الحسن ريحانكم هذا وقال أبو العالية لم يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض وقال الحسن يقبض الملك نفس المؤمن فى ريحانة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قتل أم قرفة

الابناء قوم من العجم سكنوا اليمن ومن أراد معرفتهم فليرجع الى تاريخ الخميس ص ١٩٣ من الجزء الاول

قال من عرض عليه ريحان فلا يردّه فانه طيب الريح خفيف المحمل وفى التفسير ان عصا موسى عليه السلام كانت من ورق آس الجنة من أحد الخيوط المستطيلة فى وسط الورقة وان طولها اثنا عشر ذراعا بذراع موسى عليه السلام وفى الشعر من قول الهذلى

تالله يبقى على الايام ذوحيد * بمشمخر به الظيان والآس

وتقدّم زند العظم الذى فى الذراع وجاء منه فى الحديث عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال انكسر احد زندى فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمسح على الجبائر ذكره الدارقطنى وذكر علته وفى صفته صلى الله عليه وسلم طويل الزندين والزند هو طرف الذراع من الكف وهما زندان الكوع وهو الذى يلى الابهام والكرسوع وهو الذى يلى الخنصر والزند الذى يقدح به النار هو الاعلى والزندة هى السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان وتقدّم أربد وربد وهو لون الى الدبسة والغبرة وفى الحديث عليهم ثياب ربد ويروى رمد وهو لون الرماد والباء تبدل من الميم وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى وتقدّم الزبد وهو الرفد وتقدّم الحديث فيه أنه عليه الصلاة والسلام قال ونهيت عن زبد المشركين يقال زبدته زبدا أعطيته والزبد بضم الزاى معلوم وهو خلاصة السمن وفى الحديث دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقربنا اليه تمرا وزبدا وكان يحب التمر والزبد صلى الله عليه وسلم وتقدّم دنر وجهه اذا أشرق كالدينار وأصل دينار دنار بالتشديد أبدل من أحد حرفى تضعيفه ياء وبنو دينار قوم معروفون والوجه يوصف بالدينار لا للاصفرار ولا للاحمرار لكن للاشراق وعلو المقدار وفى رسالة الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه يا أوجه الدنانير هل عندكم سنانير وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى وقد تكلم الناس فى الدينار الذى هو سبب دخول الجنة أو صلى النار فمنهم من ذمه فوهبه ومنهم من ضمه وكان مذهبه ومنهم من جمع بين الصفتين لمعنى به معنيين ويكفيك فى ذلك قول الحريرى رحمه الله مدح وقدح وجذب وحرب قال فى مدحه (أكرم به أصفر راقت صفرته) وقال فى ذمه

تباله من خادع مماذق * أصفر ذى وجهين كالمنافق

الى آخرها وقال غيره يذمه

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى

والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار

ذكر الدينار

وأنشد فى بعض الاصحاب

يختبر الدينار فى بيدق * والدرهم الزائف اذ يتهم
والمرء ان رمت اختباره له * بيدقه الدينار والدرهم
من عف عن هذا وهذا معا * فهو التقى الورع المسلم

وله رضى الله عنه

ان المذمة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم
شغف الانام بذمه وبضمه * فلتعجبوا لمذم مضموم

وفى هذا المعنى

كلام الناس أن أرادوا * عطاء شاع فيهم واستمرا
ولكن ذا لكم فى غير دين * وفى الدينار نص الدين أرا
كما فى درهم قل درهم * وذا قال فأقدم أو ففرا
ومهر دعكسه والهرد قطع * وكسر فاجتنب قطعا وكسرا
فكم قوم أرادوا ضم هذا * الى هذا فأمسى الكل أسرى

ولى من قطعة

وقد يحسب المرء أن الغنى * اكتساب الحطام وجمع النشب
وهيهات والله ان الغنى * غنى النفس لا رقة أو ذهب
ولو علم الناس ما فيهما * من الشؤم فروا فرار السحب
ولو لم يكن غير لفظهما * كفى من له مسكة من أدب
ففى الرقة الرق حكما كما * ترى فى هجاء الذهاب الذهب
ودينار ان قلت فالنار فيه وفى الدرهم الهم فاطلب تصب
وما سمى المال الا لما * يميل لذا ولذا ينقلب

قلت ان الغنى غنى النفس أخذته من قول الرسول عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن انما الغنى غنى النفس فان بغنى النفس يستريح الانسان وبغنى العرض يقع فى الطغيان كما قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وأحسن ما رأيت فى هذا المعنى قول من نسيه صديقه من أهل الغنى

أظنك أطغاك الغنى ففسيتنى * ونفسك والدنيا الدنية قد تنسى
فان كنت تعلو عند نفسك بالغنى * فانى سيعلينى عليك غنى نفسى

وقلت

(وقلت هذا أيضا) قبل أن أرى شعر المعرى ثم رأيته فاذا فيه هذا الغرض قال رحمه الله

وما نلت مالاقط الا ومال بى * ولا درهما الا ودل الهم

ولذلك قالوا مازاد على الكفاف فهو فقر لانك تفتقر الى حفظه والى تثميره والغنى على الحقيقة هو الكفاف الم تسمع قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انى أسألك غناى وغنى مولاى قال الشاعر

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة * فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

ولى أيضا من قطعة أخرى مطولة كذلك وقد رأيت رجلا اهتم بدرهم أعطى من داره لاناس فى ختان أو نفاس

درهم ان منك أخرج درهم * فى سرور فكيف تصنع فى الهم

ولى أيضا من نوع ما تقدم

درهم يا صاح تحييف درهم * فاكتسبه ان كنت تحتمل الهم

ثم معكوسه مهرد فاعلم * وهو فأل فمر عليه أواحجم

هبك تقوى على احتمالك للهم * أمهرد يأتى عليك وتسلم

يا أخى اسمع وصاة خلك وافهم * ثم اختر لنفسك الامر الاقوم

اجتلبه تقدم على ما تقدم * اجتنبه تسلم وتظفر وتغنم

وسئلت تذييل هذين البيتين

اذا ما شئت أن تنعم * بلا هم ولا مأثم

فلا تخنع على حال * الى الدينار والدرهم

فقلت وخل الناس لا تعنى * بأمرهم ولا تهتم

ولا تشغل بذكرهم * بمدح فيهم أو ذم

فكل مضرة تأتى * فمن قبل الذى تعلم

تجنب كل من تدرى * لعلك منه أن تسلم

فصحبته أضر عليك يا هذا من الابهم

وأنشدنى الشيخ الفقيه أبو محمد العثمانى رحمه الله لبعض الشعراء يمدح أحد الملوك وكان يرمى عدوه فى حال القتال بسهام من ذهب

وقد صاغ من ذهب نصله * فأبدى من المن ما لم يمن

يداوى الجريح به جرحه * ويشرى به للقتيل الكفن

ولى فى مدحه فى غرض عرض بعد سلام وكلام

فقالوا ان تشا تغلبه وجه * له من وجهه أبدا جميل
ومن ان جاء والابواب سدت * اذا فتحت وكان له دخول
ومن فى صحبته غدت نقوش * اذا لاحت فقد راحت عقول
ومن ان تلق ذا وجه عبوس * به يشرق وكان له قبول
ومن يقضى الحوائج كل وقت * وفى أفنائه ظل ظليل
ومن عظمت منافعه وجلت * وماليكه به أضحى يصول
وأصبح من حواه عز يزقوم * ولولاه لقيل هو الذليل
به تمتاز قيمة كل شئ * وتبتاع الفروع بل الاصول
ولولاه لما وليت ولاة * ولولاه لما قالت قيول
ولولاه استوى جود و بخل * ولم يدر الجواد ولا البخيل
هو الدينار يدرك كل أمر * به وينال مأمول وسول

الى آخر الشعر وهو ستون بيتا انظرها فى التكميل * وقع فى الشعر (قالت) ومعناه ملكت ومنه القيل وسيأتى سبحان الذى تعطف بالعز وقال به يعنى ملك وتقدم بيتان فى الكلام على الشعر وفضله وهذا موضعهما أيضا الان فيهما منفعة الدراهم وهما

اذا شئت أن تلقى أخالك معبسا * وجداه فى الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما فى يديه فانما * تكشف أخلاق الرجال الدراهم

فضل الغنى

(قلت) وما أحسن الدينار اذا وقى المرء به نفسه من النار وقدمه أمامه ولم يتخذه كنزا يكوى به جنبه وجبهته وظهره يوم القيامه ألم تسمع قول الرسول عليه الصلاة والسلام نعما بالمال الصالح للرجل الصالح يريد الذى ينفقه فى سبيل الله والله أعلم كما كان لسعد بن عبادة جفنة كل يوم مملوءة طعاما يبعث بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدور معه حيث دار من نسائه ويقول اللهم ارزقنى مالا فانه لا تصلح الفعال الا بالمال (وقال بعضهم) انه ليس بكسب المال باس اذا كان من وجهه وصان به وجهه عن الناس ألم تسمع قول بعض الحكماء خصلتان لا تزال بخير ما حفظتهما دارهمك لمعاشك ودينك لمعادك (وقال سعيد بن المسيب) رضى الله عنه لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يعطى منه حقه ويكف به وجهه عن الناس وكان سعيد هذا أحد العباد والزهاد وسيأتى حديثه وكيف كان لا يأخذ

من

من أحد شيئا لا دينارا ولا درهما وكيف أتى بنيف وثلاثين ألفا فلم يأخذها وخرج أبو أحمد بن عدى عن محمد بن المنكدر عن جابر (قال قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وعلى أهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان من نفقة فى بنيان أو معصية (قيل لابن المنكدر) ما الذى وقى الرجل به عرضه قال يعطى الشاعر أو ذا اللسان وخرج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمه أجرا الذى أنفقته على أهلك (وعن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال) ما أحب أن عندى مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله وتمسى ثالثة وعندى منه دينار الا دينارا أرصده لدين الا أن أقول به فى عباد الله هكذا حثا بين يديه وهكذا حثا عن يمينه وهكذا عن شماله (وذكر الحديث وفى حديث آخر) تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم (وقالت عائشة رضى الله عنها) ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما وكذلك قال فى حياته صلى الله عليه وسلم لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما (وخرج أبو طالب فى القوت) روينا فى الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وأنشد ثعلب رحمه الله

اذا كنت ذا مال ولم تك منفقا * فأنت اذا والمقترون سواء

على ان للاموال يوما تباعة * على أهلها والمقترون براء

(قلت) التباعة المذكورة فى هذا البيت هى على الذى يكنزه ولا يؤدى زكاته فتكوى به جبهته وجنبه والفقير برىء من هذا كما قال الشاعر

ما ان سمعت بعائل تكوى غدا * فى النار جبهته على الاقلال

واذا أردت صحيح من يكوى بها * فاقرأ عقيبة سورة الانفال

ولما مات الاسكندر جعل فى تابوت من ذهب فاجتمع الحكماء لموته فقال أحدهم كان الاسكندر يخبأ الذهب فأصبح الذهب يخبأ الاسكندر (وقال آخر) ان الذهب كان كنز الاسكندر وان الاسكندر قد أصبح كنز الذهب وجاء من ذكر الكنز فى الحديث يجىء كنز أحدكم يوم القيامة شجاعا أقرع وجاء من كان له مال ولم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطلبه حتى يمكنه يقول أنا

كنزك وجاء خير ما يكنز المرء المرأة الصالحة وسيأتي عند ذكر النساء (وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم) من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس ولا تناله السراق فليفعل فان قلب الرجل مع كنزه وأنشد في الحافظ رحمه الله لنفسه

تبا لمن آتاه رب العلى * مالا ولم يرزقه انفاقه
فالمال كالآل متى لم يكن * بين الانفاق اشراقه

وكان الحسن رضي الله عنه يقول بئس الرفيقان الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقانك وكان يحلف بالله ما أعز أحد الدرهم الا أذله الله (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم (وأنشد في العثماني) رضي الله عنه قال أنشدنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الهاشمي الشريف الرضي رضي الله عنه

خذ من زمانك ما استطعت فانما * شركاؤك الايام والورثات
لم يقض حق المال الا معشر * وجدوا الزمان يعيث فيه فعاثوا
المال مال المرء ما بلغت به الشهوات أو دفعت به الاحداث
ما كان منه فاضلا عن قوته * فلهو قمن بأنه ميراث
اني لأعجب من أناس أمسكوا * بعلائق الدنيا وهن رثاث
كنزوا الكنوز وأغفلوا شهواتهم * فالارض تشبع والبطون غراث
مالي وللدنيا الخؤونة حاجة * فليخش ساحر كيدها النفاث
عاراتها منقوضة وعهودها * منكوثة وحبالها أنكاث
طلقتها ألفا لأحسم داءها * وطلاق من عزم الطلاق ثلاث

ما ورد من الحكايات في الدراهم

(قلت) والشيء يذكر بضده من أغرب ما رأيت في حب الدراهم ما يروى عن الحجاج أن عنبسة بن سعيد بن العاصي وكان عنبسة من خلصاء الحجاج بن يوسف فطلع له ابن فسماه الحجاج باسمه ودخل به على الحجاج يوما وهو طفل فأعطاه دراهم فسأله أن يشدها بخيط فلما شدها سأله المبالغة في الشد حتى عقد اثنتي عشرة عقدة فتعجب الناس من شأنه ثم دخل عنبسة على الحجاج فأخبره بشأنه فقال له ان رأيته أيها الامير فاسأله ما صنع بالدراهم فأرسل اليه الحجاج وقال له ما صنعت بالدراهم التي أعطيتك قال عمدت الى أغمض بيت في الدار فحفرت فيه حفرة ثم دفنت

الدراهم فيها وملأت البيت تبنا وقلت لها هذا آخر عهدك بالدنيا قال فما أردت بملأ البيت تبنا قال ان أرادها اللصوص لم يفرغوا من اخراج التبن حتى يدركهم الصباح فيفضحهم فازداد الحجاج عجبا من ضبطه وسر به ووهب له مالا (وقال اعرابي لرجل هب لي درهما فقال لقد سألت عزيزا الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دينك خرجه الخطابي وقال المزيد الكثير ومنه قولهم اذا كان المال ذا مزيد ففرقه في الاصناف الثمانية يعني الصدقة واذا كان قليلا فأعطه صنفا واحدا * ووقع في عيون الاخبار قال كان فلان بخيلا فكان اذا وقع في يده الدرهم نقره باصبعه ثم أخذه براحته ثم يقول كم مدينة قد دخلتها ودور قد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمي به في صندوق له فيكون آخر العهد به وذكر عن آخر أنه نظر الى درهم فاذا في شق لا اله الا الله وفي شق محمد رسول الله وفي وجه آخر الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال ما ينبغي أن يكون هذا الا معاذة وقذفه في الصندوق فكان آخر العهد به وكان آخر اذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه واستبطأه وفداه وكان يقول بأبي أنت وأمي كم من أرض قطعت وكم من كيس دخلت وكم من خامل رفعت لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في كيسه ويقول اسكن على اسم الله في مكان لا تزال فيه ولا تزعج عنه ويذكر أن ابليس لعنه الله أخذ أول دينار ضرب في الارض ووضعه على وجهه وقال بهذا أصطاد قلوب بني آدم (وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال) لما ضرب الدينار والدرهم أخذه ابليس فوضعه على عينيه وقال أنت ثمرة قلبي وقرة عيني بك أطغى وبك أكفر وبك أدخل النار رضيت من ابن آدم بحب الدينار أن يعبدني (قلت) نعوذ بالله من شر الذهب وشرا بليس الذي ذكره ذهب وجاء في الذهب (من قول أبي هريرة رضي الله عنه) لابنته قولي لأبي أبي أن يحلينى الذهب يخشى على حر اللهب (وقال يحيى) بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيتها فلا تأخذها فانها ان لدغتك قتلك سمها قيل ما رقيتها قال أخذها من حلها ووضعها في حقها (قلت) قوله ووضعها في حقها يريد أن لا تنفق الا في الواجبات لا في المنهيات ولا في المحرمات ولا في الملاهي والتنزهات كما يصنع أهل الدنيا يتخذون الاواني من الذهب والفضة ويقطعونهما الغزل والنسج في الستور وغيرها لكسوة الحيطان (وقد جاء النهي في ذلك) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول

قطع الذهب والفضة من الفساد فى الارض قيل معناه ماتقدم وقيل قطعه قرضه للانفاق اذا ضاق الصرف والاول أليق بالمعنى والله أعلم (وقد جاء فى الحديث) أنه نهى عليه الصلاة والسلام أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس ذكره أبو داود وذكر ضعف اسناده وجاء فى الشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم أعاذنا الله منها (وجاء فى الاثر) انه لما أخرج آدم عليه السلام من الجنة بكى عليه كل ما كان فى الجنة الا الذهب والفضة فقيل لهما فى ذلك فقالا لا نبكى على من عصى الله تعالى فقيل لهما أنتما الحكام فى الارض أو كما ورد الخبر والله أعلم (وقال أبو حامد رحمه الله) انما الذهب والفضة فى الارض بمنزلة الحكام بين الناس فاذا صنع من الذهب والفضة اناء فقد عطل الحكم عن حكمه بمنزلة من أخذ القاضى من الناس وصرفه فى مهنته وعطل الناس عن الوصول الى حقوقهم وقد كان يمكنه أن يصرف غيره فى ذلك كما كان يمكنه أن يتخذ اناء من فخار وهذا من قطع الذهب المنهى عنه فى الشرع أو كما قال رحمه الله هذا معنى كلامه والله أعلم (فصل) وأختم لك هذا الباب بحكايات غراب فيها ذكر الدرهم فاقرأ تفهم والحديث يجر بعضه بعضا فاسمعه أيضا (قال الاصمعى رحمه الله) حججت فررت على بعض المناهل فاذا بجارية تسأل الناس وكأن وجهها بدر طالع فقلت لها مثل هذا الوجه يسأل فأخرجت كفا لها من تحت خمار كأنه كف صبى ولطمت به وجهها ثم أنشأت تقول

لم أبده حتى تقضت حيلتى * فبذلته وهو الاعز الاكرم
قد صنته وحجبته حتى اذا * لم يبق لى سبد ومات الهيثم
أبرزته من خدره مقهورة * والله يشهد لى بذا لو يعلم
كشف الزمان قناعه فى بلدة * قل الصديق بها وعز الدرهم

ماله سبد ولا لبد بالتحريك فيهما أى لا قليل ولا كثير

فقلت لها من أنت فقالت أنا المتمناة بنت الهيثم الفزارى قال فرجعت من الحج على رحبة مالك بن طوق أريد الغزو وبها أبو كلثوم فحدثته الحديث ثم مضيت الى طرسوس فأقمت بها عامين ثم رجعت الى أبى كلثوم فاذا بصبى يدب ومعه خرقة فيها صرة لا يقدر على جرها فقال أبو كلثوم هذا ولد المتمناة بنت الهيثم الفزارى أنفذت الى بنى فزارة فوجدتها كما وصفت فتزوجتها وولدت لى هذا الصبى وهذه هديتها بحق دلالتك عليها فأخذت الصرة فاذا فيها مائتا دينار * قولها فى الشعر (وعز

الدرهم

الدرهم) معناه قل تريد الدرهم الحلال والله أعلم كما قال بعض الحكماء شيئان ليس في الدنيا أقل منهما ولا يزدادان الا قلة درهم من حلال تنفقه في وجهه وأخ ثقة تسكن اليه (وأغرب مما تقدم وأعجب) حديث سعيد بن المسيب مع صهره كثير ابن المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه وعن تلك الجماعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت أهلا فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفعل قال نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فسرت وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير أربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت الي فآتيتك قال لا أنت أحق أن تؤتى فقلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة من خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب وردّ الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمتها الى القصعة التي فيها الزيت والخل فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فناديت الجيران فجاؤني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم وقد جاء بها على غفلة فقالوا سعيد بن المسيب زوجك قلت نعم وها هي في الدار قال فنزلوا اليها و بلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها في ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل الناس واذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فردّ علي السلام ولم يكلمني حتى تقوّض أهل المجلس فلما لم يبق غيري قال ما حال ذلك الانسان قلت خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق و يكره العدو قال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين ألف درهم (قال

قصة زواج سعيد ابنته بدرهمين

الراوى) وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ابن عبد الملك حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه بمائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف وسيأتى خبره ولم ضرب ومن ضرب معه ونوع من هذا فى فرار الاولياء من الاغنياء (قصة الحسن بن أبى الحسن البصرى رضى الله عنه) قال حميد الطويل رحمه الله خطب رجل الى الحسن فكنت أنا السفير بينهما قال وكان قد رضيه فذهبت يوما أثنى عليه بين يديه فقلت يا أبا سعيد وأزيدك أن له خمسين ألف درهم قال له خمسون ألفا اجتمعت من حلال (قلت يا أبا سعيد) انه ما علمت لورع مسلم قال ان كان جمعها من حلال فقد ضن بها عن حق لا والله لا يجرى بينى و بينه صهر أبدا (واغرب من هذا) حديث أبى الدرداء رضى الله عنه وكان فقيها عالما حكيما كان يقول فيه يزيد بن معاوية ان أبا الدرداء من الحكماء الذين يشفون من الداء كانت له بنت خطبها يزيد بن معاوية فردّه فقال رجل من جلسائه أصلحك الله أتأذن لى أن أتزوجها قال اغرب ويلك قال ائذن لى أصلحك الله قال نعم قال فخطبها فأنكحها أبو الدرداء الرجل فسار ذلك فى الناس أن يزيد خطب الى أبى الدرداء فردّه وخطب اليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه (قال) فقال أبو الدرداء ما ظنك بالدرداء اذا قامت على رأسها الخصيان ونظرت فى بيوت يلتمع فيها بصرها أين دينها منها يومئذ * اسم أبى الدرداء عويمر بن عامر وكنى بابنته هذه واسمها الدرداء وسيأتى تفسير الدرد وبها أيضا كنيت أمها أم الدرداء امرأة أبى الدرداء واسمها خيرة بنت أبى حدرد وكانت خيرة عند اسمها وسيأتى خبرها فى باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله واسم أبى حدرد عبد * (فصل) * فى تفسير الرقة والدرهم وفى شرح الابهم أما الدرهم فذكر أهل اللغة أنه فارسى معرب وكسر الهاء لغة فيه وجمعه دراهم وربما قالوا درهام وجمعه دراهيم قال الشاعر

تفسير الرقة والورق

لو أن عندى مائتا درهام * لجاز فى آفاقها خيتامى

يقال خيتام وخاتام وخاتم بالفتح والكسر مثل طابع وطابع كله بمعنى والجمع الخواتيم كذا رأيته والقياس أن يجمع خاتم على خواتم بغير ياء ويجمع خاتام على خواتيم بالياء على قياس درهام ودراهيم كما قالوا مفتاح ومفاتيح (وأما الرقة) فذكر أبو عبيدة فى كتاب الاموال ان الورق ما كان سكة مضروبة فان كان

حليا أو حلية أو نقدا لم يسم ورقا يريد بهذه التفرقة أنه لا زكاة في الحلى واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر الزكاة قال في الرقة كذا وحين ذكر الرباقال الفضة بالفضة ربا ومثله قال الهروي قال الاستاذ رحمه الله فجاء في الحديث خلاف ماقال من ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الفضة بالفضة واباحته بيع الذهب بالورق فدل على أن الورق والفضة شيء واحد وقال في صفة الحوض يصب فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق وحديث عرفجة حين أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق الحديث فدل على أن الفضة تسمى ورقا على أي حال كانت (وجاء في الحديث أيضا) بالذهب العين والورق العين يريد النقد لان الغائب يسمى ضمارا ويسمى الحاضر عينا لموضع المعاينة فالعين في الاصل مصدر عنته أعينه اذا أبصرته بعينك وسمي المفعول بالمصدر ومنه نحو الصيد لانه مصدر صدت أصيد (وقد جاء في التنزيل) لا تقتلوا الصيد فسماه بالمصدر ولعلك أن تلحظ في هذا المطلع معنى العين من قوله تعالى ولتصنع على عيني (وقال أبو سليمان الخطابي) التبر جوهر الذهب والفضة يقال للقطعة منه تبرة مالم تطبع فاذا ضربت دراهم أو دنانير سميت عينا فسر به حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الذهب بالذهب تبرها وعينها والفضة بالفضة تبرها وعينها انتهى كلامه الورق بالكسر الفضة وحكى الفراء فيه ثلاث لغات ورق وورق وورق مثل كبد وكبد وكبد وكلة وكلة وكلة وجمع الرقة رقات ورقون والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة وفي مثل (وجدان الرقين يغطي أفن الافين) الافن الحمق يقول الغني وقاية للحمق والورق بفتح الواو والراء معلوم ورق الاشجار وغيرها والورق أيضا المال قال كثير

فما ورق الدنيا يدوم لاهلها * ولا شدة البلوى بضربة لازم

ويروى بباق لاهله والرقون بفتح الراء أيضا والرقان البرنا بفتح الياء مقصور ويقال البرناء بضم الياء والهمز والمد وهي الحناء والرقان الزعفران ويقال منه أيضا الرقون ويقال هو الحناء قال المعري * فاهتاج يكتب بالرقان ويعجم * (ومن أسماء الحناء أيضا) العلام ومنه قول المعري في رسالته البديعة في خبر ذكره غنيت عن كذا غناء الوصيف عن لبس النظيف والغلام عن الاختضاب بالعلام

بيان الايهم

وأما الايهم فواحد الايهمين ومازال الناس يستعيذون بالله من الايهمين وهما

السيل والحريق لانهما لا يهتدى فيهما كيف العمل كما لا يهتدى فى الهماء وهى الفلاة التى لا يهتدى لطرقها ولا ماء فيها والايهم البلد الذى لا علم فيه (قال ثابت رحمه الله) وقد قالوا فى تفسير الهماء المفازة لا ماء فيها وكأنه مقلوب من هيماء والله أعلم (وقال الخطابى) وذكر الاعميين اذ فسر حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تعوذوا بالله من الاعميين ومن قترة وما ولد قال يريد بالاعميين السيل والحريق وهما الايهمان أيضا وقال الشاعر

وهبت اخاءك للايهمين * وللأثرمين ولم تظلم

وسيأتى الشعر بكماله فى باب الطاء ان شاء الله وقال قترة اسم ابليس ويقال كنيته أبو قترة وقال ابن الاعرابى أبو قترة حية خبيثة وقال الاصمعى هو ذكر الافاعى وطوله نحو الشبر وقال صاحب كتاب تاج اللغة انه يقال للفلاة التى لا يهتدى فيها الطريق يهماء وللبر أيهم قال والايهم من الرجال الاصم والايهم الشجاع (قال أبو عبيد) بعد ذكر السيل والحريق وانما قيل له أيهم لانه ليس مما يستطاع دفعه ولا ينطق فيكلم أو يستعتب * وذكر ابن السكيت أن الجمل الصؤول الهائج يسمى أيضا أيهم وقالوا فى الامرين انهما الجوع والعرى وفى الاجوفين الجوف والفرج وفى الحديث ان الامرين غيرهذين قال عليه الصلاة والسلام ماذا فى الامرين من الشفاء الصبر والثفاء فالصبر معلوم والثفاء الخردل وسيأتى ذكر الاثرمين فى باب الطاء عند ذكر لفظة الطا ان شاء الله وفسرهما ثابت بالدهر والموت وباب تثنية الاسماء مثل العمرين والقمرين واللبن أحد اللحمين والشعر أحد الوجهين وما أشبهه باب كبير وأثبت لك هنا قطعة زهدية لابن سارة رحمه الله ذكر فى كل بيت منها اسمين من هذا القبيل وهو من أحسن ما قيل

يا من يصيخ الى داعى السفاه وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

تقدم ذكر اربد اسم رجل واربد قيس بن أخى لبيد بن ربيعة لامه وفيه أنزل الله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله

عليه

هلاك اربد وعامر ابن الطفيل

عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل يريدان الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عامر لاربد سأشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ففعل ذلك وجعل يشغله وينظر الى اربد لا يصنع شيئا والله سبحانه قد منعه منه فلما خرجا من عنده قال له عامر أين ما أمرتك به قال لا أبالك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف فلما رجعا الى بلادهما بعث الله على عامر الطاعون في عنقه فقتله الله ورجع اربد فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما وأنزل الله فيهما الله يعلم ما تحمل كل أنثى الى قوله شديد المحال والمحال القوة قاله مجاهد وفي اربد هذا يقول أخوه لبيد يرثيه

أخشى على اربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

في أبيات ذكرها ابن اسحاق في السير وأسلم لبيد وعاش في الاسلام ستين سنة ومات في أيام معاوية رحمهما الله وسيأتي ذكره في باب الراء من هذا الكتاب ان شاء الله وتقدم في الباب ذكر الدبر ومنه

حديث عاصم

حديث عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح رضي الله عنه حين قتل كانت فيه آية وعجب أرادت هذيل أن يأخذوا رأسه فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته فلم يقدروا عليه ولذلك قيل له حمي الدبر وكانت الزنابير التي أرسلها الله عليه كبارا كابر الذراع فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب به وكان قد أعطى الله عهدا أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك وأن لا يمس مشركا أبدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته (ومن الدبر) أيضا ما يروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد غزوهم واستشار في ذلك الصحابة رضي الله عنهم فكانهم ترخصوا في تركهم الى أن يشتد أمر المسلمين وأشار عليه بعضهم أن يترك لهم صدقة عامهم (فقال) والله لا أن أخر من السماء أحب الي من أن يكون هذا رأيي والله لو لم أجد ما أقاتلهم به الا الدبر لقاتلتهم به فامتلأ المسجد عليهم من الدبر (أو كما قال هذا) معناه رضي الله عنه وعنهم (وتقدم) أيضا في الباب من ذكر الدبرة حديث ابن مسعود رضي الله عنه حين اقتطع رأس أبي جهل

مقتل أبي جهل

لعنه الله فأردت أن أسوقه فى هذا الكتاب بكماله وأذكر من قتله وأخذ سلبه * خرّج مسلم رحمه الله عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر اذ نظرت عن يمينى وشمالى فاذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن لو كنت بين أضلع منهما فغمزنى أحدهما فقال ياعم هل تعرف أبا جهل قال قلت نعم وما حاجتك اليه يا ابن أخى قال أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا قال فتعجبت لذلك فغمزنى الآخر فقال مثله فلم أنشب أن نظرت الى أبى جهل يجول فى الناس وفى رواية أخرى يرفل فى الناس (فقلت) ألا تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه قال فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر فى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وفى مسلم أيضا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضى الله عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل فقال وهل فوق رجل قتلتموه قال أو قال قتله قومه زاد ابن اسحاق فى السير قال عبد الله ابن مسعود فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بى بمكة فآذانى ولكزنى ثم قلت هل أخزاك الله ياعدو الله قال وما أخزانى الله أعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدابرة اليوم ويروى الدبرة قال قلت لله ولرسوله وقال ابن هشام وقال أعار على رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدبرة اليوم قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل وذكر الحديث وفى آخره فألقيت رأسه بين يديه فحمد الله وفى هذا الحديث حتى برد أى مات وهو من الباب (ومعكوسه درب) وقد تقدّم وأزيد لك من خطابى ما ذكره الخطابى (قال أخبرنى) أبو عمر عن ثعلب عن ابن الاعرابى قال سمعت أبا المكارم يقول كان منافق له فى الحى علقة وكان عفيف الخلوة فجاءها يوما وهى فى بيتها فدخل يتحدث اليها فأسرع الخروج فقيل له مالك قال منعنى البرد قال فدخلنا فاذا الجارية ميتة (ومن البرد) حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه

انه

أنه شرب النبيذ بعد ما برد عليه أى سكن قال وقد يكون النوم انما سمى بردا لهذا المعنى وذلك أنه يرخى المفاصل و يسكنها وزعم بعضهم أنه انما سمى بردا لانه يبرد حرارة العطش و يسكنها ذكر هذا فى تفسير حديث النبى صلى الله عليه وسلم لما توجه نحو المدينة خرج بريدة الاسلمى فى ركب من أهل بيته من بنى سهم فتلقى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال له من أنت فقال بريدة قال فالتفت الى أبى بكر فقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح (وقال) قوله برد أمرنا فيه قولان أحدهما سهل أمرنا ومنه قولهم الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة و يقال عيش بارد أى ناعم سهل ومن هذا قولهم فى الدعاء للميت اللهم برد عليه مضجعه والقول الآخر معناه ثبت أمرنا واستقام من قولهم برد لى على فلان حق أى ثبت ووجب قال وفيه وجه آخر أن يكون برد بمعنى ضعف وفتر وهو يريد به أمر قريش والخارجين فى أثره من الطلب يقال جد فلان فى الامر ثم برد أى فتر ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة فسره أيضا الخطابى قال الغداة والعشى قال وهما الابردان وأنشد * اذا الارطى تسود أبرديه * البيت وانما قيل أبردان لطيب الهواء و برده فى هذين الوقتين وقد جاء فى حديث آخر حافظ على العصرين وفسره كذلك الغداة والعشى وجاء فى الحديث اذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم و يقال أبردت بريدا اذا أرسلت رسولا ودار البريد مشهورة عند العرب والبريد اثنا عشر ميلا وقد تقدم وتقول بردت الماء و بردت بالتثقيل والتخفيف لغتان قال ثابت وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحمى أنه أمرنا أن نبردها بالماء والرجل مبرد و بارد وأنشد

قد علمت أنى مروى هامها * و بارد الغليل من أوامها

تقول العرب اسقنى وأبرد أى اسقنى باردا واسقنى وابرد غليلى وأنشد

هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن بحر على الاحشاء تتقد

وقد تقدم هذا البيت وما قبله وحكايته ومن قاله والحمد لله * اقتنع أيها الولد بما ورد عليك فى برد (وأزيدك فائدة أخرى) أيها الحر فى البرد الذى هو ضد الحر وكلاهما من نفس جهنم أعاذنا الله منها خرج مسلم رضى الله عنه فى باب الابراد بالصلاة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم وفى حديث آخر قالت النار رب أكل بعضى بعضا فأذن لى أتنفس

فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر وحرور فمن نفس جهنم وهذا لا يأتى له الانسان بالا بل يتكلم فى شدتهما بما يكون عليه وبالا يروى أن رجلا رؤى فى النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال أوقفنى بين يديه وقال كلاما فيه شدة ثم قال لى قد غفرت لك يا شيخ السوء على فضول كان فيك كنت تقول هذا يوم حار هذا يوم بارد أمدبرا غير الا له تريدون قال بعض العلماء ينبغى للانسان اذا رأى شدة البرد والحر أن يتذكر جهنم فيتعوذ بالله منها فتحصل له عبادة ور بما يستجاب له لانه يروى أنه ما استعاذ أحد من جهنم الا قالت اللهم أعذه منى * تقدم فى الحديث فيح وهو وهج النار وتوقدها يقال فاحت النار فيحا وفاح الطيب فوحا وتقدم من هذا اللفظ دبار

أيام الاسبوع

اسم ليلة الاربعاء وللايام أسماء غير هذه المشهورة وهى عند العرب مذكورة وقد جمعها الشاعر

أؤمل ان أعيش وأن يومى * بأول أو بأهون أو جبار
أو التالى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

فأول هو الاحد وأهون يوم الاثنين وامش على هذا السمت الى شيار وهو يوم السبت * ومن عروبة قول الحريرى فى احدى مقاماته يوم عروبه وقد كابدت الصعوبه (ومن لفظ دبر) جمع دبرة ما جاء فى الحديث أن أهل الجاهلية كانوا يرون العمرة فى صفر من أفجر الفجور فى الارض وكانوا يقولون اذا برا الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر (ومن الدبر) قول سفيان الثورى رحمه الله وقال له رجل مضى الناس فأصبحنا على حمير دبرة فقال ما أحسن حالها ان كانت على الطريق خرجه ثابت وقال دبر ظهر الدابة من الدبر وأدبر الرجل اذا رث وبعير أدبر (قال) وسمعت رجلا من الاعراب ينشد لغزا

فما راكب أبصرته فوق مركب * يحث النار كضه وهو مدبر

وقول سفيان ما أحسن حالها ان كانت على الطريق يريد أن البطىء اذا كان على القصد يدرك باللائى غاية الجواد المحقق وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه القصد والدوام وأنت الجواد السابق وجاء فى الحديث ان المحقق لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى يقال حقحق فى السير وهقهق اذا سار سيرا متعبا وقالوا شر السير الحقحقة وفى رواية ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وهو بمعناه ولى من هذا

اللائى البطىء

المعنى

المعنى من قطعة مطوّلة أنظرها بكمالها فى كراسة الزهد من التكميل

وأطع الهك ما استطعت ولا تكن * فى السير منبتا ولكن فارفق
فالرفق زين والمعدّ لسيره * لا أرضه انقطعت ولا ظهر بقى
فاطلب لنفسك فوزها وانظر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدّها * عما سيهلكها فليس بمشفق

ذكر البدر

وقد تقدّم ذكر البدر وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وليلة البدر هى ليلة أربعة عشر تسمى بذلك لامتلائه وتمامه ومنه قيل عين بدرة أى عظيمة (قال امرؤ القيس) * وعين لها حدرة بدرة * البيت وبدر اسم رجل احتفر بئر بدر فسميت به كما سميت خيبر باسم رجل من العمالية نزلها ووقع فى كتاب البخارى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بقدر فيه خضرات ويقول وفى رواية ببدر مكان قدر وفسره فى الطرة فقال هو الطبق فان كان محفوظا سمى به لاستدارته وتمامه كما تقدّم والله أعلم وكل شئ تم فهو بدر ولذلك قيل لعشرة آلاف بدرة لانها تمام العدد ومنتهاه قاله ابن قتيبة رحمه الله وقال غيره والبدر جلد السخلة اذا فطم ويحتمل أن يدبغ هذا الجلد فيصير كيسا فتجعل فيه هذه العدّة من الدراهم فسميت الدراهم به على مذهب العرب فى تسميتهم الشئ باسم الشئ اذا كان بسببه أو مجاورا له كما سموا الغائط باسم الموضع المطمئن لقضاء ذلك فيه وكما سموا المطر سماء لنزوله منها الى غير ذلك * فائدة * زائدة تقدّم كل شئ تم فهو بدر قلت وفى ضمن هذا الكلام موعظة وتذكر وذلك أن كل شئ من النبات والحيوان وجميع الامور الموجودة الاعيان نعم حتى الانسان اذا انتهى وتم أخذ فى النقصان ألم تسمع قول الشاعر

كل شئ اذا تناهى تواهى * وانتقاص البدور عند التمام

وقال آخر اذا تم أمر بدا نقصه * فحاذر زوالا اذا قيل تم

وقال آخر كأن الفتى يرقى من العمر سلما * الى أن يجوز الاربعين فينحط

وفى كتاب الدلائل لثابت رحمه الله الشكوة مسك السخل اذا رضع فاذا فطم وفطامه أن يدع الرضاع فسكه يقال له البدرة فاذا أجذع فجلده سقاء وجمع السقاء أسقية والسقاء للماء وهى القربة واذا بلى فهو الشن والشنة ومنه ثم قام الى شن معلق جمعها شنان وشنات ومنه قولهم ولا يقعقع لى بالشنان ومنه المثل وافق شن

شن وطبقة

طبقه وافقه فاعتنقه قيل فى تفسيره أقوال ذكرها الحريرى رحمه الله وذكر آخرها الرجل الذى ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلايمه وكان اسمه شنا فكان يجوب البلاد الى أن صحب فى طريقه الرجل الذى قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له ياجاهل وهل يحمل الراكب الراكب ولما استقبلتهما الجنازة قال شن أترى صاحبها حيا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حيا ولما أتيا على الزرع قال شن أترى هذا الزرع قد أكل فجهله كذلك أيضا ثم لما انتهيا الى قرية الرجل جعل يحدث ابنته بحديثه ويطرفها به وكان اسمها طبقة فقالت له ما نطق الا بالصواب أما قوله أتحملنى أم أحملك فانه أراد قطع الطريق بالحديث وأما الجنازة فانه أراد هل ترك بعده عقبا يحيى ذكره به وأما الزرع فأراد هل استسلف أهله ثمنه أم لا فأخبر الرجل بذلك شنا فخطبها اليه فتزوجها فقيل وافق شن طبقه هذا معنى كلام الحريرى رحمه الله وشبيه بهذه القصة ما خرج ثابت رحمه الله ذكر بعض الناس ان امرأة يقال لها صدوق وكانت مفوهة قالت لا أتزوج الا من يرد على جوابى فجاءها خاطب فوقف ببابها فقالت من أنت قال بشر ولد صغيرا ونشأ كبيرا قالت أين منزلك قال على بساط واسع وبلد شاسع قريبه بعيد وبعيده قريب قالت ما اسمك قال من شاء أحدث اسما ولم يكن ذلك عليه حتما قالت كأنه لا حاجة لك قال لو لم تكن لى حاجة لم آتك لحاجة وأقف ببابك وأتصل بأسبابك قالت سر حاجتك أم جهر قال سر وستعلن قالت فأنت اذا خاطب قال هو ذاك قال فرضيته فتزوجها ساق هذا الخبر شاهدا على أن الختم ايجاب الامر والقضاء يقال أمر واجب ومكتوب ومفروض ومحتوم ومنه قيل للقاضى حاتم فسر به حديث ابن مسعود رضى الله عنه انى لادع الاضحية وأنا من أيسركم كراهية أن يعلم الناس أنها حتم واجب واشترى ابن عباس رضى الله عنهما الحمام بدرهم وقال اعلم من لقيت أنها أضحية ابن عباس (قال ثابت) وجمع الحتم حتوم قال وفى كراهية ثلاث لغات كراهية وكراهة وكراهين قال وقال أبو زيد سمعت اعرابيا من بنى تميم يقول أتيتك كراهين أن تغضب والعرب تسمى الغراب حاتما لانهم كانوا اذا رأوه حتموا بالفراق كما قال المرقش

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايا * من والايامن كالاشائم

وكذا لا خير ولا * شر على أحد بدائم
قد خط ذلك فى الزبو * ر الاولية القدائم

وكانوا يكتبون الحكم فى الحجارة وقيل سمى الغراب حاتما لسواده والحاتم الخالص السواد والواقى الصرد على مثال القاضى وقيل هو الواق بكسر القاف من غير ياء وانما سمى بذلك لحكاية صوته (قلت) وهذا القول من هذا الشاعر قول مؤمن بالقدر مكذب بالطير اقوله عليه السلام لا طيرة وكانوا فى الجاهلية يتطيرون بالبارح والسارح وبما طار لهم من جهة اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين فهدم ذلك الاسلام ونهى عنه عليه السلام فقال أقروا الطير على مكناتها ويروى مكناتها بضم الكاف أى على أمكنتها ويروى وكناتها أى على مواضعها فلا تزجروها ولا تلتفتوا اليها فانها لا تضر ولا تنفع وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن هذا من أمر الجاهلية وأن المسلم ربما وقع فى نفسه من هذا شئ فعلم كيف المخرج منه فقال صلى الله عليه وسلم واذا تطيرت فامض أى لا تلتفت الى الذى وقع فى نفسك فاذا فعل هذا الانسان فقد تحقق بالايمان وسلم من الشيطان وقد جاء فى القرآن العزيز ذكر التطير فى مواضع انا تطيرنا بكم قالوا طائركم معكم قال بعض أهل اللغة الطير الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله كما يقال لا أمر الا أمر الله وأنشد الاصمعى قال أنشدنا الاحمر

ستعلم أنه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وقال ابن السكيت يقال طائر الله لا طائرك ولا يقال طير الله ويروى عن ابن جبير أنه قال سأل كعب الاحبار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له هل تتطير قال نعم قال فكيف تقول اذا تطيرت قال أقول اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا رب غيرك ولا قوة الا بك فقال كعب أنت أفقه العرب وانها لكذا فى التوراة (قلت) انا لله وانا اليه راجعون قد ترك ما يعلم وأكثر ما تأتى الطوام من قبل العوام وممن لا علم عنده يمر الطائر اليوم على الدار فيقول الرجل خير يا طير وتزيد المرأة على ذلك أشياء من الكلام الجلف فهلا قالوا خيرا يا الله وأى خير أو شر عند الطائر لكن أين العالم وأين الموفق وكثيرا ما أقول فى مثل هذا * ياصاحبى ياصاحبى * ليس الفلاح بسائب * والنحى والحمت للسمن والعسل وجمعها حمت وأنحاء

النهى عن الطيرة

ومنه المثل أشغل من ذات النحيين وذات النحيين امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة اسمها خولة كانت تبيع السمن في الجاهلية وحديثها مشهور وكان صاحبها خوات ابن جبير رضي الله عنه ومن شعره في ذلك * فشدت على النحيين كفا بخيلة * البيت وهذه الاخبار التي كانت في الجاهلية قد جنبها الاسلام فلا معنى لذكرها لولا فائدة في الاشارة اليها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يارسول الله قد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحور بعد الكور وسيأتي تفسير هذه اللفظة ان شاء الله ويروى أيضا أنه قال له مافعل بعيرك الشارد قال قيده الاسلام يارسول الله وكان عليه السلام قد مر بخوات هذا وهو جالس الى نسوة أعجبه حسنهن وذلك في الجاهلية أيضا فسألهن أن يقتلن له قيدا لبعير زعم أنه شارد فأعرض عنه وعنهن صلى الله عليه وسلم فلما أسلم سأله عن ذلك وتبسم صلى الله عليه وسلم واذ وقع ذكر خوات هنا فأذكر لك من فضله ما أمكن يكنى أبا عبد الله وقيل أبا صالح وكان أحد فرسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بدريا وقال عليه السلام لن يلج النار أحد شهد بدرا والحديبية وقيل لم يشهد بدرا خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر فرجع الى المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه وكان شاعرا كما تقدم وخرج مرة للحج مع عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف فقال له القوم غننا من شعرك ضرارا فقال عمر دعوا أبا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده يعني من شعره قال فما زالت أغنيهم حتى كان السحر فقال عمر ارفع لسانك ياخوات فقد أسحرنا ويشبه قول خوات للنبي عليه السلام قيده الاسلام يارسول الله قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام قيد الفتك وقريب من قصة خوات قصة أبي سهم واسمه يزيد بن أبي شيبة رضي الله عنهما قال مرت بي امرأة في بعض أزقة المدينة فأخذت بكشحها وجبذت خاصرتها فأصبح الرسول عليه السلام يبايع الناس فأتيته فمددت يدي لابايعه فقبض يده عني وقال لي ألست صاحب الجبذة بالامس فقلت يارسول الله بايعني فوالله لا أعود أبدا بعدها فبايعني صلى الله عليه وسلم (والوطب) للبن وجمعه وطاب ومنه * ولو أدركته صفر الوطاب * والذارع للخمر وجمعه ذراوع قال ابن قتيبة واسم الزق يجمع ذلك كله والاهاب الجلد غير المدبوغ ومنه الحديث اذا دبغ الاهاب فقد طهر وفي لفظ آخر أيما اهاب دبغ فقد طهر قال بعض العلماء

خوات بن جبير

الاهاب كل جلد أكل لحمه وقال النضر بن شميل يقال فيه اهاب وان لم يؤكل لحمه واحتج بقول عائشة رضى الله عنها فى أبى بكر رضى الله عنه أقر الرؤس على كواهلها وحقن الدماء فى اهابها ويقال له أيضا مسك وفى حديث آخر خرجه الدارقطنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بمسك الميتة اذا دبغ وفى كتاب أبى داود قال النضر بن شميل انما سمى الاهاب مالم يدبغ فاذا دبغ يقال له شن أو قربة انتهى كلامه ويجمع على أهب مثل أدم وأفق وعمد على غير قياس جمع أديم وأفيق وعمود والجمع أيضا أهب بالضم وهو القياس مثل كتاب وكتب وجاء أهب بالضم فى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال دخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى جنبه وذكر الحديث وفيه فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت شيئا يرد البصر الا أهبا ثلاثة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يا رسول الله ووقع فى هذا الحديث ذكر البيت والسرير أما بيوته عليه الصلاة والسلام فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة كذلك بالجريد وقال الحسن بن على كنت أدخل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدى وكانت حجره عليه السلام أكيسة من شعر مربوطة من خشب عرعر وكان سرير عائشة الذى ينام عليه النبى صلى الله عليه وسلم من خشبتى ساج منسوج بالليف وعليه حمل أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى قبره حيث دفن فى بيت عائشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيع ذلك السرير فى ميراثها فى زمن بنى أمية فاشتراه رجل من موالى معاوية بأربعة آلاف درهم فجعله للناس قاله ابن قتيبة ولما توفى أزواجه رضوان الله عليهن وسلامه عليه خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك فى زمن عبد الملك بن مروان فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته عليه السلام وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافر أى لا حلق له (والميتة) الجلد فى الدباغ ومنه الحديث واذا هى تعس ميتة لها والافيق قال صاحب العين * الاديم والجمع أفق وفى الحديث من هذا عن عمر بن الخطاب أيضا

فى رواية من الحديث الاول فنظرت ببصرى فى خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظ فى ناحية الغرفة واذا أفيق معلق قال فابتدرت عيناى قال ما يبكيك يا ابن الخطاب قلت يا نبى الله ومالى لا أبكى هذا الحصير قد أثر فى جنبك وذكر الحديث (وأفيق) أيضا اسم موضع جاء منه فى الحديث فى شأن الدجال ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق *(فصل)* وتقدم درب وأنه باب السكة الواسعة والمدخل الى بلاد الروم ومنه قول امرئ القيس * يبكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * البيت وفى الدلائل قال الاصمعى أنشدنا شعبة بن الحجاج

تذكرت ليلى ودّها وصفاءها * فأحببت بها والأستطيع لقاءها
ضربت ابن عبد الله ضربة ثائر * لها سبب لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * ترى قائما من دونها ما وراءها

(قال) ثم كشر شعبة وقال ليس هذه طعنة انما هى سبب فى جنبه درب قال الاصمعى هذا من الافراط لو كان هذا رزنة ما زاد قال ومثله قول النابغة

يحذ السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

يصف السيف أنه يقطع الدرع ولابسه وينتهى الى الارض ويصادف الحجر فيطير منه الشرار وتقدم ذكر (ذرب) وجاء منه فى الحديث الذى أرويه عن الحافظ رحمه الله بالسند المتصل الى حذيفة رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان فى لسانى ذربا على أهلى وقد خشيت أن يدخلنى النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار انى لاستغفر الله عز وجل فى كل يوم مائة مرة ومن الذرب قول الاعشى المازنى واسمه عبد الله ابن الاعور وشكى امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا مالك الناس وديان العرب * انى لقيت ذربة من الذرب
كالذئبة العساء فى ظل الدرب * خرجت أبغيها الطعام فى رجب
فخلفتنى بنزاع وحرب * أخلفت الوعد وطلت بالرتب * وهن شر غالب لمن غلب

ويروى أنه أنشده يا مالك الملك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه ذلك الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أنشد قوله وهن لمن غلب شر غالب فيقول من حضر أشهد أنك رسول الله لقوله تعالى وما علمناه الشعر

وماينبغى له (وتقدم ذكر دثر) والدثار مايكون فوق الشعار ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار والشعار من الثياب مايلصق بجلد الانسان والدثار مايكون فوقه يريد والله أعلم ان الانصار ألصق بى وامس من غيرهم وهذا مثل والله أعلم ومن الشعار قول النبى صلى الله عليه وسلم اذ ألقى حقوه الى النسوة اللاتى كن يغسلن ابنته وقال أشعرنها اياه يريد اجعلنه مما يلى الجسد لتنالها بركته صلى الله عليه وسلم والحقو الازار ويقال القوم أهل دثر أى كثرة مال ومن الدثار قول النبى صلى عليه وسلم اذ جاءه الوحى وارتاع لذلك دثرونى دثرونى وفى ذلك أنزل الله تعالى يا أيها المدثر ومثله يا أيها المزمل أصله المتدثر والمتزمل وينظر هذا الى قوله عليه الصلاة والسلام أنا النذير العريان كأنه يقول كره لى أن أتدثر وأمرت بالانذار فها أنا قد تجردت لذلك فأنا النذير العريان والله أعلم بما أراد من ذلك وقد فسر النذير العريان بغير هذا قيل هو الذى جرده العدو فأقبل عريانا ينذر به فهو أدل شئ على صحة قوله وقيل هو الذى يجرد ثوبه ويشير به مع صياحه وانذاره بالعدو والله أعلم وتقدم أيضا ثرد من الثريد قال الشاعر

عمرو والذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وعمرو هذا هو هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وانما سمى هاشما لهشمه الثريد كما ذكر الشاعر ومعنى مسنتين مجدبين أصابتهم السنة وهو القحط وعجاف معناه ضعفاء مهزولون وجاء ذكر الثريد فى الحديث حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ثم قال وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال بعض العلماء انما يريد بذلك أنها تزيد على سائرهن بالعلم وهو الفضل وهو الزيادة والريع والثريد فى الريع الثالث وذلك انك تأخذ مدا من طعام فتطحنه فيصير أكثر من مد اذا كلته ثم تعجنه فيزيد ريعا ثانيا ثم تثرده فيزيد ريعا ثالثا وينتهى فبذلك أراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله كفضل الثريد والله ورسوله أعلم وكذلك عائشة رضى الله عنها كانت أعلم أزواجه عليه السلام بسيره وأخباره وجاء عنها حديث كثير وعلم كبير روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفين ومائتى حديث وعشرة أحاديث رضى الله عنها وكان مسروق رضى الله عنه اذا حدث عنها يقول حدثتنى الصادقة ابنة الصديق البريئة المبرأة بكذا وكذا وقال هشام بن عروة عن أبيه ما رأيت أحدا أعلم بفقه

فضل عائشة

ولا بطب ولا بشعر من عائشة ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا حتى يروى أنها دخلت على أبيها أبي بكر رضى الله عنه وهو فى الموت فأنشدت

واذا المنية انشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقال لها رضى الله عنه يا بنية لا تقولى هذا ولكن قولى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقال الزهرى لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وجميع النساء لكان علم عائشة أفضل وكانت رضى الله عنها يقال فيها رجلة الرأى وكانت تكنى أم عبد الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالت له كل صواحبى لهن كنى غيرى تكنى بابن أختك عبد الله ابن الزبير ويروى بابنك لانها كانت قد استوهبته من أبويه وكان فى حجرها وعدها أما يروى عنها رضى الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتوقد نورا قالت فبهت فنظر الىّ وقال مالك فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتوقد نورا فلو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلى قالت يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فى يده وقام الىّ فقبل ما بين عينى وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت منى كسرورى منك وقال عروة لعائشة وا أختاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة أبى بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبى بكر كان أعلم الناس ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو وما هو قال فضربت على منكبى وقالت أى عروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم فى آخر عمره فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له وكنت أعالجه فمن ثم وروى هشام بن عروة عن أبيه قال ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضى الله عنها * رجع الكلام الى الثريد يا أيها الرجل المريد وقع ذكر الثريد فى جامع معمر بزيادة فائدة عن قتادة وأبان يرفعه فقال فيه كفضل الثريد باللحم ذكره الاستاذ

رحمه الله وقال وجه التفضيل من هذا الحديث أنه قال فى حديث آخر سيد أدم الدنيا والآخرة اللحم مع أن الثريد اذا أطلق لفظه فهو ثريد اللحم أنشد سيبويه

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

ومن الثريد المتقدم الذكر ماذكره ثابت فى حديث شريح القاضى رحمه الله ذهب رجل الى منزله برجل فأطعمه ثريدا وتمرا وزبدا ثم راح به الى شريح فقال اشهد لى فتقدم الرجل فقال له شريح بم تشهد فقال

شهدت بأن التمر والزبد طيب * وان الثريد الانبجانى صالح

فقال شريح وأنا أشهد فلم يزل يردها عليه حتى فطن شريح فقال اطلبوا الرجل فطلب فلم يوجد وفسر ثابت الانبجانى الذى قد روى من الودك وقيل هو العجين الحامض قال ولم يأت فى الكلام على افعلان الا الانبجان وأرونان ووقع فى الحديث من هذا اللفظ ان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ من أبى جهم انبجانية له رواه الزهرى انبجانيه بالتذكير والانبجانى كساء صوف غليظ لاعلم فيه يقال كساء انبجانى فعلى هذا لايؤنث الا أن يكون أراد خميصة وقال ابن قتيبة انما هو كساء منبجانى بفتح الباء قال ولا يقال منبجانى لانه منسوب الى منبج وفتحت باؤه فى النسب لانه خرج مخرج منظرانى ومخبرانى وقال ثعلب الانبجانى بفتح الباء وكسرها كل ما كثف والتف قالوا شاة انبجانية أى كثيرة الصوف وقال غيرابن قتيبة جائز أن يقال انبجانى كما جاء فى الحديث لانه رواية عرب فصحاء ومن النسب مالا يجرى على قياس وانما هو مسموع هذا لوصح أنه منسوب الى منبج (قلت) وقول الشاهد لشريح شهدت بأن التمر والزبد طيب هو من التعريض الممدوح القائم عند اللقن الفطن مقام التصريح ومنه فى الكلام كثير وكذلك فى الشعر فمن ذلك ماقاله بعض العرب لقوم منهم قتل أبوهم فلم يطلبوا دمه ورضوا بأخذ الدية فقال يعيرهم بذلك وكانوا أخذوا دية تمرا

ألا أبلغ أباوهب رسولا * بأن التمر حلو فى الشتاء

وقيل لآخر فى مثل ذلك وكان أخذ فى دية أبيه ابلا

اذا صبّ مافى الوطب فاعلم بأنه * دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودع

يقول ان الذى تشربه من ألبان الابل التى أخذتها فى الدية انما هو دم أبيك وقال آخر فى ضد هذا وانه لم يرض بأخذ الدية

لا يشربون دماءهم بأكفهم * ان الدماء الغاليات تكال

يقول لسنا من القوم الذين يقبلون الدية فيشربون ألبان الابل فاذا شربوها فكانهم شربوا دماء أوليائهم والدماء الغاليات تكال أى يسفك بها أمثالها وقال آخر فى مثل ذلك

وظل يضوزا التمر والتمر نافع * بورد كلون الارجوان سبائبه

يقول أخذ الخمر فى الدية بدلا عن الدم الذى لونه كالارجوان يقال ضاز التمرة يضوزها ضوزا اذا لاكها فى فيه ويقال أيضا ضازه يضيزه حقه اذا بخسه وضاز جار فى الحكم ومثله قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى أى جائرة وهى فعلى مثل طوبى وحبلى وانما كسروا الضاد لانه ليس فى الكلام فعلى صفة وانما هو من بناء الاسماء كالشعرى والدفلى قال الفراء وبعض العرب يقول ضأزى وضؤزى وحكى أبو حاتم أنه سمع العرب تهمز ضيزى وسيأتى الكلام على طوبى فى باب اللام ان شاء الله واختم لك هذا البويب بخبر أبى ذؤيب الشاعر تقدم فى هذا الشعر البيت الذى قال فيه الاصمعى أنزع بيت قالته العرب بيت أبى ذؤيب

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا تردّ الى قليل تقنع

وهذا البيت ذكره ابن البستى فى كتاب القناعة وقرأته على الحافظ السلفى رحمه الله وفى هذا الشعر حكم وفوائد وأوّله

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أوما لجنبك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمى أنه * أودى بنىّ من البلاد فودّعوا
أودى بنىّ فودّعونى حسرة * بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
فالعين بعدهم كان حداقها * سملت بشوك فهى عبرى تدمع
سبقوا هواى وأعنقوا لهواهم * فتخرّموا ولكل جنب مصرع
واذا المنية أنشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فى أبيات كثيرة يرثى بها بنيه وكانوا خمسة أصيبوا فى عام واحد وكان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره كان يحدث قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب دجورها ولا يطلع نورها فظلت أقاسى طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو

يقول خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض أو هو ميت من علته فركبت ناقتي وسرت حتى قدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام (فقلت مه) قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت الى المسجد فوجدته خاليا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بابه مرتجا وقد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل بسقيفة بني ساعدة فأويت الى قريش وتكلمت الانصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب فتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام * ويعلم مواضع فصل الخصام * والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه ثم تكلم عمر بعده بدون كلامه ومدّيده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه ورثى النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات حسان نفعه الله ثم انصرف الى باديته فأقام بها حتى خرج غازيا الى أرض الروم فمات بها مجاهدا وقال عند موته رضي الله عنه

أباعبيد رفع الكتاب * واقترب الموعد والحساب

في أبيات له رحمه الله تعالى (قلت هذا) ما أمكنني كتبه أيها السيد الغمر من باب زيد أطال الله لك العمر (فلنأخذ) في باب عمرو * تكلم العلماء في الحاق الواو به دون عمر وجعلوا العلة فيه الفرق وخصوه بالزيادة لخفته قالوا وفيه زيادة لا شك ولي في هذا المعنى وقد حصرت الياء والراء في شعر أوّله

لي خليل ألزمت نفسي هواه * كالتزامي للكسر في راء جير
وأنا مثل واو عمرو لديه * زائدا أو كمثل ياء زهير
أو كأن بعد ما وان بعد لما * مقبلي عنده سواء وسيري
عجبا لي أنا به مستهام * وهو لاه عني ولوع بغيري
أنا راض منه اذا قلت يوما * كيف أصبحت أن يقول بخير

حكمة زيادة واو عمرو

في أبيات كثيرة أنظرها في التكميل رجع الكلام الى عمرو تقدّم انه بغير واو واحد عمور الاسنان وفسر وجاء منه في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن السواك مازال جبريل يوصيني به حتى خشيت على عموري (وفي حديث آخر) لقد

أمرت بالسوالك حتى خشيت أن يدردنى (الدرد) أن تسقط أصول الاسنان وبه سمى الرجل أدرد وفى الصحابة أبو الدرداء وأم الدرداء رضى الله عنهما وسيأتى بعد هذا منه طرف فيه طرف فى باب الواو ومن هذا الكتاب ان شاء الله (والسوالك) مرغب فيه وحسبك ان الرسول عليه السلام قال لولا ان أشق على أمتى لامرتهم بالسوالك عند كل وضوء وروى البزار فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فضل الصلاة بالسوالك على الصلاة بغير سوالك سبعين ضعفا وجاء ان فى السوالك عشر خصال مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان ومكسبة للحفظ ويشد اللثة ويطيب النكهة فى الفم ويقطع البلغم ويصفى المرة ويجلو البصر ويوافق السنة خرجه البزار من طريق عائشة رضى الله عنها وخرج أيضا من طريق على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شئ الا صار فى جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن وقال فى آخر الحديث وقد روى موقوفا عن على رضى الله عنه وفى الشهاب السوالك يزيد الرجل فصاحة وفسره وحشى فقال يريد أن من استاك لم يكن فى أسنانه قلح فهو يتكلم بما عنده ولا يضم شفتيه كما يصنع من بأسنانه القلح والله أعلم والسوالك بكل عود له رائحة طيبة مما يشوص الفم وأعلاها الاراك * وقد تقدم أن ابن أبى لبلى كان يستاك بالقسيب دلنى بعض أشياخى رحمه الله على هذا العود الاخضر من شجر السرو وقال انه يطيب الفم ويشد اللثة وقال يستاك بكل عود ما خلا القصب والريحان والرمان والحلفاء (قال) ومواطنه أربعة عند الفراغ من الوضوء وعند الفراغ من الطعام وعند القيام من النوم وعند القيام الى الصلاة وهو مستحب لا فرض وليس بالطول لكن بالعرض (جاء فى الحديث) اذا استكتم فاستاكوا عرضا ولاء وجاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ الا تسوك قبل أن يتوضأ وفى القرآن العزيز من هذه اللفظة لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (قال المهدوى) العمر والعمر واحد الا انه لا يستعمل فى القسم الا بالفتح ومعناه مدة بقائه حيا فاذا قيل لاحد من المخلوقين لعمرك فانما معناه مدة بقائه حيا وكره كثير من العلماء ان يقول الانسان لعمرى لان معناه وحياتى وكذلك قال ابن عباس معنى لعمرك وحياتك وهذا من فضائل النبى

مبحث لعمرك

عليه

عليه السلام التى اختص بها فأقسم البارى جل وعز بحياته انتهى كلامه (ومن كتاب عياض) رحمه الله تعالى قال ابن عباس ماخلق الله وماذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال أبو الجوزاء ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده وقيل معنى لعمرك أصله ضم العين ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال وهو بمعنى وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك (تقدّم) فى هذا الفصل وكره كثير من العلماء أن يقول الانسان لعمرى وكذلك هو ومن كرهه مالك اما منا رحمه الله تعالى ولكن مع ذلك فان الناس لا يتركون استعمالها فى كتبهم ولم أر فيها رخصة أكثر من قول ابن عباس رضى الله عنه فى جواب ابن الازرق قال له وكتبت الى تسألنى متى ينقضى يتم اليتيم فلعمرى ان الرجل لتنبت لحيته وانه لضعيف الاخذ لنفسه ضعيف العطاء منها فاذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتم فقال فى هذا الخبر فلعمرى (وهذا) كما تراه وتركه أحوط كما تقدّم لى

وقد يلام الفتى فى الشئ يأخذه * وليس يلحقه لوم اذا تركه

معنى الدرد والاشر

(وتقدّم ذكر الدرد) ودونك منه هنا تنف فاقنع بها واكتف * قال ثابت فى تفسير الدرد يقال للصبى قبل أن تنبت اسنانه وهو يمضغ على درده ويقال للشيخ ما بقى الا درده وهى مغارز الاسنان وفى مثل أعيتنى بأشر فكيف بدرد وذلك ان عجوزا كانت سقطت اسنانها فجعلت تغازل زوجها فقال أعيتنى بأشر أى وأنت شابة واسنانك مؤشرة للحداثة فكيف وقد سقطت اسنانك كلها انتهى كلامه والاشر تحديد فى أطراف الاسنان ولا يكون ذلك الا فى زمن الحداثة ومنه المئشار الذى يؤشر به العود قال الشاعر بدلته الشمس من منبته * بردا أبيض مصقول الاشر

ومعنى بدلته الشمس ان أهل الجاهلية كان الحدث منهم اذا قلع ضرسه رمى به الى الشمس وقال يا شمس أعطيتك سنا من عظم فأعطينى سنا من فضة (قلت) وقد بقى هذا المعنى عند الناس الجهال الى اليوم تقول أم الصبى لولدها اذا قلع سنه ارم به على السقف وقل يا فار يا فار خذ بالبا وأعطنى جديدا فهلا قالت يا الله ويقال ان قائل أعيتنى بأشر فكيف بدرد هو زوج دغنه التى يضرب بها المثل فى الحمق فيقال أحمق من دغنه رأت زوجها يقبل ابنة له منها ويقول بأبى درد رك فذهبت ودقت اسنانها بفهر ثم جاءت وقالت له كيف ترى دردرى فقال لها أعيتنى بأشر فكيف بدرد رأى

انما كان أحسن شئ فيك اسنانك وكنت مع ذلك غير حظية عندى فكيف اذا فسد أحسن شئ فيك ويقال انما قالها حين سقطت أسنانها من الكبر كما تقدّم (وتقدم العرم) وانه اسم لكذا وكذا وقال البخارى رحمه الله العرم ماء أحمر حفر فى الارض حتى ارتفعت عنه الجنتان فلم يسقهما فيبستا وليس الماء الاحمر من السدّ ولكنه كان عذابا أرسل اليهم انتهى كلام البخارى رحمه الله (قال المسعودى) كان هذا السدّ من بناء سبأ بن يشجب وكان ساق اليه سبعين واديا وما ت قبل أن يستتمه فأتمته ملوك حمير بعده وقال المسعودى أيضا ويقال بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا *(فصل)* وتقدّم من مقلوب عمر مرع يقال أمرع القوم اذا أصابوا الكلأ (واذكر) هنا حكاية فيها لفظ أمرع من كلام الخطيب أبى محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له انى أزن الشعر فاختبرنى بكلام هذا نصه

أدام الله عزك ان بينى * وبينك ماشددت عليه من بعد
بينك راحتى ويحق ذاكم * علينا فاعلموا من ودّ أمرع * نباته واخضر والحمد لله

وقال لى أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من الوافر وآخر البيت الاوّل حرف العين من بعد وأوّل الآخر حرف الدال من بعد وآخره أمرع فقال أحسنت وصنع غير ذلك فأخرجت بعضه حتى فتح الله ونقل الى حالة أخرى حسنة والحمد لله وهذه الحكاية وغيرها فى التكميل (وتقدّم ذكر الغمر) وانه الماء الكثير وفى الحديث منه انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه * تكلم بعض العلماء على هذا الحديث فقال الماء العذب يزيل الدرن ويبقى أكثر من غيره من المياه وقوله بباب احدكم اشارة الى ان الصلاة تكون خارج المنزل فى المساجد لقوله بباب أحدكم ولم يقل فى منزل أحدكم وفيه ان الصلوات يمحو الله بها الخطايا كما جاء فى موضع آخر وانتظار الصلاة بعد الصلاة الحديث (وتقدّم) ذكر الغمر بفتح الغين والميم وقد جاء فى الحديث منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفى يده ريح غمر فلا يلومن الا نفسه وذكر ثابت فى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها ان امرأة أتت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرب اليه لحم فجعل يناولها فقالت له عائشة يارسول الله

سيل العرم

لا

لا تغمر يدك فقال يا عائشة ان هذه كانت تأتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان ومثل هذا الحديث ان حسن العهد من الايمان حديث حسانة المزنية وكان اسمها جثامة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت حسانة قالت عائشة رضى الله عنها جاءت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت قالت أنا جثامة المزنية فقال بل أنت حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبى أنت وأمى يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تأتينا أيام خديجة رضى الله عنها وان حسن العهد من الايمان (وروى) أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهديت اليه هدية قال اذهبوا ببعضها الى فلانة فانها كانت صديقة لخديجة أوانها كانت تحب خديجة وقول عائشة فى الحديث الاول لا تغمر يدك فهو من غمر اللحم وهو السهك وقال قال ابن الزبير كل ما كان من ذات كرش فهو غمر وكل ما كان من ذات عفج فهو زهم وكل ما كان من الارض فهو دسم ومن الحديد والصفر فهو الصمر وذكر الخطابى رحمه الله هذا الباب فأشبع القول فيه قال فى شرح حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء فلما رأى لمق الثياب على الناس ضحك حتى بدت نواجذه اللمق الوحل ثم قال تقول العرب يدى من الوحل لمقة ومن اللحم غمرة ومن السمك وضرة ومن اللبن والزبد شترة ومن العجين ورخة ومن الدم سلطة ومن الثريد ثردة ومن الحمأة ذوطة ومن الاشنان فضضة بالضادين ومن المداد وحرة ومن الماء بللة ومن البزر والنفط نمسة ونسمة ومن الزعفران ردعة ومن العطر عبقة وقال ابن قتيبة يدى من السمك سهكة ومن الحديد كذلك ويدى من اللحم غمرة وزهمة ومن الزبد واللبن وضرة وأنشد

* أبا ريق لم يعلق بها وضر الزبد * وهذا الشعر لابى الهندى وأوله

ستغنى أبا الهندى من وطب سالم * أبا ريق لم يعلق بها وضر الزبد

مقدمة قزا كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرعد

وهذا من حسن التشبيه كان أبو الهندى هذا مولعا بالشراب ثم انه أقلع عن ذلك وتاب وقال

تركت الخمور لشرابها * وأقبلت أشرب ماء فراحا

وقد كنت حينا بها معجبا * كحب الغلام الفتاة الرداحا

فلم يبق فى الصدر من حبها * خلال اذا ذكرت قلت آحا

فى أبيات له رحمه الله (وتقدّم) الغامر الذى يرمى بنفسه فى الغمرة وجاء من هذه اللفظة فى الحديث عن البخارى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر رضى الله عنه آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال انى كان بينى وبين ابن الخطاب شئ ثم ندمت فأسرعت اليه فسألته أن يغفر لى فأبى على فأقبلت اليه فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فقال أثم أبو بكر قالوا لا فأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم فجعل وجه النبى يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه فهل أنتم تاركون لى صاحبى مرتين فما أوذى بعدها (قلت) انظر فعل أبى بكر رضى الله عنه حين أتى النبى صلى الله عليه وسلم استعمل قول الله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية فكان ذلك كذلك (وتقدّم ذكر الغمر) بضم الغين فى الحديث منه قول النبى صلى الله عليه وسلم أطلقوا الى غمرى وبروى هلموا غمرى وهو القدح الصغير كما تقدّم وقال الشاعر تكفيه حزة فلذات ألم بها * من السوادير وّى شربة الغمر

ذكر الاوانى

أخذ من التغمير وهو الشرب دون الرى وكذلك التغمر أقل الشرب وقال ابن الاعرابى أوّل الاقداح الغمر وهو الذى لا يبلغ الرى (ثم القعب) وهو قدر ما يروى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم العس قعب فيه العروة ثم الرفد أكبر منه ثم المحن أكبر منهما قال الشاعر * ألا هبى بصحنك فاصبحينا * والعلبة كالقدح الضخم يحلب فيها قال الشاعر * ولم تسق دعد فى العلب * (ثم) أكبر منها الجفنة تعمل من جلد البعير ثم الحوباة دلو واسعة ضخمة قال أبو زيد كل اناء يدعى مهدى مثل الجفنة والقصعة والقدح * والفرق اناء يسع ثلاثة آصع والصاع أربعة أمداد والمدّ رطل وثلث بالبغدادى والوسق ستون صاعا وسيأتى ذكر ذلك مع الاوقية والدرهم والمثقال فى باب القاف والفاء ان شاء الله تعالى (لم يفرق) فى هذا الكتاب بين الجفنة والقصعة وقد فرق بينهما بعض أهل اللغة قال الكسائى أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل وتقدّم ذكر الرفد قال

الاصمعي الرفد بفتح الراء مصدر رفدته والرفد بالكسر القدح وقال أبو عبيدة معمر ابن المثنى بضدّ ذلك قال ابن السيد رحمه الله وعدل القوم بينهما الرفد بالفتح المصدر و بالكسر الاسم وأما القدح فيقال فيه رفد ورفد بالفتح والكسر وتقدّم ذكر القدح وقال بعض أهل اللغة لا يقال فيه قدح حتى يكون فيه ماء أو غيره وأما اذا كان فارغا فيقال فيه اناء وتقدّم انه يروى الاثنين وأنه لا يقال فيه اناء الا اذا كان فارغا وهذا كما تراه وجاء في الحديث ذكر القدح مفسرا خرج مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من القدح وهو الفرق وكنت أغتسل أنا وهو من الاناء الواحد قال سفيان الفرق ثلاثة آصع انتهى كلامه والبيت الذي تقدّم * تكفيه حزة فلذات ألم بها * هو لاعشى باهلة يرثي المنتشر من قصيدة له أوّلها

انى أتتنى لسان لا أنم بها * من علو لا عجب منها ولا سخر
فبت مرتقبا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
وجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر
يأتي على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر
بنعي من لا يعيب الحي جفنته * اذا الكواكب أخطانوأها المطر
من ليس في خيره شر يكدّره * على الصديق ولا في صفوه كدر
ولا يبارى لما في القدر يرقبه * ولا تراه أمام القوم يعتفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر

(والصفر) دواب البطن وقوله من علو يروى بضم العين وفتحها وكسرها أي من أعلى وتقدّم من مقلوب هذه اللفظة الغرام قال ابن عزيز في تفسير قوله تعالى ان عذابها كان غراما هلا كا ويقال ملحا ويقال عذابا ملازما ومنه فلان مغرم بالنساء اذا كان يحبهن ويلازمهن ومنه الغريم الذي عليه الدين لان الدين لازم له يقال خذ من غريم السوء ما سنح (والغريم) أيضا الذي له الدين لانه يلزم الذي له عليه الدين قال كثير قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها
وقال الحسن رحمه الله في قوله تعالى ان عذابها كان غراما كل غريم مفارق غريمه الا النار أعاذنا الله تعالى منها والغرامة ما يلزم الانسان أداؤه وكذلك الغرم والمغرم وأغرمته وغرمته بمعنى واحد وتقدّم أيضا من مقلوبها رغم أنفه اذا ذل

مبحث الغرام

وأرغم الله أنفه ومن دعاء العرب رغما دعاما شنعفا فسره أبو الحسن رحمه الله رغما أى رغم الله أنفه ودعاما مثله وشنعفا توكيد أنظره فى الذيل وفى الحديث من هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله تعالى عنه مامن عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر قال فخرج أبو ذر وهو يقول وان رغم أنف أبى ذر وقد تكلم الناس على هذا الحديث وفسروه منهم البخارى خرج هذا الحديث وقال فى آخره هذا عند الموت أو قبله اذا تاب وندم وقال لا اله الا الله غفر الله له انتهى كلامه (قلت) والذى عليه أولو العزم وذوو الحزم أن لا يغتر به أحد فيستسهل الزنا والسرقة لانه قال عليه الصلاة والسلام ثم مات على ذلك لانه يخاف على العاصى المصر أن يبدل به عند الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقال الا دخل الجنة ولم يقل لم يدخل النار فيحتمل أن يدخل الجنة بعد أن يخرج من النار (وقد صح) ان طائفة من الموحدين يدخلون النار الا أن الله برحمته ينعشهم بتوحيدهم فأماتهم فيها اماتة كما جاء فى حديث الشفاعة وهؤلاء هم أهل الكبائر والزنا والسرقة وهم الذين يخرجون من النار بالشفاعة وثم رمن النار الخلود فى النار (يروى) ان الحسن بن أبى الحسن رضى الله عنه ذكر رجلا يخرج من النار بعد ألف سنة فقال يا ليتنى ذلك الرجل حمله خوف الخلود فى النار على ان قال هذه المقالة ويحتمل ان يكون قوله عليه الصلاة والسلام ثم مات على ذلك تائبا مما كان منه قبل من الزنا والسرقة والله اعلم (وسيأتى) الكلام على ذلك فى باب الالف واللام ان شاء الله تعالى (وتقدم أيضا) زعم وهذه اللفظة لم تأت فى القرآن الا فى موضع الذم مثل قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن وألم تر الى الذين يزعمون وهذا لله بزعمهم وغير ذلك وفى الحديث بئس مطية الرجل زعموا والزعم بالكسر الكذب ويكون بمعنى الطمع يقال زعم زعما وزعم زعما وأزعمته قال عنترة

علقتها عرضا وأقتل قومها * زعما لعمر أبيك ليس بمزعم

أى ليس بمطمع (وقال أبو محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله فى قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم الزعم انما هو مستعمل أبدا فى غير اليقين بل أغلبه فى الكذب ومنه هذه الآية وأرفع مواضعه ان يستعمل زعم بمعنى أخبر حيث تبقى

عهدة الخبر على المخبر كما يقول سيبويه رحمه الله تعالى زعم الخليل انتهى كلامه قال العلماء فيه ثلاث لغات الزعم والزعم والزعم وله معان تقول زعم بالكسر زعامة بمعنى ضمن والزعم بالفتح مجازية والزعم بالضم تميمية والزعم بالكسر فيما ليس صحيحا كما تقدم ولما أنشد أعشى بكر بن قيس بن معدى كرب قصيدته التى أولها

* لعمرك ماطول هذا الزمن * أعجب بها فلما انتهى الى قوله

فأنبئت قيسا ولم أبله * كما زعموا خير أهل اليمن

قال ماهو الا الزعم فحرمه وأقصاه وفائدة لغوية قد فسر هنا الزعم واختلاف معانيه لاختلاف لفظه وفى كتب اللغة جاءت هذه اللفظة مجملة قالوا يقال زعم وزعم وزعم كما قالوا فتك وفتك وفتك وود وود وود قال بعض أهل اللغة وقد يكون الزعم بالطلا ويكون حقا وأنشد

تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم

وقال آخر وانى أدين لكم انه * سينجز كم ربكم مازعم

(وتقدم) الزعامة السيادة قال لبيد

تطير عدائد الاشراك شفعا * ووترا والزعامة للغلام

يريد السلاح لانهم كانوا اذا اقتسموا الميراث دفعوا السلاح الى الابن دون البنت وأذكر لك هنا فى هذه اللفظة حديثا عجيبا صحيحا غريبا ذكره أهل الاخبار فيما تقدم فى الزمن عن سيف بن ذى يزن بشر بالنبى صلى الله عليه وسلم جده عبد المطلب حين وفد عليه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما ظفر سيف ابن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وشعراؤها واشرافها تهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش فيه عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان فقدموا عليه فى عدد من وجوه قريش وأهل مكة فأتوه بصنعاء وهو فى قصر له يقال له غمدان وفيه يقول أبو الصلت والد أمية بن أبى الصلت

ليدرك الثار أمثال ابن ذى يزن * يسلج فى البحر للاعداء أحوالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة * من السنين لقد أبعدت ايغالا

حتى أتى بنى الاحرار يقدمهم * اليك عمرى لقد أسرعت ارقالا

من مثل كسرى و بهرام الجنود لهم * ومثل وهرز يوم الجيش اذ صالا

وفود العرب على سيف بن ذى يزن

لله درهم من عصبة خرجوا * ما ان رأى الهم فى الناس أمثالا
صيدا حجاجة بيضا خضارمة * أسدا تربب فى الغابات أشبالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * غادرت جمعهم فى الارض فلالا
اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * فى رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذشالت نعامتهم * وأسبل اليوم فى بردك اسبالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فطلبوا الاذن عليه فأذن لهم فدخلوا عليه فوجدوه متضمخا بالعبير ينطف وبيص المسك فى مفرق رأسه وعليه بردان أخضران قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر وسيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والمقاول فلما دخلوا عليه دنا منه عبد المطلب فاستأذنه فى الكلام فقال له سيف ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال عبد المطلب أيها الملك ان الله قد أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وقرت جرثومته وبسق فرعه فى أكرم معدن وأطيب موطن وأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذى به تخصب وملكها الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا لكشف الكرب الذى فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد التعزية قال ومن أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فأدناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال * مرحبا وأهلا * وناقة ورحلا * ومستنا خاسهلا * وملكا بحلا يعطى عطاء جزلا * فذهبت مثلا وكان أول من تكلم بها قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فأهل الليل والنهار أنتم ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الانزال فأقاموا به شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فدعا بعبد المطلب من بين أصحابه فأخلاه وأدنى مجلسه وقال له يا عبد المطلب انى مفوض اليك من علمى أمرا لو كان غيرك لم أبح له به ولكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مصونا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره انى أجد فى العلم والكتاب المكنون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما

فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة قال عبد المطلب مثلك أيها الملك من بر وسر وبشر ماهو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر (قال ابن ذي يزن) اذا ولد مولود بتهامه بين كتفيه شامه كانت له الامامه ولكم به الزعامه الى يوم القيامة قال عبد المطلب أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به أحد فلولا اجلال الله الملك واعظامه لسألته من سره ما أزداد به سرورا (قال ابن ذي يزن) هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه يفتح بهم كرائم الارض ويضرب بهم الناس عن عرض يخمد الاديان ويكسر الاوثان ويعبد الرحمن قوله حكم وفصل وأمره حزم وعدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب طال عمرك ودام ملكك وعلا جدك وعز فخرك فهل الملك مسارتي بأن يوضح فيه بعض الايضاح قال ابن ذي يزن والبيت ذي الطنب والعلامات والنصب انك يا عبد المطلب لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا (قال ابن ذي يزن) ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا فخرك فهل أحسست شيئا مما ذكرته لك قال عبد المطلب كان لي ابن كنت له محبا وعليه حدبا مشفقا فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامه فيه كل ما ذكرت من علامه مات أبوه وأمه فكفلته أنا وعمه (قال له ابن ذي يزن) الذي قلت لك كما قلت فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن أن تدخلهم النفاسه في أن تكون لك الرياسه فيبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا اني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مهاجره فاني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب دار هجرته وبيت نصرته ولولا اني أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأوطأت أقدام العرب عقبه ولكني صارف اليك ذلك عن غير تقصير مني لمن معك ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشر اماء وخمسة أرطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوءة عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا حال الحول فائتني بما يكون من أمره فحال الحول حتى مات ابن ذي يزن فكان عبد

المطلب بن هاشم يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قالوا له وماذا قال سيظهر بعد حين (وتقدم من مقلوب زعم) زمع وفسر وهو جمع زمعة ويجمع أيضا زمعات وقد جاء ذلك في حديث صحيح ثابت خرجه في الدلائل ثابت أردت أن أثبت منه في هذا الكتاب موضع الشاهد الا أني رأيت القلب على ذلك غير مساعد لشغفه به قديما وحديثا وطلبه اياه طلبا حثيثا ولان النقص يشينه والنص يزينه فاستخرت الله تعالى وسقته بكماله فهو أتم لجماله كما صنعت بحديث سيف الذي تقدم سقته بكماله كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم * حدث ثابت رحمه الله بسنده الى علي بن أبي طالب قال لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم وكان رجلا نسابا وكان مقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال ومن أي ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها قالوا بل من هامتها العظمى قال وأي هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الاكبر قال أبو بكر فمنكم عوف الذي يقال له لاحر بوادي عوف قالوا لا قال فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ٣ قالوا لا قال فمنكم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فمنكم أصهار الملوك من لخم قالوا لا قال أبو بكر فلستم ذهلا الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه غلام من بني شيبان حين بقل وجهه يقال له دغفل فقال

حديث ابتداء الاسلام

٣ انما قيل له ذلك لانه كان اذا ركب لم يعتم معه غيره اجلالا له

ان على سائلنا أن نسأله * والعب لا نعرفه أو نحمله

يا هذا انك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا فمن الرجل قال أبو بكر أنا من قريش قال له دغفل بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أي قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة أفيكم قصي الذي جمع القبائل من فهر فكان يدعى في قريش مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال فمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذي كان وجهه القمر يضيء في الليلة الظلماء قال لا قال أفمن أهل الافاضة بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا واجتذب

أبو بكر زمام الناقة فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام

صادف درء السيل سيلا يدفعه * يهيضه حينا وحينا يصدعه

أما والله يا أخا قريش لو ثبت لاخبرتك انك من زمعات قريش ولست من الذوائب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابي على باقعة فقال أجل يا أبا الحسن ما من طامة الا وفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق قال ثم دفعنا الى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر وسلم وكان مقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من شيبان بن ثعلبة قالتفت أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم فقال مفروق انا لنزيد على ألف ولن يغلب ألف من قلة فقال له أبو بكر كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد فقال أبو بكر فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما نكون غضبا حين نلتقي وانا لاشد ما نكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديل لنا مرة ويديل علينا لعلك أخو قريش فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاهو ذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك فالام تدعونا يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد ظاهرت على أمر الله عز وجل وكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد فقال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون فقال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق

دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وانى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وانا نزلنا بين صيرين اليمامة والسماوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصيران فقال أنهار كسرى ومياه العرب فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وانا انما نزلنا على عهد أخذه كسرى أن لا نحدث حدثا ولا نؤوى محدثا وانى أرى أن هذا الامر الذى تدعو اليه أنت مما تكره الملوك فان أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان ابن بشير اللهم لك ذلك ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم نهض النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ بيدى فقال يا أبا بكر يا أبا حسن آية أحلام فى الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس والخزرج فنهضنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا صدقا صبرا (الهام) أعلى الرأس وهو أعلى من اللهازم (واللهازم) جمع لهزمة وهو مجتمع اللحم بين الماضغ والاذن من اللحيين والماضغ ما يمضغ عليه من الاضراس (والزمعات) جمع زمعة كما تقدم وهى هنا تشبيه أظفار الغنم فى الرسغ فى كل قائمة زمعتان يكون ذلك لكل ذى ظلف هذا الحديث يجدد الايمان على مرور الازمان نفع الله به الراوى والسامع والقارئ والجامع (وتقدم أيضا ذكر عزم) من قوله تعالى فاذا عزم الامر معناه عزم عليه وهو هنا الجهاد فى سبيل الله مثل قوله تعالى ان العهد كان مسئولا أى عنه وفى القرآن من هذا ولم نجد له عزما قال ابن عزيز رأيا معزوما عليه وقال غيره صبرا وفى القرآن فاذا عزمت فتوكل على الله أى اذا صححت رأيك فى امضاء الامر وفيه فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قال الكلبى يعنى ممن أمر

بالقتال

حكاية طريفة

بالقتال منهم (واذكر لك هنا حكاية طريفة) غريبة شريفة يروى أن الرشيد كان له ولد اسمه عباس وكان شديد السمرة فكره لذلك مكانه وقصر عن الحاقه بسائر بنيه ثم اتفق أن تنبأ فى عهده رجل سخيف فبلغ أمره الى الرشيد فأحضره وجعل يعظه و يفنده وجميع أبناء الرشيد مصطفون بين يديه بينهم عباس لم يجاوز العشر فأبى ذلك الشقى الا التمادى فى غيه فأمر الرشيد بضربه فلما باشر السوط جسده جعل يضطرب و يرعد و يقوم و يقعد فقال عباس ان كنت كما زعمت فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فاستطارلها الرشيد استبشارا واستنبالا وقال ابنى والله ثم رفع منزلته وأكرم مثواه وألحقه بمرتبة من سواه (وتقدم ذكر مزع) معكوس عزم وذكر المزعة وجاء فى الحديث من هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم خرجه مسلم من طريق ابن عمر وخرج أيضا من طريق عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه أنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة وذكر حديثا طويلا فى آخره أسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدا يناوله اياه وهذا الحديث حدثنى به الحافظ رحمه الله فى كتاب الاربعين للطوسى برواية عالية رضى الله عنه وقد كان بعضهم يسأل منه أن يسأل فلا يسأل و يعطى فلا يقبل يروى أن سالم بن عبد الله دخل البيت الحرام فصادف فيه هشام بن عبد الملك فقال له هشام سل حاجتك فقال انى أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله وقد جاء تحريم المسألة والصدقة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى وفى حديث آخر ولا لحظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب وجاء فى الصدقة أنها أوساخ الناس * كاتب ابن عمر رضى الله عنه غلاما ونجمها عليه نجوما فلما حل أول نجم أتاه المكاتب فسأله من أين أصبت هذا قال كنت أعمل وأسأل قال ابن عمر فجئتنى بأوساخ الناس تريد أن تطعمنيها أنت حر ولك ماجئت به وخرج مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من سأل الناس أموالهم فانما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر وفى كتاب أبى داود المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك الا أن يسأل الرجل ذا سلطان فى أمر لا يجد له منه بدا وخرج النسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم لو تعلمون مافى المسألة مامشى أحد الى أحد يسأله شيئا وعن ابن الفراسى

النهى عن سؤال الناس

أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل يارسول الله قال لا وان كنت سائلا ولا بد فسل الصالحين وخرج أبو نعيم عن مسعود بن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يسأل وهو عنه غني حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه وخرج أبو داود عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل بوجه الله الا الجنة (قلت) انظر ما جاء على كراهية المسألة من الأدلة مع ما فيها من الذلة وجاء بعض الشعراء الى بعض الامراء فقال أنشدك ثلاثة أبيات هن خير من ثلاثة آلاف فاذا أنشدتكهن قل صدقت قال هات فأنشده

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال

قال صدقت قال وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

قال صدقت قال ولم أر في القلوب أشد وقعا * وأنكى من معاداة الرجال

قال صدقت وأعطاه صلته ينظر قول الشاعر من معاداة الرجال الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان شرب الخمر وملاحاة الرجال صدق صلى الله عليه وسلم ولى منه قطعة لزومية

قل كيف يرجو فلاحا * من كان خصما فلاحا

فاتركه واترك مراحا * واجعله عنك مزاحا

وقد تقدم هذا في باب المزاح وأنشدني الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الاشبيلي رحمه الله ببجاية حماها الله لنفسه قطعة حسنة أولها

لا تبك خلا ولا انقطاعه * ولا لاسرارك المذاعه

وابك زمانا مضى وولى * عنك وأيامك المضاعه

وارجع الى الله من قريب * واخش تجليه واطلاعه

لعله أن يراك فيمن * قصر عما يريب باعه

وان تشا أن تنال عزا * بغير مال ولا جماعه

فاقنع بقوت وبعض قوت * فانما العز في القناعه

ولا تسل فالسؤال ذل * حاشاك من تلكم الصناعه

واصبر على حادث الليالي * واترك الذل والضراعه

فانما عمرك المرجى * هذا اذا نلته كساعه

ولما رأى هذه القطعة بمالقة الفقيه الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي رضى الله

عنه أنشد فى عروضها والتزم عادا فقال

بالله لا تشتك البعادا * وخل سعدى ودع سعادا
ولا تقف بالديار تبكى * عهد حبيب جفا وعادى
وان شدا فى الغصون شاد * فلا تقل ليته أعادا
وذر حماما واحذر حماما * وانس بعادا واذكر معادا
أين ثمود وقوم نوح * كل غدا رمة وعادا
ما ترك الموت جمع ترك * ولا عداد الجسوم عادا
لم يسلم المسلمون منه * كلا ولا المبعد المعادا

وقال بشر بن الحارث رحمه الله من أراد العز والسلامة فليلتزم ثلاثا لا يسأل أحدا حاجة ولا شيئا ولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحدا بسوء نظمت أنا هذا المعنى فقلت

يا مبتغى العز والسلامه * الزم ثلاثا تلق الكرامه
لا تسأل المرء ما لديه * ولا ترى آكلا طعامه
ولا تكن ذاكرا بسوء * ما عشت خلقا حتى القيامه
وزد لهذى الثلاث تقوى الاله تكمل لك السلامه
ودم على ذا واصبر عليه * فالصبر خير من الندامه

ومن شعر الفقيه الامام الزاهد الورع أبى عمران موسى بن عمران القيسى الميرتلى رضى الله عنه وهو الآن فى قيد الحياة فى سنة ثلاث وستمائة

ترجى السلامة فى القناعة والخمول والاعتزال
لا فى التكاثر والظهور * وفى مصاحبة الرجال
من رام مع هذى الثلاث سلامة رام المحال

وله رضى الله عنه وبلغه أن بشر بن الحارث رضى الله عنه كان يقول من أحب أن يكون عزيزا فى الدنيا فليجتنب أربعا لا يشهد ولا يؤم ولا يحدث ولا يقبل هدية فنظمها فى شعر وزاد فيها خمسا فبلغها تسعة وقال

تسع أبى منها أولو الاحلام والهمم السنيه
الا بحال ضرورة * تدعو لها مع حسن نيه
وهى الشهادة والوساطة والحكومة فى القضيه
وكذا الامامة والوديعة والتعرض للوصيه

ثم الاجابة للطاعم فى الولائم والهديه
فسد الزمان وأهله * لم تبق فى حرّ بقيه
زمن يكون به البرىّ من المريب على تقيه

ذكر الرخصة فى السؤال

وله رضى الله عنه التزامات ألزمها نفسه ستراها فى باب التاء والثاء عند ذكر الزهاد ان شاء الله وقد أرخص بعض العلماء لمن طرقته فاقة أو رهقته حادثة أن يسأل اذا عدم القوت والصبر وقد جاء فى الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار لان ترك السؤال عند خوف التلف سبب التلف فكأنه أعان على قتل نفسه والله أعلم وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى استعاذاته وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وقد سأل موسى والخضر عليهما السلام عند الضرورة فردّا وقد أخبر الله سبحانه عنهما بذلك فى قوله استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وقال الحريرى فى المعنى

وان رددت فانى الردّ منقصة * عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

ولابى عمران المذكور

أقبل البرّ اذا احتجت من البرّ الوصول
ما رأى أن لك الفضل عليه فى القبول
وأتى بالشئ صفوا * طيبا من غير سول
وأمنت المنّ منه * فى كثير أو قليل
ربّ منّ قد أقام الحرّ فى حال الذليل
واذا استغنيت عنه * لا تعرّض للفضول
وصن النفس بسف الترب عن عرف البخيل

(فصل) تقدّم من قول الرسول عليه الصلاة والسلام وان كنت لابدّ سائلا فسل الصالحين وجاء طعام البخيل داء وطعام السخى شفاء أنشدنى الحافظ السلفى رحمه الله لنفسه فى هذا الخبر

لا تجب دعوة البخيل لأكل * فطعام البخيل فى الجوف داء
واذا ما دعاك شخص سخى * فأجبه وكله فهو شفاء

وأنشدنى أيضا لنفسه اقتنع مادمت تحيا * بغداء وعشاء
ثم لا ترج غنيا * فى غدوّ وعشاء
فجماع العزّ للانسان فى قطع الرجاء

عن جميع الناس فى الشدة أو وقت الرخاء

هذا كله فى السؤال وأما ما جاء من غير مسئلة من النوال فقد جاء فيه من حديث مسلم رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء فيقول أعطه يا رسول الله أفقر اليه منى (فقال له) رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك (قال) سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه (وحدثنى) شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله (قال) رويت بالاسناد المتصل الصحيح الى خالد بن محمد الجهنى (قال) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاءه من أخيه معروف من غير اشراف ولا مسئلة فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله اليه ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره (قلت) وأنت أيها المستشهد بهذا الحديث الغريب الآخذ من كل من أعطى من بعيد أو قريب أذكرك هنا نكتة أزيدها مع علمى أنك لا تريدها هى المكافأة على العطاء ممن أعطى ألم تسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم من أتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه وكان عليه السلام يقبل الهدية ويثيب عليها وقال ولقد هممت أن لا أتهب الا من ثقفى أو دوسى ايمعبودكم أيها القوم أكذا نحن اليوم ما أظن ذلك كذلك بل نأخذ الهدية مع الوعاء ولا نكافئ الا ان كان بالدعاء نعم ونأخذ ونقبل من كل من أدبر وأقبل ولا نتورع ممن بها تبرع ولله در الذى يقول

ولما لمازفت الصلات الى * رحلى فلم أرض كل من يهب

ولابى عمران المرتلى

لا تقبلن هدية ولو انها * جاءتك من أصفى الانام اليكا

فتذل نفسك ان فعلت وربما انقلب الصديق غدا فمن عليكا

وله أيضا هدية جاءت ولم أحتشم * فى ردها من ذى اخاء كريم

لانه قد جاء فيما رووا * بأنها تفقأ عين الحليم

وتنقل الحر عن اخلاقه * لطمع مزر وخلق ذميم

(وقال بعض الزهاد) ما أدخلت يدى فى قصعة أحد الا وجدت الذلة فى نفسى وقال غيره من العارفين لا تسأل من الناس شيئا أبدا فان كان ولا بد من سؤالهم فاسألهم

مما ليس فى خزائن مولاك جل وعلا (قلت) انظر هذا العارف ما كان أعرفه وأرفعه فى الامر وألطفه نهاه أولا ثم أطمعه فتأنسه وضمن فيما أباح له ما عنه أيأسه فالواجب على الانسان والفرض أن يوقن أن لله خزائن السموات والارض وجميع المؤمنين والحمد لله لهذا يقنعون واليه ينتهون ولكن المنافقين لا يفقهون والمسألة على كل حال ذل الا الى الله سبحانه الذى يملك الكل وبهذا تشهد العقول وما أحسن الذى يقول

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال قرنته * رجح السؤال وخف كل نوال

ومن أجل كراهية السؤال أمر بحفظ المال (قال بعض الحكماء) حفظك لما فى يديك أولى بك من طلب ما فى يدى غيرك (قلت) ثم مع هذا اذا سألت المخلوق وألححت عليه أبغضك واذا سألت الله وألححت عليه احبك ألم تسمع قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقال الشاعر

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب

ولى فى هذا المعنى مقطعات أنظرها فى التكميل منها آخر بيت

ولا تسأل الناس ما عندهم * وسل من على كل شئ قدير

وقال الشاعر

ان الوقوف على الابواب حرمان * والعجز أن يسأل الانسان انسان
حتام تأمل مخلوقا وتقصده * ان كان عندك باخلاق ايمان
اعطاؤه لك ان أعطاك ضعة * فكيف ان كان بعد المطل حرمان
ثق بالذى هو يعطى ذا ويمنع ذا * فى كل يوم له فى خلقه شان

(قال الاصمعى) مررت بكناس وهو يحمل على ظهره جرة من عذرة وهو يقول

وأكرم نفسى انى ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدى

(قال فقلت له) وعن أى شئ أكرمتها وأنت تحمل العذرة على ظهرك (فقال) أكرمتها عن الوقوف على باب مثلك (قال الاصمعى) ما لقيت مثلها وكان مطرف ابن عبد الله بن الشخير يقول اذا كانت لاحدكم حاجة فلا يواجهنى بها فانى اكره أن أرى فيكم ذل المسألة ولكن ليرفعها الى فى رقعة فان الشاعر قد صدق فى قوله

يا أيها المتعب بذل الجمال * وطالب الحاجات من ذى النوال

لا تحسبن الموت موت البلى * فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

وكان خالد بن صفوان يقول فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها وأشد من المصيبة سوء الخلف منها (وقال الحسن بن على لمعاوية) رضى الله عنهم أعطنا من قبل أن نسألك فانك ان أعطيتنا بعد المسألة كان ثمن وجوهنا ولم نحمدك (قلت) ذكرنى قول الفقيه رحمه الله

وانما عمرك المرجى * هذا اذا نلته كساعه

قول بعضهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعه وأنشدنى بعض أشياخى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

(وقد مثل نوح عليه السلام) الدنيا ببيت له بابان دخل من أحدهما وخرج من الآخر ذكر معنى ذلك مكى فى الهداية قال يروى أن نوحا صلى الله عليه وسلم أرسل الى قومه وهو ابن مائة وخمسين سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله والى عبادته ألف سنة الا خمسين عاما ثم دعا على قومه فغرقوا ثم عاش بعد الغرق مائتى سنة وخمسين فكان عمره ألف سنة وأربعمائة سنة وخمسين فلما احتضر قال له ملك الموت يا أطول الانبياء عمرا وأكثرهم عملا كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من باب وخرجت من باب (ودونك فائدة فى القوت) خير من الياقوت تقدم فى شعر أبى محمد عبد الحق رحمه الله ذكر القوت قال فيه ثابت رحمه الله يقال قوت ليلة وقيت ليلة وقيتة وقد فات أهله يقوتهم قوتا وفسر الشعبى قوله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم قال الجهد القيتة (فرع) قوله قيتة لما انكسرت القاف صارت الواو ياء تقول قتته فاقتات كما تقول رزقته فارتزق وهو فى قنات من العيش أى فى كفاية واستقاته سأله القوت ومن أيمانهم لا وقائت نفسى ويقال فلان يتقوت بكذا واقتت لنا رك قيتة أى أطعمها الحطب قال ذو الرمة

فقلت له ارفعها اليك وأحيها * بروحك واقتته لها قيتة قدرا

ويقال أقات على الشئ اقتدر عليه قال الشاعر

وذى ضغن كففت النفس عنه * وكنت على مساءته مقيتا

قال الفراء المقيت المقتدر الذى يعطى كل رجل قوته قال الله عزوجل) وكان

مدة عمر نوح

مبحث القوت

الله على كل شئ مقيتا أى مقتدرا ويقال المقيت الحافظ للشئ والشاهد له وأنشد ثعلب للسموأل

ليت شعرى وانشرنها اذا ما * قربوها منشورة ودعيت

أعلى الفضل أم على اذا حوسبت انى على الحساب مقيت

يعنى بالمنشورة صحفه أى أعرف ما عملت من السوء لان الانسان على نفسه بصيرة (وقال أبو سعيد) يروى ربى على الحساب مقيت وهو أحسن لان الخاضع لربه لا يصف نفسه بهذه الصفة (رجع الكلام) وغيرك الغمر الى فائدة أخرى فى عمرو من معنى ما قاله الكندى من تحليل الحروف فيما تقدم وذلك انك تحل لفظة عمرو المكتوب بالواو كما تقدم فيتغير الى معان كثيرة كلها مفيدة فتبدأ من أوله فتكتب (ع) بلا ضبط فلا تؤدى لك على هذا الشكل معنى غير أنها عين وليست واوا ولا ألفا واحتمل أن تكون عينا أحد حروف الهجاء وهو سبعون فى حساب أبى جاد فان كسرتها فتقول (ع) فتؤدى لك معنى الامر من وعى يعى الا أنهم كرهوا النطق بها مفردة فألحقوا بها حرفا زائدا وتوهموا بها وهى هاء السكت أى تحذف فى الوصل ويستغنى عنه به فقالوا عه فى الوقف وقالوا فى الوصل (ع) كلام زيد فقد أفادك هذا الحرف على انفراده معنى الامر وكذلك فعلوا بسائر الحروف المعتلة الاوائل والاواخر مثل (له) من ولى يلى (وشه) من وشى (وقه) من وقى الى آخر الحروف نعم وفعلوا ذلك فيما كان أوله صحيحا مثل (رأى) قالوا فيه (ره) فى الامر ورزيد اولم يفعلوا ذلك فى نأى وهو صحيح الاول مثل رأى قالوا فى الامر من نأى (انأ) والفرق بينهما انهم قالوا فى مستقبل نأى ينأى فلما أرادوا أن يبنوا منه فعل أمر حذفوا الياء من أوله كما فعلوا فى أول كل فعل مستقبل أرادوا أن يبنوه للامر فبقيت النون فجلبوا لها ألف الوصل للتوصل الى النطق بالساكن فقالوا (انأ) وقالوا فى مستقبل رأى يرى وان كان أصله (يرأى) لكن كذا نطقوا به لعلة ذكروها فلما حذفوا الياء بقيت الراء متحركة فلم يحتاجوا للالف فقالوا (رزيدا) مثل (ع) كلام زيد حذفوا حرف العلة من أوله ومن آخره ولم يبق الا الصحيح ولو كان آخره صحيحا لابقوه مثل (وعد ووفد) فقالوا فى مستقبله يعد ويفد وفى الامر عد وفد ولا تحتج على يوجل يوجل فتنشب وتوحل أقول لك من أول وهلة النادر لا حكم له ذلك فعل خرج عن بابه فى قلة من أصحابه فتكلف معه من التصريف ما يكثر عن التصنيف قالوا وجل يوجل ويجل ويجل وكذا قالوا وجع فلانا رأسه يوجع ويا جع ويجع ويجع

مبحث الامر من الحروف المعتلة الاوائل والاواخر

بكسر الياء وهى لغة لبنى أسد وهم لا يقولون يعلم استثقالا للكسرة على الياء فلما اجتمعت الياآن فى يجيع قويتا فاحتملتا ما لم تحتمله المفردة (قال متمم بن نويره)

فعيدك ألا تسمعينى ملامة * ولا تكائى قرح الفؤاد فيجزعا

أين هذا المذهب من ذهب يذهب بقى هذا على حاله لصحته وكماله وتغير ذلك لاعتلاله نسأل الله الصحة فى الاقوال والافعال انه الكبير المتعال وسيجىء فى هذا الفعل المعتل خبر فيه عندى عبر (رجع الكلام الى الحرف المفرد) المسلوب الطرفين المجرد انظر كيف دل حرف واحد على معنى كما دلت الحروف المقطعة فى أوائل السور على معان كما تقدم على مذهب من رأى ذلك فتقول من حرف العين من عمر و (ع) كلام زيد فان أضفت اليه ميما جاء منه عم صباحا أيها الرجل العالى لا الطلل البالى وتفتح العين فتقول عم أخو الاب (وقد جاء فى القرآن) وبنات عمك وأعمامكم وعماتكم وجاء منه فى الحديث كثيران عم الرجل صنو أبيه أى أصلهما واحد كما قيل فى تفسير قوله تعالى صنوان وغير صنوان انهما النخلتان أو النخلات يكون أصلهما واحدا وقيل الصنو المثل وكان للنبى صلى الله عليه وسلم تسعة أعمام العباس وحمزة أسلما رضى الله عنهما وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث والحجل والمقوم وضرار وأبو لهب واسمه عبد العزى وعماته صلى الله عليه وسلم ست صفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأروى وبرة وأميمة وكلهم اخوة عبد الله بن عبد المطلب وعبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصغرهم (رجع الكلام ويأتى منه عم الخير الناس) وعم على فلان هذا الخير وعم بمعروفك الخلق وانها النخل عم فى الحديث وفلان عم اسم فاعل من عمى يعمى والجمع عمون وفى التنزيل بل هم منها عمون وفى الاستفهام عم تسأل يا هذا ويأتى من معكوسه مع كان الله معنا وقالوا مع كلمة تدل على المصاحبة والمعمعى من الرجال الذى يكون مع من غلب وهو الامعة أيضا ومنه قوله لست بامعة فى الرجال وسيأتى معنى قوله انى معكما أسمع وأرى فان نقطت العين مفردا دل أيضا على حرف من حروف أبى جاد وهو فى الحساب تسعمائة فان أضفت اليه ميما جاء منه غم عافانا الله منه وغم هذا الخبر ولا تغشه وغم الهلال (وفى الحديث) فان غم عليكم فاقدروا له وغم قرية من قرى قطربل (قال الشاعر)

فى روضة من رياض الغم مشرقة * تنوح فيها مثاكيل الفواخيت

مبحث عم

أعمامه وعماته عليه الصلاة والسلام

المعمعى والامعة

فان زدت راء جاء منه عمرو عمر و بالعين عمر وعمرا الى غير ذلك مما تقدم فان زدته واوا جاء منه عمرو اسم الرجل فان زدت نونا جاء منه عمرون اسم رجل واسم الجمع السالم قبل دخول الالف واللام فان زدت هاء التأنيث على مذهب العامة ذهب جمع الرجال وبرزت عمرونة ذات الجمال على ان لفظة عمرونة ليست عربيه بل هى عامية حضريه ولم أسقها للقياس لكن على مذهب كلام الناس فانظر الى هذا التغيير الغريب فى هذا الاسم القريب كيف انقلب بالزيادة والنقصان الى شتى معان هل تجد هذا الشان فى غير هذا اللسان فاحمد الهك أيها الانسان على ما علمك من البيان وألهمك من التبيان ومعنى قولى والنقصان أنك تهدم ذلك الاسم كما بنيته وتحلله من حيث أكملته حتى يصير الى الحرف الذى منه بدأته (وأغرب من هذا) ان الكلمة تتغير بأقل من الحرف وهى الحركة تقول فى تثنية قنو وصنو قنوان وصنوان بغير تنوين فاذا نونت قلت قنوان وصنوان انقلب الى لفظ الجمع بحركة واحدة فى الكلمة مثل أن تقول هذان قنوان اثنان خذهما فى قنوان ثلاثة لك عندى وقد يذهب التنوين من الجمع بدخول الالف واللام فى أوله فيشبه المثنى فلا يفهم الا بالمعنى مثال ذلك هذان القنوان أعطيتهما اياك فى القنوان الثلاثة التى أعطيتنى قبل هذا وما أشبه هذا مما يتبين فيه التثنية من الجمع والله ولى النفع (وكذلك قالوا جوالق) فى الواحد وقالوا فى الجمع جوالق فتحوا الجيم فى الجمع وضموها فى الواحد ولم يجعلوا بينهما فرقا غير ذلك ولم يقولوا جوالقات وقالوا وترعنابل وهو المتين الصلب وفى الجمع عنابل فهذا أغرب مما تقدم (تقدم فى الالفاظ المؤتلفة) من العين والميم نحو عم ودونك فى ذلك فائدة يا ابن عم كان من دعاء الحسن بن أبى الحسن البصرى رضى الله عنه يوم تغيب عن الحجاج ودخلوا عليه فلم يروه قال ياعدتى عند كربتى ويا صاحبى عند شدتى ويا ولى فى نعمتى ويا رب آبائى الاولين ابراهيم واسحاق ويعقوب ويا رب طه وكهيعص ويس والقرآن الحكيم عم عليهم مكانى ففعل الله ذلك به (وأزيدك أيضا يا ابن الوالده فى عمرو فائده) وذلك انك لما زدت فى آخره هاء التأنيث على المذهب الرثيث (فقلت) عمرونة ان زدت فى أوله كاف التشبيه فقلت كعمرونة ثم عكسته جاءك منه تنور معك كلام قائم المعنى صحيح المبنى وليس يستغرب هذا فقد يوجد العكس فى كثير من الكلام لم يلق له قائله بالا انظر المنسوج فى الحصر التى

مما اختلف فيه الجمع والمثنى بالحركة

ما يقرأ طردا وعكسا

فى الجدر توكل تكفا وسل تعطا ان عكسته وأسقطت توكل جاءك منه أطعت لسوأفكت كلام سديد له معنى مفيد ولو بدلت لفظة توكل وقلت أس بمعنى أعط لجاءت الكلمات كلها مقروءة فقلت أطعت لسوافك تساوهذا لم يلق له الذى عمله ولا الذى قرأه بالا وكذا غيره ورأيت فى حصير مكتوب (سعادة لصاحبه) فان قدمت وقلت لصاحبه سعادة وعكسته جاء منه (تداعسه بحاصل) كلام أيضا مفيد المداعسة المطاعنة والمداعس الرماح قاله صاحب العين (وفى الحديث) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ليلة بدر كيف تقاتلون فقالوا اذا دنا القوم كانت المراضخة فاذا دنوا حتى نالونا ونلناهم كانت المداعسة بالرماح حتى تقصدت خرجه الخطابى رحمه الله وقال المداعسة المطاعنة يقال داعست بالرمح ورجل مداعس وأنشد

اذا هاب أقوام تجشمت هول ما * يهاب حياه الأ لد المداعس

والمراضخة الرمى بالسهام يقال تراضخ القوم اذا تراموا وقوله حتى تقصدت أى تكسرت قصدا قصدا أى كسرا كسرا * ودونك فائدة فى التنور لاعدمت النور قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل تنور وكلوب وشبوط وسفود وسمور الا السبوح والقدوس فالضم فيهما اكثر وقد يفتحان قال أبو عبيدة ولم يسمع فى الكلام فاعول الا غيهموز مثل لماوس وداود ولا فعل بضم الفاء والعين الا ذؤل وهو دويبة تشبه ابن عرس ولا فعيل مفتوح الفاء وثم فعليل بالكسر مثل زنبيل أوزيسل فان فتحت فقل زيل مخففا مثل زبير قال ولم يسمع فى الكلام فعل وفعل الا أربعة مثل ومثل وبدل وبدل وشبه وشبه ونكل ونكل والبدل البديل ويقال بدل وبديل وأبدال وبدل الشئ غيره والبدل جمع فى اليدين والرجلين يقال بدل يبدل بدلا والبديل واحد الابدال وهم قوم صالحون اذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر فلا تخلو الارض منهم قال ولم يأت فى الكلام فعلان مفتوح الفاء من غير ذوات التضعيف الا حرف واحد ناقة خزعال وهى اذا كان بها ظلع وزاد ثعلب قهقار وخالفه الناس وقالوا قهقر وزاد أبو مالك قسطال وهو الغبار وأما فى المضاعف فكثير كالقلقال والزلزال ولى بهذا المعكوس ولوع وله بقلبى وقوع وقد عنيت به فيما خلا من الازمان نعم وحتى الآن وقلت فى ذلك

قد ما شغفت بذا المعكوس ان له * لذاذة عند ما يصطاده الفكر
وحق ذا فجميع الشعر أرملة * أنثى وذا النوع منه الاعزب الذكر

والحريري رحمه الله امام هذا الشان وفارس الميدان لم ينسج أحد على منواله ولا رأيت أحدا أتى بمثاله ساق منه في مقاماته خمسة أبيات بمثلها أحد لم يات وأنا اعترني وقت قراءتها مع بعض الطلبة ممن له جلبة ولا غلبة كلام طويل عريض أدى الى أن صنعت منها عشرة أبيات على القافية والعروض وان لم تكن ابنة أمها فهي بنت عمها وقد كفيتك لومي يومي وبينت لك ابسي بما قلته مخاطبا لنفسي وهو

لا يغرنك ان أتيت بمقلوب من الشعر رظل وهو كثير
فالذي سقت منه فهو طميث * والذي ساقه الحريري حرير

وكنت لما قلت ذلك الشعر أريته شيخنا الفقيه الخطيب أبا محمد عبد الوهاب بن علي وسألته هل قال من هذا النوع شيئا أو رآه لغيره فكتب الي بعد كلام ونظرت الى صنف من المقلوب أخذ بمجامع القلوب ولم أر مثل هذا النوع نوعا يأبى أن ينقاد لاكرها ولا طوعا كم أعيا شعراء حذاقا راموه فاوجدوا له مذاقا واذا وقع منهم الفذ الفريد على البعض مما يريد صدر عن قريحة معذبه وألفاظ لا فصيحة ولا مستعذبه واقدرمت ذلك مدة الشباب ولزمت أسكفة الباب واكثرت القرع وشمرت للولوج الدرع ثم لا أذن تسمع الاذن فتلذ ذلك المقول ولا رجل تفارق الحجل فتأخذ في الدخول فعندها ثنيت عناني ومضيت لشاني وأنت أيها الصفوة المخول قد تهيأ لك الدخول وتمكنت من تلك الدار وسكنتها بمساعدة الاقدار فامدد بها رحليك فلا حرج عليك في كلام كثيرا اختصرته (قلت) وأنت أيها الناظر في أحرى لا تلتفت الى المدح ولا الى القدح وانظر الى بيت واحد من تلك القطعة أثبته لك في هذه الرقعه فان استقللت خيره فقل غيره والا فنعم الديك وقل بنفسي أفديك وهو

أسأل من من الا * لان من مل أسا

هذا أحد الابيات العشره حروفه بين يديك منتشره فاعكسه وقسه فان استحسنته فاجبذه وان استخشنته فانبذه ألا واحد الآلاء وهي النعم ولي في هذا النوع من المقلوب نحو العشرين بيتا قد جمعتها في غير هذا الموضع انظرها في التكميل مع ما يشبهها من هذا القبيل وسيأتي من ذلك طرف عندي من اللباب في باب ناب وتاب وهذا الباب يستظرفه أهل الآداب وربما يكتبون الكلمة فيلغزون بمقلوبها على من لا يفهم غير مكتوبها فاذا عكسها المكتوب اليه بها كان

لسرها

لسرها منتها كما يحكى ان امرأة أديبة ظريفة لبيبة رحلها زوجها الى أرض غربة لم يكن لها بها مفرج كربه فاحتاجت الى ما يحتاج اليه النساء من الاستمداد واستحيت أن تطلع على ذلك أحدا من الانداد فكتبت بيتى شعر الى أبيها أظن أو أمها تلغز فيهما بمهمها وكانت تلك البنت بحصن يعرف بالنبت فقالت

النبت شرّ مكان * لا أعد من فيه بوسا
فقدت هرون فيه * فابعث الىّ بموسى

وعكوس هرون على هذا الشكل نوره فانظر الى هذه الحرّة الرشيدة كيف أخفت الموسى الحديده حين جعلت هرون لها ترسا وكيف أخفت النورة فيه كى تنسى فلا يهتدى لها حتى تقر أعكسا وقد أعجبت أخرى بأغرب من هذا كانت تهوى غلاما اسمه رشا فصحفته زينبا (وقالت)

أضحى الفؤاد بزينبا * صبا كئيبا معربا
فجعلت زينب سترة * وكتمت أمرا معجبا

وأقول الأولى عندى أعجب وتقديمها أوجب ومثل هذا التصحيف ما قاله عباد ابن ماء السما على ما تفاءل وقد أهدى اليه سفرجل

أهدى اليه سفرجل فتطيرا * منه وظل مفكرا مستشعرا
خوف الفراق لان شطر هجائه * سفر وحثّ له بأن يتطيرا

أخذ هذا المعنى الحصرى فقال

متحفى بالسفرجل * لا أحب السفر جلا
مبتداه سفرجل * سفرجلّ واعتلى

ونمى هذا الى أبى محمد البسترينى فقال فى ضدّه

ما فى السفرجل شئ يستراب به * فلا تبت منه مطويا على وجل
واقبل هديته من راحتى مرة * راحت عليك به أوراحتى رجل
انى نظرت الى تصحيف أحرفه * فانفك منهنّ لى بث يفرج لى
ولا تقل سفرجلّ البلاء به * أوحل منه وقوع الحادث الجلل

ومن هذا النوع من التصحيف أيضا ما يحكى عن أمير حسيب شريف كان يمشى مع وزير له أديب ظريف فمرّ فى طريقهما بنسوة يتسابين فقال أحدهما لصاحبه الجباسين وقال له الآخر الجيارين ففهم كل واحد منهما ما أراد صاحبه أما الجباسين

فتصحيفه الخنا شين وأما الجيارين فتصحيفه الحيازين ومن التصحيف الظريف ما يذكر أن رجلا أى فى منامه كان قرمدة من السقف سقطت عليه فأتى لمعبر فى زمانه فسأله عن منامه فقال له المعبر نويت سفرا عن قريب قال نعم قال له لا تسافر فى هذا الوقت فان تصحيف قرمدة قرمدة فأقام الرجل وتبين له بعد ذلك ان الخير كان فى مقامه (ومثله من التصحيف) ان مدينة آبدة أخذها ثائر فى زمان الفتنة فبعث الامير يستخبر أمرها فوجدها قد أخذت فجاء الى الامير وهو فى الناس فكره أن يفشى ذلك الامر فورى بأن قال احدب آبده ففهم الامير ما قال والآبدة من أسماء الدواهى وهذا النوع من الادب يجذب ولا يجذب * ودونك فائدة فى الجذب والجذب أحلى من الخصب بعد الجدب جبذ وجذب وهما سواء والجدب بالدال المهملة غير المعجمة ضد الخصب وجدب فلان فلانا سبه وشتمه وهذه أيضا فائدة على ما تقدم زائدة كمل الكلام فى معانى هذه اللفظة عندى بأسرها ولا أربط لحصرها لانى أجهل ما غيرى به زعيم وفوق كل ذى علم عليم وسآتيكم أيها الحفاظ فى هذا الكتاب بألفاظ

نشطت اليها فصرفتها * على النص ثمت عكسا وقلبا
فهما تمرنها فى الكتاب فادع لمن فيه أتعب قلبا

وأختم لكم هذا الفصل أيها النبون بفائدة كبيرة فى قوله تعالى عم يتساءلون على معنى من التفصيل ذكره صاحب التحصيل يكون كفارة لما تقدم لان الشر بالخير يهدم قرأ ابن مسعود عما يتساءلون بألف وكذلك قرأ عكرمة وغيره ومن حذف وهو الاكثر فللفرق بين الاستفهام والخبر وقوله عن النبأ العظيم ليس متعلق عن يتساءلون الظاهر فى التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيقول أعن النبأ يتساءلون كقولك كم مالك أثلاثون أم أربعون فوجب لما امتنع أن يتعلق بيتساءلون الذى فى التلاوة أن يتعلق بيتساءلون آخر مضمر تقديره عن أى شئ يتساءلون فقيل يتساءلون عن النبأ العظيم وحسن ذلك بتقديم يتساءلون فأضمر يتساءلون آخر والله أعلم بكتابه والنبأ العظيم هنا هو البعث بعد الموت وكانوا ينكرونه * فرغت من التعريف بما فى هذين الاسمين من التصريف على حد من التوسيط بين الافراط والتفريط * وقد صنعت لك أبياتا أيها الاديب الظريف أفضل فيها العلم على التليد والطريف فان تعلمتها فأنت العريف وان تفهمتها فأنت الشريف

lxxviii. ١

فاجعلها

فاجعلها في صدرك لعلك تدرك

لتصريف العلوم ألذها * أصرفه من الذهب المصفى
لان العلم ينفع دون مال * وليس كذلك نفع المال يلفى
ويكفى المال عيا أنه صامت والعلم ينطق ليس يخفى
ويكفى المال أن لا فوح فيه * وأن العلم تلفى فيه عرفا
يشهى حامليه لنشره حيث حلوا وانتووا أدبا وظرفا
ترى الاقوام ان علموا ولا مال عندهم هم كالشمس عرفا
وان جمعوا الدراهم دون علم * فهم نعم وقل عدم بل اخفى
ولكن يافتى للعلم شرط * به تزداد فى الخيرات ضعفا
تكون بما تعلم عامل * تضيع من جميع العلم حرفا
فهذا شرطه وعليه تقوى * يتقوى الله فاتقه لتكفى
وهذى وصيتى فاعمل بها لا * تضعها بعد ذا عجزا وضعفا
فانك ان أضعت قرعت سنا * أسى وندامة وازددت لهفا
وما التوفيق والتسديد الا * من المولى فمد اليه كفا

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه العلم خير من المال لان العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه (وقال) مصعب بن الزبير تعلم العلم فان لم يكن لك مال كان لك مالا وان كان لك مال كان لك جمالا والكلام فى هذا المعنى كثير وما التوفيق الا من عند الله الذى هو على كل شئ قدير (قلت) والذى يعينك أيها الطالب على العلم الدرس مع الفهم ولا يزال فى يدك كتاب تتعلمه فافهمه فانه نعم الجليس ونعم الصاحب والانيس ألم تسمع قول الشاعر ذى العتاب * وخير جليس فى الزمان كتاب * أنشدنى الشيخ الفقيه الاديب أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله لبعضهم وكتبه لى بخط يده رضى الله عنه

ياماجدا أثنى على مالك * ممتدحا فى شعره مالكا
شيمتك الافضال يافضل * وأنت مطبوع على ذلكا
فان يكن يهلك لى مالك * فلا ترانى بعده هالكا
ما النور الا كتب حازها * بيتك من نسخك أو مالكا
فأنت فيها كل حين ترى * بعض الذى مر على بالكا

فان يكن أقفلها واضع * فعند أخرى فتح أقفالكا
ما كل حين تجد الشيخ ذا * ميسرة وفقا لاشغالكا
لاسيما ان كنت ذا قلة * فأنت مهجور ولا قلالكا
وربما أبرمته فاشتكى * والكتب لا تدرى بما ملالكا
فالكتب لا تعدمها ساعة * فاستبقها فى حمل أثقالكا
أخلل بها تما ترى دارسا * ففخرها فى فرط اخلالكا

وقد تقدّم فى أوّل الكتاب * اعكف على الكتب وادرس * تؤتى ثمار النبوّة
فالله قال ليحيى * خذ الكتاب بقوّة

وقد حضضت فى شعرى كما تقدّم وفى فهرستى أبيات منها

عليك بدرس الكتب تسم الى العلى * وتدعى شريفا كالذوائب من فهر

وحكى أحمد بن أبى عمران قال كنت يوما عند أبى أيوب أحمد بن شجاع وقد تخلف فى منزله فبعث غلاما من غلمانه الى أبى عبد الله بن الاعرابى صاحب الغريب يسأله المجىء اليه فعاد الغلام وقال قد سألته ذلك فقال عندى قوم من العرب فاذا قضيت أربى معهم أتيت قال الغلام وما رأيت عنده أحدا الا أنى رأيته وبين يديه كتب ينظر فى هذا مرّة وفى هذا مرّة ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له أبو أيوب يا أبا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وأحرمتنا الانس بك وأنه قال لى الغلام ما رأى عندك أحدا وقد قلت له انا مع قوم من الاعراب فاذا قضيت أربى معهم أتيت فأنشد لنا جلساء لا نمل حديثهم * ألباء مأمونون غيبا وشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى * وعقلا وتأديبا ورأيا مسدّدا
فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقى منهم لسانا ولا يدا
فان قلت أحياء فلست بكاذب * وان قلت أموات فلست مفندا
وقلت خرجت من شئ الى غيره * والعلم خل الخاشع الخاضع
فاعمل بما كنت له عالما * واسترحم الرحمن للواضع

وأنت قد خرج لك من لفظ زيد وعمرو بحر كلام عمر مع التعويل على ترك التطويل والعلم القليل والذهن الكليل فاقنع بهذا التعليل ففيه شفاء العليل واطفاء الغليل وقد كنت لما أردت جمع تلك الابيات المتقدّمة جمعت من هذه الالفاظ الاشكال نحو خمسين بيتا على تلك القافية المتقدّمة نحو

وعم وغم وعم وغم * وغم وعم وعل وعل

ونحو وخل وخل وجل وحل * وحل وخل وحل وجل

وغير ذلك مما أردت أن أحصر فيه هذا الفن فرأيته بحر لا يرتبط وغمر لا ينضبط فرجعت الى الالف والباء مع سائر الحروف التي جمعتها في الابيات (فقلت) ان عمل بسائر الحروف كما عمل بالالف مع الباء فيستخرج ذلك وغيره وقد كان ذلك في الشعر أيضا أبيات كل كلمة على ثلاثة أحرف نحو (زيد وزند وزبد وزبد) مثل ما تقدم ومثل (وخبر وخبر وخير وختر) الى غير ذلك وقد اعترافي مع بعض الطلبة نوع من هذا اذ حدثتهم أن لوزير أبا عبد الله بن شرف رحمه الله صنع ست كلمات لكل كلمة معنى غير الاخرى وهي (يمه يمه) الكلمات المتقدمات فاستغرب ذلك وقال لا يقدر في هذا الزمان أحد على مثل هذا فأخذت تبنة من الارض فصحفتها على ستة وسبعين مرة ولم أغير شكلها غيرانها منثورة دون وزن ثم اني وصلت منها في شطر واحد ست عشرة لفظة تقرؤها متصلة يكون لها معنى آخذ من الحسن بطرف مثل الذي لابن شرف ومثال ذلك (نبيه تنبه بنية بنية تبنة تنبه بنيه بثنة بنية) والتبية هنا البعد وكذلك فكذلك الى آخر الكلمات ثم اني نظمت منها بيتين اثنين موزونين وقد تقدم ذكرهذا في أول الكتاب وكذا فعلت معهم في هجاء يرملون الاحرف الستة صحفتها وقلبتها خمسين مرة لكن على غير شكل هذه اللفظة على أنواع من العكس والقلب مثال ذلك أن معكوس يرملون (نول مرى) ومقلوبه (لون مرى ولوني مر ونيل مرو وولى نمر ونمير ول) وكذلك فكذلك الى آخر العدد وقد جمعت هذه الكلمات وأضفت اليها الشعر الملغز به المتقدم الذكر في ألفاظ التبنة المذكورة وما كان من هذا الجنس وما أجاب عليه بعض من رآه فجاء من جميعها كراسة كبيرة وضمنتها كتاب التكميل المذكور فانظرها هنالك فهو فيها مسطور (وقد تقدم ذكرها أيضا) وانما ذكرت هذا لتعلم ان هذا اللسان العربي عجب من عجائب الله ليس لاحد من الامم ما للعرب من ذلك وسأمثل لك من هذا النوع هنا شيئا تتأمل به فخذها فائدة تزيدك ترى أذكرها لك أي (فل فل أي قل فان قلت لي كذا أقل لك نعم دامت لك النعم ها أنا اذا أجيب * بالامر العجيب ولا أزيدك أي فل على فل قل فأتول ندائي يا لك فل وأمرك لي قل اذا جمعتهما جاء منهما فل قل كلام له معنى فأول ما أبدأ بالفاء اذا كتبت لك ما شكله ف

بلا ضبط ولا نقط وقيل لك تكلم على هذا الشكل علمت بصورته أنه ليس بألف ولا دال ولا غير ذلك فلم يحتمل الا أن يكون فاء أو قافا وأقرب ما تقول فيه فاء لأن القاف لا تكون على هذا الشكل مفردا فتقول فيها فا وتقول فيها ما قلته في العين والغين المتعددتين من أنها تدل على العدد المعلوم في أبي جاد فان كسرتها (فقلت) فرجعت أمرا من وفا يفي وجاء منها في الحديث على هيئة صورتها في التهجي ما خرج مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الدجال مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر وفي رواية أخرى مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب (وجاء في فضائل عمر بن العزيز) رضي الله عنه عن الليث بن سعد أن رجلا رأى في المنام مناديا ينادي من السماء جاءكم اللين والدين والعمل الصالح في المصلين فقال الناس من فنزل المنادي من السماء حتى كتب في الارض (ع م ر) يريد عمر وكان ذلك في مولده سنة احدى وستين وقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وولي الخلافة سنة تسع وتسعين وتوفي سنة احدى ومائة في رجب وكانت ولايته سنتين وخمسة أشهر وأربع ليال وفضائله رضي الله عنه مشهورة مذكورة * فان كتبتها معربة فأخرج من صورتها معنى آخر وهو فاء تقول منه فاء يفيء فيئا ومنه في القرآن العزيز فان فاؤا حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت وسيأتي هذا مع ذكر الفيء في بابه من هذا الكتاب مع الفاء الحرف العامل في الاسماء والافعال ان شاء الله (وقد تقدم ما دللت عليه من المعنى في قول الشاعر * ألافا ألاتا * وكذلك تقول رأيت فازيدا تريد فه وسيأتي وفي رجال الحديث من اسمه (فأفاء) أخرج الدارقطني من حديث بشر بن فأفاء حديث الصلاة في السفينة فذكره ويقال رجل فأفاء على وزن فعلال اذا تردد في الفاء وفيه فأفأة والكلام في القاف في قولك ق مثل الكلام في الفاء وسيأتي الكلام أيضا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد واختلاف القراء في ذلك الا أنه بقي من شكل فاء قاء فعل أيضا من القيء وقد جاء في الحديث مواضع على ما سترا ه وقد فسر أبو عبيد حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الصبي الذي كان به جنون فمسح صدره ودعا له فقاء ثعة فخرج من جوفه جرو أسود يسعى قال معناه قاء قيئة ويقال أثاع الرجل اثاعة اذا قاء فهو مثيع والقيء مثاع وأنشد * تمج عروقنا علقا مثاعا * يصف الجراحات قاله صاحب العين ويقال هاع يهوع هوعا اذا قاء بلا كلفة وهوعته

قياته

قيأته وكذلك ان كتبت معر باقاف جاء منه أيضا معنى آخر وقد تقدّم قول الشاعر
* قلت لها قفي فقالت قاف * وسيجيء قاف مع معكوسه فاق فى بابه ان شاء الله
ويأتى من مقلوب قاف أفق من رقد تلك وأفق جمع أفيق وهو الاديم وقد تقدّم
وسيأتى الكلام عليه بحول الله وقوته وقال صاحب العين الافيق الاديم والجمع أفق
والافقة مرقة من مرق الاهاب وقال السيرافى لم يجمع فعيل على فعل الا فى أفيق
وأفق وأديم وأدم وقضيم وقضم وهى الصحيفة وقال غيره ويجمع أفقة وأديم
وأدمة مثل رغيف وأرغفة (رجع) ويأتى منه أفق واحد الآفاق قال ع يقال
أفأق الرجل يأفق اذا ركب رأسه فى الآفاق ومنه رجل أفق بفتح الهمزة والفاء
وكان أبو نصر وغيره يقول بضمها وهو القياس وقد جاء أفق بمعنى فضل قال الاعشى
ولا الملك النعمان يوم لقيته * بأمته يعطى القطوط ويأفق
والقطوط جمع قط وهى الصحيفة من قوله تعالى عجل لنا قطنا أى حسابنا فمعنى
البيت أنه يكتب الجوائز فى الصحف ويفضل والامة النعمة ومن القط حديث زيد
أنه كان لا يرى ببيع القطوط بأسا خرجه ثابت وقال القطوط الارزاق وأصل القط
الكتاب وانما سمى الرزق قطا لانه كان يكتب به الى الناحية التى يكون بها
حق السلطان من الطعام وكره مالك رحمه الله وطائفة من العلماء هذا وهى الصكوك
التى ذكر فى الموطأ أن مروان بن الحكم رحمه الله كان يبعث الحرس ينتزعونها من
أيدى الناس لان ذلك من بيع الطعام قبل أن يستوفى وسيأتى القط بفتح القاف فى
باب الدال ان شاء الله تعالى (رجع) ويأتى من مقلوبه أقف بمعنى اتبع من قوله
تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وأقف انا من وقف * وقفا واحد الاقفاء ويجمع أيضا
على أقفية ويقال قافية (ومنه) الحديث يعقد الشيطان على قافية أحدكم وهو
مؤخر الرأس وسميت القافية بذلك لانها آخر البيت والقفن لغة لبعض العرب
وكذلك القفى والقفو يقولون ذلك عند الوقف ويقولون ذلك أيضا اذا وصلوه بالضمير
مثل قفيك وقفى كما قالوا عليك وعلى ومنه حديث ابن الزبير رضى الله عنه وضعوا
اللبج فى قفى وسيأتى ومثله قول الشاعر

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

وأنكر الزبيدى ذكر القفن والوشجن فى الرجز الذى أنشده بعض العرب وهو

أحب منك موضع الوشجن * وموضع الازار والقفن

(وقال) انما جاء الغير الفصحاء وهو كالعيب ممن قاله وقد أجازه غيره وقال يقال القفن في موضع القفا فتزاد فيه النون مشددة وأنشد الرجز المتقدم وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني أستعمل الرجل الفاجر لاستعين بقوته ثم أكون على قفانه والقفاوة البر واللطف والقفي الضيف المكرم وفلان قفي بفلان ويقال لفلان عندي قفية وخزية ولكن يقال أقفية ولا يقال أخزية قاله ثابت وقال عمر بن الخطاب في العباس رضي الله عنهما قفية آبائه يريد تلوهم وسيأتي يقال هذا قفي الاشياخ وقفيهم وسيأتي الكلام في القافة في باب القاف مع قف وغيره والقفينة بالنون هي الشاة التي تذبح من قفاها وقد قفنها قفنا وهو منهي عنه فان ذبحها في الحلق فقطع الرأس فقد جاء في حديث ابراهيم النخعي رضي الله عنه فيمن ذبح فأبان الرأس يقال تلك القفينة لا بأس بها وقد يقال في هذا ان النون زائدة لانها القفية ويقال الياء الاخيرة بدل من النون لانها لو كانت أصلا لبقي الفعل بلا لام في قولك قفنها ولا يعرف أبو زيد الا القفية بالياء ويقال القفن أن تضرب بعصا أو سيف فتموت وهذا منهي عنه أيضا بل حرام لانه بالعصا وقذ وبالسيف عقر ويأتي من شكل قفا قفانبك وقفأ عينه بالهمز وقفا بغير همز مقصور وهو الخمس الاخضر اذا انتفخ وعليه قشرة غليظة قبل أن يدرك ولم يحمر قاله ثابت وفسره في قول الراجز

وصار لي مثل القفا ضرائرى * مخمر نطقات عسرا عواسرى

فصرت ما بينهما كالساحر

يقول انتفخت علي من الغضب ومخمر نطقات متعصبات عواسري يحملنني على العسر * وربما بقي من هذا النوع مالا أعلمه الآن ويعلمه غيري وأذكر لك أبياتا ذكرفيها القفا مما أنشدني الحافظ رحمه الله قال أنشدني القاضي أبو محمد الحسن ابن نصر بن مرهف النهاوندي بها قال أنشدني الاديب المأمون بمر ولنفسه

لي على الناس فضل نظم ونثر * من أباه هجوته وأباه

واذا ما أتى صفعت قفاه * وقفا من أعانه وقفاه

ولي من هذا النوع قطعة مطولة منها

حبذا غادة نخوطة بان * لو رآها الحكيم كرر آها

أدبا جمعت وخلقا وخلقا * أبواها بذلكم حبواها

رحماها عن أن تطار حماها * وحماها عن أن تضام حماها

كم بها هام ويحه من همام * فنهاها عن القبيح نهاها
رام منها الحرام قبلة ثغر * فأبت أن يبوس فاها سفاها
قبل الارض حين لم يلق فاها * ثم لما ولت قفاها قفاها

الى آخر الابيات انظرها فى التكميل ويكون قفا بمعنى اتبع ويكون أيضا بمعنى قذف تقول قفوت الرجل أقفوه قفوا قذفته وسيجىء مستوفى فى باب القاف ان شاء الله تعالى *(فصل)* وقد فرق أهل اللغة بين الحروف التى آخرها حرف صحيح مثل الدال والذال وبين الحروف التى آخرها همزة مثل الطاء والظاء والفاء فقالوا كل حرف بعد ألفه حرف صحيح فانه يرجع الى الواو فى التصغير فتقول فى الدال دويلة وفى الذال ذويلة وتقول فى الظاء ظطية وظبيت ظاء اذا صورتها وقياس الواو فى النحو أن تقول فى تصغيرها أوية وتنسب الى ما كان آخره همزة مثل الياء والفاء فتقول القصيدة الياوية والفاوية والى ما كان آخره حرفا كالصاد والكاف والقاف فتقول الصادية والكافية والقافية *(فصل)* فان عكست هاتين اللفظتين أعنى فاو قاجاء منهما أف وأق وستراهما فى مكانهما وما يؤديان من المعانى واختلاف القراء فى أف ان شاء الله (ثم نرجع) الى اللام المتقدمة فى فل فان كتبتها ل ولم تشكلها دلت على العدد المتقدم وان كسرتها جاء منها فعل أمر من ولى يلى كما تقدم فى الفاء والقاف وان كتبتها على هذا الشكل لام معربة جاء منها فعل تقول لام فلان فلانا على كذا وكذا بمعنى عتب وعذل من قولك لام يلوم لوما وكان فى العرب من اسمه لام وهو جد أوس بن حارثة بن لام الطائى وهو مشهور شريف فى العرب (وجاء لام فى الحديث) حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض تكون يوم القيامة خبزة واحدة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبركم بادامهم قال ادامهم لام ونون قالوا ما هذا قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفا ذكر فى الحديث باللام ونون فلا أدرى أهو اسم واحد بكماله لانى رويته فى مسلم بضم الميم أم هو حرف تهجى من حروف المعجم والله أعلم فان همزت الالف مع اللام جاء منه معنى تقول لأم بين الشيئين جمع بينهما وفى الدعاء من هذا ألأم الله شعثكم ولأم شعثكم وتقول هذا شئ لأم أى مجتمع ملتئم ومآل مرجع ومصير ومال أمر من مالأت اذا تركت همزه فى الامر ويأتى منه مال منادى مرخم وقد قرئ فى القرآن

xliii.٦٦

وناد وا يا مال قراءة علي وابن مسعود رضي الله عنهما ولي شعر مطول قوافيه كلها
مال مال انظره في التكميل ان شاء الله وشعر آخر قوافيه كلها امال ذلك مال ذلكما
الى خمسة عشر مرة ويأتي من مقلوبه امل وأمل على الكتاب وأمل الي رأسك
وآمل اسم بلد واليه ينسب أبو سعيد الآملي من أهل الحديث وآمل اسم فاعل
وكذلك اذا أدخلت على مل ألف الاستفهام قلت أمل زيد كذا أم لا وأمل كذا
من الامل وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته ويأتي من مقلوبه أيضا ألم ذلك الكتاب
لا ريب فيه وكذلك الم وألم في الامر وألم فعل مضى فان أضفت الى الفاء اللام
جاء منه فل مخفف من فلان وليس بترخيم ويأتي الكلام عليه في بابه ان شاء الله
تعالى وقل السيف وقل القوم المنهزمين وغير ذلك مما يأتي بعد ذلك مع معكوسه
لف ولف في باب الفاء ان شاء الله فان جعلت الفاء قافا جاء منه قل أمر من القول
وتكلم العلماء في معنى اثبات هذه اللفظة حيثما وقعت في القرآن مثل قوله تعالى قل
يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وغيره فخرج البخاري عن أبي قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي قل فقلت نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيما قرأته على الحافظ بالاسناد المتصل الى أبي رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في حديث فقيل لي قل فقلت لكم فقولوا قال أبي فقال لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نقول وقال بعض العلماء جاء بذلك جبريل
عليه السلام مكتوبا كذلك فلم يكن يسقط منه شيئا وفي القرآن منه شئ كثير
قل يا أيها الناس وقل انما أنا بشر وقل أعوذ وغير ذلك والله أعلم بما أراد من ذلك
(ويأتي منه أيضا) قل من القائلة وقل من القل وغير ذلك مما يأتي مع معكوسه لق
ولق في بابه ان شاء الله تعالى فان ذكرت الفاء واللام مع القاف جاء منه فلق فعل
بمعنى شق ومنه قوله تعالى فالق الاصباح قال أهل التفسير معناه شاق الضياء عن
الظلام وكذا قالوا في قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى قال ابن عباس معنى
فالق خالق وقال مجاهد هو الشق الذي في الحبة والنواة وقال الحسن وقتادة هو
فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وكثيرا ما كان علي بن أبي طالب يقسم
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وسيأتي ان شاء الله تعالى ويكون منه فلق أيضا
كقوله تعالى قل أعوذ برب الفلق قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما الفلق الصبح
وذلك لان عموده ينفلق بالضياء عن الظلام وقال ابن عباس الفلق الخلق وقد تقدم

فى فالق الحب والنوى وعنه أيضا الفلق سجن فى جهنم وقال كعب بيت فى جهنم وقال ابن جبير هو جب فى جهنم وسيأتى تفسيره فى باب الدال ان شاء الله نعوذ بالله من جميع عذابه وأليم عقابه والفلق الفجر والله فلقه أى برأه ومنه قولهم والذى فلق البحر لموسى وهذا أبين من فلق الصبح وفرقه وسمعته من فلق فيه وضربته على فلق رأسه والفلق بالكسر واحدتها فلقة والفلق والفليق والفيلق والفيلق الداهية والفيلق أيضا الكتيبة الشديدة والفليق والفليقة الشئ العجيب قال الشاعر

يا عجبا لهذه الفليقه * هل تذهبن القوباء الريقه

والقوباء تمدّ وذكر بعضهم أنها لا تمدّ قاله ثابت رحمه الله وهى مأخوذة من القوب وهو التقوير وقالوا شاعر مفلق والمفلاق الرذل الدنئ والفلق والفالق مطمئن بين ربوتين قاله صاحب العين ويأتى من معكوسه قلف وهو مصدر الاقلف وفى البخارى قال الحسن وابراهيم لا بأس بذبيحة الاقلف والقلفة الجليدة ذكر ذلك صاحب العين يريد به الذى لم يبالغ فى قطع ذلك منه عند الختان والله أعلم (قال) والقلف اقتلاع الظفر من أصله (ومن مقلوبه) قفل الجند قفولا وقفلا رجعوا وقفلتهم انا وهم القفل وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من خيبر أسرى ويجئ مصدر هذا قفولا كما تقدم وجاء فى حديث آخر فلما أردنا الاقفال من عنده سألت عنه بعض أشياخى فقال قد يجئ المصدر على غير المصدر كما قال تعالى أنبتكم من الارض نباتا وتقول قفل السقاء قفولا يبس وشيخ قافل وأقفلت القفل وأعطيته ألفا قفلة أى مرة ومن هذا قول عبد الملك بن حبيب القرطبى رحمه الله

صلاح أمرى والذى أبتغى * هين على الرحمن فى قدرته
ألف من الحمر وأقلل بها * لعالم أزرى على بغيته
زر رياب قد يأخذها قفلة * وصنعتى أشرف من صنعته

وكان زرياب مغنيا مشهورا (ومن مقلوبه أيضا اللقف) تناول الشئ اذا لقفته ورجل لقف وسيأتى واللقف الابتلاع (وفى الكتاب العزيز) تلقف ما صنعوا واللقيف الحوض الذى لم يطين ويقال الملآن واللفق خياطة الثوبين تلفق أحدهما بالآخر ويقال لهما ما داما ملفوقين اللفاق وكلاهما لفقان ما داما منضمين (ومن مقلوبه أيضا) بفاء بين لفف فى اللسان والكلام وبقافين قلق وقلق وسيأتى فان زدت على هذه الحروف اللام الاخرى جاء منه فلفل شجر وقلقل وسيأتى مع القلقلة التى

هى الحركة وجاء من معكوسه لقلق وهو اللسان و بفاءين فلفل لهذا الحب المعلوم و بفاء وقاف مفصولا فل قل (رجع الكلام من حيث بدا) بعد ما نشأ منه ما نشأ نشأ منه وفاق برزمن سماء اتفاق وخلاف خرج من غلاف وكلام عجاب كان عنك فى حجاب وانما ذكرت هذا كله لتعلم سعة هذا اللسان الشريف المستغرب الذى لا يوجد الا عند العرب كما حدّثنى الحافظ السلفى عن بعض أشياخه رحم الله جميعهم قالوا فضلت هذه الامة على سائر الامم بالاسناد والانساب والاعراب ولو كانت هذه اللفظة على غير هذا الشكل لكان الكلام ربما أثر فيها أكثر لان فيها الاما مكررة كما أخرجت من تبنة ما ذكرت لك من العدد وغيرى يجد أكثر مما وجدت وأين تقع معرفتى فى معرفته من فوقى وفوق كل ذى علم عليم *(فصل)* من نوع ما تقدّم من التذييل وتكثير القليل من ذلك انى ذكرت فيما تقدّم النقط والشكل فاعلم أنّ النقط فى القرآن محدث وانما صنع ذلك لتعرف به أعيان الحروف اصطلاحا دليل ذلك أنّ أهل هذه البلاد ينقطون الفاء واحدة من أسفل والقاف واحدة من فوق وأهل المشرق ينقطون الفاء واحدة من فوق والقاف اثنتين من فوق وقد رتب أهل العلم هذه الحروف أحسن ترتيب ضموا الاشكال بعضها الى بعض مثل الباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء الى غير ذلك مما هو معلوم وقدموا الالف عليها افضلها على ما سيأتى ان شاء الله وكذلك الباء ونقطوها واحدة للفرق كما تقدّم فلما أضافوا اليها التاء اذ كانت من شكلها نقطوها اثنتين ثم الثاء ثلاثا على نسق العدد ثم أضافوا اليها الجيم على حسب اتصالها بالباء فى أبجد وكذلك وصلوا الدال بالجيم ولا تحسب الاشكال مثل الحاء والخاء لانها من شكل الجيم كما لا تحسب التاء والثاء لانها من شكل الباء ويحتمل أن يكون قدموا هذه اللفظة أعنى أبجد لان تصحيفه أب جدّ كأنه ينسك أنه جدّ فجد أنت وقدموا الأب على الجدّ لان أباك أقرب اليك من جدّك والله تعالى أعلم بالحكمة فى ذلك ولما أضافوا للجيم الحاء تركوها بلا نقط ونقطوا الخاء للفرق وكذلك سائر الازواج كلها مثل الدال والذال والراء والزاى والطاء والظاء والصاد والضاد والعين والغين والسين والشين وراعوا فى أكثرها ترتيبها فى أبجد مثل الكاف واللام والميم والنون فى كلمن وما شذ من ذلك فانما قدموه بحسب المخارج وهذه علة ترتيب أهل المشرق وحروفهم على غير ترتيب بلاد المغرب ذكر أكثر هذه المعانى أبو عمر والمقرى رحمه الله فى كتاب

مبحث النقط والشكل وترتيب الحروف

المحكم أو لعل ذلك ليس يعلمه الا الله ومن علمه اياه من أنبيائه وأوليائه كما خلق صور هذه الحروف على هذا الشكل والله تعالى أعلم وكذلك الشكل الذى هو النقط والضبط أو الضبط بالحركات حسبما تقدم يخالف ماعندهم ماعندنا وكره طائفة من العلماء نقط المصحف وقالوا جردوا القرآن ولا تخلطوه بشئ وفى لفظ آخر ولا تخلطوا به ماليس منه وكان الحسن وابن سيرين يكرهان نقط المصحف ولم يكن منقوطا فيما تقدم وأرخص فيه طائفة أخرى وقالوا هو تنوير له (وقال ابن وهب) حدثنى الليث هو ابن سعد قال لا أرى بأسا بنقط المصحف بالعربية وقال ابن وهب وسمعت مالكا يقول أما هذه الصغار يعنى التى يتعلم فيها الصبيان فلا بأس بذلك فيها وأما الامهات فلا أرى ذلك فيها وسئل ربيعة بن عبد الرحمن عن شكل القرآن فى المصحف قال لا بأس بذلك (وقال أبو عمر والمقرى فى كتاب المقنع) أحدث تأليفه اختلف الرواة لدينا فى من نقط المصاحف من التابعين فروينا أن المبتدى بذلك كان أبا الاسود الدؤلى رحمه الله تعالى وذلك أنه كان أراد أن يعمل كتابا فى النحو يقوّم الناس به ما فسد من كلامهم اذ كان قرشيا فقال أرى أن أبتدئ باعراب القرآن أولا فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد وقال للذى يمسك المصحف اذا فتحت شفتى فاجعل نقطة فوق الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة تحت الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف فان أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف وذكر فى المحكم سبب ذلك أن معاوية رحمه الله تعالى كتب الى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما قدم عليه وجده يلحن فرده الى زياد وكتب اليه كتابا يلومه فيه ويقول أمثل عبيد الله يضيع فبعث زياد الى أبى الاسود فقال يا أبا الاسود ان هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعرفون به كلام الله تعالى فابى ذلك أبو الاسود وكره اجابة زياد الى ماسأل فوجه زياد رجلا فقال له اقعد فى طريق أبى الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مر به أبو الاسود رفع الرجل صوته فقال ان الله برئ من المشركين ورسوله فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد وقال يا هذا قد أجبتك الى ماسألت ورأيت أن أبدأ باعراب القرآن فابعث الى ثلاثين رجلا فأحضرهم زياد فاختار منهم عشرة ثم لم يزل يختار

منهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد وذكر الحديث المتقدم قال وروينا أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي وأنه الذي خمسها وعشرها وروينا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر وأن يحيى أول من نقطها وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصرة وأكثر العلماء على أن أبا الأسود كان المبتدئ بذلك جعل الحركات والتنوين لا غير وان الخليل بن أحمد هو الذي بدأ التمدد والتشديد والروم والاشمام وأنه عمل الشكل الذي على الحروف وأخذه من صورة الحرف فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مسطوحة فوق الحرف وجعل الحرف المشدد شبه شين أخذه من أول شديد فاذا كان خفيفا جعل شبه خاء أخذه من خفيف *(فصل)* تقدم ذكر الحرف المعتل (قلت) وفيه معتبر لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر فصل الله بعض الكلمات على بعض كما فعل بجميع خلقه حتى بين الانبياء عليهم السلام فقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وقال في الناس ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وكذا هم في الآخرة فمن الناس مبتلى ومعافى وكذلك الافعال أنظر ضرب وفي اذا صرفت ضرب لم تنقص منه شيئا بل تزيده حرفا آخر في أوله فتقول يضرب فاذا أمرت منه حذفت الياء وعوضت منها ألفا وقلت اضرب واذا صرفت وفي نقصت الواو وقلت يفي فاذا أمرت منه قلت فه ذهبت عنه الزوائد وحروف العلة وبقي في نهاية من القلة وكذلك ان جزمته حذفته فقلت زيد لم يف وهذا مثال به اكتف فمع الامتحان لا يبقى الا الصحيح الصافي ولا يقبل الا الخالص الوافي كذلك العبد في الدنيا يظن أنه يأتي بشئ وذلك الشئ كالفيء يلقى ربه عز وجل كما أخبر ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وكما قال تعالى ويأتينا فردا الى غير ذلك من الآي (ويروى) أن أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس قدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت

لنفسك

لنفسك فنظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى شيئا غير جهنم ومن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (قلت) وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته عدد من سلم عليه ومن لم يسلم عليه أضعافا مضاعفة بغير نهاية ولا آخر وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم طرح في النار هذا حال من قد ذهب ماله وأخذت أعماله ثم انظر الى هذا المغتر كيف يحشر ان كان بماله مفتخرا وعلى عباد الله مستكبرا خرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة مثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال فتل هذا الرجل المختال الحال مثل هذا الفعل المعتل بين الافعال (قلت) وما أحسن قول بعض الشعراء يمدح أحد الامراء رحمهما الله تعالى

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

يصفه بأنه يخاف العواقب فيهب قبل حدوث النوائب مثل الفعل المضارع يعني أنه ينوي أن يعطي أو يهب هبة من ورق أو ذهب فيمضي ما نواه وهذا فعل الحر الحازم قبل دخول الحرف الجازم فيقال لم يعط ولم يهب فزال عنه اسم الجود وذهب ولا ينكر على هذا النوع من الاعتبار فقد فعله من فوقي من العلماء الكبار حدثني بعض أشياخي عن بعض أشياخه قال كنا دخل على فلان العالم ونحن طلبته فيقول من أين أقبلتم فنقول من موضع كذا فقال لنا مرة واجتزتم بالسوق فقلنا نعم فقال وما رأيتم بها فقلنا كذا وكذا ورأينا فيها حوتا قد قلى ما رأينا أحسن منه فقال وما قال لكم فقلنا له سبحان الله وهل يتكلم الحوت ميتا مقليا فقال انا لله وانا اليه راجعون تزعمون انكم طلبة حذاق والاشياء تكلمكم ولا تفهمون عنها فقلنا فأخبرنا أنت يرحمك الله فانا لا نعقل هذا فقال نعم قال لكم ذلك الحوت يا أيها الناس

قوله نار الانيار معناه نار النيران فجمع النار على انيار وأصلها أنوار لانها من الواو كما جاء في ريح وعيدار ياح واعياد وهما من الواو اه نهاية

انظروا الى واعتبروا ففى معتبر بينا أنا فى الماء أسبح وأمرح اذ رأيت طعمة ملقاة فابتلعتها ولم أفتش مافيها فكان فى جوفها سنارة الصائد فأخرقت جنبى كما ترون هذا ماقال لكم وان لم يكلمكم حوارا كلمكم اعتبارا كم من لقمة تأكلون أنتم كل يوم ولا تفتشون مافى جوفها هذا معنى كلامه رحمهم الله أجمعين (ومثل هذه الحكاية) خرج أبو طالب المكى رحمه الله فى كتاب قوت القلوب عن بعض أهل الاعتبار أنه كان يمشى فى الوحل فكان يتقى ويشمر ثيابه عن ساقيه ويمشى فى جوانب الطريق الى أن زلقت رجله فى الوحل فأدخل رجليه فى وسط الوحل وجعل يمشى فى الحمأة قال وبكى فقيل له مايبكيك فقال هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويتجانبها حتى يقع فى ذنب منها أو ذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا وكان بعضهم يعتبر بما يعتريه ويقول انى لاعرف ذنبى فى خلق حمارى وفى تسليط فأرتى على وصدق يقول الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوعن كثير (فان قلت هذا الذى ذكرته) كل أحد يدريه فأقول وأنا أيضا لم أخترعه وانما أخذته من كتب العلماء وهم ذكروه وتركت أشياء ذكروها لم اذكرها

(فصل) قد أخرجت لك أيها الولد مما فتح الله تعالى على من لفظة فل قل علما أدبيا دنيويا وها أنا أخرج لك من لفظة التبنة المتقدمة الذكر بعون الله تعالى علما آخر زهديا أخرويا فأقول على بركة الله عز وجل يستدل بتلك التبنة على أنها مخلوقة وما خلق الله شيأ عبثا بل ما خلقه الا ليدل به على نفسه

ففى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

أول ذلك ماذكره بعض العلماء أنها تدل على أنها مقتطعة من نبات أكمل من الجماد كالحجر الذى لا ينمى ولا يغتذى وان هذا النبات خلقت فيه قوة يجتذب بها الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التى فى الارض وهى العروق التى تتصل بالعروق الظاهرة فى الورقة وهى تتشعب الى غلاظ ودقاق تكاد تخفى عن البصر لدقتها وانها لا تجىء الا بأشياء تختص بها من تراب وماء وهواء اذا وتركت الحبة فى البيت مثلا لم تزد ولم تنم لانه لا يحيط بها الا الهواء فقط وهو لا يصلح لغذائها وحده حتى ينضاف اليه التراب أو مايتولد من الارض ولا بد من الاصل الاكبر وهو الماء لقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون ولو كان الماء أيضا وحده لم تتغذ به حتى يخالطها التراب فيصير طينا ثم يداخله الهواء اذا وتركت الحبة فى

أرض ندية صلبة متراكبة لم تنبت حتى يصل اليها الهواء فيخلخل الارض فتنشق كما قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا والنبات لا يتحرك بنفسه فلا بدّ من ريح تحرّكه وتضربه بقهر وعنف على وجه الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغني اذا الماء والارض باردان فانظر كيف سخر الله الشمس وهي مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة اليه والحر عند الحاجة اليه ثم ان النبات اذا ارتفع عن الارض وأثمر كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتحتاج الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق الله القمر وجعل فيه خاصية الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا أظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له في الليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفواكه أيضا وليس هذا وحده بل كل كوكب في السماء مسخر لنوع فائدة كالشمس والقمر علمه من علمه وجهله من جهله تصديق ذلك قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات الى آخر الآية قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته وسيأتي الحديث بذلك مستوفى في باب الراء ان شاء الله تعالى ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر في فهم السماء على اللون وضوء الكواكب دون أن يعرف أنها مسخرة بأمر الله تعالى لمصالح عباده وبلاده ولا تظنّ أن معرفة ذلك تقدح في الشرع لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الاشتغال بعلم ذلك انما المنهي عنه أن تعتقد أنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها فهذا كفر أو تعتقد تصديق ما يقول المنجم مما يدّعيه من علم الغيب وهذا باطل اذ لا يعلم ما في غد الا الله وتأكد النهي أيضا فيها لانها كانت تعبد وعابدوها يزعمون أنها تحكم وتقضي تعالى الله عن قولهم ولقد صدق الذي يقول

لو دبرت أنفسها لم تغب * والطمع الناقص كالكامل

فاذا قال الانسان قد أجرى الله العادة أنه متى حلت الشمس فى البرج الفلانى كان الحر لا محالة وكذلك فى البرد لم يكن الانسان بذلك مخطئا ما لم ينسب ذلك الفعل لغير الله الفاعل سبحانه وتعالى كما يقول فى الصيف يحصد الزرع وفى الخريف تخترف الثمار لا فرق فاذا المقصود أن غذاء النبات الذى كانت منه تلك التبنة أو الحشيشة لا يتم الا بالتراب والماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتحرك الا بملائكة يحركونها وكذلك يتمادى ويتسلسل الامر فيه الى ما لا يعلمه الا الله وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يعلم جنود ربك الا هو (فان قلت) ذكرت أن النبات لا يكون الا فى الارض وبالماء وأنا أرى نباتا مثلا على الحجر الصلد وعلى القرامد فى السقف والبصل فى البيت وأرى حيوانا يتولد فى الماء وحده دون تراب كالخابية والقلة وفى داخل الفاكهة والحيوان أغرب من النبات (فيقال لك لولا التراب) والغبار الذى على القرامد والطحلب الذى اجتمع فى الخابية وان قل ما رأيت ذلك والا فانظر آنية مزججة حيث لا يمكن أن يعلق بها شئ من الغبار هل ينبت فيها نبات ولما كانت القرامد والحجارة فيها من الخشونة وقلة الملوسة بحيث يسكن فيها الماء والغبار وان قل تكون فيها ذلك النبات بأمر الله ونبت واستقر عليها بقدرته وثبت وكذلك الطحلب النابت على الماء الراكد الكلام فيه واحد (فان قلت) فالبصل فى البيت قيل لك ليس ذلك ابتداء انبات انما هو فضلة ماء بقيت فى البصلة مما قد تكون قبل فى التراب وانظر الى الحكمة فى نباته ليس ينبت الا فى الفصل الذى فيه ينبت لو كان فى التراب بقدرة الله تعالى ولقد نظرت الى العنصل الذى تقول له العامة بصل الخنزير معلقا فى الفرن مقلوبا رأسه الى أسفل وقد أخرج عسلوجا وورقا ونورا ورفع رأسه الى جهة السقف وهو مع ذلك يصيبه دخان الفرن بكرة وعشيا ولكنه أخرج عسلوجه وورقه ونوره كما ذكرت حتى قلت فى ذلك أبياتا كأنها لغز

ألا قل لى فديتك ما نبات * له ورق وعسلوج ونور
تراه يانعا من غير ماء * ولا ترب ولا يرعاه ثور
(وفيه أيضا) ألا قل لى فديتك ما نبات * له ورق على الاشبار تربى
تراه يانعا من غير ماء * ولا شمس ولا أرض وترب

وأعنى بذلك كونه معلقا فى القرن كما تقدم (ودونك فائدة فى التراب) من غير الباب قال الجوهرى التراب فيه لغات يقال تراب وتوراب وتورب وتيرب وتيراب وترب وتربة وترباء وتريب وتريب وجمع التراب أترية وتربان والتربا الارض نفسها وترب الرجل أصابه التراب وترب افتقر كأنه لصق بالتراب وأتربت الشئ جعلت عليه التراب (وفى الحديث أتربوا الكتاب) فانه انجح للحاجة وفى آخر فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وأترب الرجل استغنى كأنه صار له من المال بقدر التراب والمتربة المسكنة والفاقة ومسكين ذو متربة أى لاصق بالتراب والتربات الانامل واحدها تربة وهذه ترب هذه أى لدتها وهن أتراب والتريبة واحدة الترائب وهن عظام الصدر وقيل موضع القلادة من الصدر وفى القرآن العزيز من هذا يخرج من بين الصلب والترائب يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وفى القرآن العزيز أيضا من الترب التى هى اللدة قوله تعالى عربا أترابا يعنى أترابا على سن واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة قال ابن سلام ومعنى عربا جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها وأصل الكلمة من المعاربة وهى المداعبة (وقال سعيد) ابن جبير هن المتقتلات يقال تقتلت المرأة فى مشيتها مثل تهالكت اذا تساقطت فى التغنج قال الشاعر * تقتلت لى حتى اذا ما قتلتنى * تنسكت ماهذا بفعل النواسك (فان قلت فالحيوان فى جوف الثمرة) والفاكهة قيل لك الاصل واحد فأقام مافيها من الرطوبة مقام الماء ومافيها من الخثورة مقام التراب وتكون فيها ما تكون بقدرة المكون وتصور وتلون بحكمة المصور والملون وهذه السنن التى سنها فى عباده والحكم التى أظهرها لهم من ارتباط الاشياء بعضها ببعض وظهورها بالوسائط والاسباب مثل كون الولد من الوالدين وخروج النار من بين الزندين ونبات النبات بين الشيئين انما فائدتها الانخراق العادات للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضى الله عنهم جعلها لهؤلاء فضيلة وكرامة وللانبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة وعلامة اذ لو قال النبى معجزتى أن أفعل لكم ما أردتم من كذا وكذا ويشير الى المعتاد الذى يعرفه العباد لم تكن معجزة ولا استجاب له أحد فاذا أتى بالشئ الذى يعجز عنه البشر من انخراق العادات ثبتت المعجزات (مثال ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد أجرى العادة) ان النار تحرق باذن الله وان الماء يغرق من ألقى فيه كذلك بقدرة الله وقد رأينا عكس ذلك فى الانبياء

والاولياء مثل الغلام الذى كان يلقيه الجبار فى الماء فيخرج منه سالما انظره فى كتاب مسلم ومثل ابراهيم عليه السلام الذى لم تحرقه النار ولو كانت النار من شأنها الاحراق ولا بدّ لاحرقته كما أحرقت القيد الذى كان فى رجليه الكريمتين صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما فاذا النار مأمورة بحرق الحجل وترك الرجل وتضرم على قوم اضراما وتكون لآخرين بردا وسلاما كما قال الله عز وجل (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) ولولا ما قال وسلاما لقتله البرد وكانت نارا عظيمة جمعوا لها الحطب زمانا حتى ان الشيخ الكبير الذى لم يخرج من بيته قبل ذلك زمانا كان يجىء بالحطب فيلقيه يتقرّب به الى آلهتهم فيما يزعم فلما أراد وا أن يلقوه فيها لم يستطيعوا الدنوّ منها لشدّة حرّها وعظمها فألقى فى المنجنيق وكان ذلك أوّل منجنيق عمل يقال داهم عليه ابليس لعنه الله وجاءت عامّة الملائكة الى ربها (فقالت يا رب خليلك يلقى فى النار) فأذن لنا أن نطفئ عنه فقال هو خليلى ليس لى فى الارض خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيرى فان استغاثكم فأغيثوه والا فدعوه وجاء ملك القطر فقال مثل ذلك فقيل له مثل ذلك (قال فلما ألقى فى النار) قال حسبى الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال فبردت على أهل المشرق والمغرب فما أنضج يومئذ كراع ويروى أن جبريل عليه السلام لقيه فى الهواء قبل أن يصل الى النار فقال له يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا حسبى الله ونعم الوكيل فكان ما تقدّم والله أعلم فلا تستغربن هذا فى قدرة الله تعالى وفى حرمة نبى فقد كان قريب من هذا فى غير نبى ألقى أبو مسلم الخولانى واسمه عبد الله بن ثوب فى النار فلم تحرقه وجىء به الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فقال الحمد لله) الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به مثل ما فعل بابراهيم الخليل عليه السلام فلم تحرقه النار أو كما قال رضى الله عنه وكان الذى رماه فى النار الاسود العنسى وسيأتى ذكره مع مسيلمة فى باب اللام ان شاء الله تعالى فخرج من هذا أنه لا فاعل الا الله ولا فعل الا بأمر الله كما قال تعالى فى الريح تدمر كل شئ بأمر ربها وكما جاء فى شأن البعير الذى ندّ (قال الراوى) فرماه رجل بسهم فحبسه الله انظر حسن أدبهم مع ربهم وكما يروى أن رجلا كانت له غنم كثيرة وكان يرعاها فقال له رجل لمن هذه الغنم فقال لله وهى فى يدى وهذا باب يطول وأمر يهول فاستدلّ بالادنى على الاكثر وبما بطن على ما ظهر (وأما

فى حق الله وفى قدرته) فانه يخلق بغير واسطة كعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر وآدم عليه السلام خلقه بلا أنثى ولا ذكر (فان قلت) فمن التراب خلق قبل لك فالتراب من أين كان وهذا أيضا ان تتبعته أفضى بك الى لا اله الا الله ولا فاعل للأشياء الا الله وان ماسواه وسوى صفاته وأسمائه خلقه وصنعه والله خلقكم وما تعملون ويخلق مالا تعلمون

خرجت من شئ الى شئ * ونشر ماقد كان فى الطى
حتى انتهى الامر الى العالم الفرد المريد القادر الحى

(ثم أرجع الى التبنة المباركة) ولا أعاملها بالمتاركة (فأقول) وأنها أيضا تدل على الصانع لان كل صنعة تدل على صانعها وأنه سبحانه ليس من جنسها ولا مثلها وأنه حى اذ الميت لا يخلق وأنه صانع اذ المصنوع قد وجد وأنه عالم اذ لا يصدر فعل محكم متقن الا من عالم والاتقان نوعان الاول جمال المصنوع وكماله والآخر مجيئه عند الحاجة اليه ألا ترى المولود مثلا يكبر فى بطن أمه والابن ينعقد فى ثديها فساعة يولد وجد غذاءا يسرا وزريعة الحرير فى البيت والتوتة فى الجنان مثلا لا تحرك الدودة من موطنها الا اذا بدأت التوتة تخرج ورقها ان فى هذا الآية بل آيات (فائدة على ماتقدم زائدة) يقال توت وثوث بالثاء المثلثة ذكر ذلك بعض أهل اللغة قال ويقال أترجه وأترنجه كما قالوا خروب وخرنوب وهو النبوت خرج ثابت رحمه الله ان عبد الملك بن مروان ذكر معاوية رضى الله عنه فقال كان أميرا عشرين سنة وستة خليفة ثم قال هذا قبره عليه ينبوتة وفسر النبوتة بما تقدم ذكره وذكر صاحب كتاب التاج النبوت فى جملة العضاه قال هو كل شجر يعظم وله شوك كالعرق والطلح والسلم والسدر والسيال والسمر والقتاد والنبوت والغرب والكنهبل والعوسج وقس على هذا جميع هذا الفن تجده ألا ترى أن الطير لا تحرك للسفاد طول العام الا وقت أن تصلح الثمار لاخراج الورق وفى وقت أن يخلق الله أرزاق فراخها من الجراد وغيره فتصنع أعشاشها فى الاشجار وفيها الورق فتستخفى فيها ولو صنعت عشها فى الشجرة وهى دون ورق لاخذ بيضها قبل أن تفرخ وكذا غيره وغيره وزد غيره فكل فيه تذكره وعبره فتقس عليه فقد دلت تلك التبنة على ماتقدم وأنه تعالى مدبر لجميع الكائنات اذ لا يوجد الفعل على صورة وشكل بدلا من غيره ولا فى زمان دون زمان الا بارادة تقدم بعضا وتؤخر بعضا وأنه تعالى عز وجل سميع بصير

متكلم وسر على هذا المسرى حتى تستكمل جميع صفات الخالق مما يجب اثباتها له وهي في حقه حقيقة ثابتة ثم باثباتها تضطر الى نفي اضدادها مما لا يليق بجلاله اذ ما كان عندنا من تلك الصفات المحمودة من العلم والقدرة والارادة وغير ذلك انما هو مجاز وعارية عندنا مستودعة يوجدها فينا ويبقيها متى شاء ويصرفها عنا ويبدلها أو يأخذها مع جميع ما خولنا متى أراد لا يسأل عما يفعل وليس كمثله شيء وهو السميع البصير خلق ذلك فينا لنستدل به عليه ونرد الحول والقوة اليه دل على ذلك العقل والنقل وهذا علم برأسه ضبطه العلماء وقيدوه حتى لا يجد صاحب هوى ولا مبتدع ولا معطل مدخلا في الدين والحمد لله رب العالمين (ثم نرجع الى التبنة فنجدها) ان طلبت علمها على حقيقته قام معك الوجود كله من العرش الى الفرش والصناع أجمعون من أهل السماء والارض كما قال بعض العلماء لا يستدير الرغيف حتى يعمل فيه أكثر من ألف صانع فاذا أكلته فان عصيت بالقوة التي حصلت لك منه فقد كفرت شكر أولئك الصناع كلهم فضلا عن مولاك الذي سخر لك ما في السموات وما في الارض جميعا منه أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من الخزائن فيفرغه في السحاب فتحمله الريح ثم كذا وكذا من الشمس والقمر والهواء والملائكة الذين يرسلون مع القطر مع كل قطرة ملك حتى من الارض والتراب والبهائم والارحى والآلات وتلك الآلات صنعت بآلات أكثر منها كما يذكر أن الابرة لا تكمل حتى ترجع الى يد الصانع خمسة وعشرين مرة كل مرة بآلة خلاف الآلة الاولى ثم كذلك فكذلك ويتسلسل الامر حتى لا يبقى في الوجود ولا في العالم شيء ولا صانع ولا ما يحتاج اليه ذلك الصانع من المطعومات والمشروبات والمنكح والملبس والكتاب والتجار والحاكم والوالي والجند ورزقهم والدور والسور كل ذلك مرتبط بعضه ببعض وبعضه يطلب بعضا حتى لا يبقى في الوجود صغير ولا كبير الا ووجدت اليه طريقا في أقل من تبنة لان الغني الحميد خلق الخلق كلهم مفتقرين فقال يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد انظر كيف جعل في قلوب العباد الالفة والانس حتى اجتمعوا في موضع وبنوا حولهم ما يحميهم من عدوهم وضموا دورهم بعضها الى بعض ولم يفترقوا كافتراق الوحوش لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وأغنى بذلك أهل كل دين وكل حزب بما لديهم فرحون ثم مع تجمعهم وتألفهم في جبلتهم الغيظ

والحسد

والحسد والمنافسة وذلك يؤدّى الى التقاتل والظلم فانظر كيف سلط الله عليهم السلاطين وأمدّهم بالقوّة وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد والعباد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون بعضهم ببعض كتعاون أعضاء الجسد بعضها ببعض فرتبوا الرؤساء والقضاة وزعماء الاسواق وجعلوا السجون والاعوان وأنواع النكال للعصاة حتى اضطرّوا الخلق الى قانون العدل والاستقامة والتعاون والمساعدة حتى صار الحراث ينتفع بالحداد ويحتاج اليه هو وغيره كما يحتاج الحداد مثلا الى النار التى ليس عنها غنى فى الدنيا فى أكثر الاشياء ويحتاج الحداد الى آلات كثيرة يحتاج فيها الى النجار والنجار الى الحداد وهؤلاء كلهم يأكلون ويشربون ويلبسون ويسكنون وينكحون وليس كل واحد يعمل وحده ما يحتاج اليه واذكر فى ذلك كل شئ من أمور الدنيا تجده والسلطان أيضا من جهة أخرى يحتاج اليهم فى كل ماذكر ويزيد عليهم بجمع المال لاقامة أرزاق الجنود وتحصين رعيته كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليهم فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا ثم السلاطين يحتاجون الى العلماء الذين يصلحون عليهم دينهم والعلماء يحتاجون الى الانبياء عليهم السلام والانبياء محتاجون الى الملائكة والملائكة يفعلون ما يؤمرون وينتهى الامر الى صاحب الامر الغنىّ الحميد كما بدأ منه اليه يعود (ثم ارجع الى التبنة) تجدها فى ذاتها بعد ما دلت عليه من ايجاد الصانع ذات لون وطعم ورائحة ومؤلفة من أجزاء وعلى شكل وهيئة من طول أو قصر أو رقة أو غلظ أو خفة أو ثقل الى سائر صفاتها التى تختص بها وتمتاز من غيرها ويستدل بها على كونها مفتقرة الى فاعلها مع دقائق الساعات الى امضاء حكمه فيها منتظرة الى الاقدار الواقعة عليها من زيادة أو نقصان أو ابقاء بما يخلق فيها والا تلاشت ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا ثم يخرج من خلال هذه الخلال الموت الذى دلّ عليه ضدّه وهى الحياة فيمن كانت فيه لان الاشياء تعرف أيضا باضدادها فتعرف الحركة بالسكون والقليل بالكثير والخالق بالمخلوق والموت بالحياة فلا تقع عينك على شئ حىّ الا ورأيت فيه الموت اما ظاهرا واما منتظرا واما مقدرا فسبحان الحىّ الذى لا يموت الذى لا يتغير ولا يتبدّل ولا

يتقدر ولا يتمثل اذ ليس كمثله شئ فيعرف بالتمثيل ولا له جنس فيقاس على التجنيس جاوز المقدار والاحكام وفات العقول والاوهام فليس كمثله شئ فى كل شئ ولا يعرف الا بمشيئته ان شاء وسعه أدنى شئ وان شاء لم يسعه كل شئ وان أراد عرفه كل شئ وان لم يرد لم يعرفه شئ وان أحب وجد عند كل شئ وان لم يحب لم يوجد عند شئ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكل شئ سواه يتبدل و يتغير مع أدنى من اللحظة وأقل من النفس لو لم يكن الا بمرور أجزاء الساعات عليه وجريان الشمس التى عنها تحدث الاوقات واعتبر ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام هل زالت الشمس قال لا نعم فسأله عن قوله لا نعم وقال كيف هذا فقال بين قولى لا ونعم قطعت من الفلك خمسين ألف فرسخ وسيأتى هذا مستوفى فى باب الراء ان شاء الله تعالى فخرج من هذا ان كل شئ يتغير و يتبدل الا القديم سبحانه وتعالى وهو الفرق بينه تعالى و بين من لا يصح منه الا التغير ألا ترى أنه لا يأتى على شئ فى الوجود وقت وان دق الا تغير ذلك الشئ لو لم يكن الا بمرور الشمس عليه كما تقدم ودوران الفلك الذى لا يعلم سرعة حركته الا الذى دبره نعم ثم لا يعود ذلك الذى تغير الى الحالة الاولى أبدا لتغير جميع المخلوقات فى كل الاوقات واعتبر ذلك بنفسك اذا تكلمت بكلمة أو تحركت بحركة لا بد أن فلانا فى المشرق وفلانا فى المغرب قد أحدث فى ذلك الوقت حدثا أو تحرك بحركة أو تكلم بكلمة أو استقبلك أو استدبرك أو مات فيه ميت أو ولد فيه مولود وقس على ذلك جميع المخلوقات والحيوانات والنباتات من الزيادة والنقصان فى ذلك الزمان أترى ذلك يعود أبدا الى ما كان اذا تحركت أنت أو تكلمت أيها الانسان هيهات ذلك لا يكون ولا يتصور ولا يتمثل ولا يتقدر بل خلق الله الزمان جديدا او يخلق فيه خلقا جديدا هكذا سرمدا الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فسبحان الحكيم العلام الخلاق على الدوام ويخلق ما لا تعلمون وقد تهدى لهذا المعنى الذى يقول منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها بيضاء صافية * وغروبها صفراء كالورس

يقال ان قائل هذا هو تبع الاول وكان مؤمنا وفى هذا الشعر بعد الورس

تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

اليوم أعلم ما يجىء به * ومضى بفصل قضائه أمس

وقد ذكر بعض العلماء جميع ماذكرته وتعلق الاشياء بعضها ببعض وافتقار كل شئ
الى شئ واضطرار كل أمر الى غيره واحتياج الوجود كله الى أن يكون كما هو
الآن عليه مما لا يستغنى عنه حتى مثل لك الدنيا أمامك على هيئتها ووصفها ذلك تقدير
العزيز العليم المفتقر كل ذلك اليه وحده الذى يمسك السموات بغير علاقة والارضين
دون دعامة بل بلطف القدرة وخفى الحكمة وهو اللطيف الخبير وهذا الذى ذكره
هذا العالم أين يقع فى علم من فوقه من العلماء والحكماء ثم ارق الى علم التابعين
واصعد الى علم الصحابة واسم الى علم رسول رب العالمين الذى أوتى جوامع الكلم
وبدائع الحكم واختصر له الكلام اختصارا ثم اعل الى علم جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل والملائكة المقربين صلى الله عليهم وسلم أجمعين فاذا انتهيت
الى هنا فاتل ماقاله الهنا وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما
شاء فالحمد لله الذى أعطانا من علمه قسما نعلم به أن له علما وعلمنا كصفتنا ناقص
ذوآفات وعيوب وعلمه لا اله الا هو كهو لا يسع كنهه القلوب كيف وهو علام الغيوب
قديم أزلى حكيم على لا تحيط به الافهام ولا تصوره الاوهام بل كل فى كنه
وصفه قدهام سبوح قدوس رب الملائكة والروح ويكفى من ذلك ماضرب لك
مثلا محسوسا وهو ماقاله الخضر لموسى على نبينا وعليهما السلام والتحية والاكرام
وقد أراه الآيات المستبينة حتى وقع العصفور على حرف السفينة فأخذ بمنقاره
من البحر بلة وناهيك بها قلة ياموسى مانقص علمى وعلمك وعلم الخلائق من علم الله
الا مثل مانقص هذا العصفور بمنقاره من البحر وفى رواية ماعلمى وعلمك وعلم
الخلائق فى علم الله الا مقدار ماغمس هذا العصفور منقاره ولعلك أن تلحظ من
مقتضى هذا الحديث قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل
أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا مع قوله سبحانه ولو أن مافى الارض من شجرة
أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله أفادك هذا أن البحار
والاقلام متناهية وأن كلامه سبحانه غير متناه وأنه أحد صفاته القديمة وكل شئ
سواه من مخلوقاته متناه واحذر أن تعتقد أن كلام الله تعالى ليس الا ما أنزل على
نبينا من القرآن وعلى موسى من التوراة وعلى عيسى من الانجيل وعلى داود من
الزبور أو ما أنزل على بعض الانبياء من الصحف اذ لو كان ذلك لكان متناهيا ولكتب
هذا كله بقلم واحد أو بقلمين أو بأكثر مما هو متناهى العدد وكذلك المداد متناه

— ثم ترقى الملائكة صلوات الله عليهم اجمعين بأعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يوهمه هذا الترقى من علم ويعه الى علم ويعه خ ... منص

لكن كلامه تعالى غير متناه لا ينفد ولا ينعدم كما قال سبحانه لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قال ابن عباس معنى الكلمات ههنا ما انفرد به الباري جل وعز من علم ما كان وما يكون وكذلك فسر مجاهد الكلمات بالعلم وقال الخطابي رحمه الله مثل ذلك أيضا كلماته علمه وقال في قول النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات ان كلماته القرآن وصفه بالتمام تنزيها له أن يلحقه نقص أو عيب كما يوجد ذلك في كلام الآدميين قال والكلمة تتصرف على وجوه جماعها ما أمر الله به ودعا الناس اليه قال الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء الآية ثم فسرها فقال ألا نعبد الا الله الآية وقوله تعالى بكلمة منه اسمه المسيح فانه يريد والله أعلم أنه أوجده بالكلمة وكونه بها وهي قوله كن من غير توليد من فحل أو تنسيل من ذكر وهو معنى قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فبيان ذلك قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها فانها أربع كلمات تكلم بها عيسى عليه السلام في المهد صبيا قال اني عبد الله الآية وقوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الآية قال المفسرون هي عشر خصال في الطهارة أمر الله بهن خمس في الرأس فرق الرأس وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستجمار والختان فأتمهن أي وفاهن ثم قال تعالى وابراهيم الذي وفى (وقول) النبي صلى الله عليه وسلم في النساء واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى يريد والله أعلم ما شرطه لهن في كلمته وهو قوله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال بعض الاصوليين كلام الله تعالى صفة واحدة لا تتعدد ولا تتفنى بها يأمر وينهى ويعد ويتوعد ومنها يفهم جميع المقاصد وكلامه هو قوله وانما سمي كلامه كلمات في قوله تعالى ما نفدت كلمات الله على جهة التعظيم كما عظم نفسه في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وهو واحد لا اله الا هو وكذلك يقول جميع أهل الحق انه تعالى يقدر على المقدورات التي لا تتناهى بقدرة واحدة ويعلمها بعلم واحد ويدبرها بارادة واحدة وقال بعضهم في قوله تعالى قل الله القول من الله تعالى على أربعة أنحاء يكون بمعنى التكليم كما قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما ويكون بمعنى التكوين كما قال تعالى انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقول بمعنى الامر

مثل

مثل قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقول بمعنى الخطاب مثل قوله تعالى قال اخسؤا فيها ولا تكلمون والفرق بين التكليم والقول ان التكليم لا يكون الا ثناء وفضيلة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما والقول قد يكون ذما وابعادا كما قال تعالى لابليس قال اخرج منها مذؤما مدحورا والمسلمون مجمعون على أنه لا يقال كلم الله ابليس ولا هو كليم الله ولا أنه تعالى كلم أهل النار ويقال فى هذا قال لابليس كذا وقال لاهل النار كذا *(فصل)* ولا يجوز عليه سبحانه أن يتكلم تارة ويسكت أخرى كما لا يجوز عليه تعالى أن يعلم تارة ويخرج عن العلم تارة أخرى لان ذلك تغيير لا يجوز الا على المحدثين والرب تعالى عن ذلك هذه صفة الخالق وأما المخلوق فبخلاف ذلك يتكلم مرة ويسكت أخرى ويسمع تارة ولا يسمع أخرى لاسيما اذا لم يسمعه الله تعالى وشاهد ذلك أن الرجل يكلمك فى بعض الاحيان ولا تسمعه وكذلك يمر عليك فلا تراه ألم تسمع قوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وقال عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فاذا الله تعالى يتكلم على الدوام فاذا كشف الغطاء عن أذن المخلوق سمع كما فعل بموسى عليه السلام حين سمع كلام ربه تعالى ونشأت هنا مسألة يقال كيف عرف موسى صلى الله على نبينا وعليه كلام الله سبحانه وتحقق أنه هو ولم يكن سمع قبل ذلك خطابه فقيل فى ذلك أقوال منها أنه سمع كلاما ليس بحروف ولا أصوات وليس فيها تقطيع ولا نفس فعلم حينئذ أن ذلك ليس هو كلام البشر وانما هو كلام رب العزة وقيل فيه أيضا انه سمع كلاما لا من جهة وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات الست فعلم أنه ليس من كلام البشر وقيل انه صار جسده كله مسامع حتى سمع بها ذلك الكلام فعلم أنه كلام الله تعالى وقيل فيه ان المعجز دل على أن ما سمعه هو كلام الله تعالى جده وذلك أنه قال له ألق عصاك فألقاها فصارت ثعبانا فكان ذلك علامة له على صدق الحال وان الذى يقول له أنا ربك هو الله جل جلاله وقيل انه كان قد أضمر فى نفسه شيئا لا يقف عليه الا علام الغيوب فأخبره الله عز وجل فى خطابه بذلك الضمير فعلم أن الذى يخاطبه هو الله تعالى جده وجل ثناؤه وعلى كل حال فلا بد أن تعتقد أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بأذنى رأسه كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينى رأسه كما أثبته المحققون من أهل العلم فقالوا قسم الله عز وجل الرؤية والكلام بين محمد وموسى عليهما السلام انظره فى شرف المصطفى لعياض رحمه الله فاذا ثبت هذا

مبحث كيف عرف موسى كلام الله تعالى

الكلام فارجع الى بقية الكلام واقرأ قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو و يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة لا يعلمها ولا حبة فى ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح
الغيب بما فسرها الله فى قوله ان الله عنده علم الساعة فقال عليه الصلاة والسلام
مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها الا الله لا يعلم ما تغيض الارحام وما تزداد الا الله ولا يعلم
متى يأتى المطر الا الله ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض
تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله وانظر ما تحت قوله سبحانه ولا رطب ولا
يابس هل ترك شيئا من الاشياء أى نوع كان وقد قرئ ولا من رطب إلا يابس خارج ٧١.٤٩٠
السبع و يزيد الامر توكيدا لانه يدخل ما قبله فيه اذ لا يخلو من أن يكون رطبا
أو يابسا وكذلك من فى قوله تعالى من ورقة قالوا هى للتوكيد والله يعلم الورقة
سقطت أو لم تسقط وقوله الا فى كتاب مبين يعنى اللوح المحفوظ قال ابن عباس اللوح المحفوظ
رضى الله تعالى عنهما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ من درة دفتاه من ياقوتة بيضاء
قلمه نور وكتابته نور ينظر فيه كل يوم ثلثمائة نظرة وستين نظرة يحيى فى كل
نظرة و يميت و يعز و يذل و يفعل ما يشاء ذكر ذلك المهدوى (وفى رواية)
وعرضه ما بين السماء والارض واثباته فى اللوح المحفوظ لا لحاجة منه الى ذلك
ولا يضل ربى ولا ينسى وما كان ربك نسيا لكن لتعتبر به ملائكته الموكلون
بمقابلة الحوادث بما فى اللوح المحفوظ قال الحسن رضى الله عنه فعل ذلك ليعلم
ابن آدم أن عمله أولى بالاحصاء وكذا روى أن الحفظة الموكلين باحصاء أعمال
العباد يعطى أحدهم بطاقتين احداهما مكتوبة مختومة والاخرى بيضاء
فيكتب عمل العبد طول يومه فاذا فرغ قابلها بالمختومة فيجد ما فى هذه فى هذه بلا
زيادة ولا نقصان هذا معنى الكلام والله أعلم فاذا تقرر هذا فانظر أى بحار وأى
أقلام وكثرة عددها ما شئت تحيط بكلمات الله وكيف يتصور أن يحيط ما هو متناه
معلوم محصور محدود بكلام الله الذى لا نهاية له وعلمه القديم الذى لا يهتدى الى
معرفة كيفيته وأضرب لك مثلا بالبحار أجمعها والاقلام كلها أليست أجزاء مؤلفة
ردتها بوهمك بحرا واحدا أليس فى اعتقادك ان الله تعالى يعلم كم من نقطة فيه ولو لم
يكن ذلك كذلك لكان عجزا كما ان عندك الرامى الذى لا يعرف عدد ما شيته والامير
الذى لا يعرف عدد جنده عاجز وقد قال الله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم يعنى

اللوح المحفوظ

المطر

المطر وفى غيره قال يعلم مستقرها ومستودعها وكل شئ عنده بمقدار ولا تحرك ذرة الا باذنه فاذا استقرهذا وثبت ردد ذلك البحر مع جميع ما خلق الله أجزاء ثم خذ جزءا واحدا من نقطة من البحر أو رملة واحدة من رمال الدنيا أليست تلاصق أختها من فوقها ومن تحتها ومن جميع جهاتها أليس الماء يتحرك أحيانا وكذلك الرمل ثم يسكن أحيانا أليس الله تعالى يعلم مقدار أوقات مماسة ذلك الجزء صاحبه ومقدار مفارقته اياه ثم اذا فارقه أليس يماس غيره كذلك من جميع جهاته ان كان فوقه مثله والا فقد ماسه الهواء وقابله من السماء جزء آخر ثم قد يجتمع مع صاحبه الاول كهيئته اذ كان معه قبل التفرق أولا يجتمع و يجتمع مع غيره وان اجتمع متى يماسه مثل المماسة الاولى مع هيجان البحر واضطرابه وتكويم الرمال بالرياح أمثال الجبال يمينا وشمالا وجنوبا وشمالا ثم هكذا فى جميع المخلوقات المتحرك منها المعلوم حركته والساكن المعلوم سكونه وكل شئ عنده بمقدار وهذا كله محصى فى كتاب مبين وكل صغير وكبير مستطر أليس الحفظة والملائكة الموكلون بجميع المخلوقات الذى أيضا لا يعلم جنود ربك الا هو لو احتاجوا الى مداد يكتبون كل ما ذكرته لك ومالم أذكره مما لا يتصور فيه أن يذكر أى مداد كان يقوم بهم فى تصريف نقطة بل جزء من الاجزاء التى لا يعلم مقدارها الا الذى خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (ثم نرجع الى المداد الذى تكتب به الحفظة) ما تقدم فتفعل فى نقطة ما فعلت فى هذا ثم فى مداد المداد الى ما لا ينحصر ولا ينضبط وما يعلم حقائق الاشياء على ما هى عليه الا من خلقها ثم انظر نظرا آخر فيما قرئ من كتب الله جميعا منذ أنزلت على جميع الانبياء وكررت مع ما أجرى الله تعالى على ألسنة خلقه من الملائكة والانس والجن من الذكر على أنواعه من تقديس وتسبيح وغير ذلك من أول ما خلق الله الخلق الى أن تقوم الساعة نعم وفى الجنة التى لا آخر لها وتكرير ذلك الكلام المحمود على الالسن مع الكلام المذموم الواقع من الجهال والكفرة الذى أحصاه الله ونسوه ومع نطق البهائم والحشرات مع النطق المقدر فى الكل من الحيوانات مع قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم على مذهب من جعل ذلك من العلماء حقيقة بلسان المقال مع تقديس الرب نفسه قبل أن يخلق خلقه فى الازل الذى لا يفهم ولا يدرك بوهم وهذا كله الايمان به واجب والتفكر فيه محمود وهو أولى ما أعمل فيه الخاطر وأجيل

فيه الفكر الحاضر وهو يدرك بالعقل الذى جعله الله تعالى آية من آياته فيمن شاء من عباده ومن أوتيه ورزق العمل بمقتضاه وأطاع مولاه فاحرم شيئا سواه والخيرات له تبع كما يروى ان جبريل عليه السلام أتى آدم عليه السلام (فقال) له أتيتك بثلاث فاختر واحدة قال وماهم قال العقل والحياء والدين قال اخترت العقل فخرج جبريل عليه السلام الى الحياء والدين فقال ارجعا فقد اختار العقل عليكما فقال أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان ولله در الذى يقول

وما بقيت من اللذات الا * مجالسة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وأعقل العقلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق له ذلك لانه يروى عن سعيد ابن جبير رضى الله عنه قال بلغنى أن العقل قسم على ألف جزء فأعطى محمد صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة وتسعين جزأ وأعطيت أمته جزأ واحدا وكذلك الانبياء عليهم السلام قبله الا ما فضل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وانما اختار الله الانبياء لعقولهم وما أعطاهم من العلم والصبر وما زهدوا فى الدنيا مع القيام والصبر عليه الا بفضل عقولهم فمن زهد فى الدنيا وصبر على الحق فقد استكمل العقل وانما فاز العابدون بالاجتهاد وقال سعد بن أبى عروة عن قتادة عن الحسن قال كيف يسمى عاقلا وهو يمسى ويصبح فى الدنيا ومباهاة أهلها فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون وأولئك هم الغافلون وأولئك هم الجاهلون ويروى ان الله تبارك وتعالى لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر ثم قال له اسكن فسكن فقال وعزتى وجلالى لاركبنك فى أحب الخلق الى وقال فى الحمق ضد ذلك الى أن قال فى أبغض الخلق الى اختصرته ومما أرويه فى العقل لبعض أشياخى رحمهم الله

العقل نور الله يهدى به * من شاء ان يكتب من حزبه
ومن يمت شوقا الى ربه * يكشف له مولاه عن حجبه

وزدت أنا على هذا

فيرتقى منه الى رتبة * تفضى الى ما شاء من قربه
ما أقرب الامر على مفلح * ساعده التوفيق من ربه

فى أبيات كثيرة أنظرها فى التكميل وقد تكلم الناس فى ماهية العقل وفى

اسمائه

أسمائه وفي محله فمن أسمائه العقل واللب والحجا والحجر والنهى فقالوا سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن ركوب شهواته ومنه أخذ عقل الناقة قال عامر بن عبد القيس اذا عقلك عقلك فأنت عاقل وفي القرآن لعلكم تعقلون وسمى لبا لانه صفوة الرب وخالصه ولبابه ولب كل شئ خالصه ومحضه وجمع اللب ألباب وفي القرآن العزيز يا أولى الالباب (وسمى حجا) لاصابة الحجة به والاستظهار على جميع المعاني يقال حاجيته فحجيته وسيأتي طرف منه ان شاء الله عز وجل (وسمى حجرا) لانه يحجر عن ركوب المناهي ومنه حجر الحاكم على فلان ويقال للرجل اذا كان ضابطا لنفسه رابطا لجاشه مالكا لاربه انه لذو حجر وفي القرآن الحكيم هل في ذلك قسم لذي حجر (وسمى النهى) وهو جمع نهية لانه اليه ينتهي الذكاء والمعرفة والنظر وهو نهاية ما يمنح العبد من الخير المؤدي الى صلاح الدنيا والآخرة ولذلك قيل نهى الوادي ونهيه وهو مبلغ ما ينتهي اليه السيل (وفي القرآن العظيم) من هذا ان في ذلك لآيات لاولي النهى (وأما ماهيته فقيل) هو ادراك العلوم الضرورية وقيل ادراك العلوم على ما هي عليه وقالوا اصابة الفهم وادراك البيان وقالوا هي معرفة تكون في الانسان تزيد باكتساب العلوم وتظهر عند افادة المعلوم ولكل هذه الاقوال حجج وتفسير أمرها كبير وأما محله فقيل الدماغ لاشرافه على البدن ولانه مقر الحواس وقيل محله الدماغ وصفاؤه في القلب وقيل محله القلب لانه سلطان البدن وهذا هو الاظهر والله أعلم لان الله تعالى قال فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فجعل السمع في الآذان والعقل في القلب وكما قال تعالى أعين يبصرون بها وقد جاء مثل هذا في الحديث الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى ان العبد ليتحبب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها ولسانه الذي يتكلم به وقلبه الذي يعقل به ان سألني أعطيته وان دعاني أجبته فأضاف سبحانه كل جارحة الى ما جعل فيها وهذا الحديث أيضا يحتاج الى شرح ومعناه والله أعلم أن يتكلم فيما يرضى الله ويمشي في طاعة مولاه ويبطش فيما لا يكره الله ويعقل عن الله مراده وقيل في العقل انه نور موضوع في القلب كنور البصر في العين ينقص ويزيد ويذهب ويعود واليه أشار شيخي رحمه الله في شعره المتقدم وكما يفقد البصر من العين ولا يتغير شكلها كذلك يفقد العقل من القلب ولا تتغير هيئته وأسوأ العمى عمى القلب وفي القرآن العزيز

محل العقل

فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وفى الحديث ليس الاعمى من عمى بصره انما الاعمى من عميت بصيرته نعوذ بالله من هذين العميين ونسأله السلامة فى الدارين * قيل لعمرو بن العاص ما العقل قال الاصابة بالظن ومعرفة مايكون بما قد كان وقال له يوما معاوية رحمه الله ما بلغ من عقلك قال ما دخلت فى شئ قط الا خرجت منه قال له معاوية لكنى ما دخلت فى شئ قط أريد الخروج منه قلت

خرجت من شئ الى غيره * ولم أقف هاانا ذا أخرج
لكن لما لابد منه وما * أنت له من غيره أحوج

(فصل تقدم ما خرج) أهل الصحيح من حديث موسى والخضر عليهما السلام وما قص الله تعالى عنهما فى كتابه العزيز وفيه من قول الخضر لموسى عليهما السلام يا موسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر وفى رواية ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله الا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره (قلت) قال بعض أهل العلم أما قوله مقدار ما غمس فبين وكذلك ما ذكره ابن سلام فى تفسير الآية أنهما لم يتفرقا حتى بعث الله طائرا فطار الى المشرق ثم طار الى المغرب ثم طار نحو السماء ثم هبط الى البحر فتناول من ماء البحر بمنقاره وهما ينظران فقال الخضر أتعلم ما يقول هذا الطائر يقول ورب المشرق ورب المغرب ورب السماء السابعة ورب الارض السابعة ما علمك يا خضر وعلم موسى فى علم الله الا قدر الماء الذى تناولته من البحر فى منقارى وأما ما وقع فى الحديث الاول من ذكر النقص من العلم وما وقع فى حديثه الآخر فيما يرويه عليه السلام عن ربه تعالى يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا أدخل فى البحر وفى حديث آخر فى معناه ما نقص ذلك من ملكى الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ذلك بأنى جواد ماجد أفعل ما أريد عطائى كلام وعذابى كلام انما أمرى لشئ اذا أردته أن أقول له كن فيكون فذكر النقص فى هذه الاحاديث على معنى ضرب المثل فى النهاية من القلة على ما تعرفه العرب وتستعمله تقول ما غمضت البارحة ولا أستطيع القيام ولا أطيق الحركة ولا الكلام وفى كتاب الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم أن الساعة

تنقسم الى أجزاء ودقائق وكما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة والذرة تنقسم الى أجزاء وأشياء وقال فى موضع آخر ان الله لا يظلم الناس شيئا فهذا كله على النهاية فى الدقة والقلة (وكما قال) ولا يظلمون فتيلا فخرج النقص فى الحديثين والله أعلم على هذا المعنى اذ علم الله تعالى قديم لا يقبل التبعيض والتقسيم وأيضا فان العلم المبثوث فى جميع الخلائق من أهل السموات وأهل الارضين هو من عند الله ومن الحيطة التى شاء سبحانه أن يخلقها لنا كما قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء سبحانه وكما قال تعالى علم الانسان ما لم يعلم وأمرنا بالسؤال فيه والزيادة منه بقوله تعالى وقل رب زدنى علما فاذا لم ينقص من علم الله تعالى شئ وما عندنا منه خلق يخلقه لنا نعلم به علمنا ومعلومنا على قدر تفاضلنا فى ذلك ونعلم ان لله علما غير أن علم الله تعالى مخالف لعلم المخلوق لا يشبهه ولا يقاربه ولا يحمل عليه ولا هو منه فى شئ الا فى مشاركة الاسم لان علم المخلوقين يكون بالتعلم والتبصر والتدبر والتذكر وأخذ البعض عن البعض ولذلك وقع الاختلاف وتفرقت المذاهب وتشعبت الطرق ألم تسمع قوله تعالى فى القرآن الذى أنزله بعلمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فسبحان من سبق علمه جميع المعلومات قبل كونها وتقدم جميع الموجودات قبل عينها اذ الاشياء كلها مستفادة من علم الله بسبقه اياها وعلم الانسان مستفاد من الاشياء لانها سابقة له باذن الله (وأما علم الانبياء عليهم السلام) وان كانوا بشرا مثلنا فهو تخصيص من ربهم اياهم بما شاء من علمه بوحى ينزله اليهم أو الهام يقرره فى نفوسهم وبعضهم فى ذلك أعلى من بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية تعم ومتباينون فى العلوم ألم تسمع ما قال الخضر لموسى عليهما السلام حين أراد الافتراق يا موسى انك على علم من علم الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله لا تعلمه قال بعض العلماء كان الخضر عليه السلام يعلم الباطن وموسى عليه السلام يعلم الظاهر والله أعلم (وكذلك) علم الملائكة صلوات الله عليهم بعضهم أعلى من بعض وأعلم وأرفع جاها واعظم وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وبعد هذا كله فالله أعلم بما أراد وبما أراد أنبياؤه عليهم السلام من ذلك وينظر الى هذا كله قوله تعالى كن فيكون وكم بين الكاف والنون من الازمنة ولو لم يكن الا التبعية وليس فى كلام الله تعالى حرف ولا صوت وان كان قد ورد فى الحديث ذكر الصوت فله

تأويل يحمل عليه ولا يشبه بخلقه تعالى وليس فيه تقديم ولا تأخير اذ هو صفة واحدة لا تشبه صفاتنا وشتان بين القديم والحديث ألم تسمع ليس كمثله شئ وكذلك صفاته تعالى فليس كمثله شئ فى شئ وليس فى الوجود شئ الا الله وصفاته وما أحدث تعالى من مخلوقاته فمعنى كن كناية عن سرعة الشئ واجابة المأمور فى أقرب ما يكون وليس فى الكلام شئ يعبر به عنه فى السرعة أوجز من كن فهو عبارة عن السرعة (فان قال قائل) قد خلق الله السموات والارض فى ستة أيام وهى ستة آلاف سنة وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وقد كان قال لذلك كن فالجواب عن ذلك ان قول البارى سبحانه كن يتوجه الى المخلوق مطلقا ومقيدا فاذا كان مطلقا كان كما أراد لحينه وان كان مقيدا بصفة أو زمان كان كما أراد بحسب ذلك الزمان أو الصفة فان قال كن فى ألف سنة كان فى ألف سنة وان قال كن فيما دون اللحظة كان كذلك وفيما قرأته بالاسكندرية فى أحد المجالس على شيخى أبى محمد العثمانى رحمه الله من الحديث المسلسل ويده على كتفى قال حدثنى شيخى فلان وسماه ويده على كتفى ثم كذلك فكذلك كل شيخ يقول عن شيخه ويده على كتفى حتى انتهى بالسند الى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال حدثنى حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على كتفى قال حدثنى الصادق المأمور رسول رب العالمين وأمينه على وحيه جبريل عليه السلام ويده على كتفى قال سمعت اسرافيل عليه السلام يقول سمعت القلم يقول سمعت اللوح يقول سمعت الله عز وجل يقول من فوق العرش للشئ كن فلا تبلغ الكاف النون الا ويكون الذى يكون فهذا يحمل على ما تقدم من سرعة المكوّن ولا بدّ للمخلوقين من عبارة يفهمون بها مراد الله تعالى فى السرعة فليس ثم أسرع ولا أوجز فى اللفظ من كن كما تقدم فقيل لنا ذلك لنفهم والله ورسوله أعلم وقال النبى عليه الصلاة والسلام ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء حذار حذار من توهم جارحة أو تخيل تشبيه وانما ذلك كناية عن السرعة أيضا فى التقليب فى كل جزء من الزمان على وقته ألم تسمع ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قيل يقلبها من ايمان الى كفر ومن كفر الى ايمان وكانت يمينه عليه السلام لاوه تقلب القلوب ويقول يا مقلب القلوب قلب قلبى على طاعتك وقال لقلب ابن آدم أشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا أو كما قال عليه السلام ومعنى بين اصبعين بين أثرين وأمرين

كذا

كذا فسره أهل العلم وخص الاثنين لان المعلوم عندنا فى المخلوق اذا قلب شيئا بين اصبعيه انما يقلبه الى جهة اليمين أو الى جهة الشمال وكذلك تقليب الله تعالى القلوب الى الطاعة أو المعصية أو الكفر أو الايمان فتكون أصحاب القلوب من أصحاب اليمين أو من أصحاب الشمال كما قال تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة وليس هنالك مماسة ولا محاسة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

(فائدة لغوية) ويستشهد على قوله بين اصبعين أى على أثرين بقول الشاعر أنشده ابن دريد

من يجعل الله عليه اصبعا * فى الخير أو فى الشر يلقاه معا

وبقولهم لراعى بنى فلان على ماشيتهم اصبع أى أثر حسن وأنشدوا على هذا قول الشاعر يصف راعيا

صفيف العصا بادى العروق ترى له * عليها اذا ما أجدب الناس اصبعا

(فائدة زائدة) يقال اصبع واصبع بكسر الالف وضمها والباء مفتوحة فيهما ولك أن تتبع الضمة فتقول اصبع ولك ان تتبع الكسرة فتقول اصبع ولغة خامسة أصبع بفتح الالف وكسر الباء وكذلك يقال ابلم وأبلم وأبلم وكله جمع أبلمة وهى الخوصة وقس على هذا حديث القبضتين وذكر اليمين والشمال فى ذلك انما هو راجع الى المخلوقين ألم تسمع فى الحديث وكلتا يديه يمين أدبا منه عليه السلام ونفيا لما عسى أن يقع فى الاوهام نسأل الله الثبات الى الممات والعصمة من الزيغ والنزغ * وألحق بهذا الفصل ما جاء فى الحديث والقرآن من ذكر الصفات نحو قوله تعالى لما خلقت بيدى وتجرى بأعيننا وانني معكما أسمع وأرى وكل شئ هالك الا وجهه ويحذركم الله نفسه وعلى العرش استوى وما أشبه ذلك وما فى الحديث من ذكر النزول والقدم والرجل وما أشبه ذلك وسيأتى تفسيره ان شاء الله والباب كله واحد والحمد لله ويسهل مفهوم المعنى اذا نفيت عن نفسك تشبيه المعبود وتجسيم اليهود وتعطيل الفيلسوف وعدوى الطبيعى السخيف ويظهر لعين قلبك بالعين اليقين الحق المبين ذو القوة المتين من غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تخييل موجود لا كالوجودات بصفات كمال ليست كالصفات حى عالم متكلم مريد قدير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ما أبدع وأجمع قول من قال فيما روى عن أسلافه مهما قام فى نفسك شئ فالله بخلافه ويستشعر مع ذلك العجز عن معرفة الحقيقة كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل معرفته

توجيه مشكلات الصفات

الا بالعجز عن معرفته وتقول أيضا العلم بالعجز عن المعرفة هو المعرفة ويقال
فى مثل هذا العجز عن درك الادراك ادراك ويكفى من هذا قوله عليه
السلام لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد اختلف قول العارفين
فى هذا المعنى فقال الجنيد رحمه الله لا يعرف الله الا الله وقال غيره لا أعرف شيئا
الا الله وقال أغلقت عينى ثم فتحتها فلم أر شيئا غير الله وكلام هؤلاء يحتاج الى
شرح وبسط أما قول الجنيد فأراد الحقيقة ومن أين للعبد المخلوق بهذه
الطريقة وهو لا يعرف حقيقة نفسه مع استصحاب الحال وقد قالت عائشة رضى
الله عنها يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وهذا أيضا
يحتمل معنيين أحدهما ان هذا ممتنع يقول هو لا يعرف نفسه حق المعرفة فكيف
يعرف ربه والمعنى الآخر أن يعرف نفسه بانه مخلوق فيستدل به على الخالق كما
قال تعالى وفى أنفسكم افلا تبصرون ويعرف نفسه بالنقص فيعرف ربه بالكمال
وسر على هذا المسرى فى جميع صفات الخالق الكاملة وصفات المخلوق الناقصة
فاذا قد عرف ربه من هذه الجهة وهذا الذى أراد الذى قال لم أر الا الله يعنى انه
رأى المخلوقات فاستدل على الخالق والله عز وجل اعلم بحقائق الامور وبما
أراد رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك * ورأيت فى بعض الحكم من ترك
التوهيم فى صفة الله تعالى وفى الشك والنفاق ولذلك قيل تفكروا فى مخلوقاته
لا فى ذاته وقال أبو طالب المكى رحمه الله صفات الشهيد لا تشهد بنور العقل وانما
تشهد بنور اليقين ونور اليقين من نور القادر ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور وقال سهل رحمه الله أثبتوا الرؤية فان خالج قلوبكم التشبيه ورأيتم ذلك
فانفوا التشبيه فى الله تعالى وأثبتوا الرؤية ونزهوه عن الاشباه والاشباح وقال
غيره ظاهر التوحيد لا يجرى على ترتيب العقول ولا يمثل بقياس العقول لان نفى
الصفات أو اثباتها بالممثلات موجود فى رأى العقول كما ان الكفر والاضلال
موجود فى طبائع النفوس لعدم مشاهدة الابصار ولفقد وجود الالهية فى تخييل
الافكار وجريان المعتاد من ظهور الاسباب كما روى ان بعض الصديقين
دعا الى الله بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك
فأوحى الله اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال اجبنى عنهم قال كيف
أجيبك وأنا أدعو اليك قال تكلم فى الاسباب وفى أسباب الاسباب قال فدعا

الى الله من هذه الطريق فاستجاب له الجم الغفير فانما صحة التوحيد باثبات الصفات وأوصاف الذات التي جاءت بها السنن وشرعها الرسول مع نفي الشبهة والماهية ونفي الجنس والكيفية ثم سكون القلب وطمأنينة العقل الى الايمان بهذا والتسليم له لاجل نور الايمان الموهوب لان هذا انما يشهد بنور اليقين وعلمه لا بعلم العقل ونوره والعقل مرآة الدنيا بنوره يشهد ما فيها والايمان مرآة الآخرة به ينظر اليها فيؤمن بما فيها والله تعالى انما يرى بنور اليقين وفي هذا النور مشاهدة الصفات وهي حقيقة الايمان وأعز منزل من السموات هو السكينة المنزلة في قلوب المؤمنين لتزايد الايمان لانا أخذنا الايمان بمشيئة الله تعالى ورحمته من قبل التصديق واليقين والنقل لا من قبل التقليد وحسن الظن والعقل سأل اعرابي محمد بن الحسين رضي الله عنه فقال له هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن لأعبد ربا لم أره قال فكيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في القضيات ذلك الله الذي لا اله الا هو (فقال الاعرابي) الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقالوا أربعة أشياء تسلم تسليما ولا تعارض اعتراضا أخبار الصفات وأصول العبادات وفضائل الصحابة وفضائل الاعمال ولولا ان الله تعالى تولى قلوب المؤمنين فحبب الايمان اليها وزينه فيها وكره الكفر وشانه عندها لتاهوا في الظلمات وغرقوا في بحار الهلكات لظهور الاعتياد ومعاينة الاسباب ولغيب القدرة عن العيان ولما ابتلوا به من الحجب والاعيان ولكن الله سلم وحبب الايمان في القلوب وزين وكره الكفر والعصيان وشين (وقال تعالى) الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فلولا انهم كانوا في ظلمة الطبع ما امتن عليهم باخراجهم منها الى ما أدخل عليهم من نور اليقين (وجاء في الخبر ان الله تعالى) خلق الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه اهتدى ومن أخطأه ضل وفي أحد المعاني من قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو الاسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه ويمحو الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت الاسباب (وسئل بعض العارفين) عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وهو من نور الهداية المخصوص به الانبياء ومن اصطفى من الاولياء

ومن أحسن ما رأيت فى المعرفة قول الحسين بن منصور رحمه الله ألزم الله لكل الحدوث لان القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذى بالاداة اجتماعه فقوتها تمسكه والذى يؤلفه وقت يفرقه وقت والذى يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذى الوهم يظفر به فالتصوير يرتقى اليه ومن آواه محل أدركه أين ومن كان له جنس طالبه كيف والله سبحانه لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام لم يظهره قبل ولم يفقده بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمر له منزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله علاج بانهم بقدمه كما بانوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه وان قلت أين فقد تقدم المكان وجوده فالحدود آياته ووجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الاوهام فهو بخلافه كيف يحل به ما منه بدا أو يعود اليه ما هو أنشاه لا تماثله العيون ولا تقابله الظنون قرب بكرامته وبعده اهانته علوه فى غير ترق ومجيئه من غير تنقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقد تهدى الشاعر لهذه المعانى فقال ان قلت جسم فما ينفك عن عرض * أو وجوهر فالى الاقطار مردود
أو قلت متصل بالشئ فهو به * أو قلت منفصل فالكل تحديد
لا تجعلن الى التشبيه من سبب * ان الطريق الى التشبيه مسدود

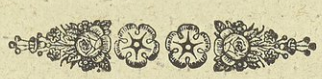

تم القسم الاول من كتاب الف با لابى الحجاج يوسف البلوى المذكور فى صحيفة ١٠٩ من الجزء الاول من كشف الظنون ويليه القسم الثانى منه واوله

(فصل ومما يمتنع منه السؤال)

وهو أحد الكتب الجارى طبعها على ذمة جمعية المعارف بالمطبعة الوهبية وقد بلغ عدد أهلها خمسين بعد الاربعمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل) ومما يمنع منه السؤال بأين (قيل) لصوفي أين الله (فقال) أتطلب مع العين أين وقد سئل علي بن أبي طالب أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض فقال أين توجب المكان وكان الله ولا مكان وقال لآخر وقد سأله أين الله (فقال) الذي أين الأين لا يقال فيه أين فبين للسائل فساد سؤاله بأن الاينية مخلوقة وكان قبلها سبحانه وتعالى قال الاستاذ رحمه الله مثال هذا السائل كمن سأل عن نور العلم أرظلم الشك يريد في فساده *وقيل ليحيى بن معاذ أخبرنا عن الله فقال اله واحد فقيل كيف هو فقال هو ملك قادر فقيل له أين هو قال بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا أريد اكان من صفة المخلوقين فأما صفته فما أخبرنا عنه (وقال بعض العلماء) وجائز أن نسأل عن الله بأين ونجيب عنه بما يليق بالله مثل أن تقول أين الله من قلبك أو من ذكر محله كما قال الشاعر (فأين الله والقدر) وكما قالت الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أين الله قالت في السماء لم ترد المكان انما أرادت الرفعة والعلو كما يقال فلان في السماء اذا أرادوا مكانته ورفعته في جاه أو علم وحسن قولها في السماء انها كانت في زمان المشركين وكانوا يعبدون آلهة كثيرة في الارض من الاصنام والاوثان فنفت تلك وأشارت الى المعبود في السماء كما قال تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقال تعالى أأمنتم من في السماء والله تعالى أعلم وكذلك تقول في المكان مكان الله من قلبي معظم أي أعرف قدره وأحبه بقلبي ويستشهد على هذا المعنى بقول عباس بن مرداس للنبي صلى الله عليه وسلم

فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش الهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بمراده وقال الشاعر

قلت له والرحيل يجعله * وقد تدا في الفراق أين أنا
فذ كفا الى ترائبه * وقال سر آمنا فانت هنا

وفي الترمذي عن ابي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل ان

يخلق خلقه قال كان فى عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء وخلق عرشه على الماء وفسره قال يزيد بن عمرون أى ليس معه شئ وجاء فى البخارى الذى هو أصح من هذا كان الله عز وجل ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ زاد النسائى ثم خلق سبع سموات وفسره أبو عبيد فقال العماء السحاب وقال غيره الرقيق من السحاب وقال بعض أهل العلم قوله اين كان ربنا يريد أين كان عرش ربنا فحذف اتساعا كما قال تعالى واسأل القرية وقال تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى حب العجل ويدل على صحة هذا قوله تعالى وكان عرشه على الماء وذلك ان السحاب محل الماء فكنى عنه وقال الاستاذ رحمه الله نحوا من هذا قال انما سأل عن مستقر الملائكة وغير ذلك من خلقه ألا تراه قال أين كان ربنا ولم يقل أين هو وقال قبل أن يخلق خلقه وقد علم انه ليس هو فى خلقه ثم لما أجابه بذكر العماء سكت ولم يقل وأين كان قبل ان يخلق العماء فدل على انه سأله عن مخلوق ولم يسأل عن الخالق والله أعلم ذكر ذلك فى تفسير حديث الامة السوداء الذى فيه أين الله وساق فيه حديثا بديعا نحوا من خمسة اوراق رحمه الله * وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الانبياء بالنصر والكلاءة قال الله تعالى انى معكما اسمع وارى ومع العامة بالعلم والاحاطة قال الله تعالى مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله وهو معهم وسئل ذو النون المصرى رحمه الله عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والاشياء موجودة بحكمه كما شاء * وسئل الشبلى عن ذلك فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى (وقال بعضهم) فعل بالعرش فعلا سماه استواء فكان هو به مستويا كما خلق فى غيره رزقا فكان هو به رازقا وخلق نعمة فى غيره كان بها منعما وقيل الاستواء هو العلو والعلو راجع الى استحقاق صفات المدح ويتضمن القهر والغلبة كما يقال استوى فلان على العراق بمعنى استولى وغلب والله أعلم (وسئل جعفر بن نصير) عن ذلك فقال استوى علمه بكل شئ وليس شئ أقرب اليه من شئ وقال جعفر الصادق من زعم ان الله تعالى فى شئ أو من شئ أو على شئ فقد أشرك لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان فى شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (وسئل مالك رضى الله عنه) عن ذلك فقال الاستواء منه غير مجهول والكيف منه غير معقول والايمان به واجب والسؤال

عنه

عنه بدعة وقال للسائل وانى أخاف أن تكون ضالا وجاء فى العرش أنه أعلى المخلوقات كلها فانه أكبر خلق الله تعالى وهو فوق الجنان كالسقف لها والكرسى دون العرش فى المنزلة والقدر يقال ما السموات السبع والارضون السبع والكرسى فى العرش الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض واستعظم قدرة الله وخلقه ويخلق مالا تعلمون ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ويروى عن عكرمة رضى الله عنه أنه قال ما أعطى الله عبده من النور فى عينيه ان لو جعل نور جميع أعين خلق الله من الجن والانس والدواب وكل شئ مما خلق الله فجعل نور أعينهم فى عين عبد من عباده ثم كشف عن الشمس سترا واحدا ودونها سبعون سترا ما قدر على أن ينظر الى الشمس والشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من السترة قال عكرمة فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور ينظر الى وجه ربه الكريم عيانا يعنى بالسترة فى هذا الخبر والله أعلم الحجاب وقد جاء فى الحديث حجابه النور (وعن مجاهد قال) بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من نور وحجاب من ظلمة وجاء فى حديث آخر مابين كل حجابين كما بين السماء والارض وسيأتى الكلام فى الحجاب وانه فى أبصارنا ما يخلق الله فيها من الموانع وان لم تعتقد هذا والاسبق الى الوهم ان الحجاب أكبر من الله سبحانه وتعالى اذ يستره على تخيلك وهذا محال والله أكبر من كل شئ وأعظم وأجل سبحانه وتعالى فنحن اذا المحجوبون كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون انظره فى باب الذال عند ذكر الاذان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال ابن مسعود مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة ثم مابين كل سماء من مسيرة خمسمائة عام وبصر كل سماء يعنى غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ثم مابين السماء السابعة الى الكرسى مسيرة خمسمائة عام ثم مابين الكرسى الى العرش مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ولا يخفى عليه شئ من أعمالكم وفى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض وفوق ذلك العرش وبين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض والله فوق ذلك ولا يخفى عليه من أعمال بنى آدم شئ * وعن الحسن عن كعب الاحبار قال أقرب الخلق الى الله

البصر بضم الباء السمك

عز وجل جبريل وميكائيل واسرافيل وهم تحت زوايا العرش وبينهم وبين رب العالمين مسيرة خمسين ألف سنة (وعن وهب بن منبه قال) أربعة أملاك يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه وجه ثور ووجه وجه أسد ووجه وجه نسر ووجه وجه انسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه من أن ينظر الى العرش فيصعق وأما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام سوى أن يقولوا قدسوا الملك القوى الذى ملأت عظمته السموات والارض وعن كعب قال حملة العرش مابين اخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الارض السفلى والسموات الى حجزهم والعرش الى مناكبهم (وجاء فى تفسير الكرسى) أقوال منها ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كرسيه علمه وقاله ابن جبير أيضا ذكره البخارى وكان الطبرى يقوى هذا القول بأن العرب تسمى العلماء كراسى ومنه سميت الكراسة لما تضمنته وجمعته من العلم وأنشد

يحفهم بيض الوجوه وعصبة * كراسى بالاحداث حين تنوب

أى عالمون بالاحداث وقيل كرسيه ملكه (وقال الحسن) الكرسى العرش وكان الاستاذ رحمه الله يقوى هذا القول لانه لم يرد أن العلم وسع الكرسى فادونه دون مافوقه فجائز أن يريد به العرش ومانحته والله أعلم ويستشهد بماذكره ثابت ابن قيس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته اذ يقول فيها ووسع كرسيه علمه فليس الكرسى على هذا علمه والله أعلم *(فصل)* قد تقدم ان العرش أكبر المخلوقات وانه لا يعلم قدره الا الذى خلقه وأنه مختص بالعلو والارتفاع فوق جميع ماخلق وقد جاء فى القرآن العزيز ذكره وأنه تحمله الملائكة وجاء فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة حملة العرش مابين شحمة أذنه وعاتقه يخفق الطير سبعمائة عام والعرش فى اللغة السرير وكذلك فسر ابن عباس قوله تعالى ولها عرش عظيم أى سرير كريم فى حسن الصنعة وغلاء الثمن ذكره البخارى يريد بذلك بلقيس والكرسى فى عرف اللغة مايقعد عليه أو يرقى به الى السرير وقال ابن ابى زمنين فى كتابه فى أصول السنة ومن قول أهل السنة أن الكرسى بين يدى العرش وأنه موضع

القدمين

القدمين والله تعالى يتعالى عن التحديد والتشبيه والتكييف وهذه المخلوقات التى أظهرها لا شك أن بعضها أكبر من بعض وأعلى من بعض والعرش أعلى خلقه وأكبر وهو غنى عن جميع ما خلق غير محتاج اليه وانما هو ملك أظهره وليس ما أظهره لنا وعلمناه كنه خلقه بل هو بعض خلقه اذ يقول سبحانه ويخلق مالا تعلمون وقد جاء فى الخبر أن السموات والارض والدنيا والآخرة والجنة والنار فى جوف الكرسى والكرسى نور يتلألأ وقد تقدم أن العرش أكبر المخلوقات وأكبر من الكرسى وليس العرش والكرسى الا التشبيه فى الرفعة كما أضاف الكعبة التى فى الارض عندنا اليه وسماها بيته فيقال بيت الله كما أضاف المساجد أيضا اليه فيقال بيوت الله والبيت عندنا انما هو معد للسكنى والله تعالى يتعالى عن صفات البشرية كلها فى جميع صفاته وقد ذكر أبو طالب المكى أيضا بسنده الى مجاهد فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقعده على العرش وهبه لحبيبه فى الآخرة فجعله مكانه تفضيلا له وتشريفا ليكون هنالك فوق المرسلين فى الجلالة كما كان آخرهم فى الرسالة فيحتمل والله أعلم أن يكون خلقه من أجله صلى الله عليه وسلم فلا أرفع منه ويكفيه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وجاء فى الخبر عن الله تعالى وخلقت ما خلقت لاجل محمد فهذه غاية الشرف والحمد لله (وقال أبو طالب المكى أيضا) وقد ذكر ما يعتقده المؤمن الموقن قال وان تعتقد ان الله تعالى رفيع الدرجات من العرش وان قربه من الثرى ومن كل شئ كقربه من العرش وان العرش غير ملابس له بجنس ولا مفكر فيه بوجس ولا ناظر اليه بعين ولا محيط به بدرك لانه تعالى محتجب بقدرته عن جميع بريته ولا نصيب للعرش منه الا كنصيب عالم موفق به واجد بما أوجده منه وان الله تعالى محيط بعرشه فوق كل شئ وفوق تحت كل شئ فهو فوق الفوق وفوق التحت ولا يوصف بتحت فيكون له فوق لانه العلى الاعلى أين كان لا يخلو من علمه وقدرته مكان ولا يحدّ بمكان ولا يفقد من مكان ولا يوجد بمكان فالتحت الاسفل والفوق الأعلى وهو سبحانه فوق كل فوق وفوق كل تحت فى السمو هو فوق ملائكة الثرى كهو فوق ملائكة العرش والاماكن الممكنات ومما يقوّى هذا ما قاله بعض العلماء وقد سئل عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فقال ان الله تعالى أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى والتقم الحوت يونس

وهذا له معنى حسن وهو لا تفضلونى على يونس بن متى بعين

من حيث الاعتقاد بالتوحيد اى لا تعتقدوا انى خير منه بما انى محمد بن عبد الله فى الاعتقاد اذ هو جاء بتوحيد الاول وحيث انا به والا فهو افضل الخلق على الاطلاق صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اهـ خض

عليه السلام فهبط به الى قعر البحار فى أسفل الارض فلا تقولوا انى كنت أقرب الى ربى من يونس بل كنا فى القرب سواء أوكما قال وجاء فى الخبر أربعة أملاك اجتمعوا فى الهواء أحدهم هبط من العلو والآخر ارتفع من السفل والآخر من المشرق والآخر من المغرب وكل واحد منهم يقول أقبلت من عند ربى أوكما قالوا فسبحان الموجود فى الكل مكانه مشيئته ووجوده قدرته والعرش والثرى وما بينهما هو حد الخلق الاسفل والاعلى بمنزلة خردلة فى قبضته هو أعلى من ذلك محيط بجميع ذلك بما لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد فى دنوه ولا حس فى وجوده ولا مس فى شهوده ولا ادراك لحضوره ولا حيطة لحيطته وقد قال الله تعالى للكل يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال تعالى ألا انه بكل شئ محيط * رفع ذاته عن القلوب والافكار فلم يخيله عقل ولم يصوره وهم لئلا يملكه الوهم فيكون مربوبا وهو رب ولا ينظر اليه بفكر فيكون مقهورا وهو قهار ولا يعقل بعقل لانه عاقل العقل ولا يدرك بحيطة وهو محيط بكل حيطة يشهد الكون من أوله الى آخره من حيث علمه بعلم هو وصفه ومشاهدة هى نعته لان كلامه بذلك يخبر بأنه قد كان دليل على شهوده المآل لانه شهد ما علم كما علم ما به تكلم فلم يتفاوت كلامه وعلمه ولم يختلف علمه وشهادته قوته كنه قدرته وقدرته دوام بقائه نظره سعة علمه وعلمه مد بصره يدرك الاشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة فثبتت بذلك مشيئته أنه علم ونظر وتكلم لا يدخل الترتيب فى صفاته أعنى بقبل ولا بعد ولا بوقت بحد ولا يوصف بالتعقيب بقدرته وأحكامه أعنى بم ولم ولزم بذلك أنه يعلم بنظره وينظر بعلمه وصارت الاوائل والاواخر لديه كشئ واحد وصارت صفاته كلها آحادا كاملات تامات غير محدودة للمحدودات ولا موقتة مرتبة للموقتات المرتبات اذ الترتيب فى النعوت من وصف الخلق والادوات رأى خلقه قبل أن يخلقهم كما رآهم بعد أن خلقهم أدخلهم الجنان قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه هو أعز من أن تغضبه أعمال خلقه لكنه نظر الى قوم بعين الغضب قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال الغضب فأسكنهم دار الغضب وهو أكبر من أن ترضيه أفعال خلقه ولكنه نظر الى قوم بعين الرضى قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال الرضى

يشير الى ما ورد من أنه سبحانه وتعالى قبض قبضة وقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وقبض قبضة وقال هؤلاء للنار ولا أبالى اهـ خض

فأسكنهم دار الرضى وكان من هجيري الشيخ أبي الحسن الكانشي رحمه الله هانوا عليك فعصوك ولو احببتهم لحميتهم عن المعاصي روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا يعني كان في علم الله أن يكون فكأنه علق قوله لم يكن شيئا بقوله مذكورا والله تعالى يخبر بما يكون في الدنيا وبما يكون في القيامة وما بعدها بلفظ انه كان لاستواء ذلك في علمه آخرا كالاول ادلا ترتيب في العلم ولا حد ولا مسافة ولا بعد في القدرة وقال تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين يعني تقلبك في أصلاب الانبياء في صلب نبي بعد نبي حتى أخرجك من ذرية اسماعيل والله سبحانه عالم بالكون قبل الكون ثم أظهر الخلق عالما بعد عالم وقتا بعد وقت فجاؤا على نظره وسمعه وكلامه كما كانوا في علمه ومشيئته بغير زيادة ذرة ولا نقصان خردلة سبحانه وتعالى علوا كبيرا والكلام كثير اختصرته من كتب العلماء وحكم الحكماء وسئل أبو عثمان المقري رضي الله عنه عن الخلق فقال قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة وقال الواسطي لما كانت الارواح والاجساد قائما بالله وظهرتا به لابذواتها كذلك قامت الحركات والخطرات بالله لابذواتها اذ الحركات والخطرات فروع للاجساد والارواح صريح هذا الكلام ان اكتسابات العباد مخلوقة لله وكما انه لا خالق للجواهر الا الله تعالى فكذلك لا خالق للاعراض الا الله تعالى صدق الذي يقول هذا وشاهده قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وقالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وفي الخبر الله صانع كل صانع وصنعته وهذا الخبر أطول من هذا رويته عن الحافظ رحمه الله بسنده الى حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف كله صدقة وان الله عز وجل صانع كل صانع وصنعته وان آخر ما تعلق به أهل الجاهلية من كلام النبوة اذا لم تستح فاصنع ما شئت وسئل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لي ما هو فقال هو معرفتك ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل فاذا عرفت ذلك فقد وحدته وسئل الواسطي عن الكفر بالله أو لله فقال الكفر والايمان والدنيا والآخرة من الله والى الله وبالله ولله من الله ابتداء وانشاء والى الله مرجعا وانتهاء وبالله بقاء وفناء ولله ملكا وخلقا * وقال بعضهم ذكر الله ايانا لمحبته ورحمته لك باق ببقائه والجنة باقية ببقائه فشتان ما بين باق ببقائه وباق ببقائه

(قلت) ينظر هذا الى قوله تعالى ولذكر الله أكبر على تأويل من فسره ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه لان الله تعالى ذاكر من ذكره قال تعالى فاذكرونى أذكركم وسئل بعضهم عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك من التعطيل والتشبيه وقال غيره التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه بالذوات ولا بمنفى الصفات * وقال بعض المشايخ ماتوهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال أبو المعالى من الطم أن الى موجود انتهى فكره اليه فهو مشبه ومن انقطع الى موجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد ومن الطم أن الى النفى المحض فهو معطل والقول أيضا فى هذا الباب يطول وقد أحكمه أهل الاصول فى أبواب وفصول فمن طلبه أصابه فاقتنع منه بهذه الصبابه وان كانت لك بها اصبابه وسيأتى طرف منه فى هذا الكتاب فى مواضع فاسترحم الرحمن للواضع وقد نسيت نفسى بقال فلان وفلان قال حتى طال المقال ولما خرجت من ثقاف اللغات الثقال صرت كالمنشط من العقال والحديث ذو شجون وذو شعوب وفنون (وقلت)

خرجت من اللغات فطاب عيشى * وجاء الفكر بالدر النفيس
وأفرح حين آخذ فى سواها * كما فرح المؤدب بالخميس
ولكن بد يحضر يوم سبت * فيعبس فيه أكثر من عبوسى
اذا ماقلت لى فسر حروفا * فتلجينى الى حرب البسوس
ولو صحفته قشر حروفا * لكان على أسهل من جلوسى
ولكنى سأرجع للذى قد * أردت كرامة لك ياجليسى

ولكن بعد أن أفسر لكم أيها البنون الشجون والفنون أما الشجون فصدر شجن وهو الحزن يقال أشجنى الامر فشجنت شجونا والجمع أشجان ويقال رجل شج بكذا وقد أجازوا فى الشعر شجى بالتشديد وأنشدوا * أيا ويح الشجى من الخلى ولهم فى ذلك كلام والشجنة قرابة مشتبكة (ومنه الحديث) الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله (يروى) بضم الشين وكسرها يعنى قريبة أى قريب ثوابها من الواصل قريب عقابها من القاطع وأصله الاختلاط يقال شجر متشجن أى ملتف ومنه (قالوا الحديث) ذو شجون كما تقدم * وقال البكرى وذكر الحديث ذو شجون مأخوذ من الشواجن وهى أودية كثيرة

قد ذكر في المتعقبة الشيح وصوابه الشجر كما هنا

الشجر غامضة يقال أشجنت الارض اذا كثرت فيها الشجون وهي الاودية واحدها شجن قالوا والشجون أيضا الحاجات (قال الشاعر) * والنفس شتى شجونها * وقد يستعمل في معنى الحب قال الراجز

انى سأبدى لك فيما أبدى * لى شجنان شجن بنجد * وشجن لى ببلاد الهند

(والفنون) جمع فن وهو الحال والضرب من الكلام يقال رجل معن مفنن وهو الذى لا يعرض له شئ الا تكلم فيه وهو محمود اذا أصاب الصواب ومذموم اذا تعرض فى الامور وتكلم بغير علم ولا دعته اليه ضرورة * قال ابن السيد وهو الذى تسميه الناس الفضولى وأما المعن بضم الميم فهو الفرس الذى جعل له عنان وهو من أعننت والفنن غصن الشجرة وجمعه أفنان قال الله تعالى ذواتا أفنان ومنه يقال فلان متفنن فى الكلام كأنه يمضى من غصن الى غصن وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون قال فى كل فن يذهبون وقال مجاهد فى كل فن من القول يفتنون وقال الحسن قد رأيت أوديتهم التى يهيمون فيها فى مديح هذا مرة وفى هجاء هذا مرة يعنى ماهو على وزن هذا شؤون وسيأتى ان شاء الله تعالى فى فوائد باب الراء وتقدم معن مفنن وكما تقول ذلك للرجل فكذلك تقول للمرأة معنة مفنة (قال الراجز)

ان لنا لكنه * معنة مفنه * سمعنة نظرنه * كالريح حول القنه

ويروى * كالذئب وسط العنة * الاتره تظنه * كان الاحمر يكسر سمعنة نظرنه وقال أبو زيد امرأة سمعنة نظرنة بالضم وهى التى اذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئا تظنته تظنيا وأما قولهم الحديث ذو شجون فأول من قاله ضبة بن أد وهو والد سعد وسعيد الذى تقدم ذكرهما وكان قد أرسلهما فى طلب ابل له فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ضبة اذا رأى شخصا يقول أسعد أم سعيد فذهبت مثلا ثم ان ضبة خرج فى سفر فى الشهر الحرام ومعه الحارث بن كعب فمر بمكان فقال الحارث لضبة انى لقيت فى هذا الموضع فتى من صفته كذا وكذا فعرف ضبة صفة ابنه سعيد فقال له وما فعلت به قال قتلته وأخذت منه هذا السيف فقال ضبة أرنى اياه فسله ودفعه اليه فرأى أنه سيف ابنه فقال الحديث ذو شجون ثم ضرب الحارث فقتله فلامه الناس على ذلك فقالوا أقتلت فى الشهر الحرام فقال سبق السيف العذل فقال الفرزدق فى ذلك من شعر له آخره

ولا تأمن الحرب ان استعارها * كضبة اذ قال الحديث شجون

وسيأتي سبق السيف العذل وان أول من قاله خزيم بن نوفل انظره في فصل الاجواد من باب الجيم ان شاء الله وأنا أقول أيضا الحديث يجر بعضه بعضا تقدم في هذا الفصل * أياو يح الشجي من الخلي * ولي من لفظ الشجي قطعة مطولة أولها

ليت شعري أيستريح الشجي * فيرى بعد ذاك وهو خلي

انظرها في التكميل ومن أملح ما رأيت في هذه اللفظة ما خرج البكري قال أوقف عبد الملك بن مروان جارية للشعراء فقال أيكم يجيز هذا البيت وهذه الجارية له ثم أنشد

بكى كل ذي شوق يمان فشاقه * شآم فأني يلتقي الشجنان

فجثا جرير على ركبتيه وقال هلمي يا جارية الي ثم قال

يغور الذي بالشرق أو ينجد الذي * بنجد تهامات فيلتقيان

فأخذ الجارية وانصرف

معنى الحرف في اللغة

(فصل) الحروف في اللغة تأتي على وجوه منها القراءة تقول قرأت بحرف فلان ومنها المذهب والجهة على غير يقين بمعنى الشك والتجربة وفي القرآن ومن الناس من يعبد الله على حرف جاء في تفسيره عن مجاهد أي على شك وحقيقته أنه على ضعف في عبادته كضعف القيام على حرف حرف قاله المهدوي وسيأتي طرف من هذا المعنى داخل الكتاب ان شاء الله فهذا وجه (وجاء في الحديث) أنزل القرآن على سبعة أحرف فسره ابن شهاب رحمه الله قال بلغني أن السبعة الاحرف انما هي في الامر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام ذكره مسلم رحمه الله وفسره أبو عبيد فقال يعني سبع لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا لم نسمع به قط ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة أهل اليمن ثم فسر عن ابن سيرين هو كقولك هلم وتعال وأقبل * وقال أيضا في حديث يرفعه على سبعة أحرف حلال وحرام وأمر ونهي وخبر من كان قبلكم وخبر ما هو كائن بعدكم وضرب الامثال ثم قال أبو عبيد ولسنا ندري ما وجه هذا الحديث لانه شاذ غير مسند وصحيح ما قاله أولا في القرآن حسبما ذكره في الغريب وهذه نخبة قوله رحمه الله (قلت) ولعمري ان النفس تميل الى ما قاله أبو عبيد رحمه الله من أنها لغات متفرقة في ألسنة العرب ألا ترى أن من لغة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم بكسر العين على ما حدث به

الكسائى عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سألهم عن شئ فقالوا نعم فقال انما النعم الابل قولوا نعم وكان مذهب على بن أبى طالب رضى الله عنه نعم بالفتح يدلك على ذلك حين أخذ البيعة على أصحابه فجعلوا يقولون نعام يريدون نعم فقال على رضى الله عنه ان النعام والبا قر فى الصحراء الكثير ولم ينكر عليهم الا زيادة الالف فى نعم والله أعلم (وأما ابن قتيبة رحمه الله فقال) تدبرت الاختلاف فى وجوه القرا آت فوجدتها سبعة (أولها) فى اعراب الكلمة أو فى حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها ولا يغير معناها نحو قوله تعالى هؤلاء بناتى هن أطهر لكم وأطهر وهل يجازى الا الكفور وهل نجازى الا الكفور والبخل والبخل وميسرة وميسرة (والوجه الثانى) أن يكون الاختلاف فى اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب نحو قوله تعالى ربنا بعد بين أسفارنا وربنا باعد واذ تلقونه وتلقونه واذكر بعد أمة وبعد أمة وهو النسيان (والوجه الثالث) أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم وفزع (والوجه الرابع) أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الا زيعة واحدة وصيحة وكالعهن المنفوش وكالصوف (والوجه الخامس) أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى وطلح منضود وطلع (والوجه السادس) أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت فى موضع (والوجه السابع) أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى وما عملته أيديهم وما عملت أيديهم وان الله لهو الغنى الحميد وان الله هو الغنى الحميد وقراءة بعض السلف ان هذا أخى له تسع وتسعون نجحة أنثى وان الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها وقد تكلم ثابت رحمه الله فى الدلائل على هذا الحديث وذهب فى ذلك مذهب أبى عبيد رحمه الله وقال ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم والعرب متباينون فى كثير من الالفاظ واللغات ولكل عمارة لغة دلت بها ألسنتهم وفحوى قد جرت عليها عاداتهم وفيهم الكبير العاسى والاعرابى الفج ومن لازم نبى عادته وحمل لسانه على غير دربته تكلف منه حملا ثقيلا وعالج منه عناء

xxxvi.35
xxxii.34
xxxviii.22
xx.15.

شديدا ثم لم يكسر غربه ولم يملك استمراره الا بعد التمرين الشديد فأسقط الله عنهم هذه المحنة وأباح لهم القراءة على لغاتهم وحمل حروفهم على عاداتهم فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقرئهم بما يفقهون ويخاطبهم بالذى يستعملون بما طوقه الله من ذلك وشرح له صدره وفتق به لسانه وفضله على جميع خلقه صلى الله عليه وسلم وهذا معنى الحديث والله أعلم وأيضا فلم يكن لهم يومئذ كتاب يعتبرونه ولا رسم يتعارفونه ولا يقف أحدهم فى الحروف على كتبة ولا يرجعون منها الى صورة وانما كانوا يعرفون الالفاظ بجرسها ويحدونها بمخارجها وكان أكثرهم لا يعلم بين الراء والزاى سببا ولا بين الصاد والضاد سببا فلهؤلاء جاءت الرخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القراءة على سبعة أحرف أى على سبع لغات والله أعلم والدليل على أنه كان أكثرهم لا يكتب ولكنهم يفقهون ماروى بعض الاخباريين ان هشام بن عبد الملك مرّ على ميل فقال لاعرابى انظر ما الذى عليه مكتوب فنظر ثم أقبل فقال محجن وحلقة وثلاث كأنها أطباء الكلبة وهامة كأنها منقار طائر فقال هشام هذه خمسة وقال ثابت أيضا فى قول أبى عبيد حين أنكر أبو عبيد أن يكون فى الحرف الواحد سبع لغات وقال هذا لم نسمع به قط قال ثابت قد جاء فى كتاب الله عز وجل ماله وجوه من القرآن سبعة أو تزيد على السبعة من غير أن نقول هذا مراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله أنزل القرآن على سبعة أحرف ثم ذكر قوله تعالى وعبد الطاغوت بضمها وعبد الطاغوت مضافة وعبد الطاغوت بالاضافة وضم العين والباء وعبد الطاغوت بضم العين وتشديد الباء وعابد الطاغوت وعباد الطاغوت وعبدوا الطاغوت فهذه سبعة أوجه محفوظة عن أبى حاتم السجستانى وسمى من قرأ بكل حرف منها ثم قال وذكروا عن الخليل رحمه الله أنه قال ويقرأ وعبد الطاغوت كما تقول ضرب عبد الله وعبد الطاغوت معناه صار الطاغوت معبودا كما تقول فقه زيد وعبد الطاغوت أراد عبدة الطاغوت وطرح الهاء فى اللفظ والمعنى فى اثباتها وعابد والطاغوت وفسر ذلك كله فقال أما من قرأ وعبد فعلى لفظ من أى ومن عبد الطاغوت ومن قرأ وعابدوا الطاغوت فعلى معنى من لان لفظها لفظ الافراد ومعناها الجمع كما قال تعالى ومنهم من يستمع اليك ومنهم من يستمعون اليك ومن قرأ وعبد فله وجه مثل رهن ورهن وسقف وسقف ويجوز اسكان الثانى فى هذا فتقول سقف وسقف وأما عبد فجمع عابد مثل شهد وشاهد وغيب وغائب وأما

عباد فجمع مثل كافر وكفار وغائب وغياب وأما وعبد الطاغوت بالاضافة فمردود
ولا يوجد ذلك الا فى ضرورة الشعر مثل قوله * أنا ابن ماوية اذ جدّ النقر *
على أن سليمان التيمى قرأ يا أيها النُمُل ادخلوا مساكنكم والله أعلم (قلت) xxvii. 14
وكثيرا ما يجىء فى الكلمة الواحدة لغات كثيرة مثل عضد من قوله تعالى وما كنت
متخذ المضلين عضدا فسره مكى فى الهداية أى عونا ثم قال وفيه ست لغات عضدا
وعضدا وعضدا وعضدا وعضدا وعضدا وسترى فى هيهات كذلك لغات كثيرة
وفى آزر كذلك وفى غير هذا كثير فاطلب تصب والله الموفق (وقال المازنى)
رحمه الله فى هذا الحديث ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف وزيف قول من قال
انها معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص وغير ذلك وقال ذلك خطأ لانه
لا يجوز ابدال آية أمثال بآية أحكام قال الله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء
نفسى وكذلك زيف قول من قال ان المراد به ابدال خواتم الآى فيجعل مكان غفور
رحيم سميع بصير مالم يناقض المعنى فيبدل آية رحمة بآية عذاب قال وهذا أيضا فاسد
لانه قد استقرّ الاجماع على منع تغيير القرآن ولو زاد أحد من المسلمين حرفا أو كلمة
أو نقص أخرى أو خفف مشدّدا أو شدّد مخففا لبادر الناس الى انكاره فكيف
بابدال كثير من كلماته واذا فسد هذا فينبغى أن تعلم أن الحرف فى اللغة هو الطرف
والناحية ومنه حرف الوادى أى طرفه وناحيته ومنه تسميتهم الشكل المنقطع من
حروف المعجم حرفا لانه ناحية من الكلام وطرف ولا بدّ من حمل الحديث على وجه
يجوز ابدال بعضه من بعض فلم نجد الا أنه نحو الترقيق والتفخيم والاظهار والادغام
والهمز والتسهيل والفتح والامالة فهذا لا يغير المعنى والله أعلم والحرف فى اللغة
أيضا حرف الشئ مثل الجبل وغيره تقول انحرف الرجل وتحرف واحرورف اذا مال
عن الشئ وأما الحرف بالضم فحبّ الرشاد والحرف أيضا الحرمان والمحارف المحروم
وهو خلاف قولهم مبارك وقد حورف كسب فلان اذا شدّد عليه فى معاشه كأنه
ميل برزقه عنه (وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه) موت المؤمن بعرق الجبين
تبقى عليه البقية من الذنوب فيحارف بها عند الموت أى يشدد عليه لتمحص عليه ذنوبه
والحرفة الصناعة والمحترف الصانع وفلان حريفى أى معاملى قال الاصمعى هو
يحرف لعياله أى يكتسب من هاهنا وهنا مثل يغرف وتحريف الكلام عن
مواضعه تغييره وتحريف القلم قطه محرّفا وانحرف عنه وتحرّف واحرورف مال

وعدل والحرف بالفتح أيضا الناقة الصلبة ويقال الهزيلة ولبعض أصحابنا يلغز في الحروف التي هي جمع حرف يعني النوق المتعبة في السفر

وقائلة ولم تلفظ بحرف * وكم لفظت حروفا أضمرتها
عوامل دائبا رفعا ونصبا * وخفضا في معاني أضمرتها

يعني بالقائلة الهاجرة وبالحروف الابل التي أضعفها العمل حتى أضمرت جسومها لكثرة السير في المرتفع من الارض والمطمئن والمنخفض حتى لفظتها يعني طرحتها وألقتها عنها مهزولات مضمرات والمعاني التي أضمرتها هي مئونتها في سيرها من صنوف المآرب وضروب المنافع واعلم أنه يقال لفظ بالكلام اذا نطق به بكسر الفاء وبفتحها ولفظ الشئ رمى به يلفظ فيهما جميعا ولفظ بالفتح وفلظ مات والحروف التي بني عليها جميع الكلام هي حروف الهجاء (قال ابن عطاء) ان الله تعالى لما خلق الاحرف جعلها سرا له فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك في أحد من الملائكة فجرت الاحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجزئيات في فنون اللغات فجعلها الله تعالى صورا لها وهي الثمانية والعشرون حرفا المذكورة وجعلها أبو القاسم الزجاجي تسعة وعشرين وعد منها الهمزة وقال ابن دريد الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الاسماء والافعال والحركات والاصوات تسعة وعشرون حرفا مرجعهن الى ثمانية وعشرين حرفا وأما الحرف التاسع والعشرون فخرس بلا صوت أي تصويت وهي الالف الساكنة وذلك أنه لا يكون الا ساكنا أبدا فمن أجل ذلك لم يبدؤا به فاذا احتجت الى أن تحركه تحول الى لفظ أحد الحروف المعتلات الياء والواو والهمزة فمن ثم لم يعدوه في حروف المعجم لان اللسان لا يبتدئ بساكن ولا يقف على متحرك فاذا كانت الكلمة أولها ألف صارت همزة فمن الحروف حرفان تختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والطاء وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثير وأن الطاء وحدها مقصورة على العرب ومنها ستة أحرف للعرب ولقليل من العجم وهي العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء وما سواها فللخلق كلهم من العرب والعجم الا الهمزة فانها ليست في كلام العجم الا في الابتداء وهذه الحروف تزيد على هذا العدد اذا استعملت فيها حروفا لا تتكلم بها العرب الا ضرورة فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء

والفاء مثل بور اذا اضطروا اليها قالوا فور ومثل الحرف الذى بين القاف والكاف وبين الجيم والكاف وهى لغة سائرة فى اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل وأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيه ولون الكوم فى موضع القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف انتهى كلامه وسترى فى هذا الكتاب ماجاء من ذلك فى أبوابه ان شاء الله واذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف واذا تقاربت صعب النطق بها لاسيما حروف القلب لايجيء منها ثلاثة فى كلمة واحدة وسيأتى طرف من هذا ان شاء الله تعالى (وأما أبو القاسم) فقال انها تبلغ خمسة وثلاثين حرفا بحروف مستحسنة نحو النون الخفيفة والالف الممالة وهمزة بين بين وألف التفخيم والصاد التى كالزاى والشين التى كالجيم قال ثم تصير اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة (قال ابن دريد) وهذه الحروف تسعة أجناس يجمعهن لقبان المصمتة والمذلقة ثم فسر ذلك مع مخارجها على ماسأذكر لك ذلك مفرقا فى باب كل حرف ان شاء الله تعالى ويجمع الحروف المصمتة قولك حثه شخص فسكت وهى عشرة وقيل لها مصمتة أى صمت عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من الحروف المذلقة فى الاكثر والمذلقة مشتقة من ذولق اللسان وهو طرفه ولا تكاد تجد خماسيا ولا رباعيا يخلو من أحدها ولذلك استغربوا لفظة العسجد والزهزقة والعسطوس اذ ليس فيها حرف منها وهى ستة الراء واللام والنون والباء والفاء والميم يجمعها مل بفرن وهذه الحروف ثلاثة منها شفهية وهى الفاء والباء والميم سميت بذلك لحركة الشفتين عند ذكرها وثلاثة ذولقية وهى الراء واللام والنون سميت بذلك لخروجها من طرف أسلة اللسان كما تقدم يقال لسان ذلق طلق وذليق طليق وذلق طلق وذلق طلق أربع لغات وذلق كل شئ حده وكذلك ذولقه تقول ذلق اللسان بالكسر يذلق ذلقا أى ذرب وكذلك السنان تقول ذلق يذلق فهو ذلق وأذلق وهذه الحروف منها عوامل ومنها حروف علة ومنها صحاح وجميعها يذكر ويؤنث مالم تسم حروفا تقول هذه ألف وهذا ألف قال الشاعر فى التذكير

كافا وميمين وسينا طاسما وقال آخر فى التأنيث

* كما بنيت كاف تلوح وميمها * وقد ذكرت من ذلك فى هذا الكتاب ماقدر الله لى أن أذكره وعسى الله أن ينفع بالنية فيه *(فصل قد تقدم فضل حروف المعجم)* وأخبرتك ان الله تعالى قد فضل الاشياء بعضها على بعض ورأيت أن الالف أفضل

الحروف ويتلوها فى الفضل الباء لوجوه منها اجماعهم على تقديم الالف فى أبجد وبعدها الباء على مذهب من استعمله وفى ألف با تا ثا ولان أوّل ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك فأوّل اللفظة الالف وان كانت همزة فالالف تحملها وأوّل كلمة بعد هذه اللفظة باسم ربك فالباء أوّل هذه الكلمة الاخرى فهى تالية للالف وان أزلت الباء وقلت انها زائدة بقى اسم وأوّله الالف والباء هنا لها معنى عظيم أى انك لا تقرؤه بحولك وقوتك ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا فهو يعلمك ويحفظك لانه قال قبل ذلك ما أنا بقارئ أى انى أمىّ ولا أقرأ الكتاب فقيل اقرأ باسم ربك الذى خلقك فينبغى على هذا أن لا يتحرك متحرك الا بذكر اسم الله تعالى ألم تسمع قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها وينبغى أن يتحفظ فى لفظه فيقول باسم الله ولا يقل على اسم الله فانه قد جاء عن ابن عمر رضى الله عنه أنه كره أن يقول الرجل للقوم قوموا على اسم الله وسمع قائلا يقول فى جنازة ارفعوا على اسم الله فقال ابن عمر ان اسم الله على كل شئ ولكن قولوا ارفعوا باسم الله ويروى أن رجلا قال لصاحبه اجلس على اسم الله وذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اجلس على استك وقع هذا الخبر فى كتاب آداب الاسلام لابن أبى زمنين (قلت) لا أدرى كيف هذا وقد خرج مسلم رحمه الله عن جندب بن سفيان قال شهدت الاضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته بالناس نظر الى غنم قد ذبحت فقال من ذبح قبل الصلاة فليذبح شاة مكانها ومن لم يكن ذبح فليذبح على اسم الله فرغ الحديث اللهم الا أن يكون كره للرجل الذى قال لصاحبه اجلس على اسم الله سوء الادب فى لفظه هذا والله أعلم وعند العامة من هذا كثير يرسلون أقوالهم ويسيبون كلامهم الا ترى قول الناس الحمد لله الذى جئت بقولونه لمن قدم عليهم قال بعض العلماء لا ينبغى أن يقال هذا ولكن يقال الحمد لله الذى جاءبك والحمد لله اذا جئت (رجع الكلام الى فضل الالف) خرج أبو عمرو المقرى رحمه الله فى المحكم بسنده الى عبد الله بن سعيد قال بلغنا أنه لما عرضت حروف المعجم على الرحمن تبارك اسمه وتعالى جدّه وهى تسعة وعشرون حرفا تواضع الالف من بينها فشكر الله له تواضعه فجعله قائما أمام كل اسم من أسمائه قال أبو عمر وقال بعض العلماء انما تقدمت الالف على سائر الحروف لانها صورة الهمزة

المتقدّمة فى أوّل الكلام (ويروى عن بكر) بن خنيس ان الله تعالى لما خلق الالف انتصب قائما فلما خلق الباء اضطجعت فقيل للالف لم انتصبت قائما قال أنتظر ما أومر وقيل للباء لما اضطجعت قالت سجدت لربى قال بكر فأيهما أجل الذى فعل ما يؤمر أو الذى انتظر ما يؤمر كأنه فضل الالف على الباء ثم هى مع اللام فى اسم الله وفى أوّل كل اسم من أسمائه التسعة والتسعين اسما ولذلك جاءت فى القرآن فى قوله تعالى هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وفى الحشر هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الى آخر السورة (وحيثما ذكرت هذه الاسماء) تذكر بالالف واللام وان لم يكونا من نفس الكلمة وسمعت بعض أشياخى ينكر على من يكتب أو يذكر اسم الله تعالى منكرا وأنكر على من قال ان الا من قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة هو الله وقال حذار حذار من أن تقول هو اسم الله فتسمى الله باسم لم يسم به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى سبحانه معرفة وأن الانكرة وحاش لله أن يكون اسمه نكرة انما الال ماله حرمة وحق مثل القرابة والرحم والجوار وهو من أللت اذا اجتهدت فى الشئ وحافظت عليه فاذا كان المصدر ألا بالفتح فالال بالكسر الاسم كالذبح من الذبح (قلت) وهذا الذى أنكره هذا الشيخ قد قاله ابن عزيز رحمه الله وذكر أن الاتجئ على خمسة أوجه ذكرها وأوّل ما قال الال الله عز وجل وكذلك فسر أبو عبيد الال انه الله فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع سجع مسيلمة ان هذا شئ ما جاء عن ال وسيأتى هذا كله فى بابه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وجاءت الالف فى أوّل آمين فيمن جعله اسما من أسماء الله تعالى وفى أوّل سورة فى المصحف الحمد لله رب العالمين وجاء فى معنى الحمد لله لا نفسره بغيره لان لفظة الحمد أعم من كل لفظة ترجمت عن الحمد وهو أعم من الشكر فبدأ بالالف فى الحمد لله فى أوائل السور وحيثما وقع فى أوّل آية الكرسى التى هى أعظم آية الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى أوّل الصلاة الله اكبر وفى آخرها السلام عليكم وهذا كله راجع الى اسم الله تعالى *(فصل)* تقدّم ان الحمد أعم من الشكر وقد قال فى ذلك الامام الحافظ أبو بكر بن العربى رضى الله عنه

مالى بوصف الاله الحق من قبل * جلت معانيه عن قولى وعن عملى
لا حمد الا الذى قد جاء عنه له * فرد عن المثل معلوم على المثل

يا أيها المتعاطى وصفه صلفا * مهلا فقد خلق الانسان من عجل
سلنى عن الدين والدنيا أجبك وعن * محامد الله رب الناس لا تسل
هذا النبى وقد أوتى جوامعه * من الكلام بلا عى ولا خطل
قد قال ما أحسن الاخبار عنه ولا * أحصى ثناء عليه آخر الأجل
وأنت ان كنت تبغى وصفه فلقد * ركبت فى الامر ظهر الحادث الجلل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل
ما كاف الله نفسا فوق طاقتها * ولا يقابل حول الله بالحيل

قال الفقيه الاستاذ أبو الحجاج رضى الله عنه قد تقدم ان الحمد أعم من الشكر ولذلك قلت

الحمد أبلغ فى الثنا * من لفظ شكر فاعتبر
بمقالة العلماء فيه * أولى البصائر والبصر
وأنا أقول بقولهم * وأزيد معنى لى حضر
فى لفظ حمد أحرف * مدح والا فاختبر
تجد الذى لك قلته * ليس المعاين كالخبر

قد تقدم الالف فى الم والر والمر والمص كما تقدم ان الباء تتلو الالف فى الفضل لكونها كما تقدم فى باسم ربك وفى بسم الله الرحمن الرحيم على مذهب من جعلها آية من كل سورة من القرآن فبدأ بها فى المصحف قبل الحمد لله وكونها فى أول كل سورة للفضل وللفضل وقد خرج الدارقطنى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأتم الحمد فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها وخرج أبو داود عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وقد جاء فى فضلها ما لا ينبغى لاحد اذا سمعه أن يترك قول ذلك وأذكر منه هنا بعض ذلك لعل أحدا يستعمله فأكون دالا على خير والكريم ذو الجلال لا يضيع الدلال * ذكر النقاش فى كتابه بسنده الى ابن جريج عن عكرمة قال ان الله كان ولا شئ غيره فخلق نورا وخلق من النور القلم واللوح أول كل شئ ثم أمر القلم فجرى على اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة فأول ما كتب على اللوح بسم الله الرحمن الرحيم وجعل الله هذه الآية أمانا لخلقه ما داموا على قراءتها وهى قراءة أهل سبع سموات وأهل سرادقات المجد والكروبيين والصافين والمسبحين

وأول ما نزلت على آدم فقال قد أمن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت بعده فأنزلت على ابراهيم الخليل في سورة الحمد فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فأنزلت على موسى في الصحف فقهر بها فرعون وسحرته وهامان وجنوده وقارون وأشياعه ثم رفعت بعده فأنزلت على سليمان بن داود فعندها قالت الملائكة اليوم والله تم ملكك يا ابن داود فلم يقرأها سليمان على شئ الا خضع له وأمره الله تعالى يوم أنزلت عليه أن ينادي في أسباط بني اسرائيل أيها من أحب منكم ان يستمع أمان الله فليحضر الى سليمان في محراب داود فانه يريد أن يقوم خطيبا فلم يبق محبوس حبس نفسه في العبادة ولا سائح الا هرول اليه حتى اجتمعت الاحبار والعباد والزهاد والاسباط كلها عنده فقام فرقى منبر الخليل عليه السلام وتلا عليهم آية الامان بسم الله الرحمن الرحيم فلم يسمعها أحد الا امتلأ فرحا وقالوا نشهد انك لرسول الله حقا فقهر بها سليمان الملوك وبها فتح الله عز وجل لنبيه عليه السلام مكة ثم رفعت بعد سليمان وأنزلت على المسيح عيسى ابن مريم ففرح بها واستبشر بها الحواريون فأوحى الله اليه يا ابن العذراء أتدري أي آية أنزلت عليك آية الامان بسم الله الرحمن الرحيم فأكثر من تلاوتها في قيامك وقعودك ومضجعك ومجيئك وذهابك وصعودك وهبوطك فانه من وافى يوم القيامة وفي صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمنا بي وبرسولي عتقته من النار وأدخلته الجنة فلتكن في افتتاح قراءتك وصلاتك فانه من جعلها في افتتاح قراءته وصلاته ومات على ذلك لم يروعه منكر ونكير وأهون عليه سكرات الموت وضغطة القبر وكانت رحمتي عليه وأفسح له في قبره وأنور له مد بصره وأخرجه من قبره أبيض الجسم وأنور الوجه يتلألأ نورا وأحاسبه حسابا يسيرا وأثقل ميزانه وأعطيه النور التام على الصراط حتى يدخل به الجنة وآمر المنادي ان ينادي له في عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة قال عيسى عليه السلام اللهم يا رب فهذا لي خاصة قال لك خاصة ولمن اتبعك وأخذ بأخذك وقال بقولك عامة وهولاء حمد وأمته من بعدك فأخبر عيسى عليه السلام أتباعه بذلك فقال ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ونعته وفضله كيت وكيت وأخذ ميثاقهم بالايمان به وجدد ميثاقه حين رفعه الله الى السماء لاصحابه فلما انقرض الحواريون ومن اتبعهم وجاء الآخرون فضلوا وأضلوا وبدلوا واستبدلوا بالدين دنيا رفعت عندها آية الامان من

صدور النصارى وبقيت فى صدور مؤمنى أهل الانجيل مثل بحيرا وأمثاله حتى بعث الله النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه فى سورة النمل بمكة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكتب على رأس السور وصدور الدفاتر والرسائل فكان نزول هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحا عظيما وحلف رب العزة بعزته أن لا يسمى بها مؤمن على شئ الا باركت عليه ولا يقرؤها مؤمن الا قالت الجنة لبيك وسعديك اللهم أدخل عبدك هذا فى بسم الله الرحمن الرحيم فاذا دعت الجنة لعبد فقد استوجب له دخولها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم قال وان أمتى يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الانبياء لم فيقال لان مبتدأ كلامهم ثلاثة اسماء من أسماء الله الكرام لو وضعت فى كفة الميزان ثم وضعت سيئات الخلق كلهم فى كفته الاخرى لرجحت حسناتهم قال وقد جعل الله هذه الآية شفاء من كل داء وعونا لكل دواء وغنى لكل فقير وسترا من النار وأمنا لهذه الامة من الخسف والمسخ والقذف ما داموا على قراءتها وفى هذا الكتاب من فضائلها اكثر مما ذكرته لكنى اختصرته وفضلها لا شك فيه لكن أين الداعى والمتكلم بها كما يجب لها من حرمة ورعاية كما حدثنى بعض أشياخى عن من كان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى الصحفة فتنشق ثم يأتى بأخرى فيكتب فتنشق مرارا كان هذا من الذين يتلونه حق تلاوته كما فسره بعضهم ليس بحفظ حروفه بل بحفظ حدوده (وجاء عن عثمان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب جعلنا الله ممن وفقه لطاعته وحماه عن معاصيه انه منعم رحيم كريم وهذا الفضل المذكور فى بسم الله الرحمن الرحيم يذكر لمن لا يرى أنها آية من كل سورة من القرآن وقد أجمع العلماء أنها آية منه فى سورة النمل وانما اختلفوا فى كونها آية فى كل سورة أو فى الحمد خاصة فمالك والأوزاعى لا يريانها من القرآن الا فى سورة النمل ولا يقرآن بها فى الفريضة سرا ولا جهرا وهى عند الشافعى وابن حنبل وغيرهم آية من أم القرآن يقرؤنها فى الفريضة جهرا فى صلاة الجهر وسرا فى الاسرار (وذلك يروى عن عمر وعلى وزيد بن ثابت رضى الله عنهم) وكذلك اختلفوا فى التعوذ مع اجماعهم أنه ليس من القرآن ومالك لا يراه فى الصلاة المفروضة والشافعى وأبو

حنيفة وغيرهما يتعوذون فى أول ركعة منها ومحمد بن سيرين يتعوذ فى كل ركعة وكانوا يكتبون أولا باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتبوا بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتبوا بسم الله الرحمن فلما أنزلت فى النمل وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبوها كذلك وكان بعد ذلك جبريل عليه السلام ينزل ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ومن بركة هذه الكلمة وفضلها ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان فانه يتعاظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتى صنعته ولكن قل بسم الله فانه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب فمثل هذا الكلام لا ينبغى أن يترك مع اثباتها فى سواد المصحف فى أول كل سورة باجماع من الصحابة وحاشاهم أن يثبتوا فى المصحف ما ليس بقرآن مع ماتقدم فى ذلك من الفضل العظيم والله الموفق (ووقع فى مصنف عبد الرزاق) السبب الذى منع من الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة وصله بسنده الى البراء بن عازب رضى الله عنه قال لما ظهر مسيلمة الكذاب باليمامة ادعى النبوة فقيل له من أنت من الانبياء فقال بسم الله الرحمن الرحيم قيل له فمن يعلم ذلك قال محمد وأصحابه فانهم لا تجوز لهم صلاة حتى يذكروا اسمى فأرسلوا معبد بن مالك الاشجعى وأمية بن أبى الصلت الثقفى الى المدينة ليقفوا على تحقيق قوله فهبط جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يخافت ببسم الله الرحمن الرحيم فاما بها ثلاثة أيام فرجعا بتكذيب مسيلمة فأتت الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نعود الى ما كنا عليه فهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد دم على ما أنت عليه فقد جرت سنة الله بذلك فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يقرؤا بها فى نفوسهم ولا يتركوها لثقلته على المعنى من كتاب غير المصنف والحمد لله * وتقدم ذكر أمية بن أبى الصلت ووقع فى المسعودى أنه أول من أدخل مكة لفظة باسمك اللهم جاء بها من الشأم فى خبر عجيب علمها اياها شيخ أبيض الرأس واللحية وجده فى كنيسة فى فلاة من الارض نجابها وأصحابه من الهلكة وقد كتبت الحكاية بكمالها فى باب الهاء من هذا الكتاب عند ذكر الخيات فانظرها هنالك وهذا الفضل العظيم قد أورده النقاش رحمه الله فى هذه الكلمة وأورد فى فضل الحمد لله رب العالمين المذكور فى أم القرآن وفى علمها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال لى على رضى الله

سبب الاسرار بالبسملة

عنه يا ابن عباس اذا صليت العشاء الآخرة فالحق الى الجبانة قال فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة قال فقال لى ماتفسير الالف من الحمد قلت لا أعلم فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة قال ثم قال ماتفسير اللام من الحمد قلت لا أعلم فتكلم فيها ساعة تامة ثم قال ماتفسير الحاء من الحمد قال قلت لا أعلم قال فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة ثم قال ماتفسير الميم من الحمد قال قلت لا أعلم قال فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة قال فما تفسير الدال من الحمد قال قلت لا أدرى فتكلم فيها الى أن بزق عمود الفجر قال وقال لى قم يا ابن عباس الى منزلك فتأهب لفرضك فقمت وقد وعيت ماقال ثم تفكرت فاذا علمى بالقرآن فى علم على كالقرارة فى المتغجر قال القرارة الغدير الصغير والمتغجر البحر (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الله وعلم على رضى الله عنه من علم النبى صلى الله عليه وسلم وعلمى من علم على وماعلمى وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى علم على رضى الله عنه الا كقطرة فى سبعة أبحر فانظر كيف تفاوت الخلق فى العلوم والفهوم يقال ان عبد الله بن عباس أكثر البكاء على على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى ذهب بصره واذ قد وقع ذكر على وابن عباس رضى الله عنهما فلنذكر بعض فضائلهما ولنبدأ بما فخر به الزكى العلى ابن عم النبى ولنثن بالثناء على ابن عباس العدل الرضى ابن عم النبى أيضا (قال أبو الطفيل شهدت عليا يخطب) وهو يقول سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ الا أخبرتكم به وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل ولو شئت أوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وسيأتى قول النبى صلى الله عليه وسلم فيه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وقول ابن عباس فيه لقد أعطى على تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر وكان معاوية رحمه الله يكتب فيما ينزل به فيسأل على بن أبى طالب عن ذلك فلما بلغه قتله قال لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب وكان عمر ابن الخطاب يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن وسئل عطاء أكان فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أعلم من على قال لا والله ما أعلمه (وفضائله) كثيرة قد جمعها الناس ودونوها وأجمعها لنعته ماوصفه به ضرار الصدائى اذ قال له معاوية صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال أما اذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة

ذكر فضل على رضى الله عنه

من

من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه اياانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرّي غيري الى تعرّضت أم الى تشوّقت هيهات قد بتنك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكا معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزني حزن من ذبح ولدها في حجرها (وسئل الحسن) بن أبي الحسن عن علي بن أبي طالب فقال كان علي والله سهما صائبا من مرامي الله عز وجل وربانيّ هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا باللومة في دين الله ولا بالسرقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه فحاز منه برياض مونقة ذا لك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأعز من مدحه وأخزى من قدحه تقدّم في هذا الخبر قوله يا دنيا غرّي غيري كذلك كان رضي الله عنه لا يستأثر من الفيء بشيء قسم ما في بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة وكان يلبس القميص اذا عدّ كمه بلغ الى الظفر واذا أرسله بلغ الى نصف الساعد وازاره الى نصف الساق ويكفيه فضلا قول النبي صلى الله عليه وسلم فيه من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله عليه الصلاة والسلام لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وهو أوّل من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله عنه وأرضاه * وأما ابن عباس رضي الله عنه فان طاوسا قال ما رأيت أحدا كان أشدّ تعظيما لحرمات الله من ابن عباس والله لو أشاء اذا ذكرته أن أبكي لبكيت وعن أبي رجاء قال كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشراك البالي وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه سمعنا صوتا نسمع صوته ولا نرى شخصه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

فضل ابن عباس رضي الله عنه

فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (ومن فضائله رضي الله عنه) أنه كان أعلم الصحابة بالتأويل وحق ذلك له فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ودعا له بالحكمة وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل واجعله امام المتقين وفي رواية ضمه الى صدره وكل ميسر لما خلق له وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدنيه في مجلسه ويقدمه على من كان أسن منه لان سنه كان يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن عشر سنين وكان عمر رضي الله عنه يقول من كان سائلا عن شئ من القرآن فليسأل عبد الله بن عباس وكان اذا عضل به الامر قال له غص يا غواص أي أشر برأيك وكان يقول فيه علي بن أبي طالب كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق ومع هذا فلم يغفل نفسه عن الطلب قال والله لربما مررت بالآية من كتاب الله تعالى في جوف الليل فلا أعرف فيمن أنزلت فآخذ ثوبي ثم آتي المسجد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأوقظ الرجل منهم فأسأله فيمن نزلت آية كذا وكذا فان لم أجد عند واحد منهم وجدت عند آخر حتى أمر عليهم جميعا وربما غدوت فأبدأ بالمهاجرين فأسألهم فان لم أجد عند واحد منهم أتيت قرى الانصار فتتبعتهم رجلا رجلا حتى أجد حاجتي وكان يقول ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال سعيد بن جبير كنت عند ابن عباس جالسا اذ أتاه أهل التفسير فسألوه وأتاه أهل القرآن فقرأوا عليه وأخذوا علمهم باعرابه ثم جاء أهل الحلال والحرام فسألوه ثم جاء أهل العربية والشعر فسألوه فأجبرهم حتى جاء قوم من فارس فسألوه عن رستم واسفنديار فحدثهم بحديثهم فقمت اليه فقبلت رأسه وقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على الارض أعلم منك فتبسم وقال مجاهد كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه وقال عطاء ما رأيت بيتا أكثر علما وعملا وخيرا من بيت عبد الله بن عباس رضي الله عنه وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في الصدور فلم يدع * لذي جحة في القول جدا ولا هزلا

ووجدت شبيه هذين البيتين وقبلهما مكتوبا لمعاوية

اذا قال لم يترك مقالا ولم يقف * لعي ولم يثن اللسان على الهجر
يصرف بالقول اللسان اذا انتحى * وينظر في أعطافه نظر الصقر

كذا وجدته لمعاوية فلا أدري أقيلت في معاوية أو قالها معاوية في ابن عباس وكذا

أظنه والله أعلم رضى الله عنهما * وسئل عنه الحسن بن أبى الحسن رضى الله عنهما فقال كان والله سحبانا يسيل عذبا بحر بيان يتدفق على لسانه أعذب فى الاسماع من الشهد فى الاحناك وأحسن فى الابصار من الدر فى الاسلاك * سأله رجل ما تقول فيمن طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه منها كواكب الجوزاء وكان من سجيته أنه ينشد الشعر فيحفظه من سمعة واحدة فيقال له أكنت ترويه فيقول لا وهل أحد يسمع شيئا ولا يحفظه يتعجب ممن سمع ولا يحفظ ما سمع (ومن فضائله رضى الله عنه) ما خرج البخارى رحمه الله بسنده عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم قال فما رأيت أنه دعانى يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به فقال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم ومن غير البخارى قال يوما وقد سأل ابن عباس عن شئ فأجابه فالتفت الى المهاجرين فقال أعييتمونى ان تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام الذى لم تجتمع شؤون رأسه وسيأتى تفسير الشؤون ان شاء الله وفى البخارى أيضا عن عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة قالوا الله ورسوله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين قال عمر يا ابن أخى قل ولا تحقرن نفسك وذكر باقى الحديث وفضائله كثيرة رضى الله عنه وكان له ابن اسمه على كان له خمسمائة أصل زيتونة يصلى كل يوم الى كل أصل ركعتين وكان يقال له ذو الثفنات لما كان بوجهه وركبتيه من أثر السجود والثفنات من البعير ما بركبتيه وذراعيه من الاثر من كثرة بروكه على الارض هذا شكر مولاه على ما أولاه وبذلك كان أهل الدين والصون يتواصون ألم تسمع قول الشاعر وقد دخل على بعض الاجواد فى حديقة له فقال له صف هذه الحديقة ولا تعد الحقيقة فقال

ترفعت عن ندى الاعماق وانحدرت * عن المعاطش فاستغنت بمسقاها

فاهتز بالبقل والريحان أسفلها * واعتم بالنخل والرمان أعلاها
أيا معاوية اشكر فضل واهبها * وكلما جشها فاعمر مصلاها

وكان أيضا يقال لعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج ذو الثفنات لان طول السجود كان قد أثر في ثفناته كذلك * تقدم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدني مجلس ابن عباس وهو حديث السن وقد كان يفعل ذلك بغيره وروى عن يوسف بن الماجشون أنه قال لابن شهاب ولابن عمر ولآخر معنا لا تستحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا أعياه الامر المعضل دعا الاحداث فاستشارهم لحدة عقولهم ذكره القاضي أبو محمد الحسن ابن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي في كتابه المسمى بالفاصل بين الراوي والواعي وهو رواية شيخي أبي الطاهر السلفي رحمه الله عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي القالي عن أبي عبد الله محمد بن اسحاق ابن حدبان النهاوندي عن المؤلف وفي هذا الكتاب تفضيل كثير من الصغار وقال أنشدنا أصحابنا البغداديون

ان الحداثة لا تقصر بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تذكي قلبه * فيفوق أكبر منه سنا

وذكر عن بعض البصريين قال مر رجل بحماد بن سلمة وحوله صبيان فقال يا أبا سلمة ما هذا قال هؤلاء الذين يحفظون عليك دينك وقيل لابن المبارك وكان يدني الاحداث على الاشياخ قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان فقال هؤلاء أرضى عندي منكم انكم كنتم تعبثون وهؤلاء عسى الله أن يبلغهم وكان هشام بن عروة يقول كان أبي يقول أي بني كنا صغار قوم فأصبحنا كبارهم وأنتم اليوم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبارهم ولا خير في كبير لا علم عنده فعليكم بالسنة وقال اسماعيل ابن عياش كان ابن أبي حسين يدنيني منه فقال له أصحاب الحديث نراك تقدم هذا الغلام السلمي وتؤثره علينا فقال اني أؤمله فسألوه يوما عن حديث حدث به عن شهر ابن حوشب اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل فذكر الثلاثة ونسي الرابعة فسألني عن ذلك فقال لي كيف حدثتكم فقلت حدثتنا عن شهر أنه قال اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل اذا كان أوله حلالا وسمى الله عليه حين يوضع وكثرت عليه الايدي وحمد الله حين يرفع فأقبل على القوم فقال كيف ترونني وذكر في الكتاب المذكور بسنده

قال سمعت سفيان بن عيينة يقول كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبه الدين فحملنا
الى مكة فلما ذهبنا الى المسجد لصلاة الظهر وصرت الى باب المسجد اذا بشيخ على حمار
فقال لي يا غلام أمسك علي هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع فقلت ما أنا بفاعل
أو تحدثني قال وما تصنع بالحديث واستصغرني فقلت حدثني فقال حدثني جابر بن
عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت حماره وجعلت
أتحفظ ما حدثني به فلما صلى وخرج قال ما نفعك ما حدثتك فحبستني فقلت حدثتني
بكذا وحدثتني بكذا فرددت عليه جميع ما حدثني به فقال بارك الله فيك وذلك الشيخ
هو عمرو بن دينار * تقدم في أول السند الماجشون وهو لقب لجده وكان من
أصبهان انتقل مع طائفة منهم الى المدينة فكان أحدهم اذا لقي صاحبه قال له شون
شون يريد بذلك كيف أنت فلقبوا بالماجشون ذكر ذلك الزبير بن بكار المذكور
وقد زدت على التطويل بهذا القيل لكنه من الخفيف ليس الثقيل وقد آن أن
أعود الى الذي وعدت بعد أن بدأت وأعدت وأقول

الماجشون

رجعت الى الذي منه خرجت * ولكن بعد ما نفسي أرحت
وقد أنفقت ما في الكيس حتى * لآخر حبة ثم استرحت
وآخذ بعد في شرح الذي قد * ذكرت كما سواه قد شرحت

(فصل) واسم الله تعالى الذي هو الله مخالف لغيره من الاسماء ألا ترى
أنك تقول يا الله فتهمز الالف ولا تقول يا العباس وتدخل عليه حرف النداء
فتقول يا الله ولا تفعل ذلك بغيره وتقول يا أيها الرجل ولا تقول يا أيها الله
فمن أجل هذه المخالفة قال جابر بن زيد اسم الله الاعظم هو الله ألا ترى أنه يبتدأ به

ما اختصت به الجلالة عن الاسماء

(ويروى) عن أبي بن كعب أنه قال جميع الاسماء تفيد معنى ربوبية
الرب جل وعز قال واسمه الذي هو اسمه الله وقال غيره هو اسم علم وليس بمشتق
انما هو اسم خص به نفسه فترك اسما بكماله لانه يكون نعتا ولا ينزع منه الالف
واللام لانه وضع للرب جل جلاله مفرد الاشريك له فيه فيكون متى سمعه سامع
علم أن الله هو المراد به فلذلك لا يكون منه صفة يوصف بها غيره وهو معنى قولهم هل
تعلم له سميا وقال الخليل لا تطرح الالف واللام من الاسم انما هو على التمام وليس
من الاسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل كما تقول رحيم يرحم (قلت) ومع ذلك فقد
تجاسر قوم وطرحوا منه الالف واللام وجعلوه مشتقا من كذا وقالوا فيه كذا وكذا

أسماء الله الحسنى

كسائر الاسماء وهم أهل علم وسداد ولكل نية واجتهاد *(فصل)* تقدم ذكر التسعة والتسعين اسما التي لله تعالى ولذلك جاء في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة خرجه الترمذي رحمه الله (قلت) لا تظن أن ليس لله تعالى أسماء غير هذه بل أسماؤه تعالى كثيرة لا نهاية لها كما لا نهاية لذاته ولا لصفاته ولا لافعاله والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ووقع في جامع ابن وهب سبحانك لا أحصي أسماءك وخص العدة المذكورة في الحديث لكونها في القرآن أو لفضلها على غيرها بمعنى أن الله تعالى يعطي السائل اذا دعاه بهذه الاسماء ما لا يعطيه اذا دعاه بغيرها فتكون الزيادة في الثواب والنقصان منه راجعا الينا لا الى الاسماء لان المدعو بها كلها واحد كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى فله على هذا سبحانه أسماء استأثر بها لم يعلمها غيره *قال بعض العلماء أسماء الله تعالى المعدودة في الحديث في قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هذا الكلام كله قضية واحدة لا قضيتان وخبران فقوله من أحصاها دخل الجنة بمنزلة قولك ان لزيد ألف درهم أعدها للصدقة لا يقتضي هذا الكلام أنه ليس له دراهم الا هذه الالف بل له دراهم سواها هي لغير الصدقة والله ورسوله أعلم بما أراد من ذلك كله *(فصل)* وقع في هذا الحديث ذكر الاحصاء قال بعض العلماء يكون الاحصاء بمعنى العد أي يتوفيها حفظا فيدعو بها ربه كقوله تعالى وأحصى كل شئ عددا ويكون الاحصاء بمعنى الطاقة كقوله تعالى علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا ويكون الاحصاء بمعنى حسن المراعاة لاسماء الله تعالى والمحافظة على حدودها في معاملة الرب سبحانه بها مثل أن يقول الرحمن الرحيم فيخطر على قلبه الرحمة على خلق الله تعالى واذا قال السميع البصير علم أنه لا تخفى على الله تعالى خافية وأنه بمرأى من الله ومسمع فيخافه في سره واعلانه ويراقبه في كافة أحواله وجميع أزمانه واذا قال الرزاق اعتقد أنه المتكفل برزقه واذا قال المنتقم استشعر الخوف من نقمته واستجار به من سخطه واذا قال الضار النافع اعتقد أن الضر والنفع من قبل الله سبحانه وكذلك في سائر الاسماء (وينبغي أيضا) اذا ذكر

ما اختص الله به من الكبرياء والعظمة والجلال من مثل قوله الجبار المتكبر ذو الجلال والاكرام أن يستشعر فى نفسه الذلة والقلة والخضوع والاحتقار والمسكنة والافتقار فاذا كان بهذه الصفة فقد أحصاها قولا وعملا ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله وكان الداعى ربه باسم من أسمائه على هذه الحالة حبيبه وخليقا أن يجيبه وهذا الغرض قد ورد به الخبر * روى فى بعض الآثار أن الله أوحى الى داود عليه السلام أن تخلق بأخلاقى وان من أخلاقى انى أنا الصبور وفى رواية أخرى يا داود عليك بالصبر تأتك المعونة ان من أسمائى انى أنا الصبور والى هذا المعنى أشار أبو حامد رحمه الله حيث قال اعلم أن من لم يكن له حظ من معانى أسماء الله تعالى الا بأن يسمع لفظا و يفهم فى اللغة تفسيره و وضعه و يعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو منحوس الحظ نازل الدرجة فان سماع اللفظ لا يستدعى الا سلامة حاسة السمع التى بها تدرك الاصوات وهذه رتبة تشارك البهيمة فيها الاديب وأما فهم وضعه فى اللغة فلا يستدعى الا معرفة العربية وهذه رتبة يشارك فيها الاديب اللغوى بل الغبى البدوى وأما اعتقاد ثبوت معناه لله تعالى من غير كشف فلا يستدعى الا فهم معانى هذه الالفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشارك فيها العامى بل الصبى وحظوظ المقربين فى معانى أسماء الله ثلاثة * الاول معرفة هذه المعانى على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذى لا يجوز فيها الخطأ معه وتنكشف لهم أوصاف الله تعالى انكشافا يجرى فى الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التى يدركها بمشاهدة باطنه لا باحساس ظاهره * الثانى استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه يبعث من الاستعظام شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان * الثالث اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلى بمحاسنها وذكر ما تقدم والله أعلم بما أراد رسوله من ذلك (تقدم قبل فى الكلام) وهو فى أسماء الله تعالى الضار النافع أعتقد أن الضر والنفع من قبل الله سبحانه فأذكر فى ذلك حديثا عجيبا حدثنيه الفقيه أبو محمد عبد الحق قال حدثنى عبد الرحمن بن محمد الامام حدثنا أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفرانى حدثنا أبو بكر بن ثابت الخطيب باسناده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى يا غلام أو يا بنى ألا أعلمك

كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف اليه فى الرخاء يعرفك فى الشدة اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وان أرادوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل لله بالشكر واليقين واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قرأته عليه بجاية وقال خرجه ابن ثابت فى كتاب الفصل للوصل وهو حديث صحيح وقد خرجه الترمذى وهذا أتم وقد ذكر أبو حامد رحمه الله فى معنى تسمية الله تعالى نفسه الضار النافع كلاما بديعا قال الضار النافع هو الذى يصدر منه الخير والشر والضر والنفع وكل ذلك منسوب الى الله عز وجل اما بواسطة الملائكة او الانس او الجمادات أو بغير واسطة فلا تظن أن السم يقتل و يضر بنفسه وان الطعام يشبع و ينفع بنفسه وأن الملك أو الانسان أو الشيطان أو شيئا من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرها يقدر على خير أو شر أو نفع أو ضر بنفسه بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها الا ما سخرت له وجملة ذلك بالاضافة الى القدرة الازلية كالقلم بيد الكاتب كما أن السلطان اذا وقع بكرامة أو عقوبة لم يضر ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذى القلم مسخر له فكذلك سائر الوسائط والاسباب على أن الجاهل يرى أن القلم مسخر للكاتب والعارف يعرف أنه مسخر فى يد الله تعالى وأنه مهما خلق الكاتب وخلق له القلم وسلط عليه الداعية صدرت حركة الاصابع والقلم لا محالة شاء أو أبى

(فصل) وقد ورد فى اسم الله الاعظم أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد الآية والله لا اله الا هو الحى القيوم وسمع رجلا يدعو يقول اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت أنت المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام فقال لقد دعا الله باسمه الاعظم وقال فى حديث الترمذى وقولك الله لا اله الا هو هو الاسم الاعظم لانه لا سمى له وقال بعض العلماء فى التسعة والتسعين اسما انها كلها تابعة للاسم الذى هو الله فهو اسمه الاعظم لانك تقول العزيز اسم من أسماء الله ولا تقول الله اسم من أسماء العزيز وكذلك سائرها وتفخم اللام من هذا الاسم وليس ذلك فى كلام العرب الا مع حروف الاطباق نحو الطلاق فهذا فضل الاسم بقى شرط الداعى به

اسم الله الاعظم

من الخشوع وخضوع القلب وأكل الحلال وعمل الصالحات وفى أى شئ يدعو وله أوقات تفضل غيرها منها الدعاء اثر الصلوات المكتوبات وثلث الليل الاخير وعند الاذان وعند الصف فى سبيل الله وفى الساعة التى فى يوم الجمعة وقد جاء فى ذلك كله الحديث من ذلك ماذكره عبد الرزاق ان أبا امامة سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع قال شطر الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبات ويقوى ذلك رجاء الداعى ان الله يستجيب له بكرمه الى غير ذلك ومن شروطه خوف الداعى وهيبة المدعو عنده والتزام حرمته كما روى عن بعض الشيوخ أنه كره أن يقول الداعى يا الله فناديه باسمه تعالى مفردا فردا ولكن ليقل يا مولاى يا الله أو يا رب يا الله أو اللهم ربنا لان الله تعالى قال ادعوا ربكم تضرعا وخفية فيخضع ويتضرع وينادية من نعوته بما أحب نحو يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين ونحو هذا *(فصل)* وقد اختلف فى تسمية الله تعالى بالسيد فكره أكثر العلماء أن يقال فى الدعاء ياسيدى وأجازه بعضهم واحتج بحديث ليس اسناده بالقوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رجل ياسيدى فقال السيد الله وأما مذهب القاضى فى مثل هذا من الاسماء التى يراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جائز مالم يرد نهى عنه أو تجمع الامة على ترك الدعاء به كما أجمعوا على أنه لا يسمى بفقيه ولا عاقل ولا سخى وان كان فى ذلك مدح نقلت هذا الفصل من كلام الاستاذ رحمه الله ثم قال متصلا به والذى أقول فى السيد أنه اسم يعتبر بالاضافة لانه فى أصل الوضع بعض ما أضيف اليه تقول فلان سيد قيس اذا كان واحدا منهم ولا يقال فى قيسى أنه سيد تميم لانه ليس واحدا منهم فكذلك لا يقال فى الله عز وجل هو سيد الناس وسيد الملائكة وانما يقال ربهم فاذا قلت سيد الارباب كما قال كعب ابن زهير فى شعره * من نصر ربك سيد الارباب * جاز وقد سمعه النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكره وكذلك اذا قلت سيد الكرماء جاز لان معناه أكرم الكرماء وكذلك سيد الارباب معناه أعظم الارباب ثم يشتق له من اسم الرب فيوصف بالربوبية ولا يوصف بالسودد لانه ليس باسم له على الاطلاق وقد جاء فى شعر حسان الذى رثى به النبى صلى الله عليه وسلم * ياذا العلا والسودد * يصف به الرب ولكن لا تقوم به الحجة فى اطلاق هذه الاسماء الا أن يسمعها الرسول عليه السلام كما سمع شعر كعب فلم ينكره وانما يوصف الرب على الوجه الذى قدمناه وعلى المعنى الذى

مبحث اطلاق السيد على الله

بيناه انتهى كلامه رحمه الله (قلت) قد جاء في أشعار العرب ماذهب اليه القاضي رحمه الله من أنه اذا ذكر الله باسم فيه مدح وتعظيم فذلك جائز كما قال أبو النجم الحمد لله الوهوب المجزل * وقال غيره * تم الكتاب وربنا المحمود * وان لم يكن قديما ففي سكوت أهل العلم عنه دليل على جوازه وكيف مادارت الحال فتعظيم ذي الجلال من أفضل الخلال ودعاء العبد مولاه القريب المجيب بكرم الله وفضله لا يخيب لانه لا يخلو من احدى ثلاث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يستجاب له واما أن يدخر له واما أن يكفر عنه ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصحابة قالوا اذا نكثر يارسول الله قال الله أكبر فالحمد لله على مابه أنعم وقد جاء في الحض على الدعاء مع البر مالا ينبغي للعاقل أن يتركه خرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء وفي حديث آخر من لم يسأل الله يغضب عليه وفي حديث آخر لا يرد القضاء الا الدعاء والاصل العمل كما قال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر مايكفي الطعام من الملح وقال وهب بن منبه مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر وقيل لانس بن مالك رضي الله عنه ياأبا حمزة ادع الله عز وجل لنا فقال الدعاء يرفعه العمل الصالح وصدق قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ادعوا الله بأعمالكم وصدق رضي الله عنه انظر الى الثلاثة الذين أووا الى الغار فانحطت على فم غارهم الصخرة كيف دعوا الله فاستجيب لهم وفي هذا الحديث المقطوع بصحته مايثبت كرامة الاولياء واذا كان في غير هذه الأمة فأمة محمد عليه السلام أولى بهذه الفضيلة مع قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس مع قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه جاء في التفسير المضطر هو الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع اليه يديه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لي يامولاي بلا شئ هذا وان كان أصحاب الغار قد كانت لهم أعمال رفيعة أدلوا بها فهذا المضطر قد أحدث عملا جديدا وهو الافتقار الى الله تعالى وهو من أنفع شئ مع الذلة للعزيز الجبار وما التوفيق الا من عند الله ولكن لا تغفل عن العمل فترى الأمل وكما يروى من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل ويقال لا يستجاب دعاء داع حتى يرضى عمله ولا يرضى عمله حتى يطيب مطعمه ولا قوة الا بالله

(وفى الصحيح) فى الرجل يرفع يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام فأنى يستجاب له (وقد خرج على) بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية له عن عبد الله بن عمر قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لم تقبل منه صلاة ما كان عليه قال ثم أدخل اصبعيه فى أذنيه ثم قال صمتا صمتا ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين أو ثلاثا وخرج أيضا عن خالد بن الحسن قال اذا وضع الرجل مائدته من حرام فقال بسم الله قال الله للملائكته العنوه لعنه الله قالت الملائكة لعنه الله فاذا فرغ قال الحمد لله قال الله للملائكته العنوه لعنه الله قالت الملائكة لعنه الله ويروى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال بلغنا أن دعاء العبد يحبس عن السماء بسوء الطعمة وقال عليه السلام ان الرجل ليتناول اللقمة الحرام فيقذفها فى فيه فما تستجاب له دعوة أربعين يوما ومن العون على استجابة الدعاء ترك المعاصى والذنوب أنشدنى الحافظ رحمه الله لبعضهم

نحن نخشى الاله فى كل كرب * ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو استجابة لدعاء * قد سددنا طريقه بالذنوب

مبحث تعظيم أسماء الله تعالى

(فصل) وأسماء الله تعالى كلها عظيمة وان كانت تابعة لهذا الاسم الذى هو الله كما تقدم فحذار حذار أن تلحظ اسما منها الا بعين التعظيم والوقار والاجلال والاكبار فانها ترجع الى القديم المتسمى بها قبل أن يوجد خلقه فى الازل وان اختلفت ألفاظنا بها مع ألفاظ العبرانى والسريانى والعجمى والبربرى وغير ذلك من الالسنة فانها كلها ترجع الى مسمى واحد وهو الله الواحد الاحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال بعض العلماء) لا ينبغى أن يدعو الله أحد الا بأسمائه العربية المعلومة ولا يسعه الا أن يعرفها بالعربية ويتلفظ بها كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو الله بأسمائه ويسأله حوائجه بلغته وان كان ذلك كله فى الصلاة لم تفسد صلاته بعد أن يأتى بكل ما لا تتم الصلاة الا به بالالفاظ العربية وكذلك لا ينبغى أن ينظر الى حرف من جميع الحروف بعين الاحتقار وان كان مفردا بل يرفع من الارض ويعظم كل ما يعطى من معنى أسماء الله تعالى كما تقدم من قول ابن عباس رضى الله عنه فى كهيعص ان الصاد من صادق والعين من عليم وغير ذلك * ولقد شاهدت رجلا من المؤدبين الفضلاء كان له رحمه الله اناء الى جنبه اذا أراد أن يمحو حرفا من حروف ألواح الصبيان أدخل اصبعه فى الماء ومحاه به لئلا

يمحوه بالبزاق وان لم يذكره أهل الصحاح فالأخذ بهذا الأدب حسن وكان هذا المؤدب يجمع ما تناثر من براية الأقلام وكسر القصب فيؤلفها ثم يطرحها اذا اجتمعت فى موضع ظاهر وربما ألقاها فى الماء بحيث لا تداس ولا تمتهن ويقول ان لهذه الاقلام حرمة بما قد كتبت من أسماء الله وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من كتاب فيه اسم الله ملقى فى الارض الا بعث الله اليه ملائكة يحفونه بأجنحتهم حتى يبعث الله له وليا من أوليائه يرفعه فاذا رفعه أدخله الله الجنة وخفف عن والديه العذاب وان كانا مشركين (ورأيت فى طرة كتاب) وقع من عبد الله بن مروان فلس فى بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له فى ذلك (فقال كان عليه اسم الله تعالى قلت هذا) كان يعرف حرمة اسم الله فينبغى على هذا ان يرفع كل كتاب كائنا ما كان لانه حروف يجتمع منها اسم الله ولكل امرئ ما نوى (وقد تقدم عن ابن عباس رضى الله عنه) انه قال الر وحم ونون فواتح ثلاث سور اذا اجتمعت كانت الرحمن وحروف القرآن من مثل هذه اجتمعت وائتلفت منها الكلمات ومن الكلمات الآى ومن الآى السور فعدد السور مائة سورة وأربع عشرة سورة وعدد آياته ستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون وعدد كلماته سبعة وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وأربع وعشرون كلمة وعدد حروفه ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفا فيما يذكر يعطى لكل قارئ بكل حرف منه حسنة كما خرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وعلى هذا الترتيب عند أحمد بن حنبل من حلف بالقرآن فحنث وجبت عليه كفارة بكل حرف فيه وخالفه فى ذلك مالك وغيره فأوجبوا عليه كفارة واحدة فى جميعه وأهل هذه المقالة يقولون ان حلف بحرف واحد منه فحنث فعليه كفارة كما لو حلف بجميعه (ووقع فى كتاب الاعراب) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها يمين صبر ان شاء بر وان شاء فجر وبه يقول الحسن وأحمد وزاد فى موضع آخر وابن مسعود نقلته من الاحكام الشرعية وحيث وقع لفظ جميعه أو بعضه أو جزء منه انما يرجع الى ما هو من عملنا وكسبنا من نسخه أو قراءته أو كتابتنا اياه بأيدينا فى الصحف بالمداد وبالحروف وهو الذى يباع ويشترى

واما

وأما كلام الله تعالى وحقيقته فصفة من صفاته القديمة كقدرته وارادته وعلمه لا يقبل التبعيض ولا التفريق ولا الانتقال الا من جهة الذكر منا والانزال علينا وعلمنا بذلك مع الاعتقاد أنه متلو بألسنتنا مذكور بأفواهنا محفوظ فى قلوبنا مكتوب فى مصاحفنا كما أنا نذكر الله بذلك وهو مع ذلك غير حال فى شئ من ذلك ولا منتقل اليه وكما يكتب الموثق فى الوثيقة الدار و يحدها ويذكر قبضها وحلول المشترى فيها محل البائع ونزوله فيها منزلته وهو لم يحل فيها ولا انتقلت الدار الى الوثيقة ولا زالت عن موضعها ولله المثل الأعلى ومعنى أنزله بعلمه أى أفهم جبريل عليه السلام كلامه وجبريل فى علو وعلمه قراءته ثم أداه جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى سفل فكان ذلك معنى نزول الكلام لا أن الكلام يزول أو ينتقل أو يتحول لانه صفة من صفاته تعالى كقدرته وعلمه وارادته كما تقدم سبحانه * وما جاء من ذكر التفضيل فى السور والآى بعضها على بعض على مذهب من رآه فان ذلك راجع الى التلاوة المخلوقة فى ألسنتنا والحروف المؤلفة الخارجة من مخارجها فى أفواهنا المحدثة الكائن من جملتها كلامنا الذى هو عمل من أعمالنا يعطى الله العبد اذا وفقه لذكر من الاذكار ثوابا لا يعطيه مثله الا على ذلك الذكر بعينه الذى ربما يخلق فى العبد عنده ما لم يخلقه عند ذكر غيره من خشوع أو رقة أو حدث مما لم يكن قبل ذلك فيه وقد تعرف ذلك بالذوق من نفسك اذا تلوت مثل أول الحديد أو آخر الحشر أو مثل آية الكرسى أو آخر البقرة أو آخر آل عمران وقل هو الله أحد وربما وجدت من نفسك ما لا تجده اذا قرأت تبت يدى أبى لهب وقصة امرأة العزيز وحديث ذى القرنين وقصة أصحاب الكهف وان كان كل كلام الله صفة واحدة من صفاته القديمة لا يقبل التفضيل والاختلاف الا من جهتنا المخلوقة وكلامنا المحدث كما تقدم وكما انك اذا خفت أسرعت الى قراءة مثل يس وفيها وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا واذا وجع منك عضو قرأت وله ما سكن فى الليل والنهار ومثل الرقى بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ومثل ما قرأ السائب على اللديغ بفاتحة الكتاب مع قول النبى صلى الله عليه وسلم له ومايدريك انها رقية مع قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين مع اعتقادك أنه كله شفاء وبركة ونافع من كل ضر ولكن النفس تسرع الى ذكر هذه الآيات التى فيها معنى من الغرض الذى قصدت اليه واستشعرته فيه حتى لو قرأ عليك قارئ

وانت مريض كل نفس ذائقة الموت وكل من عليها فان لو جدت من نفسك فرقا بين ذلك وبين من يقرأ عليك فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وكذلك لو فتحت المصحف فنظرت فيه على جهة الفأل فخرج لك من الآيات ما فيه استبشار لسرك ذلك وضده بضده وكذلك اذا أخذت فى عمل من أعمال البر مثل التلبس بالوضوء أو الطهارة للصلاة مثلا وجدت فى نفسك نشاطا أحدثه الله فيك لا تجده قبل ذلك نعم و بعد الفراغ من العمل تستشعر نفسك الثواب عليه بفضل الله فتفرح عند ذلك فرحا لم يكن قبل وترجو ممن أعانك على تلك الطاعة وقوّك عليها وألهمك لها مالم تكن ترجو قبل ذلك كما يروى أن رجلا قام من الليل للصلاة فلما توضأ أصابه البرد فتألم لذلك فطفق يبكى فسمع هاتفا يقول لما أقمناك لخدمتنا وأنمنا غيرك كان جزاؤنا منك أن تبكى علينا ففرح عند ذلك وزاد فى نشاطه وحق له فهذه درجة رفيعة وكذلك فضل الله تعالى الصلاة بعضها على بعض وفضل فرائضها على النوافل منها وكل طاعة له يراد بها القربة من رحمته وكذلك جميع العبادات والقرب وجعل أمّ القرآن لا تجزئ صلاة بدونها وهو مع ذلك غنى عن جميع أعمال خلقه غير محتاج الى شئ من ذلك سبحانه هو الغنىّ الحميد ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم لأبى أى آية معك فى كتاب الله أعظم (فقال) الله لا اله الا هو الحىّ القيوم فقال ليهنك العلم يا أبا المنذر فانظر قوله أوّلا معك بمعنى عندك وفى نفسك وفيما خلق الله فيك من العلم بموقعها من قلبك و رقتك عند قراءتك اياها و بما أحدثه لك من الفهم بثواب ما يعطيك على تعظيم المذكور فيها لا أنها عند الله أعظم من غيرها وكله كلام الله والله أعلم بما أراد رسوله من ذلك وقال المازرى فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن كلاما قريبا من هذا المعنى (قال) رحمه الله يقال معنى ذلك ان الله تعالى يتفضل بتضعيف الثواب لقارئها و يكون منتهى التضعيف الى مقدار ثلث ما يستحق من الاجر على قراءة القرآن من غير تضعيف أجر (وقال) معنى ذلك ان القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وأوصاف الله تعالى وقل هو الله أحد تشتمل على ذكر الصفات فقط فكانت ثلثا من هذه الجهة وربما أسعد هذا التأويل الحديث الذى ذكر ان الله جزأ القرآن على ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزأ منها أو كما قال وقال الربيع بن خيثم سورة يراها الناس قصيرة وأنا

أراها طويلة عظيمة لله تعالى بحتا ليس لها خلط فأيكم قرأها فلا يجمعن اليها شيئا استقلالا لها وليعلم أنها تجزئه يعني سورة الاخلاص ولما كانت قل هو الله أحد صفة الرب تبارك وتعالى جعل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهج بقراءتها وكان امام قومه فكان يقرأ بها في كل ركعة مع السورة وذلك في مسجد قباء فقال له أصحابه انك لتفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى فاما أن تقرأ بها واما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال ما أنا بتاركها ان أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم فأخبروا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اني أحبها فقال حبك اياها أدخلك الجنة خرجه البخاري أطول من هذا وانظر حديث الرجل الآخر الذي كان يردّدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت يعني الجنة وبلال رضي الله عنه سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من سورة وأخرى من أخرى فسأله فقال أخلط الطيب بالطيب والكل عنده طيب لا محالة ولكن يخلق الله في العبد عند ذكر شئ ما لا يخلقه عند غيره ألا ترى أنه يخلق فيك من السرور به اذا أعطاك وأنعم عليك ما لا يخلقه اذا منعك وأصابك بمصيبة مع اعتقادك أنه نظر منه لك اذ لا يمنع من بخل ولا عدم بل يأخذ ليعطي ويبلي ليجزي كما ورد في الحديث ولكن النفس أمّارة بالسوء تحب المسار وتكره المضار وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرّ لكم ولكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم (قال الاستاذ) رحمه الله عند ذكر حديث أبيّ رضي الله عنه ومحال أن يريد بقوله أعظم معنى عظيم لان القرآن كله عظيم فكيف يقول له أيّ آية في القرآن عظيمة وكل آية فيه عظيمة كذلك وانما سأله عن الاعظم منه والافضل في ثواب التلاوة وقرب الاجابة وفي الحديث دليل أيضا على ثبوت الاسم الاعظم وان لله اسما هو أعظم أسمائه ومحال أن يخلو القرآن عن ذلك الاسم والله تعالى يقول ما فرّطنا في الكتاب من شئ فهو في القرآن لا محالة وما كان الله ليحرمه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وقد فضله على الانبياء وفضلهم على الامم (فان قلت) فأين هو في القرآن فقد قيل انه أخفي فيه كما أخفيت الساعة في يوم الجمعة وليلة القدر في رمضان ليجتهد الناس ولا يتكلوا وفي قوله عليه السلام لأبيّ أيّ آية معك في كتاب الله أعظم ولم يقل أفضل اشارة الى الاسم الاعظم أنه فيها اذ لا يتصوّر

أن تكون هي أعظم آية ويكون الاسم الاعظم في أخرى بل انما صارت أعظم الآيات لان الاسم الاعظم فيها ألا ترى كيف هنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بما أعطاه الله من العلم وما هناه الا بعظيم بأن عرف الاسم الاعظم والآية العظمى التي كانت الاهم قبلنا لا يعلمه منهم الا الافراد مثل عبد الله بن التامر وآصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلام وبلعوم قبل أن يتبعه الشيطان فكان من الغاوين وكان هذا الاسم عندهم مصونا غير مبتذل معظما لا يمسه الا المطهرون ولا يلفظ به الا طاهر ويكون الذي يعرفه عاملا بمقتضاه متولها بحبه قد امتلأ قلبه بعظمة لمسمى به لا يلتفت الى غيره ولا يخاف سواه فلما ابتذل وتكلم به في معرض البطالات والهزل ولم يعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبته فلم يكن فيه من سرعة الاجابة وتعجيل قضاء الحاجة للداعي ما كان قبل ألا ترى الى قول أيوب عليه السلام في بلائه قد كنت أمر بالرجلين يتراعمان فيذكران الله يعني في تراعمهما أي تخاصمهما فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله الا في حق (وفي الحديث) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت أن أذكر الله الا على طهر فقد لاح تعظيم الانبياء له وقد ذهبت طائفة الى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى وقالوا لا يجوز أن يكون اسم من أسماء الله أعظم من الاسم الآخر وقالوا اذا مر في خبر أو أثر ذكر الاسم الاعظم فمعناه العظيم كما قالوا في أكبر من قولك الله أكبر انه بمعنى كبير وان لم يكن قول سيبويه وفي أهون من قوله تعالى وهو أهون عليه انه بمعنى هين واستشهدوا على ذلك بقولهم انى لاوجل أي وجل ونسب أبو الحسن بن بطال هذا القول الى جماعة منهم ابن أبي زيد والقابسي وغيرهما * ومما احتجوا به أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم وقد علمه من هو دونه ومن ليس بنبي ولم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لامته أن لا يجعل بأسهم بينهم وهو رؤف بهم عزيز عليه عنتهم الا بالاسم الاعظم ليستجاب لهم فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله تعالى الا وهو كسائر الاسماء في الحكم والفضيلة يستجيب الله له اذا دعي ببعضها اذا شاء ويمنع اذا شاء وكذلك ذهبوا الى أنه ليس شئ من كلام الله تعالى أفضل من شئ لانه كلام واحد من رب واحد (قال الاستاذ) رحمه الله ولا يستحيل أن يفضل الله سبحانه عملا من البر على عمل وكلمة من الذكر على كلمة فان التفضيل راجع الى زيادة الثواب

ونقصانه

ونقصانه وقد فضلت الفرائض على النوافل باجماع وقد فضلت الصلاة والجهاد على كثير من الاعمال والدعاء والذكر عمل من الاعمال فلا يبعد أن يكون بعضه أقرب الى الاجابة من بعض وأجزل ثوابا فى الآخرة من بعض والاسماء عبارات عن المسمى وهى من كلام الله سبحانه القديم ولا نقول فى كلام الله تعالى هو هو ولا غيره كذلك لا نقول فى أسمائه التى تضمنها كلامه انها هو ولا هى غيره فان تكلمنا نحن بألسنتنا المخلوقة وألفاظنا المحدثة فكلامنا عمل من أعمالنا والله تعالى يقول والله خلقكم وما تعملون وقبحا للمعتزلة فانهم زعموا ان كلامه سبحانه مخلوق فأسماؤه على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمى بها وسوّوا بين كلام الخالق تعالى وكلام المخلوق فى الغيرية والحدوث واذا ثبت هذا وصح جواز التفضيل بين الاسماء اذا دعونا بها فكذلك القول فى تفضيل السور والآى بعضها على بعض فان ذلك راجع الى التلاوة التى هى عملنا لا الى المتلوّ الذى هو كلام ربنا وصفة من صفاته القديمة سبحانه (وأما استشهادهم) فى أكبر أنه بمعنى كبير وفى أهون بمعنى هين فليس بمذهب سيبويه ولا عليه حذاق النحاة (وأما دعاؤه عليه الصلاة والسلام) فى أمته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها فقد أعطى عوضا من ذلك وهى الشفاعة لهم فى الآخرة وقد قال أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن خرجه أبو داود فاذا كانت الفتن سببا لصرف عذاب الآخرة عن الامة فما خاب دعاؤه لهم على انى تأملت هذا الحديث وتأملت حديثه الآخر حين نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم فقال أعوذ بوجهك فلما سمع أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك فلما سمع ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذه أهون فمن ههنا والله أعلم أعيذت أمته من الأولى والثانية ومنع الثالثة حين سألها بعد ونزول هذه الآية كان قبل دعائه لان سورة الانعام مكية بلا خلاف ودعاؤه عليه السلام كان بالمدينة فى مسجد بنى معاوية والحمد لله انتهى كلامه رضى الله عنه *(فصل)* فى ذكر سور من القرآن مسمى فضلها وكله فاضل جاء فى الحديث أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن تقدّم طرف من القول فى بسم الله الرحمن الرحيم وجاء فى الحمد لله رب العالمين انها السبع المثانى والقرآن العظيم وما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها وجاء أيضا عنه عليه السلام من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ

التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال للرجل الذى رقى بها اللديغ فبرأ وما يدريك انها رقية كما تقدم وجاء عن ابن عباس رضى الله عنه أم الكتاب تعدل ثلثى القرآن ذكره القضاعى فى كتاب الاعداد وجاء فى السبع الطوال وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس ان النبى عليه الصلاة والسلام قال أعطيت السبع مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الانجيل وأعطيت المثانى مكان الزبور وفضلت بالمفصل وأول المفصل من الاحقاف وقيل من قاف وكان الصحابة رضوان الله عليهم قد حزبوا القرآن سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة الحزب الاول ثلاث سور والثانى خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع والخامس احدى عشرة والسادس ثلاث عشرة والسابع المفصل من قاف والمفصل يقال له المحكم ووقع فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه جمعت المحكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وما المحكم قال المفصل كذا كان قبل ان تحدث فيهم هذه الاخماس والاعشار والاجزاء يقال ان الحجاج جمع قراء البصرة والكوفة على ذلك منهم عاصم الجحدرى ومطر الوراق وغيرهم وكان الحسن وابن سيرين ينكران ذلك وقد تقدم طرف من هذا وكان بعضهم لا يقف على الاحزاب التى أحدثها الحجاج بل يتعداها ويخالفها بزيادة أو نقصان أو بتمام السورة وتقدم الكلام فى آية الكرسى (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) ما أرى رجلا ولد فى الاسلام أو أدرك عقله الاسلام يبيت أبدا حتى يقرأ هذه الآية الله لا اله الا هو الحى القيوم الآية ولو تعلمون ما هى انما أعطيها نبيكم صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش ولم يعطها أحد قبل نبيكم عليه الصلاة والسلام ومابت ليلة قط حتى قرأتها ثلاث مرات أقرؤها فى الركعتين بعد العشاء الآخرة وفى الوتر وحين آخذ مضجعى من فراشى وكذلك جاء فى الآيات من آخر سورة البقرة انهن لمن كنز تحت العرش وقال عليه السلام ان الله ختم البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهما وعلموهما نساءكم وابناءكم فانهما صلاة وقرآن ودعاء ولقن جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم عند خاتمة القرآن أو قال خاتمة البقرة آمين وقد جاء عن جماعة من الصحابة والتابعين انهم كانوا يقولون عند خاتمة البقرة آمين وقال فيهما النبى عليه السلام من قرأ بهما فى ليلة كفتاه وجاء فى البقرة وآل عمران ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا الزهراوين

الغياية كل شئ أطل الانسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها كذا فى النهاية

سورة البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غيايتان أو قال غمامتان أو قال كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما (وجاء فى المائدة) انها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته فانصدعت كتفها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى من آخر ما نزل وليس فيها ناسخ ولا منسوخ هذا من ثقل الوحى كيف لا والله تعالى يقول انا سنلقى عليك قولا ثقيلا وكذلك قال زيد بن ثابت رضى الله عنه نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبته على فخذى فثقلت على حتى خشيت أن ترض فخذى أو كما قال وأبو بكر رضى الله عنه يقول ان الحق ثقيل وهو على ثقله مرىء ومن اسماء القرآن الحق (وقال قتادة) فى قوله تعالى قولا ثقيلا يعنى فرائضه وحدوده والعمل به وجاء فى الانعام عن ابن عباس انها نزلت بمكة ليلا جملة ونزل معها سبعون ألف ملك لهم زجل حولها بالتسبيح وجاء فى براءة عن أبى عطية قال كتب الينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تعلموا سورة التوبة وعلموا نساءكم سورة النور (وجاء فى هود) من قوله عليه السلام شيبتنى هود واخواتها وفى آخر واذا الشمس كورت وانشدنى شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله من قطعة مطولة لنفسه

بالذى فى النجم ظاهرة * وبما فى هود والزمر

وقبله

بين نظم الآى والسور * خبر أربى على الخبر

(فقلت له) وما فى النجم قال وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى (قلت وما فى هود) قال فمنهم شقى وسعيد (قلت وما فى الزمر) قال وسيق الذين الآية انظر القطعة بكمالها فى التكميل بحول الله تعالى (وجاء فى سورة الكهف) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق وعن النبى صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ومن حفظ خواتم سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة (وجاء فى طه ويس عن شهر بن حوشب) قال يرفع القرآن عن أهل الجنة الا طه ويس وجاء فى الشهاب وفى البزار أيضا قلب القرآن يس (وخرج أبو نعيم) الحافظ فى كتاب الحلية عن الحسن عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ يس فى ليلة التماس وجه الله

غفر له وفى النسائى يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له فاقرؤها على موتاكم (وخرج الترمذى عن أنس بن مالك قال قال النبى) صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات (وجاء فى سورة الحج) عن النبى عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج على غيرها بسجدتين (وجاء فى سورة النور) من قول عمر علموها نساءكم وقد تقدم وقرأها ابن عباس رضى الله عنه وجعل يفسرها فقال رجل لو سمعت الديلم هذا لأسلمت (وجاء فى السجدة وتبارك الذى بيده الملك عن ابن عمر رضى الله عنه قال) فيهما فضل ستين درجة على غيرهما وجاء هذا عن النبى عليه السلام قال فضلهما على كل سورة فى القرآن بستين درجة وجاء عنه عليه السلام تجىء ألم تنزيل السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها تقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك وجاء فى ص كان ابن المسيب رضى الله عنه لا يدع قراءة ص كل ليلة فسئل عن ذلك فقال ما من عبد قرأها الا اهتز لها العرش وزاد فى رواية انه سئل عن ذلك فقال أخبرت ان رجلا من الانصار صلى الى شجرة فقرأ ص فلما مر بالسجدة سجد وسجدت الشجرة معه فسمعها تقول اللهم أعطنى بهذه السجدة أجرا وضع عنى بها وزرا وارزقنى بها شكرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود وجاء فى آل حم عن ابن عباس رضى الله عنهما) ان لكل شئ لبابا وان لباب القرآن آل حم أو قال الحواميم (وقال عبد الله) آل حاميم ديباج القرآن وجاء فى الواقعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة (فائدة) وهذا الحديث قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسكندرية بسنده قال مرض عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فعاده عثمان بن عفان رضى الله عنهما فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال فما تشتهى قال رحمة ربى قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضنى قال ألا آمر لك بعطاء قال لا حاجة لى فيه قال يكون لبناتك قال لا تخشى على بناتى الفقر انى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا (وقال مسروق) من سره ان يعلم علم الاولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة وجاء فى المسبحات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كألف آية وكان يحب سبح اسم ربك الاعلى وجاء فى فضل تبارك

ماتقدم (وجاء عن النبي) صلى الله عليه وسلم ان سورة من القران ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك (وجاء في اذا زلزلت انها تعدل نصف القرآن) وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن واذا جاء نصر الله ربع القرآن وقد تقدم قل هو الله أحد ثلث القرآن وجاء في المعوذتين عن النبي عليه السلام نزلت علي آيات لم ينزل علي مثلهن قط المعوذتان وفي لفظ آخر وقرأته على شيخي الحافظ بالاسكندرية بالسند الصحيح المتصل الى عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل علي آيات لم ير مثلهن قل أعوذ برب الفلق الى آخر السورة وقل أعوذ برب الناس الى آخر السورة (وعنه قال قلت) يا رسول الله أقرأ من سورة يس أو من سورة هود قال يا عقبة اقرأ قل أعوذ برب الفلق فانك لن تقرأ سورة أحب الى الله عز وجل وأبلغ عنده منها فان استطعت ان لا تفوتك فافعل وخرج أبو داود عن عقبة بن عامر بينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح شديدة وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يؤمنا بهما في الصلاة (وجاء عن ابن شهاب) من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل ان يتكلم سبعا سبعا كان ضامنا قال أبو عبيد أراه قال على الله هو وماله وولده من الجمعة الى الجمعة (وجاء من شهد فتح القرآن) فكأنما شهد فتحا في سبيل الله ومن شهد ختمة القرآن فكأنما شهد غنيمة تقسم في سبيل الله ويكفي حامل القرآن انه من أهل الله وخاصته وخرج البزار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أهلين من الناس قيل يا رسول الله من هم قال هم أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وقد تقدم انه يعطى لقارئه بكل حرف فيه عشر حسنات ورأيت في بعض الكتب الصحاح ان ذلك في غير الصلاة وأما في الصلاة فان كان قاعدا فخمسون حسنة وان كان قائما فمائة حسنة ومن قرأ ختمه كانت له دعوة عند الله مستجابة معجلة أو مؤخرة وختمة كل أحد من حيث علمه (ومما قرأته على الحافظ بسنده الى ابن عمر رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل عند الله قال قراءة القرآن في الصلاة ثم قراءة القرآن في غير صلاة فان الصلاة أفضل عند الله وأحبها اليه وتمام الحديث والدعاء والاستغفار فان الدعاء

هو العبادة وان الله يحب الملح فى الدعاء ثم الصدقة فانها تطفئ غضب الرب ثم الصيام فان الله تعالى يقول الصوم لى وأنا أجزى به والصيام جنة للعبد من النار (وأما صفة القارئ فقد) قال ابن مسعود رضى الله عنه ينبغى لحامل القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نائمون وبنهاره اذ الناس مفطرون وبحزنه اذ الناس يفرحون وبخشوعه اذ الناس يختالون ولا ينبغى لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا صياحا ولا حديدا ويكون باكيا محزونا حليما مسكينا نقلت أكثر هذا الذى تقدم من كتاب فضائل القرآن لابى عبيد رحمه الله الا يسيرا من غيره هذا كله لتعلم ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ومن أراد الله أن يوفقه ألهمه للاعمال الصالحة فى الاوقات الفاضلة فذلك يزكى عمله فيرى أمله وماجاء فى هذه السور من انها تجىء يوم القيامة كذا وتجادل عن كذا انما هو ثواب ذلك المتلو وجزاء ذلك العمل كذا أوّله العلماء رضى الله عنهم والحمد لله على نعمه وقد طال الكلام فى هذا الفصل ولكنه نعم الاصل يؤدى الى منال من الله وفضل ونوال وبذل

خرجت من خبر لا مثله خبر * لفرط حبى لم أقدر لأتركه
لا شئ أوسع من باب العلوم فما * شبهته مثلا الا كما الشبكه
تجرّ عينا تجرّ العين أربعة * كذاك حتى تعم الكل بالحركه
وبالشباك يصاد الوحش فى جبل * والطير فى الجوّ والحيتان فى البركه
كذاك بالعلم يدرى من أحاط به * من سدرة المنتهى حتى الى السمكه
وفوق ذلك ما ان ينتهى أحد * له ويعلمه المولى بلا شركه
لكن لذا العلم شرط أن تكون بما * علمته عاملا فاعمل على البركه
فى سنة مع اخلاص يتم به * ان لم يكن هكذا أدّى الى الهلكه

تقدّم فى هذه الابيات سدرة المنتهى وقع فى مسند الحارث لو غطيت بورقة من ورقها هذه الامة لغطتهم (وقال) ابن عباس سألت كعبا عن سدرة المنتهى فقال ينتهى اليها بأرواح المؤمنين اذا ماتوا لا يجاوزها روح مؤمن فاذا قبض المؤمن تبعه مقربو أهل السموات حتى ينتهى به الى السدرة فيوضع ثم تصف الملائكة المقربون فيصلون عليه كما تصلون على موتاكم أنتم ههنا (وفى حديث الاسراء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فاذا ورقها مثل آذان الفيلة واذا نبقها مثل قلال هجر واذا أربعة أنهار تخرج من أصلها نهران باطنان

ونهران ظاهران (فقلت) ياجبريل ماهذه الانهار قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وقوله تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى قال غشيها فراش من ذهب ذكر هذا ابن سلام ووقع في مسلم فلما غشيها من أمر الله ماغشي تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها (وسيأتي) في باب النون ذكر الأنهار وانها خمسة وذكر في حديث آخر أنها في السماء السابعة وقال في حديث آخر أنها في السماء السادسة اليها ينتهي مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط به من فوقها فيقبض منها وذكر أنه رأى في السماء السابعة ابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه وفي آخر ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام وذكر أنه رأى آدم عليه السلام في سماء الدنيا قال بعض العلماء حكمة ذلك لانه أبو البشر واذا مات أحد من ولده لابد أن يعرج بروحه حتى يراهم أبوهم وروح الكافر لاتفتح له أبواب السماء كما في القرآن فكان في السماء الدنيا لذلك حتى يرى الكافر والمؤمن فيعرج بالمؤمن الى عليين ويهبط بالكافر الى أسفل السافلين وشاهد ذلك في الحديث أن النبي عليه السلام رآه في السماء الدنيا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا انظر قبل يمينه ضحك واذا انظر قبل شماله بكى فسأل عن ذلك جبريل عليه السلام فقال هذا آدم صلى الله عليه وسلم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فاذا انظر قبل يمينه ضحك واذا انظر قبل شماله بكى ذكر هذا أيضا مسلم والأسودة الشخوص وسيأتي تفسير ذلك في باب الدال وهذا من الذي قلنا ان الحديث يتسلسل وأنه يجري كالماء السلسل وأرجع الى ذكر الابيات والاعمال بالنيات

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد في تفسير شعري

أوطئه فيرجع بعد عسر * الى يسر وسهلا بعد وعر

قد وقفت أعزك الله على بداءة الشعر وما رأيته قبله من الابيات ذوات الكلمات المزدوجات فان أعجبتك فحسن والا فاسلك هذا السنن واجعل ابتداء الابيات جمعت لغات واستعن بالله الكريم وقل بسم الله الرحمن الرحيم

(جمعت لغات وضمنتها * حروف الهجاء كال وأل)

(وآب وآب وأبّ وأب * وأتّ وأثّ وبلّ وبل)

باب الالف مع الباء

قد تقدّم تفسير الحروف ووجوهها وأفسر لك هنا معنى الهجاء تقول هجوت الحروف هجوا وهجاء وهجيتها تهجية كله بمعنى وأنشدوا

يادار أسماء قد أقوت بانشاج * كالوحي أوكامام الكاتب الهاجي

والهجو خلاف المدح وقد هجوته هجوا وهجاء وتهجوا فهو مهجوّ واسم الفاعل هاج كما قال * فهل انها جي من هاجي * بدأت في أوّل لفظة من القافية بالالف لفضلها وجعلتها بين الواو التي لا بدّ منها للعطف واللام التي هي القافية فقلت وال وسترى تفسير ذلك في باب الالف واللام ان شاء الله مستوفى وكان ينبغي أن أبدأ بالالف مع الالف فأقول (وآء وأأ) ولكني لما سميت الكتاب بالف باء بدأت بهما وأيضا فلم يجتمع لي من الالفين بيت كامل لانه لا ينعكس فأخرت ذلك الى باب الالف مع الياء في آخر بيت اذ لا يجتمع أيضا من الالف والياء بيت فبالحري أن يكمل من جميع ذلك كله بيت ولبت فأما (آب) فمعناه رجع قال الشاعر

آب

فآب مضلوه بعين جلية * وغودر بالجولان حزم ونائل

وهذا البيت سيأتي تفسيره ان شاء الله في باب الضاد يقال منه آب يثوب أوبا وايابا قال الله تعالى ان الينا ايابهم وآبت الشمس غابت والمآب المرجع وائتاب مثل آب فعل وافتعل بمعنى قال الشاعر

ومن يتق فان الله معه * ورزق الله مؤتاب وغادي

ومآبة البئر حيث يجتمع الماء واسم الفاعل منه آيب ومنه الحديث آيبون تائبون وتوبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا الحوب والحوب الاثم وقد جاء في الحديث رويته حوبا بضم الحاء * وقع في المعاني للنحاس ان أبا أيوب طلق امرأته أو عزم على أن يطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان طلاق أمّ أيوب لحوب * قال المهدوي في قوله تعالى انه كان حوبا كبيرا الحوب الاثم وأصله الزجر للجمل فسمي الاثم حوبا لانه يزجر عنه والتحوّب التأثم وهو أيضا التحزن وهو أيضا الصياح الشديد كالزجر وقرأ الكل حوبا بالضم وقراءة الحسن حوبا بالفتح كما وقع في الحديث والحاب مثل الحوب تقول حبت بكذا أي أثمت تحوب حوبا وحوبة وحيابة وفلان أحوب وأعق والحوبة أيضا القرابة من ذوي الارحام يخاف عليها الضيعة تقول ان لي حوبة أصلها ويقال ألحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة وفلان يتحوّب

من

من كذا أى يتأثم والتحوّب أيضا التوجع والتحزن قال الشاعر
*من الغيظ فى أكبادنا والتحوّب * وأما الاوب فيقال جاء القوم من كل أوب أى من كل وجه والتأويب فى السير تبارى الركاب (وفى القرآن العزيز) ياجبال أوّبى معه قيل المعنى سيرى معه حيث شاء من التأويب الذى هو سيرا لنهار وقيل من التأويب الذى هو الرجوع ومبيت الرجل فى منزله فعلى هذا يكون التأويب سير الليل والنهار وأصله من سرعة رجع أيدى الابل وأرجلها فى السير الحثيث وقيل معناه سبحى و يكون معناه ترجيع التسبيح ومن الأوب الذى هو سرعة تقليب اليدين والرجلين فى السير قال الشاعر

كان أوب مائح ذى الب * مدارك النهر سريع التعب * أوب يديها برقاق سهب

و يقال فلان سريع الاوبة أى الرجوع قال أبو عبيد وقوم يحوّلون الواو ياء فيقولون سريع الايبة و يقال ناقة أوب على وزن فعول (وأما آب) فاسم فاعل من أبى يأبى اباءة واباء فهو آب وأبىّ وأبيان بالتحريك (قال الشاعر) آبى

وقبلك ماهاب الرجال ظلامتى * وفقأت عين الاشرس الابيان

قالوا أبى يأبى بالفتح فيهما مع خلوه من حروف الحلق وهو شاذ ومعنى آب كاره وأبى فلان كذا اذا كرهه وفى أسماء رجال الحديث مولى آبى اللحم وأنشد الفراء

لقد غدوت خلق الاثواب * أحمل عدلين من التراب

بعوزم وصبية سغاب * فآكل ولاحس وآبى

قال والعوزم العجوز وهى الناقة المسنة أيضا وفيها بقية من شباب ومنه قولهم رجل أبىّ من قوم أباة قال الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

(وأما أب) من قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال ابن عباس رضى الله عنه الفاكهة الثمار التى يأكلها الناس والأب ماترعاه البهائم وعنه أيضا الأب الثمار الرطبة ذكره المهدوى وقال صاحب كتاب العين الاب الكلأ وهو مارعته الانعام مثل الاوّل (وقال الشاعر) أبّ

جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب بها والمكرع

يقال كرعت الماشية اذا شربت الماء وهى فيه واقفة ثم كثر ذلك حتى سمى كل شارب كارعا (وأما أب) فعلى وجوه شتى يقال أب الرجل يؤب أبابة اذا تهيأ

للسير وهو فى أبابه أى جهازه وأبت أبابة الشئ اذا استقامت طريقته وأب للشئ اذا تهيأ له قال الاعشى

صرمت ولم أصرمكم وكصارم * أخ قد طوى كشحا وأب ليذهبا

أى تهيأ وشمر للذهاب وأب الرجل أبا اذا حن لوطنه قال هشام بن عقبة أخو ذى الرمة

وأب ذو المحضر البادى ابابته * وقوضت نيه أطناب تخييم

ويقال أب يؤب وأوب يؤوب وأب الرجل يده الى سيفه اذا ردها اليه ليستله (واما أت) فيقال أته يؤته أتا اذا غلبه بالكلام أو كبته بالحجة قاله ابن دريد فى الجمهرة (وأما أث) فمن قولهم أث النبت يأث ويئث أكثر من يأث أثا اذا كثر ونبت أثيث وكذلك الشعر أثيث أيضا وكل شئ وطأته ووثرته من فراش أو بساط فقد أثثته تأثيثا وأثاثا البيت من هذا قال الراجز

يخبطن منه نبتة الأثيثا * حتى ترى قائمه جثيثا

أى مجثوثا مقلوعا وفى القرآن العزيز من هذا اجتثت من فوق الارض والاثاث متاع البيت قال الله عز وجل أثاثا ورئيا يقال أث الرجل يأث أثا اذا صار ذا أثاث قال الاعمش الاثاث المال يستمتع به الى حين الموت وقال المهدوى واحد الاثاث أثاثة كحمام وحمامة قاله الاحمر وقال الفراء لا واحد له من لفظه ويجمع على أثثة وأثث وما قبل هذا فمن الجمهرة وأنشد ابن دريد قول النمرى وهو محمد بن نمير بن أبى نمير

أهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذى الرى الجميل من الاثاث

قال وأحسب ان اشتقاق اسم الرجل أثثه من هذا ويقال أثاثة بالضم والفتح وأنشد لرؤبة

ومن هواى الرج الاثائث * تميلها أعجازها الاواعث

الوعثة العظيمة العجز والوعث من الرمل ما غابت فيه الارجل وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من وعثاء السفر أى مشقته والاثائث الوثيرات الكثيرات اللحم وقد جمعوا أثيثة أثاثا ووثيرة وثارا وقال صاحب العين أث الشعر يؤث أثاثة وهو أثيث وكذلك النبات وتأثث فلان أصاب خيرا وقال امرؤ القيس يصف الشعر

وفرع يغشى المتن أسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

فرغ البيت وبقيت قافيته وقد أخرتها الى آخر بيت من هذا الباب ومما ضاق عنه ولو احتجته لاخذته مثل آث اسم فاعل من أتى يأتى وسيأتى الكلام عليه فى باب

أنا وآب اسم شهر من شهور العجم وهو أغشت وقد تقدّم وهو كله يتزن وانما ذكرته لك هنا تقدمة لاني أدخل مثل هذا في البيت اذا لم أجد غيره لاقامة الشكل واكمال البيت كما صنعت في البيت الثالث الذي يأتي بعد هذا سقت فيه مصادر أفعال هذا البيت اذ لم أجد مما أقيم به بيتا الا بها حسبما تراه بعد ان شاء الله ومما لم يتزن وهو من هذا الشكل وأب على ان تكون الواو أصلية مصدر وأب الحافر يئب انضمت سنابكه وحافر وأب خفيف قاله ع (ومما لم يتزن) أيضا وهو من هذا الشكل أب مخفف وهو معلوم والابوّة الآباء مثل العمومة والخؤلة (وكان الاصمعي يروي قول أبي ذؤيب

وأب

أب

لو كان مدحة حي أنشرت أحدا * أحيا أبوّتك الشم الامادح

وغيره يرويه * أباكن يالبلى الامادح * وقوله يا أبة افعل كذا يجعلون علامة التأنيث عوضا من ياء الاضافة كقولهم في الام يا أمة وتقف عليها بالهاء الا في القرآن فانك تقف عليها بالتاء لاجل الكتاب وقد يقف بعض العرب على هاء التأنيث بالتاء فيقولون يا طلحت وستراه في باب الهاء من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وانما لم تسقط التاء من يا أبت اقبل في الوصل كما سقطت في قولك يا أم أقبلي لان الأب لما كان على حرفين كان كأنه قد أخل به فصارت الهاء لازمة وصارت الياء كأنها بعدها وقول الشاعر

تقول ابنتي لما رأتني شاحبا * كأنك فينا يا أبات غريب

أراد يا أبتاه فقدّم الالف وأخر التاء ويقال يا أبت ويا أبت وقرئ بهما فمن نصب أراد الندبة فحذف ويقال لا أب لك ولا أبالك وهو مدح وربما قالوا لا أبالك لان اللام كالمقحمة قال أبو حية النميري

أبالموت الذي لابدّ أني * ملاق لا أبالك تخوفيني

أراد تخوّفينني فحذف النون الآخرة والابوّة أيضا فعل الاب وتأبيت فلانا اتخذته أبا وهو يأبو اليتيم اباوة أي يغذيه ويربيه والنسبة اليه أبوي وأصل أب أبو بالتحريك لان جمعه آباء مثل قفا وأقفاء ورحا وأرحاء فالذاهب منه واو لانك تقول في التثنية أبوان وتقول أبوت خمسة أو ستة اذا كان لك من الولد ذلك العدد وكذلك أخوت في الاخوّة (وقال اعرابي) أبوت عشرة وأخوت عشرة وسيأتي خبره وبعض العرب يثني أبا مرفوعا أبان ويجمعه أبون وكذلك أخون وحمون

وهنون قال الشاعر وهو الكميت

فلما تعرفن أصواتنا * بكين وفدينا بالأبينا

وعلى هذا قرأ بعضهم نعبد الهك واله أبيك ابراهيم واسماعيل واسحاق يريد أبيك فحذف النون للاضافة وعلى هذه اللغة تقول فى الاضافة أبيك اذا ثنيت والعرب تسمى الجدّ أبا أيضا وكذلك العم وسيأتى الشاهد على ذلك فى فصل الفوائد ان شاء الله تعالى * (فصل من الفوائد الزوائد) * تقدم آيبون تائبون وأوبا وحوبا وذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وأما أوبا فروى ابن عباس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الرجوع يعنى من سفره قال آيبون تائبون الحديث واذا دخل على أهله قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا وتقدم قول بعض العرب أبوت عشرة وأخوت عشرة وهذا الخبر ذكره الخطابى رحمه الله عن الاصمعى رحمه الله قال كنت يوما فى منزلى فأتانى رجل فقال تركت فى سوق الصيارفة أعرابيا يسأل لم أر أفصح منه فقمت وأنا أجر ثوبى حتى أتيت السوق فاذا أنا به قائما يسأل فوجأت فى صدره فقلت من أنت فقال أنا عكاف بن رويبة أبوت عشرة وأخوت عشرة كنت مقنعا للهمة ومفزعا للملة فانباق على الدهر بكلكله متحيفا اخوتى واحدا فواحدا حتى أساف رجاليه وأبادماليه فقرع مراحى وفنيت أوضاحى وملكتنى السنون وحذفتنى بالمذلة العيون فرحم الله من أعان أخا جهد وشصا ساء وحاجة ولأواء نعشكم الله باسباغ الرزق واصطناع المعروف واذا هو أبو عون الاعرابى وفسره الخطابى قال قوله انباق على الدهر بكلكله أى وطئنى بثقله وأصابنى بمكروهه وأصله من البوق ويقال باقته بائقة اذا نزلت به نازلة شديدة ويقال ان أصل البوق كثرة المطر وقوله متحيفا اخوتى أى متتبعا لهم يأتيهم من نواحيهم فهلكوهم وأصله من الحافة وهى الناحية يقال حافة الوادى أى ناحيته وقد يكون التحوّف من الحيف أيضا وقوله قرع مراحى أى صفر وخلا من الغنم قلت وسيأتى تفسير هذا الحرف ان شاء الله والأوضاح جمع الوضح وهى الدراهم الصحاح والوضح حلى من فضة يجمع على الاوضاح

بيان الفوائد

وقوله ملكتني السنون أي جهدتني * قلت وسيأتي هذا في باب الكاف ان شاء الله
وقوله حذفتني بالمذلة العيون أي رمتني أبصار الناظرين بالذل وتقدم كرعت
الماشية وجاء منه في الحديث من طريق ابن عمر قال مررنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم على برك فجعلنا نكرع فقال لا تكرعوا ولكن اغسلوا أيديكم فاشربوا منها
فانه ليس من اناء أطيب من اليد خرجه ابن أبي شيبة والحديث معتل من قبل
الاسناد والصحيح ماخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنه والا كرعنا قال والرجل يحول الماء
في حائطه الحديث وقد سألت بعض أشياخي عن الكرع فقال هو مشتق من
الأكارع التي للدواب كأنه يدخل الرجل في الماء برجليه ويشرب بفيه كما تفعل الدابة
ذات الأكارع والله أعلم وقد جاء في الحديث الاول النهي عن ذلك وان كان الحديث
معلولا فترك ذلك أسلم والله أعلم

وقد يلام الفتى في الشئ يصنعه * وليس يلحقه لوم اذا تركه

وهذا البيت لي من شعر مطول ان أردته انظره في التكميل وتقدم ان العرب
تسمي الجد أبا وكذلك العم شاهد ذلك قوله تعالى نعبد الهك واله آبائك ابراهيم
واسماعيل واسحاق فبدأ بابراهيم وهو الجد وثنى باسماعيل وهو العم لانه كان
أسن من اسحاق وكذلك قال يوسف عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحاق و يعقوب وكذلك تسمي العرب الخالة أما كما قال الله تعالى ورفع أبويه على
العرش يعني أباه وخالته وسيأتي فيها حديث بعد هذا ان شاء الله وكما سموا أبا الاب
وان علا أبا كذلك سموا ابن الابن ابنا وان سفل وجعلوهما في الميراث عند عدم
من فوقهما سواء واحتج يحيى بن يعمر على الحجاج بأغرب من هذا روى ابن عبد ربه
ان الحجاج بعث الى يحيى هذا فقال له أنت الذي تقول ان الحسين بن علي ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتين بالمخرج من ذلك أولأضربن عنقك فقال له ابن
يعمر وان جئت بالمخرج فأنا آمن قال نعم قال له اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم الى قوله ومن ذريته داود وسليمان
وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى فمن
أبعد أعيسى من ابراهيم أو الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن بنته

نكتة

فقال له الحجاج والله كأني ما قرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات (فائدة في اسم ابراهيم عليه السلام) يقال ابراهيم وابراهام وقرئ بهما وابراهم وابراهام واختلف العلماء في ميراث الجد وكذلك الصحابة رضي الله عنهم والذي ورد في البخاري قال أبو بكر وابن عباس وابن الزبير الجد أب وقرأ ابن عباس يا بني آدم واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ولم يذكر أن أحدا خالف أبا بكر في زمانه وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متوافرون وقال ابن عباس يرثني ابن ابني دون اخوتي ولا أرث أنا ابن ابني قال هذا على جهة الانكار على من لا يقول بقوله وكان يمثله بابن الابن ويقول ألا يتقي الله زيد بن ثابت ويجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل أبا الاب أبا وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال من سره ان يتقحم في جراثيم جهنم فليقض بين الجد والاخوة ذكره ثابت رحمه الله وقال الجرثومة ما اجتمع وكثر من رمل أو تراب حول أصول الشجر وأنشد

* وجرثومة لا يبلغ السيل أصلها * ثم يستعار في غير ذلك فيقال في جرثوم العرب فيما نقلها قلت وهذا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه على جهة التغليظ لمن لم يتثبت وذلك لاختلاف الصحابة رضي الله عنهم في ذلك والله أعلم والا فقد حكم رضي الله عنه في ذلك وقضى بمبلغ علمه واجتهاده كما فعل غيره من الصحابة رضوان الله عليهم وذكر ثابت في الدلائل أيضا عن الشعبي قال احتاج الحجاج الى فريضة فقال ما تقول في أم وأخت وجد فقلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وعلي وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم قال ما قال فيها ابن عباس ان كان لتقنا قلت جعل الجد أبا ولم يعط الأخت شيئا وأعطى الام الثلث قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان قلت جعلها أثلاثا قال فما قال فيها زيد بن ثابت قلت جعلها من تسعة فأعطى الام ثلاثة وأعطى الجد أربعة وأعطى الاخت سهمين قال فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام سهما واعطى الجد سهمين قال فما قال فيها أبو تراب يعني عليا رضوان الله عليه قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام سهمين وأعطى الجد سهما ذكر هذه الحكاية محمد بن يزيد في الكامل وجعل عوض ابن عباس أبا بكر رضي الله عنه فلما انتهى الى آخر قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فأطرق ساعة يعني الحجاج ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن

قوله

قوله * قلت ولما رأيت هذه الحكاية فى الكامل وقول الحجاج فى على رضى الله عنه هذا الجفالم أملك نفسى وحملتنى الغيرة على حبيبى على رضى الله عنه أن كتبت فى طرة الكتاب

حجاج فيما قلته تكذب * فى قول من فيه الورى يرغب
ذاك على بن أبى طالب * من مثله أو منه من يقرب
يكفيه أن كان ابن عم الذى * فى جاهه تطمع يا مذنب
صلى عليه الله من سيد * ما تطلع الشمس وما تغرب

وقلت أيضا انظر الى الحجاج وقلة جده مع سطاحة خده يقول فى مولانا على هذه المقاله ويرغب عما قاله تالله ما حمله على هذا القول الردى الا الحسد المردى والا فقد علم الغوى أن مكان على فى العلم المكان العلى كيف لا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وابن عباس رضى الله عنه يقول والله لقد أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقضانا على وقال ابن مسعود أعلم أهل المدينة بالفرائض ابن أبى طالب وصدقوا رضى الله عنهم كم له من تشقيق فى العلوم وترقيق وبصر بالحساب وتدقيق حتى كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وكم من قضية قضاها لما بلغت الى النبى صلى الله عليه وسلم أمضاها وربما تبسم عليه السلام اذا سمعها استصوابا ثم أنفذها اذ رآها صوابا وكم مسألة بديعة دقق فيها النظر فأتى بالعبر روى عن زر بن حبيش رضى الله عنه قال جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغذاء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا له اجلس للغذاء فجلس وأكل معهما واستوفوا فى اكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الارغفة لى خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الارغفة الثلاثة لا أرضى الا ان تكون الدراهم بيننا نصفين فارتفعا الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه اكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لا رضيت منه الا بمر الحق فقال على رضى الله عنه ليس لك فى مر الحق الا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل سبحان الله هو

مسئلة حسابية

يعرض علىّ ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذها فلم أرض وتقول لى الآن انه لا يجب لى فى مر الحق الا درهم واحد فعرفنى بالوجه فى مر الحق حتى أقبله فقال على رضى الله عنه أليس الثمانية الارغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الاكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون فى أكلكم على السواء قال بلى قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وانما لك تسعة أثلاث واكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وتبقى له سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن انتهت الحكاية وشبيه بهذه المسألة رجل استأجر أجيرا يحفر له صهريجا فى الارض طوله ثمانية أذرع وعرضه كذلك وعمقه كذلك بثمانية دراهم فحفر له أربعة فى أربعة ثم جاء يطلبه بما شرط له فحاسبه على مقدار حفره فلم يبرز له الحساب الا درهما واحدا وهذه اذا نظرتها وجدتها مثل الاولى والحمد لله وحده وتقدّم من فضائل على رضى الله عنه فى هذا الكتاب ويأتى أيضا بعضها وهى اكثر من ذلك (ومن أغرب مسألة) وقع فيها الاختلاف ما خرج ثابت رحمه الله أيضا فى الدلائل حدث بسنده الى عبد الصمد بن عبد الوارث قال وجدت فى كتاب جدى أتيت مكة فأصبت بها أبا حنيفة وابن أبى ليلى وابن شبرمة فأتيت أبا حنيفة فقلت له ما تقول فى رجل باع بيعا واشترط شرطا قال البيع باطل والشرط باطل وأتيت ابن أبى ليلى فقال البيع جائز والشرط باطل وأتيت ابن شبرمة فقال البيع جائز والشرط جائز فقلت سبحان الله ثلاثة من فقهاء الكوفة يختلفون علينا فى مسألة فأتيت أبا حنيفة فأخبرته بقولهما فقال لا أدرى ما قالا حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط فأتيت ابن أبى ليلى فأخبرته بقولهما فقال لا أدرى ما قالا حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اشترى بريرة واشترطى لهم الولاء فان الولاء لمن أعتق فأجاز البيع وأبطل الشرط فأتيت ابن شبرمة فأخبرته بقولهما فقال ما أدرى ما قالا حدثنى مسعر بن حكيم عن محارب ابن دثار عن جابر بن عبد الله قال اشترى منى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فشرطت حملانى فأجاز البيع والشرط وانما ساغ للصحابة الاختلاف فيما لم يأت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص فحينئذ رجعوا الى القياس واجتهاد الرأى والحجة فيه لهم من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين

لطيفة

أنفذه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال أجتهد رأيي فقال له النبي عليه السلام الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحب رسول الله وقد أجمع كثير من الصحابة رضوان الله عليهم على الرأي والقياس في عدة مسائل مع عدم النص ولم ينكر عليهم ذلك سائر الصحابة بل صار أمرا معمولا به الى اليوم على اختلافهم فيها واتباع الفقهاء اياهم عليها على مذاهبهم من ذلك مسألة العول والحرام والخمر وغير ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه أقضي فيها برأيي وقوله كدنا نقضي فيها برأينا وقول عثمان لعمر رضي الله عنهما ان نتبع رأيك فرأي سديد وان نتبع فيها رأي من قبلك فنعم ذو الرأي كان وقول علي رضي الله عنه أجمع رأيي ورأي عمر أن لا يبعن يعني أمهات الاولاد ثم رأيت بيعهن وقال ابن مسعود ثم أقول فيها برأيي * وردد بعضهم الحرام الى اليمين وبعضهم الى الطلاق الثلاث وبعضهم الى الظهار وبعضهم الى الايلاء وبعضهم الى أخف من هذا هذا كله انظره في التحصيل ومما قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسناد المتصل الى علقمة ان ابن مسعود رضي الله عنه أتي في رجل هلك وترك امرأته ولم يكن دخل بها قال فتردد اليه فيها شهرا لا يقول له فيها شيئا فقال أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله عز وجل وان كان خطأ فمن نفسي قال أقول لها مثل مهر نسائها وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الاشجعي فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق بمثل ذلك ففرح ابن مسعود قلت وهذا كله فيما لم يجئ فيه نص جلي كما تقدم وأما مع الاثر فلا يصح لاحد من الناس معه رأي ولا قياس ألم ترما أخرجه البخاري رحمه الله من طريق أبي الزناد رضي الله عنه قال ان السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرا على خلاف الرأي فما يجد المسلمون بدا من اتباعها من ذلك الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة انتهى كلامه قلت وهذا الذي تقدم كان في زمن الصحابة رضي الله عنهم وأما اليوم فليس لنا الا اتباعهم فيما أمضوا وحكموا به وقضوا واستمر عليه عملهم حتى جاء أجلهم ولا نبتدع ولا نخترع بل نستمع ونتبع ولا نتخير الرخص في المذاهب بل نسلك الجادة وندع البسابس والسباسب وسيأتي تفسير البسابس والسباسب ولو ألقيت بالك أيها السائب لرأيت احدى اللفظتين عكس الاخرى ففخرت بالادب فخرا فاجتهد ان كنت به تعنى أن تتفقه في اللفظ والمعنى والله المعين على الرشاد والهادي الى السداد ونرجع الى

القول المذاهب في تخيير الرخص في المذاهب في مثل هذا حدثني شيخي أبو الطاهر السلفي رحمه الله بالاسكندرية قال سمعت والدي رحمه الله بمكة يقول سمعت معمر بن أحمد العبدي بأصبهان يقول قال متقدمو مشايخنا الصوفي اذا تمذهب يصفع قفاه حتى يذهب وقد تقدم له ولغيره من فضلاء الناس طرف في ذم القياس وسيأتي منه طرف أيضا في باب الميم ان شاء الله *قلت ولعل ذلك الذم انما هو فيمن يقيس برأيه في مثل زماننا هذا ويدع قول علمائنا المتقدمين والله أعلم *(فصل)* واذ وقع ذكر الجد فلنستقص هذه اللفظة بمبلغ الجهد *الجد أبو الاب والجد البخت والسعد ومنه قول اليهودي حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلا المدينة أول يوم دخلها يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء أي سعدكم يقال رجل ذو جد ورجل مجدود وضده محدود بالحاء أي محروم كما قال ابن قتيبة في امرئ لخرج من جملة المجدودين ويدخل في جملة المحدودين وفي القرآن العزيز وأنه تعالى جد ربنا فسره ابن عزيز عظمة ربنا يقال جد فلان في الناس أي عظم في عيونهم وجل في صدورهم ومنه قولهم كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم في أنفسنا وقال المهدوي عن مجاهد كذلك عظمته وعنه أيضا ذكره وعن أنس بن مالك غناه وعن الطبري قال بعض أهل التأويل جهل الخائق فيما قالوا يشير والله أعلم الى قول ابن عباس رضي الله عنه اذ قال لو علمت الجن ان في الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا وقال أبو عبيد يذهب به ابن عباس الى ان الجد انما هو الغنى ولم يكن يرى ان أبا الاب جدا انما هو عنده أب ذكر هذا أبو عبيد في تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا انصرف من الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال أبو عبيد الجد بفتح الجيم لا غير وهو الغنى والحظ في الرزق ومنه قيل لفلان في هذا الامر جد اذا كان مرزوقا منه فتأويل قوله لا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه انما ينفعه العمل بطاعتك وهذا كقوله عليه السلام قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا أصحاب الجد محبوسون يعني ذوي الحظ في الدنيا والغنى قال وزعم بعض الناس ان الجد بكسر الجيم وهذا خلاف ما دعا الله اليه المؤمنين ووصفهم به من الخير وهو الاجتهاد والعمل الصالح في قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآيات فكيف

معاني الجد

يحثهم

يحثهم على العمل وينعتهم به ويحمدهم عليه ثم يقول انه لا ينفعهم لم يرض ابو عبيد هذا الحرف الجد بالكسر فى هذا الموضع والذى اختاره الجد بفتح الجيم وكذا جاء فى البخارى عن الحسن جد غنى وجمع الجد الذى هو البخت جد وقال الشاعر

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاظى قسمت وجدود

وأحاظى جمع حظ وهو النصيب ويجمع أيضا على حظوظ وفى القلة أحظ والجد بضم الجيم البئر تكون فى الكلأ قال الاعشى

ما نجعل الجد الظنون الذى * جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتى اذا ما طما * يقذف بالبوصى والماهر

الظنون البئر التى يظن ان فيها ماء ولا يكون والظنون الذى لا يوثق بما عنده واللجب السحاب الذى له صوت واختلاط الاصوات من كل شئ لجب من الناس وغيرهم والبوصى السفينة والماهر السابح الحاذق وتفسير السابح العائم سبح فى الماء سباحة من قوله تعالى كل فى فلك يسبحون أى يسيرون وجد كل شئ جانبه والجد أيضا شاطئ النهر وهو الجدة أيضا واكثر ما يقال جده بالهاء وبها سميت جده لانها ساحل البحر وسيأتى ذكر هذا ان شاء الله والجد بالكسر نقيض الهزل وقد جد وأجد والجدة مصدر الجيد وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موعظة له يقول فيها فبادروا وأنتم فى مهل الانفاس وجدة الاحلاس قبل ان يؤخذ بالكظم ولا يغنى الندم ويقال أجد الرجل ثوبا واستجده وجاء ذكر ذلك فى الحديث وسيأتى ان شاء الله * ومن مضاعف هذا الباب الجد جد بفتح الجيم المفازة الملساء والجد جد بالضم دويبة كالجندب قال ابن قتيبة هو الذى يصرر بالليل فى الصيف ووقع فى السير الجد اجدو هو أحد المواضع التى سلك عليها النبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة قال الاستاذ رحمه الله كانها جمع جد جد قال وأحسبها آبارا فى الحديث أتينا على بئر جد جد قال وهو كما يقال فى الكم كمكم وفى الرف رفرف وجدود موضع بالبادية وجدة بلدة على ساحل البحر بينها وبين مكة شرفها الله مسافة تقصر فيها الصلاة عند مالك وذلك أربعة برد والبريد اثنا عشر ميلا والفرسخ ثلاثة أميال والميل من الارض قدر مد البصر وقيل قدر ألفى ذراع وهو ألف باع قيل بباع الجمل وقيل وهو أصح بباع الفرس وهى عشرة غلاء والغلوة مائتا ذراع وهى طلق الفرس وقال أبو عمر بن عبد البر الميل ثلاثة آلاف ذراع

وخمسمائة ذراع و يستشهد على الغلوة بقول عنترة

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان

فليتهما لم يجريا نصف غلوة * وليتهما لم يرسلا لرهان

فسره أهل اللغة فقال بعضهم الغلوة منتهى رمى السهم وقال بعضهم قدر رمية الرامى وقال بعضهم هو المطلق والاكثر على انه منتهى الرمى واستعير للطلق وجدة النهر ماقرب منه من الارض والجد الناقة المقطوعة الاذن والجد أيضا المفازة اليابسة وكذلك السنة والشاة وناقة جدود يابسة اللبن والجمع جداد وجدائد والجداد زمن تجد فيه النخل ويقال فى هذا جداد كما يقال حصاد وحصاد وقرئ بهما معا والجدد وجه الارض وطريق جادة وتجمع على جواد وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلوا على جوادّ الطريق والجدد من قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر جمع جدة وهى الطرائق المختلفات الالوان ولو كان جمع جديد لكان جددا قاله الاخفش ذكر ذلك المهدوى وقال ابن عزيز جدد خطوط وطرائق واحدتها جدة ومن شكل الجدا لجذ بالذال المعجمة القطع والجذاذ قطع ماتكسر والسويق الجذيذ الكثير الجذاذ وفى القرآن العظيم فجعلهم جذاذا أى حطاما عن ابن عباس وعن قتادة قطعا من قولهم جذذت الشئ اذا قطعته وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل عطاء غير مجذوذ أى غير منتقص وقال مرة غير منقطع * بقى مقلوب هذه اللفظة دج الدجنة الظلمة وليل دجوج ودجوج وشعر دجوجى وليلة دجاجة والمدجج الفارس المتدجج فى شكيمته والدجاجة معروفة والدجان الديب وهو يدج على الارض دجا اذا مشى رويدا فى تقارب خطو ومنه قولهم أقبل الحاج والداج فالحاج الذين يحجون والداج الذين يدبون فى آثار الحاج من التجار وغيرهم وفى كلام بعضهم أما وحواج بيت الله وداجه لأفعلن كذا وقال ابن عمر رضى الله عنه وقد رأى قوما فى حج لهم هيئة انكرها قال هؤلاء الداج فأين الحاج قال الخطابى قال أبو عمر قال ثعلب يقال هم الحاج والداج والناج فأما الحاج فهم أصحاب الميات والداج الاتباع والناج المراؤن قال الخطابى أنشدنى بعضهم

عصابة ان حج موسى حجوا * وان أقام بالعراق دجوا * ماهكذا كان يكون الحج *

يريد موسى بن عيسى الهاشمى وقد يقال فى هذا حاجة وداجة ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل ماترك من حاجة ولا داجة الا أتيتها فقال له أليس

تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله قال نعم قال فان الله قد غفر لك كل حاجة وداجة قال الخطابى هكذا رواه ابن قتيبة بالتخفيف وفسره فقال أراد لم يدع شيئا دعته نفسه اليه من المعاصى الا ركبه قال وداجة اتباع كقولهم شيطان ليطان واخواتها قال الخطابى وقد روى هذا الحرف من غير هذا الطريق مثقلا وفسر على غير هذا المعنى ان الرجل قال للنبى صلى الله عليه وسلم أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها وهو مع ذلك لا يترك حاجة ولا داجة الا قطعها بينه هل له من توبة قال هل أسلمت قال أما أنا فاشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله قال فاعمل الخيرات بين الشرات يجعلهن الله لك خيرات قال رواه محمد بن اسحاق بن خزيمة عن أبى نشيط عن أبى المغيرة قال سمعت مبشر بن عبيد الله يقول الحاجة الحاج اذا أقبلوا والداجة اذا رجعوا وقال غيره الحاجة القاصدون الى البيت والداجة من كان فى ضمنهم من مكار وتاجر * ومن شكل جد خدو هو معروف وهما خدّان يكتنفان الانف عن يمين وشمال وفيه مسيل الدمع والجمع خدود والخدّ والاخدود شقان فى الارض مستطيلان غامضان كذا فسره أبو عبيد فى قوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود والله أعلم وقد قيل للخدّ فى الارض خدّة وخدود والمخدّة مفعلة لان الخدّ يوضع عليها والمخدّة أيضا حديدة يخدّ بها الارض والمصدر فيهما خدّ تقول خددت أخد خدّا وتخدّد اللحم ذهابه من الهزال يقال رجل متخدّد ومنه قول الشاعر

خدّ

* يا من لشيخ قد تخدّد لحمه * وسيأتى بكماله فى باب الفاء ان شاء الله

ومقلوب هذه اللفظة دخ لغة فى الدخان قال الشاعر * لا خير فى الشيخ اذا ما اجلخا *

وسال غرب عينه فلخا * تحت رواق البيت يغشى الدخا

ومعنى لخ سال وجرى وسيأتى فى مقلوب خل فى بابه ان شاء الله وجاء من هذا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة ابن صياد انى قد خبأت لك خبأ قال فما هو قال دخ فزجره النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى أيضا ان شاء الله وقد ألحق هذا الفعل بالرباعى فقالوا دخدخه بمعنى ذلله ووطأه والدخدخة مشتقة من الدوخ يقال دخدخناهم ودوّخناهم ومن شكل خدخذ أمر من أخذ وهو مفهوم * ومن شكل جد حد فصل ما بين الشيئين ودار فلان حديدة دارك اى تحادّها وحدّ كل شئ طرفه وحددت الرجل منعته ورجل محدود عن الخير ضدّ مجدود والحداد البواب والمحدود الذى ضرب الحدّ ويقال مالك عن

حدّ وما تصرف منه

هذا الامر محيد ولا حدد أى معدل وأحددت الحديدة واستحدّ الرجل اذا حلق شعره بالحديد ومنه الاستحداد الذى ورد فى الحديث وتستحدّ المغيبة وحدّان حى من الازد ومن الجمهرة حدّ السكين وغيره معروف تقول حددته أحده حدّا وحدّ الرجل عن الشئ صرفه عنه ومنه فلان محدود أى مصروف عن الخير ورجل حدّ اذا كان محدودا وأصل الحدّ المنع ومنه الحدّ بين الشيئين الفرق بينهما لئلا يتعدّى أحدهما على الآخر ويقال حدّه عن كذا وكذا أى منعه وبه سمى السجان حدّادا لمنعه عن الحركة قال الشاعر

يقول لى الحدّاد وهو يقودنى * الى السجن لا تجزع فبابك من باس

وسمى الاعشى الخمار حدّادا لانه حبس الخمر عنه فقال

فقمنا ولما يصح ديكنا * الى خمرة عند حدّادها

وحدّت المرأة وأحدّت فهى محدّ وحادّ اذا تركت الطيب والزينة بعد زوجها وأبى الاصمعى الا أحدّت فهى محدّ ولم يعرف حدّت وقال أبو عبيد لغة النبى صلى الله عليه وسلم تحدّ ويقال هذا أمر حدد أى ممتنع وقالوا دعوة حدد أى مردودة لا تجاب وبنو حدّاد بطن من طى وحدّان من بنى سعد وحدّان من الازد ومعكوسه دح بمعنى بسط ووسع وفى التنزيل دحاها أى بسطها وذكر الخطابى من حديث عطاء رحمه الله انه قال بلغنى ان الارض دحيت دحيا من تحت الكعبة وفسره الخطابى دحيت بسطت ووسعت ويقال دحت الشئ اذا وسعته وبنى فلان بيته فدحاه أى وسعه وأصله دحه كقولك لباه وأصله لبه وعلى هذا قوله تعالى وقد خاب من دساها قالوا الاصل دسسها انتهى كلامه ويقال دح فى قفاه يدح دحا ودحوحا مثل دع سواء وفى القرآن يوم يدعون الى نار جهنم دعا بمعنى يدفعون والدح شبه الدس * ومن مضاعفه دحدح ومعكوسه حدحد وهو الرجل الغليظ القصير ويقال فيه أيضا حداح ودحداحة وفى الصحابة رضى الله عنهم أبو الدحداح الانصارى وله خبر عجيب والدحندح بالكسر دويبة قاله صاحب العين ومن شكله حذا الشئ يحذه حذا اذا قطعه قطعا سريعا والحذة القطعة من اللحم وهى الفلذة وقال الشاعر

تكفيه حذة فلذات ألمّ بها * من الشواء ويروّى شربه الغمر

ويروى حذة وقد تقدّم والحذا أيضا الناقة السريعة ويقال حذاء أيضا والحذ خفة

وسرعة

وسرعة ويقال قطاة حذاء سريعة الطيران وفى خطبة عتبة بن غزوان ان الدنيا قد أدبرت حذاء أى سريعة الادبار وقالوا قطاة حذاء قليلة ريش الذنب وقال صاحب العين والحذاء اليمين المنكرة التى يقطع بها حق صاحبه والأحذ الماضى بين الحذذ والأحذ اسم لضرب من الشعر *(فصل من الفوائد)* تقدّم فى الحديث وجدّة الاحلاس يعنى جديد هذا النوع من الثياب ويكنى به عن صحة الجسم وشبابه وقوّته قبل أن يأخذ فى البلاء والضعف وانحطاط الجسم والعجز عن العمل والله أعلم بما أراد من ذلك وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره ومن خير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وقال أبو نضرة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلى ويخلف الله عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لام خالد بن سعيد وكان عليها قميص أصفر أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى ولبس عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الذى أخلق أو قال الذى ألقى فتصدّق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله وفى ستر الله حيا وميتا *(فصل)* تقدّم ذكر الاب والجدّ والعم بقى الخال أخو الام والخالة أختها يقال خال بين الخؤلة وكان للنبى صلى الله عليه وسلم خال اسمه عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وقال عليه السلام الخال وارث من لا وارث له وسميت الخالة أما وكذا قيل فى قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام ورفع أبويه على العرش أبوه وخالته لان أمه كانت قد ماتت وقد تقدّم وأزيدك فأفيدك أروى عن الحافظ السلفى رحمه الله فيما أذن له فيه أتى رجل فقال يا رسول الله انى أصبت ذنبا كبيرا فهل لى من توبة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك والدان قال لا قال فلك خالة قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرّها اذا وتقول العرب للرجل الشريف مخول معم ولى فى هذا المعنى من شعر مطول *مخول فى عشيرته معم* أنظره فى التكميل ولما قتل الزبير بن العوّام يا سر اليهودى يوم خيبر مبارزة قام اليه النبى صلى الله عليه وسلم فاعتنقه وقبل بين عينيه

ذكر الفوائد

مبحث الخال

وقال فداك عم وخال وقد يفتخر بالخال اذا كان أشرف من الاب كما يقولون فى مثل هذا من أبوك يا بغل قال خالى الفرس قال الشاعر

يارب خال لى أغر أبلجا * من آل كسرى يقتدى متوّجا

وكان عبد الرحمن بن حسان يفخر لانه ابن خالة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم وقد ذكر صاحب العين هذه اللفظة على أنواع فقال الخال الخيلاء يقال خال الرجل يخول واختال يختال ويقال فلان خال وخائل ومختال مفتعل منه وفى التنزيل والله لا يحب كل مختال فخور وجمع الخائل خالة كبائع وباعة وصائغ وصاغة قال الشاعر

أودى الشباب وحب الخالة الخلبه * وقد برئت فما للقلب من قلبه

من رواه الخلبة بكسر اللام فانه أراد الخدّاعة من النساء ومن روى الخلبة بالفتح فجمع الخالب ويقال فى الخيلاء مخيلة أيضا ومنه قول ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت اذا أخطأتك خلتان سرف أو مخيلة ويقال فلان ذو خال أى ذو مخيلة وأنشد

فان كنت سيدنا سدتنا * وان كنت للخال فاذهب فخل

ومن الخيلاء قول طلحة لعمر رضى الله عنهما حين استشار فى جموع الاعاجم أنت ولىّ ما وليت من لا ينبو فى يديك ولا يخول عليك خرجه ابن قتيبة والتخوّل التعهد وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وكان الاصمعى يقول يتخوّلنا أى يتعهدنا * ومما هو على شكله قولك خال الرجل أمر من قولك خاليته اذا فارقته ومنه قولهم للمرأة أنت منى خلية ومنه قول الشاعر

* قالت بنو عامر خالوا بنى أسد * ويقال خال الرجل الشئ اذا ظنه وفى المثل من يسمع يخل تقول خلت اخال بكسر الالف وهو الافصح وبنو أسد تقول أخال بالفتح وهو القياس وخال الراعى يخول خولا اذا حفظ والخولىّ والخائل الراعى والخال اللواء كالظلع فى الدابة والخال سحابة تنشأ يخيل لك انها ماطرة وهى المخيلة يقال تخيلت السماء اذا تنشأ بها ذلك وجمعها مخايل وقد يقال للسحاب الخال فاذا أرادوا السحابة قالوا مخيلة بالفتح قاله أبو عبيد وفى الحديث من هذا انه عليه السلام كان اذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت سرى عنه خرجه مسلم من طريق عائشة رضى الله عنها وفى غيره اذا رأى مخيلة والخال أيضا جبل ببلاد غطفان وقال امرؤ القيس * ديار لسلمى عافيات بذى خال *

والخال أيضا برود حمر فيها خطوط سود وهى من رفيع الثياب وقال امرؤ القيس
* وشى البرود من الخال * وقال أنس بن سليم * وأعطى لثوب الخال قبل ابتذاله *
أنظره فى السير وقال الشماخ * وبردان من خال وسبعون درهما * وقالت عفيرة
فجاؤا متفضلين فى الخال والنعال فى حكاية حسنة نأتى ان شاء الله تعالى والخال
الرجل السمح وفلان مخيل للخير أى خليق به والخال شامة سوداء والجمع خيلان
وفى الحديث فى صفة موسى عليه السلام كثير خيلان الوجه وجاء فى التفسير
فى قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى كان على طرف لسانه شامة
وهى العقدة التى حلها الله له وكان على أرنبته أيضا شامة وكان فى جبهة أخيه
هارون شامة صلى الله عليهما وسلم ويقال رجل أخيل اذا كان كثير الخيلان وكذلك
مخيل ومخيول مثل مكيل ومكيول ويقال أيضا مخول مثل مقول وتصغير الخال
خييل فيمن قال مخيل ومن قال مخول قال خويل وجمع الشامة شام وشامات ورجل
مشيم مثل مكيل والأشيم الذى له شامة والجمع شيم والمرأة شيماء وألف الخال
منقلبة عن واو لانهم قالوا جاء القوم اخول اخول اذا جاؤا متفرقين كأنهم
لزهوهم واختيالهم كرهوا أن يجيؤا مجتمعين * وقد جمع أبو محمد عبد الله بن السيد
البطليوسى رحمه الله الخال فى شعر له بعد ان ذكر الخال كذا والخال كذا نحو
ما تقدم ثم قال والخال لفظة مشتركة تتصرف على معان كثيرة وقد وجدت
ثعلب والمفضل وابن مقسم قد أنشدوا ثلاثة عشر بيتا آخر كل بيت منها خال بغير
معنى الآخر ورأيت قائلها وقد أغفل ألفاظا أخر كان ينبغى أن تضم اليها فزدت
فيها أبياتا ضممتها اليها لم يذكره الشاعر بلغت اثنين وعشرين بيتا وفى الروايات
اختلاف ذكرت منها ما وقع عليه الاستحسان وهى

معانى الخال

أتعرف أطلالا شجونك بالخال * وعيشا غريرا كان فى العصر الخالى
ليالى ريعان الشباب مسلط * على بعصيان الامارة والخال
واذ أنا خدن للغوى أخى الصبا * وللغزل المرّيح ذى اللهو والخال
وللخود تصطاد الرجال بفاحم * وخدّا أسيل كالوذيلة ذى الخال
اذا رئمت ربعا رئمت رباعها * كما رئم الميثار ذوالريبة الخال
زمان أفدّى من يروح الى الصبا * بعمى من فرط الصبابة والخال
وقد علمت انى وان ملت للصبا * اذا القوم كفوا لست بالرعش الخال

ولا أرتدى الا المروءة حلة * اذا ضن بعض القوم بالعصب والخال
وانى اذا نادى الصريخ أجبته * على سابح عبل الشوى أو على خال
اذا قطعت عنس وذم خلاؤها * فماهو بالوانى القطوف ولا الخال
وانا لنقفى الخيل دون عيالنا * فمن غابق طرفا بمحض ومن خال
جياد تبارى العاصفات ولا يرى * بها من لجان يستبين ولا خال
وانى لجاد للكماة الى العلا * ولست بجاد للعروج ولا خال
وانى لخلو للصديق مرزأ * ولست بخيس فى الرجال ولا خال
وان ضن خال المزن يوما بنيله * فان ندى كفى مغن عن الخال
نهانى الى العلياء كل سميدع * تراه اذا حلت حبا القوم كالخال
حوينا جميع المجد جودا ونجدة * فماشئت من ليث هصور ومن خال
وما أبصرت عين لناقط سيدا * على حدج يزجى الى الرمس بالخال
فحالف بحلفى كل قرن مهذب * والا تحالفنى فخال اذا خال
ومازلت حلفا للسماحة والعلى * كما احتلفت عبس وذبيان بالخال
وثالثنا فى الحلف كل مهند * لماريم من صلب العظام به خال
حرام عليك الدهر خدع سراتنا * فلاقهم فى مجمع القوم أو خال

وهذا تفسير ماحر من هذه الالفاظ على توالى الابيات الخال اسم موضع والعصر الخالى الماضى والخال فى البيت الثانى اللواء الذى يعقد للامير وقال بعضهم لايقال له خال حتى يكون أبيض والخال فى البيت الثالث التكبر والخيلاء قال الشاعر

فان كنت سيدنا سدتنا * وان كنت للخال فاذهب فخل

والمريح الكثير المراح والنشاط وقوله كالوذيلة ذى الخال الخال هنا النكتة السوداء والوذيلة القطعة من الفضة وقوله ذى الربية الخال هاهنا منقوص على مثال القاضى وهو الذى لا أهل له فهو يتبع المواضع التى لا أحد فيها للتريب والفجور وقوله من فرط الصبابة والخال الخال ههنا أخو الام وقوله بالرعش الخال هذا أيضا منقوص على مثال القاضى وهو الجبان وقوله بالعصب والخال هما نوعان من الثياب تصنع باليمن قال امرؤ القيس * وشى البرود من الخال * وقد قيل ان الخال فى بيت امرئ القيس موضع باليمن تصنع فيه هذه الثياب وقوله على سابح عبل الشوى أو على خال الخال هاهنا البعير الضخم وقوله فماهو بالوانى القطوف

ولا الخال الخال هنا اسم فاعل من خلأ البعير اذا حرن خففت همزته وكان الاصمعى يزعم ان الخلأ لا يكون الا فى الناقة وأما الجمل فانه يقال فيه ألح الجمل ولا يقال خلأ (وقوله فمن غابق طرفا بحض ومن خال) هو اسم فاعل منقوص من قولك خليت الحبل اذا قطعته وخليت الدابة اذا أطعمتها الخلى وهو رطب النبات (وقوله لجان يستبين ولا خال) الخال ظلع يعترض الدابة واللجان البطؤ فى المشى (وقوله ولست بجاد للعروج ولا خال) من قولهم هو خال مال أو خائل مال اذا كان يرعى الابل ويحسن القيام عليها (وقوله ولست بخيس فى الرجال ولا خال) الخيس الخسيس والخال منقوص الذى لا يعنى بأمر ولا يهتبل به ويخلد الى الراحة (وقوله مغن عن الخال) يعنى خال السحاب (وقوله اذا حلت حبا القوم كالخال) هو الجبل الضخم كذا قال ثعلب وقال ابن دريد الخال الاكمة الصغيرة (وقوله فاشئت من ليث هصور ومن خال) الخال هنا الرجل الجواد شبه بخال السحاب (وقوله يزجى الى الرمس بالخال) الخال هنا ثوب يسجى به الميت يريد أنهم انما يموتون فى الحرب لا على فرشهم (وقوله فخال اذا خال) هذا فعل أمر من قولهم خاليته اذا تركته وتخليت عنه كما قال النابغة * قالت بنو عامر خالوا بنى أسد * (وقوله عبس وذبيان بالخال) هذا موضع غير الموضع الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله عافيات بذى خال ولذلك كرر فى موضعين (وقوله لما رأيتم من صلب العظام به خال) أى قاطع وأصله من قطع الخلى من النبت ثم يستعار فى غير ذلك فلذلك ذكر فى موضعين وقوله فى آخر الشعر أو خال من قولك خاليت الرجل مخالاة وخلاء اذا انفردت به على خلوة ومنه قول الشاعر * أبيت مع الحدّاث ليلى فلم أبن * فأخليت فاستحفت عند خلائى * وروى بكسر الخاء وفتحها انتهى كلامه رحمه الله (فصل من الفوائد) تقدّم فى الحديث ان من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب فأما الخيلاء التى يحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال واختياله عند الصدقة وأما التى يبغض الله فاختياله فى البغى والفخر فمن المختيلة ما خرج الترمذى رحمه الله عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وطغى ونسى المبتدأ والمنتهى بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله ومن المختيلة

ذكر الخيلاء

ماخرج أبوداود عن جابر بن سليم قال رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا الا صدروا عنه قلت من هذا قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت عليك السلام يارسول الله مرتين قال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الميت قلت السلام عليك وذكر الحديث وفيه قلت اعهد الى قال لا تسبن أحدا قال فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة قال ولا تحقرن من المعروف شيئا وان تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ان ذلك من المعروف وارفع ازارك الى نصف الساق فان أبيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فانها من المخيلة وان الله لا يحب المخيلة وان امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تشتمه ولا تعيره بما تعلم فيه فانما وبال ذلك عليه وقال النسائي يكون أجر ذلك لك ووباله عليه هذا الحديث فيه فوائد يجب على الموفق استعمالها ذكر فيها التعيير بالتعيير ورجوع المقال على من قال والبغي على من بغى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لو سخرت من شئ لخشيت محاره معناه يرجع كهيئته خرجه ثابت قال ومنه قولهم لا تسخر من شئ فيحور بك وقال بعضهم انى لأرى الرجل يعمل العمل فأكرهه فما يمنعني ان أعمله الا مخافة أن أبتلى به والبلاء موكل بالقول وخرج الترمذي رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قيل من ذنب قد تاب منه ومنه قوله

الحور والكور

في الحديث محاره وفيحور بك يرجع مثله وفي القرآن انه ظن أن لن يحور ومنه الدعاء ونعوذ بك من الحور بعد الكور ويروى بعد الكون يقال حار بعد ما كان أي رجع عن حالة صالحة كان عليها ومن قال بعد الكور فهو من كور العمامة أي انها تنتقض وترجع عن حالتها الاولى سريعا والله أعلم وفي المثل حور في محارة أي نقصان في نقصان يقال حور وحور يضرب للرجل اذا كان أمره مدبرا قال الشاعر * والذم يبقى وزاد القوم في حور * أي في نقصان وقال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وفي هذا الشعر

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

أراد غدا لان أصل غد غدو فجاء به على أصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والغدو نقيض الرواح قاله جميع تقدم قول الشماخ

وبردان من خال وسبعون درهما * وآخر البيت * على ذاك مقروظ من القد ماعز *

ويروى من الجلد قوله على ذالك أى ضمت على الدراهم والبردين عيبة مقروظة أى مدبوغة بالقرظ وهو من أنفس الدباغ وأطيبه رائحة وفى الحديث من هذا أتى من اليمن بذهبية فى أديم مقروظ ومن القرظ * قول الشاعر * وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وكانا رجلين ذهبا يلتمسان القرظ فهلكا ولم يسمع لهما خبر فضرب بهما المثل كما قيل حتى يشيب الغراب يأسا من الشئ المذكور وسيأتى ذكر النعال المدبوغة بالقرظ فى باب الراء ان شاء الله وقوله ماعز هو الشديد يقال فلان ماعز من الرجال اذا كان شديد الامر وماعزة من النساء ويقال ما أمعزه من رجل أى ما أشده وأطيبه ومن الماعزة حديث نجبة بن ربيعة اذ جاءه الحارث بن عوف فقال له انا منتحبون فجئت لتمنحنى وتنكحنى فقال يا أم فلان أعندك امرأة للحارث بن عوف فانما امرأة الحارث بن عوف المؤدمة المبشرة الماعزة المقروظة قالت عندى جارية من خير نساء قال من هى قالت قرصافة بنت نجبة قال قد زوجته فادفعها اليه قالت واكربها ما خطبت خطبا انما سفرت سفرا كما تنكح الاماء قال ادفعها اليه ثم دفع اليه أربعين حلوبا وقال احتلب هذه حتى تخصب واتق الله وقوله المؤدمة المبشرة فانه يقال للرجل الكامل انه لمؤدم مبشر أى جمع شدة ولينا وذلك انه جمع لين الادمة وهو باطن الجلد وخشونة البشرة وهو ظاهره الذى ينبت فيه الشعر ويقال فى المثل انما يعاتب الاديم ذو البشرة أى يعاد فى الدباغ يقول انما يكلم من يرجى خيره ومن به شدة أو قوة أو مسكة فيقال من هذا امرأة فلان المؤدمة المبشرة يراد أنها تامة فى كل وجه (تقدم قول عفيرة * فجاؤا متفضلين فى الخال والنعال * وكان حديثها وهى عفيرة بنت عفار وقيل اسمها الشموس أخت الاسود بن عفار وكان سيدا فى جديس انه كان قد ملكهم وغلب عليهم رجل من طسم يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه فبلغ من ظلمه وعتوه انه لا تتزوج فى جديس بكر حتى تحمل اليه فيعتذرها وبعد ذلك تحمل الى زوجها فلما تزوجت الشموس وهى عفيرة المذكورة وكانت ليلة هدائها حملت الى عملوق ليطأها ومعها القيان يغنين ويقلن

قصة طسم وجديس

ابدى بعملوق وقومى فاركبى * وبادرى الصبح بأمر معجب

* فالبكر بعدكم من مذهب *

فلما حملت اليه واقتضها خرجت على قومها فى دمائها شاقة جيب قميصها عن قبلها ودبرها وهى تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس

وأبت ان تمضي الى زوجها وقالت تحرّض قومها

أيصلح مايؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تفرمن الفحل
ودونكم طيب العروس فانما * خلقتم لاثواب العروس وللكحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم * نساء لكنا لا نقرّ على الذل

فلما سمعت جديس قولها أنفت وغضبت واجتمعت الى الاسود بن عفار فأجمعوا أن يصنع طعاما لمملوق وأصحابه فيدعوهم اليه فاذا جاؤا متفضلين فى الخال والنعال نهضوا اليهم بأسيافهم فأتوا عليهم فقالت عفيرة لاخيها الغدر عار وعاقبته بوار صبحوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما فقالوا المكر أمكن من نواصيهم فنفذوا لمذهبهم واصطنعوا طعامهم واخترطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل فلما توافى القوم أتوا عليهم جميعا وأفلت منهم رجل فاستعدى عليهم بعض الملوك فأتاهم فاجتاحهم فصاروا مثلا ولى من لفظ الخال ماقلت من مكفرة لزومية

تظل من كل شئ خال * الا بذكر ذوات الخال

الخال الاوّل من الخلاء والثانى من الخيلاء وفى هذه المكفرة من هذا التجنيس كثير

منها كم من غنى وكم من وال * أمسى وما ان له منوال
وفيها هل ثم شئ من الاقوال * أقوى من الذكر أو أقوالى
ومنها هل صوت ذى نغمة قتال * فى قلب ذى لوعة كالتالى

فى أبيات كثيرة من هذا النوع أنظره بكماله فى التكميل وتقدّم ذكر الخال التى هى الشامة وجاء من الشامة فى الحديث ماخرج ثابت فى الدلائل خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فبعث عائشة تنظر اليها فجاءت فقالت يارسول الله مارأيت طائلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بخدّها خالا اقشعرت كل شعرة منك فقالت يارسول الله مادونك ستر قال ثابت الاقشعرار من القشعريرة وهو انتفاش الشعر وقيامه ومنه حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اقشعرّ جلد عبد من خشية الله الا تحاتت خطاياه كما يتحات ورق شجرة يابسة أصابتها ريح شديدة واذ وقعنا فى ذكر الشامة فلنذكر حديثا خرجه أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم قادمون على

اخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس * وفي حديث سيف بن ذي يزن في صفة النبي صلى الله عليه وسلم بين كتفيه شامة وقد تقدم * ومن الخال أيضا فصل للفقيه أبي محمد عبد الوهاب رضي الله عنه * وسببه انا اجتمعنا ذات يوم ولم يكن حاضرا فذكرنا السودان والبيضان فكان في الطلبة من رأى بزعمه ان له الغلبة ففضل الجواري السود على البيض وأراد النهوض بجناح مهيض واستشهد بقول الشاعر

ذكر البياض والسواد

لام العواذل في سوداء حالكة * كأنها سواد الليل تمثال

وهام بالخال أقوام وما علموا * أني أهيم بشخص كله خال

الى آخر الفصل وهو طويل نبيل انظره بكماله في التكميل ففضل فيه الابيض على الاسود وحكم لعمر الله بالأجود واذ وقعنا في ذكر السوداء والبيضا فلنذكر فيه فصلا أيضا * جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بموتاكم ملائكة النهار فانهم أرأف من ملائكة الليل وجاء في البياض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ان الله خلق الجنة بيضاء وان أحب الزي الى الله تعالى البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ثم جمع الرعاء فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلطها ببيض وذكر ثابت في الدلائل من هذا المعنى كراهية السواد قال من ذلك ان العرب لا تكاد تصف السواد الا في موضع المناكرة والمنافرة تقول كلمة فاردد علي سوداء ولا بيضاء أي كلمة حسنة ولا سيئة وفي الحديث كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أسود فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض قال وان احتج محتج بقول الشاعر

آليت لا أعطي غلاما أبدا * دلالة اني أحب الاسودا

قيل له ان الاسود هنا اسم ابن كان له وقوله دلالة أي نحلة ونصيبا من ودي (قلت) وليس ينكر حب الولد وان كان اسود ألم تسمع قول الشاعر

أراد عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم

وان عرارا ان يكن غير واضح * فاني أحب الجون ذا المنكب العمم

ووقع في الاغاني

يديرونني عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وسالم هذا هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (قال ابن الهندي)

فى وثائقه وكان اسود حسن الصبغة وكان يلبس العباءة بنحو الدرهمين وقال ابن قتيبة فى المعارف كان سالم من خيار المسلمين وفقهائهم يكنى أبا عمرو وقال الواقدى أبا المنذر وكان أبوه يلام فى حبه فيقول البيت وقال البكرى فى اللآلى اختلف فى قائل هذا البيت فقال قوم أبو الأسود الدؤلى يقوله فى غلام له اسمه سالم يدير ونهى عن سالم وأديرهم البيت وبعده

ولو بان من ملكى لبت مسهدا * ونبهان عمدا بى من الشجو نائم

ونبهان جار لابى الاسود كان يديره على بيعه ثم مات سالم فقال أبو الأسود الشعر وقال ابن الكلبى ان البيت لعبد الله بن معاوية الفزارى يقول فى ابنه الأشيم واسمه سالم قال الخطابى بسنده الى سعيد بن المسيب قال قال لى عبد الله بن عمر هل تدرى لم سميت ابنى سالما فقلت لا قال باسم سالم مولى أبى حذيفة قال هل تدرى لم سميت ابنى واقدا قلت لا قال باسم واقد بن عبد الله اليربوعى قال هل تدرى لم سميت ابنى عبد الله قال قلت لا قال باسم عبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وممن كان أسود عبادة ابن الصامت وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وغيرهم رضى الله عنهم وقال عبادة للمقوقس حين دخل عليه فهابه المقوقس فقال له عبادة ان فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود لو رأيتهم كنت أهيب لهم وقد تقدم قول الاخضر وهو بلونه يفخر وهو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب

وأنا الاخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة فى بيت العرب

وفى معنى هذا الشعر

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

ولما سمعه الفرزدق وكان شريفا فى قومه أيضا نضى ثيابه وقال أنا أساجلك فلما انتسب له وتبين انه من ولد عبد المطلب لبس ثيابه وقال والله لا يساجلك الا من عض بذكر أبيه وكان الفضل هذا أحد شعراء بنى هاشم وفصحائهم وكان شديد الادمة وهو هاشمى الابوين وانما أتته الادمة من قبل جدته وكانت حبشية ومن أحسن ما اعتذر به الجون الاسود اللون قول نصيب

كسيت ولم أملك سوادا وتحته * قميص من القوهى بيض بنائقه

والقوهية ثياب بيض وكذلك قيل جسم قوهى قال الشاعر

وذات خد مورد * قوهية المتجرد

ويقال عيش قاه أى مخصب ناعم ولابى الطيب

انما الجلد ملبس وابيضاض الجلد خير من ابيضاض العباء

وفى النوادر لعبد بنى الحسحاس

أشعار عبد بنى الحسحاس قمن له * عند الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسودا للون انى أبيض الخلق

اسم هذا العبد سحيم وكان حبشيا أعجمى اللسان ومولاه جندل من بنى الحسحاس فباعه فاشتراه عبد الله بن أبى ربيعة وكتب الى عثمان رضى الله عنه انى قد ابتعت لك غلاما شاعرا فكتب اليه عثمان لا حاجة لى به فارددده فانما قصارى أهل العبد الشاعر ان شبع أن يشبب بنسائهم وان جاع أن يهجوهم فردّه عبد الله فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان شبب بابنته عميرة وفحش وشهرها فحرقه بالنار ومن ملح هذا الفصل وفيه ذكر التحلى بالعشق والتخلى من الفسق كان فى شعر العبد سحيم الاسود الذى شبب فيه بابنة أبى معبد

ذكر العشاق والفساق

توسدنى كفا وتثنى بمعصم * على وتحنو رجلها من ورائيا

قلت حق للعاهر الاخرق اذا أحصن ان يرجم ان لم يحرق ثم هذا العبد الاحمق لا يخلو أن يكذب أو يصدق فان صدق فقد عهر وشهر وان كذب فقد فخر وفجر وابتأر وابتهر وفى الحديث الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه والعاقل يستتر ويستحيى من ذكر ذنوبه ثم العشاق لا الفساق الى هلم جرا اذا خلا أحدهم بمعشوقه لم يضرب زيد عمرا بل يقنع بالشكوى وذكر حديث البلوى (كما يروى) ان اعرابيا قيل له وقد كان طال عشقه بجارية ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يرا كما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين كنت أفعل ما أفعله بحضرة أهلها شكوى وحديث عذب وأعرض عما يسخط الرب وقال آخر كنت أطيع الحب فى اثمها وأعصى الشيطان فى اثمها وأما العشاق الفساق فأكثر ما ينشدون

رأيت الحب ليس له دواء * سوى وضع البطون على البطون

نعم ولو أمكنهم وضع الرقاق على الرقاق لكان ذلك فى الرقاق أف لهم أما علموا ان الحب يفسد بالنكاح ولا يكون بعده فلاح كما قالوا الظفر بالمعشوقة يسقط شطر عشقها والنكاح يفسد الحب قلت واذا كان الخلو والدنو فليترك العلو والغلو فان بعدهما السلو ويستشهد على هذا بما أنشده البكرى للأمون

ما الحب الا قبلة * وهمز كف وعضد
أو كتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبغى الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ذكر هذا شاهدا على ما خرجه أبو على فى النوادر من قول الاعرابى هذا طالب ولد وكيف مادارت الحال فلا بأس بالعشق الحلال ولا يلام عاشق السوداء اذا بلغ حبها الى السويداء ألم تسمع

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

وسيأتى فى ذكر الكلب الاسود كلام أحسن من هذا وأجود انظره فى باب ناب وقد أذكر فى هذا الخبر أبياتا قالتها الرجل اسمه على وكنت أمرته أن يشترى لى سوداء

أباحسن هجرت نساء دارى * لامر ليس من عيب وعار
ولكن عندهن جفاء قول * واغلاظ يقل له اصطبارى
ويعلمن احتياجى كل وقت * لهن فيقتضين لذا اضرار
فسق لى من هنالك يا عمادى * بالاستعجال منك والابتدار
بماء عنهن أستغنى ولو لم * تكن الا سويدا مثل قار
تكون خديمتى وتكون أنسى * وتقضى حاجتى عند اضطرارى
فعجل يا على بها وسقها * الى على المراد والاختيار
فتاة بنت خمس بعد عشر * مهفهفة بجسم كالنضار

وجعلت أصفها الى أن قلت آخر ذلك

وطال على ذلك فاختصرنا * ألا ان البلاغ فى الاختصار
تكون مليحة وبذا تسمى * فالاسم هو المسمى لا تمار
فان جاءت على المرغوب أشدو * وأنشد بيت ملذوع بنار
أحب لحبها السودان حتى * أحب لذا تين الانبذار

أستغفر الله مما لا يرضاه وخار لنا فيما قدره وقضاه وقد أريتك أعزك الله السواد الظاهر للاجتلاب فانظر فى السواد الباطن للاجتناب * اعلم ان الران هو السواد الذى يغشى قلب العبد من تراكم الخطايا والذنوب ثم لهذا الداء والحمد لله دواء يقلعه ويمحوه وهو التوبة والاقلاع والنزوع والاستغفار أخبر بذلك طبيب القلوب

محمد الحبيب صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكره الله تعالى قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون خرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولي من قطعة مطولة

وما اسود اد الوجوه الا * من فعل سوء وشؤم حوب
ما اسود أبناء حام الا * بعد ابيضاض من الذنوب
نعوذ بالله من سواد * على وجوه وفي قلوب

والكذب أيضا مما يسود القلب خرج مالك رحمه الله في الموطأ عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول لا يزال العبد يكذب وينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين *(فصل)* تقدم في شعر امرئ القيس * وفرع يغشى المتن أسود فاحم * أردت أيها الولد أن أفرع لك من لفظة الفرع فروعا فتحلب منها ضروعا تكرع فيها كروعا وتشرع فيها شروعا فدونكها مخلوطة اللغة بالفوائد تزرى بالفرائد فأقول

تقدم ذكر الجد والخال انني * أجيء بشيء في فؤادي قد وقع
أفسر من بيت امرئ القيس لفظة * هي الفرع فانظر ما تفرع من فرع
ولو كان غيري ساق ما قد ذكرته * ولم يدره ان كان في العلم قد برع
عسى ينفع المولى بذلك من قرا * علي ومن أصغى بأذنيه فاستمع
ومن كان لي شيخا وعلمني الذي * جمعت ويا مولاي لا تنس من جمع

الفرع الشعر الكثير يقال رجل أفرع وامرأة فرعاء بينة الفرع وهو الشعر التام الذي لم يذهب منه شيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع وأبو بكر أفرع وكان عمر أصلع له خفاف وكان علي رضي الله عنه أصلع والخفاف أن يكون الشعر حول رأسه كالطرة ولعل عمر رضي الله عنه حين قال له رجل الصلعان خير أم الفرعان قال عمر الفرعان انما عنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ويقال فرع الرجل صار أفرع والفرع الشعر أيضا قالت صبية من العرب لا بيها اشتر لي لوطا أغطي به فرعي فاني قد عتقت * اللوط الازار وعتقت أدركت وجمعها عواتق ومنه في الحديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والاضحى العواتق والحيض وذوات الخدور الحديث

ولشيخي أبي محمد عبد الوهاب رضي الله عنه من قطعة مطولة لزومية

هو الشيب مشتعل في المفارق * فوصلا والا فهجر المفارق
أما في ثلاثين حولا تقضت * له زاجر عن هوى كل عاتق
وكم ذا تحمل عبء الهوى * على ثقله بين أذن وعاتق

وقد تقدم بعضه وفي هذا الشعر

وكم شققت منه قلبا سليما * قدود الغصون خدود الشقائق
وكم خال القلب حتى تبدت * خلال مصلاه خمس شقائق

شقائق

أنظرها بكمالها في التكميل ولا أخليك هنا من فائدة الشقائق في البيت الاول يريد شقائق النعمان الذي يقال له الشقر كما قال طرفة * وعلا الخيل دماء كالشقر * وشقائق جمع شقة ويجمع على شقق وسميت شقة لبعد طرفها وليس غيرها من الثياب كذلك ومنه شقة السفر أي بعده والله أعلم وقوله في البيت الآخر خمس شقائق يريد أخوات أو أتراب وقال ثابت رحمه الله في قوله عليه السلام انما النساء شقائق الرجال يقول هن في شبههن بالرجال كعصا ارفضت شقتين فكان الرجل شقة والمرأة شقة والشق والشقيق واحد تقول هذا أخي شق نفسي وشقيقي انتهى كلامه وتصغيره شقيق كما قال الشاعر * يا ابن أمي ويا شقيق نفسي * البيت والفرع أيضا أعلى كل شئ ومنه فرع الشجرة قال الشاعر وكان اتخذ قوسه من فرع شجرة أي من غصن غير مشقوق فاذا كان كذلك قيل قوس فرع والذي يعمل من المشقوق يقال لها قوس فلق فقال

أرمي عليها وهي فرع أجمع * وهي ثلاث أذرع واصبع

ذكر هذا الخبر ثابت في الدلائل وقال يقال رميت عن القوس ورميت عليها ولا يقال رميت بها قلت قد جاء في الحديث ورميه بقوسه وأسهمه في حديث ليس من اللهو الا ثلاث * هذا الكلام في الفرع بتسكين الراء فأما الفرع بتحريكها بالفتح فانه أول النتاج وقد أفرع القوم اذا نتجوا أول الناس وكانوا في الجاهلية يذبحونه لآلهتهم فلما جاء الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرع ولا عتيرة والعتيرة هي الرجبية ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب لانه أول الاشهر الحرم وخرج أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان على أهل كل بيت في كل عام أضحية وعتيرة أتدرون ما العتيرة هي التي يقول لها الناس الرجبية قال أبو داود

للفرع والعتيرة

العتيرة

العتيرة منسوخة وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا فرع ولا عتيرة ذكر هذا بعد حديث آخر ان النبي عليه السلام قال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع والفرع أيضا الطول ومنه حديث سودة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة عظيمة تفرع النساء يقال فرعت النساء اذا طلتهن ومنه قيل جمل فارع وفارع اسم أطم حسان بن ثابت رضي الله عنه والاطم اسم كل بناء مرتفع مطول والفرع أن يسلخ جلد فصيل فيلبس فصيلا آخر يعطف عليه سوى أمه ومنه قول أوس بن حجر وذكر أزمة في سنة شديدة البرد

وشبه الهيدب العباء من الأقوام سقبا مجللا افرعا

وتقول فرعت الجبل صعدته كما تقول طلعته بالكسر وأفرعت في الجبل انحدرت منه قال بعض العرب لقيت فلانا فارعا مفرعا يقول أحدنا مصعدا والآخر منحدرا قال الشماخ * فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي * لا يدهمنك افراعي وتصعيدي ويروى لا يدركنك وقد قالوا فرعت في الجبل تفريعا انحدرت وفرعت الجبل أيضا صعدت ويقال فيهما أفرعت وهو من الاضداد ويقال فرعت بين القوم بالتخفيف اذا حجزت بينهم وفرعت الفرس اذا قدعته باللجام ويقال أفرعت وفرعت رأسه بالعصا اذا علوته بها وافتراع البكر هو افتضاضها مأخوذ من الفصل بين الشيئين وفي الحديث ان جاريتين من بني عبد المطلب جاءتا تشتدان والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فأخذتا بركبتيه ففرع بينهما أي فرق وقد يقال في افتراع الجارية انه ادماؤها مأخوذ من أفرع اللجام الدابة اذا أدمى فاها والفرعة القملة الكبيرة تسكن وتحرك وجمعها فرع وفرع وتصغيرها فريعة وبها سمي المرأة ومن أسماء القملة أيضا الحمكة بتحريك الميم وجمعها حمك قال ذلك أبو زيد قال وقد يقال ذلك في الذرة والحمك الصغار من كل شئ والفرع بالضم موضع وفي الحديث فعادت القبيلة وهي من ناحية الفرع وفرعة الطريق أعلاه وقال في البيت * كقنو النخلة المتعثكل * القنو العذق وهو العثكول وهي كباسة النخلة ذو الشماريخ وهي العراجين القضبان الرقاق واحدها عرجون كما قال الله تعالى كالعرجون القديم وفي الحديث من العرجون أن سيف عبد الله بن جحش قطع يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به فكان يسمى ذلك السيف العون وبيع بعد قتله رحمه الله بمائتي دينار من بغا التركي وواحد الشماريخ

شمراخ والعذق بالكسر هو القنو ويقال له أيضا قنى ويجمع قنى اقناء ويجمع قنو قنوان والعذق بالفتح النخلة والمتعنكل المتوارد بعضه فوق بعض لكثرته ويقال عنكول وعنكال كما يقال عنقود وعنقاد ويقال له أيضا اثكول واثكال وكذا جاء فى حديث المقعد الذى زنى بالوليدة فأمر به صلى الله عليه وسلم أن يضرب بائكال النخل من أجل ضعفه وضره ويروى بائكول يعنى الشماريخ كذا وقع فى الدلائل ووقع فى كتاب أبى داود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة (ومعكوس فرع) عرف بمعنى علم والمعرفة عند بعضهم فوق العلم والعرفان المعرفة والعرف بضم العين المعروف وفى القرآن خذ العفو وأمر بالعرف وعرف الفرس سمى بذلك لتتابعه وفى القرآن والمرسلات عرفا أى يتبع بعضها بعضا بالوحى والرسالة والله أعلم والعرف أيضا موضع والعرف شجر الاترجة والعرف أيضا جمع عرفة مواضع منها عرفة ساق وعرفة الاصلح وعرفات جبل معروف وأعراف الرمال ظهورها والاعراف سور بين الجنة والنار حبس عليه رجال استوت حسناتهم وسيآتهم والمعرفة منبت عرف الفرس والعرف بفتح العين الرائحة الطيبة وقيل سواء كانت طيبة أو خبيثة لانهم قالوا ما أطيب عرفه وقالوا فى المثل لا يعجز مسك السوء عن عرف السوء ومنه قوله تعالى عرفها لهم أى طيبها لهم وقيل يعرفون منازلهم فيها اذا دخلوها وجاء معنى هذا فى الحديث لأحدهم بمنزله فى الجنة أهدى منه به كان فى الدنيا ومن أمثالهم الكريم سفح عرفه ونفح عرفه والعرف بفتح الراء نبت والعرفة قرحة تأخذ فى اليد والرجل وربما أشلت قاله أبو على والعرف بكسر العين من قولهم ما عرفت عرفى الا بأخرة أى ما عرفتنى الا أخيرا والعارفة المعروف ورجل عروفة بالامور أى عارف بها والهاء للمبالغة وتقول عرف الرجل عرافة صار عريفا كما تقول خطب خطابة فان أردت انه عمل ذلك قلت عرف فلان علينا سنين يعرف عرافة كما تقول كتب يكتب كتابة والعريف القيم بأمر القوم وهو النقيب وهو دون الرئيس وجمعه عرفاء وفى الحديث حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم وفى التنزيل من ذكر النقيب وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا والتعريف الاعلام والتعريف أيضا انشاد الضالة والتعريف الوقوف بعرفات يقال عرف الناس اذا شهدوا عرفات وهو المعرف للموقف ومقلوبه

عرف

رعف رعف يرعف رعافا ورعف بالضم لغة ضعيفة ويقال رماح رواعف اما

لتقدمها للطعن وامالما يقطر منها من الدم ورعف الفرس يرعف ويرعف اذا سبق وقد تقدم واسترعف مثله والراعف طرف الارنبة والراعف أنف الجبل وراعوفة البئر وأرعوفتها حجر ناتئ فى أسفلها ويقال بل فى أعلاها يقوم عليها المستقى وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وجعل سحره فى جف طلع ودفن تحت راعوفة البئر وفيها لغتان راعوفة وأرعوفة بالضم حكاهما أبو عبيدة ويقال أيضا راغوفة بالغين المعجمة ومقلوبه أيضا عفر وهو التراب والعفرة غبرة فى حمرة وبه سمى الظبى أعفر وجمعه عفر وعفير اسم رجل وعفيرة اسم امرأة وقد تقدم حديث عفيرة والعفر الليلة السابعة والثامنة والتاسعة من الشهر لم يذكر ابن قتيبة العفر لكنه قال العرب تسمى ليالى الشهر كل ثلاث منها باسم فتقول ثلاث غرر وثلاث نفل وثلاث تسع وثلاث عفر وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دآدئ وثلاث محاق وعفرت الرجل بالتراب اذا ضربت به الارض والعفار شجر ومنه استمجد المرخ والعفار وسيأتى والعفر بكسر العين ذكر الخنازير والعفر أيضا الرجل الخبيث وجمعه أعفار والشيطان أيضا عفريت وعفرية وعفارية وللفقيه أبى محمد من قطعة

رب غاو كأنه عفريت * ذى هجار الى الخنا خرّيت

ومقلوبه رفع وهو معلوم ورفع بضم الفاء رفاعة صار رفيعا كما تقول شرف والرفعة ضد الذلة ومن شكل الافتراع الاقتراع بالقاف وهو الاستهام ومن هذا الباب مقراع وهى الناقة التى تلقح فى أول قرعة الفحل ومنه قول ابن الرعيل بن الكلب تحازمت الى هشام بن عبد الملك وأهديت له ناقة نجيبة فلم يقبلها فلما قوّضت سراد قانه وقربت نجائبه قمت فقلت يا أمير المؤمنين انها مطواع مسراع مرياع مرباع مقراع مسياع فنحلك وأمر بأخذها وأمر لى بمال خرجه ثابت أيضا وفسر المقراع بما تقدم وقال مطواع أى تطيع راكبها لكرمها ومسراع تسرع من نجابتها وفراهتها ومرياع تسبق النوق لحدتها وسرعتها ثم تريع أى ترجع لا لفتها والمرباع التى تنتج فى أول الربيع وقوله مسياع يعنى انها طليت بالشحم كما يطلى الشئ بالطين والسياع الطين وقوله تحازمت أى عارضته فى ركوبه قال الفراء حازمت الرجل الطريق وهو أن تأخذ فى طريق ويأخذ فى غيره حتى تلتقيا فى مكان ومن غير الدلائل الريع النماء والزيادة وهو أيضا العود والرجوع كما فى هذا

ليالى الشهر

ريع

الخبر ومنه قول البعيث

طمعت بليلى أن تريع واغما * تقطع أعناق الرجال المطامع

وسئل الحسن عن التي يذرع الصائم فقال هل راع منه شئ فقال السائل ما أدري ما تقول فقال هل عاد منه شئ والريع بالكسر المرتفع من الارض ومنه قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون والريع أيضا الطريق ويقال الجبل وجاء أيضا رجل مضياع مسياع للمال وهو أيضا مضيع مسيع عن أبي عبيد (وأما القرع) فهو ذهاب الشعر وقد قرع فهو أقرع بين القرع ورجال قرعان وقرع وموضع ذلك من الرأس القرعة ويقال ألف أقرع أي تام والاقرع من الرجال يكنى أبا الجعد كما يكنى الاعمى أبا بصير وكما يقال للغراب أعور على القلب لحدة بصره ويسمى اللديغ سليما من قولهم سليما ومسلوما والسلم لدغ الحية قاله ثابت رحمه الله والقرع في المراح من هذا وكانوا يستعيذون بالله من قرع المراح وصفر الفناء وقال ثعلب نعوذ بالله من قرع الفناء بالتسكين على غير قياس وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه قرع حجكم أي خلت أيام الحج من الناس ومن دعائهم اللهم اني أعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء وصفر الفناء وعضال الداء ومن هذا قول الشاعر

قرع

وجزال لولاه اذا ما * أتاه عائلا قرع المراح

جزال يجزل له من ماله اذا أتاه مولاه وهو ابن عم له أو ما أشبهه عائلا فقيرا قد قرع مراحه فليس له مال ولا ابل ومراحه حيث تأوي ابله اذا انصرفت من مرعاها وقد تقدم قول الاعرابي فقرع مراحي وفنيت أوضاحي والاقرع من الحيات الذي لا شعر على رأسه ومنه الحديث من كان له مال لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع أي قد تمعط شعره لكثرة سمه وجمع الشجاع أشجعة ثم شجعان وقال الشاعر

قد سالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

وسيأتي تفسيره والقرعة معروفة والقارعة يوم القيامة وقارعة الطريق أعلاه وقارعة الدار ساحتها وقوارع الدهر شدائده وقوارع القرآن الآيات التي يقرؤها الانسان اذا فزع من الجن أو الانس نحو آية الكرسي كأنها تقرع الشيطان والمقارعة المساهمة يقال قارعته فقرعته والمقارعة أيضا مقارعة الابطال اذا قرع بعضهم بعضا وأما القرع باسكان الراء فهو الدباء المعروف وهو حمل اليقطين ومن

لفظ الدباء الدبى مقصور وهو الجراد قال امرؤ القيس * اذهن أفساط كرجل الدبى *
والرجل الجماعة منها وأفساط قطع وربما قالوا فى الدباء القرع بتحريك الراء قال
المعرى هما لغتان والتحريك أجود وأنشد

بئس ادام العرب المعتل * ثريدة بقرع وخل

وأكثر ما تسميه العرب الدباء والقرع بالتحريك بثر يخرج بالفصال فى الأعناق
والمشافر ودواؤه الملح وجباب ألبان الابل فان لم يجدوا ملحا نتفوا أوباره ونضحوا
جلده بالماء ثم جروه على السبخة ومنه المثل أحرمن القرع وربما قالوا أحرمن القرع
بالتسكين يعنون به قرع الميسم وهو المكواة قال الشاعر فى ذلك

كان على كبدى قرعة * حذارا من البين ما تبرد

والعامة تريد به القرع الذى يؤكل وليس كذلك والمقرع هو المجرو ركما تقدّم قال
أوس بن حجر

لدى كل أخدود يغادرن دارعا * يجر كما جر الفصيل المقرّع

والفصيل قريع والجمع قرعى مثل مريض ومرضى ويقال فى المثل استنت
الفصال حتى القرعى والقرع أيضا مصدر قرع الشئ يقرعه قرعا اذا ضربه بعصا
أو غيره ومنه المقرعة ومن القرع قول الشاعر * قرع القواقيز أفواه الأباريق *
وقال آخر العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه
وأنشد ابن قتيبة فى عيون الأخبار

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وأنشد غير ابن قتيبة

وزعمتم ان لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذى الحلم

عرق

ومعكوس قرع عرق والعرق معروف وابن عرق اذا فسد طعمه وعرق الشجر
وأعرق اذا امتدت عروقه والعرق واحد العروق وفى الحديث وليس لعرق ظالم
حق وتفسيره أن يجيء الرجل الى أرض قد أحياها غيره فيغرس فيها أو يزرع
فيستوجب الأرض قال الخطابى يروى على وجهين عرق بالتنوين وظالم نعته
وعرق ظالم بالاضافة يعنى به الغارس والعرق الجبل الصغير والعرق نبات أصفر
يصبغ به ورجل معرق فى الحسب وعرق فيه أعمامه وأخواله وأعرقوا وانه
لعروق فى الكرم ويقال أيضا معرق كما قال بعض الصالحين ان امرأ ليس بينه

وبين آدم عليه السلام أب حتى لعرق له فى الموت وأعرق الفرس صار عريقا والعراق شاطئ البحر وبه سمى العراق لأنه على شاطئ دجلة والعراق بضم العين العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق وقد تعرقت العظم واعترقته وعرقته أعرقه عرقا أكلت ما عليه من اللحم وفى الحديث وفى يده عرق ورجل معروق ومعترق خفيف اللحم والعرق الطير تصطف فى السماء واحدته عرقة والعرق السطر من الخيل والعرق السقيفة من الخوص وغيره المنسوجة وبه سمى الزنبيل عرقا وفى الحديث فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر ومقلوبه قعر

قعر كل شئ أقصاه و بئر قعيرة وتقعر الرجل وقعر اذا تشدق فى كلامه وتكلم بأقصى قعر فيه والمقعر الذى يبلغ قعر الشئ * ومقلوبه أيضا رعق يرعق رعاقا وهو صوت يسمع من قتب الدابة والقتب غلاف ذكر الفرس ومقلوبه أيضا رقع الثوب رقعا و رقعته والرقيع الأحمق الذى يتمزق عليه رأيه وقد رقع رقاعة ويقال للرقيع أرقع والرقيع اسم لسماء الدنيا ويقال كل واحدة رقيع الأخرى وهو الذى ألغزه الحريرى رحمه الله فى قوله أينام العاقل تحت الرقيع * قال أحبب به فى البقيع عنى بالرقيع السماء وبالبقيع بقيع المدينة شرفها الله وفى الحديث من فوق سبعة أرقعة جاء على لفظ التذكير كأنه ذهب به الى السقف والله أعلم والرقعة القطعة من الثوب والأرض وغيره ومقلوبه أيضا عقر العقر والعقر مصدر العاقر من النساء وقد عقرت المرأة وعقرت تعقر فهى عاقر وعقير وفى التنزيل وامرأتى عاقر ويقال عقرت تعقر والعاقر من الرمل ما لا ينبت والعقر دية الفرج المغصوب والعقر بيضة الديك وعقر الحوض موقف الابل اذا وردت وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انى لبعقر الحوض أو بعقر حوضى أو كما قال وعقر الدار وعقرها محلة القوم و يقال العقر والعقر فرجة ما بين الشيئين والعقر كالجرح والعقر أيضا القتل ومنه عقر فرسه وفى الحديث عقر جواده وأهريق دمه ومنه معاقرة الاعراب التى نهاهم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ما كانوا يعقرونه للمباهاة والفخر وقال عليه السلام لا عقر فى الاسلام وفسر بهذا أو بما يعقر على القبور وسيأتى فى باب الواو ان شاء الله والعقار الضيعة والعقار الخمر والعقار والمعاقرة ادمان شربها وعقيرة الرجل صوته وأصله ما ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب أنظره فى الكتاب والعقيرة أيضا ما عقرت من صيد وغيره وعقر الرجل اذا دهش ومنه قول

عمر رضى الله عنه فعقرت حتى وقعت الى الارض ماتحملنى رجلاى والعقر موضع وامرأة عقرى حلقى وهو فى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم ومعناه عقرها الله وحلقها ومن ذلك الدعاء الذى لا يراد وقوعه كما قال تربت يداك وسيأتى ان شاء الله تعالى قال الخطابى قال أبو عبيد انما هو عقرا حلقا على معنى الدعاء معناه عقرها الله وحلقها أى عقر جسدها وأصابها بوجع فى حلقها قال الخطابى وقال غيره والعرب تقول لأمه العقر والحلق أى ثكلته أمه فتحلق شعرها وهى عاقر لا تلد وروى عن وكيع بن الجراح قال قوله حلقى هى المشؤمة والعقرى التى لا تلد وقيل هى المشؤمة تحلق قومها وتعقرهم أى تستأصلهم من شؤمها ومما يشبه القرع القزع بالزاى وهو السحاب واحدتها قزعة ومنه الحديث وما نرى فى السماء قزعة أى قطعة سحاب قال الزبرقان

ونحن نطعمهم فى القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤمن القزع

قال أبو عبيد أكثر ما يكون فى الخريف والقزع من الصوف ما تناتف فى الربيع وكبش أقزع منتتف الصوف والقزع أيضا ان يحلق من رأس الصبى بعض ويترك بعض ولعله من هذا يشبه به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء من ذكر القزع ما خرج أحمد عن عدى من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتغوط الرجل فى القزع من الارض قيل وما القزع قال ان يأتى أحدكم الارض فيها النبات كأنما قامت قمامته فتلك مساكن اخوانكم من الجن ومن القزع قول الاعرابى الذى وصف الابل فقال هى تطاير قزعا يريد انها طارعنها وبرها من السمن وقال الشاعر

فلما فنى ما فى الكنائن ضاربوا * على القزع من جلد الهجان المجوّف

قوله فنى هى لغة فى فنى يقولون فنى الشئ وبقى مثله وأنشد

فلولا زهير ان أكدر نعمة * لقازعت عنه ما بقيت وما بقى

خرجه ثابت رحمه الله وقد قالوا سخا يسخو وسخى يسخى ومحا يمحو ويمحى ولم يقولوا محى وسيأتى نوع من هذا ويقال قزع الظبى وغيره يقزع قزوعا أسرع وخف ومنه قولهم قوزع الديك اذا غلب فهرب قال يعقوب ولا تقل قنزع لانه ليس بمأخوذ من قنازع الرأس وهو الشعر حوالى الرأس وانما هو من قزع يقزع اذا خف فى عدوه هاربا وواحد القنازع قنزعة وفى الحديث غطى عنا قنازعك

يا أم ايمن وقالوا رجل مقزع رقيق شعر الرأس متفرقه وربما قالوا فى جمعها قنزعات قال حميد الارقط يصف الصلع

كان طسما بين قنزعاته * مرتا تزل الكف عن فلاته
ذلك نقص المرء فى حياته * وذاك يدنيه الى وفاته
* لا الرزء فى بعيره وشاته *

قزع ومعكوس قزع عزق وهو علاج فى عسر ورجل عزق منه ومتعزق والمعزاق المسحاة من الحديد ونحوه مما يحفر به وأرض معزوقة اذا شققتها بالمعزقة

زعق (ومقلوبه) زعق وهو الخوف وقد أزعقه الخوف حتى زعق فهو مزعوق والماء الزعاق المرّ وقد أزعق الرجل اذا حفر فأنبط ماء زعاقا وبئر زعقة وطعام مزعوق كثير الملح ومقلوبه أيضا زقع الحمار زقعا وزقاعا اذا ضرط ومن

زقع شكل قزع فزع يقال فزعت اليك وفزعت منك ولا تقل فزعت منك والمفزع الملجأ

فزع وفلان مفزع للناس يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اذا دهمهم أمر فزعوا اليه فهو مفزع وكذلك هم مفزع وهى مفزع والفزع أيضا الاعانة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقد فسر هذا الحديث صاحب الكامل فى أول الكتاب فانظره هنالك والافزاع الاخافة والاعانة أيضا يقال فزعت اليه فأفزعنى أى لجأت اليه من الفزع فاعاننى وكذلك التفزيع من الاضداد يقال فزعه أى أخافه وفزع عنه أى كشف عنه الخوف ومنه قول الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم أى كشف عنها الفزع (ومعكوس فزع)

عزف عزف تقول عزفت نفسى عن الشئ تعزف عزوفا أى زهدت فيه وانصرفت عنه والعزيف صوت الجن وقد عزفت تعزف والمعازف الملاهى والعازف اللاعب بها والمغنى وقد عزف عزفا ومنه قول أبى جهل فى قصة بدر * وتعزف بها علينا القيان * وعزف الرياح أصواتها وسحاب عزاف

زعف يسمع منه عزيف الرعد وهو دويه (ومقلوبه) زعف تقول زعفه زعفا قتله مكانه وكذلك ازعفه زعفا ومنه سم زعاف وموت زعاف وزؤاف أيضا مثل زعاف

زغف والزعيفة بالكسر القصيرة واصل الزعائف اطراف الاديم واكارعه وذلك ذم فان نقطت العين قلت زغف وزغف جمع زغفة وزغفة وهى الدرع اللينة وقال

فرغ الشيبانى هى الواسعة بقى من شكل فزع (فرغ) فرغت من الشغل أفرغ فروغا

وفراغا

وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودى فى كذا أى بذلته وفرغ الماء بالكسر يفرغ فراغا مثل سمع سماعا أى انصب وافرغته أنا وحلقة مفرغة أى مصمتة الجوانب والفرغ مخرج الماء من الدلو بين العراقى ومنه سمى الفرغان من منازل القمر والفراغة ماء الرجل وهى النطفة وقوس فريغ واسع السى وذهب دمه فرغا وفراغا أى هدرا لم يطلب به والفراغ فى اللغة على ضربين الفراغ من شغل والفراغ الى الشئ ومنه قوله تعالى ستفرغ لكم أيه الثقلان قيل معناه ستقصد لكم أى لحسابكم أى سنحاسبكم فنعذبكم يقال سأفرغ لفلان أجعله قصدى والله يتعالى ان يشغله شأن عن شأن وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن معناه يميت ويحيى ما يولد ويعز ويذل ويعطى سائلا ويجيب داعيا ويشفى مريضا ويفك عانيا وشأنه كثير لا يحفى لا اله الا هو (ومعكوس فرغ) غرف الغرف شجر يدبغ به يقال سقاء غرفى أى مدبوغ بالغرف وربما جاء غرف بالتحريك قال أبو خراش

غرف

أمسى سقام خلاء لا أنيس به * الا السباع ومر الريح بالغرف

وسقام اسم واد والغريف الشجر الملتف الكثير من أى شجر كان ومنه قيل أسد الغريف وغرفت الشئ فانغرف أى قطعته فانقطع ومنه قول قيس بن الخطيم

تنام عن كبر شأنها فاذا * قامت رويدا تكاد تنغرف

وغرفت الماء بيدى فانغرف غرفا واغترفت منه وفى التنزيل الا من اغترف غرفة بيده أى مرة واحدة وقرئ غرفة بالضم وهو اسم للمنقول منه لانك ما لم تغترفه لا تسميه غرفة والجمع غراف مثل نطفة ونطاف وزعموا أن ابنة الجلندى وضعت قلادتها على سلحفاة فانسابت فى البحر فقالت * ياقوم نزاف نزاف * لم يبق فى البحر غير غراف * والغرفة العلية والجمع غرفات وغرفات وغرفات وغرف وفى التنزيل أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وهم فى الغرفات آمنون والمغرفة معلومة ما يغترف به (ومقلوبه رفغ) الرفغ السعة والخصب يقال رفغ عيشه بالضم رفاغة اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ واسع طيب وترفغ الرجل توسع والرفغ والرفيغ واحد الارفاغ وهى المغابن من الآباط وأصول الفخذين (ومقلوبه أيضا فغر) يقال فغرفاه أى فتحه وفغروه انفتح وافغر النجم والنجم الثريا يقال ذلك فى الشتاء لان الثريا اذا توسطت كبد السماء من نظر اليها فغر فاه والفاغر ضرب من الطيب

رفغ

فغر

وهو أصل النيلوفر (ومقلوبه أيضا رغف) جمع رغيف قال الراجز

ان الشواء والنشيل والرغف * والقينة الحسناء والروض الانف

* للطاعنين الخيل والخيل قطف *

ويجمع رغيف أيضا رغفان مثل كثيب وكثبان وأرغفة مثل قميص وأقمصة (ومقلوبه أيضا غفر) بمعنى ستر ومنه غفر الله لنا أى ستر وغطى عيوبنا ومنه مغفر الرأس أى الذى يستره

خرجت من شئ الى غيره * من آب حتى سقت فيه وأب

وكله علم ومن يخله * فانه خلو من أم وأب

(فصل) مما بقى من فوائد هذا الفصل تقدّم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يضرب المقعد الذى زنى بالوليدة بمائة شمراخ ضربة واحدة قلت ولعل هذا أخذه صلى الله عليه وسلم من فعل أيوب عليه السلام حين حلف أن يضرب امرأته مائة ضربة ففرج الله عنه وعنها بأن قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فأخذ شمراخا فيه مائة عرجون فضربها به ضربة وكان سبب يمينه ماروى وهب بن منبه قال كان أيوب عليه السلام من ذرّية العيص بن اسحاق وتزوّج ليا ابنة يعقوب عليه السلام وقيل بل كانت زوجته رحمة ابنة افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكانت أم أيوب ابنة لوط عليه السلام وان ابليس اللعين سمع تجاوب ملائكة السموات بالصلاة على أيوب حين ذكره ربه وأثنى عليه فأدرك ابليس الحسد والبغى فسأل الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه فسلط على ماله دون جسده فأذهب ماله كله فشكر أيوب عليه السلام ربه ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه فسأل ابليس أن يسلطه على ولده فأهلك ولده فشكر الله أيوب ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه فسأل ابليس أن يسلطه على جده فسلط عليه دون لسانه وقلبه وعقله فجاءه وهو ساجد فنفخ فى منخره نفخة اشتعل بها جسده فصار أمره الى أن تناثر لحمه فأخرجه أهل القرية من القرية الى كناسة خارج القرية فلم يغيره ذلك عن عبادة ربه وذكره ومما أرويه عن الحافظ رحمه الله بالاسناد الصحيح أن أيوب عليه السلام لما ابتلى قال لنفسه قد نعمت سبعين سنة فاصبرى على البلاء سبعين سنة خرجه الثقفى فى الاربعين له قلت لعله يهجس فى خاطرك أن تقول مثل هذا العبد الصالح يبتليه الله بمثل هذا البلاء وهو الكريم عليه والعزيز لديه فاعلم ان البلاء للانبياء والاولياء كرامة ورفعة ويكفى أيوب عليه السلام شرفا وفضلا أن ابتلاه أياما قلائل وبقى الثناء عليه

قصة أيوب

— لم يرد فى ذلك نص صحيح بل ورد ان الله ابتلاه ولا يخفى انه صلى الله عليه وسلم نبى والانبياء مبعدون عن كل منفر طبعا

يتلى فى الصلاة ويقرأ فى المساجد انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال أبو طالب فى كتاب القوت وذكر هذا المعنى قال وبين ذكر سليمان بهذا النعت وبين ذكر أيوب عليه السلام بهذا الثناء ثلاثة عشر مدحا يزيد بها أيوب على سليمان عليهما السلام وعددها كلها أنظرها فى الكتاب المذكور وقد جاء فى الحديث ان الانبياء أعظم الناس بلاء ثم الامثل فالامثل لكن الله أعلم حيث يجعل رسالته وفى كتاب الاربعين للثقفى المذكور عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة وأهل الصيام وأهل الصدقة وأهل الحج فيوفون بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب الاجر عليهم بغير حساب وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أصاب أيوب البلاء أخذ ابليس تابوتا وقعد على الطريق يداوى الناس فجاءته امرأة أيوب فقالت له أتداوى رجلا به علة كذا قال نعم بشرط انى ان شفيته قال لى أنت شفيتنى لا أريد منك أجرا غيرها فجاءت امرأة أيوب الى أيوب فأخبرته فقال ذلك الشيطان والله لئن برأت لاضربنك مائة فكان ما تقدم * حدثنى بعض اشياخى قال رحل رجل فى طلب العلم الى بغداد فقرأ ما شاء الله ثم بدا له فى الانصراف الى وطنه فاكترى دابة وخرج من البلد فوقف المكترى يشترى بعض حوائجه فسمع رجلا بقالا فى حانوته يقول لآخر فى حانوته أيضا أى فل ألم ترما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه يجيز الاستثناء فى اليمين بعد سنة قال له صاحبه وماذاك قال ذاك باطل قال له ومن أين تقول ذلك قال تفكرت البارحة فى قول الله تعالى فى قصة أيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فلو كان الاستثناء ينفع لقال له قل ان شاء الله ولا تحنث فقال هذا الطالب للمكارى ردنى الى البلد ان بلدا باعته فى هذه المنزلة من العلم فضلا عن العلماء لا ينبغى أن يرحل عنه هذا معنى الحكاية وقد ذكرت هذه الحكاية لبعض العلماء فقال يحتمل أن يكون ذلك فى شريعة أيوب عليه السلام وليس فى شرعنا والله أعلم * وتقدم المعرفة منبت عرف الفرس وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم رأيتك يا رسول الله واضعا يدك على معرفة فرس وأنت قائم تكلم دحية الكلبى قال أو قد رأيتيه قلت نعم قال فانه جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وجزاه الله خيرا من زائر ودخيل ونعم الصاحب ونعم الدخيل * وتقدم الاقتراع ومنه حديث حميد بن هلال رحمه الله

وذكر شأن يونس عليه السلام قال ركب مع قوم فى سفينة فجعلت السفينة لا تمضى فقال بعضهم لبعض ماهذا الا بذنب بعضكم فاقترعوا أيكم ياتى فى الماء قال فاقترعوا وبقى سهمه فى الشمال خرجه ثابت وقال قوله وبقى سهمه فى الشمال يعنى أن سهمه خرج مقمورا قال الشاعر

رأيت بنى العلات لما تظافروا * يجرّون سهمى دونهم فى الشمائل

وذلك أن الضارب بالقداح اذا خرج المنيح أمسكه بيده الشمال لانه لا حظ له فيقول صبروا حظى فى الشمائل أى صبروا حظى المنيح ولم يعطونى شيئا ومعنى تظافروا تعاونوا وخرج أيضا عن سالم بن أبى الجعد فى قصة يونس فأوحى الله الى الحوت أن لا تصرّ له لحما ولا عظما وفسره قال صريت الشئ قطعته انتهى كلامه والمنيح من سهام الميسر وهى عشرة ذكرها أبو عبيد وغيره سبعة منها لها أنصباء وثلاثة لا شئ لها فمن التى لها سهم المعلى ومن التى لا شئ لها المنيح أخذ هذا المعنى الشاعر فقال

فسهمى من قطيعته المعلى * وسهمى من مودّته المنيح

وهذا شئ مستحسن مليح وجاء فى الهداية تقول العرب اجعلنى فى يمنك ولا تجعلنى فى شمالك أى اجعلنى من المتقدّمين عندك ولا تجعلنى من المتأخرين وهو قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أى أصحاب التقدّم وأصحاب التأخر وأنشد

أبنى أفى يمنى يديك جعلتنى * فأفرح أم صيرتنى فى شمالك

وسيأتى فى باب الهاء نوع من هذا فى الايسار والميسر * وتقدّم ذكر القرع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكله ويحبه ويقول نعم الطعام طعامنا وروى أبو طالوت قال دخلت على أنس بن مالك وهو يأكل القرع ويقول يالك من شجرة ما أحبك الىّ لحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وفى حديث آخر عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع فى الصحفة يعنى الدباء فلا أزال أحبه وفى حديث آخر عن أنس رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر من أكل الدباء فقلت يا رسول الله انك تكثر من أكل الدباء قال انه يكبر الدماغ ويزيد فى العقل ومن ملح هذا الفصل أن الغراب يقال له أعور ويقال له أيضا أبو البيضاء وأنشدنى بعض الاصحاب ولم يسم قائله

لى عبد سوء وعبد السوء منقصة * والمسترق لعبد السوء مولاه

قالوا سعادة فأل من سعادته * كأنهم جهلوا اسما ضدّ معناه

هذا

هذا الغراب أبو البيضاء كنيته * فانظر بأى سواد خصه الله

وتقدم المقرعة وأنشدنى الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب قال كنت أمشى فى الشعواء فى موضع قفر واذا بأيل فلما رآنى نفر منى وفزع وكان على عنقى أشياء أحملها فقلت وهو لزومى

ألا لا تكثر الرعبا * فلست بمن به تعبا

وكيف تخاف من عدوى * ضعيف حامل أعبا

ولكن ليت مقرعة * تفقت ذلك الكعبا

وتقدم * لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * هذا البيت للمتلمس وسببه ان سعيد بن مالك كان عند بعض الملوك فأراد الملك أن يبعث رائدا يرتاد له منزلا ينزله فبعث عمرو ابن مالك بن ضبيعة وهو الذى قيل فيه البيت المتقدم فأبطأ عليه فقال الملك لئن جاءنا أو حامدا لنقتلنه فلما جاء عمرو وسعيد عنده قال سعيد للملك أتأذن لى فأكلمه قال اذا أقطع لسانك قال فأشير اليه قال اذا أقطع يدك قال فأومئ اليه قال أقطع جفن عينك قال فأقرع له بالعصا قال اقرع فأخذ العصا فضرب بها عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزها بين يديه فلقن عمرو فقال أبيت اللعن جئتك من أرض بعيدة زائرها واقف وساكنها خائف والشبعاء بها نائمة والمهزولة ساهرة جائعة ولم أر خصبا محلا ولا جدبا مهزلا وتقدم * ان العصا قرعت لذى الحلم وهذا البيت للحارث بن وعلة ومعناه ان الحليم اذا نبه انتبه وأصله أن حكيما من حكماء العرب عاش يقضى بين الناس ثلثمائة سنة يقال هو عمرو بن حممة الدوسى فلما كبر وأهتر قال لابنته اذا أنكرت من فهمى شيئا عند الحكم فاقرعى المحن بالعصا لأرتدع ويقال الزمه السابع من ولده يقرع له العصا اذا غلط * وتقدم العرق ومنه حديث الاعرابى الذى أكل عرقا فلما بقى العظم يلوح قال لاحد أولاده وكانوا ثلاثة ان أعطيتك هذا العظم ما أنت صانع به فقال أتعرقه حتى لا أدع فيه لذرّ مقيلا قال له لست بصاحبه ثم قال لاخيه مثل ذلك ما أنت صانع به قال أتعرقه حتى يمرّ المارّ به فلا يعلم أ لعامين هو أم لعام الاول فقال لست بصاحبه فقال للآخر ان أنا أعطيتكه ما أنت صانع به قال أدقه ثم أسفه فقال أنت صاحبه فأعطاه اياه أو كما قالوا هذا معناه وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى باء وتاء

لعل الله ينفعنى مسنا * بما ألفته زمن الفناء

ومقلوب البيت ﴿وباء وباء وباء وبا * وتاء وثاء وبل وبل﴾

أما باء الاول فحرف من حروف الهجاء وسيأتي الكلام عليها وعلى مخرجها مع الالف في باب لفظة القافية ان شاء الله وأما باء الثاني فالنكاح يقال باء وباه وباءة وباهة ويقال للجماع نفسه باءة وكذلك لعقد النكاح وأصله من المباءة والباءة وهو في اللغة المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا ويجمع على باآت قال الراجز

ان كنت تبغي صالح الباآت * فاعمد الى هاتيكم الابيات

وأفصح هذه اللغات ما نطق بها الرسول عليه السلام حين قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والوجاء نوع من الخصاء محمود ومعناه والله أعلم انه يضعفه ويكسر عنه شهوة النكاح وكذلك جاء في الصوم انه يجيء أي يقطع شهوة النكاح وسيأتي الوجاء والكلام عليه مستوفى في باب الجيم ان شاء الله وكذلك يأتي الحض على النكاح في باب النون بحول الله * وقال عبد الملك بن مروان من أراد الباءة فبنات يزيد ومن أراد النجابة فبنات فارس ومن أراد الخدمة فالروم * ومن شكل باءة باه يقال للبيت الخالي باه ومن أمثالهم المعزى تهي ولا تبني وذلك انها تصعد على الأبنية وهي الأخبية فتبهها أي تخرقها ومع ذلك فان الخباء لا يكون من شعرها انما يصنع من الصوف ذكر معناه أبو عبيد في حديث النبي عليه السلام وسمع رجل حسا فتحت جزيرة العرب أو قال فتحت مكة يقول أبهوا الخيل فقد وضعت الحرب أوزارها فقال عليه السلام لا تزالون تقاتلون الكفار حتى يقاتل بقيتكم الدجال * قوله ابهوا الخيل أي عطلوها من الغزو وكل اناء فرغته فقد أبهته ومنه قيل للبيت الخالي باه كما تقدم وفي مسند البزار بوهي بالخيل والسلاح وزعموا ان لا قتال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوا الآن جاء القتال وأما باء الثالث ففعل ماض تقول منه باء الشيء يبوء بوءا رجع وباء بذنبه احتمله وانصرف به وفي القرآن العزيز أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وقوله تعالى فباؤا بغضب على غضب وانى أريد أن تبوء باثمي واثمك ولا يكون الا في الشر ثم قال تعالى بعد ذلك من أجل ذلك أي من سبب ذلك وقيل من جراء ذلك وجراء بالمد والقصر ويقال فعلته من أجلك بالفتح والكسر ومن أجلاك أي من جرائك والاجل بالكسر لا غير القطيع من بقر الوحش والجمع آجال والاجل أيضا

وجع فى العنق يقال منه أجل الرجل اذا نام على عنقه فاشتكى تقول بى اجل فاجلونى منه أى داووني والاول مثله كذلك وجع فى العنق والأجل بالفتح مدة الشئ وأجل مسكن اللام بمعنى نعم هو جواب مثله ويصلح فى التصديق اذا قيل لك أنت تذهب فقل أجل هو أحسن من قولك نعم ونعم فى الاستفهام أحسن اذا قيل لك أتذهب فقل نعم هو أحسن من أجل قاله الاخفش ويقال باء بفلان اذا قتل به وأبأت بفلان قاتله قتلته به واستبأت به استقدت به وباء بدم فلان أقر به على نفسه من قولهم بؤ على نفسك بكذا أى اعترف به وأقر وقال الاعشى * أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * وأماو بأفانه مهموز مقصور وفيه لغة أخرى وباء ممدود وجمعه على هذه اللغة أوبية وعلى مثل المقصور أو باء والواو أصلية فى هذه اللفظة أدخلتها مع أخواتها لاقامة الشكل وتركت همزه ضرورة لانهم أجازوا ترك الهمز فيما يهمز ولم يجيزوا همز ما لا يهمز والو باء الحمى وقال صاحب كتاب العين الو باء الطاعون وأرض وبئة وموبئة وقد وبؤت وأوبأت ومن هذا الشكل من غير المعنى أوبأت وذلك انهم قد يبدلون الميم فى أومأت باء فيقولون أوبأت قال الفرزدق

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أو بأنا الى الناس وقفوا

ويقال فى هذه أيضا ومأ وأومأ وأوبأ كما تقدم وو بأ وقيل الايباء ايماء الى خلف وأنشد شاهدا على ومأ * وما كان الا موهنا بالحواجب * وصدره * فقلنا سلام فاتقت من أميرها * (فصل) * ومما يقرب من هذا الباب مما لا يتزن بأى يأى بأوا اذا افتخر وزهاوسيأتى مع نأى ينأى فى باب النون ومثل بأى ثأى بمعنى أفسد قال صاحب العين الثأى الافساد ومثله الثأى يقال فى الجراحات والقتل ونحوه وفى خرم الخرز يقال أثأيت خرز الاديم وهو أن تغلظ الاشفى وتدق السير فيسيل الماء (ومن مضاعف هذا الباب) البأباة هدير الفحل وبأبأت الرجل اذا قلت له بأبى أنت ومن العرب من يقول بأبا أنا ومنهم من يقول بينا وكذا جاء فى الحديث بهذا اللفظ ذكره البخارى وغيره وقال بعض العلماء أظنه المازرى فيه ثلاث لغات بأبا أنا وبينا وبيبا لين الهمزة وأبدل منها ياء قال الفراء من قال بينا توهم أنه اسم واحد فجعل آخره بمنزلة سكرى وغضبى قال الشاعر

ألا بيبا من لست أعرف غيره * ولو درت أبغى ذلك الشرق والغربا

وقالت امرأة * يابأبى أنت ويافوق البيب * وقال الشاعر

الثأى الاولى كالسعى والثانية كالثرى قوله البأباة صوابه بأبيه وزان قبقبه كما فى القاموس ولسان العرب

وصاحب ذى غمرة داجيته * بأبأته وان أبى فديته
* حتى أتى الحى وما آذيته *

والبؤبؤ الاصل يقال بؤبؤ الكرم والبؤبؤ أيضا السيد الظريف الخفيف ومن أسماء السيد أيضا البدء والذى يليه فى السود يقال له الثنيان قال الشاعر

ثنياننا ان أتاهم كان بدأهم * وبدؤهم ان أتانا كان ثنيانا

و يأتى من مقلوب وبأ وأب وقد تقدّم ذلك مع أوب و بأو (وأماتاء وثاء) فهما من حروف المعجم وسيأتى الكلام عليهما مع الهاء ان شاء الله وأقدّم هنا وثأ اذا جعلت الواو أصلية وهمزت الالف من غير تنوين مثل وجأ فيصير فعلا تقول منه وثأ فلان رجل فلان أو يده اذا أصابه بكسر أو نحوه وكذلك وثئت يده مثل فدعت وعثيت

خرجت من شئ الى غيره * من باب باء ثم تاء وثا
وكله علم ومن لم يكن * لديه علم نفسه قد وثا

(فصل) من الفوائد الزوائد تقدّم انى أريد أن تبوء باثمى واثمك نزلت فى هابيل وقابيل ابنى آدم عليه السلام وكان هابيل مؤمنا وقابيل كافرا وقيل كان عاصيا ولم يكن كافرا وروى انه حسد أخاه بسبب أخته التى ولدت معه فى بطن وأمر آدم أن يزوّجها من هابيل على ما كان يصنع من تزويج ذكر بطن من أنثى البطن الاخرى وقيل انه زوّجها من هابيل فحسده على ذلك فلما قرّبا القربان الذى وصفه الله تعالى وكان قربان هابيل كبشا فتقبله الله تعالى منه وحبسه عنده حتى أخرجه لابراهيم عليه السلام فداء لابنه وكان قربان قابيل زرعا فلم يتقبل وكان علامة تقبل الله القربان أن تأتى نار من السماء فتأكله فازداد قابيل حسدا لهابيل فقال له لأقتلنك فقال له أتقتلنى اذ لم يتقبل قربانك وانما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين انى أريد أن تبوء باثمى واثمك قيل معنى ارادته انه أراد الثواب بكف يده عمن يقتله فصار فى ذلك بمنزلة من يريد الاثم لاخيه مجازا وقيل لما كان لابدّ قاتلا أو مقتولا أراد أن يكون مقتولا ضرورة وليست بارادة محبة ولا شهوة وقيل المعنى اذا قتلتنى أردت ذلك لك لان الله أراده للقاتل ومعنى اثمى واثمك فيما روى عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما اثم قتلك اياى واثمك الذى كان منك قبل قتلى وقيل باثم قتلك اياى واثمك الذى لم يتقبل قربانك من أجله عن مجاهد وقيل قال ذلك لانه

لو بسط يده اليه لأثم فرأى انه اذا أمسك يده عنه رجع اثمه على صاحبه الذى بسط يده اليه وقال الحسن كان هذان اللذان أخبر الله عنهما من بنى اسرائيل وقال ابن عباس وابن عمر وغيرهما هما ابنا آدم لصلبه كما تقدّم قال مجاهد لم يدر كيف يقتله حتى علمه ابليس قال ابن عباس وابن مسعود وجده نائما فشدخ رأسه بحجر ولما قتله ندم على قتله فقعد يبكى عند رأسه اذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له فدفنه ففعل القاتل بأخيه كذلك ويروى انه حمله على عنقه سنة حتى بعث الله له غرابين يقتتلان كما تقدّم والسوأة يراد بها العورة وقيل يراد بها جيفة المقتول وجاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس الا كان على ابن آدم الاوّل كفل منها وفى رواية لانه أوّل من سن القتل وفى أخرى لا تقتل نفس ظلما * وتقدّم بؤ على نفسك بكذا أى اعترف وأقرّ به وجاء منه فى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة خرجه البخارى وفى الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ويقال باء بذنبه اذا احتملها كرها لا يستطيع دفعه عن نفسه كما باءت اليهود بغضب الله نعوذ بالله من غضبه وجميع سخطه وتقدّم ذكر الحمى والوباء وجاء من ذلك فى الحديث لما قدمنا المدينة نالنا وباء من وعك بها شديد والوعك اصابة المرض ومسه قال عليه السلام انى لأوعك كما يوعك رجلان منكم وقال له بعض أصحابه ذلك بأن لك أجرك مرّتين قال أجل أو كما قال عليه السلام وقالت عائشة رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر يقول اذا أخذته الحمى

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله وكان بلال يقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

شامة وطفيل جبلان بينهما وبين مكة عشرون ميلا ويروى وقفيل بالقاف وهذه

كلها مواضع بمكة وما يليها قاله البكرى وقال الخطابى كنت أحسبهما جبلين حتى وقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء ذكر ذلك فى كتاب الاعلام قلت ويحتمل أن يكونا عينين فى جبلين ولا يكون خلاف بين الخبرين والاذخر حشيش بمكة معروف والجليل الثمام وسيأتى فيه الكلام ومجنة موضع وقع فى النوادر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما سمع بلالا ينشد هذا البيت حننت يا ابن السوداء قلت انظر حنين بلال الى تلك الجبال ولم تزل الشعراء على قديم الزمن تذكر الحنين الى الوطن وقد تسلسل ذلك الامر وانجر الى هلم جرا هذا ابن ميادة يقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوادى الخزامى حيث ربينى أهلى

بلاد بها نيطت على تمائمى * وقطعن عنى حين أدركنى عقلى

وقال آخر

بلاد بها حل الشباب تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

وكان عامر بن فهيرة يقول

انى رأيت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة فاجاب الله دعاءه قال عليه الصلاة والسلام رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة فأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة وهى الجحفة خرجه البخارى وقال أبو طالب فى كتابه قوت القلوب لما جاءت الحمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذهبى الى أهل قباء وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى رجال يحبون أن يتطهروا أى بالامراض من الذنوب ولذلك سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه وفى خبر حمى يوم كفارة سنة قال لان حمى يوم تدخل فى جميع المفاصل وفى الانسان ثلثمائة وستون مفصلا عدد أيام السنة فله بكل مفصل كفارة يوم وبسبب هذه الدعوة يقال ان الطائر كان يمر بغدير خم فيسقم وغدير خم فيها وهو على ثلاثة اميال من الجحفة يسرة على الطريق ويقال ما ولد فيها مولود فبلغ الحلم فمن أجل ذلك لا تسكن وهى أرض نجعة والله أعلم ويقال ان مهيعة قريب من الجحفة والجحفة ميقات أهل الشام والمغرب وهى من جهة البحر بينها وبينه نحو من ستة اميال ويقال انما سميت بهذا الاسم لان الوباء اجتحفها ومن الحمى

حديث عائشة أخذتها حمى نافض فى حديث الافك وفى رواية أخرى قالت عائشة فارتكبنى صالب من الحمى قاله ثابت أيضا قال والصالب من الحمى مالا ينفض وقد يذكر ويؤنث قال الكسائى يقال صلبت عليه الحمى فهو مصلوب عليه وفى خبر عن عبد الرحمن بن حفص قال قدم رجل من بنى كلاب المدينة يكنى أبا حبال فنزل على أبى ومعه ابنه حبال فلم ينشب حبال أن وعك ثم مات فقام أبى لحاجته حتى اذا هممنا أن نواريه فى أكفانه قال أبوه لابى دعنى حتى أدخل فأسلم عليه فقال له أنت وذاك قال فدخل فأكب عليه فسمعناه يقول

فلولا حبال لم تخنى مطيتى * بأرض بها الحمى بوجه وصالب

وقائلة أردى وان حبه * بنفسى حبال من خليل وصاحب

فلم يزل يردّدها حتى هد أصوته فقال لنا أبى ادخلوا على الرجل فانى أراه قد مات فدخلنا عليه فوجدناه قد مات والامراض والعلل كفارة الذنوب والخطايا والحمى من جملتها وفيها حبس عن المعاصى وضعف عن ارتكابها ولا يبتلى الله بذلك الا من يحب كما روى عن الله تعالى انه قال الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس بذلك من أحب من خلقى وفى الحديث لا تزال الحمى بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة وقال بعضهم علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة ويقال سبب دعائه عليه الصلاة والسلام وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ان الجحفة اذ ذاك كانت لأهل الشرك ويقال انما قال ذلك عليه السلام لان الحمى كما قال حظ كل مؤمن من النار فلم يكن عليه السلام ليدعو أن تنقل الى أرض فارس والروم فلا تصيب أمته وهى حظهم من النار وفى الحديث بشرى ان شاء الله لمن أصابته الحمى من أمته فى الدنيا انها حظه من نار الآخرة ولذلك نهى عن سبها حين دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك ترفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبى الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد والرفزفة صوت المرتعد من البرد وقال فيها الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وجاء فى لفظ آخر الحمى رائد الموت وسجن الله فى الأرض فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوه عليكم فيما بين الصلاتين قال يعنى المغرب والعشاء خرجه ثابت بن قاسم فى الدلائل وقال فى تفسير سجن الله فى الأرض يريد انها تمنع من التقلب والتصرف كما يمنع المسجون قال وحدّثنا اسماعيل الأسدى قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى عاصم بن بهلول قال دخلت على شيخ

الاعراب له زهد وورع قد أحرضته العلة وهو يتقلب على فراشه وينظر فى وجوه اخوانه فقلت له كيف تجدك قال انظروا الى ّ ففى ّ معتبر أسير الله فى بلاده يتقلب على فراشه وينظر فى وجوه أحبته لا يستطيعون كشف كربته يريد النهوض فلا يستطيع وما عليه غل ولا قيد وأسير الملوك فى المطابق والحبوس وفى الأغلال والقيود وأنشد يقول

أسير الملوك له المطبق * ومن دونه رتج مغلق
واما هو انا بثقل الحديد وضرب السياط التى تحرق
وأما أسير مليك العباد * وان حازه الغرب والمشرق
ففى بيته وعلى فرشه * أسير وظاهره مطلق
يطيل التقلب فوق الفراش مخلى وباطنه موثق
ففى مثل هذا وفى شبهه * دليل على الله مستنطق

قوله فى أول بيت رتج فانه الباب المغلق ويقال له الرتاج وقالوا فلان فى كلامه رتج أى تتعتع وعى ّ وهو من قولهم رتج فلان وبكم اذا انقطع عن الكلام وكذلك أرتج على فلان اذا أراد قولا فلم يصل الى تمامه ويروى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه ثم قال الحمد لله ان أول كل مركب صعب وان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام قائل وان أعش تأتكم الخطبة على وجهها وتعلم الناس ان شاء الله ونوع من هذا أرتج على أمير يوم عيد الأضحى فسكت طويلا ثم قال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى ّ بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال وانى لا أجمع عليكم عيا ولوما من كانت له أضحية فليذبحها ومن لم تكن له فعلى ّ ثمنها قوموا رحمكم الله أو كما قال ومن أحسن ما قيل فى خطيب

ركوب المنابر وثابها * معز لخطبته مجهر
تريع اليه هوادى الكلام * اذا خطل الشر المهمر

هذان البيتان لابن بطحاء العدوى قالهما متمثلا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى معاوية رحمه الله فى حديث مدحه به قال فى آخره وكان والله كما قال ابن بطحاء العدوى وذكر البيتين (رجع) وقوله فى الحديث فأبردوها بالماء فأصلها من الحرارة فلذلك أمر بتبريدها بالماء ومنه الحمئة عين فيها ماء سخن يستشفى بها الأعلاء

والمرضى

والمرضى وفى الحديث العالم كالحمة يأتيها البعدى ويزهد فيها القربى ومنه الحميم القيظ والحميم المطر الذى يأتى فى شدة الحر والحميم العرق وسيأتى ذكره مع ماشاكله فى باب حم ان شاء الله والحميم أيضا الماء الحار والحميمة مثله وفى البخارى وتوضأ عمر بحميم ومنه قول أبى هريرة لابن عباس رضى الله عنهما حين ذكر له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوضوء مما مست النار فقال له ابن عباس أتوضأ من الدهن أتوضأ من الحميم يريد الماء السخن فقال له أبو هريرة يا ابن أخى اذا سمعت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تضرب له الأمثال ومنه الحمام أيضا والحميم العرق وقد استحم اذا عرق ويقال لمن دخل الحمام طاب حميمك أى عرقك لان الصحيح يطيب عرقه وقيل للصديق حميم كما قال الله تعالى ولا صديق حميم قال أهل التأويل الحميم من الناس الخالص ومنه حامة الرجل كأنهم الذين يحرقهم ما أحرقه مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار ومنه حمة العقرب والزنبور يعنى حرارة لدغهما والله أعلم وأما قوله تعالى ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم فان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان خرجه الترمذى فى الصحيح والحموم الدخان ويأتى فى باب الحاء طرف من هذا الكلام ان شاء الله تعالى

(فصل فيما تقدم من اللغات فى فصل الفوائد) تقدم فى بيت ابن ميادة حيث ربينى أهلى يقال ربيت الصبى وربيته تربية وربيت الأمر أربه ربا اذا أصلحته قال الشاعر

يربون بالمعروف معروف من مضى * وليس عليهم دون معروفهم قفل

ومنه قولهم ربيت الزق أصلحته بالرب والأصل فى هذه اللفظة الزيادة والاتمام تقول ربيت النعمة عند فلان تممتها وزدت فيها ومنه ربيت الصبى كما تقدم والربيب ولد المرأة وكان عمر بن سلمة وأخته زينب ربيبا النبى صلى الله عليه وسلم أمهما أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم والربيبة الحاضنة والربيبة أيضا الجارية فى الخدر وقالوا فلانة ربة بيت والربة أيضا العنزى وكانت تسمى ثقيف الربة وسيأتى حديثها والراب زوج الأم والربى الشاة التى تربى ولدها ذكره مالك فى الموطأ وهى الحديثة الوضع وجمعها اربات والرباب اسم امرأة والرباب أيضا العود الذى يغنى به

والرباب السحاب والربابة بالكسر خرقة تجعل فيها القداح والربرب القطيع من بقر الوحش والرب الله تعالى ذو الربوبية والرب المالك والرب المربي وسيأتي في آخر الكتاب تفسير قوله تعالى اذهب أنت وربك انه هارون لأنه ربي موسى عليهما السلام ورب ورباه وربتما كلمة يراد بها التقليل وقد جاء انه يراد بها التكثير

(فصل) الميم في مهيعة زائدة والهاء للتأنيث كما يقال أرض قفر فاذا أردت منزلة أو محلة قلت قفرة والأرض المهيعة الواسعة المنبسطة والطريق المهيع مفعل من التهيع وهو الانبساط ومن قال فعيل فقد أخطأ لانه ليس من كلام العرب فعيل الا وصدره مكسور مثل عثير وحذيم قاله ثابت رحمه الله *(فصل)* آخر في قوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم يقال فاحت القدر تفيح اذا غلت وفاحت الشجة اذا نفحت بالدم *قلت ومعلوم ان الشجة والدم رائحتهما وبيلة قبيحة ألم تر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في رائحة دم المقتول في سبيل الله كيف يأتي يوم القيامة كما قال اللون لون دم والريح ريح مسك فلولا أن رائحة الدم عندنا في الدنيا كريهة لما كانت في الآخرة محمودة كرائحة المسك كما قال في مثل هذا لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فاذا كما يقال فاح الطيب فوحا بالواو يقال في ضده فيحا بالياء والله أعلم

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وفيه قد أتتك لغات شتى
فخذ هذا وذا واشدد عليه * يديك بنى واقبل ما تأتى
وها أنا ذا أعود أفي بشرطي * وأكتب بعد ذا أبا وأتا

مقلوب البيت حرف بين ألفين

وأبا وأتا وأثا وآبا * وأبا وأنا وبل وبل

(أما أبا وأتا وأثا) فصادر ألفاظ البيت الاول (وأما آبا) فجمع أب جمع التكسير وهو مهموز ممدود وان ترك همزه فللضرورة كما تقدم وقد تقدم جمعه وتثنيته سالمين ويأتي منه فعل الرجل الآبي تقول أنا آبى هذا الأمر أي أكرهه ويأتي منه أباء فعال للكثير الاباء قال كعب بن الأشرف

رب خال لي لو أبصرته * سبط المشية أباء أنف

يقال من فعله أبيت الشئ آباه اباء ورجل أبي من قوم أباة وقد تقدم قول الزبير رضي الله عنه

ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

ويقال للرجل يأبى قبول الشئ وماهذا الأباء بالضم وأما الأباء بالفتح مقصور فداء يأخذ المعز فى رؤسها فلا تسلم وقد أبيت أباء شديدا وعنز أبية وأبوء قاله صاحب العين وأنشد ابن دريد فى قصيدته التى جمع فيها بين المقصور والممدود

وكأنهم معز الأبا * أو كالحطام من الإبا

كذا قرأتها على الدينارجى رحمه الله بسنده فيها الى ابن دريد وقال فى شرح البيت الأبا المفتوح الاول مقصور وهو داء يأخذ المعز فى رؤسها اذا شمت بول الأروى ولا يكاد يكون ذلك فى الضأن ويكتب بالألف لان أصله الواو يقال عنز أبوأ وتيس أباء بين الابا والاباء أطراف القصب وقال الاصمعى الاباءة القصبة والاباءة الأكمة انتهى كلامه والشرح ليس من رواية العثمانى وقال غيره الاباءة الاجمة التى فيها الاسد وكذلك الغيل والخدر والعرين والعريسة وينشد فى الاباء الذى هو القصب قول كعب بن مالك

من سره ضرب يعمع بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق

وقد قيل فى هذا انه البردى قاله ابن السيد واحدته أباءة كما تقدم قال ابن جنى الهمزة الاخيرة فيه بدل من ياء هو عنده من الاباية كان القصب يأبى على من أراده بمضغ أو نحوه كما قال الشاعر

يراه الناس أخضر من بعيد * وتمنعه المرارة والاباء

والمعمعة صوت النار فيما عظم وكثف من الشجر أو القصب أو نحوهما والسكعبة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه والغطغطة صوت الغليان وكذلك الغرغرة تقول أبأت الرجل منزلا كما تقول بوأته أنزلته فيه فتبوأه وأبأت عليه ماله أرحته عليه وأبأت بفلان قاتله قتلته به وقد تقدم وكذلك أبا بأبى اباية ومن هذا قولهم أبيت اللعن كما قال النابغة * أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى * البيت معناه انك كرهت ان تأتى ما تلعن عليه وأما آتى فمعناه أعطى من قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوى القربى الآية تقول منه آتى يؤتى فهو مؤت اسم فاعل كما قال تعالى ويؤتون الزكاة واسم المفعول مؤتى مثل معطى ويجىء مؤتى على وزن مفعل بمعنى مهيا ويجىء آتى اذا مددت الهمزة بمعنى أفعل ومن ذلك قول أبى جهل فى يوم بدر حين دنوا للقتال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان هو

أصوات النار

أتى

المستفتح * ومما لم يتزن سوى ماذ كر قبل هذا أتى مقصور يأتى فهو آت وفى القرآن من هذا أتى أمر الله قيل معناه يأتى كقولك ان أكرمتنى أكرمتك تقول منه أتى يأتى أتيا واتيانا جاء قال الشاعر * فاحتل لنفسك قبل أتى العسكر *

وتقول أتوته آتوه لغة فيه ومنه قول خالد بن زهير

ياقوم مالى وأبى ذؤيب * كنت اذا أتوته من غيب

وتقول ما أحسن أتو يدى هذه الناقة وأتى أيضا أى رجع يديها فى السير والاتاوة الخراج تقول منه أتوته آتوه أتوا واتاوة قال الشاعر

فى كل أسواق العراق اتاوة * وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم

وتقول آتيته على هذا الامر مؤاتاة والعامة تقول واتيته وتقول أتى البعير أتوا استقام وأسرع وأتت الماشية اتاء نمت وزرع لا اتاء له أى لا نماء والاتاء أيضا الغلة وحمل النخل تقول منه أتت النخلة تأتو أتاء وأنشد

هنالك لا أبالى نخل بعل * ولا سقى وان عظم الاتاء

والمؤاتاة المطاوعة وتأتى له الامر طاع له وقد أتاه الله تأتية وأتيت الماء تأتية وتأتيا اى سهلت سبيله ليخرج الى موضع والأتى السيل لا يدرى من حيث أتى ورجل أتى وأتاوى غريب وجاء فى الحديث ذكر الأتى مفسرا كان فينا رجل أتى لا يدرى ممن هو يقال له تزمان الحديث ومنه حديث عثمان رضى الله عنه حين أرسل سليط بن سليط وعبد الرحمن بن عتاب الى عبد الله بن سلام فقال ائتياه فتنكرا وقولا له انا رجلان أتاويان وقد صنع الناس ما ترى الحديث وقال أبو عبيد وذكر هذا الحديث أما الحديث فيروى بالضم وكلام العرب بالفتح يعنى الهمزة من أتاوى والأتى أيضا ما وقع فى النهر من خشب أو ورق والجمع أتى وآتاء ومن هذا الشكل أثى مقصور مثل أتى تقول أثا به يأثو ويأثى اثاوة واثاية سعى عليه ونم به ومنه حديث ضبة بن محصن قال انطلقت آثى على أبى موسى عند عمر بن الخطاب ذكره ثابت قال وقال أبو عبيد أثوت بالرجل وأثيت وثئت به وتقول أثأته بسهم اثاءة رميته وهذا مهموز ويشبه أثوت وأثيت * وأما آت اسم الفاعل وهو الذى وعدت بذكره فقوله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وان الساعة لآتية وان أجل الله لآت واسم المفعول منه مأتى وفى القرآن العزيز انه كان وعده مأتيا قال المهدوى مأتى مفعول من الاتيان وكل ما وصل اليك

أثى

فقد وصلت اليه وقال القتيبي هو مفعول بمعنى فاعل وكذلك قال غيره أى آتيا كما قال حجابا مستورا أى ساترا ويجمع بين القولين ما تقدم من أن ما اتاك من أمر الله فقد أتيته أنت وتقول أتيت الامر من مأتاته أى من مأتاه أى من وجهه الذى يؤتى منه قال الشاعر

وحاجة كنت على صماتها * أتيتها وحدى من مأتاتها

وجاء فى الحديث ما كان فى طريق ميتاء قال أبو عبيد الميتا الطريق العامرة المسلوك عليها (فصل) من الفوائد الزوائد تقدّم أبيت ومنه قول أبى هريرة رضى الله عنه وقد سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون فقيل لابى هريرة رواية أربعون يوما قال أبيت قيل أربعون شهرا قال أبيت قيل أربعون سنة قال أبيت أى كرهت ان أحدّ فى ذلك وقتا اذ لم يحدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الحدّ مبهما رضى الله عنه والله أعلم بما أراد رسوله عليه السلام من ذلك وتقدّم مؤتى ومن ذلك قول الاقرع بن حابس حين فاخر هو وقومه بنو تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه حسان بن ثابت بشعر وهو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع ذلك الاقرع وقومه قال ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أحسن من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا انظره فى السير وتقدّم أتى أمر الله واخبار الله فى الماضى والمستقبل سواء وأمر الله عقابه لمن أقام على الشرك به وتكذيب رسوله عليه الصلاة والسلام وقيل أمره ما جاء به القرآن من فرائضه وأحكامه وقيل أمره نصره وقيل هو القيامة وقيل المعنى أتت أشراط الساعة وما يدل على قربها وقيل هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم كقوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور ذكر ذلك المهدوى وتقدّم أتى بمعنى جاء وآتى بمعنى أعطى وفى القرآن العزيز ما يقرأ بالوجهين ويكون بالمعنيين من ذلك قوله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها يعنى جئنا وقد قرئ آتينا بمعنى أعطينا يعنى جازينا بها وكذلك قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة بمعنى يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة أى خائفة وفى الآية تخويف شديد لهذه الامة وذلك ان عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزنى ويسرق أو يشرب الخمر فقال لا يا ابنة

آتى

XXI.48

الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه ذكره
أبو جعفر النحاس وقال هكذا روى ومعناه يعطون ولكن المعروف من قراءة ابن
عباس والذين يؤتون ما أتوا بالقصر وهي القراءة المروية عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا ومثل ما تقدم قوله تعالى
ولو سئلوا الفتنة لآتوها يقرأ بالقصر بمعنى لجاؤها وبالمد بمعنى أعطوها وفي
الرقائق عن الحسن والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم
وجلة قال يعملون من أعمال البر وهم يحسبون انه لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم
وتقدم الميتاء ومنه حديثه عليه السلام انه بكى على ابنه ابراهيم عليه السلام وقال انه
لولا وعد حق وقول صدق وطريق ميتاء لحزنا عليك يا ابراهيم أشد من حزننا وفي
هذا الحديث رخصة في البكاء ما لم يكن صوت ولا كلام قبيح كما قال عليه السلام
اذ بكى تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون
أو كما قال عليه السلام والفرح والحزن حالان يجعلهما الله في العبد لا يقدر
أن يدفعهما عن نفسه فليس عليه في ذلك اثم الا ان يتكلم بمحظور فحينئذ يتعلق به
الوزر من أجل الكلام ألا ترى الى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ يقول
اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينت لنا اللهم اني أسألك ان أنفقه في حقه
خرجه البخاري وكذلك فسر قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم يريد الفرح الذي يكون معه الاشر والبطر بدليل قوله في آخر الآية
والله لا يحب كل مختال فخور وكذلك الأسى على ما فات يريد الحزن الذي يكون معه
الضجر والنطق بالفحش والله أعلم وذكر البخاري رحمه الله أيضا عن علقمة بن أبي
وقاص ان مروان قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ
فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس
وما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب فسألهم
عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه
فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق
الذين أوتوا الكتاب كذلك حتى اتى الى قوله يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا * وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن ويبكي كما تقدم في الخبر
عند موت ابنه ابراهيم وكذلك بكى اذ عاد سعد بن عبادة فلما رأى القوم بكاءه بكوا

xxiii. 62

فقال ألا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا واشار الى لسانه أو يرحم وقد أرسلت اليه احدى بناته تخبره ان ابنا لها فى الموت وأقسمت عليه فى ان يأتيها فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقام سعد بن عبادة ومعاذ ابن جبل واسامة بن زيد فرفع اليه الصبى ونفسه تقعقع كأنها فى شنة ففاضت عيناه فقال له سعد بن عبادة ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء وخرج النسائى عن أبى هريرة قال مات ميت من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع النساء يبكين فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر فان العين دامعة والفؤاد مصاب والعهد قريب وخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه الحزن وذكر الحديث وفى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها قالت أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبر سعد بن معاذ وان الدموع تجرى على وجنتيه وهو قابض على لحيته وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد غمه مسح يده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء وقال حسبى الله ونعم الوكيل فيعرف بذلك شدة غمه صلى الله عليه وسلم وفى الرسول عليه الصلاة والسلام أسوة كيف لا وهو القدوة صلى الله عليه وسلم وعلى آله وفى هذا كفاية وسيأتى نوع من هذا الكلام فى باب الواو ان شاء الله

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى باب وناب
وثاب وتاب تاب الله ربى * على من تاب فى هذا منابى

مقلوب البيت ألف بين حرفين

وباب وثاب وناب وتاب * وثاب وبات وتل وتل

وذا البيت استعرت النون فيه * وما فى ذلكم يا قوم عار
واذ جاءت فأعملها بجهدى * أحق الخيل بالركض المعار

وقد كنت وجدت لباب وأخواته من الكلام ألفه وأؤخر النون الى بابه فأسوقه وحرفه ولكن لأمر ما جدع قصير أنفه كنت أسوق عوض ناب وتاب لفظة نات اسم فاعل نتا ولفظة وثاب اسم الفراش ووثاب أيضا مصدر وثب نعم وثم وثاب اسم مشهور الا انه لا يتزن وستأتيك فيه حكاية ظريفة مع الوثاب المصدر مع الوثاب الذى

هو الفراش المذكور ير لكن رأيت كما قال ان من العلم فى النون شتى فنون حسبما
باب تراه مفسرا بعد دام لنا ولك السعد * أما باب فهو المدخل الى الشئ ومنه يكتب
باب كذا وهو الثقب المنفتح فى الحائط وألفه منقلبة عن واو لانك تقول بوّبت بابا
وتجمعه على أبواب فتظهر الواو وتجمعه على أبوبة أيضا لكن للازدواج كما قال
هتالك أخيبة ولاج أبوبة * يخالط البرّ منه الجدّ واللينا
وأما الذى يسدّ به فهو مصراع وجمعه مصاريع ويقال له أيضا خلف وقد يسمى
الكل بابا اتساعا على ما يأتى ان شاء الله والباب عند أهل المساحة والذرع قصبة
طولها ستة أذرع بالذراع الهاشمى التى هى اثنان وثلاثون اصبعا والأشل عندهم
عشرة أبواب وأشل فى أشل عندهم جريب ذكره ابن السيد والباب أيضا اسم بلد
مشهور ويقال فيه أيضا باب الابواب واليه ينسب الفقيه أبو القاسم بن ابراهيم
الورّاق المعروف بالبابى وهو ممن شرح الشهاب * وستمرّ له احاديث من تفسيره
فى هذا الكتاب ان شاء الله وباب أيضا اسم والد رجل من الخوارج وفيه يقول الشاعر
برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب
قال ابن يزيد ليس من الخوارج ولكنه معتزلى واسمه عمرو بن عبيد بن باب وهو
مولى بنى العدوية ويقال من الباب تبوّبته بوابا وهى البوابة وقد جاء باب يبوب
والبوّاب الحاجب ويقال للبوّاب أيضا الترّاع والترعة الباب وبه فسر قول النبىّ
صلى الله عليه وسلم ان منبرى على ترعة من ترع الجنة ويقال الترعة الروضة * وأما
ناب فواحد الانياب وهى التى تلى الرباعيات فى الفم الى جهة الشدقين ويجمع
أيضا نيوب قال الشاعر * جئت وقومى يصرفون نيوبهم * البيت يصرفون
من الصريف وهو صوت حك الاسنان بعضها ببعض من الحنق كما قال النابغة
* له صريف صريف القعو بالمسد * والناب أيضا سيد القوم قاله صاحب العين
ووقع فى السير فى قصة ثقيف يخرج ناب القوم وصاحب أمرهم فخرج عبد يالبل
والناب أيضا الناقة المسنة قال الراجز * ليس بأنياب ولا حقائق * والحقائق
جمع حقة وهى الناقة الفتية التى قد استحقت أن يطرقها الفحل ويحمل عليها
الحمل ويجمع الناب أيضا نيب قال الشاعر
تعدّون عقر النيب أفضل مجدكم * بنى ضوطرى لولا الكمىّ المقنعا
وقوله بنى ضوطرى هو كقولهم بنو الغبراء وبنو كهية وبنو جدرة كل ذلك اسم

لمن

لمن يسب وعبارة عن السفلة قال الشاعر * أولاد درزة أسلموك وطاروا *
قيل هذا فى زيد بن على بن الحسين حين قتل رحمه الله وصدر البيت

ياباحسين لو سراة عصابة * صحبوك كان لوردهم اصدار
ياباحسين والجديد الى بلى * أولاد درزة أسلموك وطاروا

وقال حسان فى الكهبة * بنى كهبة ان الحرب قد لفحت * وهو مشتق من الكهبة وهى الغبرة ولذلك يقال للفقراء بنو غبراء ويقال ذلك أيضا للصوص ومن الناب ما أنشد ثابت فى الدلائل

وناب همة لا خير فيها * مشرّمة الاشاعر بالمدار

وفسر الهمة بالهرمة وقال يقال شيخ هم وأشياخ أهمام وامرأة همة ونسوة همات وهمائم وناقة همة أيضا وذكر الخطابى رحمه الله من حديث أبى الاسود رضى الله عنه أن اعرابيا وقف عليه وهو يأكل تمرا فقال شيخهم غابر ماضين ووافد محتاجين أكلنى الفقر وردّنى الدهر ضعيفا مسيفا فناوله تمرة فضرب بها وجهه وقال جعلها الله حظك من عنده وفسر قوله مسيفا من أساف الرجل اذا ذهب ماله وأصله من السواف وهو داء يصيب الابل فيهلكها مضمومة السين مثل القلاب والكباد وقال أبو عمرو الشيبانى هو السواف بفتح السين قال وجاء هذا شاذا خارجا عن قياس أخواته وقد تقدّم فى أوّل هذا الباب حديث الاصمعى وقول الاعرابى ووصف كيف أفنى الدهر اخوته فقال حتى أساف رجاليه وأهلك ماليه * ومن الناب أيضا قول الشاعر

ألم تر أن الناب تحلب علبة * ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر

فالناب كما تقدّم الناقة المسنة والثلب الجمل المسن وهو العود أيضا وجمعه عودة عود وعيدة وعود البعير اذا أسن وأنشد * ياأيها العود المسن الأثيل * والأثيل العظيم الثيل وهو وعاء قضيب الجمل وكان لابىّ بن خلف لعنه الله فرس يسمى العود أنظره فى غزوة أحد من السير ومن أمثالهم زاحم بعود أودع أى استعن فى حربك بأهل السن والمعرفة فان رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ومن أمثالهم أيضا عود بعلم العنج والعود أيضا مصدر عاد يعود عودا قال الشاعر

جزينا بنى شيبان أمس بقرضهم * وجئنا بمثل البدء والعود أحمد

وقالوا رجع عوده على بدئه ومن عاد اشتق العيد لانه من عاد يعود لانه يأتى لوقت معلوم كأنه يعود اليهم أو يعودون اليه كما قال الشاعر

* كما يعود العيد نصرانى * وكان القياس أن يقال فى مصدره عود الا أنهم لم يقولوا الا عيدا فلما انكسرت العين تحولت الواو ياء لكسرة العين وصغروه عييد وتركوه على التغير وكذا جمعوه على التغير فقالوا أعياد وحسن الجمع على هذه الصفة فرقا بينه وبين أعواد جمع عود وكذلك كل شئ هاج لوقت فهو عيد كما قال ذو الرمة فى ذلك

مازلت منذ نأت مى لطيتها * يعتادنى من هواها بعدها عيد

وقال آخر * عاد قلبى من الطويلة عيد * وقد جمعوا عيدا عيدات خرجه ثابت فى حديث مكحول رضى الله عنه انه سئل عن ذبائح عيدات أهل الكتاب والمزينات لكنائسهم فتلا هذه الآية اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال طعامهم ذبائحهم وقال سئل القاسم بن مخيمرة عن ذبائح أهل الكتاب والمزينات لكنائسهم فقال كل * والعود أيضا الطريق القديم قال الشاعر * عود على عود لأقوام أول * أى بعير مسن على طريق قديم يعنى أنه محمود وربما قالوا سود دعود أى قديم قال الطرماح

هل المجد الا السودد العود والندى * ورأب الثأى والصبر عند المواطن

والعود الرجل الكبير وأنشد لشيخ يرقص ولده * يالك من فرخ كبير عود * قد فكنى من مالك وزيد * فلك الاسير من كبول القيد * وكانا ابنى أخيه وكانا ينتظران موته ولا وارث له غيرهما حتى ولد له هذا المولود فقال هذا الرجز * والعود العنزا لهرم يقال عوذ تعويدا وعاد يعود عودا والانثى عودة ذكر ذلك ثابت رحمه الله وساق حديث جابر وأراد أن يذبح للنبى صلى الله عليه وسلم فقمت الى عنزلى لأذبحها فثغت فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم ثغوتها قال يا جابر لا تقطع درا ولا نسلا قلت يا رسول الله انما هى عودة علفناها الرطب والبلح حتى سمنت * والعود أيضا العائد مصدر عاد على أهله بخير يعود عودا وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التى اذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول والله لا أذوق غمضا حتى ترضى والعود بالضم كل شجرة دقت أو غلظت والعود أيضا خشبة يدخن بها (ومقلوبه) دعوت الرجل نادبته والدعوة من الدعاء والدعوة بالكسر فى النسب ومقلوبه أيضا وعدوعدا وعدة ووعدته خيرا

وشرا

وشرا وأوعدته فى الشر خاصة والوعيد التهدد (ومقلوبه) أيضا عدو يقال للواحد والاثنين والجمع والمذكر والانثى وجمعه أعداء وأعادى وعدا وعدا وعداة ومن شكله عدو مصدر عدا يعدو عدوا وعدوا اذا أحضر والعدو والعداء الطلق والعدو والعدواء العدوان * (فصل ومعكوس ناب) * بان اسم فاعل من البنيان وتقول أيضا بان الشئ يبين بينونة وبينونا انقطع والبين الفرقة والبين الوصل ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم على قراءة الجماعة غير نافع والكسائى وحفص أى وصلكم الذى كان يواصل به بعضكم بعضا على عبادة الاوثان ومن قرأ بينكم بالنصب فالمعنى لقد تقطع ما بينكم يروى انها نزلت فى النضر بن الحارث وضل عنكم ما كنتم تزعمون أنها تشفع لكم والبين بكسر الباء قطعة من الارض بقدر منتهى البصر والجمع بيون والبين أيضا الناحية عن أبى عمرو ومن شكله تين لهذا الذى يأكل الناس وتين للدواب وتين فطن وثين تقول ثبنت الثوب اذا ثنيت طرفه وخطته وثنت اللحم مثل نثت أنتن وثنن جمع ثنة ويقال بان الشئ وأبان وبين اذا استبان ورجل بين فصيح والبانة الشجرة وجمعها بانات ومنه دهن البان (ومن مقلوبه) بناء وألفه منقلبة عن ياء تقول بنى يبنى بناء والبنى جمع البنية ومنه قول الشاعر

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدّوا

وهذا البيت هو الذى سأل عنه حماد بن سلمة الاصمعى كيف تنشده فأنشده الاصمعى البنا بكسر الباء فقال له انظر جيدا قال فنظرت فقلت لا أعرف الا هذا فقال يا بنىّ القوم انما بنوا المكارم ولم يبنوا باللبن والطين قال فلم أزل هائبا لحماد ابن سلمة والبنية الكعبة شرفها الله ومنه قول عمر رضى الله عنه أسألك برب هذه البنية (ومن مقلوبه) ابن وهو الولد وولد الولد وولد البنت قال النبى عليه الصلاة والسلام فى الحسن ان ابنى هذا سيد ولد على بن أبى طالب وأمه فاطمة رضى الله عنها وقد تقدّم يقال منه تبنيت فلانا ادعيت بنوّته والنسبة اليه بنوى وان شئت أبناوى مثل أعرابى والبوانى أضلاع الزور والزور الصدر وسيأتى ويقال بنى يبنى اذا أريد التكثير قال الشاعر

ألم ترجوشنا أضحى يبنى * حصونا نفعها لبنى بقيلة

ومن ذلك ابن بين البنوّة وتصغيره بنىّ وتناديه فتقول يا بنىّ ويا بنىّ مثل يا أبت ويا أبت وتجمعه بنون وأبناء وتصغير ابن أبين وان شئت أبينون قال

بان

٧١٠٩٦

ابن

من بك لاساءة فقد ساءنى * ترك أبينيك الى غير راع

أبن ويقال ابن وابنم قال * ولم يحم أنفا غير عرس ولا ابنم * ومن مقلوبه أبن أمر من أبان يبين وابن بأهلك أمر من البناء الذى هو النكاح وأصله ان الرجل اذا أراد الدخول الى أهله ضربت عليهما قبة فقيل لكل داخل على أهله بان ويكون أيضا أمرا من البنيان ومن هذا اللفظ أبن فلان فلانا يأبنه أبنا رماه بالقبيح ومنه فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشيروا على فى اناس أبنوا أهلى ويروى وأبنوهم بمن لا أعلم عليه الا خيرا التأبين ذكر الشئ وتتبعه ويروى أبنوا على أهلى ومعناه قذفوها وذكروها بالقبيح ومنه رجل مأبون قال الاصمعى اذا كان فى القوس مخرج غصن فهو أبنة ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال هى الارض المستوية ليس فيها أبنة والأبنة هنا ما نشز من الارض ومن الشكل جمع الابنة أبن قال الشاعر * وأرزات ليس فيهن أبن * ويقال بينهم ابن أى عداوات والابنة أيضا العيب والتأبين مدح الميت وعد محاسنه ومن شكله

أتن أتن بالمكان أى أقام أتونا ويقال فيه وتن بالواو ويتن وتنا بمعنى ثبت وهما سواء وفى الموطأ من هذا العين الواتنة وهى ذات الماء العذب الذى لا ينقطع ومن شكله أتن جمع أتان وهى الانثى من الحمير وفى الحديث منه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أقبلت راكبا على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام وفيه فأرسلت الاتان ترتع والمأتونا الاتن مثل المعيورا من العير واستأتن الرجل اشترى أتانا واتخذها لنفسه وقولهم كان حمارا فاستأتن أى صار أتانا يضرب مثلا للرجل يهون بعد العز والأتون بالتشديد موقد النار وبالثاء أثن على زيد وبالباء أبن زيد (ويأتى من معكوس هذا وشكله نثا ونثا وبتا وبثا ونثا الحديث أفشاه وفى حديث أم زرع ولا تنث حديثنا تنثيثا فى احدى الروايات ونتا ينتو اذا ارتفع وتباطبق من خوص ويقال مائدة من حلفاء وبتا بالمكان بتوا وبتوا أقام به وبثا بثلاث نقط أرض سهلة ويقال

نبا هى أرض بعينها من بلاد سليم قاله صاحب التاج (ومن مقلوبه) نبا بمعنى ارتفع ألفه منقلبة عن واو يقال نبا ينبو نبوا ويقال نبا السيف عن الضريبة نبوة وفى صفة قدمى النبى صلى الله عليه وسلم ينبو عنهما الماء ونبا به منزله لم يوافقه والنبو الارتفاع قال

مالعينى كحلت بالسهاد * ولجنبى نبا عن وسادى

والنبى بغير همز ما نبو من الارض أى يرتفع قال الشاعر

لأصبح رثما دقاق الحصى * مكان النبيّ من الكاثب

قال البكري هذا البيت لاوس بن حجر والكاثب جبل معروف في ديار بني تغلب وقد أشكل على اعراب هذا البيت ومعناه لانه يروى مكان بالرفع ومكان بالنصب حتى وجدته في تاج اللغة انه قاله يرثي به فضالة بن كلدة وقبله

على السيد الصعب لو أنه * يقوم على ذروة الصاقب

لأصبح البيت وقال الكاثب جبل وحوله رواب يقال لها النبي الواحد ناب مثل غاز وغزى يقول لو قام فضالة على الصاقب وهو جبل يذلله لتسهل له حتى يصير كالرمل الذي في الكاثب وقيل يقوم بمعنى يقاوم وقيل الكاثب اسم قنة في الصاقب ورأيته في عدّة كتب رثما بالثاء باثنتين وفي الدلائل رثما بالثاء المثلثة وفسره المرثوم المكسور وقال في التاج في البيت رثما بالثاء باثنتين قال ويقال رثمت الشيء رثما كسرته ثم قال يقال بالثاء والثاء وقال الرثم المرثوم والرثم ضرب من الشجر وأنشد

نظرت والعين مبينة الهم * الى سنا نار وقودها الرثم

واحدها رثمة والرثمة باسكان الثاء خيط يشدّ في الاصبع تستذكر به الحاجة وهي الرتيمة أيضا وقال أبو زيد يقال منه أرثمت الرجل ارثاما وخرج ابن شاهين رحمه الله في الناسخ والمنسوخ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حرك خاتمه أو عمامته أو علق خيطا في اصبعه ليذكره بما فيه فقد أشرك بالله عز وجل ان الله تعالى هو يذكر الحاجات ثم ذكر الخلاف في ذلك عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في اصبعه خيطا ثم قال انما هذه الاحاديث منكرة ومن غير هذا الكتاب في الرثم قول بعض الشعراء يعزى لبعض الكبراء

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نبع ولا يعبأن بالرثم

ومن شكل نبا نبأ بالهمز قال تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين يعني القرآن وما فيه من الاخبار وقيل بعد الموت وقيل يوم بدر وقيل يوم القيامة وأصل نبأ أخبر كما تقول أنبأني وأخبرني وحدّثني ومنه قوله تعالى فلما نبأت به ومن أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ومنه اشتقاق النبيء بالهمز ثم يسهل تخفيفا كما تقدّم فقوله تعالى عن النبأ العظيم قيل القرآن وقيل البعث لان الكفار كان فيهم من يؤمن به ومنهم من يكذب وقيل الاختلاف هنا بين المؤمنين والمشركين قال سيبويه كل العرب

رثيمة

مبحث النبأ واشتقاق النبي

تركوا الهمز فى النبى يعنى الرسول والذرّية والبرية والخابية الا أهل مكة فانهم يهمزونها وخالفوا فيها جميع العرب كانت نبيئة مسيلمة نبيئة سوء على وزن نبيعة وقال أبو جعفر النحاس فى كتاب المعانى له رحمه الله فى قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق من همز نبيئا اشتقه من أنبأ ونبأ أى أخبر عن الله عز وجل ومن لم يهمز اشتقه من نبا أى ارتفع ويجوز أن يكون من الاوّل وخفف الهمز وقال الكسائى يقال للطريق كما قال * نبى لما ورد نبيا * قال فنبى أصله من النبوة مثل النجوة ويراد أنه علم وطريق الى الحق ثم أورد حديثا مسندا قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا نبىء الله وهمز فقال صلى الله عليه وسلم لست بنبىء الله وهمز ولكنى نبى الله ثم قال وهذا الاسناد ليس بجيد ولكن القياس يوجب ترك الهمز لان اكثر استعمالهم فى جمعه المكسر أنبياء فصار كغنىّ وأغنياء وقد يقال نبآء والواحد منه مهموز لانه مثل ظريف وظرفاء هذا نص الكتاب وعليه طرة نصها هذا الحديث لا يصح لانه لو لم يكن مهموزا لم ينتف النبى صلى الله عليه وسلم من النبوّة بخطأ الذى همز ولما كان للعباس بن مرداس أن يمدحه بما ينتفى منه وقد قال

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداكا
ان الاله ثنى عليك محبة * فى خلقه ومحمدا سماكا

وهذا الجمع لا يجمع الا فى المهموز لان فعيلا على وجهين معتل وسالم فالمعتل يجمع على أفعلاء كغنىّ وأغنياء وولىّ وأولياء ويجمع السالم على فعلاء مثل ظريف وظرفاء وكريم وكرماء ونبىء ونبآء لأن نبيئا اذا كان مهموزا فليس بمعتل ولهذا جمعه العباس على فعلاء واذا جمع على أنبياء فهو مأخوذ من غير ذوات الهمز وبالله التوفيق ونبأ أيضا اسم جارية كانت لابى سلمة الكلابى ولها خبر سيأتى ان شاء الله (ومن شكله) ثبا قال الاصمعى ثبيت على الشئ تثبية دمت عليه وقال أبو عمرو التثبية الثناء على الرجل فى حياته ومن شكله ثبا الثباء سويق المقل ومن شكله ثناء الثناء مفتوح الثاء ممدود دا معلوم والثنى مقصور مكسور تثنية الامر مرّتين وفى الحديث لا ثنى فى الصدقة أى لا تؤخذ فى السنة مرّتين ومنه قول الشاعر

ثبا

* لعمرى لقد كانت ملامتها ثنى * ومن شكله ثنا الحديث أفشاه والثنا مقصور مثل الثناء الممدود الا أن الممدود فى الخير خاصة والمقصور فى الخير والشرّ جميعا (ومن شكله) ثنا والثوآء الانتفاخ والارتفاع والثواتيون الملاحون والثنا

مقصور

مقصورا أيضا الشريف ويقال له أيضا الثنيان وهو دون البدء والبدء السيد وأنشد

ترى ثنانا اذا ماجاء بدؤهم * وبدؤهم ان أتانا كان ثنيانا

وسمى بدأ لانه يبدأ به والثنيان لانه يثنى به وقيل لانه تثنى عليه الخناصر اذا عد أهل الشرف كما قال * ويثنى على فضلك الخنصر * والخنصر الاصبع الصغرى التى يجعل فيها الخاتم والتى تليها عن يمينها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة ثم الابهام وصدر البيت

يشار اليك بسبابة * ويثنى على فضلك الخنصر

وهو للمعرى يمدح بعض الرؤساء وبعده

فمن أجل ذا رفعت هذه * الى خالق الخلق تستغفر

ومن أجل ذا كسيت خاتما * يزين وعريت البنصر

ناب

(فصل) وأما ناب ففعل ماض تقول منه ناب فلان كذا وكذا ينوبه نوبا أى لزمه ومنه النوب الذى هو المرض عافانا الله منه قال صاحب العين ناب الامر نوبة والنائبة النازلة والنوب أن يكون بينك وبين الشئ ثلاثة أيام ويقال النوب القرب ويقال النوب من الانتياب ما كان على فرسخين أو ثلاثة وانتبت المكان ونبته نوبا وفى الحديث كانوا ينتابون الى الجمعة من منازلهم ومن العوالى والنوب جيل من السودان والنوب النحل لانها تنوب الى مواضعها ويقال لها أيضا لوب باللام وقد جاءت اللفظتان معا فى حديث زبان بن قسور قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادى الشوحط فكلمته فقلت يارسول الله ان معنا لوبا يعنى نحلا فكانت فى عيلم لنا به طرم وشمع فجاء رجل فأحله حبين فأنتجهما حبا وكفنه بالثمام يعنى نارا من زندين ونحسه يعنى دخنه فطار اللوب هاربا ودلى مشوره فى العيلم فاشتار العسل فمضى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من سرق شور قوم فأضر بهم هلا تبعتم أثره وعرفتم خبره قال قلت يارسول الله انه دخل فى قوم لهم منعة وهم جيرتنا من هذيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرك صبرك يازبان تردنهر الجنة وان سعته كما بين اللفيقة والسحيقة يقسبب جريا بعسل صاف من قذاه ماتقيأه لوب ولا مجه نوب أعجبنى هذا الحديث فكتبته لفصاحته ورونق لفظه وصناعته وفيه لغات فسر فى الحديث بعضها وبقى سائرها أصل العيلم البئر وأراد بها هنا وقبة النحل أو الخلية ويقال لموضعها فى الجبل شيق وجمعه شيقان والطرم الشهد والطرم أيضا الزبد وشاهده فى صفة النساء

نوب

حديث غريب

فمنهن من يلقى كصاب وعلقم * ومنهن مثل الشهد قد شيب بالطرم

والطرم أيضا اسم الكانون والسحاب الكثيف يقال له الطريم ويقال لكل دخان نحاس ولدخان النحل خاصة ايام يقال آمها يؤومها اذا دخنها شاهده

فلما جلاها بالايام تحيرت * وبان عليها ذلها واكتئابها

يصف النحل وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الشواظ اللهب الذى لا دخان فيه والنحاس الدخان الذى لا لهب فيه والنحاس فى غير هذا الموضع النحاس المعلوم وهو القطر وقال ابن عباس فى قوله تعالى آتونى أفرغ عليه قطرا انه النحاس وقال غيره الصفر وقيل الحديد وقيل الرصاص من البخارى وقوله شور قوم كذا جاء فى الحديث ووقع فى كتاب العين الشور الموضع الذى تعسل فيه النحل بتقديم الواو على الراء وقال تقول شرت العسل أشوره شورا وأشرته واستشرته فهو مشور ومشار ومشتار ومنع الاصمعى أشاره وكان يعيب على عدى بن زيد قوله * وحديث مثل ماذى مشار * وكان يرويه ماذى مشار بفتح الميم وقال هى الخلية يشتار منها وقال غيره يقال شرت العسل وشرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وعلمت خبرها والماذى العسل الابيض وقد جمعت ألفاظا من هذا الوزن ثلاثة وهى الذاذى والمادى والآذى ولفقتها بالنظم فقلت

قل للذى يغرى بذاذى * يقول اذ يشرب غاذى

هلا تغذيت بماذى * وقلت بالخمر فى الآذى

قد تقدم شرح الذاذى فى باب الذال وانه نبت يجعل فى النبيذ وقيل هى الخمر والماذى قد تقدم هنا انه العسل الابيض وأما الآذى فانه الموج ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنهما واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم قال أخذ الله ذريتهم من ظهورهم كأنهم الذر فى آذى من الماء خرجه ثابت وفسره بهذا وجمع الآذى أواذى قال النابغة * يرمى أواذيه العبرين بالزبد * العبر شاطئ الوادى وتقدم فى الحديث هنا الخلية وتقدم أيضا فى باب الخاء الخلية واحدة الخلايا وهى الجباح وأنشدنى الخطيب أبو محمد رضى الله عنه لبعضهم

يقول لى القاضى معاذ مشاورا * وولى امرا فيما يرى من ذوى الفضل

نعيذك ماذا تحسب المرء صانعا * فقلت وماذا يصنع الدب بالنحل

يدق خلاياها ويأكل شهدها * ويترك للذبان ما كان من فضل

والدب

والدب اسم عربى مشهور والانثى دبة واسم ولدها الديسم ويقال أيضا مدبة أى ذات دبة والدبة فى غير هذا السنة والطريقة يقال جرى على غير دبة أهله ودعنى ودبتى أى طريقتى وسجيتى وفلان ركب دبة فلان وأخذ بدبته اذا عمل بعمله ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لتتبعنكم قريش ثم لتركبن بكم دبة فارس والروم والدبة أيضا ظرف للزيت قال الشاعر * اليك بالعنف عفاص الدبة *
والدبة بالفتح موضع وفى السير ثم سلك الدبة ويقال هو الكثيب من الرمل وفى السير أيضا ذكر المجانيق والدبابات كأنها آلات يدخل فيها ويدب عليها للقتال والدبيب معروف وهو المشى راكعا وفى الحديث أن عبد الله بن مسعود كان يدب راكعا وكذلك دخل زيد بن ثابت المسجد فوجد الناس ركوعا فركع ثم دب حتى وصل الصف ذكره مالك فى الموطأ والدبة بالكسر كهيئة الدبيب تقول جلست دبة

بون

ومعكوس توب بون وهو مسافة ما بين الشيئين والبوان بكسر الباء عمود من أعمدة الخباء والجمع أبونة وبون مثل أخونة وخون ويقال بوانى أيضا وقد تقدم البوانى أضلاع الزور قال الراجز * ألقى بوانى زوره للمبرك * وسيأتى الكلام فى الزور فى باب الزاى وجاء ذكر النوائب فى الحديث الذى خرجه البخارى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى خيبر وقد كنا هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه ومنه قولهم نوائب الدهر بقى من الباب ما جاء فى الحديث من ذكر الناب وهو نهيه عليه السلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وبقى أيضا ناب اسم فاعل من نبا ينبو اذا ارتفع كما تقدم فى البيت * ولجنبى نابيا عن وسادى *
وألف ناب الذى هو فعل منقلبة عن واو لانك تقول ناب ينوب كما تقدم والف ناب الذى هو السن منقلبة عن ياء لانك تقول فى الجمع أنياب وتقول نيب السبع البهيمة ينيبها تنييبا وقس على هذا ما يرد عليك من الالفات المنقلبة عن الياء والواو فى مثل قال ونال وشبهه فى التصريف والمصدر والجمع تعرفه ان شاء الله فقد قال بعض الادباء علم التصريف من العربية شريف وجنس من اللغة لطيف اذا كانت المبانى مقرونة والمعانى به مدفونة والاصول معه محروسة والعلوم به محسوسة لا يصح فيه التمويه والتحجيف ولا يستقيم معه التلبيس والتحريف

تاب

وأما تاب فمعناه رجع ومعنى توبوا الى الله أى ارجعوا الى الله من هوى أنفسكم وتاب الله على فلان وفقه للتوبة قال سيبويه التوبة الترك واستتابه سأله أن يتوب

ثاب

وأما ثاب فمعناه رجع مثل تاب يقال ثاب الشئ يثوب ثوبا وثؤبا ومنه التثويب بالصلاة كان المقيم للصلاة عاد الى معنى الأذان فأتى به يقال ثوب الداعى اذا كرر دعاءه للحرب قال حسان بن ثابت

فى فتية كسيوف الهند أوجههم * لا ينكلون اذا ما ثوب الداعى

ومنه ثاب الرجل الى عقله وثاب الى المريض جسمه أى عاد الى حالته الاولى من الصحة وقوله تعالى مثابة للناس أى يحجون و يثوبون اليه أى يرجعون وقيل يحجون فيثابون فهى مفعلة أصلها مثوبة وقرأها الاعمش مثابات قاله صاحب العين ومثاب البئر وسطها والمثابة مجتمع الناس بعد تفرقهم وثاب الحوض ثوبا امتلأ والثوبة وسط الحوض وتصغيرها ثويبة وقال الزبيدى ثييبة وبها سميت المرأة ثويبة والله أعلم وثويبة جارية أبى لهب وهى التى أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى ذكرها ان شاء الله فى باب النون * والثبة عصبة من الفرسان والجمع ثبات وفى التنزيل فانفروا ثبات تفسيره جماعات متفرقة وقيل الثبات السرايا والجميع الزحف وقياس ثبة وظبة أن يجمع بالالف والتاء فيقال ظبات وثبات على قياس المؤنث الصحيح الا أنهم قد جمعوا المعتل مثل ثبة وظبة بالواو والنون والمؤنث الصحيح لا يجمع بهما الا أنهم قالوا أرضون جمع أرض فجعلوا الواو والنون عوضا من الالف والتاء وذلك فى المؤنث الذى ليس فيه هاء وقد يجمع أيضا أرضات كما قالوا عرصات وقال أبو الخطاب يقال أرض وأراض مثل أهل وأهال و يقال أيضا الاراضى على غير قياس كأنه جمع أراض والثوب واحد الثياب و يجمع على أثواب وقد جاء أثوب وقيل يهمز ولا يهمز والثوب أيضا مصدر ثاب يثوب مثل تاب يتوب وللخطيب أبى محمد أكرمه الله وأعزه من خطبة له على فقرة واحدة أيها الناس ثوبوا الى صالح الاعمال أسرع ثوب * والبسوا من تقوى الله تعالى أسبغ ثوب * وتوبوا الى الله فانه غافر الذنب وقابل التوب * وثوبان اسم رجل من رواة الحديث فعلان من ثاب مثل نومان من نام فان أدخلت على ثاب ألفا قلت أثاب ان جعلت الالف للاستفهام فهو ثاب بعينه وان جعلتها أصلية فمعناه جازى من قوله تعالى فأثابهم الله بما قالوا جنات أى جازاهم واشتقاق الثوب من هذا والله أعلم ومنه هل ثوب الكفار بمعنى جوزوا وفى الحديث اذا ثوب بالصلاة يحتمل أن يكون من الثواب لان فى الصلاة الثواب العظيم والله أعلم وقال عز وجل لمثوبة من عند الله فسره ابن

ii. ١١٩٠

سلام يعنى الثواب يوم القيامة والأثأب شجر الواحدة أثأبة قال الكميت

وغادرنا المقاول فى مكر * نكشب الأثأب المتعطرسينا

والثواء ممدود يقال تثاءبت تفاعلت ولا تقل تثاوبت وفى مثل أعدى من الثواء وأما الوثاب الذى ذكرت لك فى أول البيت فان الواو فيه أصلية وهو مصدر وثب يثب وثبا ووثبانا وقد جاء وثابا قال الزبير بن عبد المطلب فى شأن الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها حتى اختطفتها العقاب

عجبت لما تصوبت العقاب * على الثعبان وهى لها اضطراب

وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب

والوثاب الآخر المذكور أيضا هو الفراش بلغة حمير يقال وثبته وثابا اذا فرشته له وفى الحديث ان عامر بن الطفيل قدم عليه فوثب له وسادة أى أقعده عليها وألقاها اليه وفى شرح السير للاستاذ رحمه الله وأما عمرو أخو حسان الذى ذكر ان اسحاق قصته وقتله لاخيه فهو المعروف بموثبان سمى بذلك للزومه الوثاب وهو الفراش وقلة غزوه وقال القتيبى ويقال للفراش ضجاع خرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما حشوه ليف وفى لفظ آخر كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال للفراش أيضا المثال وهو فى الحديث أيضا من قول عائشة رضى الله عنها قالت كنت اذا حضت نزلت عن المثال الى الحصير الحديث وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات حفر له فى موضع المثال الذى كان ينام عليه صلى الله عليه وسلم ويجىء من لفظة وثاب وثاب فعال من الوثوب أيضا قال الشاعر * ركوب المنابر وثاجا * وسيأتى * تقدم المثال وهو الفراش وجمعه مثل وان شئت خففت فقلت مثل والمثال معروف وجمعه أمثلة ومثلت له كذا تمثيلا اذا صورت له مثاله والمثل ما يضرب له من الامثال ومثل كلمة تسوية ويقال فيها أيضا مثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى والعرب تقول هذا مثيل هذا بالتصغير وهو من أمثالهم يريدون أن المشبه به حقير كما ان هذا حقير ومثل به أى نكل به والمثلة بالضم الاسم والمثلة بفتح الميم والثاء العقوبة والجمع المثلات كما فى القرآن العزيز وقد خلت من قبلهم المثلات أى وقائع الله فى الامم السالفة وقال الجوهرى ثب فى لغة حمير اقعد قال الاصمعى ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال

له الملك ثب فوثب الرجل فتكسر فقال الملك ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حمر قوله عربيت أراد عربية فوقف على الهاء بالتاء وهى لغتهم وقوله من دخل ظفار حمر يعنى تعلم لغة حمير وظفار اسم بلدهم واليه ينسب الجزع يقال له جزع ظفار وخرج الخطابى رحمه الله ان عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه خرج ذات يوم الى المسجد وفيه شباب قريش فتنحوا له عن الاسطوانة فقالوا اجلس اليها ياعم فقال يابنى أخى أنتم خير من شيوخكم من بنى مهرة كانوا اذا كبر الشيخ شدوه عقالا ثم قالوا له ثب فان وثب خلوا سبيله وقالوا فيه بقية من علالة وان لم يثب تركوه فى العقال حتى يموت وأما بات فأخت ظل كلمة ترفع الاسم وتنصب الخبر الا ان ظل تستعمل فى النهار وبات فى الليل وسيأتى الكلام على ظل فى باب الظاء ان شاء الله تعالى وجاء من بات فى القرآن العظيم قوله تعالى لنبيئته وأهله أى نطرقه بالليل وكذلك قوله تعالى بيت طائفة منهم غير الذى تقول وكذلك قوله عز وجل وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون يعنى بياتا بالليل وهم نائمون أو وهم قائلون نصف النهار يعنى على غفلة والبأس العذاب أعاذنا الله من سخطه وليست أو هاهنا بمعنى الشك انما هى بمعنى أو نصرف الشئ مرة كذا ومرة كذا ولم يقل وهم قائلون كما قال فى الآية الاخرى بياتا وهم نائمون لان هذا لا اشكال فيه وأما هذا فلئلا يشتبه ان العذاب جاءهم بالليل وهم قائلون ولم يقل أو وهم قائلون لئلا يجمع بين حرفى عطف وهذه الواو عند النحويين تسمى واو الوقت وفى أول الآية تقديم وتأخير أعنى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا المعنى وكم من قرية أردنا اهلاكها فجاءها بأسنا لان الهلاك انما يكون بعد العذاب كما قال تعالى فى موضع آخر فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أراد فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله وكما قال تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقيل فى هذا غير هذا قيل اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل من المضاجع يعنى النوم وكذلك أيضا قيل فى قوله وكم من قرية أهلكناها أى بارسالنا اليها ملائكة العذاب فجاءها بأسنا وقيل أهلكنا أهلها بمنعنا اياهم التوفيق للطاعة فجاءها البأس بغتة وقيل الفاء هنا بمعنى الواو فلا يلزم الترتيب والله أعلم بما أراد من ذلك كله وهو الموفق للصواب وكم للتكثير كما ان رب للتقليل قال المهدوى وقد قيل فى رب انها للتكثير أيضا وليست من الاضداد وهى بمنزلة كم قاله صاحب العين وللفقيه

أبى محمد جواب رسالة بديعة ذكر فيها بعد كلام نبيل غير ان رب للتقليل انظرها ان اردتها فى التكميل فرغ البيت بقى الكلام على الحروف وهى الالف والباء والتاء والثاء مع القافية (اما الالف) فقد تقدم من الكلام عليها ما فى بعضه كفاية وأزيدك هنا شيئا آخر ان شاء الله تعالى اعلم ان الالف على ضربين لينة ومتحركة فاللينة تسمى ألفا والمتحركة تسمى همزة وقد يتجوز فيقال لها أيضا ألف وهما جميعا من حروف الزيادة والالفات كثيرة ولها ألقاب عديدة مثل ألف قطع وألف وصل وألف استفهام وألف المتكلم وألف ما لم يسم فاعله وهى تكون فى الاسماء والافعال والحروف العاملة وتأتى فى آخر الكلمة للالحاق والتمكين وتأتى للتأنيث ومنها ما ينقلب عن ياء ومنها ما ينقلب عن واو وتأتى للامالة وذلك للتقريب والدلالة فالتقريب ان تقرب الالف من الياء من أجل كسرة أو ياء لتشاكل اللفظ والدلالة أن تكون الالف منقلبة عن ياء فتمال لتدل بامالتها على أصلها هذا فى أغلب الامر وتكون علامة للرفع والنصب وهى من حروف الزوائد على ماستراه ان شاء الله وتبدل النون الخفيفة فى الوقف ألفا اذا كان ماقبلها مفتوحا وكذلك التنوين فى حال النصب الى غير ذلك مما لا أذكره الآن وهذا كله مفسر مشروح فى الكتب فاطلبه تصب وقد جمع العلماء رضى الله عنهم من ذلك الطويل والوجيز ونظموا فيه الاراجيز وأنا أيضا قد قلت فى ألفات الامر وان لم يكن درمكا فهو تمر

مبحث الألفات

اسمع كلاما قاله من ينصح * واحفظه ان كنت تريد تفلح
نظمته فى ألفات الامر * هل تبدأ أن بالفتح أو بالكسر
والضم أو فهل لها من أصل * فى حالة القطع وحال الوصل
فبعد بسم الله والصلاة * على الرسول فاستمع وصاتى
كل رباعى فقطوع الالف * فى الامر مفتوح كأقبل لا تخف
كذاك فى الماضى فقس وبادر * لكنها تكسر فى المصادر
والياء فاضمها لما يستقبل * وقل كذا أقبل زيد يقبل
وانظر الى الثالث فى المضارع * من الثلاثى فعه وسارع
ان كان مضموما فضم الأمرا * فالامر من ينظر أنظر شزرا
أو كان مكسورا فقل فى الامر * اضرب فلانا وابتدئ بالكسر
وان يكن ثالثه مفتوحا * فابدأه بالكسر تكن فصيحا

تقول من يعلم علما اعلم * لا تفتحن خيفة التكلم
شبهه واترك كذاك الضما * خشية ما الفاعل لم يسمى
وكل مازاد على الرباعى * أو كان عدّه أتى فى الداعى
يأوهما تفتح فى المستقبل * كقولهم يصلى وزيد يصطلى
ألف هذين معاقد توصل * ان كان حرف بهما يتصل
فان عدمت فابتدئ بالكسر * فى مصدر أو ماض أو فى أمر
تقول منه اصطل هذا واصلى * هذا المثال فاتخذه أصلا
وقس عليه واحذر الفضيحة * فقد نصحت فاقبل النصيحة
وقل متى تقرؤه يارب * اغفر لمن نظم كل ذنب
وصل من بعد على الرسول * محمد تحظ بكل سول

وهذه الارجوزة قد عارضها الاستاذ أبو محمد القرطبى وفقه الله انظرها وما قيل بسببها فى التكميل والالف اذا انفتح ما قبلها فهى من حروف المد واللين الثلاثة وأختاها الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها وانما سميت لينة لأن الصوت يمتد فيها فيقع عليها الترنم فى القوافى وغير ذلك وانما احتملت المدّ لانها سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى فيها الصوت قاله ابن دريد رحمه الله وقال ابن السيد رحمه الله فى تفسير بيت المعرّى رحمه الله

ولى أمل كأنم القنا * وحال كأقصر سهم يكون
فيا ألف الوصل لا تأملى * حرا كلفك الا السكون

يريد المعرى نفسه شبهها بالالف التى بنيت على السكون فتريد تحريكها وذلك مالا يكون قال ابن السيد رحمه الله ليس فى حروف المعجم حرف يبنى على السكون الا الالف وذلك انها صوت لا مقطع له فى شئ من الحلق والفم وانما يخرج مستطيلا بمنزلة الصوت الذى يخرج من البوق اذا لم يضع الزامر أصابعه على الثقب فاذا وضع أصابعه على الثقب وداول بينها تقطع ذلك الصوت فصار نغمات وكذلك الصوت المندفع من الرئة اذا تقطع فى المخارج صار حروفا ويشارك الالف فى هذه الصفة اختاها الموضوعتان للمد واللين وهما الواو الساكنة المضموم ما قبلها فى نحو عنقود والياء المكسور ما قبلها فى نحو قنديل فانهما صوتان لا مقطع لهما كما لا مقطع للالف غير أن الياء والواو قد ينفتح ما قبلهما فيذهب ما فيهما من المد ويبقى فيهما اللين

فى نحو ثوب و بيت وقد يحركان فيذهب عنهما المد واللين معا ويلحقان بالحروف الصحاح التى لا مقاطع لها واما الالف فالمد واللين لازمان لها أبدا ومتى تحركت رجعت همزة انتهى كلامه رحمه الله وقال غيره وهذه الحروف الثلاثة هى من علامات الاعراب وأضيف اليها النون من بين سائر حروف المعجم للغنة التى فيها من الخيشوم فأشبهت حروف المد واللين بهذه الشبهة فجعلت حرف اعراب معها فأما الالف فهى من علامات الرفع فى قولك الزيدان وفيها ثلاث معان علامة الرفع كما تقدم وعلامة التثنية وحرف الاعراب و فى الواو ست علامات فى قولك الزيدون هى علامة رفع وعلامة جمع وعلامة تذكير وعلامة سلامة وعلامة تقليل وحرف اعراب ومثل ذلك الياء وأما النون فعلامة الرفع فى يفعلان وأخواتها الاربعة وحذفها علامة الجزم والنصب والنون فى التثنية والجمع عوض من ذهاب الحركة والتنوين فى المفرد والدليل على ذلك انها تثبت فى الموضع الذى تثبت فيه الحركة مع الالف واللام نحو قولك الرجلان وتسقط فى الموضع الذى يسقط فيه التنوين مع الاضافة كقولك غلاما زيد وصاحب أخيك ولو كانت عوضا من التنوين فقط لسقطت فى الموضع الذى يسقط فيه التنوين ولو كانت عوضا من الحركة فقط لسقطت فى الموضع الذى تسقط فيه الحركة للاستغناء عنهما فلما لم يكن ذلك علم انها عوض منهما جميعا والله أعلم *(فصل والالف تحمل الهمزة والهمزة من حروف الحلق وأخواتها الهاء والحاء والعين والخاء والغين) فالهمزة من مخرج أقصى الاصوات ولذلك عدوها أول الحروف وتليها الهاء وهى من موضع النفس والحاء أرفع منها وهى أقرب حرف يليها حتى ربما أشبهتها فى النطق على ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى والعين تتلو الحاء فى المدرج والارتفاع والخاء أرفع منها والغين على مدرج الخاء الا انها أسفل منها والهمزة تبدل من الهاء كثيرا وكذلك تبدل الهاء منها كقولهم أيهات وهيهات وأزيدوها زيد فى الدعاء وأراق الماء وهراق قال الشاعر

فاصاخ يرجو أن يكون حبيا * ويقول من طرب هيا ربا

أراد أيا رب وقال الآخر

وأتى صواحبها فقلن هذا الذى * منح المودة غيرنا وجفانا

أراد أذا الذى وتبدل من الواو فى مثل أرخ الكتاب وأصله ورخ وفى التنزيل واذا الرسل أقتت وقرأ ابو عمرو وقتت وقرأ ابو جعفر بن القعقاع باختلاف

حروف الحلق

XXVII.11

عنه وقتت بتخفيف القاف وعن الحسن رواية ووقتت بواوين وكله من الوقت قال المهدوى ولو قلبت الواو فى هذا ألفا جاز ولذلك قالوا اكاف ووكاف وولاف والاف ووشاح وأشاح وأما الواو المفتوحة فلم تبدل من الهمزة فى الكلام الا فى حرفين قولهم امرأة أناة أى حليمة يقال فيها وناة وفى أحد من قوله تعالى قل هو الله أحد بمعنى واحد وأصله وحد فأبدلت الواو همزة فقالوا أحد قاله ابن عزيز وقال البخارى فى جامعه قل هو الله أحد لا تنون أحد أى واحد انتهى كلامه والالف أيضا من حروف الزوائد وهى عشرة الهمزة والالف والواو واللام والياء والتاء والميم والسين والهاء والنون يجمع هذه الحروف كلمتان اليوم تنساه قال ابن دريد وهذا عمله أبو عثمان المازنى قال وبعضهم يجعلها تسعة يريد والله أعلم ان الالف والهمزة شئ واحد ويجمعها أيضا هويت السمان ونظمه بعضهم

حروف الزوائد

هويت السمان فشيبتنى * وقد كنت قدما هويت السمانا

ويجمعها أيضا قولك أمان وتسهيل وقد جمعت أنا أيضا هذه الحروف فى قولك أن سهيل ومات وفى قولك موسا ليته ناء وتكتب موسى بالالف على مذهبهم فى جواز كتب ما هو من ذوات الياء بالالف ومنعهم من عكسه أعنى ان يكتب ما كان من ذوات الالف بالياء وقالوا اذا شككت فيها فاكتبها بالالف وسترى فى هذا الكتاب منها كثيرا مما كتب بالالف وأصله الياء للضرورة وللشكل فلا تنكره وحروف الزوائد أصل فى علم التصريف فتزاد الهمزة أولا فيما عدده أربعة أحرف فصاعدا نحو أسود وأحمر وأصفر وأخضر لانها من السواد والحمرة والصفرة والخضرة ولا تنظر الى الالف فى أول اسود وأحمر انما هى الهمزة والالف تحمل الهمزة كما تقدم ولا يمكن زيادة الالف أولا لانها ساكنة ولا يبتدأ بساكن ولكن تزاد ثانية فى مثل ضارب وقاتل وثالثة فى ذهاب وكتاب ورابعة فى حبلى ومعزى وخامسة فى حبنطا وحبركا وسادسة فى قبعثرى * الحبنطا العظيم البطن والحبركا القصير الفخذين والرجلين والقبعثرى الجافى الغليظ * تقدم حروف الزوائد فى قولك اليوم تنساه وثم أيضا كلام يجمع حروف البدل على ما ذكره أبو على فى الأمالى وهو طال يوم أنجدته واستشهد على كل حرف منه على ما يأتى مفردا فى هذا الكتاب ان شاء الله وقد تقدم فى ذكر الهمزة انها تبدل من الهاء فى مثل هيهات وأيهات وبابه قال وتبدل الالف من أختيها الواو والياء فى آخر الفعل فى مثل غزا ورمى وبابه وحروف المد

واللين أمهات الزوائد لان منهن الحركات فلا تخلو الكلمة من بعضهن فى الخماسى والملحق بالسداسى خاصة وفى كثير من الرباعى * (فصل وشكل ألف ألف وألف وألف وألف وألف وألف وألف) وفى القرآن العزيز من هذا ألم فهذا لا ينطق فيه بألف وان يكن منكم ألف ولكن الله ألف بينهم وفى الحديث قالت عائشة رضى الله عنها فخرت بمال أبى فى الجاهلية وكان ألف ألف أوقية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اسكتى يا عائشة فانى كنت لك كأبى زرع لام زرع ثم أنشأ يحدّث حديث أم زرع المشهور وأما الف وألف ففى القرآن مصدرهما وقد قرئ لايلاف قريش على وجوه فمن قرأ لايلاف قريش فمصدر آلف اذا جعله يألف ومن قرأ لالاف فمن ألف يألف الفا والافا وكذلك قرئت الفهم وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم على الامر وكذلك قال عكرمة أمرهم أن يألفوا عبادة البيت وفتح لام الامر لغة حكاها ابن مجاهد وغيره وقد روى حماد بن أبى بكر عن عاصم لالاف قريش ائلافهم فجمع بين الهمزتين قال المهدوى وهذا شاذ والف سيأتى فى باب الفاء رجل الف ثقيل اللسان وهو العى أيضا والف صاحبه وجمعه آلاف كعدل وأعدال ويقال أيضا آلف وألاف كضارب وضرّاب وهو أيضا الأليف وجمعه ألائف مثل تبيع وتبائع وأفيل وأفائل والولاف مثل الالاف والولاف والوليف ضرب من العدو وهو أن تقع القوائم معا وكذلك أن يجىء القوم جميعا والائلاف أيضا الأمان والعهد يؤخذ من الملوك جميعا على الامر جاء منه فى خبر هاشم بن عبد مناف فأخذ من أشراف الشام ايلافا أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير حلف انما هو أمان الطريق فى حديث طويل أنظره فى الذيل على النوادر ومعكوس ألف فلا جمع فلاة مثل حصاة وحصى ويجمع أيضا على فلوات وفلىّ وهى المفازة قال الشاعر

موصولة وصلا بها الفلىّ * القىّ ثم القىّ ثم القىّ

أى القفر بعد القفر ويقال فلوت الفلو عن أمه عزلته وافتليته اتخذته ويقال فلو وفلو مثل جرو اذا فتحت شدّدت واذا كسرت خففت وجمعه أفلاء مثل عدوّ وأعداء وفلاوى أيضا مثل خطايا ويقال أيضا فلا فلان فلانا اذا رباه قال الشاعر

سعيد وما يفعل سعيد فانه * نجيب فلاه فى الرباط نجيب

وقال آخر وليس يهلك منا سيد أبدا * الا افتلينا غلاما سيدا فينا

ومن شكله أيضا فلا على شرطى المتقدّم وبنائى الغير متهدّم من أنى أسوق الحرف

الزائد ليكثر الفائد فان فلا هى النافية دخلت عليها الفاء الوافية وفى القرآن العظيم من ذلك فلا أقسم بالخنس وفلا أقسم بالشفق جاء فى التفسير أن لا صلة والمعنى فأقسم وكذلك قالوا فى قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة أن معنى ذلك كله أقسم ويشهد لذلك قراءة قنبل عن ابن كثير لأقسم هى لام التأكيد دخلت على فعل الحال ومن قرأ لا أقسم وجعل لا نفيا فهو ردّ لكلام تقدّم وجاز وقوعها فى أوّل السورة لان القرآن متصل بعضه ببعض فهو فى حكم كلام واحد وفلا أيضا قطع وألفه منقلبة عن ياء تقول فلا رأسه بالسيف فليا اى قطعه ومنه قول حسان بن ثابت فى شأن بنى قريظة

فما برحوا بنقض العهد حتى * فلاهم فى بلادهم الرسول

وقال الراجز * أفليه بالسيف اذا استفلانى * وفليت الثوب فلاية والتفلى التكلف لذلك وتفالت الحمر احتكت وفى الحديث من هذا حديث أم حرام وجعلت تفلى فى رأسه تعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله عنها وسئلت ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته قالت كان بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه والفالية خنفساء رقطاء ضخمة قاله صاحب العين رحمه الله وفى الامثال للاصبهانى أفحش من فالية الافاعى وأفحش من فاسية وقال هما اسمان لدويبة شبيهة بالخنفساء لا تملك الفساء وأنشد عليه

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب

ألج لجاجا من الخنفسا * وأزهى اذا ما مشى من غراب

والغراب يوصف بالزهو * فائدة فى مدّ المقصور مدّ هذا الشاعر للضرورة الخطا فلا تقل أخطا قد قالها قبله الشعراء القدماء الكبراء قال ورقة * الا ما غفرت خطائيا

وقال آخر فكلهم مستقبح لصواب من * يخالفه مستحسن لخطائه

وقال بنصر الله روح القدس فينا * وجبريل فيا طيب الملاء

قال بعضهم ليس هذا من باب مدّ المقصور انما هو اشباع كما قالوا الكلكال والصياريف ولا يقال فى عصا عصاء لانه يزيد فى هذا ألفا وهمزة قال غيره فقد قال طرفة * وكشحان لم ينقص طواءهما الحبل * وقال آخر

يا لك من تمر ومن شيشاء * يشب فى المسعل واللهاء

ومن شكل فلا قلا قلى يكتب بالياء يقال قليت الرجل أقليه قلى وتقلية أبغضته

وقد قالوا قلاء وأنشدوا

عليك سلام لا ملمت قريبة * ومالك عندى ان نأيت قلاء

وفى القرآن العزيز ما ودعك ربك وما قلا أى ما تركك وما أبغضك وفى موضع آخر انى لعملكم من القالين أى من المبغضين فعلى هذا انما يبغض العمل السوء لا صاحبه ويقال قليت اللحم على المقلى وقلوته أيضا والقلية مرقة من لحم الجزور وأكبادها عربية وجمعها قلايا والمقلاة والمقلى الذى يقلى عليه خرج ثابت رحمه الله فى الدلائل عن جبلة بن سحيم قال ما أكلت أطيب من قلية العصاعص ذكره فى حديث الحسن ابن أبى الحسن رضى الله عنه انه قال فى العصعص الدية وفسره وقال العصعص أصل الذنب الذى ينبت فيه الذنب وأنشد لذى الرمة * كمائط فى طول العسيب العصاعص * والمقلاء والقلة خفيفة عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذى يضرب به هو المقلاء والقلة الخشبة الصغيرة التى تنصب وقال الاصمعى رحمه الله هى القلة والقال هو المقلاء ومنه قول الشاعر

كان نزوفراخ الهام بينهم * زهو القلاة زهاها قال قالينا

يعنى الذين يلعبون بها يقال منه قلوت والقالون الصبيان الذين يقلون أى يضربون القلة واسم الفاعل من قلا قال ونسب أبو على البغدادى القالى الى قرية من قرى بغداد يقال لها قاليقلا ولم يعرف الاصمعى قليت الا فى البغض وأما فى اللحم وغيره فقلوت قلوا وعرفه أبو زيد والرجل قلاء * بقى تصحيف هاتين الكلمتين على شكل اللفظة لا على أصلها الانى سأذكر فى تصحيفها الغا وألف ولفاء مع فأل وأفل وغير ذلك من المهموز وليس فى قلا همز ولكنى أردت ان أكثر ما يخرج من تصحيف الالفاظ اذا كتبت على هذه الصورة لا غير * أما فلا فعكوسه لاف اسم فاعل من لف

لاف

وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كل رجل لاف رأسه يبكى ويأتى من مقلوبه فأل وهو ما يسمعه الانسان من خير وشر يقال منه تفاءلت بالأمر وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة وخيرها الفأل قيل يا رسول الله وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم وفى حديث آخر ويعجبنى الفأل الكلمة الطيبة وفى حديث آخر وأحب الفأل الصالح خرج ذلك كله مسلم رحمه الله قال الازهرى الفأل مهموز وقال أبو عبيد وجمعه فؤول قال ابن السكيت الفأل هو أن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم أو يكون طالبا فيسمع آخر يقول

فال

العاب صبيان العرب

ياواجد ويقال فال رأى فلان اذا لم يصب وأصله من المفايلة لعبة لفتيان الاعراب يخبؤن الشئ فى التراب ثم يقسمونه فاذا أخطأ المخطئ قيل له فال رأيك يقال منه رجل فال الرأى وفيل الرأى ويقال ما كنت أحب أن أرى فى رأيك فيالة قال الكميت

بنى رب الجواد فلا تفيلوا * فما أنتم فتعذركم لفيل

أى استم أولاد الضعيف الرأى وهو الفيل ولصبيان العرب لعب أخر ذكرها ابن قتيبة فى تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بينا هو يلعب وهو صغير مع الغلمان بعظم وضاح مرّ عليه يهودى فدعاه فقال لنقتلن صناديد هذه القرية قال وعظم وضاح لعبة الصبيان بالليل وهو أن يأخذوا عظما أبيض شديد البياض فيلقوه ثم يتفرقوا فى طلبه فمن وجده منهم ركب أصحابه ولهم لعبة أخرى تسمى الخطرة وهى بالمخراق وأخرى تسمى خراج وهى أن يمسك أحدهم شيئا بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما فى يدى ومنها لعبة الضب وهو أن يصوّر الضب فى الارض ثم يحوّل أحدهم وجهه ويقول ضع يدك على صورة الضب ثم يقال على أى موضع من الضب وضعته فان أصاب قرولهم لعبة أخرى بالتراب يقال لها النقيرى يقال أنقر الصبيان فهم ينقرون وقال الاصمعى فى رجزه

كان آثار الضرابى تلتقث * حولك نقيرى الوليد المنبحث

* تراب ماهال عليك المجتدث *

والمجتدث القابر والجدث القبر ولهم لعبة أخرى يقال لها الجثة وتشبه الأولى ولعلها هى المفايلة يخبؤن شيئا تحت تراب ثم يصدع صدعين ثم يضرب بيده على أحدهما او على بعضه فان قبض على الخبء فيه قرذكر هذه اللعبة ثابت فى حديث ابراهيم النخعى ان غلامين كانا يلعبان الجثة فضرب أحدهما الآخر فشج احدهما وانكسرت ثنية الآخر فضمن الأعلى الاسفل ولم يضمن الاسفل الأعلى وقد تقدم أن المقلاء والقلة عودان يلعب بهما الصبيان * والعرعار لعبة للصبيان ايضا وألف فال منقلبة عن ياء لانك تقول يفيل والفيل الضعيف الرأى والجمع أفيال ومنه قول الحريرى رحمه الله فى لغزه * وكم رأى ناظرى فيلا على جمل * وقد تورّك فوق الرحل والقتب * والفيل معروف الدابة والتفيل زيادة الشباب وتفيل رأيه أخطأ وفيلت رأيه ويأتى من مقلوبه أفل تقول أفلت الشمس تأفل أفولا غابت وفى القرآن العزيز فلما أفلت وفلما أفل قال لا احب الآفلين ويقال لبوة آفل اى حامل وأفل

اللقاح فى الرحم استقر والأفيل الفصيل والجمع آفال وأفائل ومنه قول عباس بن مرداس ألا أفائل أعطيتها * عديد قوائمها الاربع

قال يوسف كتبت الى الفقيه الاديب الخطيب ابى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه مرة اسأله عن الافيل وكنت قد رأيته فى آخر كتاب كتب به الىّ ولم أعرفه فكتب الىّ بعد كلام وقلت ما الأفيل فرأيك ان قرمت الى لحمه لا يفيل وهو واحد الآفال وأحد الدخال قال الشاعر

فأرسلها العراك ولم يذدها * ولم يشفق على بعض الدخال

يقول أورد الابل تعترك اعتراكا وقد أدمت لازدحامها صدورا وأورا كا ولم يشفق على بعض الدخال وهى صغارها المزدحمة وهذا المورد على هذا النحو اسمه عند العرب الحطمة قال الشاعر

أخذ الخاض من الفصيل غلبة * ظلما ويكتب للامير أفيلا

فرغ بعض كلامه رضى الله عنه وان أردته بكماله فانظره فى التكميل ومن مقلوب

لفأ هذه اللفظة أيضا لفأ يقال لفأت الريح السحاب عن الماء كشفته ولفأت اللحم عن العظم والتفأته والقطعة منه لفأة واللفاء التراب والقماش على وجه الارض ومنه يقال فى الدعاء عليه العفاء واللفاء ومعنى العفاء محو الاثر واللفاء أيضا الشئ القليل ويجىء منه أيضا لفا مصدر لف ولفاء يقال امرأة لفاء ورجل ألف وسيأتى مع لف فى باب الفاء ان شاء الله هذا الكلام فى فال * وأما قال للصوت واللحم

قال وقال من قلا القلة اذا ضربها اذا كتبته بالالف على أن تكون ألفه منقلبة عن واو فاسم الفاعل منه قائل ومن البغض قال أيضا وألفه منقلبة عن ياء وقد تقدم ويأتى منه قال من القول ومصدره قولا وقالا وقيلا وقالة وقولة ومقالة وفى الحديث فشت فى ذلك القالة قال الكسائى وقرأ ابن مسعود ذلك عيسى بن مريم قال الحق xix.35. واشتقاق القال والقيل من كثرة ما يقولون قال وقيل هما من القول وقيل هما اسمان لا مصدران وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وفى القرآن العزيز اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وأصل قلت قولت ولا يجوز أن يكون بالضم لانه يتعدى ورجل قوول وقوم قوّل مثل صبور وصبر وان شئت سكنت الواو ورجل مقول ومقوال وقوّال وتقوالة عن الكسائى أى لسن كثير القول واسم الفاعل قائل قال الله تعالى قال قائل منهم وجمع قائل قوّل مثل راكع وركع وقال

رؤبة * وقول الاده فلاده * وقبل هذا * فاليوم قد نهنهني منهنهي * وأول حلم ليس بالمسفه * وقول الخ ويجمع أيضا قائلون مثل قائم وقائمين والمقول اللسان وقال أيضا بمعنى ملك ومنه حديثه عليه السلام في التسبيح سبحان الذي تعطف العز وقال به يعني ملك به وقهر ومعنى تعطف ارتدى العطاف للرداء وهو مثل قوله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني واحدا منهما قذفته في النار هذا على ضرب المثل اذ العظمة والكبرياء لا يلبسان وانما هما صفتان من صفاته التي لا ينبغي لاحد من خلقه أن يتصف بهما فلما كانا كذلك جعلهما بمنزلة الرداء والازار لانهما لا يفارقان صاحبهما والله أعلم بما أراد من ذلك والقيل منه وجمعه اقيال ويقال أقوال وأهل اليمن يقولون في القيل مقول وجمعه مقاولة ويقال رجل تقوالة وقوال واقتال قولا اجتره الى نفسه واقتال الرجل احتكم قال سعد الغنوي

ومنزلة في دار صدق وغبطة * وما اقتال من حكم علي طبيب

قيل

وأقولته ما لم يقل وقوّلته أي ادّعيته عليه وفي القرآن العزيز ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل أي زاد في الوحي أو نقص منه وقال أيضا من القائلة وهي القيلولة أيضا والقائلة نصف النهار والقيل الشرب نصف النهار كما سموا شرب الغداة الصبوح وشرب العشي الغبوق وبين المغرب والعشاء الصحمة وفي السحر الجاشرية وكل شراب يشرب في أي زمان كان يسمى الصفح يقال أتاني فصفحته أي سقيته وأتاني فأصفحته رددته وحرمته قال ذلك كله الخطابي رحمه الله ويقال قال الرجل يقيل مقيلا وفي التنزيل العظيم أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال قتادة منزلا ومأوى وقيل هو ما تعرفه العرب من مقيل نصف النهار ومنه الحديث المرفوع ان الله تبارك وتعالى يفرغ من حساب الخلق في مقدار نصف يوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار واسم الفاعل من هذا قائل وفي القرآن أو هم قائلون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يبيت مالا ولا يقيله معناه يقسمه لوقته ويقال من البيع أقال اقالة واسم الفاعل من هذا مقيل والمفعول مقال ويقال أيضا قال قيلا وتقيل فلان أباه اذا أشبهه * ومن مقلوبها أيضا لقا مصدر لقيت فلانا لقاء ولقيا ولقية واحدة ولقاة واللقيان الملتقيان ورجل ملقى ولقى أي شقي واللقى الشئ الملقى وينشد عليه

لقا

كفى حزنا كربى عليه كانه * لقى بين أيدى الطائفين حريم

قال ومعنى اللقى فى هذا البيت الثوب الذى كان يطوف فيه الرجل فى الجاهلية حول البيت ثم يلقيه عن نفسه ولا يقربه يقول لانه الذى اقترف فيه الذنوب وكانت المرأة تلقى على فرجها خرقة وتطوف كذلك قالت احداهن

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

ويروى أن رجلا طاف كذلك فانضم الى امرأة تلذذا واستمتاعا فالتزق عضده بعضدها ولم يقدر أحد أن يفك عضده من عضدها فخرجا من المسجد وهما كذلك حتى قال لهما قائل توبا الى الله مما كان فى ضمير كما وأخلصا التوبة ففعلا فانحل أحدهما من الآخر وسيأتى الكلام على لاق الدواة اذ هو من تححيف الكلمة المتقدمة فى باب القاف ان شاء الله تعالى والالقية واحدة الألاقى انتهى الكلام فى الالف * وقد ألفت فيه ما يأتلف ولا يختلف * وبقى لغيرى ما يأتنف * كما بقى لى ان أزداف الى قوافى الالف * التى فى كل لفظة منها ألف * اذ كنت اشترطت ذلك للنجل الكلف * والشرط كالحلف

خرجت من شئ الى غيره * بحسب ما يأتى وما يطرأ
لكنه علم ومن حقه * يسمع بل يكتب بل يقرأ

معانى الباء

وأما الباء فاسمها اسم صورتها اذا لم تعربها أعنى انك تنطق بها كما هى بلا حرف زائد عليها وكذلك ما كان مثلها كالتاء والثاء والحاء والخاء وليست كالجيم ولا الدال وما أشبه ذلك مما تزيد فى النطق بها حرفا آخر ومخرجها من بين الشفتين وكذلك الميم ولذلك اشتركا فيما تراه بعد ان شاء الله وأختهما فى المخرج الواو وهن من الحروف المجهورة وانما سميت مجهورة لان مخرجها لم يتسع فانضغط صوتها والباء من حروف الخفض فى مثل بسم الله ومررت بزيد وتكون للقسم فى مثل فلا أقسم بما تبصرون والباء الاصل فى حروف القسم لانها تشتمل على الظاهر والمضمر تقول فى الظاهر بالله لأفعلن وتقول فى المضمر به لأفعلن قال الشاعر

ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزننى فلا بك ما أبالى

وقد توضع موضع على فى مثل قوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار أى على دينار كما قال اذا رضيت على بنو قشير * لعمر أبيك أعجبنى رضاها

أى رضيت بى وتكون بمعنى من فى قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله أى منها ومثله فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى من علم الله وبعكس هذا تكون من مكان الباء

فى قوله تعالى يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله وقال تعالى يلقى الروح من أمره وقال تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر أى بكل أمر وتأتى الباء بمعنى عن فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع أى عن وبمعنى فى كقوله تعالى السماء منفطر به أى فيه وبمعنى مع فى قول الشاعر * يجتذب الاذى بالمرود * أى مع وبمعنى المصاحبة وهو قريب من معنى مع فى قوله تعالى وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وبمعنى البدل فى قولهم هذا بهذا أى بدل منه وعوض عنه ويقال لهذه أيضا باء العوض وباء المجازاة وفى القرآن منه قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وتكون للالزاق والاستعانة فى كتبت بالقلم وامسحوا برؤسكم وتكون زائدة فى الكلام لمعنى فى مثل قوله تعالى كفى بالله شهيدا وكفى بربك هاديا ونصيرا قال الراجز

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وفى مثل قوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فى قول بعضهم وتنبت بالدهن فى قراءة من جعله من أنبت وكذلك قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة ولا xxiii. 25
تظن ان فى القرآن العزيز حرفا زائدا لغير معنى أعوذ بالله من هذا الظن وانما معناه ان الكلام يتم دونه كما يتم دونه قوله ان الله الغنى الحميد فى قراءة من قرأ كذلك وبذكرهو أتم وكذلك قوله تعالى ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا وقال فى موضع آخر ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه أشد من الاولى فهذه الحروف لها معان من التأكيد والتبيين وغير ذلك مما تستعمله العرب فى كلامها قال الاستاذ رحمه الله فى قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة لفظة ألقيت تنقسم قسمين تكون بمعنى وضع الشئ فى الارض كما تقول ألقيت السوط من يدى فلا تحتاج هاهنا الباء وتكون بمعنى الرمى والارسال كما تقول ألقيت الى زيد بكذا أى رميته به وهذا القاء بكتاب وارسال به فحسنت الباء هنا والله أعلم وعبر عن ذلك بالمودة لانه من افعال أهل المودة وأما عند الفراء رحمه الله فدخولها وخروجها عنده سواء والباء عند سيبويه رحمه الله لا تزاد فى الواجب ومعناه عند البصريين تلقون اليهم النصيحة بالمودة وقال المهدوى رحمه الله معنى تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم والباء متعلقة بالمصدر الذى دل عليه الفعل والله أعلم بما أراد من ذلك كله نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة رضى الله

عنه

عنه ويقلب التنوين والنون الساكنة عند الباء ميما فى مثل من بعد وصم بكم فتقول مم بعد وصمم بكم هذا على طريقة البيان والرسم كالاول وتبدل الميم منها فى لغة بعض العرب يقولون با اسمك يريدون ما اسمك كما يروى ان بعضهم وكان اسمه بكرا دخل على احد الامراء فقال له الامير با اسمك قال مكريا أمير المؤمنين وقالوا لازب ولازم ومومأة وبوماة للمفازة ويدوميد بمعنى غير وفى الحديث أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد وفسره بعضهم من أجل ذلك وكذلك بله معناه غير وقيل أيضا دع وفى الحديث بله ما أطلعتكم عليه فسر بالمعنيين وقالوا ازمة وازبة للسنة الشديدة وذكر الخطابى عن ثعلب رحمه الله يقال ازمة وازبة وازلة وحكى يعقوب ازبة قال الخطابى وازبة وازلة وقد تقدم انه انما يقال سنة فى القحط والجدب وعام فى الخصب واحتج بقوله تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ثم قال ثم يأتى من بعد ذلك عام * (فصل من مضاعف هذا الحرف بيبة لم يوجد) * فى الكلام الفاء والعين فى كلمة واحدة من جنس واحد لا فاصل بينهما وهما متحركان الا ددوهو اللهوعلى انه محذوف من ددن وسيأتى ذكره فى باب الدال ان شاء الله وفى هذا الباب قالوا بيبة على انه مضعف وهى لغة عربية مشهورة يقلنها النساء حين يرقصن أولادهن قالت امرأة من قريش لأنكحن بيه * جارية خدبه * مكرمة محبة * تحب أهل الكعبة * قال أبو عبيد البكرى اختلف فى معنى بيبة فقال الخليل يوصف به الاحمق وقال ابن جنى حكاية الصوت الذى يرقص به الصبى وليس باسم انما هو كقولك قب اسم لموقع السيف وليس فى الكلام اسم أوله با آن الا هذا وقول عمر رضى الله عنه بيانا وسيأتى ذكره وأما البيغا والببر فمجميتان ووقع فى مختصر العين بيبة لقب رجل من قريش وكان فى طرة الكتاب اسمه وكرهت أن أذكره صيانة لنسبه الكريم وذكر انه كان أصم وبه لوثة وقالوا من مضاعف هذا الحرف هم على بيان واحد أى على طريقة واحدة على ان هذه اللفظة قد قيل ليست عربية محضة ولكن قد تكلمت بها العرب قالوا بيان واحد كما قالوا بأج واحد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان عشت فسأجعل الناس بيانا واحدا يريد التسوية بينهم فى العطاء والقسم وكان رأيه التفضيل فى الاعطية على السوابق ورأى أبى بكر التسوية بينهم وكان يقول هم اخوة أبوهم الاسلام فهم فى هذا المعنى اسوة وأجور أهل السوابق عند الله فرجع عمر الى رأى

أبي بكر آخر رضي الله عنهما تقدّم تجب أهل الكعبة أي تغلب نساء قريش حسنا قال الشاعر * جبت نساء العالمين بالسبب * قال من فسره هذه امرأة قدّرت عجيزتها بخيط وهو السبب ثم ألقته الى النساء ليفعلن كما فعلت ووضع السبب الخيط وقال ابن عزيز في قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء أصل السبب الحبل وقال ابن سلام مثله يقول فليعلق حبلا من السماء يعني سقف البيت ثم ليقطع أي ليقطع الحبل أما قوله تعالى فليرتقوا في الاسباب أي في الابواب وكذا العلى أبلغ الاسباب أسباب السموات وكذلك قال في قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا قال قتادة يعني علما وقال في قوله تعالى فأتبع سببا يعني منازل الارض ومعالمها لانه ملك مشارق الارض ومغاربها فالسبب على هذا الوصلة الى الشئ الذي يحاول المرء فعله وأصله كما قال ابن عزيز الحبل ثم استعير في هذه الاشياء والله أعلم وقوله جبت نساء العالمين بالسبب * بعده * فهن بعد كلهن كالحبب * الحبب البعير الحسير العي الذي لا يستطيع براحا يقال بعير محبب وقد أحب احبابا اذا برك من الضر الذي أصابه ويكون الاحباب أيضا في الابل كالحران في الخيل وأنشد

كيف قريت ضيفك الهرزبا * لما أتاك يابسا قرشيا
حلت عليه بالقطيع ضربا * ضرب بعير السوء اذ أجبا

معاني التاء

ويقال أيضا أحب الزرع وألب اذا دخل فيه الحب واللب * وأما التاء ففي الحروف المهموسة ومخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا وكذلك الطاء والدال والتاء من حروف الزوائد كما تقدم فتزاد في أوّل الفعل مثل تفعل للمذكر وتفعلين للمؤنث كما قال تعالى فانظري ماذا تأمرين وتلحق في آخر جماعة النساء نحو ذاهبات والمسلمات والمؤمنات وكان أصل هذا أن يقال فيه مسلمتات وذاهبتات لكن حذفت احدى التاءين لئلا يجمع بين علامتي التأنيث وكانت الاولى بالحذف أولى لانها تدل على معنى واحد وهو التأنيث وبقيت الثانية لانها تدل مع التأنيث على الجمع وتبدل مع الواحدة في الوقف هاء نحو ذاهبه ومسلمه وتلحق أيضا في نحو ذهبت وقامت وفي ملكوت وجبروت ورهبوت وغلبوت الذي وزنه فعلوت لانه من الغلب ولهذا يحتاج معرفة الحرف الزائد من الاصلي لسوق الاصلي من

الكلمة بالفاء والعين واللام والزائد على صورته كائنا ما كان كما قالوا في وزن دكتل من قوله تعالى فأرسل معنا أخانا نكتل وزنه على اللفظ نفتل وعلى الاصل نفتعل لان أصله نكتيل ففيه من الاصلى الكاف والياء واللام الموجودة في الكيل وهذا أصل قس عليه ما يرد عليك من مثله وغيره ان شاء الله وتزاد التاء أيضا في باب افتعل واستفعل وتكون للقسم كقوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم ولا تدخل الا على اسم الله وحده وتبدل من الواو في مثل تراث وتكاة وتخمة لانه من ورثت واتكأت واتخمت كما قاله أبو القاسم رحمه الله وقالوا اتقاة والاصل وقاة وجمعها تقى ورجل تقى أصله وقى وأصل تقوى وقوى وسيأتي الكلام في هذه اللفظة في باب الفاء والقاف ان شاء الله وتبدل أيضا من الطاء في قطر وأقطار فيقال قتر وأقتار وهي الجوانب قال الفرزدق

كم من غنى فتح الاله لهم به * والخيل مقعية على الاقطار

ويروى الاقتار قاله ابن هشام في تفسير قوله تعالى ولو دخلت عليهم من أقطارها يعني المدينة وأنشد زياد الاعجم * فتى زاده السلطان في الخير رغبة * البيت أراد السلطان وتبدل تاء افتعل أيضا طاء اذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء ولا بد من ذلك تقول من الصبر اصطبر ومن الضرب اضطرب ومن الطرد اطرد ومن الطهد اطهد ويقال تي وتا بمعنى ذه للمرأة وتحقيرها تيا وكان أصلها تنيا فحذفت التاء كراهة لاجتماع التا آت قاله (ع) وعلى هذا انشدوا

ها ان تا عذرة ان لم تكن نفعت * البيت وتمثل ذه واذا خاطبت مؤنثا قلت تيك وتلك وتلك بفتح التاء وهي لغة رديئة وفي التثنية تانك وتانك بالتشديد والجمع أولئك فالكاف لمن تخاطبه في التذكير والتأنيث والتثنية والجمع وما قبل الكاف لمن تشير اليه في جميع ذلك فاحفظ هذا الاصل وتدخل الهاء على تيك وتالك فتقول هاتيك هندوهاتالك قال عبيد يصف ناقة * هاتيك تحملني وأبيض صارما * وقال أبو النجم

جئنا نحييك ونستجديكا * فافعل بنا هاتالك أوهاتيكا

أي هذه أو تلك تحية أو عطية من التاج وقد تقدم في الشعر ألاتا وقول الآخر ألافا ويقال تأتأ التيس عند السفاد تأتأة وقد تقدم ويقال للرجل اذا تردد في التاء تأتأ فهو تأتاء على وزن فعلال وفيه تأتأة مثل فأفأة وقد تقدم ويقال فيه أيضا تمتم يتمتم تمتمة فهو تمتام وامرأة تمتامة ومنه قوله

فلا يحسب التمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال الراجز * ليس بفأفاء ولا تمتام * والفأفاء الذى يتردّد فى الفاء وقد قيل التمتام الذى يعجل فى الكلام ولا يكاد يفهمك والالثغ فى الراء ان يجعلها فى طرف لسانه أو يجعل الصاد ثاء والارث أن يجعل اللام تاء وقال المبرد فى الكامل والرثة كالرتج تمنع أوّل الكلام فاذا جاء منه شئ اتصل وذكر معها التمتمة والطمطمة واللكنة واللثغة والغنة والخنة وفسر ذلك فانظره * فرغ الكلام يافتى فى التاء ولم يبق غير الثاء *

خرجت من شئ الى غيره * بحكم مايأتى ومايفوت
لكنه علم ومن حقه * يقرا والاقلما يثبت

معانى الثاء

وأما الثاء فمخرجها من طرف اللسان واطراف الثنايا وكذلك الظاء والذال وهى من الحروف المهموسة وتبدل من الفاء لقرب المخرج فى مثل فوم فيقال ثوم وكذلك يقال جدف وجدث قال رؤبة * لوكان اجارى من الاجداف * وقالوا فم وثم وقالوا احثالة وحفالة قال ابن قتيبة ويقال حثل روى عن انس رضى الله عنه انه قال اللهم انى أعوذ بك ان أبقى فى حثل من الناس لا يبالوا أغلبوا أم غلبوا ويقولون التحنف والتحنث يريدون الحنيفية وقد قيل ان التحنث من الحنث والحنث الحمل الثقيل وتفعل يقتضى الخروج من الشئ واطراحه مثل التأثم والتحرج والتقذر وجاء من هذا فى الحديث وأخبر بها معاذ عند موته تأثما أى ليطرح عن نفسه الاثم كما قال الشاعر

تجنبت اتيان الحبيب تأثما * ألا ان هجران الحبيب هو الاثم

أنشده المازرى شاهدا على الحديث ويجئ أيضا تفعل بمعنى الدخول فى الفعل مثل تنقه وتنسك وهو أكثر من الاوّل وأشهر فعلى هذا تحنف اى دخل فى دين الحنيفية والله أعلم قال معنى هذا الاستاذ رحمه الله ويقال من مضاعفها ثأثأت الابل سقيتها ولم تروا وقد تثأثأت اذا شربت وثأثأت عنه الغضب أطفأته وثأثأت عن القوم دفعت عنهم والثأى الفساد وقد تقدم قال الشاعر

حبست كريما أن يجود بماله * سعى فى ثأى عن قومه متفاقم

يقول هذا الشعر الابيرد لعبيد الله بن زياد وكان قد حبس مرة بن محكان وكان جوادا تحمل حمالات عن قومه فعجز عنها فسجنه عبيد الله بن زياد فقال الابيرد

أبلغ عبيـــــــد الله عنى رسالة * رسالة قاض بالفرائض عالم
فان أنت عاقبت ابن محكان فى الندى * فعاقب هداك الله أعظم حاتم

لغات الفم

حبست كريما البيت * تقدّم فى البدل ثم وفم ومن شكل ثم فم وفيه لغات يقال هذا فم ورأيت فما ومررت بفم بفتح الفاء على كل حال ومنهم من يضم الفاء ويخفف الميم على كل حال ومنهم من يكسر الفاء على كل حال ومنهم من يعربه فى مكانين تقول هذا فم ورأيت فما ومررت بفم وأما تشديد الميم فانما يجوز فى الشعر كما قال

يا ليتها قد خرجت من فمه * حتى يعود الملك فى اصطمه

قال ابن السكيت لو قيل من فمه بفتح الفاء لجاز قال هذا صاحب كتاب تاج اللغة قال غيره الميم فى فم بدل من واو لان أصله فوه دليله أنه يجمع على افواه ورجل أفوه وامرأة فوهاء وقد فوه يفوه الا انهم استثقلوا اجتماع هاءين فى قولهم هذا فوهه بالاضافة فحذفوا الهاء فقالوا هذا فوه وفو زيد ورأيت فا زيد هذا فى الاضافة فاذا خذلوه من الاضافة قالوا فم أبدلوا من الواو ميما كما تقدّم قال ومن هاهنا لم يحسن فى سعة الكلام فلك ولا فه ولا فى انما يقال فولك وفوه وفىّ وقد أجازوا فه فى الشعر كما قال * يصبح عطشان وفى البحر فه * وكما قال الآخر * ما للغراب ولى دق الاله فه * وأكثر ما يأتى فى الكلام فوه وفاه وفىّ كما تقدّم فى الحديث حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك وقالوا كلمنه فاه الى فىّ أى مشافهة ونصبوا فاه على الحال والبيت الذى تقدّم يا ليتها قد خرجت من فمه هو لجرير فى سليمان بن عبد الملك يخاطب الرشيد

ان الامام بعده ابن امه * ثم ابنه ولىّ عهد عمه
قد رضى الناس به فسمه * يا ليتها قد خرجت من فمه

قلت قد خرجت من فمه كما تمنى جرير لكنه لم يرض بها الجم الغفير بل حمل الناس عليها بالسوط والعصا وحلق الرؤس واللحى منهم سعيد بن المسيب رضى الله عنه حلق رأسه ولحيته وطيف به المدينة وأمر به بعد ذلك الى السجن فرفعه الله وسيأتى خبره فى باب الجيم ان شاء الله وقد فرغ فى الثاء الكلام ولم يبق الا أبياتها والسلام فدونكها يا غلام

خرجت من شئ الى غيره * بحكم ما يأتى وما يحدث
لكنه علم ومن حقه * يقرا والا قلما يلبث

قافية الابيات

بقيت قافية الابيات يل ويل ويل * وبل وبل وتل وثل * أما بل فمن

بل

قولهم بل الرجل بللا من مرضه واستبل برأ قال الشاعر

اذا بل من داء به ظن أنه * نجا وبه الداء الذى هو قاتله

ويقال أبل أيضا (فائدة) قول هذا الشاعر وبه الداء الذى هو قاتله يريد أن الكبر الذى أمامه قاتله آخرا لا محالة كما قال الشاعر

يود الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل

يود الفتى بعد اعتدال وصحة * ينوء اذا رام القيام ويعدل

وقال الآخر * ودعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء *

وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح من هذا وأوجز كفى بالسلامة داء قيل يريد هذا المعنى وقيل كفاه داء فى الدنيا سلامته من الاسقام والأمراض والمصائب التى لو كانت لأجر عليها وأثيب فجعل هذا داء حيث لم يرزأ فى نفس ولا أهل ولا مال والله أعلم وأما بل خفيفة فحرف من حروف العطف معناه التدارك وقد يكون بمعنى أو وبمعنى الواو وبمعنى لكن وسيأتى الكلام عليها فى باب الواو ان شاء الله ولا أخليك هنا من فائدة قد تأتى بل فى موضع رب كقول الآخر * بل مهمه قطعت بعد مهمه * يعنى رب مهمه وكما قال الآخر * بل جوز تيهاء كظهر الحجفت * يريد رب وقال الحجفت ووقف عليها بالتاء وهى لغة لبعض العرب يقولون هذا طلحت وخذ الذرت أنشد قطرب * الله نجاك بكفى سلمت * من بعد ما وبعد ما وبعد مت *

* صارت نفوس القوم عند الغلصمت * وربما استعملت العرب بل فى قطع الكلام واستئناف آخر فينشد الرجل منهم الشعر فيقول

بل هاج احزانا وشجوا قد شجا * من طلل كالأتحمى أنهجا

ويقول * بل وبلدة ما الانس من آهالها * فبل فى أول هذا الرجز ليست من البيت ولا تعد فى وزنه ولكن جعلت علامة لانقطاع ما قبله قلت قد تفعل العرب هذا فى غير بل قال الشاعر ويروى انها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أو قالها متمثلا رضى الله عنه

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

انما يصح البيت بأن يسقط منه اشدد ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما يتم به المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون منه علما بان المخاطب يعلم ما يريدون به فهذا اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر أشدد فأظهره ولم يعتد به قال أبو العباس

حدثنى

حدّثنى ابو عثمان المازنى قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فارس حمر

وتمام الشعر لعمرى لسعد بن الضباب * رجع القول الى بل هى كلمة نقصانها مجهول ومثلها هل وقد ان شئت جعلت نقصانها واوا فقلت بلو هلو قدو وان شئت جعلته ياء فقلت بلى هلى قدى ومنهم من يجعل نقصانها مثل آخر حرف منها فيدغم فيقول بل هل قدّ بالتشديد وانما يقدر فيها ذلك كله اذا سميت بها ولا يردّ الا فى التصغير ولا تكون الا حرف لين فان لم تصغر فهى كيدو دم وتقدّم بلى بالتخفيف والسكون وشكله شكل بلى القبيلة المشهورة فى العرب والنسب اليها بلوى ومن شكل بلى قولهم فلان بذى بلى مشدّد اللام والياء للذى لا يعرف موضعه وفيه لغة أخرى فلان بذى بليان مخفف الياء على وزن فعليان مثل صليان جمع صليانة وهى حشيشة تأكلها الابل * وأما بل الثالث فمن بل الثوب وغيره فعل ماض وسيأتى * وأما بل الرابع فالمباح من قولهم حل و بل واختلف فى قولهم وبل فمنهم من جعله اتباعا على مذهب من يجيزه بحرف العطف ومنهم من جعل له معنى وهو المباح كما تقدّم وهذا أحسن لأن الاصمعى قال كنت أرى ان بل اتباع حتى زعم المعتمر بن سليمان أن بل فى لغة حمير المباح قال أبو عبيدة شئ من قولهم بل الرجل من مرضه وأبل اذا برأ كما تقدّم قال العباس بن عبد المطلب فى زمزم لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل و بل قالوا والاتباع فى الكلام انما يأتى للتقوية ولا معنى له الا ذلك كما قالوا شيطان ليطان وحسن بسن * سئل بعض العرب عن الاتباع فى الكلام فقال انما هو شئ نشد به كلامنا اى نقوّيه وقالوا جائع نائع واختلفوا فيه ايضا فجعله بعضهم اتباعا وبعضهم قال نائع عطشان وعليه أنشد ابن قتيبة

لعمر بنى شهاب ما أقاموا * صدور الخيل والأسل النياعا

يعنى الرماح العطاش وتقول بللت به بلالة و بلولا صليت به ومنه قولهم لئن بللت به لتبلن بالاسد وسيأتى الكلام عليه فى باب الراء ان شاء الله تعالى ويقال أيضا بللت به ظفرت ولئن بلت بك يدى لا تفارقنى أو تؤدى حتى ويقال لا تبلك عندى بالة أى لا يصيبك منى ندى ولا خير ويقال أيضا لا يبلك عندى بلال مثل قطام قالت ليلى الاخيلية

فلا وأبيك يا ابن أبى عقيل * يبلك بعدها عندى بلال

بل

والأبل الشديد اللؤم يقال منه رجل أبل وامرأة بلاء اذا لم يدرك ما عندهما من اللؤم ورجل أبل اذا كان خبيثا وأنشد ابن دريد فى ذلك لبعضهم

ألا تتقون الله يا آل عامر * وهل يتقى الله الأبل المصمم

وفسر ثابت الابل بالمطول فى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض عماله ماله قاتله الله انه لفاجر أبل أو أمين مايغل وفى بعض الروايات أو هو من لا يغل وفسر الابل الذى يمضى على أمره وشأنه لا يرجع عنه وأنشد

محرش يخلط افكا بجدل * أبل ان قيل اتق الله احتفل

والابل الحاذق البصير برعية الابل ومنه المثل أبل من حنيف الحناتم وكذلك قالوا أبل من مالك بن زيد مناة وكانا يحسنان معارعى الابل والأبل مخفف مضموم الهمزة والباء الاوان قال الرياشى سألت أبا العطاف قلت ما النشو قال الذى ينبت فى غير أبل فسره بعضهم الأوان كما تقدم ويقال نشو ونشى ونشأة ونشوة ومعكوس أبل لبأ مهموز مقصور وسيأتى ومن شكله لبى فلان بالحج يكتب بالياء وكتبه بالالف جائز كما تقدم ويقال لبأ فلان بالحج تلبئة بالهمز (و ج) وقال متصلا به قال الفراء وربما خرجت بهم فصاحتهم الى ان يهمزوا ما ليس بمهموز قالوا البأت بالحج وحلأت السويق ورثأت الميت والابل الذى لا يستحيى قال ابن دريد بلئت من المرض وبلات من فلان بشر اذا لقيته منه وبلة الشباب طراوته ويقال طويت فلانا على بلته وبلالته وبلوله وبلته وبلولته اذا طويته على ما فيه من عيب وأنشد

ولقد طويتكم على بلاتكم * وعرفت ما فيكم من الاذراب

ويقال لنور العضاه اذا خرج البلة والبلة داء يصيب الانسان فى جسمه ويقال فى الثوب بلة أى رطوبة والبلبلة الحركة والاضطراب تبلبل القوم بلبلة وبلبالا والبلبلة والبلبال أيضا ما يجده الانسان فى قلبه من حركة الحزن والبلبلة حكاية صوت التيس عند السفاد وفسره أيضا بحس الشاة ولدها ومن البلبال ويجمع بلابل حديث على رضى الله عنه صيام ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن بلابل الصدر يعنى وساوسه وخرجه ثابت وقال فى تفسيره نحو ما تقدم والبلبلة وسواس الهموم فى الصدر وانشد

وانى لأرضى منك يا مى بالذى * لو ابتغته الواشى لقرت بلابله

بلى وبان لا أستطيع وبالمنى * وبالوعد والتسويف قد مل آمله

لبأ

وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا تنقضى وأوائله

والبلبلة بالضم ضرب من الكيزان فى جنبه بلبل ينصب منه الماء والبلبل الخفيف العوان * وأما بل الخامس فأمر من بل الشئ يبله بالماء وغيره بلا وبلة وتقول ما أحسن بلة لسانه بالكسر والبليل الريح الباردة وبللت رحمى ببلالها وصلتها وجاء منه فى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام وجاء فى حديث آخر ان لكم رحما سأبلها ببلالها كذا رواه المحدثون بكسر الباء وقال الخطابى انما هو ببلالها الباء مفتوحة من بله كالملال من مله يمله * وأما بل الآخر فمن بل أيضا مبنى لما لم يسم فاعله وان شئت فقل بل مخففا أمر من البول ولا تخلى هذه اللفظة أيضا من فائدة والغرض فى ذكرها ان لا تكرر فى القوافى لفظة الا لمعنى وكذلك فى ألفاظ الابيات ان شاء الله فالبول معروف وسيأتى فى فصل الفوائد من كره ان يقول أبول ولكن ليقل أريق الماء ومن أجاز ذلك وسيأتى ذلك ان شاء الله والبول أيضا ولد الرجل فان جعلت الواو أصلية فى وبل فله معنى تقول وبل المرتع بالضم وبلا وبالا فهو وبيل أى وخيم ومنه استوبلت البلد أى استوخمته وفى الحديث فى شأن العرنيين استوبلوا المدينة وهو من هذا والوبل والوابل المطر الشديد وقد وبلت الارض توبل فهى موبولة قال الاخفش ومنه قوله تعالى أخذا وبيلا أى شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل منه أى شديد والله أعلم بقى من معكوس هذه اللفظة (لب) لب كل شئ من الثمار ولبابه داخله الذى يطرح خارجه وجمعه لبوب ولب الرجل عقله ولباب كل شئ خالصه كما قال الشاعر * لباب البر يلبك بالشهاد * وسيرد فى الكتاب عليك ساقه الله حلالا اليك * ورجل ملبوب موصوف باللبابة واللبسة وقد لب يلب واللب معروف واللبب البال يقال هو رخى اللبب واللبة واللبب من الصدر أوسطه ولبة القلادة واسطتها والتلبيب ما فى موضع اللبب من ثياب الرجل ولبيته جعلت فى عنقه ثوبا وقبضت عليه وفى الحديث من هذا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلبيته بردائه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى حكيم بن حزام رضى الله عنه والتلبب المتحزم بالسلاح واللبب الملازم للشئ ورجل لب قريب لطيف ولب بالمكان أقام به ومنه قولهم لبيك معناه لزوما لأمرك طوعا لك وقيل معناه اجابة بعد اجابة ومخرجه مخرج حنانيك وقد تقدم ونصب على المصدرية كقولك حمدا وشكرا وكان حقه أن يقال لبالك وثنى على معنى التأكيد أى لبا بالك بعد

بل

بل

لب

الباب واقامة بعد اقامة قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب دارى أى تحاذيها أى أنا مواجهك بما تحب اجابة لك وقد جمع على الب كما جمع بؤس على أبؤس ونعم على أنعم وربما أظهروا التضعيف قال الكميت

اليكم ذوى آل النبى تطلعت * نوازع من قلبى ظماء وألبب

ويقال بنات ألبب عروق فى القلب تكون منها الرقة وقيل لأعرابية تعاتب ابنا لها مالك لا تدعين عليه فقالت تأبى له ذلك بنات ألببى واللبابة لحس الشاة ولدها وقد تقدم واللبلابة حشيشة ولبابة اسم امرأة قال أكثر هذا (ع) وقال ابن دريد يقال لب بالمكان وألب لبا ولبابا وقال فى باب الراء رب بالمكان وأرب به اذا أقام ورب الرجل النعمة يربها ربا اذا تعمها وقد تقدم * يربون بالمعروف معروف من مضى * البيت وقد تقدم أيضا اللب الزرع وألب اذا دخل فيه الحب واللب ولب الرجل اذا صار لبيبا قالت صفية بنت عبد المطلب * أضربه لكى يلب * وكى يعود ذا اللعب * ورأيت فى موضع آخر ذا الرجز وفيه قالت أم الاحنف وأنشدت أضربه * واللب العقل والرجل اللبيب العاقل وجمعه ألباء تقول منه لبيت يا رجل بالكسر تلب لباية أى صرت ذا لب وحكى يونس فيه لبيت بالضم وقالوا رجل لبيب وكذلك قالوا امرأة لبيبة وقد تقدم لب كل شئ خالصه وربما سمى سم الحية لبا وجاء فى الحديث من لفظة لبيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت خرجه الترمذى وقال حديث صحيح وفى مسند شعبة من الزيادة فلا يحدثن بها الا حبيبا أو لبيبا فرغ هذا * وأما تل وثل فالتل مصدر تل يتل تلا وسيأتى ان شاء الله تعالى والتل أيضا الرابية والجمع تلال ويجمع أيضا تلول وجاء فى حديث الابراد بالصلاة وقال فيه حتى رأينا فى ء التلول يعنى بالتلول ما ارتفع من الأرض كالهدف ونحوه وسيأتى الفىء فى باب الفاء ان شاء الله وفى الحديث أيضا منه قال عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسونى ربى حلة ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله فذلك المقام المحمود وقيل فى المقام المحمود غير هذا وسيأتى فى باب السين ان شاء الله والتل أيضا موضع معروف قال الشاعر

الضاربون عميرا عن بيوتهم * بالتل يوم عمير ظالم عادى

ويقال رجل ضال تال وجاءنا بالضلالة والتلالة وهو الضلال ابن التلال وكل ذلك

تل

اتباع والتلتلة الاقلاق والحركة وقد تقدم وفى الامالى التلاتل والثراثر الهزاهز والتليل العنق وتلتله أى زعزعه وزلزله وقد جاء فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين أتى بسكران أو بشارب فقال تلتلوه وهزهزوه خرجه أبو عبيد وقال قال أبو عمرو هو أن يحرك ويزعزع ويستنكه حتى يوجد منه الريح ليعلم ما شرب وهى التلتلة والهزهزة والثرثرة بمعنى واحد والتلاتل الشدائد مثل الزلازل والتلاتل بضم التاء آنية تصنع من جف الطلعة قال أبو حنيفة والجف غلاف الطلعة ويكون لغيرها أيضا ويقال للجف أيضا القيقاء والمتل القوى الشديد يقال رمح متل وأسد متل منتصب وكان بعض أهل اللغة يقول انما سمى الرمح متلا لانه يتل به أى يصرع كأنه مفعل وهذا لا يقوله البصريون وقال الاصمعى المتل الغليظ وأنشد * فرأين منهوس الشجاع بكفه رمح متل * والمتل بالفتح المصرع ومنه حديث أبى الدرداء ابتنوا عليك البنيان وتركوك لمتلك ويقال هو بمتلة سوء أى بحال سوء وتأمر من هذا الفعل فتقول تل زيدا وكذلك المبنى لما لم يسم فاعله تقول فيه تل زيد * وأما تل الثانى فهو فعل ماض تقول تللت الشئ فى يد فلان اذا وضعته فى يده وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الاشياخ فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء فقال لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحدا قال فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده خرجه مالك رحمه الله فى الموطأ وفى القرآن العزيز فلما أسلما وتله للجبين معنى أسلما استسلما لامر الله رضى ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه ورضى ابنه عليه السلام بالذبح وقراءة على وابن مسعود رضى الله عنهما فلما سلما ومعنى تله صرعه على جبينه قاله المهدوى وقال البخارى فى جامعه وتله وضع وجهه بالارض وكلاهما قريب بعضه من بعض الا أن الجبين على ما قاله ابن قتيبة ما عن يمين الجبهة ويسارها وقد جاء فى الحديث ان الجبين هى الجبهة لقول الراوى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من مصلاه وعلى جبينه وأنفه أثر الماء والطين وفى حديث آخر لا صلاة لمن لا يصيب أنفه من الارض ما يمس الجبين فهو هنا الجبهة بلا شك وان سمى ما يكتنف الجبهة جبينا على ما قاله ابن قتيبة فجائز على الاتساع * وأما معكوس تل فهو لت لت السويق وغيره يلته لتا اذا بسه بالماء أو غيره واسم الفاعل من هذا لات والمفعول ملتوت أنشد الاصمعى لرؤبة

لت

ويأكل الحية والحيوتا * ويدمق الاقفال والتابوتا
ويخنق العجوز أو تموتا * أو تخرج المأقوط والملتوتا

والمأقوط المحمول بالأقط يقال منه أقط طعامه يأقطه أقطا ونوع منه البكيلة وهو السمن يخلط بالأقط وأنشد * غضبان لم تؤدم له البكيله * وقال أبو زيد البكيلة والبكالة جميعا الدقيق يخلط بالسويق ثم تبله بماء أو سمن أو زيت تقول منه بكلت السويق بالدقيق أى خلطته وبكيل حى من همدان ولعل نوفا البكالى الذى جاء فى حديث موسى والخضر عليهما السلام من هذا الحى أو مما ذكر قيل هذا والله أعلم وكذلك قرأ ابن عباس ومجاهد أفرأيتم اللات والعزى بالتشديد قال ابن دريد وقد ذكر اللات قد جاءت فى التنزيل بالتخفيف والتثقيل والله أعلم فان حملت هذه الكلمة على الاشتقاق لم أحب أن أتكلم فيها ولم يجئ فى الشعر الا بالتخفيف قال زيد بن عمرو بن نفيل

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمى بنى عمرو أزور

١٩. liii لات

بقى من شكل هذا الحرف لات الذى تقدم ولات حين مناص لات عند سيبويه مشبهة بليس ولا تستعمل الا مع الحين واسمها مقدر فى الجملة محذوف التقدير وليس الحين حين مناص وجاز الحذف مع تشبيه المرتفع بها المحذوف بالفاعل والفاعل لا يحذف لان أصل هذا الكلام بعد لات الابتداء والخبر فجاز الحذف كما يحذف المبتدأ وحكى سيبويه ان من العرب من يرفع الحين بعدها ويظهر الخبر وهو قليل والوقف عليها بالتاء فى مذهب سيبويه وابن كيسان والفراء والزجاج وعلى مذهب المبرد والكسائى بالهاء وذكر أبو عبيد أن التاء فى المصحف متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وخلاف قول المفسرين وكذلك روى الدورى وابن قتيبة عن الكسائى قراءتها ولاه فى الوقف بهاء ومعنى الآية ولات حين مناص وليس حين فرار عن ابن عباس وقال عكرمة ليس حين انفلات وقال قتادة نادوا حين لا حين نداء وسيأتى الكلام على حين وزيادة التاء فى تحين وتلان على ما أنشدوه فى الشعر ولا أقول فى القرآن العزيز شيئا أنظره فى باب النون فى الشعر الذى لى فاسمعه تلانا ان شاء الله ويقال ناص ينوص نوصا اذا فر واذا تأخر والمناص أيضا المنجا قاله المهدوى وبقى من شكله اللات أيضا جمع التى وفيها خمس لغات اللات بكسر

التاء بلا ياء واللاتى باليا ء واللواتى واللوات بلا ياء واللوا باسقاط التاء وأنشد أبو عبيد

من اللواتى والتى واللاتى * زعمن أن قد كبرت لداتى

وفى تثنيتها ثلاث لغات اللتان واللتان بتشديد النون واللتا بحذفها وفى مفردها ثلاث لغات أيضا التى واللت بكسر التاء مخففة واللت باسكانها وهى اسم مبهم للمؤنث وهى معرفة ولا يجوز نزع الالف واللام منها للتنكير ولا يتم الا بصلة وتصغيرها اللتيا قال الراجز

بعد اللتيا واللتيا والتى * اذا علتها نفس ترددت

ويقال وقع فلان فى اللتيا والتى وهما اسمان من أسماء الداهية وبعض الشعراء أدخل على التى حرف النداء وهو لا يدخل على ما فيه الالف واللام الا على اسم الله تعالى وحده فقال

من اجلك يا التى تيمت قلبى * وأنت بخيلة بالود عنى

ومن شكله أيضا الات بمعنى نقص من قوله تعالى لا يلتكم من أعمالكم شيئا أى لا ينقصكم وفيها لغتان لات يليت وعلمها قراءة الجميع غير أبى عمرو فانه قرأ يألتكم من ألت يألت تقول ألته حقه ألته ألتا نقصته وجاء فى حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا ثاركم وتولتوا أعمالكم أى تنقصوها قال ابن قتيبة كانه من أولت يولت أو ألت يألت ان كان مهموزا وقوله توتروا ثاركم أى توجدوهم الوتر فى نفوسكم والثأر العدو لانه موضع الثار *(فصل ومعكوس لات)* تال اسم فاعل من تلا يتلو اذا قرأ أو تبع تقول تلوت الرجل أتلوه تلوا خذلته وتلوته تبعته ونافة متلية التى تنتج فى آخر النتاج ومتل التى يتلوها أولادها والجميع متال وأتليت عليه من حق تلاوة اى بقية وتلوت القرآن تلاوة وجاء فى الحديث لا دريت ولا أتليت بقوله منكر ونكير عليهما السلام للمسئول فى القبر اذا قال لا أدرى قال الخطابى رحمة الله عليه المحدثون يقولون تليت والصواب ائتليت افتعلت من ألا بمعنى استطاع تقول ما ألوت هذا الامر وفيه وجه آخر وهو أن يقال وما أتليت يدعو عليه بأن لا تلى ابله أى لا يكون لها أولاد تتبعها ويقال ناقة متلية كما تقدم والله أعلم ويقال فلان تلاء للقرآن جاء منه فى الحديث ما خرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل حين دلاه فى قبره رحمك الله ان كنت لأواها تلاء للقرآن ويقال تلى فلان صلاته المكتوبة بالتطوع والتلاء بالتخفيف

اتل الذمة قال الشاعر * وسيان الكفالة والتلاء * ومقلوبه أتل يأتل أتلانا اذا قارب الخطو كأنه فى غضب وأنشد الفراء

أرانى لا آتيك الا كائما * أسأت والا أنت غضبان آتل

لاث واتل أمر من تلا قال الله تعالى اتل ما أوحى اليك من الكتاب * ومن شكله لاث بالشاء المثلثة وألفه منقلبة عن واو لاث عمامته على رأسه ولاث ازاره عليه أداره مرتين يلوث فى ذلك لوثا واللوث أيضا كثرة اللحم يقال ناقة ذات لوثة ودية لوثاء تلوث النبات بعضه على بعض واللائث من الشجر ما التبس بعضه على بعض ويقال لاث على القلب أى لائث كما قال الراجز * لاث به الأشاء والعبرى * وفى القرآن العزيز من هذا النوع حرف هار أى هائر والله أعلم وفى الحديث منه لا يحتكر الطعام الا طاغ أو باغ أو زاغ أراد أو زائغ فقلب للمطابقة ولو لم تكن لجاز على مذهب العرب والتاث فلان اذا أبطأ والتلوث فى الامر منه ورجل فيه لوثة أى حمق والملاث والملوث السيد الشريف وجاء فى الحديث من لاث أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وقد أقيمت الصلاة يصلى ركعتين فلما انصرف لاث به الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح أربعا الصبح أربعا خرجه الخطابى وقال معنى لاث به الناس أحاطوا به واجتمعوا عليه وكل شئ اجتمع والتبس بعضه ببعض فهو لائث وأنشد البيت المتقدم * لاث به الاشاء والعبرى * ومن مقلوبه

أثل أثل من قوله تعالى خمط وأثل فالخمط الاراك والأثل شجر شبيه بالطرفاء الا انه أعظم قاله ابن عزيز واختلف فى الطرفاء فمنهم من قصره ومنهم من مده وهو الاكثر قاله ابن ابى زمنين قال صاحب العين ويقال أثل يأثل أثولا اذا تأثل وأثل الله ملكه أى عظمه وأثلة كل شئ أصله وفى الحديث من قول أبى قتادة رضى الله عنه انه

لثا لأول مال تأثلته فى الاسلام ويأتى من هذه اللفظة لثا يكتب بالياء قال (ع) اللثى شئ أبيض من ماء الشجر يسيل كالصمغ فاذا جمد فهو صعرور وقد لثيت الشجرة وألثت ما حولها واللثياء التى يعرق قبلها وجاء فى كتاب الخطابى من اللثى قول أبى ثوران العكلى أخويت فلم أطعم ثلاثا الا لثى الاذخر ومجاجة صمغ الشجر أى ما تحلب من الصمغ وخبز مجاج خبز الذرة يفت فيروى باللبن ثم يؤكل قال الشاعر

* أطيب شئ باليمن * خبز مجاج باللبن * ذكره فى تفسير حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل القثاء بالمجاج وقال المجاج أحد شيئين العسل أو اللبن والثة

ليث

واحدة اللثات وهى لحم الاسنان وتجمع أيضا لثى وأصل لثة لثى والهاء عوض من الياء قاله صاحب التاج ومن مقلوب هذا الحرف بالياء ليث وهو الاسد ليثت فلانا زاولته مزاولة الليث وقد تليث وليث صار كالليث ومنه حديث عبد الله بن الزبير انه كان يواصل سبعا ثم يصبح اليوم السابع وهو أليثنا أى أشدنا مزاولة وأعظمنا غناء مشتق من اسم الليث ويقال تليث وليث أيضا اذا صار ليثى الهوى قال الراجز * دونك مدحا من أخ مليث * ومنه قول العجاج يصف الثور والكلاب

لاب

* شكس اذا لايثته ليثى * ومن شكل لاث لاب يلوب نوبا ولوابا اذا عطش ونخل لوب ولوائب ومن شكله لاب جمع لابة وهى الحرة ويقال لوب ومنه الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم مابين لابتيها حرام يعنى المدينة ويقال لابة وجمعها الاب ولابات ولوب يقال مابين لابتيها مثل فلان ولا يقال ذلك الا فى المدينة شرفها الله تعالى وفى الكوفة (ومعكوس) هذه اللفظة بال يبول من البول والاسم البيلة كالجلسة والركبة والمبولة بالكسر اناء يبال فيه ويقال لنبيلين الخيل فى عرصاتكم وبال قديم كما قال امرؤ القيس

بال

ألا انني بال على جمل بال * يقودبنا بال ويتبعنا بال

وقال الحريرى فكم أخطر فى بال * ولا أخطر فى بال

والبال الحال والبال رخاء العيش والبال بال النفس وتقول ما باليت بهذا الامر أى لم أعبأ به وما أباليه بالة ولم أبال ولم أبل وفى الحديث من هذا لا يباليهم الله بالة بمعنى انه يهينهم ولا يجزيهم خيرا والله أعلم والبالة أيضا القارورة التى يجعل فيها الطيب فارسى معرب وأصله بلغتهم ميلة والبال الذكر والبال القلب والبال جمع بالة وهى الحراب الضخم والبال سمكة ربما كان طولها أكثر من خمسين ذراعا قاله الجاحظ والبوال داء يصيب الانسان فيأخذه البول ويقال رجل بولة * ومن مقلوبها بلى مقصور جواب ألم تفعل ولا يكون الا فى السؤال المنفى بخلاف نعم تكون جوابا للسؤال الموجب واذا غيرهذا عن هذه الحال فسد المعنى وانقلب جاء من هذا

بلى

فى القرآن فهل وجدتم ما وعدربكم حقا قالوا نعم وألست بربكم قالوا بلى وأما بلاء بالهمز فمعناه الاختبار والتجربة بلوته أبلوه بلوا وبلاء وابتليته جربته والبلاء يكون فى الخير والشر يقال أبليته بلاء حسنا وبلاء سيئا ويقال بلى الشئ بلى بالقصر وبلاء بالمد والهمز وأبليت فلانا عذرا والبلوى البلية والبلية أيضا داية كانت تشد

فى الجاهلية عند قبر صاحبها حتى تموت وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى وبلى حىّ من اليمن ويقال الناس بذى بليان وبذى بلى أى متفرّقون وقد تقدّم وأزيدك فائدة قال خالد بن الوليد رحمه الله فى كلام أتاوابن الخطاب حىّ فلا ولكن اذا كان الناس بذى بلىّ وذى بلىّ قال أبو عبيد يريد تفرق الناس وان يكونوا طوائف مع غير امام يجمعهم وبعد بعضهم من بعض وأنشد الكسائى

ينام ويذهب الاقوام حتى * يقال أتوا على ذى بليان

ألب

ومن مقلوبها ألب وقد تقدّم وألب عليه بمعنى كثر وأمال ومالأ وألب منه يقال الناس الب واحد عليه قال الشاعر

والناس الب علينا فيك ليس لنا * الا السيوف وأطراف القنا وزر

ويقال ألب الابل يألبها ويألبها ألبا جمعها وساقها وتألبوا تجمعوا فهم ألب والب وقال الالب الصغو ومعناه الميل ومنه فقد صغت قلوبكما أى مالت وفى الحديث فأصغى لها الاناء حتى شربت يعنى أماله والالب أيضا نبات مسموم ان وجدت سباع الطير ريحه عميت وصمت وان أكلته ماتت والقشب ضرب منه وهو نبات رطب مسموم ينصب لسباع الطير فى لحم فاذا أكلته ماتت والعرب يجتنبونه ماشيتهم فى المرعى كى لا تحطمه فيفوح من ريحه مايقتلها قال هذا كله أبو حنيفة فى كتاب النبات وقال أيضا الفجاج كل نبات مسموم والألب لغة فى اليلب وهى الترسة ويقال الدرق ويقال هى البيض من جلود الابل ويقال اليلب الفولاذ من الحديد الواحدة يلبة قال (ع) ويقال للبيضات أيضا الخوذ قال الشاعر

ومايمنع الخائفين الحمى * لمس دروعهم والخوذ

لبى

ومن مقلوبها لبى يكتب بالياء تقول لبى الرجل يلبى تلبية بمعنى أجاب وقد تقدّم ولبأ مقصور وهو ولد خاثر تأتى به الشاة وغيرها عند الولادة يقال لبأت الشاة ولدها وألبأته أرضعته اللبأ والتبأها ولدها ولبأت الشاة والتبأتها حلبت لبأها واللبوة واللبوة واللباة الانثى من الاسد قاله (ع) وعن أبى حاتم اللبوة واللبة واللباة وفى الحديث من اللبأ ما خرج الترمذى عن كادة بن حنبل ان صفوان بن أمية بعث بلبن ولبأ الى النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى كاملا مفسرا * ومن مقلوبه ابل وابل وابل

ابل

فأما الابل فمعلومة جمع لا واحد لها من لفظها لان أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم فاذا صغرتها

ادخلتها

أدخلتها الهاء فقلت أبيلة وغنيمة وربما قالوا للابل ابل بسكون الباء للتخفيف والجمع ابال قال الراجز يصف الغيم * ابل فى السن الى ربابه * اسنمة الابال فى سحابه * يعنى ان سمن الابل وارتفاع أسنمتها انما هو من المرعى الذى ينبت من هذا المطر فتأكله فسمن عليه واذا قالوا ابلان وغنمان فانما يريدون قطيعين من الابل والغنم والنسبة الى الابل ابلى بفتح الباء استيحاشا لتوالى الكسرات وابل أبل مهملة فان كانت للقنية فهى ابل مؤبلة وان كانت كثيرة قلت أوابل والابل المؤبلة أيضا التى جعلت قطيعا قطيعا والآبل ذو الابل كما تقول لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر وقد تقدم والآبل الحاذق البصير برعية الابل * وأما ابل تقول أبلت الابل تأبل وتأبل أبلا وأبولا اذا اجترأت بالرطب عن الماء والأبول الاقامة فى المرعى وتأبل الرجل عن امرأته اجترأ عنها والابيل القطعة من الخيل وخيل أبابيل كما تقول فى الطير من قوله تعالى طيرا أبابيل قال ابن عزيز أبابيل جماعات متفرقة أى حلقة حلقة واحدها ابال وأبول وابيل ويقال هو جمع لا واحد له وأما ابل واشكاله فقد تقدم وتقدم أيضا بل وأبل من مرضه بمعنى برأ والوبلة بالتحريك الوخامة والثقل من الطعام وفى الحديث كل مال أديت زكاته فقد ذهبت ابلته وأصله وبلة من الوبال فأبدل بالواو الالف مثل أحد أصله وحد كما تقدم والابالة بالكسر الحزمة من الحطب وفى المثل ضغث على ابالة أى بلية على أخرى كانت قبلها وبعضهم يقول ابالة مخففا وينشد

لى كل يوم من ذؤاله * ضغث يزيد على ابالة

والابيل راهب النصارى وكانوا يسمون عيسى عليه السلام أبيل الأبيلين حذفوا ياء النسبة كما حذفوا فى الاشعرين وغيره * فرغ الكلام من القافية على حد

ثل

الاختصار بقى من شكلها ثل أخرت الكلام عليها الى باب النون لانى لم أجد فى قافية النون الا نل واحتجت الى مايشاكلها فسقت معها ثل على ماتراه ان شاء الله وكنت أيضا قرنت مرة النون فى باب الباء وأخواتها فردّدت لها الثاء عوضا عما استعرت وقلت فى ذلك

لما استعرت النون فى باب با * عوضتها بالثاء فى حرف نون
فان تصرفه يلح فيه من * علمهما ان تبحر فتون
فخذ هداك الله بيتين فى * آخر كل فيهما حرف نون

خرجت من شئ الى غيره * من باب ناب ثم ناب وتاب

وها أنا أذكر من بعدذا * فوائد الباب بنص الكتاب
وأنت ياقارئه فاجتهد * وادع لمن ألفه بالمتاب

(فصل من الفوائد تقدّم فى أوّل الباب مثلان) أحدهما أحق الخيل بالركض المعار والآخر لامرّ ما جدع قصير أنفه أما هذا فقد تقدّم طرف منه وشارح مقصورة ابن دريد ذكره مطوّلا انظره هنا لموفقا وأما *أحق الخيل بالركض المعار* فان فيه أقوالا قالوا المعار من العارية وذلك انه لا شفقة من المعير على العارية لانها ليست له واحتجوا بالبيت الذى قبله وهو لبشر بن أبى حازم فى صفة الفرس

كان حفيف منخره اذاما * كتمن الربوكير مستعار
وجدنا فى كتاب بنى تميم * أحق الخيل بالركض المعار

قالوا والكير اذا كان عارية كان أشدّ لكده وقال من ردّ هذا المعار السمين يقال أعرت الفرس اعارة اذا سمنته واحتج بقول الشاعر

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيل بالركض المعار

واحتج أيضا بان أبا عبيدة زعم ان هذا البيت وما بعده فى كتاب بنى تميم ليس لبشر وانما هو للطرماح وكان أبو سعيد الضرير صاحب عبد الله بن طاهر يردّ هذه الرواية فيرويها * أحق الخيل بالركض المغار * بالغين المعجمة أى المضمر من قولهم أغرت الحبل اذا فتلته واذ وقعنا فى ذكر الخيل العراب فدونك فيها حديثا غريبا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أباكم اسماعيل أوّل من ذلّلت له الخيول العراب فاعتنقها ثم أورثكم حبها وذلك انها كانت كسائر الوحش فلما أذن الله تعالى لابرهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت أعطى كل واحد منهما كنزا من كنوزه فأوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام انى معطيك كنزا من كنوزى لم أعطه أحدا قبلك فاخرج فنادبالكنز يأتك قال فخرج اسماعيل عليه السلام ومايدرى ماذلك الكنز ولا يدرى كيف الدعاء به حتى أتى أجيادا فألهم الله تعالى اسماعيل الدعاء بالخيل فنادى ياخيل الله أجيبى فلم يبق فى بلاد العرب كلها فرس الا أتاه وذلله الله له فأمكنته من نواصيها قال ابن عباس رضى الله عنهما فلذلك سمى ذلك الموضع أجيادا وقال عليه الصلاة والسلام الخيل العراب تراث أبيكم اسماعيل عليه السلام فاعتنقوها واركبوها فانها ميامين فالخيل المعروفة عند العرب بنات الاعوج والوجيف

ولاحق وبنات العسجد وآل ذوى العقال وداحس والغبراء والجرادة والحيفاء والنعامة والشماخ وحافل والشقراء والزعفران والحرون ومكتوم والبطين وقرزل والصريح والزبير والوجيف وغلوى * ومن كتاب التاج قال الاصمعى الحرون من الخيل أعوج وسمى بذلك لانه كان يسبق الخيل ثم يحرن ثم تلحقه فاذا لحقته سبقها ثم حرن ثم سبقها * ومن كتاب عياض رحمه الله قال أبو العباس المبرد وأعوج فرس لغنى وسمى أعوج لانه ركب صغيرا رطبا قبل أن تشتد عظامه فاعوجت قوائمه وقيل بل ظهره وامه سبل وكانت لغنى وهذا أعوج الاصغر وأما أعوج الاكبر فهو فرس اسمه الهجرس والهجرس ولد فرس اسمه الدينار والدينار ولد زاد الراكب فرس سليمان بن دواد عليهما السلام وهو بقية من الخيل التى خرجت من البحر وكان أعطاه لقوم وفدوا عليه وقال لهم تصيدوا عليه ماشئتم وكانوا من جرهم فكان لا يفوته شئ فسمى زاد الراكب والله أعلم انتهى كلام عياض رحمه الله * ومن بركة الخيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والغنيمة قال بعض العلماء يخرج من هذا الحديث ان الغزو مع كل بر وفاجر الى يوم القيامة ومن بركة الخيل ماقاله أبو ذر رضى الله عنه خرجه أبو ثابت رحمه الله قال ليس فرس الا انه يدعو الله فى كل سحرية يعنى سحرا وأنشد * فى ليلة لا نحس فى * سحريها وعشائها * وذكر ابن قتيبة رحمه الله فى كتاب تفضيل العرب وقد ذكر جهل بعض الناس بمعرفة الشعر فقال بعد كلام طويل وبعضه كقول القائل

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد

الابيات وتاتى ويعارض ذلك بملوك فارس وأسرتها وتيجانها وبان ابرويز ارتبط تسعمائة وخمسين فيلا على مرابطه وبلغت نجدتها التى كان يشرب بها الداخل عليه ألف اناء من الذهب وخدمته ألف جارية وقد جهل هذا معنى الشعر فأخطأ فى المعارضة وفخر بما ليس له فيه حظ ولا نصيب أما معنى الشعر فان أبا عبيدة رحمه الله ذكر أن وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر فأخرج بردى محرق وهو عمرو بن هند وقال ليقم أعز العرب قبيلة فيأخذهما فقام عامر بن احمر بن بهدلة فأخذهما فاتزر بواحد وارتدى بالآخر فقال له بم أنت أعز العرب قال العز والعدد من العرب فى معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى خندف ثم فى بنى تميم ثم فى سعد ثم

فى كعب ثم فى بهدلة فمن أنكر هذا من العرب فلينا فرنى فسكت الناس قال النعمان هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى أهل بيتك وفى بدنك قال أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة وخال عشرة يعنى الأكابر على الاصاغر والاصاغر على الاكابر وأما أنا فى بدنى فهذا شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من أزالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد من الناس فذهب بالبردين فسمى ذا البردين قال الفرزدق

فما تم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتهدل

لهم وهب النعمان بردى محرق * يجد معدّ والعديد المحصل

وأما الفرس الورد فان الخيل حصون العرب وسبب الغزو وسلم المجد وثمال العيال وبها يدرك الثار وعليها تصيد الوحش وكانوا يوثرونها على الاولاد بالبن ويشدونها بالافنية للطلب والهرب وقد كنى الله عنها بالخير فى كتابه فقال حكاية عن سليمان صلى الله عليه وسلم انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب يعنى الخيل وبها شغل حتى غابت الشمس وقال لبيد

وللخيل أيام فمن يصطبرلها * ويعرف لها أيامها الخير يعقب

وقال آخر ولقد علمت على توق للردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

والنبى عليه السلام يقول الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة واذا كان للرجل منها جواد كريم مبرز شهر وعرف وقيل العسجدى ولاحق وداحس والورد كانوا يسمونها ويفتخرون بها فى كلام طويل وكان للنبى صلى الله عليه وسلم خمسة من الخيل ذكرها البخارى وسماها السكب واللحيف والمرتجز واليعبوب واللزاز ويأتى تفسيرها فى باب الزاى ان شاء الله تعالى عند ذكر اللزاز وقد نظمتها فى بيتين وهما

* خيل النبى السكب واليعبوب ثم المرتجز *

* ثم اللحيف واللزاز خمسة فى ذا الرجز *

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم خيل غيرها ذكر أبو داود أن ذا الجوشن الصابى قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من بدر بابن فرس يقال لها القرحاء وذكر الحديث الا انه ليس فيه بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم أتخذ هذا الفرس أم لا وصح انه كان له فرس يسمى الضريس وآخر يقال له ملاوح وآخر يقال له الورد وهو الذى وهبه عليه السلام لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فحمل عليه رجلا فى سبيل الله ثم أراد الرجل بيعه وأراد عمر أن يشتريه قال عمر وظننت انه بائعه

برخص فسألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشتره وان أعطاكه بدرهم واحد فان العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه وهو المذكور فى الموطأ وكان للمسلمين يوم بدر ثلاثة من الخيل لا غير فرجة فرس المقداد واليعسوب فرس الزبير وفرس لا أقف على اسمه الآن وفرس جبريل عليه السلام حيزوم وقيل ما اكتسب أحد من العرب فرسا الا سماه وكذلك الابل وذلك مشهور عندهم معلوم ويذكرون ذلك فى أشعارهم كما قال بعضهم

قد لفها الليل بسوار حطم * هذا أوان الشد فاشتدى زيم

وسيأتى الكلام فى الغزو بالخيل ومالصاحبها فى ذلك من النيل فى باب الهاء ان شاء الله تعالى *(فصل فى فضل العرب)* من ذلك ماجاء فى الخبر من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا أربت وما أعطيت الليلة أعطيت الكنز من كنز كسرى وقيصر وأمددت بالملوك ملوك حمير اللهم ارحم حمير وخص قضاعة بالسلام وقال رجل لعبد الله بن عمرو بن العاص ان حمير تزعم أن تبعا منهم قال نعم والذى نفسى بيده وانه فى العرب كالانف بين العينين وكان بينهم سبعون ملكا قال النعمان بن بشير

لنا من بنى قحطان سبعون تبعا * أطاعت لها بالخرج منها الاعاجم

وقال أبو هريرة رضى الله عنه ملوك العرب حمير ومن حمير المثامنة وهم ثمانية رهط ولاة العهد بعد الملك وبعد المثامنة أربعة الاف قيل والقيل الذى يسمع الملك كلامه ولا يكلمه غيره ومنهم الوزعاء المشاة وهم عمال المخاليف وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاقيال والاقوال والعباهلة وانما قيل له قيل لانه اذا قال شيئا لم يرد عليه * وقال خلف الاحمر المتوجون من ملوك العرب فى ثلاث قبائل قضاعة ومتوجوها فى بنى آكل المرار وبنو عامر ومتوجوها فى الخزرج وفى مضر متوجون وذكر ابن عبد ربه رحمه الله ان النعمان بن المنذر وفد على كسرى فوجد عنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثنى فارسا ولا غيرهم فقال كسرى وأخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الامم فرأيت الروم كذا ووصف من حالهم وجعل يثنى عليهم ورأيت الهند التى لها كذا وكذا ثم قال مثل ذلك فى الترك والخزر والصين متى ذكر قبيلة أثنى عليها ووصف ما يفتخرون به

ذكر فضل العرب على العجم

ثم قال ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير وجعل يصف شأنهم وهو يحقرهم ويصغرهم فقال النعمان أصلح الله الملك وجعل يثني عليه ثم قال ألا ان عندي جوابا في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فان آمنني من غضبه نطقت به قال كسرى فأنت آمن فقال النعمان أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به في عقولها وأحلامها وسطة محلها وبحبوحة عزها وما أكرمها الله به من ولاية أبائك وولايتك وأما الامم التي ذكرت فأي أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها قال كسرى بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها ودينها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها فأما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجنود لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نايل حصونهم ظهور خيولهم مهادهم الارض وسقفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور وأما حسن وجوهها وألوانها فقد تعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المحرقة والصين المخمتة والترك المشوهة والروم المقشوة وأما أحسابها وأنسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أوائلها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمي آباءه أبا أبا حفظوا بذلك أحسابهم وضبطوا به انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير أبيه وأما سخاؤها فان أدناهم رجلا الذي يكون عنده البكرة أو الناب علها ابلاغه في حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له من دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الثناء وأما حكمة ألسنتها فان الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضرب الامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشئ من ألسنة الاجناس ثم خيلهم أفضل الخيول ونساؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبعد عن مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر وأما دينها وشريعتها فانهم متمسكون بها حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه ان لهم أشهرا حرما وبلدا حراما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون ذبائحهم فيلقى الرجل

قاتل

قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وادراك دمه فيجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بالأذى وأما وفاؤهما فان أحدهم يلحظ اللحظة ويومى الايماء فهى الب وعقد لا يحلهما الا خروج نفسه وان أحدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان أحدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى تفنى تلك القبيلة التى أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحروب من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله وأما قولك أيها الملك يئدون أولادهم من الحاجة فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا آنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائرهم فيلقون اليهم أمورهم وينقادون اليهم بأزمتهم فأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا اجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطء والعسف وقال الى غير ذلك كلاما طويلا اختصرته فعجب كسرى مما أجابه النعمان به وقال انك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل اقليمك ولما هو أفضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين أمرهم بعث الى أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة وجماعة من رؤس العرب سماهم فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم قد عرفتم حال هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منهم وقد سمعت من كسرى مقالة أتخوف أن يكون لها غور واقتص عليهم مقالة كسرى ومارد عليه فقالوا وفقك الله أيها الملك ما أحسن ما رددت عليه وأبلغ ما حاجته به فمرنا بأمرك وادعنا الى ما شئت قال النعمان انما أنا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم وبما يتخوف من ناحيتكم وليس شئ أحب الى مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم والرأى ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا بكتابى هذا الى باب كسرى فاذا دخلتم عليه نطق كل واحد منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن أو حدثته به نفسه ووصاهم بوصايا وكتب لهم كتابا سماهم فيه واحدا بعد واحد بعد أن اعتذر اليهم فى تقدمة بعضهم على بعض وقال انما فعلت ذلك لعلمى

بحرص كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه فى الكلام فلا يكونن ذلك فيجد فى آدابكم مطعنا فانه ملك مترف وقادر مسلط ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرف حلل الملوك فكسا كل واحد منهم حلة وعممه بعمامة وختمه باقوته وأعطاه نجيبة مهرية وفرسا يجنب معه وكتب فى كتابه أما بعد فان الملك ألقى الىّ من أمر العرب ما قد علم وقد أوفدت اليك أيها الملك رهطا من العرب فليسمع الملك منهم وليغض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمنى باكرامهم ويجل سراتهم فلما قدموا على كسرى أذن لهم بالكلام فتكلم كل واحد منهم بما قد كتب ودوّن واتخذ أصلا حسبما هو مذكور فى العقد فعجب كسرى من بلاغتهم وخطابتهم وربما كان فى بعضها قوة وجفاء فقال لهم آخر ذلك كله قد قبلت ما كان فى منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من غير ذلك فانصرفوا الى ملككم والتزموا طاعته وأمر لكل واحد منهم بخمسين دينارا وحلة وصرفهم اختصرت الخبر فهذا بعض فضل العرب وخلف الاحمر فى فضلهم أيضا كلام كثير وقد تقدم منه طرف فى أوّل الكتاب وتقدّم أيضا قول النبىّ صلى الله عليه وسلم لسلمان رضى الله عنه يا سلمان لا تبغضنى فى أخبار كثيرة من هذا المعنى فاذا لا يبغضهم الا زنديق أو من حاد عن الطريق كما يذكر عن أبى عامر بن غرسية البشكنسى انه انشأ رسالة يفضل فيها العجم على العرب ظن انه أعرب فيها وأغرب ففسق بها وبدع وسب بسببها وجدع وردّ عليه جماعة من العلماء الفضلاء النبلاء أما أحدهم فافتتح الردّ عليه بقوله

وذى خطل فى القول يحسب انه * مصيب فما يهتف به فهو قائله

والبيت لزهير وممن ردّ عليه الفقيه الفاضل أبو مروان عبد الملك بن محمد الاوسى فى رسالة سماها رسالة الاستدلال بالحق فى تفضيل العرب على جميع الخلق والذب والانتصار لصفوة الله المهاجرين والانصار وللفقيه الاديب أبى الطيب عبد المنعم ابن من الله رسالة سماها حديقة البلاغة وروحة البراعة المونقة افنانها المثمرة أغصانها بذكر المآثر العربيه ونشر المفاخر الاسلاميه والرد على ابن غرسيه فيما ادّعاه للامم العجميه وللفقيه الامام الكاتب ذى الوزارتين أبى عبد الله بن أبى الخصال الغافقى رسالة سماها خطف البارق وقذف المارق فى الردّ على ابن غرسية الفاسق فى تفضيله العجم على العرب وقرعه النبع بالغرب ومن المتأخرين ايضا الفقيه الاجل

المحدث الافضل أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي عرف بابن الغرس رحمهم الله فأما ابن أبي الخصال فأخفى عليه وصال بحجاج أمضى من النصال ماله عنها انفصال وقد أراني جميع ذلك بعض الاصحاب ممن هو في العلم في السحاب وفي جملتها كلام ابن غرسية المذكور في رسالته الدالة على فساد القول وفساله التي فضل فيها على العرب العجم وأراد أن يعرب فأعجم فقلت وقد غاظني ما رأيت لهذا الجاهل من الاقتراف وأنا بالعجز عن معارضة من سبقني من العلماء ذو اعتراف

أقول لباغ في مقالته يهفو * حسود كثير الضغن شيمته السخف
يعيب بما قد قاله العرب الالى * هم الرأس والباقون بعدهم الظلف
وزاد كذا تفضيل قوم لبؤسهم * رئيسهم شيخ الكنيسة أسقف
الا فاغضبوا يا مؤمنين لدينكم * ولا تضعفوا فالدين ليس به ضعف
أليس عظيما يقدم الاوجه الفما * ومعلوم ان الاذن يقدمها الانف
ولكنه من عاش يبصر عجائبا * ويسمع حديثا ليس يبلغه الوصف
فقلت لنفسي مسليا عن تلهف * ترفق بنفس كاد يتلفها اللهف
وهل حاسد الا مقالته أف * وهل ضوء نور الشمس يستره كف
فقل للذي قد عاب قوما أعزة * ويدلهُ ان النكر يغلبه العرف
حضضت على نشر الثناء عليهم * ولم يك مستورا فينشي له كشف
ولكنه كالعود شب له الغضى * فألقي فيه فانثنى وله عرف
وأيضا فمن هذا الذي رام حطهم * بما حط من سخف تضمنه صحف
اذا قيل من قالوا ابن غرسية كفى * به شرفا ان النصارى له الف
تعلم منهم قسوة القلب والجفا * ولكنه جاف ولفظ له جلف
فهب انه سحبان والله قد وفى * بما لاح في مكتوبه انه خلف
أيطفئ نور الله نفثة نافث * وهل ماء هذا البحر ينزفه غرف
أبيت ويأبى الله ذلكم لهم * ولو جاء من مثل ابن غرسية ألف
فقل للكرام السادة العرب حسبكم * لسان الورى طرا على مدحكم وقف
ونصركم حقا عليهم بكل ما * يطيقونه والودّ منهم لكم صرف
ولولم يكن الا لأن محمدا * عليه سلام منكم أيها الصنف

خليل اله العالمين نبينا * ومن منه نرجو العطف يتبعه العطف
ولكن سيدري من يقول مقالتي * ومن قال أيضا ضدها من له العنف
وقد قلت ذا أبغي به الله وحده * وان شا به شئ فربي قد يعفو
فان كنت لم أشبع فقد قيل قبل ذا * كلام ويكفي من مضمنه النصف
وأستغفر المولى وأسأله الرضى * فمن عنده تأتي المبرات واللطف

وكان ذلك الصاحب المذكور أيضا قد ردّ عليه بمكتوب فيه مقطوعة من نظم فيه أبدع فيها وفي قوافيها وأراد مني أكرمه الله ان أحذو حذوهم في ذلك الغرض ورآه على أهل الادب كالشئ المفترض

فقلت له دع ذا فليس بشافي * وتكليف مثلي ذا من الهذيان
ومن أين للمقصوص بالطيران * وللفرس المرهوص بالجريان

ظن وفقه الله ان عندي في ذلك طول اتساع وطول ذراع وباع فتادية اياذا المعقول لو كنت كما تقول ورزقت من العلم ما رزقه اولو العقول ما زدت على ان أسلم ذلك المنقول وهل تركوا رضي الله عنهم لقائل ما يقول سبقوا الى المشاهد والاثر واستبقوا الى الشاهد بالخبر والاثر وحلوا كتبهم بالشعر والمثل وخلوا ابن غرسية حلت به المثل فسقوه وبدّعوه وسبوه وجدّعوه وكأس الموت قبل الفوت جرّعوه فليت شعري الذي يسلك اليوم مسلكهم أو يقفوه بما ذا يفوه فوه فكيف وليت من يقفو آثارهم وكيف يشق غبارهم لكني لا أخليك من صحيفة كلام كصفيحة حسام هو لذلك العائب كلام ككلام وملام ذو ايلام ثم أقصد السجع والفصاحه ولا أشينه بفحش وقباحه اذ قد كفاني أصحابنا ذلك أو لوا الحفائظ والرجاحه الذين فللوا سلاحه وقللوا اصلاحه لكن قصدت بهذا الكتب نوعا من العتب على سبيل الاقتصار على الاختصار ومن الصنف الذي عهدت مني ورويت عني من المقلوب المعكوس في ذم كتاب هذا المنحوس المنكوس ولم آت منه الا بالسير القليل بجمود الذهن الحسير الكليل لكنه مع قلته آهل عامر بثلب مكتوب أبي عامر لانه آذاني بما وقع في آذاني من سبه في كتابه جميع العرب الا بعد منهم والاقرب عابهم فيه وشانهم وحقر أمرهم فيه وشانهم ثم مد لسانه الا لكن بما قدر عليه من القبيح وأمكن فجاهر بذكر المطهرة هاجر صرح في ذلك الكتاب المنطوي على العمه بانها أمه وهب كان ذلك كذلك أليس ابراهيم الخليل عليه

السلام

السلام خليلها وضجيعها وحليلها أليس اسماعيل الكريم ولدها ومكة شرفها الله بلدها حيث فجرت زمزم بسببه فجرت عينا لمشربه وقيل فيها هذه زمزم لا تنزف أبدا ولا تزم تذهب الوله والبله وماء زمزم لما شرب له وكم لها رضى الله عنها من فضيلة وسنه ووسيلة ومنه هى لنا الى اليوم أسوه وعبادة وقدوه كالطواف بين الصفا والمروه والسعى فى بطن المسيل ودمعها يسيل شفقة على ابنها اسماعيل اذ كان صبرها عليه قد عيل وكجر الذيل سترا للنساء حتى فى المرط والكساء وكتدميتهن فى الارتفاع منهن والانخفاض فى ثقب الأذنين والخفاض هذا الابقاء ماء الوجه وحظوة الزوج الالوف وذلك لتعليق القرط والشنوف الى غير ذلك من الشعائر والمشاعر التى عمى عن علمها المطاعن المباهر المكنى بأبى عامر الملقب بالشاعر الذى ترك ذكر هذا كله من العرف وهدم عليه أى جرف ولم يتفقه فيه بحرف بل قصدنا بالمعائب وأتينا وأدخل معنا فى ذلك المبرأة أتينا فعمنا وعمنا فهلا اذ قدح مدح ولما فتق رتق وحين جرح داوى ذلك الجرح وترك موضعا للصلح لاجرم انه اجترم ولم يحفل بمنصب النبوه ولم تهزه أريحية الفتوه ولا لاح عليه عرف البنوه ولا فاح منه عرف الابوه فلذلك استحق على قوله المقت من وقته الى هذا الوقت والمصرح به من القبوح والفضوح وهل بعد شتم الوالدين صلوح ثم ان المسكين زاد الطين بله بمدحه غير أهل الملة من الاكاسرة والقياصره وبأبى الله الا أن يعز هذا الدين وناصره أقام له حماة أمجادا كماة أنجادا نصروه بكلامهم وزبروه فى الكتب بأقلامهم اذ لم يمكنهم الا ذلك حين أعجلهم بموته وأعجزهم بفوته ولو أدركوه حيا لما أبقوه ولا خافوه ولا اتقوه والعجب من أهل ذلك الزمن كيف استقروا على هذه الفتن وأقروا هذا المجترى على هذا الاجترا وما جاء به من الافترا أم كيف أبلعوه ريقه وأوسعوا له طريقه ولم يهلكوه وفريقه هلا ضرجوه بالأضاميم أو أخرجوه من بين آل حاميم الظن بهم وبه انهم لم يعلموا بكذبه وانه حين أنشأ هذه الرسالة وأوجدها جحدها وحين كتبها كتمها ولعله بعث بها سرا الى اخوانه وأفشاها لاخدانه وحين مات ظهرت واشتهرت وحينئذ ردّ عليه من وقعت اليه ويحتمل أن يكون عن هذا المذهب قد نزع وأقلع عنه ورجع والله يعلم السرائر وما تخفى الضمائر ونسأل الله العصمه من مثل هذه الوصمه والتوب من الحوب وصلى الله الغفور الرحيم على سيدنا محمد رسوله

الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم عليهم أجمعين والحمد لله رب العالمين
(فصل) وأنت أيها الطالب المريد لابد من اسعافك ولو في بعض ماتريد
لما كثر القول في ابن غرسية من أولئك العلماء الاحبار الفضلاء الاخيار وألفوا
فيه الاجزاء كالأسفار وسارت بها السفار وأنجد ذكرها في البلاد وغار وانتشر
أمرها في البلاد وطار واشتهر خبرها في أكثر الأقطار اقتصرت أنا الضعيف من
تلكم الاخطار على ثلاثة أسطار وفي ظني اني لم أسبق اليها ولا وقع أحد منهم عليها
لانها من ذلك الفن المقلوب المعنى للقلوب الذي ولعت به على قديم الزمن ولم
يأت بمثله الامن ومن وكل ينفق من كيسه ويوسف من تنكيسه السطر
الاول عكس الثاني والثاني عكس الاول وهذا هو القلب المحول والسطر
الثالث أوله آخره فرجله رأسه ورأسه رجله

أعجوبة لمن يرى * يمشي أماما وورا * كأنه لما جرى
أمامه تذكرا * شيئا نسي فاذكرا * فكر يمشي القهقرى

وبتلكم الثلاثة الاسطار الرفيعة الاخطار أخذت نصيبي من نصرة الدين وحماية
حوزة العرب الموحدين وأعملت يراعتي على قلة براعتي فعل المجاهدين
للعين بالظبين على شرط أن يكون ابن غرسيه لم يتب من تلكم البليه فان كان
مقيما على تلكم القضيه الى المنيه فقد وقع الكلام في حقه ورجع على مستحقه
وان كان قد تاب ورجع وعن مذهب السوء أقلع فليست بمغتاب من تاب والله
يتوب على التائبين ويعفو عن المذنبين ويغفر لنا أجمعين وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين * وقد نظمت هذه المعاني كلها في أبيات تبين لك من الاسطار
معناها وتشرح لك مغزاها

اصاح مهلا كتاب ابي عامر ذا اذا * نكال الى العرب لوقتنا ذا هنا
انه اذان تقول برع لالا لا كن اذا * اذر ماعيبا باتكالهم حاصا
هذا كتاب انتهجه هجوكله هنا تمالأت * الامة انه هلك وجهه جهتنا باتك اذاه

ياجامعا للكتب بالاوقار * من شاعر أو كاتب أوقار
لاتحتقر هذا الكلام فانه * عجب لما فيه من الاضمار
أنظر الى السطرين الاول منهما * عكس لثانيه من الاسطار
وكذلك الثاني للاول عكسه * فاعجب لذا الترداد والتكرار

لازائد حرفا ولا نقص ولا * معنى سوى القلب الغريب الدار
والثالث اردد منه أخراه على * أولاه ثم تحيك فى المضمار
ان تسله نصايحك بفائد * وكذلكم عكسا بلا انكار
قلب أتى قلب به فكأنه * ترق بكفى حائك مكثار
فمن اليسار الى اليمين يرده * ومن اليمين كذلكم ليسار
ان كنت تحقره فجئ بمثاله * تشرف وتعظم آخر الاعصار
ان أنت لم تقدر عليه فعندها * تدرى بذاك حقيقة المقدار
وتقول يا ابن الشيخ انك أوحد * ماقلته سحر من الاسحار
وأنا أقول الحمد للمولى وأسأل رحمة من ربى الغفار
ومدمنى هذى بشرط أن يموت ولم يتب من قول ذاك العار
وان استقال من الذى قد قاله * فالله يصرف عنه حر النار
ثم الصلاة على النبى محمد * خير البرايا المصطفى المختار

ونسأل الله الرضى وجميل الصفح عما لا يرضى من مكتوب هذا الصفح وجميل العفو عما وقع فيه من الهفو والتجاوز عن الخطا والخطل والتهافت والزلل ونرغب اليه فى السداد فى القول والعمل فعليه المتكل وهو الرجاء والامل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان أبو عمر وهذا وفقه الله وايانا قد عودته كما تقدم ان أبعث اليه بما أمكن من هذا المقلوب وكان يولع به بعث الى مرة بأرنب فكتبت اليه بابيات منها

ابن راء نيلا أتى * أتى الينا ارنبا * ابنى نوتا مثلها
هل ثم آتونى نبا * أبلغت رحب تكلم * وملكت بحر تغلبا

وبقية الابيات وسواها من هذا الفن مذكور حيث قلت لك والحمد لله وقد أطلت الكلام وخرجت عن النظام وتقدم المصراع وفى الحديث منه ان بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام وفى هذا رجاء عظيم لهذه الامة وأرجى منه ماجاء فى الخبر أن للجنة ثمانية أبواب ولامة النبى صلى الله عليه وسلم خاصة باب يدخلون منه وخرج الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الجواد ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول وسيأتى فى باب الياء

عند ذكر الاطيط نوع من هذا لانه يروى فى ذلك الباب وله أطيط من الزحام وتقدم باب ولى من لفظة باب كلام هو عندى من لباب اللباب أردت ان أثبته فى هذا الكتاب ليعلم حذاق الكتاب أن قد جاء فى الخلف من نحو ونحو ما سلف للسلف كان يقرأ على بعض الطلبة المقامات المذكورة للحريرى رحمه الله فلما انتهينا منها الى ذكر الكلمات التى تنعكس وقول كل واحد من الخمس كلماته المعكوسة التى قال أولهم لم أخامل وقال الآخر كبر رجاء أجر ربك وكذلك فكذلك الى آخرها مع الابيات الخمسة أيضا التى أولها * أس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا * قلت كان من حق الحريرى رحمه الله ان تكون الابيات سبعة على عدد الكلمات فكان ثم من قال ومن يقدر على هذا كانه يعرض بى فقلت أنا فى ذلك منظوما عشرة أبيات وقد تقدم ذكرها وكتبت له منها بيتا واحدا باسم الشوق الى الذوق والترقى من الاسفل الى الفوق ومن الذيل الى الطوق وأزيد لك هنا بيتا آخر فاخر به فيمثله يفاخر * اسبق تقوم لعلا * العلم وقت قبسا

الى آخرها وقلت من المنثور كذلك عشر كلمات وجعلت قبلها كلاما وبعدها مثله وأضفت اليها ما جمعته من شكل الكلمات التى تنقط كلها والاخرى العرية من النقط وما يخلط من الخط وما لا يخلط وما يعكس ولا ينقط وما يعكس وينقط وغير ذلك من البديع وما أجاب عليه بعض من رآه وجمعت ذلك فى الجزء المذكور قبل هذا فمن الكلمات التى ذكرت جعلت الجماعة عشرة وقال أحدهم كلمة والثانى ثنتين وكذلك الى تمام العشرة قال الاول باب وقال الثانى (عد و دع) وقال الثالث (ان البلاناء) وقال الرابع (ليس يلب بل يسيل) وقال الخامس (تربص أملك تؤت كلما صبرت) وكذلك الى آخر النثر والنظم وقد أنبأتك أين تجد هذا وسواه من التكميل الذى ذكرت لك ان شاء الله والحمد لله على منه وتقدم انه يسمى الغلق الذى يسد به الفتح فى الحائط بابا انسا عا كما قالوا فى المطر سماء لانه ينزل من السماء وللسقف سماء وفى حديث اسلام عمر رضى الله عنه اذ جاء الى البيت الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل فنظرت من خلل الباب وفى الحديث أيضا وأنا أنظر من صائر الباب شق الباب فهذا يحتمل ان يكون من بين ألواح الباب أو من بين اللوح والحائط وفى الآخر اطلع رجل فى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث الموطأ فى الفتى الذى قتل الحية برمحه فماتت وخر هو ميتا فوجد

امرأته قائمة بين بابين وجاء فى حديث آخر اذا لم يكن على الباب ستر ولا باب فلا بأس أن يطلع فى الدار وسيأتى ان شاء الله وكيفما كان يسمى هذا بابا وهذا بابا اتساعا كما تقدّم وكذلك تقدّم أيضا انه يقال له الخلف وجاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس ابراهيم فان قريشا حين بنت الكعبة استقصرت وجعلت لها خلفا وفى حديث آخر وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا خرج هذا مسلم وقال البخارى قال أبو معاوية عن هشام وجعلت لها خلفا يعنى بابا كذا فسره فى الحديث وقال حماد بن سلمة عن هشام ولجعلت لها خلفين وفى رواية وألصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر أو كما قال عليه السلام فلما كان ابن الزبير وحدثته خالته عائشة رضى الله عنها هذا الحديث قال ليس بنا اليوم عجز عن النفقة فبناها على مقتضى حديث عائشة رضى الله عنها ووافق ذلك أنها احترقت فى عهده يقال طارت شرارة من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت ويقال ان امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمرة فى أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير فى هدمها من حضره فهابوا هدمها وقالوا نرى أن تصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له الا بأكمل صلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى الى قواعد ابراهيم عليه السلام فأمرهم أن يزيدوا فى الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا وهولا أفزعهم فأمرهم ان يقرّوا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر وفى الخبر انه سترها حين وصل الى القواعد فطاف الناس بتلك الاستار فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة الا جمل يطوف بها فلما استتم بنيانها ألصق بابها بالارض وعمل خلفا أى بابا آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها فلما قام عبد الملك بن مروان قال لسنا من تخليط أبى خبيب فى شئ فهدمها وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبى ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمرو بن أبى ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدّثاه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم بالحديث المتقدم فندم وجعل ينكت الارض بمخصرة فى يده ويقول وددت انى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك قال أبو يوسف

ذكر الكعبة

ابن الشيخ وأما أنا فدخلت يوما تحت أستار الكعبة شرفها الله من جهة الغرب فرأيت أثر الباب فى الحائط قد أغلق وأحكم الصاقه بالكذان المنحوت حتى كاد يخفى على من أبصره وهو مقابل الباب الشرقى وعلى قدره الا انه ينتهى شقه الى الارض ومايظهر منه الا قدر غلظ الخيط من أثر الباب القديم على شكل الباب المفتح اليوم من جهة الشرق الا ان البيت قد ردم وقد ارتفاعه دون القامة هو والله أعلم الى المنكب يصعد اليه بدرج شبه المنبر يضم اليه يوم يفتح البيت ثم يزال لئلا يمنع من الطواف وعدد درجاته عشر على سعة الباب يصعد فيه رجلان فى صف واحد وأسفل البيت مبسوط بالرخام وأعلاه مسطح قد سمرت فى سقفه شقق الحرير الملوّن من أبيض وأحمر وأصفر وأسود وحيطانه فوق القامة منه رخام مرصع ومنه الى السقف شبه شجرة ملتفة الاغصان قد دخل بعضها فى بعض من أحسن ماترى وكسى ذلك البيت ذهبا يكاد يغشى البصر وفى وسطه قائمتان من خشب من الارض الى السقف وكان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الموطأ على ستة أعمدة والموضع الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرغ فيه كوكب من فضة فى رخامة هنالك يعلم به وبابه مصفح بصفائح الفضة المثيلة بالسواد فى غاية من الترصيع ونهاية من الاتقان وكواكب فضة تمسك الصفائح عوض المسامير وعتبته من ذهب وعليه قفل عظيم فى حلق فضة وأظن القفل من فضة أيضا أو مغسولا بفضة والبيت مستور كله بالديباج الا موضع الباب وموضع الحجر الاسود ولون أستاره خضر منسوج فيها صور المحاريب فى كل محراب منها على صغرها مكتوب طرة قد قطعت من الخلدى الاحمر وخيطت على الاستار حروفها تقرأ على بعد لعظم الحروف مكتوب بعد البسملة ان أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا الآية هذا ما أمر بعمله فلان ابن فلان عام كذا يعنى صاحب بغداد وهو يرسل كسوتها كل عام مع أشياء سوى هذه من الاسباب يطول بذكرها الكتاب

الكوكب هو المسمار

قال أراها الله رأى العين عبدا * شديد الشوق للبلد الحرام
فيشفى سقمه بطواف بيت * كريم عند زمزم والمقام

وقد ذكرت بعض وصف البيت فى قصيد مطوّل أقول فيه

وقد حلوا أعاليه بتبر * وقد بسطوا أسافله رخاما
وقد جعلوا له بابا وقفلا * وحلوا بابه ورقا وساما

الى آخره وهو فوق المائة بيت انظره فى التكميل ويروى ان أبا الفضل الجوهرى رحمه الله لما انتهى الى الكعبة شرفها الله ورأى ما علق عليها من الزينة تمثل بهذين البيتين

ما علق الدرّ على نحرها * الا لما يخشى من العين
أقول والدرّ على نحرها * من علق الشين على الزين

وقلت أنا فى ذلك وذيلت البيتين

أهلا بمن مكة قد حاكى * بحسنه ما بالقلب من رين
فاذر أى البيت وقد علقوا * من فوقه الاستار للزين
لم يتمالك اذ رأى ذلك أن * أنشد فى الكعبة بيتين
قالهما صب رأى جيد من * حلى باللؤلؤ والعين

ما علق الدرّ البيتين وينظر هذا الى قول الشاعر * مبتلة الاعطاف زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها * ومثله ما قال خالد بن عبد الله القسرى حين دخل على عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها ومن تكن قد شرفته فأنت قد شرفتها فأنت كما قال الشاعر

واذا الدرز ان حسن وجوه * كان للدرّ حسن وجهك زينا

رجع الحديث الى ذكر الكعبة فلما قام أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال له مالك بن أنس رضى الله عنه أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه وكانت الكعبة قد بنيت فى الدهر خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه السلام على القواعد الاول والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين بناها ابن الزبير والخامسة حين بناها عبد الملك كما تقدم وقيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين من أجل السيل وكان اصلا حالم يكن ابتداء بنيان ولا هدمت وكانت قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم عليه السلام ويأنس بها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حج اليها من الهند وقد قيل ان آدم هو أول من بناها وفى الخبر ان موضعها كان على الماء قبل أن يخلق الله سبحانه السموات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء وقضاهن سبع سموات دحا الارض من تحت مكة ولذلك سميت

أم القرى وروى فى سبب بنيان البيت ان الله سبحانه لما قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فأمرهم الله سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل أرض بيتا قال مجاهد هى أربعة عشر بيتا كل واحد منها مسامت لصاحبه أى فى مقابلته لو سقطت لسقط بعضها على بعض وروى ان الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الارض الى منتهاها وقذفت فيها حجارة أمثال الابل فتلك القواعد من البيت التى رفع عليها ابراهيم واسماعيل البيت فلما جاء الطوفان رفعت وأودع الحجر الاسود أبا قبيس وذكر ابن هشام ان الماء لم يعلها حين الطوفان ولكنه قام حولها وبقيت هى فى هواء الى السماء وان نوحا عليه السلام قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت أنتم فى حرم الله وحول بيته فأحرموا والله ولا يمس أحدكم امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا فتعدى حام فدعا عليه نوح عليه السلام ان يسود لون بنيه فاسود كوش بن حام ونسله الى يوم القيامة وقد قيل سبب دعوة نوح على حام غير هذا والله أعلم فلما نضب ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وبج اليه هود وصالح ومن آمن معهما وهو كذلك ويذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام ألا نبنيه قال انما يبنيه نبى كريم يأتى بعدى يتخذه الرحمن خليلا فلما بعث الله ابراهيم عليه السلام وشب اسماعيل أمر ابراهيم ببناء الكعبة فنزلت عليه السكينة وظلت له على موضع البيت فكانت عليه كالحفة فلما بلغ ابراهيم عليه السلام الركن جاءه جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من جوف أبى قبيس وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وعنه والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وروى الترمذى أيضا مرفوعا ان الحجر الاسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب وفى رواية غيره ولأبرأ من استلمهما من الخرس والجذام والبرص وروى غير الترمذى من طريق على رضى الله عنه ان العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره أن لا يشركوا به شيئا كتبه فى صك وألقمه الحجر الاسود

ولذلك

ولذلك يقول المستلم ايمانا بيمك ووفاء بعهدك وذكر هذا الخبر الزبير وزاد فيه ان الله سبحانه وتعالى أجرى نهرا أطيب من اللبن وأليّن من الزبد فاستمدّ منه القلم الذى كتب العهد وفى الحديث الحجر الاسود يمين الله فى الارض يصافح به عباده كما يصافح بعضهم بعضا ومعناه ان الملك اذا صافح رجلا قبل الرجل يده فكان الحجر لله فى الارض بمنزلة اليمين للملك يستلم ويلثم هذا على وجه التمثيل فى المعنى والله أعلم وذكر أبو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك له ان ابن الزبير رضى الله عنه حين أراد هدم البيت خرجوا من مكة الى منى وأقاموا بها ثلاثا خيفة أن ينزل عليهم عذاب وابن الزبير علا على البيت بنفسه حتى لم يجترئ أحد على هدمه وجعل يهدمها ويرمى بحجارتها فلما لم يصبه شئ صعدوا وهدموا معه فما ترحلت الشمس حتى ألصقها كلها بالارض وذلك يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة أربع وستين ولما هدمه عمد الى الحجر الاسود فجعله فى ديباجة وأدخله فى تابوت وأقفل عليه ووضعه عند دار الندوة حتى علا البناء وأمر بوضعه فبنى فى الحجر الذى تحته وفى الحجر الذى فوقه حيث يدخل حتى يكون فى نهاية من الالصاق والثبات ثم أمر ابنه عبادا وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلا الركن فى ثوب وقال لهما اذا دخلت فى صلاة الظهر فاجعلاه فى موضعه ففعلا ذلك وارتفع عليه البناء والناس فى الصلاة وكان طول الحجر ذراعا وشبرا وعرضه اثنين وعشرين اصبعا وقال من رأى مؤخره الداخل فى الجدار هو مضرّس على ثلاثة رؤس ولونه الداخل فى الحائط مورّد وقال بعضهم هو أبيض قال وأرى ابن الزبير عبيد امن الحبش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة قال مجاهد قال عبد الله بن عمرو بن العاص كأنى به أصيلع أفيدع قائما عليها يهدمها بمسحاته والله أعلم وأراد ابن الزبير أن يبنيها بالورس فأخبر ان الورس يذهب ولكن ابنها بالقصة فأرسل الى صنعاء بأربعمائة دينار واشترى له بها قصة بنا ها وذكر ان القرمطى المكنى بأبى طاهر المسمى سليمان بن الحسن لعنه الله وكان صاحب البحرين دخل مكة بالسيف فى سبعمائة رجل من أصحابه وذلك يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلثمائة فقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة زهاء ثلاثين ألفا وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك وأقام بها ستة أيام وقتل الناس وهم متعلقون بأستار الكعبة وردم منهم

زمزم وفرش منهم المسجد وما يليه وقلع الحجر الاسود من موضعه وحمله الى بلاده فأصابه الله تعالى ببلاء فى جسده حتى تقطعت أوصاله فلما أهلكه الله ردّ الحجر الى مكانه بعد مدّة طويلة ذكر بعد اثنتين وعشرين سنة غير أربعة أيام والحمد لله على كل حال ورأيت فى بعض التواريخ ان الذى ردّه الى مكانه شنبر بن الحسن ابن شنبر القرمطى ولد صاحب البحرين رئيس القرامطة وحج شنبر هذا مع الناس وقد نال المدينة شرفها الله نوع من هذه الوقيعة قبل هذا وذلك يوم الحرّة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى الذى تسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة سنة ثلاث وستين قتل فيها من وجوه المهاجرين والانصار ألفا وسبعمائة وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان وانتهب المدينة ودخل على امرأة من الانصار رجل من أهل الشأم وهى ترضع صبيها وقد كان أخذ ما عندها فقال لها هات الذهب والا قتلتك وصبيك فقالت ويحك ان قتلته فأبوه أبو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خنت الله فى شئ بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتفض الصبى من حجرها وثديها فى فيه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه فى الارض والمرأة تقول يا بنى لو كان عندى شئ أفديك به لفديتك فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وسار مثلة فى الناس وكان سبب هذه الفتنة ان أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة بن الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ولم يوافق أهل المدينة على هذا الخلع أحد من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزموا بيوتهم مثل عبد الله بن عمر وأهله وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى رضوان الله عليهم ودخلوا على أبى سعيد بيته فقيل له من أنت أيها الشيخ فقال أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له قد سمعنا خبرك ونعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على وما عندى شئ فقالوا كذبت وتنفوا لحيته وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفراش وحتى زوجين من الحمام كانا فى البيت وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر اليهم فيما ذكروا وبذل اليهم من العطاء أضعاف ما يعطى الناس واجتهدوا فى استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن أبى الله الا ما أراد والله يحكم

بين

بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ولتظهر أيضا معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فانه يروى انه وقف يوما تلك الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي ويذكر عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال لقد وجدت صفتها في كتاب يهودا بن يعقوب عليهما السلام الذي لم يدخله تبديل فانه يقتل فيها قوم صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وذكر الحديث وخرج جابر بن عبد الله رضي الله عنه في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة وهو أعمى والبيوت تنتهب وهو يعثر في القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل ومن أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي فحملوا عليه ليقتلوه فأجاره منهم مروان وأدخله بيته وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغني عن أحد منكم انه خلع يدا عن طاعته الا كانت الفيصل بيني وبينه ثم لزم بيته كما تقدم وكان جدار الكعبة أولا رصا حجارة بعضها على بعض من غير ملاط طوله تسعة أذرع من غير سقف فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادت في جدارها تسعا فكانت ثمان عشرة ذراعا ورفعوا بابها عن الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج أو سلم وقد سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا أو كما قال عليه السلام ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسعة أذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا وعلى ذلك هي الآن وأما المسجد فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك ان الناس ضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها فقال عمر رضي الله عنه ان الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم كان عثمان رضي الله عنه فاشترى دورا أخر وأغلى في ثمنها وزاد في سعة المسجد فلما كان ابن الزبير زاد في اتقانه لا في سعته وجعل فيها عمدا من الرخام وزاد في أبوابه وحسنها فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل اليه السواري في البحر الى جدة واحتملها من جدة على العجل الى مكة وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج وقد كان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ذكره الزبير بن بكار وذكر

أيضا ان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الاسلام وسيأتي حديث تبع وكيف كساها في باب الكاف ان شاء الله تعالى ثم لما كان الوليد بن عبد الملك زاد في حليها وصرف في ميزابها وسقفها ما كان في مائدة سليمان عليه السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت على بغل قوي فتفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية للكعبة فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد الهادي زاد أيضا في اتقان المسجد وتحسين هيئته ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل الى الآن نقلت هذه الاخبار من كتاب الاستاذ أبي القاسم السهيلي رحمه الله في شرح السيرة وقال بعد تمام هذا الخبر وفي اشتراء عمر وعثمان رضي الله عنهما الدور التي زادا فيها دليل على ان رباع مكة ملك لأهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء اذا شاؤا وفي ذلك اختلاف

ذكر زمزم

وذكر رحمه الله في حديث زمزم كلاما بديعا أثبته هنا فلكن له سميعا قال كانت زمزم سقيا اسماعيل عليه السلام فجرها له روح القدس بعقبه وفي تفجيرها اياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيرها اشارة الى أنها لعقبه وراثة وهو محمد وأمته كما قال سبحانه وجعلها كلمة باقية في عقبه أي في أمة محمد ثم ان زمزم لما أحدثت جرهم في الحرم واستخفوا بالمناسك والحرم وبغى بعضهم على بعض واجترم تغور ماء زمزم واكتتم فلما أخرج الله جرهم من مكة بالاسباب التي أحدثوها عمد الحارث بن مضاض الأصغر الى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية كان ساسان ملك الفرس قد أهداها الى الكعبة وقيل سابور وكانت الاوائل من ملوك الفرس تحجها الى عهد ساسان أو سابور فلما علم ابن مضاض انه مخرج منها جاء تحت الليل حتى دفن ذلك في زمزم وعفى عليها ولم تزل دارسة عافية أثرها حتى آن مولد المبارك الذي كان يستسقي بوجهه غيث السماء وينفجر من بنانه ينابيع الماء صاحب الكوثر والحوض الرواء فلما آن ظهوره أذن الله تعالى لسقيا الله ان تظهر ولما اندفن من مائها ان يجهر فكان صلى الله عليه وسلم قد سقيت الناس من بركته قبل ان يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجدب بهم البلد وذلك حين خرج به جده مستسقيا لقريش وسقيت الخلائق كلها غيوث السماء في حياته صلى الله عليه وسلم الفئة بعد الفئة والمرة بعد المرة تارة بدعائه وتارة من بنانه وتارة بالقاء سهمه ثم بعد موته استشفع عمر بعمه الى الله تعالى عام الرمادة وأقسم عليه به وبنبيه فلم يبرح حتى قلصوا المآزر واعتلقوا الحذاء وخاضوا الغدران

وسمعت

وسمعت الرفاق المقبلة الى المدينة صائحا يصيح فى السحاب أتالك الغوث أبا حفص
كل ذلك ببركة المبعث بالرحمتين والداعى الى الحياتين الموعود بهما على يديه فى
الدارين صلى الله عليه وسلم صلاة تصعد ولا تنفد وتتصل ولا تنفصل فرغ كلامه رضى
الله عنه * قلت ذكر فى هذا الحديث ان جده استسقى به لقريش فيما تقدم فسقوا حديث الاستسقا
ببركته صلى الله عليه وسلم ونفس المؤمن الى سماع الحديث عن ذلك تتشوف
ويكونه من أمته عليه الصلاة والسلام يتشرف فها أنا قد سقته اليك مسندا فاشدد
به يدا حدثنى الفقيه الحافظ أبو الطاهر رحمه الله فيما أذن لى فيه قال أخبرنى
القاضى أبو المحاسن بالرى أخبرنا أبو نصر البلخى أخبرنا أبو سليمان أحمد بن محمد بن
ابراهيم الخطابى حدثنا أبو سعيد بن الاعرابى قال حدثنا محمد بن على بن البحترى
حدثنا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضى
الله عنه حدثنا عبد العزيز بن مروان عن ابن حويصة قال حدث مخرمة بن نفيل
عن أمه رقيقة بنت ابى صيفى بن هاشم قال تتابعت على قريش سنو جدب قد أنحلت
الظلف وأرقت العظم فبينا أنا راقدة أو مهمومة ومعى صنوى اذ أنا بهاتف صيت
يصرخ بصوت صحل يقول يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان نجومه
فحى هلا بالحيا والخصب ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض وضاء أشم
العرنين سهل الخدين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل
بطن رجل ألا فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا ألا وفيهم
الطيب الطاهر لذاته ألا فليستسق الرجل وليؤمن القوم ألا فغثتم اذا أبدا ما عشتم
وشئتم قالت فأصبحت مذعورة قد قف جلدى ووله عقلى فاقتصصت رؤياى فوالحرمة
والحرم ان بقى أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد فتتابعت عنده قريش وانقض
اليه الناس من كل بطن رجل فشنوا الماء ومسوا واستلموا الطوفوا ثم ارتقوا
أبا قبيس وطفق القوم يدفون حوله ما ان يدرك سعيهم مهلة حتى قر وابذروة الجبل
فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه
وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قد كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت
عالم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبداؤك وامأؤك بعذرات حرمك يشكون
اليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا فما راموا البيت
حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه فرغ الحديث وهذه القصة

شهدها أبو طالب عمه ولذلك يقول

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو شعر مطوّل وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبىّ صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش لها كل ميزاب * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * وروى أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون ويروى انه قال فى استسقائه بالعباس اللهم انا نتقرب اليك بعم النبىّ صلى الله عليه وسلم وبقية آبائه وكبر رجاله دلونا به اليك مستشفعين خرجه صاحب التاج وقال دلونا معناه استشفعنا وقد تقدّم تفسير القفية انه تلوهم واستسقى بوما به فلما فرغ من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوجه وقد توجه القوم اليك بمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير وفرق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روحك الا القوم الكافرون قال فما تمّ كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال وفى ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

سأل الخليفة اذ تتابع جدبه * فسقى الغيوث بغرّة العباس
عم النبى وصنو والده الذى * ورث النبى بذاك دون الناس
أحيا المليك به البلاد فأصبحت * مخضرّة الاجناب بعد الياس

هذا كله ووجهه المطيب مغيب وأما بخضرة غرته فأسرع بالغيث ودرّته روى أنس أيضا قال جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قاعد فى المسجد فقال يا رسول الله لقد أتينا ومالنا بعير يئط ولا صبى يصيح وأنشد يقول

أتينا لك والعذراء تدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الكبير استكانة * من الجوع ضعفا ما يمرّ وما يحلى
ولا شئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامىّ والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه الى السماء فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا سريعا مريعا غدقا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فوالله ما رد يديه الى نحره حتى ألقت السماء بأرواقها وجاء أهل البطاح يضجون يا رسول الله الغرق فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى السماء ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال كأنك أردت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

الابيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل وقام أعرابي من كنانة فقال

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة * اليه وأشخص فيها البصر

فلم يك الا كالقا الردا * وأسرع حتى رأينا الدرر

دفاق العزالي جم البعاق * أغاث الاله علينا مضر

وكان كما قاله عمه * فهذا العيان لذاك الخبر

فمن يشكر الله يلق المزيد * ومن يكفر الله يلق الغير

فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن شاعر يحسن فقد أحسنت وأختم لكم هذا الفصل أيها الاحباب بذكر الحديث الذي وعدتكم به في أول الكتاب وسقته هنالك كما ذكرته مجملا فخذوه كما شرطت لكم مكملا روت عائشة رضي الله عنها قالت شكا الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه قالت عائشة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم أنت الله لا اله الا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل

علينا الغيث واجعل ما أنزلته لنا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل وصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت باذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال أشهد ان الله على كل شئ قدير وأنى عبد الله ورسوله وأزيدكم أيها البطون استسقاء سعدون المجنون قال عطاء السلمى رضى الله عنه منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فنظر الى فقال ياعطاء هذا يوم النشور أم بعثر من فى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال ياعطاء بقلوب خاوية أو بقلوب سماوية فقلت له بل بقلوب سماوية فقال هيهات ياعطاء قل للمتهر جين لا يتهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهى لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من آلائك الا ماسقيتنا ماء غدقا تحيى به العباد وتروى به البلاد يا من هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءنا بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا * اذ لولاهم أجاعوا البطونا
شغلتهم عبادة الله حتى * قيل فى الناس ان فيهم جنونا

وروى ان الناس أقحطوا سنة فرأى رجل من الصالحين فى النوم يقال له استسق بهذين البيتين ففعل فسقوا بهما

يا محيى الارض بعد ميتتها * ومنزل الغيث والورى قنطوا
ارحم عبيدا نفوسهم ظلموا * وأحى أرضا أصابها القحط

وهذا القول أيضا قد فرغ بعد ما أفرغت عليك منه عباب اللباب خرج من خلل ذلك الباب ثم أرجع الى بقية الكلام بعون الله ذى الجلال والاكرام وتقدم ذكر الباب وفى كتاب الله عز وجل منه كثير قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وأتوا البيوت من أبوابها ومعناه ان قريشا كانت فى الجاهلية اذا أحرم أحدهم بالحج لم يدخل بيته من بابه وثقب فى الحائط ثقبا من خلف الدار أو الحجرة فدخل منه وكانوا يفعلون ذلك لئلا يحول بينهم وبين السماء سقف أو عتبة وكان ذلك من دينهم فنسخه الله بالاسلام وقيل معناه اطلبوا الخير من بابه ولا تطلبوه من الجهال المشركين وقيل هو كناية عن اتيان النساء فى أدبارهن والله أعلم بما أراد من

ذلك وسيأتي الكلام على هذا في باب النون عند قوله تعالى أني شئتم مستوفى
ان شاء الله وأختم لك باب باب بحكمة من لباب اللباب رأيت للفقيه الفاضل أبي
القاسم عتيق بن محمد الصقلي رحمه الله في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب كلاما أعجبني فنقلته من كتابه الذي سماه جامع الخير وأنا على ظهر البحر
ما بين الاسكندرية والمهدية وكان في ذلك الكتاب عجائب ورقائق قال وقد ذكرت
اعجاز القرآن وكثرة معانيه وفوائده وان ذلك قد يوجد في اللفظة الواحدة وقال
رحمه الله وتأمل يا أخي قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب كيف
أفادك سعة المنازل بكثرة الابواب واكبار الملائكة لهم واعزازهم حتى عنت
بأنفسها اليهم وكثرتهم وجمعهم لدخولهم من كل باب وشدة عنايتهم ومسارعتهم
وسرورهم بالبشرى لانه لو لم يستفزهم ذلك لدخلوا من باب واحد وان كانوا عددا
شيئا بعد شئ تأمل هذه الجملة هل قامت الشعراء في المحافل والخطباء على المنابر
بأفصح أو أمدح منها ثم أفهمنا ان جماع ذلك كله في الصبر وعليه جعل الجزاء ومنه
قول الملائكة سلام عليكم بما صبرتم الصبر هو ذلك المر ليس بالتمني ولا الاقتراح ثم
قال وانظر يا أخي هل حالي وحالك حال من يكون الله سبحانه مادحه والملائكة تزدحم
على أبوابه فتعتبر ذلك بما قاله بعضهم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه
اذا شئت أن تعرف مالك عند الله فانظر ما لله عندك في كلام جليل طويل * وتقدم

ذكر الاسنان

ناب وانه واحد الانياب وهي التي تلي الرباعيات في الفم الى جهة الشدقين وهي
الحديدة المديدة القوية الشديدة قيل لابنة الخس ما أحد شئ فقالت ناب جائع
يلقى في معاء ضائع وفي الفم اثنان وثلاثون سنا أربع ثنايا وأربع رباعيات وأربعة
أنياب وأربع ضواحك واثنتا عشرة رحا وأربعة نواجذ وهي أقصاها وآخرها
نباتا فمن الناس من لا يخرج له شئ من النواجذ فتكون أسنانه ثمانيا وعشرين ومنهم
من يخرج له اثنان فتكون اسنانه ثلاثين فيزعمون ان من خرجت نواجذه كلها
كان وافر اللحية عظيمها ومن لم يخرج له شئ كان كوسجا والله أعلم ذكر ذلك ابن
السيد في شرح خطبة أدب الكاتب حين ذكر حديث الاعرابي الذي قدم على أحد
الولاة متشكيا من عامله فذكر ظلامته بعنجهية وجفاء فقال له الوالي اني لأحسبك
جاهلا لا تعرف كم تصلي في اليوم والليلة فقال له الاعرابي أرأيتك ان أخبرتك
بذلك أتجعل لي عليك مسألة قال نعم فقال الاعرابي

ذكر فقار الظهر والعظام

ان الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع * ثم صلاة الفجر لا تضيع * قال صدقت فما مسألتك قال كم فقار ظهرك قال لا أدرى قال أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ثم فسر ابن السيد رحمه الله جميع ما تقدم فى كتابه مع عدد الثقب التى فى ابن آدم مع أشياء لا يستغنى عن معرفتها الاديب ولا الكاتب اللبيب فقال جميع الثقب التى فى بدن الانسان اثنتا عشرة العينان والاذنان والمنخران والفم والثديان والفرجان والسرة حاشا الثقب الصغار التى تسمى المسام يخرج منها العرق وينبت فيها الشعر فانها لا تنحصر وأما الفقار فأربع وعشرون سبع منها فى العنق واثنتا عشرة فى الظهر وخمس فى القطن وهو المجز والاضلاع أربع وعشرون اثنتا عشرة فى كل جنب وجملة العظام التى فيه مائتان وثمانية وأربعون عظما حاشا العظم الذى فى الكتف والعظام الصغار التى حشى بها خلل المفاصل وتسمى السمسمية سميت بذلك لدقتها والسمسم هو الجلجلان وذكر ثابت فى الدلائل عدد العظام وفسرها فقال منها خمسة فى كل اصبع وخمسة فى ظهر كل قدم وثلاثة فى كل ركبة وعظمان فى كل ساق وعظم فى كل واحد من مرفقيه وخمسة فى كل واحدة من المتنين وتسعة وثلاثون فى الرأس وثمانية فى الصدر وثمانى عشرة فقارة فى الظهر وتسعة عشر ضلعا وثلاثة أعظم تحت كل واحد من الكتفين وثلاثة أعظم فى الذراعين وفى الكف مثل ما فى الرجل انتهى كلامهما رضى الله عنهما وفائدة هذا أن تعلم ان الله عز وجل لم يخلق هذا عبثا ولا جعل عدد هذه الاعظم لغوا وانما ذلك لحكم علمها من علمها وجهلها من جهلها وأقل ما يجب على العبد غير العالم بتفصيل هذا كله ان يعلم ان جميع ذلك وسواه مما فيه من لحم وجلد وعظم ودم وعصب وشعر وعرق خلق من ماء مهين لا يظهر فيه شئ من هذه الاكوان ولا الالوان الظاهرة ولا من الصفات الباطنة التى هى الحياة والسمع والبصر وغير ذلك والعقل الذى يدبر به أمره وبه تجب الحجة عليه فى طاعته ومعصيته ثم سخر له بعد ذلك ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة ورضى منه بعد هذا كله أن يقر له بالوحدانية وان جميع ما يتقلب فيه نعمة منه عليه لا شريك له فى شئ من ذلك وانه لا يجب له على مولاه حق بل كل ذلك تفضل منه على عبده فاذا أقر بهذا وأمثاله فقد شكره كما أنه ان جحد منه شيئا فقد كفره كما يذكر عن عيسى عليه السلام انه قال يارب كيف أشكرك وشكرى اياك نعمة منك على يجب على

الشكر

الشكر عليها فقال اذا علمت هذا فقد شكرتني أو كما قال فسبحان الله العلي الكبير الذي يرضى من العبد الحقير باليسير ويجزي عليه بالكثير وجاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ابن آدم ثلثمائة مفصل وستون مفصلا يجب على كل مفصل منها صدقة قالوا يا رسول الله ومن يستطيع ذلك قال يتحى أحدكم الأذى عن الطريق وفي حديث آخر كل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى أو كما قال وجاء في حديث آخر تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وافراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ركع أحدكم يسبح ثلاث مرات فانه يسبح الله تعالى من جسده ثلاث وثلاثون وثلثمائة عظم وثلاثة وثلاثون وثلثمائة عرق خرجه الدارقطني رحمه الله وقال عبد الرحمن بن أبان بن عثمان في مرضه وكان أعتق رقابا كثيرة في صحته بلغني ان ابن آدم فيه ثلثمائة وستون مفصلا والحمد لله قد أعتقت عشرين وثلثمائة رقبة فأنا متمها ان شاء الله حتى تكون ثلثمائة وستين رقبة وذكر في هذا الخبر رقبة وجاء في حديث آخر نسمة وقد فرق العلماء بين الرقبة والنسمة خرج ثابت من حديث سليمان بن موسى قال اذا ولد الصبي فهو نسمة واذا انقلب ظهرا لبطن فهو رقبة واذا صلى فهو مؤمنة وفسر قوله نسمة يعني يجزئ في مراد النبي صلى الله عليه وسلم من أعتق نسمة وقاه الله بكل عضو منها عضوا من النار وقوله رقبة يريد أنها تجزئ في الظهار وكفارات الايمان قال تعالى فتحرير رقبة ولم يشترط فيها مؤمنة وقوله واذا صلى فهو مؤمنة يريد أنه يجزئ في كفارة القتل خطأ قال الله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة قال وجاء في الرقبة والنسمة تفسير آخر عن البراء بن عازب قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال لئن كنت قصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليستا سواء يا رسول الله قال ان عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وان فك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تستطع ذلك

الفرق بين الرقبة والنسمة

فكف لسانك الا من خير * وتقدم ذكر الرقبة وهى تجمع على رقاب وفى القرآن العزيز وفى الرقاب قال الجوهرى فى كتاب التاج وتجمع أيضا على رقبات ورقب قلت ومازال ذو والانتظار للموت والارتقاب يعتقون الرقاب لجواز العقاب منهم من لطمه فأعتقه خشية أن يكون ظلمه ومنهم من أعتقه لسبب من الاسباب من غير هذا الباب كما يروى أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما رأى كسرة خبز فقال لغلامه ارفعها وأمط عنها الأذى فلما أمسى وأراد الفطر قال لغلامه ما فعلت بالكسرة قال أكلتها قال اذهب فأنت حر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من وجد كسرة خبز فرفعها من الارض ثم أكلها لم تصل جوفه حتى يغفر الله له فأنا أكره ان أستعبد من غفر الله له سقت هذا الخبر هنا لأنطرق به الى ذكر أبيات صنعتها بسبب كسرة خبز من الارض رفعتها وبعض الاصحاب يرانى وخفت أن يكون ازدرانى فقلت

يا صاحبى مهلا * لا تأكلن عرضى * رزق من المولى
ملقى على الارض * هل أخذه الا * من أوكد الفرض

ولى أيضا أبيات فيها ذكر العتق من الرق فقلت

لك الحمد يا مولاى حمدا مباركا * كثيرا أثيرا دائما أبدا يبقى
تباركت يا الله من لم تكن له * معينا على أسبابه فالشقا يلقى
وكيف ولا حول ولا قوة لنا * ولا ملجأ الا اليك ولا مرقى
فان لم تكن عونا لنا فى خلاصنا * من النار يا رحمن انا اذا غرقى
فمن وأعتق يا كريم رقابنا * وكم سيد أعطى مواليه العتقا
وكل مما اليك وكل أشحة * وأنت جواد مالك رقنا حقا
وليس لنا مولى سواك ومن تكن * الهى مولاه فلا أبدا يشقى

تقدم مالك رقنا حقا وفى مثل هذا يقال عبد قن وهو الذى يملك هو وأبوه وأمه فاذا ملك دون أبويه فهو عبد مملكة بضم اللام وفتحها قاله ابن السيد رحمه الله وقد يعبر بالنواجذ عن الانياب كما جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وهذا ان حمل على النواجذ المعلومة فبعيد فى حقه عليه السلام لان هذا لا يمكن ولم يعرف من ضحكه الا التبسم فحمل هذا الحديث على الأنياب وقد جاء ذلك مذكورا فى بعض الروايات ضحك حتى بدت أنيابه عليه السلام خرجه

مالك رحمه الله فى موطأه وقال الاصمعى هى الاضراس وجاء فى حديث آخر ان الملكين قاعدان على ناجذى العبد يكتبان وذكر مكى فى الهداية انه يروى ان الملك يجلس على ناب الانسان وقيله اللسان ومداده ريق الانسان وهذا تمثيل فى القرب والله أعلم بكيفية ذلك وقال أبو العباس النواجذ الانياب كما تقدم فى الحديث وقيل النواجذ الضواحك ذكره المأزرى فى المعلم وكذا قيل فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام فتبسم ضاحكا من قولها جاء فى التفسير أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان ضحكهم التبسم وقيل لنبينا عليه السلام فبهداهم اقتده فكان كذلك صلى الله عليه وسلم وروى عن جابر بن سمرة انه كان لا يضحك الا تبسما وعبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث آخر جل ضحكه التبسم والقهقهة فى الضحك مكروهة جدا جاء فى تفسير قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الاوزاعى الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وفى الحديث كثرة الضحك تميت القلب وفى حديث آخر واياك وكثرة الضحك فان كثرة الضحك فساد القلب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للاحنف يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به الناس ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب وويل له وويل له وقال بعض العلماء اياك وضحك القهقهة فان فيه ثمان آفات (الاولى) يذهب العلماء والعقلاء (والثانية) يجترئ عليك السفهاء والجهال (والثالثة) ان كنت جاهلا ازداد جهلك وان كنت عالما نقص علمك لانه ورد فى الخبر ان العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة يعنى رمى من علمه بعضه (والرابعة) ان فيه نسيان الذنوب الماضية (والخامسة) ان فيه جراءة على الذنوب فى المستأنف لانك اذا ضحكت قسا قلبك (والسادسة) ان فيه نسيان الموت وما بعده من أمر الآخرة (والسابعة) ان عليك وزر من ضحك بضحكك (والثامنة) ان الضحك فى الدنيا يعقب بكاء طويلا فى الآخرة ويقال ثلاثة تقسى القلب منها الضحك من غير عجب وقال عليه السلام ويل لمن يكذب ليضحك به الناس وويل له وويل له ثلاث مرات وفى حديث آخر والذى نفسى بيده ليتكلم الرجل بالكلمة ليضحك بها القوم فيغضب الله عليه فيها

النهى عن القهقهة والضحك

ويكفى من ذلك ان الله تعالى عير أقواما بالضحك فقال تعالى أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ومدح آخرين بالبكاء فقال تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وسيأتى الكلام فى البكاء فى باب الزاى عند ذكر الأزيزان شاء الله العزيز ومن أشد ما جاء فى الضحك انه ينقض الوضوء ويفسد الصلاة عند طائفة من اهل العلم وحجتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى فأقبل رجل فى بصره سوء فربئر عليها خصفة فوقع فيها فضحك بعض من كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة ذكره أبو عبيد وفسر الخصفة انها الجلة التى تعمل من الخوص للتمر وجمعها خصاف وهذا التفسير يحتاج الى تفسير آخر عندنا اليوم ولئن عشنا قليلا نسأل الله السلامة كثر عندنا الجهل فعم الحدث والكهل أتدرى من الكهل هو ابن ثلاث وثلاثين سنة قاله ثابت ومما نقلت من كتاب الاخيار بفوائد الاخبار للامام الحافظ أبى بكر ابراهيم بن محمد بن يعقوب البخارى رحمه الله الضحك شئ يختص به الانسان من بين سائر الحيوان ومعناه استفادة سرور يلحقه فتنبسط له عروق قلبه فيجرى الدم فيها فيفيض البشر الى سائر عروق بدنه فتثور فيه حرارة فينبسط لها وجهه وتملأ الحرارة فاه فيضيق عنها فينفتح فاه وتبدو أسنانه فان تزايد ذلك السرور ولم يكن فى الانسان ما يضبط به نفسه استخفها الفرح فضحك حتى قهقه ولذلك قيل فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم وضحكه تبسم لانه كان لا يستخفه السرور فيغلبه فيقهقه وهذه الصفة منفية عن الله عز وجل وجميع أوصاف الحدوث تعالى الله عن ذلك وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يضحك الله وقال عوف بن الحارث وهو أحد بنى عفراء يا رسول الله ما يضحك الرب تعالى من عبده قال غمسه يده فى سبيل الله حاسرا قال فنزع درعا كان عليه ثم شد على القوم فقتل بشرا كثيرا ثم قتل رحمه الله يحمل الضحك فى هذه الاحاديث على الرضى من عبده وعلى اختصاصه به فضحكه له تعالى عبارة عن الرضى عنه والقبول له ويجوز أن يكون الضحك هنا تجليه لعبده فيراه رؤية عيان كما جاء فى القرآن العزيز وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والضحك بمعنى الظهور مشهور فى لسان العرب يقال ضحك الفجر وضحك السحاب وضحك الشيب كله بمعنى الظهور قال دعبل

لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فيكون معنى يضحك اليك أى يقدم عليك فرحا بلقائك وتضحك اليه اى تتجلى له وتكشف الحجب عنك فيراك وينظر اليك كما قال فى حديث جابر بن عبد الله ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك فكلمه كفاحا وقد يكون معنى الضحك من الله تعالى ادرار الرحمة على عبده كما تدر السحاب المطر على وجه الارض يقال ضحك السحاب اذا صب ماءه لان الماء فيه كالمن فاذا صبه ظهر وقد يقال بكت السماء وضحكت اذا أمطرت يراد به السحاب قال الشاعر

سحابة صادقة الأنواء * تعقب بين الضحك والبكاء

وقال آخر من غير الكتاب

كل يوم بأقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

(فصل) مما تقدم من الفوائد فى اللغات تقدم القحط بفتح الحاء وهذا جائز لا سيما ووسط الكلمة حرف حلق وقد سهلوا ذلك فيما ليس وسطه حرف حلق ولكنه شاذ وأما أقحط فان ثابتا رحمه الله قال فى الدلائل يقال أقحط الناس من القحط وأجدبوا من الجدب وأخصبوا من الخصب ويقال قحط المطر أى قل واحتبس وتقدم العنجهية يقال فيه عنجهانية بالتشديد والتخفيف وهى الكبر ويقال الجهل والحمق وأنشد

عش بجد فلن يضرك نوك * انما عيش من ترى بجدود

رب ذى اربة مقل من المال وذى عنجهية مجدود

وتقدم الضحك وفيه اربع لغات ضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا وضحكا والضحك أيضا الطلع حين ينشق تشبه الاسنان به لبياضه وتراصفه والضحكة المرة الواحدة والتبسم دون الضحك يقال بسم بالفتح يبسم بسما فهو باسم وابتسم وتبسم والمبسم الثغر ورجل بسام ومبسام كثير التبسم *(فصل من الملح)* تقدم القحط قال ثابت رحمه الله زعموا ان اعرابيا علمه بعض الصحابة سورة لا أقسم يوم القيامة فجاء الاعرابى ذات يوم الى الذى علمه فقال أريح على بعض الذى علمتنى فزدت فيها آيات لا أحسبها دونها قال قلت ماذا قال لما قلت فاذا برق البصر وخسف القمر أريح على فقلت وقحط المطر ويبس الشجر وغلبت ربيعة مضر فقلت ان هذا لا يصلح أن يتكلم به فى الصلاة (قلت) انظر الى هذه الكلمات المتباينات الصوره ما أبعدها من نظم آيات السوره والله ما تشبهها فى ورد ولا صدر وما خرج هذا الكلام ولا

صدرا لامن جلف جاف عن الخير متجاف قلبه فى غلاف بلا خلاف تاب الله علينا وعليه ورحمنا اذا صرنا اليه وكذلك ما يروى عن أحد الشعراء الجبان أنه حضر استسقاء قوم وكانوا خرجوا والسماء منغيمة فدعوا فى الاستسقاء ولم يقض الله لهم بالماء لكن انقشع الغيم وطلعت الشمس فقال

خرجوا ليستقوا وقد نشأت * بحرية يبدولها رشح
حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وبدا لأعينهم بها نضح
كشف الغطاء اجابة لهم * فكانهم خرجوا ليستصحوا

نعوذ بالله من دعاء لا يسمع ومن عمل لا ينفع وتقدم التاب ومنه ما أنشدنى بعض أصحابنا للوزير الفقيه الحاج أبى الحسن بن الشيخ الوزير أبى جعفر أحمد بن جبير

صحبت الزمان وقابلته * بصبر جميل اذا الخطب نابا
وكم رام هضمى فأهاضنى * جنا حاولا قل للصبر نابا
كذلك كا قد يما اذا * دعينا الى خطة الضيم نابا

فقلت للذى أنشدنيها ينقصه ناب سيد القوم وناب للناقة المسنة كما تقدم وقلت له ألحق الابيات

ولم أرض بالدون فى ديننا * ولا للدناءة أعملت نابا
ومن كان فى دهره هكذا * فذاك يسمى فى الاقوام نابا

وتقدم ذكر الانياب وهى التى تراها بارزة فى السبع والكلب والسنور مديدة على الاسنان حديدة كالسنان تفزع الشجعان فكيف الجبان لذلك قلت

أعوذ بالرحمن المفضل المنان من شر ذى أسنان تلمع كالسنان ويجوز أن يتعوذ منها ويتلوذ عنها فان مرآها مرعب مرهب وشباها مهلك معطب لاسيما وكل من له أنياب فله اظفار حديدة كالشفار أحدهما يفتق المعا فكيف بهما اذا اجتمعا هذا امرؤ القيس على جراءته وجزالته وشجاعته وبسالته قد هول بهما فى مقالته

وأعلم انى عما قريب * سأنشب فى شباظفر وناب

وقد ذكرنى هذا البيت قصة كانت عندى كاليت اعترتنى فيما سلف أشفيت منها على التلف حمل على ذات يوم كلب أسود له مقلة تتوقد كانها الفرقد أو الشهاب الموقد أعجلنى عن الاقعاء وألزقنى بالدقعاء فظللت بين يديه طليحا وكاد يبلغنى صحيحا فلولا ان الله تعالى جاد بالتلافى لكان فى ذلك اتلافى لكنه سبحانه وتعالى عافى

وتلافى بعد أن كان ما كان حسبما ذكرته بكماله فى غير هذا المكان وحينئذ أيقنت انى رجل جبان خوّار الجنان بيد أنى أنست نفسى بعض التأنيس بالبيت المتقدّم لامرئ القيس وقلت

ان ابن حجر حنّد جالن يابى * أن يغسل الاظفار والانيابا
بل ساقها فى معرض التهويل * وهو الشجاع فى الوغى المهول
فكيف ممن فزعه من فار * يبصر ذا ناب وذا أظفار
كلب له لون بهيم أسود * عيناه حمر مثل جمر يوقد
أنيابه حديدة مديده * من أجلها هيئته شديده
لاسيما اذا تراه يكشر * عنها وعيناه هنالك تبصر
اكتب أخالك غائبا عن محضره * ان فؤادى طار من تذكره
وحق لى ياصاحبى ان أحذره * فلا تلمنى واقبلن المعذره
خرج لى يوما من الايام * من خرب من تلكم الآطام
وأنا عطل من شبا السلاح * النبل والسيوف والرماح
ما فى يدى عصى سوى أكمامى * كأننى جاء من الحمام
فلم يكذب بل سعى أمامى * يريد أن يجلب لى حمامى
صير نى أمامه طليحا * وكاد أن يبلغنى صحيحا
والله لو لا الله ما نجوت * منه ولا فت ولا سعيت
لكنه نجى وعافى بعد ما * كدت أرى بعد وجودى عدما
ومع ذا مزق لى سلهامتى * فالحمد لله على سلامتى
حين أصاب جبتى لاهامتى * لونا لها شالت اذا نعامتى
حينئذ ملئت منه رعبا * وانقلب القلب فليس قلبا
هذا من الكلب فكيف بالاسد * ياصاحبى اقر أقل هو الله أحد
ذاك الذى يبلع ما ألفاه * وليس يحتاج لسدّ فاه
وهذه خرافتى جليتها * بالنظم ثم عندكم خليتها
ما قلت هذا القول ياأحبابى * الا لتنشيط أولى الالباب
كى يستجيب نبلهم لفعلها * أو فوقها أو تحتها أو مثلها

وقد قلت انى ذكرت هذا الخبر فى غير هذا الموضع منثورا لا منظوما

وكان فيه من المنظوم

وان الذى عافى من الكلب بعدما * ظلمات طليحا بين كفيه منجدل
يمزق أثوابى على وسترة * على جلدتى من ان يمزق منسدل
لربى الذى أرجو يفرج كربتى * ويكشفها انى على فضله مدل

وهذه الابيات والارجوزة قد كتبتها فى التكميل مجردة مما قبلها من القيل

ذكر الكلاب

(فصل من الفوائد أيضا) هوّلت فى الارجوزة المتقدمة بذكر الكلب الأسود ولم أقض فيها بالاجود واذا الكلب الابيض أجرأ وأجرى فكان بالذكر أولى وأحرى رأيت فى كتاب لبعض الكتاب ما أقصه وهذا نصه السواد أشد من البياض قوة وأصدق جراءة وأهول منظرا وأسوأ مخبرا قالوا وليس شئ من الاجناس الا وسوده أصلب من بيضه ماخلا الكلاب فان بيضها أصلب من سودها انتهى كلامه قلت ولعل ذلك كذلك كما قالوا أجلد الابل وأصلبها الحمر وأما ابن قتيبة فقال فى عيون الاخبار سود الكلاب أعقرها ولذلك أمر بقتلها قال والكلب من بين الحيوان يحتلم وقالوا فى الكلبة انه يسفدها كلب أسود وكلب أبقع وكلب أصفر فتؤدى الى كل سافد شكله قال ومن الامثال فى الكلاب سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك ونعم كلب فى بؤس أهله وأحرص من كلب على عقبى صبى وألأم من كلب على عرق وأجوع من كلبة حومل وهى امرأة كانت تجوّع كلبتها فنظرت الى القمر فظنته رغيفا فلما لم تقدر عليه جعلت تنبح عليه وقيل غير هذا وهو أحسن فى نبح الكلب للقمر انه اذا أصابه البرد ورأى القمر خرج اليه يستدفئ به يظنه الشمس فلما لم ينفعه نبح عليه وقال فى دواء الكلب الكلب عافانا الله من شره بلغنى عن الخليل بن أحمد انه قال دواء عضة الكلب الكلب الذر اريح والعدس وقال يزعمون ان الذى يصيبه هذا الداء يطلب الماء أشد الطلب فاذا أتوه به صاح عند معاينته لا أريد لا أريد أو معنى هذا وأما الذى جاء فى الحديث من أمر الكلاب فان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وتكلم العلماء على اقتصاره على هذه السبع فقيل عبادة اذ لو كان للنجاسة لم يجد وقيل فيه معنى من الطب كالنشرة كما جاء فى حديث آخر أريقوا على من سبع قرب ثم تحل أوكيتهن وقيل غير ذلك والله أعلم وفى حديث آخر أنه أمر بقتل الكلاب وفى حديث آخر لولا ان الكلاب أمة من الامم لأمرت

بقتلها

بقتلها كلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم ويروى عنه عليه السلام انه قال الكلاب من ضعفاء الجن فاذا حضرت طعامكم فاطردوها فان لها أنفس سوء والحديث المشهور لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة وفى حديث آخر لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وفى الحديث المشهور ما من أهل بيت يرتبطون كلبا الا نقص من عملهم كل يوم قيراط الا كلب صيد أو كلب غنم أو كلب حرس وفى حديث آخر قيراطان وقد جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما انه دخل أرضا له فرأى كلبا فهم بقتيم أرضه فقال أتدخل أرضى كلبا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاب فقال الرجل انى لم أتخذه انما هو كلب عابر دخل الارض فأخذ المسحاة فقال حوشوه على فبطحه حتى قتله خرجه ثابت رحمه الله وخرج الترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الرجل وليس بين يديه كآخرة الرحل أو كواسطة الرحل قطع صلاته الكلب الاسود والمرأة والحمار قال الراوى فقلت لابى ذر ما بال الاسود من الاحمر من الابيض قال يا ابن أخى سألتنى كما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكلب الاسود شيطان وفى الباب قال أحمد الذى لا أشك فيه ان الكلب الاسود يقطع الصلاة وفى نفسى من المرأة والحمار شىء وقال اسحاق لا يقطعها الا الكلب الاسود قلت وقد تكلم العلماء فى معنى قطع الصلاة فذهب الشافعى انه يفسدها وكذلك رأيت المؤذن بمكة شرفها الله اذا أراد أن يقيم الصلاة وقف قبل ذلك بازاء الطائفين حول البيت وقال خففن يا نسوة يقول ذلك مرارا فاذا سمعنه استعجلن وقضين طوافهن وحينئذ يأخذ فى الاقامة ومادام يصلى الامام لا تطوف امرأة ومذهب مالك وغيره من الائمة ان معناه يقطع خاطر المصلى أو يشغله ذلك عن الصلاة وأما قطع تبتدأ به الصلاة فلا وفى الموطأ من قول مالك لا يقطع الصلاة شىء مما يمر بين يدى المصلى وسئل سعيد بن المسيب رضى الله عنه ما يقطع الصلاة فقال الفجور ويسترها التقوى فهذه جملة فى الكلاب وقال الشاعر

كلاب الناس ان فكرت فيهم * أضر عليك من كلب الكلاب
لان الكلب تخسأه فيخسا * وكلب الناس يربض للعتاب
وان الكلب لا يؤذى جليسا * وأنت الدهر من ذا فى عذاب

وهذا الكتاب فيه من هذا النوع كثير وفيه حكايات حسان واشعار وأحاديث

منها عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه رأى اعرابيا يسوق كلبا فقال له ما هذا معك فقال يا أمير المؤمنين نعم الصاحب ان أعطيته شكر وان منعته صبر وان استنصرته نصر فقال له عمر نعم الصاحب فاستمسك به ورأى ابن عمر أعرابيا معه كلب فسأله عنه فقال يشكر بري ويكتم سري فقال له ابن عمر احتفظ بصاحبك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كلب أمين خير من انسان خائن ومن حكايته ان أبا عبيدة أنشد لبعض الشعراء

يعرّج عنه جاره وصديقه * وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

ثم قال أبو عبيدة قيل هذا الشعر فى رجل من أهل البصرة خرج الى الجبانة ينتظر ركابه فاتبعه كلبه فضربه وطرده وكره ان يتبعه ورماه بحجر فأدماه فأبى الكلب الا ان يذهب معه فلما كان فى بعض الطريق والكلب رابض قريبا منه اذ أتاه أعداء له يطلبونه وكان معه جار له وأخوه قال فأسلماه وهربا عنه وتركاه فجرح الرجل جراحات كثيرة ورمى به فى بئر غير بعيدة القعر وحثوا عليه التراب حتى غطوا رأسه والكلب مع هذا يهرّ عليهم وينبح وهم يرجمونه ثم انصرفوا وهم لا يشكون فى قتله فأتى الكلب الى رأس البئر فلم يزل يعوى ويبحث التراب بيديه ومخالبه حتى ظهر رأسه وفيه نفس يتردد وقد كان أشرف على التلف ولم يبق فيه الا حشاشة نفسه فتنفس ووصل اليه الروح فبينما هو كذلك اذ مر أناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر قبرا فأتوا اليه فنظروا فاذا الرجل فى تلك الحال فاستخرجوه حيا وحملوه حتى أدّوه الى أهله فزعم أبو عبيدة ان ذلك الموضع يدعى ببئر الكلب وحكى صاحب الكتاب عن أبى بكر بن بكر الجوهرى قال حدّثنى جعفر بن الوليد الانماطى قال كان لى صديق من التجار فخرج فى بعض تجاراته بمتاع فقطع عليه الطريق فرجع عاريا فسرت أتوجع اليه وأهنيه بسلامة نفسه فقال لى ما ربحت فى خرجتى هذه من جميع ما كان معى غير هذا الكلب فسألته عن قصته وعن خبر الكلب فقال جلست فى المنزل الفلانى أتغذى فمثل لى هذا الكلب فأثبت له شيئا من الطعام فأكله وارتحلنا فتبعنا فجعلنا كلما أكلنا أطعمناه ولزمنا الى أن قطع علينا واتبعنى فانى لجالس فى منزلى وهو رابض بباب الدار اذ دق الباب قوم فقمت اليهم وقلت لهم ما شأنكم قالوا كلبك هذا قد هرّ على رجل مارّ بالطريق ومنعه من طريقه وما ينبغى ان تلزمه بابك فقلت ما عهدته بهذه الصورة وخرجت أنظر

الى الرجل ووثب الكلب عليه فاذا الرجل أحد من قطع علينا فقبضت عليه وسرت به الى السلطان فرجع الى كثير مما أخذ منى ومن الناس وحدث أيضا عن رجل آخر عدى عليه فى الطريق وكتف وجعت يداه ورجلاه بقيد ورمى به فى واد قال وأخذ كل ما كان معى قال فبئست من نفسى وكان معى كلب خرجت به من عند أهلى قال فتركنى الكلب ومضى ثم جاءنى برغيف وطرحه بين يدى فأكلته ولم يزل الكلب يعوى حتى أصبحت وحملتنى عيناى فنمت وفقدت الكلب فما كان بأسرع من أن وافانى برغيف آخر فأكلته وفعلت فعلى فى اليوم الاول فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى فلم ألبث أن جاء ومعه الرغيف فرمى به الى ولم يزل بحذائى رابضا وأنا أنيله من ذلك الرغيف فما استوفيت أكله حتى طلع على أبى فلما نظر الى بكى وحل كتافى وأخرجنى وحملنى فقلت له من أين علمت بمكانى ومن دلك على فقال كان الكلب يأتينا فى كل يوم فنطرح اليه الرغيف فلا يأكله وقد كان معك فأنكرنا رجوعه ولست أنت معه وكان يحمل الرغيف فى فيه ولا يذوقه ويخرج يعدو ويلزم المحجة فلما رأيناه أنكرنا ذلك من فعله فتبعته حتى وقعت عليك فكان الرجل بعد ذلك يقرب هذا الكلب ويجلسه الى جنبه ويغطيه بثوبه ويدخل يد خوله ويخرج بخروجه ويقول هذا الذى خلصنى بقدرة الله عز وجل وهذا الكتاب ألفه أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان ويرويه عنه أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا ابن حيويه الخزاز ويرويه عن أبى عمر أبو محمد الحسن بن على بن محمد الجوهرى ويرويه عن أبى محمد المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى وفى هذا الكتاب قال كان للربيع بن بدر كلب قد رباه فلما مات الربيع ودفن جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات عامر وتفرق عنه الاهل والاقارب لزمت الكلاب قبره حتى ماتت ومن أشعار هذا الكتاب قال حدثنى أحمد بن منصور الزيادى عن أبيه عن الاصمعى قال حضرت اعرابيا الوفاة وفى جانب خيمته كلب فقال لأكبر ولده وأومأ الى الكلب

أوصيك خيرا به فان له * صنائعا لا أزال أذكرها

يدل ضيفى على فى غسق الليل اذا النار نام مسجرها

وأنشد لبعض الشعراء فقال

أيها الثانى الكلاب أصخ لى * منك سمعا ولا تكونن خيسا

ان فى الكلاب فاعلمنّ خصالا * من شريف الخصال يعددن خمسا
حفظ من كان محسنا و وفاء * للذى يقتنيه حربا وحرسا
واتباع له وذب اذا ما * كان نطق الشجاع للخوف همسا
وهو غوث لنابح من بعيد * مستجير بقفرة حين أمسى

قال أبو بكر وذلك ان الرجل فى البادية اذا ضل عن الطريق وهاله الليل ولم يدر كيف يتوجه وخاف الهلاك نبح نباح الكلاب فتنبح كلاب الحى فيتبع أصواتها حتى يصير الى الحىّ قال الشاعر

ويدل ضيفى فى الظلام اذا سرى * ايقادنارى أونبيح كلابى
حتى اذا واجهته وعرفته * فديته ببصابص الاذناب

وجعلن مما قد عرفن بقدنه * ويكدن أن ينطقن بالترحاب

وأنشد لعمرو بن عصام يمدح

لعبد العزيز على قومه * وغيرهم منن غامره
فبابك أكبر أبوابهم * ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالطارقين من الأم بابنتها الزائره

وقال فى تفضيل الكلاب

أشد ديدبك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

ومن غير هذا الكتاب قول الشاعر

الناس منهم كلاب * هرّ وابكل طريق
فان ظفرت بحرّ * فاحذره فهو سلوقى

كان هذا الشاعر مجيدا منطيقا فى البيتين والثلاثة ولم يقل هذا الشاعر الناس منهم ان اصلحته كذا وانما قال والله يعفو عنه الناس طرا فاستعظمت طرا وبدلته بمنهم والله الموفق وفى ذم الناس قال المعرى وكان أعمى

أبا العلا ابن سليمانا * ان العمى زادك احسانا
لو أبصرت عينك هذا الورى * لم ير انسانك انسانا

وكانت كنيته أبا العلاء يخاطب نفسه ومن الكتاب المذكور ومما يدل على رفعة الكلب كثرة مايجرى على ألسنة الناس بالخير والشر والمدح والحمد حتى لقد ذكر فى القرآن وفى الحديث والاشعار والامثال حتى استعمل فى طريق الفأل والطيرة

والاشتقاقات للاسماء فمن ذلك كليب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة ومكلب بن ربيعة وكلب بن يربوع انتهى كلامه والذى ذكر الجوهرى فى الكلب قال يجمع على أكلب وكلاب وكليب مثل عبد وعبيد والا كالب جمع أكلب والمكلب الذى يعلم الكلاب وفى التنزيل مكلبين والكلاب صاحب الكلاب وأنشد

كأن تجاوب أصدائها * مكاء المكلب يدعو الكليبا

وأختم لك هذا الفصل فى الكلب الاسود بمسئلة نحويه جدليه هزليه طريفة غزليه وان كانت مثبتة فى التكميل فكم بينك وبينه من ميل وجدت بخط الخطيب أبى محمد عبد الوهاب رضى الله عنه

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

لا يجوز النصب فى قوله حتى أحب لانه انما اشترط دوام حبه لمحبوبته وانه يألف من يشبهها فى اللون وان خالفها فى الحسن ومن كان على هذا فحبه دائم لا ينقطع مستمر لا يقلع فلو نصب أحب لنقض ما أصل ونقض ما أكمل لانه كان يعتقد الغاية وهى انتهاء الشئ اذا انتهى ومن ثم لم يبق له رسم ولا يعرض له وهم وربما استحال الى ضده فخرج عن محكم عقده لو حكمت يا هذا بالأجود لأرحته من هوى الكلب الاسود اذ لو نصب لرفع عن نفسه النصب وسلا واستراح ولن يحفل بمن غدا أو راح ولكان النصب يرفع غرام قلبه ويقطع دوام حبه حين أبعد الغوايه واعتقد الغايه ومن بلغ النهاية كان أحرى ان يرجع القهقرى

كل أمر اذا تناهى تواهى * وانتقاص البدور عند التمام

هذا ما انتهى فيه القول من وصف الكلب الاسود وأما هول السبع المسمى بالاسد الذى ذكرته قبل فى الرجز فدهنى عن وصفه قد عجز ويكفيك منه فى هذا الرسم ان له مائة اسم وان أردت ان تتيقن صفته وتتبين معرفته فانظر ما قيل فى وصفه فاعجب من رصفه خرج أبو على صاحب الامالى فى الذيل عن أبى عبيدة قال اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زبيد الطائى وجميل بن معمر العذرى والاخطل التغلبى فقال أيكم يصف لى الاسد فى غير شعر فقال أبو زبيد أنا يا أمير المؤمنين لونه ورد وزئيره رعد وقال مرة أخرى رغد وثبه شد وأخذه جد وهوله شديد وشره عتيد ونابه حديد وأنفه أخشم وخده أدرم ومشفره أدلم وكفاه عراضتان ووجنتاه ناتئتان وعيناه وقادتان كأنهما لمح بارق أو نجم طارق اذا

استقبلته قلت أفدع واذا استعرضته قلت أكوع واذا استدبرته قلت أصمع قصيرا اذا استقصى هموس اذا مشى اذا أقعى كمش واذا جرى طمس براثنه شثنة ومفاصله مترصه مصعق لقلب الجبان مروع للماضى الجنان ان قاسم ظلم وان كابردهم وان نازل غشم ثم أنشأ يقول

خبعثن أشوس ذوتهكم * مشتبك الانياب ذوتبرطم
وذوأهاويل وذوتجهم * ساط على الليث الهزبر الضيغم
وعينه مثل الشهاب المضرم * وهامه كالجمر المثلم

فقال حسبك يا أباز بيد ثم قال قل يا جميل فقال يا أمير المؤمنين وجهه فدعم وشدقه شدقم وثغره معردم مقدمه كثيف ومؤخره خطيف ووثبه خفيف وأخذه عنيف عبل الذراع شديد النخاع مرد للسباع مصعق الزئير شديد المرير أهرت الشدقين مترص الخصرين يركب الاهوال ويهصر الابطال ويمنع الاشبال ماان يزال جاثما فى خيس أو رابضا على فريس أوذاولغ ونهيس ثم قال

ليث عرين ضيغم غضنفر * مداخل فى خلقه مضبر
يخاف من أنيابه ويذعر * ماان يزال قائما يزمجر
له على كل السباع مفخر * قصاقص شثن البنان قسور

فقال حسبك يا ابن معمر ثم قال قل يا أخطل فقال ضيغم ضرغام غشمشم همام على الاهوال مقدام وللاقران هضام ربيال عنبس جرى عدلهمس ذوصدر مفردس ظلوم أهوس ليث كروس ثم قال

قصاقص جهم شديد المفصل * مضبر الساعد ذوتعثكل
شرنبث الكفين حامى أشبل * اذا لقاه بطل لم ينكل
صلم الهامة كمش الارجل * ذولبد يغتال فى تمهل
أنيابه فى فيه مثل الانصل * وعينه مثل الشهاب المشعل

فقال له حسبك وأمر لهم بجوائز قوله اذا لقاه بطل هى لغة فى لقيه ومثله فنا فى فنى وبقا فى بقى وقد تقدم مع الشاهد عليه فى تفسير بيت امرئ القيس قلت انظر كلام هؤلاء الرجال على الارتجال وكيف أجابوا وهم عجال ولو أرخى لهم فى الطول وأمهلوا بعض المهل لجاؤا بالعلل بعد النهل ولو لم يسكتهم يزيد لجاؤا بما ليس له مزيد والا فانظر كلام أبى زيد المذكور قبل هذا ايضا والحديث

يشبه بعضه بعضا وكيف وصف الاسد لعثمان بن عفان رضى الله عنه بعد أن خلصه الله منه وقد سقت الخبر بطوله لتقف على مهوله قال عثمان بن عفان رضى الله عنه لابى زبيد الطائى رحمه الله يا أخا تبع أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت انك تجيد فأنشد قصيدته التى يقول فيها

من مبلغ قومنا الثائين اذ شحطوا * ان الفؤاد الهم شيق ولع

ووصف فيها الاسد فقال له عثمان تالله تفتؤ تذكر الاسد ما حييت والله انى لأحسبك جبانا هوانا فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا يبرح يتجدد ذكره فى قلبى فأنا معذور يا أمير المؤمنين غير ملوم فقال عثمان وأين كان ذلك فقال خرجت فى صيابة أشراف من أبناء قبائل العرب ذوى هيبة وشارة حسنة ترتمى بنا المهارى باكسائها ونحن نريد الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام فاخر ورط بنا المسير فى حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وسالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصهد وصر الجندب وضاف العصفور الضب فى وجاره وقال قائلنا أيها الركب غورا وابنا فى ضوج هذا الوادى واذا وادقد تممناه كثير الدغل دائم الظلل شجراؤه مغنه وأطياره مرنه فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فأصبنا من فضالات الزاد وأتبعناها الماء البارد فانا لنصف حر يومنا ذلك ومما طلته اذ صر أقصى الخيل أذنيه وخص الارض بيديه فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الفرس الذى يليه واحدا فواحدا فتضعضعت الركاب وتكعكعت الخيل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا ان قد أتينا وادى السبع ففزع كل امرئ منا الى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا رزدقا فأقبل يتطالع من بغيه كانه مجنوب أو فى هجار لصدره نحيط ولبلاعمه غطيط ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض كانما يخبط هشيما أو يطأ صريما واذا هامة كالجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كانهما سراجان يتقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد محدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن فضرب بيديه فأرهج وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلوله وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار طوله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذى بيته فى السماء ما اتقيناه الا بأخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقصه ثم

نفضه نفضة فضفض متنه فجعل يلغ فى دمه فذعرت أصحابى فبعد لأى ما استقدموا فكر مقشعرا بزبره كان به سهما حوليا فاختلج رجلا أعجز ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت مفاصله ثم نهم ففر فرثم زفر فبر ثم زأر فجر جرثم لحظ فوالله خلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه فأرعشت الايدى واصطكت الارجل وألمت الاضلاع وارتجت الاسماع وجمحت العيون وخفقت البطون وساءت الظنون فقال عثمان رضى الله عنه اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين هذا حديث كبير وفى شرحه علم كثير تركته لك دون شرح الى أن يأتيك الله من عنده بالفتح وقلت

بنى هذا الحديث عده * فيه لغات كالرمل عده
سل عنه من رام أن يعده * فلم يطق حصره وعده
ألقى عليه منشيه عقده * فاقرأ عسى أن تحل عقده

أظنك أيها الولد لا تعرف من ألفاظ هذا الحديث سوى الاسد اللهم والا الخيل والبغال وأحسبك تشك فى الشكال والعقال ومع ذلك فاحفظه سوادا فى بياض واكرع مع الوراد فى تلك الحياض الى ان يفتح الله لك فى علم تفهم به هذه الاغراض ولا تدعه بالاعراض فتبقى أيها الشهم لا حفظ ولا فهم ليس لك فى الادب سهم فان كان بك همة الى أن تعرف معناه وحيثت مغزاه ومغناه وأين أصله من كتب الادب ثابت فانظره فى الدلائل لثابت وقد حدانى شغفى بألفاظ هذا الحديث الى ان قلت فيه

قد قلت قولا وليس هزلا * ياصاحبى اسمع فأنت عاقل
رأيت فى ذا الحديث فصلا * أتالك فى الليث وصف قائل
به كلام يعد جزلا * اذا تراه تقول هائل
رمى عليه الطائى قفلا * فسره عالم وفاضل
فثابت حل ذالك حلا * أعنى به صاحب الدلائل
لولاه كان الحديث غفلا * أعطاه مولاه كل طائل
جزاه ربى خيرا وفضلا * من أعظم الخير والفضائل
ونال منه برا ووصلا * بالبكر الغدو والاصائل

أعزك الله لا تحتقر هذه الثمانية الابيات فانها لزوميات ان قرأت السطر من أوله

الى

الى آخره كان بقافيتين وان قرأت النصف الاول من البيت وما تحته الى آخرها كانت الابيات أربعة كذلك بقافيتين ثم ترجع الى السطر الذى تركته الى آخر السطر فتقرأه كذلك وما تحته الى آخره فتجده كذلك مثل الاول وقام كل بيت بنفسه ولم يفتقر الى غيره مثال الاول

قد قلت قولا وليس هزلا * رأيت فى ذا الحديث فصلا

ومثال الثانى يا صاحبى اسمع فأنت عاقل * اتاك فى الليث وصف قائل

فيا أخى كل ينفق مما أولاه مولاه ولم يسوّ الله سبحانه بين العباد بل فضل بعضا على بعض حتى فى الازمنة والبلاد هذا أبو زيد قد قال بالطبع ما وقر منك فى السمع وليس بغريب فصاحة عربى فى زمانه لانها لغة لسانه لم يتعلمها بكتابة ولا دراسه ولا لقنها بتمرين ولا سياسه بل أخذها الولد عن الوالد والطريف عن التالد ولو كلف أحدهم ان ينتقل الى مثل لغتنا لما قدر كما لا ننتقل نحن الى لغتهم الا بعد النظر والفكر والسمر والسهر وبالحرى أن نقفو آثارهم ونلحق غبارهم فتستغرب الفصاحة منا والبيان فى مثل هذا الزمان مع اللسان الفاسد والذهن الراكد ومع الخلط المبرد والخليط المبعد لذلك لا توجد الفصاحة فى ذا الزمن الا عند من ومن ممن منّ بها عليه الملك الوهاب مثل شيخنا الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب خصصته بالذكر لانه امامنا وزمنه زماننا وعليه كانت الدوره واليه كانت الزوره فأذكر لك هنا فصلا من رسالة كتب بها الى وتفضل بها على جواب كلام كتبته اليه فاذا اطلعت عليه استدللت بذلك على معرفته وفضله وحذقه بالادب ونبله ووقفت من رونق كلامه وطلاوته على رقة طبعه وحلاوته وان أثبتها فى الملح فهو أملح قال لى رضى الله عنه بعد كلام وبسملة وسلام * صلح فى بعض الاعوام زرعى حتى ضاق عنه ذرعى وبقر بناعيران فهاجم كثير من الفيران فعند ما حصلت الارزاق فى الغرفه توزعها الفساق بالغرفه فلما عاملونى بالفسوق أعملت القدم الى السوق وناديت فى أحفله أسمع من بأعلاه وأسفله يا أوجه الدنانير هل عندكم سنانير فاذا برجل يمشى على عجل وعنده هرّ أسود كالقار أسمعت بحبة البقار فقال لى هذا الهر من شأنه كيت وكيت وستراى اذا ولج البيت فابتعته منه بكل محبوب شفقة على الحبوب واحتملته على الفور لا أدرى أليث أم سنور سوى انه مصبور

المتن عريض الزور عبل الذراعين حديد نظر العين مصمت العظام ذو مخالب
عظام وربما اختطف بها مسامير الاوضام اذا بدا فتمثل الليث واذا عدا
فتخيل الغيث أخف الضياون نهضه وأثقفهم عضه ثم يكشر عن أنياب فيكبت
فيرانك في الغاب يرميهم بها ومالديه من رزق ويختطفهم وليس سوى مقلتيه
البرق عنده في الصيد أعظم الكيد يأتي بمكر الثعلب عند عسر المطلب
وانقضاض العقاب عند انخفاض الاثقاب يتقاعس في الوهد كانه في المهد
واذا كان في ذرى المطالع فكسيد الغضا اذ يأتي كالمتطالع يتعاشى فيتلاشى حتى
اذا أمكنته الفرصه لم يدعها وان لوحت له بقرصه بل يحمل حملة الحوت الملتقم
ويفعل فعلة الطاغي المتقم فكم اهاب مزقه وناب بالفؤاد ألزقه في كلام عجيب
مثل هذا وبعد هذا قال في آخره نعوذ بالله من شر القدر ونحمده عدد الحصى
والمدر ونستغفره من هذا الهذر ونسأله أن يجعلنا من الموت على حذر وصلى الله
على سيدنا محمد سيد البشر ما أضاء نور الشمس وانتشر اختصرت لك هذه الرسالة
من كمالها ولو رأيتها بجملتها عجبت من جمالها كما لو عاينت رسالتي لعجبت من
قلة جزالتي ولكن لابد أن أذكر لك ها هنا منها شيئا نزرا ومن جوابه عليها سطرا
كان رضي الله عنه قد أمرني أن آتيه بستور حين جارت عليه الفيران أيما جور
ونعوذ بالله من الحور بعد الكور فأرسلت به اليه وكان درسا وكتبت اليه طرسا

يا خير عجم وعرب * هل لك في هر أرب
اذا رأى الفأر هرب * وان رأى الخبز اقترب

من أرجوزة مطولة فوق السبعين وكان أول رسالته الى بعد شعر طويل ونثر
نبيل لا كان هذا الضيون ومثله لا يكون جزاء هذا القط ان تستأصل أذناه
بالقط وبالحري أن يكون حديدا اذا ذاق حديدا وتمادى كذلك في ذمه ولم يرغب
في ضمه الى أن بلغ بطاقته الى وصف الهر الممدوح في بطاقته واختصرت ذلك
أيضا بعد أن شوقتك لما ذوقتك ولتجرب نفسك فهذا وقتك ومازال أهل
الادب ممن ومن على قديم الزمن يكتبون الرسائل في كل فن ويسجعون فيها الذيل
الرفن هذا ثابت رحمه الله قد خرج في الدلائل أنشد خلف الاحمر في هذا المعنى
وأظنها لخلف الكاتب يرثي هرا له مات

رماني الدهر بكل معضله * ونال مني صرفه ما أمله

ماهكذا كنت عهدت أوله * وكان لى هرّ يسمى حملله
أسود ذو براثن مدلله * ماحازه بطرفه فهوله

قوله ماحازه بطرفه فهوله ينظر الى قول ابن المعتمر فى صفة كلب

قد وثق القوم له بما طلب * فهو اذا حل لصيد واضطرب
عروا سكاكينهم من القرب

وأوّل من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس قال

اذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطب

ومن كلام الشيخ الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران القيسى المرتلى رضى الله عنه فى الهر * نعم الجليس الهر لا يخبر ولا يستخبر ولا يبوح بسر يحفظ سرك عليك ولا ينقل عنك ولا اليك كريم المؤانسة سليم المجالسة لا يهمز ولا يلمز ولا يغتاب ولا صاحبه منه بمرتاب يحفظه اذا نام ويطرد عنه الهوام منافعه كثيرة ومؤنته يسيرة فاقتصر عليه انيسا واتخذه جليسا يسلم لك معه دينك ودنياك واياك أن تفارق موضعك اياك فهو أنفع لك من كثير من اخوانك وأحرس من خدمك واعوانك

شعر

نعم الجليس ونعم الانيس * ونعم المعدّ لدفع الاذى
يحوس البيوت لطرد الهوام * اذا عسعس الليل واجلوّذا
ونعم الضجيع لمستدفئ * اذا كلب القرّ واستحوذا

وأنا أيضا أدلى دلوى فى الدلاء وان لم أكن من الادلاء وأقول لنفسى حين أردت أن أرعى فى ذلك المرعى استنت الفصال حتى القرعا * مات لنا هرّ فسئلت أن أقول فيه شعرا على طريقة الزهد فقلت فى ذلك شعرا بدلته على قافيتين فصارت فيه الفئة فئتين وهو هذا

ألا اسمع كلاما فيه منفعة اذا * تذوّقته (لم تلف فى طعمه أذا * ألفيت شهدا بل الطيبا
ورب كلام يستحق تبعدا * وآخر (أهل أن ينحى وينبذا * أيضا يستحق تقربا
وهل يستوى فى اللين جلدة أرنب * وجلدة ذا المدعو فى الناس (قنفذا * أرنبا
وأنت كما لا تقرن الدر والحصى * كذلك لا تقرن (عيا وجهبذا * خبيثا وطيبا
وانى امرؤ ان قلت شعرا فحكمة * (وليس بحمد الله فحشا ولا بذا
كبيرا بحمد الله أوزن من الصبا

هاتان القافيتان احداهما ذالية والاخرى بائية فأما الاولى فظاهرة وأما الثانية فتحذف من القوس الى النجمة وتقر أبدا لها ما بعد النجمة

وقد آخذ الشئ المحقر قدره * (فأسبك منه لؤلؤا وزمردا * فأسبكه مفضضا ومذهبا
وخير كلام المرء ما كان صادقا * ولم يك مأفوكا مطرّا (مشعوذا * مكذبا
فأجدر بافك أن يذم وينبذا * وأخلق بصدق أن يضم (ويؤخذا * ويحببا
وكان لناهر فأصبح ميتا * فقلت لنفسي (وبحك اعتبري بذا * ان في موت ذا نبا
ألا فانظريه لاحراك بجسمه * كأن لم يكن يجري (على الارض قبل ذا * طليقا مسيبا
ولم يك طوّافا عليك محببا * اليك ترين اللهو منه (تلذذا * تعجبا
فها هو منبوذا الى جنب حائط * مهانا ومطروحا (كما يطرح الاذا * منحى مجنبا
اذا ري ء قال الناس أف لجيفة * وقد كان قبل اليوم يسمع (حبذا * مرحبا
وقد كان في حجر الغواني مجلسا * وقد كان محفوظا مفدى (معوّذا * محببا
فان قلت ذاهر فانك مثله * تذوقين (من ذوق المنية ذوق ذا * كأسا أهلك الأم والابا
وقد سل منه الروح من كل شعرة * ولا بد أن ينسل منك (ويجبذا * ويجذبا
فتنسين ما قد كنت قبل رأيته * (ونعمت فيه من لباس ومن غذا * ونعمته لبسا وأكلا ومشربا
فيا خجلتا ان سيل مما اكتسبته * ويا حسرتا ان قيل (أنفق فيم ذا * لي فيم سربا
ولا بد من هذا فأما جهنمة * فليس عليها (من حساب ولا عذا * أن تسال وتطلبا
فيا ليتني اذ مت كنت كمثله * ترابا ولم أسأل ويا ليتني (فذا * هبا
وأعلم أني ميت ومحاسب * فيارب كن مما (أحاذر منقذا * أخاف منكا
ويسر حسابي بالنبي محمد * أعز الورى من (احتفى ومن احتذا * احتذى ومن احتبا
فكل امرئ يحتاج يمسي فؤاده * ويصبح من خوف الحساب (مجذذا * قد اكربا

ولي من هذا النوع المبذل على قافيتين وعلى ثلاث وعلى أربع وعلى خمس وعلى ست وعلى أكثر وحروف المعجم كلها أكثر من ألف بيت وقد قال الفقيه الخطيب أبو محمد من ذلك أيضا شيئا كثيرا وقد تقدّم لي بعض ذلك وسيأتي غيره ان شاء الله تعالى أقول هذا كله لتنشط فتصنع مثله أخشى أن تنشدوا يا أولادي

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

(فائدة في الاختصار) تقدّم في الشعر ولا عذا أراد ولا عذابا فحذف لعلم السامع ومن مذهب العرب الاختصار وقد جاء في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا أراد شاهدا فحذف اتكالا على فهم المخاطب ومثله من

مبحث الاختصار

الاختصار ماخرجه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا قلنا وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل يريد والله أعلم وما منا الا من يجد ذلك ومثله ماخرجه البزار من حديث أبي الدرداء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه يقطر فصلى بنا في ثوب واحد متوشحا به قد خالف بين طرفيه فلما انصرف قال له عمر تصلي في ثوب واحد وفيه قال نعم أصلي فيه وفيه يعني الجنابة ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ادني مني فقالت اني حائض فقال وان أرادوان كنت حائضا ومثله ماخرج الترمذي بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلق لاعبا أو أعتق لاعبا فقد يريد والله أعلم فقد لزمه وقال الشاعر من شاذلي النفس في هوة * ضنك ولكن من له بالمضيق

أراد من له بالخروج من المضيق وهذا كثير ولابي محمد عبد الوهاب في هذا فصل جزل ذكرته في التكميل *(فصل في التوبة)* قال الله تعالى توبوا الى ربكم وقال عليه السلام أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة خرجه مسلم ومن غير مسلم قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم مائة مرة فسر هذا الحديث بعض العلماء قال الغين شئ يغطي القلب بعض التغطية فهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يكاد يحجب عين الشمس ولا يمنع ضوأها أشار بعض الناس الى انه كان صلى الله عليه وسلم ينقل من حال الى ما هو أرفع منه فاذا رفع الى درجة رأى ما نقل عنها تقصيرا في واجب حق الله فرأى ذلك غينا يجب له الاستغفار منه وفي الجملة ان النبي صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق رتبة عند الله وأعلاهم منزلة * روى ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خير قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية فأنا اتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فأخبر انه خير الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم

وفى البخارى ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه وجاء مصدر هذا الفعل فى القرآن على توب كقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب وعلى متاب كقوله تعالى فانه يتوب الى الله متابا واليه متاب وعلى توبة كقوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا ومعنى نصوحا خالصة مأخوذ من النصح وجاءت على فعول للمبالغة فى النصح وقرئت نصوحا بضم النون مشتقة من النصاح وهو الخيط أى مجردة لا يتعلق بها شئ ولا تتعلق بشئ وهى الاستقامة على الطاعة وسئل الحسن البصرى رضى الله عنه عن التوبة النصوح فقال هى ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار ان لا يعود وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله ليس شئ من الاشياء أوجب على الخلق من التوبة وقال من قال ان التوبة ليست بفرض فهو كافر وقال أيضا التائب الذى يتوب من غفلته فى الطاعات فى كل طرفة ونفس قلت ولعل توبة النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يتوب فى اليوم مائة مرة كما تقدم كانت من نحو هذا والله أعلم وللتوبة شروط لا تكمل الا بها أولها الاقرار بالذنب ثم الاعتراف بالذنب ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذى كان عقده على اعمال السيئات واطابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه والندم على مافات واعتقاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهى واستبدال السيئات بالحسنات ويدخل فى هذا استبدال الاصحاب السوء بالصالحين ثم دوام الحزن على ما كان منه من القبيح ثم المسارعة للخيرات الى الممات فلك ولا تستثقلن هذا ولا تستكثرنه فانك تتعرض لمحبة الله تعالى ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومحبة العبد لله عمله بطاعته وانتهاؤه عن معصيته ومحبة الله للعبد رحمته اياه كذا فسر فى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال الحسن نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا نحن الذين نحب ربنا ولى فى معنى حب الله تعالى

ظن قوم بأن حب الهى * مثل ما يحبب الانيس أنيسه
غلطوا فى القياس مامثله يشبه شيئا فيقتضى أن نقيسه
وكذا حبه يجل عن الوصف تعالى عن الصفات الخسيسة
انما حبه لمن كان أهلا * للمعالى وللمعانى النفيسه
كل من كان للمحبة أهلا * حبه يلزم النفوس الرئيسه

وسئل

وسئل أبو محمد سهل رحمه الله متى يكون التائب حبيب الله تعالى فقال حتى يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله الآية ومن رحمة الله تعالى وكرمه انه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويقبل توبة العبد مالم يغرغر فالحمد لله على هذه النعمة وقد خلق الله تعالى ابن آدم كما قال عجولا فلا يتماسك وهو مفتن توّاب لكن برحمته جعل له التوبة تطهيرا مما سبقها من السوء كما جعل له الماء طهورا من الأحداث فمن أحدث بقلبه تاب فتطهر كما اذا أحدث ببدنه استعمل الماء فتطهر والعاقل يودّ أنه لا يحدث أبدا فاذا كانت ضرورة بادر الى التوبة بحسب الامكان فاذا هو قد عاد كما كان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء له الحمد شكرا وله المن فضلا وقال بعض الصالحين من يسر للتوبة لم يمنع المغفرة وقال الشعبي مثل الذنب والاستغفار والتوبة كمثل الداء والدواء والشفاء فالذنب هو الداء والاستغفار هو الدواء والتوبة هي الشفاء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه العجب لمن يهلك والنجاة معه قيل وما هي قال الاستغفار وقالت عائشة رضي الله عنها طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما ذكر العبد خطيئة عملها فوجل قلبه منها فاستغفر الله الا محاها عنه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ أفضل ما يعطيه الله للعبد اذا أحبه قال يلهمه الاستغفار وقال محمد بن علي رضي الله عنه يا بني اذا أنعم الله عليك فقل الحمد لله واذا أحزنك أمر فقل لا حول ولا قوة الا بالله واذا أبطأ عنك رزق فقل أستغفر الله وقال أبو عمران السلمي

وانى لرائي الذنب أعرف قدره * وأعلم ان الله يعفو ويغفر
لئن عظم الناس الذنوب فانها * وان عظمت في رحمة الله أصغر

تفكرت فيما يتضمن هذا الفصل من الفضائل في ذكر التوب وما تضمن الذي قبله من الرذائل والحوب وفي تعطيل الوقت بذكر الكلب والسنور وأعوذ بالله من الحور بعد الكور فحملني ذلك على ان صنعت أبياتا أثبتها في هذا الورق أعتذر فيها وأستغفر الله مما سبق وهي

كم بين ذا الفصل وما قبله * ذلك قصدير وهذا ورق
لكنني أعجبني ذا لكم * من أجل ذا أثبته في الورق

فالعين تلتذ ونفسى لما * تقذفه الأذن لها تسترق
فان يكن شرا فذا بعده * خير وفى أنواره يغترق
والعبد ان تاب الى ربه * فذنبه فى عفوه يحترق
يارب ذا عبدك مستغفر * داع بقلب منضج محترق
فاجعل الهى مادعاكم به السبع السموات العلى يخترق
وفرق الشر الذى فيه قد * جمع واجمع خيره المفترق
حتى ينال التوب مما جنى * ويستفيد الأمن مما فرق

(فصل وتقدم الفالية) والفالية المرأة التى تفلى الرأس ومنه قول اعرابى أيضا عير ببنت ولدت له

ماذا على ان ولدت جاريه * تمشط رأسى وتكون فاليه
خير من ابن عاره علانيه * يجر فى كل أوان داهيه

وعلى هذا المعنى قول قتادة رضى الله عنه رب جارية خير من غلام ورب غلام كان هلاك أهل بيته على يديه وذكر عن بعض التابعين انه قال رب جارية محمودة الاخلاق طاهرة الثياب سعيدة العواقب جامعة شمل أهلها يخلق الله تعالى منها النسل الزكى والذرية الطيبة ورب غلام طالعه النحوس ومنشؤه الريب عاق لوالديه حياته داء وموته شفاء وعيرت امرأة بمثل ذلك فقالت

وماعلى ان تكون جاريه * تحفظ بيتى وتضى عناريه
وترفع السافط من خماريه * حتى اذا تمت لها ثمانيه
أو تسعة من السنين الوافيه * زوجتها مروان أو معاويه
أزواج صدق ومهور غاليه

وعاب اعرابى امرأته ببنت ولدتها له وكان اسمه عروة فقالت

تلومنى ان لم ألد غلاما * نجدا هزبرا باطلا مقداما
يمارس الصعدة والحساما * عروة مه لا تكثرا الملاما
الا أكن ولدته ققاما * مواتيا مقدما اماما
فانها تقتنص الضرغاما * والملك المتوج الهماما
وتأسر العقول والاحلاما

وغاضب آخر امرأته واعتزل عنها فى بيت وجفاها من أجل ذلك وكان يكنى

أبا حمزة فقالت

مالأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * وانما نأخذ ما أعطينا
* وباختيار الله قد رضينا *

فسمع ذلك فاتعظ ورضي عنها وقال آخر لامرأته ولدتيها تمان ولا تمون وتصان ولا تصون وتزدريها العيون فقالت بل ولدتها تنفج مال اهلها وتعمر بيت بعلها وتسره بدلها معنى تنفج مال أهلها اى تعظمه وتكثره وكانت العرب يأخذ الرجل مهر ابنته ابلا فيدخلها في ماله فينفجه ولذلك كانوا يقولون للرجل تولد له الجارية هنيئا لك بالنافجة (قلت) وقد قيل في النساء كثير منهم من يذمهن ومنهم من يضمهن وكل ينفق من ماله وينطق عن حاله فمن استغنى مدح ومن استعنى قدح وليس ذو الشرخ في هذا الفن الساحب الذيل الرفن كمثل الشيخ الميفن هذا يباح له في الصيام التقبيل وذاك يزاح عن الكلام الافي قيل وهل يستوى الشبان ومن ذهب منه الاطيبان *(فصل وقد ذم جماعة النساء بعض الحكماء من القدماء قال)* هن نار توهج وسلم الى كل بلاء وهن مثل شجرة الدفلى لها رونق وبها فاذا أكله البعير أداه الى الثوى ومن أمثالهم طاعة النساء تردى العقلاء وتذل الاعزاء ونظر بعض الصالحين الى امرأة تتزين وتتعطر فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها وزادجمالها فقال لمن حوله انما المرأة مثل النار اذا زيد في حطبها تأججت واشتد حرها وضاءت للناس فهي حسنة المنظر تحرق من دنا منها * وقال بعض الحكماء الكيس من لم تضطره النساء وقال أيضا من كانت لذته في النساء وقع في أعظم البلاء وقال من أراد أن يعيش عيشا رغدا ويحيا حياة بلا نكد فلا يشغل فكره بشهوة النساء ولا يومي اليهن بطرفه ولا يده وقال كل أسير يفتك الا أسير النساء فانه غير مفكوك وكل مالك يملك الا مالك النساء فانه مملوك وما استرعين شيئا قط الا ضاع ولا استؤمن على شئ الا اذاع ولا أطعن شرا فقصرن عنه ولا حوين خيرا فأبقين منه فقيل له كيف تذمهن ولولاهن لم تكن أنت ولا امثالك من الحكماء فقال مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء لا يلامسها جسد الا اشتكى وحملها مع ذلك الرطب

مبحث ذم النساء

الطيب الجناو السلاء جمع سلاة وهى شوك النخل وسيأتى فى باب السين واللام وروى فيهن انهن محملو الآصار ومكلفو الأوزار وأكثر أهل النار ولا يصبر عليهن الا الاخيار وانهن يسرعن اللعن ويكثرن الطعن وفى صحيح الحديث ويكفرن العشير وينكرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط * وقال لقمان استعذ بالله من شرار النساء وكن من خيارهن على حذر وقيل لبقراط أى السباع أحسن صورة فقال النساء ورأى امرأة قد ذهبت احدى عينيها فقال قد ذهب نصف الشر ورأى البحر قد حمل امرأة فقال شر يجنى شرا ورأى رأس امرأة على شجرة فقال ليت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر ونظرت عجوز من الفلاسفة الى رجل يريد أن يعرس وقد زين داره وزوقها وكتب على الباب لا يدخل على هذا الباب شئ من الشر فقالت له العجوز فامرأتك من أين تدخل وقيل ان الاسكندر خرج اليه فى بعض حروبه نساء يحاربنه فقال لاصحابه كفوا عنهن فان ذلك جيش ان غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر وان غلبنا فهى الفضيحة الباقية مع الدهر ورأيت فى بعض الكتب ان هؤلاء النسوة لا يسكن مع الرجال وان أزواجهن يسكن ناحية منهن فمتى احتاج الرجل الى امرأته أتاها فقضى حاجته منها وانصرف فاذا ولدت ولدا ربته حتى يكبر وأرسلته الى أبيه وان كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى يبيس لئلا يمنعها الطعن بالرمح وتركت الآخر الايسر لترضع به ولدها ومع هذا فلا بد من صحبتهن ولكن لا بد من الادب فى ذلك قال عمر رضى الله عنه عودوا نساءكم لا فان نعم تجريهن على الالسنة وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاوروهن وخالفوهن وقال على رضى الله عنه لابنه محمد بن الحنفية اياك يا بنى ومشاورة النساء فان رأيهن الى الافن وعزمهن الى الوهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك اياهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تطل الجلوس معهن فهلكنك وتملهن واستبق من نفسك بقية وقال النبى عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا امرأتان آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخاطبهن فقال انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن أشرتن أو قال جعلتن أو كما قال عليه الصلاة والسلام معنى دقعتن خضعتن والصقتن بالدقعاء وهى

غبرة التراب ويقال فى الدقعاء أيضا الدقم بكسر الدال والميم زائدة كما قالوا للدرداء دردم ويقال فقر مدقع أى ملصق بالدقعاء وقالوا رماه الله بالدوقعة وهى الفقر والذل وجوع ديقوع أى شديد وقد شهن بالقوارير لسرعة الكسر اليهن ولا يمكن فيهن الجبر وفيهن قال النبى صلى الله عليه وسلم رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير يعنى ضعفة النساء يقوله عليه السلام لأنجشة وكان حاديا حسن الصوت وسيأتى فى باب الراء عند تفسير كلمات من القرآن وقال النبى عليه السلام فى النساء ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وفى الشهاب النساء حبائل الشيطان وقال سعيد بن المسيب رحمه الله ما أيس الشيطان من شئ الا أتاه من قبل النساء وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهب بصره ما شئ أخوف عندى من النساء وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لهن اسكتن فانما أنتن لعب اذا فرغ لكن لعب بكن ولى أنا فى هذا المعنى ولكن متى قلته قلته بعد أن ذهبت الشهوة وضعفت القوة وحين قرت الهوة وسدت الكوة

أضر شئ على الانسان خصيته * تلك التى أوردته لجة السكد
ان الفضول لعمر الله أدخله * فى أن يكابدهم الأهل والولد
يحتاج دارا وأهل الدار يطلبه * كل بشهوته فليعط أو يعد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم * فظل من بلد يسرى الى بلد
كأنه حجر يرمى به ورق * من هاهنا لهنا ومن يد ليد
ما همه الدهر الا ما يؤلفه * وما يجمعه من جيد وردى
وما يبالى أحل أم حرام أتى * فعل امرئ ليس فى الاخرى بمعتقد
حتى اذا اجتمعت تلك المكاسب من * تلك النهاوش بعد الأين والجهد
أمسى يفرقها فيهم ونيته * فى كسب أخرى كذا أبدا بلا أمد
وربما أسخط المسكين خالقه * اذ ليس فى فعله هذا بمقتصد
الفرض ضيعه والدين أتلفه * بالمكر والغش ثم الغل والحسد
وكل ذلك من أجل النساء فلا * أهلا بهن ولا قربن من خلد
يسلبن اب ذوى العقل الرصين كما * يصرعن من كان ذا أيد وذا جلد
يارب شهوة وقت أورثت غصصا * وأعقبت حسرات آخر الامد

القبقب البطن والذبذب الذكر

قد كان فى شغل بهم قبقبه * عن هم ذبذبه لو كان ذا رشد
لكنه عميت عن ذاك مقلته * حتى هوى مكرها فى هوة الاسد
عسى تقول رسول الله حض على النكاح يعنى بذاكم كثرة العدد
نعم وقال لنا أيضا عليك بذات الدين فاليوم فاطلب ضدها تجد
قد كان يصلح ذاك الامر فى زمن * أخنى عليه الذى أخنى على لبد
ذاك الزمان مضى وأهله معه * فاليوم ياليت أم المرء لم تلد
يكلف المرء مالا يستطيع له * حملا وليس على شرع بمطرد
عرس بدف وطبل واصطفاق مزامير ورقص الى أنواع كل دد
الى أمور سواها سوف تعلمها * اذا أردت الزواج اليوم ياسندى
ولست تسمع من بعد الدخول سوى * سق سق وهات وعجل غير متئد
ان قلت قد سقت قالوا ثم ذلك فى * أمس سق اليوم مايكفى لبعد غد
ان كنت تقوى على هذا والافرح * يجىء غيرك فاصدر بعد أو فرد
فيحوج المرء أن يلقى هنالك ما * ذكرت قبل من الأحزان والنكد
ياخائفا ضرهن اسمع وصية من * قد جرب الامر لم يحتج الى أحد
عليك بالصوم واترك ذكرهن ولا * تنظر اليهن ينج القلب من كمد
واقنع بثوب وبيت تستتر بهما * واجعل طعامك عند الفطر ملء يد
واعكف على طاعة الرحمن مجتهدا * فليس يخلص الا كل مجتهد
وعن قريب يجىء الموت وهو كما * علمت يفرق بين الروح والجسد
فان تكن صالحا تفرح وتحظ غدا * بجنة الخلد دار السيد الصمد
مجاورا لجميع الانبياء بها * مكلما ناظرا للواحد الاحد

ومن شعر أبى عمران المير تلى رضى الله عنه

يقولون زوج فنعم الفتاة * عرضنا عليك تنل خيرها
ولو أستطيع لطلقت نفسى * فكيف أضيف لها غيرها
أأشقى بها دون ماضرة * وآمن مع ضرة ضيرها
وماتقنع العرس منى بشئ * سوى أن تصير نى عيرها
فنفسى أولى بنفسى ودع * سواها تسر وتصل سيرها

وقال يوسف عفا الله عنه وقد سألنى تذييل ذا البيت صاحبى

وكن

وكنّ اذا أبصرننى أوسمعن بى * بدرن فرقعن الكوى بالحواجب
مشيبى يشى بى فاغتديت مبغضا * لدى قاصرات الطرف عين ربائب
وعهدى فى غضن الشباب وانتى * لكالشمس فى حسن وهنّ صواحبى
وكنّ اذا أبصرننى أوسمعن بى * بدرن فرقعن الكوى بالحواجب
يسلمن طورا بالبنان وتارة * بأنملة زينت بتخضيب خاضب
اذاغبت عن عين فانى حاضر * بقلب ففى التحقيق لست بغائب
فأضحيت لاشئ بأبغض يافتى * الهن من شخصى وكن حبائبى
يناديننى ياشيخ لاعن كرامة * كماقد ينادى الناس أهل المراتب
ولكنّ عيبا واحتقارا وذلة * ولو كنت ذاعقل لما كنت عائبى
فان يعيب المرء الاذنوبه * وذلك يردى لا ابيضاض الذوائب
فيارب ان أبغضننى فأحبنى * فأنت ولي دونهن وصاحبى
ولاتحرق الشيب الذى قد جعلته * وقارا بنار يوم يكشف غائبى

وهذه المقطوعة قلتها على أن قافية البيت بالحواجب ثم رأيته بالمحاجر فدعت الضرورة الى أن بدّلته أيضا على المحاجر فقلت

مشيبى يشى بى فاغتديت مبغضا * لدى قاصرات الطرف عين غرائر
وعهدى فى عصر الشباب محببا * الهن فى بال أقيم وخاطر
وكنّ اذا أبصرننى أوسمعن بى * بدرن فرقعن الكوى بالمحاجر

الابيات وبدلته أيضا على قافية القاف فقلت

مشيبى يشى بى فاغتديت مبغضا * الى قاصرات الطرف عين عواتق
وعهدى فى عصر الشباب محببا * الهن لايقطعن وصل علائقى
وكن اذا أبصرننى قمن للكوى * فألثمهنّ سود العيون الروامق

مبحث مدح النساء

كذلك الى آخر الابيات أنظرها بكمالها فى التكميل * ومن الناس من مدحهن قال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ما مرّض المرضى ولا ندب الموتى مثل النساء وقال بعض الحكماء ما آنس الانسان ولا عمر المكان ولا سلى الأحزان ولا أعان على الزمان مثل البيض الغوان وفى كتاب مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وفى كتاب الاربعين للثقفى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى النساء خير فقال

التى تسره اذا نظر ولا تعصيه اذا أمر ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ولا ماله وهذا الحديث من العوالى حدثنى به الحافظ السلفى عن الثقفى عن الفضل بن عبد الله عن عبد الله بن جعفر عن مروان بن سليمان عن أبى عاصم عن أبى عجلان عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قلت أنظر قوله عليه السلام تسره اذا نظر هل هو الا أن تكون من أحسن الصور ومازال الجمال اليه يميل ومن أمثالهم المرأة الوسيمة من المنن الجسيمة وفى الشهاب النظر الى المرأة الحسناء يزيد فى البصر ولله در الذى يقول

يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا

وقول الناس فى الملاح معلوم وهو الجمال مرحوم وقال الشاعر

ويقبح من سوالك الفعل عندى * فتفعله فيحسن مثلك ذاكا

وقال الآخر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

قلت فكما ان المرأة الصالحة خير متاع الدنيا فكذلك المرأة السوء شر متاع الدنيا هى الداء العضال والعثرة التى لا تقال وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث قاصمات للظهر فذكر منهن زوجة يأثمها صاحبها وهى تخونه ذكر فى هذا الحديث زوجة وأنكر الاصمعى أن يقال زوجتى وانما يقال زوجى وكذلك قال غيره واحتج بقول الله تعالى أمسك عليك زوجك واسكن أنت وزوجك الجنة قلت ولعلهما لغتان ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد قال زوجة فى هذا الخبر وفى مسلم من كتاب الجنائز فى الدعاء للميت وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من زوجته الحديث وسيأتى فى الحديث بعد هذا وزوجة مؤمنة فهى اذا لغة مشهورة مذكورة وقال فى حديث الاعتكاف للرجل الذى لقيه بالليل والنبى عليه السلام يشيع امرأته الى منزلها انها زوجتى وفى حديث ذكره النسائى عن معاوية بن حيدة قال قلت يارسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك الحديث وخرج أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن عمر قال أتت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ماحق الزوج على زوجته قال لا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة الله عز وجل وذكر باقى الحديث

وذكر البزار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر النساء اتقين الله والتمسن مرضاة أزواجكن فان المرأة لو تعلم ما حق زوجها لم تزل قائمة ما حضر غداؤه وعشاؤه وخرج الترمذى رحمه الله عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا قال هذا حديث حسن غريب وخرج أيضا عن طلق بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور قال هذا حديث حسن غريب وخرج مسلم رحمه الله بسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وهذه فوائد فى المعنى واللفظ ينبغى ان تقيد بالحفظ وتتعاهد بالدرس كى لا تنسى ويحتج بها على النساء فى خروجهن بغير اذن أزواجهن ونرجع الى اللغة فى الزوج والزوجة فنفصل فيها بالحجة قال بعض العلماء لغة أهل الحجاز زوج ولغة بنى تميم زوجة قال الفرزدق وهو تميمى

وان الذى يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستنيلها

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم كل قوم بلغتهم رجع الكلام الى ذكر النساء قال النبى صلى الله عليه وسلم فى النساء رأيتهن أكثر اهل النار ثم ذكر العلة فقال يكفرن العشير وينكرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا تنكره قالت ما رأيت منك خيرا قط وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا فليس الا المداراة فداراة الناس صدقة والناس يمكنك التخلص منهم وليست الزوجة كذلك الا فى القليل وقد قال عليه السلام هى كالضلع ان ذهبت تقيمه كسرته وان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وقال كسرها طلاقها وفى الخبر ان ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه شكا الى الله عز وجل خلق سارة فأوحى الله عز وجل اليه انما المرأة كالضلع المعوج اذا أقمته كسرته فداره تعش به وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى

أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها

وقد كن ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره احداهن حتى

الليل وكذلك كثير من الصحابة وسيأتي حديث ابي ذر رضي الله عنه عند ذكر المودة
ويروى عن انس بن مالك رضي الله عنه ان امرأته راجعته يوما فقال لتنتهين
اولأدعون الله عليك فقالت انت منذ عشرين سنة تدعو على الحجاج فما يزداد عنقه
الا غلظا ومما عدوه من الحمق التماس مودة النساء بالغلظة والجفاء والتماس مودة
الاخوان بلا وفاء والآخرة بالرياء والعلم والفضل بالخفض والدعة ونفع النفس بضرر
الغير وقال المغيرة بن شعبة ملكت النساء على ثلاث طبقات كنت أرضهن
في شبيبتي بالباءة فلما اكتهلت كنت أرضهن بالمداعبة والمفاكهة فلما شبت
أرضيتهن بالمال وفي روايتي عن الحافظ بسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
المهاجرون لما أنزل في الذهب والفضة ما أنزل وددنا انا علمنا اي المال خير فنتخذه
فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين
أحدكم على ايمانه خرجه في أحد أجزاء المحاملي رحمه الله وخرج أبو داود هذا
الحديث بهذا المعنى على غير هذا اللفظ من قوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بخير
ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها
حفظته قلت وينبغي كما يتخير الرجل الارض لغرسه كذلك فليتخير الزوجة لنفسه
ونجابة ولده بحول الله في صلاح عرسه ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تخيروا لنطفكم فان العرق دساس وقال اياكم وخضراء الدمن وقال عليه الصلاة
والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك
ويروى ان رجالا خطبوا لرجل مجوسي ابنة له كانت جميلة فقال لهم العجب من
طباعكم لا تمتثلون قول نبيكم ولا قول مشايخنا نبيكم يقول عليكم بذات الدين
ومشايخنا يقولون عليكم بمن له أصل وجوهر فان العرق يرجع الى أصله فأعجل
القوم وتركوا الخطبة وقال ابن عبدوس رحمه الله وذكر الجمال كفى بالوجه الحسن
ان يستمتع به في كل حالة وانه ليخشع له القلب والبصر والانثى والذكر والشديد
والضعيف والفاجر والعفيف وقالت حكماء الهند بحسن الصورة تستمال أعنة
الابصار ثم قال ابن عبدوس بعد ذلك ألا ان الجمال من اكبر اسباب الفساد وقلما
تجد الجميلة عفيفة ولو كانت عفيفة لم تسلم من مراودة من ليس بعفيف وكم
عساها ان تعف وقد سئل بعض الحكماء عن التزويج فقال للسائل نعم ما تفعل تغض
طرفا وتحصن فرجا ولكن اياك والجمال الرائع قال ولم وانما يرغب الناس فيه

فقال أوما سمعت قول القائل

ولن تمرّ بمرعى ممرع أبدا * الا وجدت به آثار مأكول

وفى الحديث لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى ان يردين ولا تنكحوهن لأموالهن فعسى أموالهن ان تطغيهن وانكحوهن على الدين ولأمة سوداء جذماء ذات دين أفضل من ذات جمال وليس لها دين قال ابن عبدوس والحسناء كثيرة المنّ على زوجها بحسنها والعفيفة أكثر منا عليه بعفتها حتى كان الواجب عندهن ان لا يكن عفائف وقال أكثم بن صيفى يا بنى تميم لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة الحسب فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف وقال الشاعر

وأوّل خبث المرء خبث ترابه * وأوّل لؤم المرء لؤم المناكح

وقال الآخر

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وان كان لون الماء فى العين صافيا

وفى هذا الشعر

على وجه مىّ مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

قوله خيرى هكذا فى النسخ ولعله حرب أو جزى كما يقتضيه سياق الحكاية

ودخل خيرى بن أبى أوفى على هشام بدمشق ملفوفا فى عباءة فسلم وانتسب فقال كيف أبوك قال كالخير لنفسه وكالشرّ لى قال وكيف ذاك قال كنت نطفة فى صلبه يضعنى حيث شاء فألقانى فى رحم سوداء لو وقع القمر فيه لاسود ثم سمانى بشرّ الاسماء واختار لى شر الاعمال رعية الابل فأعدنى عليه قال أما لونك فلا تستطيع تغييره وأما اسمك فمن أسماء أبيك وأما عملك فقد أبدلك الله الفريضة السنية والجائزة الحسنة ففرض له ووصله أصاب خيرى وصدق فيما به نطق هذه الأوصاف قد قالها غيره قبله قالوا من حق الولد على والده ان يستفره أمه ويحسن اسمه فان كان ذكرا يعلمه كتاب الله ويعلمه الرمى والسباحة وان كانت أنثى يعلمها سورة النور ولا يعلمها سورة يوسف عليه السلام ولا يسكنها الغرف ويعجل سراحها الى بيت زوجها وقال عروة بن الزبير رحمه الله ما عشقت من امرأة قط الا حسن شرفها وفسره بعضهم واستشهد بقوله فى موضع آخر انى لأعشق الشرف كما أعشق الجمال فعل الله بفلانة ألفت بنى فلان وهم بيض طوال فقلبتهم سودا قصارا وقال غيره انما أراد الحسب وصراحة النسب واحتج بقول عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ما عشقت من امرأة قط الا حسبها ولعل قائلا يمدح القصار ويستشهد بقول كثير

الشاعر وأنت التى حببت كل قصيرة * الىّ وما تدرى بذاك القصائر

فلم يرد القصيرة القدّ وانما أراد المقصورة فى الخجال من قولك قصره اذا حبسه يقال منه قصيرة وقصورة كما يقال مقصورة اذا كانت محجوبة ومنه قول الله تعالى حور مقصورات فى الخيام أى محبوسات وقوله تعالى قاصرات الطرف أى قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا وقال الشاعر

تراها عند قبتنا قصيرا * وتبذلها اذا باقت بؤوق

أى مقصورة مقربة لا تترك تتردد لنفاستها عند أهلها ويدل على انه أراد هذا المعنى قوله فى البيت الذى بعده

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطى شرّ النساء البحاتر

والبحاتر القصار وروواه الفراء وأنشده البهاتر بالهاء وقال بحتر بالحاء وبهتر بالهاء لغة فيه وهو القصير كما تقدّم والهاء تبدل من الحاء كثيرا وسيأتى ذلك وقد يحتمل أن يريد بقوله كل قصيرة أى قصيرة النسب وتلك صفة الأشراف ومعناه أن يقال بنت فلان فيعرف ولا يحتاج الى تطويل فى النسب كما يحتاج من ليس بشريف أن ينتسب حتى يبلغ الى رأس القبيلة وبالحرى أن يعرف ان عرف قال رؤبة قال لى النسابة من أنت انتسب فقلت رؤبة بن العجاج فقال قصرت وعرفت وقد بين الشاعر هذا المعنى فى قوله

أحب من النسوان كل طويلة * لها نسب فى العالمين قصير

وقال الطائى

أنتم بنو النسب القصير وطولكم * بادٍ على الكبراء والاشراف

ومع هذا فان نجابة الولد انما هو فى النسب لا فى الطول ولا فى القصر وقال ابن الزبير لا يمنعكم من تزوّج المرأة القصيرة قصرها فان القصيرة تلد الطويل والطويلة تلد القصير واياكم والمذكرة فانها لا تنجب وسيأتى خبر الاعرابى القبيح الطويل الذى تزوّج امرأة قصيرة جميلة لتلد له بزعمه غلاما يشبه أمه فى الحسن وأباه فى الطول فولدت له ضد ذلك والعرب تقول ان الغيرى لا تنجب واذا أكره الرجل المرأة وأصابها وهى مذعورة فان أذكرت أنجبت ولذلك قال عبيد الله ابن الحسن اذا أردت أن تذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها ولذلك قالوا أنجب النساء الفروك لان الرجل يغلبها على الشبه لزهدها فى الرجل وقالوا أنجب النساء

النزائع الواحدة نزيعة وهى التى زوّجت فى غير قبيلتها قال الشاعر

نمت بى من شيبان ام نزيعة * كذلك ضرب المنجبات النزائع

واولاد الغرائب عندهم أشد وأقوى قال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى وليد القرائب

ومنه قول عنترة * أنا الهجين عنترة * افتخر بأنه هجين لانه أقوى من الصريح وأجلد ذكر هذا الخطابى رحمه الله فى تفسير قوله عليه السلام طوبى للغرباء قيل من هم يارسول الله قال النزاع من القبائل ثم فسره قال النزاع جمع نزيع وهو الغريب الذى نزع عن أهله وعشيرته وجاء فى حديث آخر بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء قيل من الغرباء يارسول الله قال الذين يصلحون ما أفسد الناس وقال الحارث بن كلدة اذا أردت ان تجبل المرأة فشمها فى عرصة الدار عشرة أشواط فان رحمها تنزل ولا تكاد تخلف وكانت العرب تقول اذا المرأة لقحت قبل الطهر فى أوّل الشهر عند تبلج الفجر ثم أذكرت جاءت به لايطاق قال الشاعر

لقحت فى الهلال عن قبل الطهر وقد لاح للصباح بشير

ذكر أوقات حمل المرأة

وأوّل أوقات حمل المرأة تسع سنين وهو أوّل وقت الوطء وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها وهى بنت ست وبنى بها وهى بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة وتوفيت وهى بنت ثمان وخمسين سنة وتحمل المرأة وهى بنت عشر وفى البخارى عن بعضهم رأيت امرأة جدة وهى بنت احدى وعشرين سنة وبضده خرج ثابت ان هند بنت ابى عبيدة حملت بابنها موسى بن عبد الله بن حسن لستين سنة ويقال لاتحمل لستين الا قرشية ولا لخمسين الا أعرابية ويقال ان امرأة من عجلان أقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت وحملت مرة أخرى ثلاث سنين قال الليث وحملت مولاة لعمر بن عبد الله ثلاث سنين ويقال ان الضحاك ولد لسنتين وقالت عائشة رضى الله عنها ما حاضت امرأة بعد خمسين سنة ويقال ان الرجل يستفرغ ولد امرأتين يولد له وهو ابن تسعين سنة وولدت مريم عيسى عليهما السلام لثمانية اشهر وتلك آية لانه لا يعيش مولود لثمانية اشهر وأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بامرأة ولدت لستة أشهر فهمّ بها فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه ان الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ثم قال والوالدات يرضعن

اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فالحمل يكون ستة اشهر وذكر مالك تلك القصة لعثمان رضى الله عنه تقدم فى هذا الخبر ان عيسى عليه السلام ولدته أمه لثمانية أشهر وقد اختلف فى ذلك فروى عن الحسن انه قال حملته تسع ساعات وولدته من يومها وقال بعضهم حملته تسعة أشهر كما يحمل النساء والله اعلم وحديثها مذكور فى القرآن وجاء فى الخبر انه كان معها فى المحراب ابن خال لها يقال له يوسف كان يخدمها من وراء حجاب ويكلمها كذلك وكان أول من اطلع على حملها فاهتم لذلك وأحزنه وخاف أن يقع فى الاثم وسوء الظن فقال لها يا مريم هل يكون زرع من غير بذر قالت نعم قال وكيف ذلك قالت ان الله خلق البذر الاول من غير نبات فلعلك تقول لولا انه استعان بالبذر لغلبه قال يوسف أعوذ بالله ثم قال لها وهل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر قالت ألم تعلم ان للبذر والزرع والماء والمطر والشجر خالقا واحدا ثم قال لها هل يكون ولد أو حمل من غير ذكر قالت نعم قال وكيف ذلك قالت ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء امرأته من غير حبل ولا ذكر ولا أم قال بلى قال فأخبرينى خبرك قالت فان الله بشرنى بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم الى قوله ومن الصالحين فسكت عنها وعن ولده وهو صغير عبد الله بن عبد المطلب وهو والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزيد عليه ثمانية عشر عاما وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان لأيوب بن سلمة وهو من ولد الوليد المخزومى ابن يسمى اسماعيل كان أيوب يزيد عليه فى المولد ثلاث عشرة سنة وكان له من الولد اثنا عشر ولا بنه اسماعيل كذلك اثنا عشر فوقع بينهم كلام وكانوا فى المدينة فى دار واحدة فأغلقوا عليهم الباب واقتتلوا واجتمع أهل المدينة فلم يقدروا على فتح الباب حتى تسوروا عليهم الجدار فوجدوا صرعى ذكره ثابت وأغرب من هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص يزيد عليه أبوه فى السن اثنى عشر عاما هذا نادر والمعروف الاكثر الأشهر ما قاله بعض العلماء يستدل على بلوغ الصبى بالانبات والاحتلام وبلوغ خمسة عشر عاما والجارية كذلك وتزيد على الغلام بالحمل والحيض وأقوى ما فى الغلام الاحتلام وفى الجارية الحمل والحيض ويستشهد على الانبات بأهل قريظة اذ قتل منهم من أنبت ومن لم ينبت خلى سبيله ويستدل على بلوغ خمسة عشر عاما بما خرجه مسلم رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال عرضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فى القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى وعرضنى يوم الخندق وأنا

حمل مريم بعيسى عليه السلام

ابن خمس عشرة سنة فأجازنى قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث فقال ان هذا الحد بين الصغير والكبير وكتب الى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة فما دون ذلك فاجعلوه فى العيال واذ قد وقع ذكر عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما فلنذكر بعض فضائلهما أما عبد الله بن عمر فلاخفاء بفضله وورعه وعلمه وسابقته أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم و بلغ ستا وثمانين سنة وأفتى فى الاسلام ستين سنة وكان كثير الاحتياط والتوقى فى فتاواه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد موته عليه السلام مولعا بالحج قبل الفتنة وبعد الفتنة الى أن مات وكان قد أشكلت عليه حروب على رضى الله عنه فقعد عنها وندم على ذلك حين حضرته الوفاة قال ما آسى على شئ الا تركى قتال الفئة الباغية مع على رضى الله عنه وعلى صوم الهواجر وكان يقول الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم خطب الحجاج يوما وأخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك والحق لا يعذرك فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك فقال ان تفعل فانك سفيه مسلط فأمر الحجاج رجلا معه حربة يقال انها كانت مسمومة فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأمر الحربة على قدمه وهى فى غرز راحلته فرض منها أياما فدخل عليه الحجاج يعوده فقال له من فعل بك يا أبا عبد الرحمن فقال وما تصنع به قال قتلنى الله ان لم أقتله قال ما أراك فاعلا انت الذى امرت من نخسنى بالحربة فقال لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه فلبث اياما ثم مات رضى الله عنه وصلى عليه الحجاج وأما عبد الله بن عمرو فكان ايضا من الفضلاء العلماء يكنى ابا محمد وقيل ابا عبد الرحمن توفى بمصر سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقيل مات بمكة وهو الذى استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى كتب الحديث فأذن له وهو الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم صم وأفطر وقم ونم حين بلغه انه قال لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال له ما تقدم وهو الذى كان يقول مالى ولصفين وقتال المسلمين والله لوددت انى مت قبل هذا بعشر سنين ثم يقول أما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت فيها برمح ولا رميت فيها بسهم ولوددت انى لم أحضر شيئا منها وأستغفر الله من ذلك وأتوب اليه

خرجت من شئ الى غيره * لكننى لم أعد عين الصواب

ومنى الجمع ومنك ابنى الحفظ ومن ربى الكريم الثواب

ذم البنات ومدحهن

وأما البنات فمن الناس من كرههن لاذاتهن لكن لما يتخوف عليهن كما قال بعضهم

ألا ياموت كنت بنا رؤفا * فجردت الحياة لنا بزوره
شكرنا فعلك المحمود لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بغير مهر * وزوجنا الفتاة بغير شوره

وقال آخر

أحب بنيتى وودت انى * وضعت بنيتى فى قعر لحد
ومابى بغضها غرضا ولكن * أخاف بأن تذوق الذل بعدى
وتسلم ان فقدت الى لئيم * فيشتم والدى ويسب جدى
فليت الله عاجلها بموت * وان كانت أعز الناس عندى

وقال آخر

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم
وأوله لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أحب فى البلاد حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى * ذل اليتيمة يحفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما أن يلم بها * فيهتك الستر عن لحم على وضم

وقال آخر

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدى * وان يشربن رنقا بعد صافى
وأن يعرين اذ كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف

الماء الرنق هو الكدر

الكرم فى هذا البيت مصدر يقال رجل كرم وقوم كرم وامرأة كرم ونسوة كرم وقال عبد الله بن طاهر

لكل ابى أنثى اذا ما ترعرعت * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يواريها وخير هم القبر

وجاء فى الشهاب دفن البنات من المكرمات وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لما عزى فى بنته رقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وأنشدنا الحافظ ابو الطاهر رحمه الله ولم يسم قائله فقال

القبر ستر لجميع البنات * وهو كما يروى من المكرمات

أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وبنات نعش سبع كواكب أربعة نعش وثلاث بنات ويقال للواحد منها ابن نعش لأن الكوكب مذكر قاله ثابت وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم رب هرز بن سهيه أعوذ بك من كل عقرب وحيه وقال فى تفسيره نجم صغير يكون فى بنان نعش وفيه يقول القائل * أريها السها وتريني القمر * ومن أحسن ما سمعت فى هذا قول بعضهم فى الحجاج وكان قد أراد أن يزيد فى جباية السواد فمنع أهل السواد من ذبح البقر ليكثر الحرث والزرع فيما زعم فقال شاعرهم

شكونا اليه خراب السواد * فحرم فينا لحوم البقر

وكان كما قال من قبلنا * أريها السها وتريني القمر

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقدون أبصارهم فيه وخرج عياض رحمه الله فى كتاب شرف المصطفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الثريا أربعة عشر نجما لحدة بصره صلى الله عليه وسلم وأخبرنى بعض العلماء ان أسماء بنات نعش النجم الاوّل الذى يلى النعش القائد والثانى العناق وهو الذى الى جنب السها والثالث الحوار وفى هذه النجوم أعنى بنات نعش فائدة أنها بها يستدل على القبلة اذا جعلتها على كتفك الايسر فى بلادنا هذه وذلك على الدوام لانها لا تدور ولا تغيب وهذه بنات نعش الكبرى وبقربها بنات نعش الصغرى وهى على مثل تأليفها وفيها الفرقدان والجدى وفى وسطها القطب وعليه مدار الفلك شبيه بقطب الرحا تدور عليه جميع الافلاك وهو ثابت على موضعه لا يتحرك وكان لمعاوية رضى الله عنه بنت تحبه وكان يدنيها ويلزمها حجره ويعانقها ويقبلها فرآه بعض خواصه يوما فقال له اف لهذه بعدها عنك ونحسها فوالله ما علمتهن الا يلدن الأعداء ويورثن البعداء فقال له معاوية أجل ثم سكت ساعة فقال أما انهن بضعة منا يربهن ربينا ويشينهن شيننا وأيم الله مع ذلك ما عمل ذوى العلات ولا عظم المصيبات ولا بكى الأموات مثلهن وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى

رأيت اناسا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والايام يعثرن بالفتى * عوائد لا يملله ونوائح

فمن صالحات النساء وفضائلهن ما يروى ان أسماء بنت يزيد الانصارية من بنى عبد الاشهل أتت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بأبى أنت وأمى يا رسول الله

أنا وافدة النساء اليك واعلم ان نفسي لك الفداء انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بخروجي هذا أو لم تسمع الا وهي على مثل رأيي ان الله عز وجل بعثك بالحق الى الرجال والنساء آمنا بك وبالذي أرسلك وانا معشر النساء محظورات مقصورات وانا قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله وان الرجل منكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفنشارككم في الأجر يا رسول الله فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه كله الى أصحابه فقال لهم هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من مقالتها وسؤالها عن أمر دينها فقالوا يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي في دينها الى مثل مقالتها ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من الرجال والنساء ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل ذلك كله فأدبرت المرأة تهلل وتكبر سرورا واستبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الخبر ابو القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكوفي رحمه الله في كتاب التسلي عن الدنيا * وفي كتاب من حزم النساء ما يروى أن أحد الامراء شتم امرأة فأفحش في القول فقالت لاصحابه أهكذا كلام الامراء قالوا لا فقالت له خذ اليك العزل الخفي وجاء في خبر ولم أره لا تكرهوا البنات فاني أبو البنات وقال أيضا لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات المجهزات والمربيات المبكيات وأنشدوا في هذا المعنى

خير الناس كلهم جميعا * رسول الله كان أبا البنات

وهن المؤنسات وهن أيضا * بعيد الموت أحرق باكيات

ومن أحسن ما قيل في تفضيلهن

فما التأنيث في اسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

وأنشدني بعض أصحابي ولم يسم قائله

أحب البنات حب البنا * ت فرض على كل نفس كريمه

فان شعيبا من اجل البنا * ت أخدمه الله موسى كليمه

صلى الله عليهما وعلى نبينا محمد وسلم وزاد فيهما أبو عمران الميرتلي رحمه الله

ودفن

ودفن البنات من المكرمات * وأجر وذخر ويعمى جسيمه

وجاء فى الحديث من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر وذلك ان الله تعالى يقول يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وجاء فى تفسير قوله تعالى فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال ابن عباس بدلا منه جارية ولد من نسلها سبعون نبيا وقال ابن جبير كانت أمه حاملا فولدت غلاما مسلما وجاء فى التفسير ان الغلام كان كافرا وكان اسمه حيسور وفى الصحيح من ابتلى من البنات بشئ فأحسن اليهن كن له سترا من النار وفى آخر من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه صلى الله عليه وسلم وينبغى ان تفضل البنات على البنين فيما يدخل به من السوق لانهن محجوبات لا يرين الا ما دخل به عليهن ولان الكفار كانوا يقتلونهن بالوأد وقد أمرنا بمخالفتهم فاذا كان الواجب علينا حبهن فنفضلهن ويروى ان رجلا ولدت له بنت فاغتم لذلك فدخل عليه رجل صالح عالم فقال له مالى أراك مغموما فقال له ولدت لى بنت فقال له على الله عز وجل رزقها وعلى الارض ثقلها تعيش فى غير أجلك وتأكل من غير رزقك ما سميتها فقال فاطمة فقال آه آه أما اذ سميتها فاطمة فلا تشتمها ولا تضربها قال الشاعر

خرجت من الفلا جمع الفلاة * لفالية فتاة كالمهاة
وأفضى القول فى مدح وقدح * الى ذكر البنات والامهات
ولم أقنع بمن فى الارض حتى * صعدت لذكر نعش والبنات
ولكن كله علم وان كنت * لا تبغى سوى ذكر اللغات
فها أنا سوف أرجيه بعد هذا * لها فاسمع فان القول ياتى

(فائدة) تقدم ذكر المهاة وهى البقرة الوحشية تكتبها بالتاء اذا وصلتها بخلاف المهاه الذى هو الطراوة والحسن قال عمران بن حطان

فليس لعيشنا هذا مهاه * وليست دارنا الدنيا بدار

وقال جرير

كفى حزنا ان لا مهاه لعيشنا * ولا عمل يرضى به الله صالح

صلة الرحم

(فصل وتقدم فى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام) معناه والله أعلم صلوا أرحامكم بما أمكن فان عدمتم فأقل شئ يكون بالسلام وهو بأن تزور ذا رحمك فتسلم عليه وتؤنسه بالقول وتلين له القول وبمثل هذا يستمال الغريب فكيف بالقريب ألم تسمع الى قوله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على شئ اذا أنتم فعلتموه

تحابيتم أفشوا السلام بينكم وقد جاء فى صلة الرحم مايكاد لكثرة الامر بذلك أن يكون فرضا وجاء فى قطيعة الرحم كذلك مايكاد يلحق بالكبائر واذا كان الجار يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقد جاء فى حق الجار كثير قالوا للجار القريب المسلم ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وللجار المسلم حقان ولغيره حق واحد وخرج الترمذى ان عبد الله بن عمر ذبحت له شاة فى اهله فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودى أهديتم لجارنا اليهودى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ان لى جارين فالى أيهما أهدى قال الى أقربهما منك بابا وعن ابن شريح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه وفى حديث آخر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره وفى آخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن أحسن ماقيل فى حسن الجوار

ناری ونار الجار واحدة * واليه قبلى تنزل القدر
ماضر جارا لى أجاوره * أن لا يكون لبابه ستر

هذان البيتان لمسكين الدارمى واسمه ربيعة بن عامر ومسكين لقب له ولذلك قال

وسميت مسكينا وكانت لحاجة * وانى لمسكين الى الله راغب

وفى الشعر الاول بيت خرجه أبو على فى النوادر وهو

لا آخذ الصبيان ألثمهم * والامر قد يغرى به الامر

قال أبو عبيد البكرى فى شرح الامالى المسمى باللآلى ويروى يغزى أى يقصد من قولك عرفت مغزاك ويروى يعنى به قال وأنشد صاعد فى هذا المعنى

اذا رأيت صبى القوم يلثمه * ضخم المناكب لاعم ولا خال
فاحفظ ثيابك منه أن يدنسها * ولا يغرنك حسن الحال والمال

ذكر هذا المعنى فى معنى عفة الجار عن جاريه وفيه أنشد أبو على

ولست بسائل جارات بيتى * أغياب رجالك أم شهود
ولست بصادر عن بيت جارى * صدور العير عمره الورود
ولا ألقى لذى الودعات سوطى * لألهيه وزينته أريد

قال أبو عبيد ويروى وربته أريد قال وهذا أحسن يعنى أمه وفسر غمره الورود بشئ حسن قال ان الحمار اذا لم يرد صدر متلفتا الى الماء فيقول لست ألتفت الى بيت جارى كذلك انظر فى التكميل البيت الذى للخطيب ابى محمد رضى الله عنه

ياحدى هذه الخيمات جاره * ترى هجرى وتعذبى تجاره

وكيف ذيله جماعة من أهل الادب وجوابه على كلامهم بأبرع كلام وأبدع نظام وجاء فى الحديث أيضا يقول عليه الصلاة والسلام لابى هريرة رضى الله عنه يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس وأحب للمسلمين والمؤمنين ما تحب لنفسك وأهل بيتك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك تكن مؤمنا وجاور من جاورت من الناس باحسان تكن مسلما وقال لابى ذر رضى الله عنه يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفى حديث آخر ان الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى وفى حديث آخر انه يقول يارب سل هذا لم بات شابعا وبت الى جنبه طاويا ومما يصدق هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة بن زيد فى وصيته يا أسامة اياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فانه ما آمن بى من بات شبعانا وجاره طاو الى جنبه (قلت) هذا فى الجار أفليس أولو الارحام أحق بهذا الاكرام مع قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة قاطع رحم ومع قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وفى رواية قامت الرحم فأخذت بحقوى الرب فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة وسيأتى تفسير قوله بحقوى الرب ان شاء الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام فى الحض على ذلك من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه وقال عليه الصلاة والسلام صلة الرحم تزيد فى العمر وقال عليه الصلاة والسلام ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعته رحمه وصلها وسأله رجل فقال له ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيئون الى وأحلم عنهم ويجهلون على فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك قوله فى هذا

الحديث المل قال الخطابي هو الرماد الحار وسيأتي الكلام على هذه اللفظة في باب الميم ان شاء الله تعالى ما اتقى الله عبد قطع رحمه وقطع كلمه ورحم الله عبدا أطاب كلامه وأطال سلامه وانتهى به الى البركات فبذلك تحصل له الحسنات المباركات كما يروى عن عمران بن حصين قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فسلم فقال السلام عليكم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عشر ثم جلس ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عشرون ثم جلس ثم جاء آخر وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلاثون خرجه النسائي رحمه الله وقال في حديث آخر وجاء آخر فزاد ومغفرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون وقال هكذا تكون الفضائل أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وان انتهى الى ورحمة الله فحسن أيضا قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي عن أبي تميمة الهجيمي واسمه طريف بن مجالد عن رجل من قومه قال طلبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم أقدر عليه فجلست فاذا انفر هو فيهم ولا أعرفه وهو يصلي بينهم فلما فرغ قام معه بعضهم فقالوا يا رسول الله فلما رأيت ذلك قلت عليك السلام يا رسول الله عليك السلام يا رسول الله عليك السلام يا رسول الله قال ان عليك السلام تحية الميت ثلاثا ثم أقبل علي فقال اذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل السلام عليكم ورحمة الله ثم رد على النبي صلى الله عليه وسلم قال وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله * وبركة السلام كثيرة ألم تر أن عبد الله بن عمر كان يغدو الى السوق وما كان غدوه الا ليسلم ويسلم عليه فيذكر الله وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صبيان فسلم عليهم ومن بركة السلام انك تسلم على الميت فيرد عليك وذكر أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في الاستذكار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وقال فيه اسناده صحيح وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عشر مرات فله أجر عتق رقبة وكذلك لو رد السلام وقد ورد في رد السلام واين الكلام حديث جامع لمن حفظه وعمل به نافع وهو ما خرج أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الاولياء عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل

انطلق فرحل راحلتك ثم ائتني أبعثك الى اليمن قال فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي ثم مشى معي فقال يا معاذ عليك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحمة اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ وخفض الجناح وبذل السلام ولين الكلام ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الفكرة والجذع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل واياك ان تشتم مسلما أو تكذب صادقا أو تصدق كاذبا أو تعصي اماما عادلا يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر وأحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية قلت هذا حديث ذكر فيه اناثة السلام ولين الكلام فمن استعمله ألان كلامه وأنال سلامه ولا أقل في الصلة من السلام لاهل الاعدام وأما أهل الايسار فلا يسعهم الا الاكثار والله أعلم

*(فصل تقدم ذكر البول) *قد كره قوم ان يقول الرجل عوض بلت أرقت الماء وقالوا هذا كذب ليس بماء ولكنه بول وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال لا تقل أهريق الماء ولكن قل أبول وسمع ابن عباس رضي الله عنهما رجلا يقول أهريق الماء فقال لا تقل أهريق الماء ولكن قل أبول وأجاز ذلك قوم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال لابي ذر رحمه الله حين قدم مكة ليسلم فادخله على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له علي ادخل معي فان رأيت شيئا أخافه عليك فاني أقوم كاني أريق الماء فاذهب أنت وجاء في حديث اسامة بن زيد ذكر البول غير مكنى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفة اتى الشعب فبال وفي تفسير الحديث قال عكرمة روى الحديث ولم يقل أراق الماء وأكثر ما يكنى عن الغائط ويصرح بذكر البول كما جاء في الحديث في شأن القبلة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تستقبل بغائط أو بول قلت وانما كنى عنه والله أعلم لانه لما كره مرآه كره النطق به وليس مرآى البول كذلك على انه قد جاء في الحديث غير مكنى عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقي وفاجر شقي كلهم بنو آدم وآدم من تراب وكما قال سلمان الفارسي رضي الله عنه وقيل له علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط

أو بول وان نستنجي باليمنى وذكر الحديث فذكر الخراءة وحسن هنا ذكرها على جهة الاغياء كما قال أبو ذر رضى الله عنه ولقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما صلى الله عليه وسلم وعلى آله وقال حذيفة رضى الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه علمه أصحابى ألا وانه ليكون منه الشئ فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن جميع العلماء الذين لم يغفلوا من العلم شيئا حتى هذه اللفظة فانهم قالوا خرئ خراءة والاسم الخرء والمكان المخرأة بالقصر وقال أبو عبيد خرء القارة بالضم كذا رأيته بالضم وكذا وقع فى كتاب تاج اللغة خرء الكلاب بالضم أيضا ونوع مما تقدم من يعلم كل شئ حتى الخراءة ما يروى ان رجلا من بنى بكر بن كلاب كان يعلم بنى أخيه العلم فيقول افعلوا كذا وافعلوا كذا فثقل عليهم فقال له بعضهم قد علمتنا كل شئ وما بقى علينا الا الفعالة لا يكنى فقال يا بنى والله ما تركت ذلك من هوان بكم على اعلموا الضراء وابتغوا الخلاء واستدبروا الريح وخوّوا تخوية الظليم وانمشوا بأشمالكم ذكره البكرى وفسره الضراء هو ما وارى من الشجر ويقال خوّى الظليم اذا جافى بين رجليه ويديه وقوله انمشوا يريد امسحوا واستنجوا بأشمال أيديكم ولذلك سمى المنديل المشوش وانشد * نمش بأعراف الجياد أكفنا * البيت خرج البكرى ما تقدم على قول أبى عبيدة فى الامثال لاتفاكه أمه ولا تبل على أكمه والنهى عن البول على الاكمة خشية ان يرجع بوله عليه لانصبابها وان بال بأعلاها ردّت عليه الريح بوله ولذلك قال قبل هذا واستدبروا الريح والله أعلم قلت وما أحسن العلم وأفضل من اكتسى به وأنبل من جد فى اكتسابه لا أقول فى فن واحد بل فى جل فنونه وكل عيونه ذكر ابن قتيبة ان الحسن بن على رضى الله عنهما لما قدم على معاوية بالشام اشار عمرو بن العاص على معاوية ان يأمره ان يصعد المنبر فيتكلم على الناس والغرض ان يخجل فيخطئ فيعاب وأبى الله ان ينطقه الا بالصواب فلما صعد كان أول كلامه أن قال أيها الناس لو طلبتم ابنا لنبيكم من جابلص الى جابلق لم تجدوا غيرى وغير أخى وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فساء ذلك عمرا وأراد أن يقطع كلامه فقال يا أبا محمد هل تنعت الخراءة قال نعم تبعد المشى فى الارض

الصحيح حتى تتوارى من القوم ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة ولا بالعظم ولا تبل فى الماء الراكد وأخذ فى كلامه رضى الله عنه وقد اعترى نوع من هذا لواعظ كان يتكلم على الناس فسأله رجل وأراد ان يبكته عن صفة الغائط وطعمه فقال على الفور ولم يتوقف سأل هذا السائل عن طعم العذرة صفة نفسه القذرة فأقول طعمها أولا حلو دليله ان الذباب ينزل عليه ولا ينزل الا على حلو ثم بعد ذلك حامض دليله ان البعوض ينزل عليه ثم بعد ذلك مر دليله ان لا يقرب منه حيوان ومن كذبنى فليذقه ثم رجع الى كلامه رضى الله عنه وعن العلماء (قلت) ومن ملح ما رأيت فى هذه اللفظة على شناعة ذكرها ما قال عمر بن الخطاب لابى سفيان بن الحارث رضى الله عنهما خرج عبد بن حميد ان أبا سفيان قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه الاسلام كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضى الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم انتهى كلامهما رضى الله عنهما تقدم ذكر الصاحبين الحسن وأبى سفيان رضى الله عنهما وأرضى وجعل خدى لاخمص اقدامهما أرضا أما الحسن بن على فكانه العلى وكلامه الذى أراد عمرو ان يجعله ليخجله كان زائدا على ما فى الكتاب بعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور وان هذا الامر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية اما ان يكون حقه فهو أحق به منى واما ان يكون هو حقا لى وقد تركته ارادة اصلاح الامة وحقن دمائها وآخر ما قال وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين فكان كما قال عليه السلام اصلح به بين الناس ورفع عنهم الباس وقيل له فى ذلك فقال قد كانت جماجم العرب فى يدى يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن فضله رضى الله عنه انه قال انى لأستحيى من ربى ان ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه وقسم ماله نصفين حتى تصدق بفرد نعله وفى رواية خرج الحسن من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى ان كان ليعطى نعلا ويمسك نعلا ويعطى خفا ويمسك خفا وكان آخر أمره ان مات شهيدا رحمه الله سقى السم حتى قتله حدث

عمير بن اسحاق قال دخلت أنا ورجل على الحسن بن على رضى الله عنهما نعوده فقال يا فلان سلنى قال لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ثم أسألك قال قد ألقيت طائفة من كبدى وانى قد سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه فقال يا أخى من تتهم قال لم لتقتله قال نعم قال ان يكن الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لم يكن فما أحب أن يقتل بى برىء ثم قضى وفى رواية لما احتضر قال أخرجونى الى الصحن لعلى أنظر فى ملكوت السماء يعنى الآيات فلما خرج قال اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانها أعز الانفس على فكان مما صنع الله تعالى له ان احتسب له نفسه رضى الله عنه وأما أبو سفيان رضى الله عنه فكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضعتهما حليمة وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه فلما نبئ كان أبعد الناس عنه وأهجاهم له واياه عنى حسان بن ثابت بقوله

الا أبلغ أبا سفيان عنى * مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمدا الابيات فلما أسلم كان أصح الناس ايمانا وألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه رضى الله عنه وفيه قال النبى عليه السلام أبو سفيان خير أهلى أو من خير أهلى وله قال النبى عليه السلام أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا وقيل بل قالها لابى سفيان بن حرب والاول أصح ومات أبو سفيان بن الحارث رضى الله عنه بالمدينة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال عند موته لا تبكين على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت ومات من ثؤلول كان فى رأسه حلقه الحلاق له فى حج فقطعه مع الشعر فنزف دم منه واسمه المغيرة وقيل بل اسمه كنيته والمغيرة أخوه قال القتيبى اخوته المغيرة ونوفل وعبد شمس وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب نقلت أكثر هذا من كتاب الصحابة لابن عبد البر وكان أبو سفيان هذا يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه أيضا جعفر بن أبى طالب والحسن بن على وقثم بن العباس والسائب بن عبيد وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين وله مقطوعات من شعر يبكى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد مات الرسول
وافحمت ارضه مما عراها * تكاد بها جوانبها تزول
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أوكادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

أسلم أبو سفيان هذا يوم الفتح قال له على بن أبى طالب ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى أن يكون احد أحسن قولا منه ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين مات رضى الله عنه بعد أخيه نوفل بأربعة أشهر الا ثلاث عشرة ليلة سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة وقد حفر قبر نفسه قبل أن يموت بثلاثة أيام ذكر هذا كله أبو عمر رحمه الله *(فصل تقدّم قوله تعالى وتله للجبين والجبين الجبهة والوجه فى الآية أحسن لانه جاء فى التفسير انه قال لابيه يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شئ من دمى فتراه أمى فتحزن وانزع هذا الثوب الذى علىّ لئلا يصيبه الدم وكفنى فيه وأسرع مرّ السكين على حلقى ليكون الموت أهون علىّ واقذفنى للوجه لئلا تنظر الى وجهى فترحمنى ولئلا انظر الى الشفرة فأجزع واذا أتيت أمى فأقرئها منى السلام وكان حينئذ بن ثلاث عشرة سنة فلما جرّ ابراهيم السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا ثم ضرب به على جبينه وجرّ فى قفاه فلم تعمل شيئا قال ابن عباس كبه على جبهته فنودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت فاذا بكبش وهو الذبح العظيم كان قد رعى فى الجنة أربعين سنة وقيل فدى بوعل قال ابن عباس كان ذبح الكبش بالشأم وقال مجاهد معنى عظيم كبير متقبل واختلف فى الذبيح فقيل اسحاق وقيل اسماعيل فمن قال اسماعيل احتج بقول معاوية بن أبى سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه اعرابى

قصة الذبح وتعيين الذبيح

فتكلم فقال فى كلامه يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره قال معاوية فالذبيح الاول اسماعيل والثانى عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصته مع أبيه عبد المطلب وهذا هو الاصح لانه قال تعالى بعد ان فدى ابنه من الذبح وبشرناه باسحاق وقال من جعله اسحاق انما بشر بأن يكون نبيا من الصالحين والله أعلم بما أراد من ذلك وجواب لما عند البصريين محذوف ٣ وهو عند الكوفيين تله والواو عندهم زائدة صلة فى الكلام والله أعلم واختلف العلماء فى سبب رؤيا ابراهيم عليه السلام حين أمر بذبح ولده فقيل انه ادعى المحبة ثم التفت الى الولد فلم يرض حبيبه محبة مشتركة فأمر بذبح الولد ليرجع عن محبته فتكون المحبة خالصة لله عز وجل فلما فرغ قلبه عن محبة ولده ووطن نفسه على ذبحه وتشمر لذلك نودى يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح ولدك انما المراد تخليه قلبك عن كل محبة سوا محبتنا فلما رددت قلبك بكليته الينا رددنا ولدك عليك وقيل كان سبب ذلك انه كان عليه السلام يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب مصر على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشى على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودى كف عن عبادى رويدا ويدا فانى طالما رأيتهم عاصين فلما أهبط رأى فى المنام ماذكره الله تعالى حيث يقول انى أرى فى المنام أنى أذبحك فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى وأحب الناس الى فسمع قائلا يقول أما تذكر الليلة التى سألتنى اهلاك عبدى أو ما تعلم انى رحيم بعبادى كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتنى اهلاك عبدى أسألك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادى أظلم ذكر هذا كله الفقيه الحافظ أبو منصور نصر بن منصور بن مهران الهمدانى الكوفى رحمه الله فى تفسير قصة يوسف عليه السلام وتقدم اللات قال ابن عباس رضى الله عنهما اللات رجل كان يلت السويق بالسمن عند صخرة ويصب عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق قاله المهدوى وقال غيره زعموا ان عمرو ابن لحى لما غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم فى المواسم فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة حتى قيل انه اللات الذى كان يلت

٣ قال البيضاوى تقريره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما أنعم اه

خبر اللات

السويق

السويق الى الحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى كان يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وان يبنوا عليها بيتا يسمى اللات ويقال دام أمره وأمر ولده من بعده ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذت صنما يعبد وعمرو بن لحى هذا هو أول من سيب السائبة ونصب النصب وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه وعمرو هذا هو أول من أدخل الاصنام أرض العرب قدم بهبل من مأرب من أرض البلقاء فنصبه فى الكعبة وأمر الناس بعبادته ثم صار أمر اللات الى أن بنيت بيتا يعبده أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى ويطوفون حوله ويسمونه الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة فلما قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان فتحت مكة يريدون الصلح وتيقنوا انهم لا طاقة لهم بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه منهم بضعة عشر رجلا من اشرافهم فيهم كنانة وعبد ياليل وكان رئيسهم يومئذ كر ابن اسحاق عبد ياليل هذا وقال فيه هو ناب القوم وصاحب أمرهم وقد تقدم ناب وفسر انه السيد فرض عليهم النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نغترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام واكم رؤس أموالكم قالوا فالخمر فانها عصير ارضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلى عليهم بذلك كله قرآنا فقالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها قال اهدمها قالوا هيهات لو تعلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويحك يا عبد ياليل ما أحمقك انما الربة حجر قالوا الم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فأما نحن فلا نهدمها أبدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأبعث اليكم من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم رسله وفيهم المغيرة بن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وانكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين وقال لاصحابه لأضحكنكم من ثقيف فضرب بالكرزين ثم أخذ يترتكض فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا أبعد الله المغيرة قد

الكرزين فاس كبير

قتلته الربة وفرحوا حين رأوه ساقطا وقالوا من شاء منكم فليقترب وليجد على هدمها فوالله لا تستطاع أبدا فوثب المغيرة فقال قبحكم الله يا معشر ثقيف انما هي لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجرا بعد حجر حتى سووها بالارض وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فلينخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد دعني احفر أساسها فحفروا حتى أخرجوا ترابها وأخذوا حليها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وذكر ابن اسحاق ان الذي أرسل مع المغيرة أبو سفيان بن حرب وهو كان الامير والله أعلم * وأما العزى فكانت نخلات مجتمعات أخبرهم عمرو بن لحى أن الرب يشتي بالطائف ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتا وأهدوا لها كما يهدون الى الكعبة وكان آخر أمرها ان بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدمها * ومما يحسن ذكره هنا من حديث اللات والعزى من سرعة الجواب واصابة المعنى ما يروى ان قريشا قالت قيضوا لابي بكر رجلا يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال يا أبا بكر قم الى اللات فقال الا م تدعوني قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات والعزى قال بنات الله قال فمن أمهم فسكت طلحة وقال لاصحابه أجيبوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ونوع من حديث أبي بكر مع طلحة رضي الله عنهما حديث ذي الكفل مع ملك كان في زمانه كان أهله يعبدونه من دون الله تعالى قال له ذو الكفل تزعم انك اله أفاله من تملكه أنت أو اله جميع الخلق فان كنت اله من تملك فان لك شريكا فيما لا تملك وان كنت اله جميع الخلق فمن الهلك قال فمن الهي قال اله السموات والارض * تقدم ذكر طلحة بن عبيد الله وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو من المهاجرين الاولين ولما أسلم على يد أبي بكر كما تقدم عدا عليهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة وكان له قدر في الجاهلية فقرنهما بحبل فلذلك سميا القرينين ويقال ان الذي عدا عليهما هو نوفل بن خويلد وهو ابن العدوية والله أعلم وكان طلحة هذا أحد الميا سير كانت غلته كل يوم ألف دينار واف ويكنى أبا محمد قتل شهيدا رضي الله عنه فدفن بقنطرة قرة فرأته

ابنته عائشة بعد موته بثلاثين سنة فى المنام انه يشكو اليها النزف أمرت به فاستخرج طريا فدفن فى داره بالبصرة فقبره هناك مشهور وكان اخراجه من قبره بعد ثلاثين سنة ولا يستغرب هذا فان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حين حفر معاوية العين وجد صحيحا لم يتغير وأصابت الفاس اصبعه فدميت وانظر حديثه فى الموطأ وتزوج عائشة هذه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه ثم تزوجها مصعب بن الزبير فأعطاها ألف درهم ومن مواليه مسلم بن يسار أحد العلماء وكان لا يفضل عليه أحد فى زمانه وكان يقول انى لاكره ان امس فرجى بيمينى وأنا أرجو ان آخذ بها كتابى وكان لا يلعن شيئا فاذا غضب على البهيمة قال أكات سماقا ضيارضى الله عنه وعن جميعهم وجزاهم خيرا على صنيعهم وقد فعل مثل ما فعل مسلم هذا من كان أفضل منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه قال ما بلت قائما منذ اسلمت ولا مسست فرجى بيمينى ومثله ما روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ما مسست فرجى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ولو لم يكن هذا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يمس الرجل ذكره بيمينه وهو يبول ولا يتمسح من الخلاء بيمينه وعن عائشة رضى الله عنها قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى فالموفقون من أرباب الحقائق قد استعملوا هذه الطرائق وألفوا هذه الخلائق ولقد جعلت بالى لهذه الاعمدة التى فى الابواب لا تجد الذكر منها الا من جهة الشمال ليتناوله الذى يفتحه بشماله وان كان من حديد فان اسمه ذكر والذى ركبه أولا فى الباب كان فقيها أو أمره عالم موفق بذلك وضع الاشياء مواضعها واعطى لكل ذى حق حقه وأقام الوزن بالقسط لقوله عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته فالامام الذى على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤل عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولدها وهى مسؤلة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا فكلكم راع ومسؤل عن رعيته قلت فان لم يكن للانسان أهل ولا مال ولا كان واليا على أحد ولا له من يلى عليه فان له جوارح هو راع لها ومسؤل عن رعيتها كاليدين والرجلين والعينين والاذنين فعليه أن يرعاها ولا يستعملها الا فيما ينبغى كما ينبغى وهنا يحتاج الى العلم ليقدم

من يجب تقديمه ويؤخر من يستحق التأخير ويؤتى كل ذى حق حقه فلا يستنجى باليمين ولا يأكل بالشمال ولتكن اليمنى للفضائل واليسرى للرذائل ألم تسمع قول عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع فى ترجله اذا ترجل وفى انتعاله اذا انتعل وفى طهوره اذا تطهر وفى شأنه كله كذلك وقد تقدّم قولها كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وكذلك أمر عليه السلام أمته فقال اذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين واذا خلع فليبدأ بالشمال ولتكن اليمنى أوّلها تنعل وآخرها تنزع والحكم فى ذلك ان اليمنى أفضل واللباس أفضل من التعرى فيبدأ بالزينة للافضل أوّلا ويتركها مزينة آخرا ومراعاة هذا القدر وان دق هو من اقامة الوزن بالقسط وكذلك يفعل فى دخول المسجد يبدأ بادخال رجله اليمنى فيه لانه أفضل من الرقاق فيدخل الافضل فى الافضل واذا خرج يبدأ بالشمال فأخرجها أخرج الادون الى الادون وترك الافضل فى الافضل وبضد ذلك فى دخول الخلاء يدخل الشمال قبل لانها الادون الى الادون واذا خرج قدم الافضل فى الخروج الى الارض التى ليست موضع الخلاء لانها أفضل ولهذا يحتاج العلم فيستعمله صاحبه فيكون طول عمره فى عبادة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتصرف وحسناته تكتب * (فصل تقدّم الاحتكار) * وجاء فى بعض الاخبار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الاحتكار فى عشرة أشياء فى البر والشعير والتمر والزبيب والذرة والسمن والعسل والجبن والجوز والدخن وقد ذكر أبو الحسن على بن مهدى الطبرى فى كتاب المجالس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تمنى الغلاء على أمتى ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة وفيه أن محتكر الطعام يحشر مع قتلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر عن الحسن أنه قال من تربص بطعام أربعين يوما يريد الغلاء ثم تصدق به لم يكن ذلك كفارة لما صنع وقال الحسن المحتكر ملعون ينقص من عقله ويزاد فى وسوسته فى صلاته نقلت هذا من شرح الشهاب لابى القاسم بن ابراهيم الوراق رحمه الله ومنه أيضا ان المسور بن مخرمة رضى الله عنه احتكر طعاما كثيرا فرأى سحابا من الخريف فكرهه فقال ما أرانى الا قد كرهت ما ينتفع به المسلمون من جاءنى وليته كما اشتريته فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأرسل فيه فقال يا أمير المؤمنين كان من أمرى كذا

فآليت أن لا أرجع فيه شيئا فقال له عمر جزاك الله خيرا وتقدم ما بين لابتيها وانه لا يقال ذلك الا في المدينة وفي الكوفة سمع رجل بالبصرة شبيب بن شيبة يقول في حديث السقط انه يظل محبنطئا على باب الجنة بالظاء المنقوطة فقال له الرجل أخطأت انما هو بالطاء قال الراجز

انى اذا استنشدت لا أحبنطى * ولا أحب كثرة التمطى

فقال له شبيب أتلحنني وما بين لابتيها أفصح مني فقال له الرجل وهذه لحنة أخرى أو للبصرة لابتان انما اللابتان للمدينة والكوفة ومعنى المحبنطى المتغضب المتكره يقال منه رجل حبنطأ وحبنطأة سمين ضخم البطن والمحبنطى يهمز ولا يهمز وهو الممتلىء غيظا خرج الخطابى عن ابن دريد قال أبو زيد قلت لاعرابي ما المحبنطئ قال المتكأكئ قلت ما المتكأكئ قال المتنازق قلت ما المتنازق قال اذهب فأنت أحمق *(فصل وتقدم قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى) *وهذا القول والاشهاد حقيقة أعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم لانه روى ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه من هو مولود الى يوم القيامة كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك أخذت عليهم العهد بأن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلى رزقهم قال نعم يارب فقال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فقال للملائكة اشهدوا فقالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين الى قوله بما فعل المبطلون هذا كله من قول الملائكة ومعنى أن تقولوا لئلا تقولوا كما قال تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أى لئلا تضلوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما أشهد بعضهم على بعض فالمعنى على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على بعض كى لا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فيوقف على القول الاول على بلى ولا يحسن الوقف عليه على الثانى وفى بعض الروايات أنهم أجابوا الله بالتلبية فقالوا أطعناك لبيك اللهم لبيك فأعطيها آدم عليه السلام فى المناسك *(فصل فيما ورد فى هذا الفصل من اللغات) *تقدم الضيون وهو السنور الذكر والجمع الضياون واحذر أن تصحف الضيون بالضيزن فتحزن وتحزن والضيزن الذى يزاحم أباه فى امرأته وأصله الذى يزاحك عند الاستقاء فى البئر وضيزن اسم صنم والضيزن الشريك والضيزن النحاس نقلته من تاج اللغة وتقدم فى الاخبار عن الفقيه أبى محمد حذقه بالادب أصل الحذق القطع يقال حذقت الحبل

أحذقه بفتح الذال اذا قطعته قال الشاعر * يكاد منه نياط القلب يحذق *
ومنه قيل خل حاذق أى قاطع من شدته وعتقه ومنه قيل حذق الغلام القرآن أى
قطع العمل عنه فهو حاذق وقال أبو عبيد الحذاقى الفصيح اللسان البين اللهجة
والفعل منه حذق يحذق حذقا وحذقا وحذاقة وحذاقا وقد حذق يحذق لغة وقد
حذقت الحبل أحذقه اذا قطعته بالفتح لا غير كما تقدم خرج ذلك كله ثابت فى حديث
بشير بن أبى مسعود انه اشترى جوزا بأربعة دراهم فأنهبه على ابن له فى حذاق
أو ختان قال غيره والحذيق المقطوع أيضا وأنشد

أنور اشرع ماذا يا فروق * وحبل الوصل منتكث حذيق

ويقال لليوم الذى يختم فيه الغلام القرآن هذا يوم حذاقه ويقال فلان فى صنعته
حاذق باذق وهو اتباع له والحاذق القاطع كما تقدم قال أبو ذؤيب

يرى ناصحا فيما بدا واذا خلا * فذاك سكين على الحلق حاذق

وتقدم اليفن وهو الكبير والصغير وهو من الاضداد فاذا قلت شيخ يفن فهو الكبير
واذا قلت صبى يفن فهو الصغير قال الاعشى

وما ان أرى الدهر فيما مضى * يغادر من شارف أو يفن

والساحب الذيل الرفن وهو الذى يجر أذياله من الخيلاء ويوصف به الفرس
الطويل الذيل ويقال فيه أيضا رفل باللام وهو مما يتعاقب فيه النون مع اللام وله
نظائر سترى منها كثيرا فى باب النون ان شاء الله وتقدم فى الشعر * أضر شئ على
الانسان خصيته * قال ثابت فى الدلائل قال يعقوب يقال فى الواحد خصية وخصية
وقال أبو عبيدة خصية ولم أسمع خصية وسمعت خصياه ولم يقولوا خصى للواحد
وقال غيره ربما حذفوا الهاء من بعض الكلام فى التثنية وأقاموا زيادة التثنية
مقام الهاء المحذوفة فيقولون لدان تثنية لدة وأليان تثنية أليه وخصيان
تثنية خصية قال الراجز

قد حلفت بالله لا أحبه * ان طال خصياه وقصر زبه

وأنشد

كأنما عاطية بن كعب * ظعينة واقفة فى ركب
ترتج ألياه ارتجاج الوطب

وربما حذفوا الهاء وجعلوا المضاف اليه عوضا من الهاء قال الشاعر

بان الخليط بأيلى منك فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

أراد عدة الامر ومثله * قام ولاها فسقوه صرخدا * أراد ولاتها قال ثابت وقد جاء عن بعضهم خصيتان وأورد حكاية قال بسنده ان فتى من أهل الكوفة أتى حماد الراوية فعرض عليه شعرا قاله فقال له ليس هذا شعرك انما اجتلبته فقال لا والله انه لشعري قال فان كان شعرك فاهجني وكان حماد ضخم البطن فتنحى الفتى ناحية ثم رجع اليه فقال قد قلت قال هات فأنشأ يقول

سيعلم حماد اذا ما هجوته * اكنت اجتلبت الشعر أم أنا شاعر
ألم تر حمادا تقدم بطنه * فجاوز منه ما تجن المآزر
فليس براء خصيتيه ولوحنى * لركبته مادام للزيت عاصر

فقال له حماد أشهد انه شعرك قال أبو عمرو الخصيتان البيضتان والخصيتان الجلدتان اللتان فيهما البيضتان وينشد

كان خصييه من التدلدل * ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

أراد فيه حنظلتان وقوله في الشعر المتقدم ولوحنا معناه انحنى واكب وفي الموطأ في شأن اليهوديين المرجومين قال فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة وفسر معنى يحنى يكب عليها وقال الشاعر وبدلتني بالشطاط الحنا * وتقدم البحتر القصير ومثله في القصر الجعبر والدحدح ويقال أيضا في هذا دحداح ودحداحة وكذلك الجحدر والحنبل والجحذر والكهمس والأصمع القصير الاذن والنفاش القصير الناقص وذكره الخطابي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه مر برجل نفاش فخر ساجدا ثم قال أسأل الله العافية وفسره بما تقدم وقال قال النضر بن شميل يقال رجل نفاش أي قصير وملطى وهو فوق النفاش وسئل رجل من أهل اللغة عنه وكان قصيرا فظن ان السائل يعرض به فقال هو أقصر مني ولم يزده على ذلك ويقال لكل شئ من الطير والهوام اذا خف وتحرك من مكانه فقد تنفش قال ذو الرمة يصف القردان

اذا سمعت وطء المطي تنفشت * حشاشتها في غير لحم ولا دم

وأما الطوال فالمشعان وجاء في الحديث فاذا رجل مشعان يسوق غنما والعطبول ومن صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليس بعطبول ولا قصير ويقال رجل عطبول وامرأة عطبول سواء والمشذب الطويل ووصف هند بن أبي هالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان أطول من المربوع واقصر من المشذب والممغط أيضا الطويل

القاب القصار والطوال

مبحث الثريا

ومنه فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن بالطويل الممغط * وتقدّم ذكر الثريا ولعلك لا تدرى مكبرها يقال للمال الكثير ثرى على فعيل وفى حديث أم زرع وأراح على نعما ثريا ومنه قيل رجل ثروان وامرأة ثروى وتصغير ثروى ثريا وبذلك سميت المرأة قال صاحب كتاب تاج اللغة ويقال للثريا النجم معرفا بالالف واللام وسواه نجم وفى القرآن العظيم والنجم اذا هوى قال مجاهد والثريا اذا سقطت مع الفجر وقيل والقرآن اذا نزل وقيل المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل فى قوله تعالى النجم الثاقب انه الثريا وقيل زحل ومعنى الثاقب المضىء وقيل العالى وأما فى قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان فقيل نجم السماء وقيل النجم مالا ساق له والشجر ماله ساق وسجودهما دوران ظلهما وسمى النجم من نجم اذا طلع وظهر ومنه نجم ثدى المرأة وضدّه أنجم بالالف معناه استتر قال الشاعر

فسد الزمان فلا رشاد ناجم * بين الانام ولا ضلال منجم

وتقدّم الفرأ وهو الحمار الوحشى قال البطليوسى رحمه الله يمدو يقصر والاشهر القصر وجمعه فراء مثل جبل وجبال قال الشاعر

بضرب كآذان الفراء فضوله * وطعن كايزاغ المخاض تبورها

أى تختبرها ومن قصر الفرا احتج بقولهم فى المثل أنكحنا الفرا فسترى ومعنى قوله كل الصيد فى جوف الفرا أن من اصطاد شيئا من الصيد كائنا ما كان فانه صغير بالنسبة للفرا فكأنه فى جوفه ومن صاد الحمار الوحشى فكأنه صاد جميع الصيد

(فصل من الملح أيضا) تقدّم الوثاب قال ابن قتيبة قال ابن أبى عتيق لرجل ما اسمك قال وثاب قال فما اسم كلبك قال عمرو فقال واخلافاه ويروى أن الشعبى قال كذلك لرجل ما اسمك قال وردان قال وما اسم حمارك قال عمران فقال واخلافاه وتقدّم القائلة وأنشدنى الخطيب أبو محمد عبد الوهاب لنفسه وكتب به يلغز الى بعض الاصحاب

قل للفتى اللوذعى * محمد بن على * ماقائل ولعمرى
ما ان يفوه بشى * وانه لمصيب * بذاك قول النبى

فأجابه المكتوب اليه

يامن يرى سيبويه * يحار بين يديه
يوم الهواجر تغنى * بما أثرت اليه * ومن ينم لا يفد ما * خاط الكرام قليه *

أراد الفقيه وفقه الله وانه لمصيب بذلك قول النبى عليه السلام قيلوا فان الشياطين

لا تقيل ومن القائلة أيضا حديثه عليه السلام فى ذكر ما فى القيامة من هول يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين و راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا وفى الحديث أيضا من مات غدوة فلا يقيلن الا فى قبره ومن مات عشية فلا يبيتن الا فى قبره وتقدم تلتلة ومقلوبها التلتلة

بنى أخرجت من تلتله * خبيثا وما ان تغطنت له
فان قلت ما هو فاعلم بأن لتلتلة عكسها تلتله
فان قلت أخرجت شيئا عظيما * تلهى وتهزأ قل لا تله
فان الاديب الموفق لا * يضيع من أدب خرد له
وقد قيل فى مثل قبل ذا * تقدم ما خاب من قصد له

ومن الملح أيضا أخرت فيها القول لان فيه ذكر البول كان الفقيه أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله من أظرف الناس وأعلاهم وأحسنهم خلقا وأحلاهم فكان يتصرف فى حاله بيده فى حفير وزبير وغير ذلك وأنا كذلك فقلت له يوما ربما أحفر فأرى حيوانا فى الارض فأكره أن أدفنه فى التراب فقال لى وأنا يعتريني ذلك فأقول له تبوّأ وأترك ذلك الموضع ثم أرجع اليه فأجده قد ذهب فصنعت أنا ذلك أيضا فوجدت مرة ضفدعا فى موضع فقلت له كذلك ثم عدت الى الموضع فوجدته فى موضعه فأزحته عن مكانه فوجدت موضعه مبلولا وهذا شأنه أبدا فقلت أخاطبه انما قلت لك تبوّأ ولم أقل لك تبوّل فذكرت الخبر لابى محمد رحمه الله فضحك على ذلك وقال لى أساء سمعا فأساء جابة لعلك أن تقول يا قارئ هذا السخف مثل هذا يعلق فى الصحف فانظر أيها الحرّ ما يجىء بعد من الدرّ قوله رضى الله عنه أساء سمعا فأساء جابة هذا المثل ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وقال هكذا تحكى هذه الكلمة بغير ألف وذلك لانه اسم موضوع يقال أجابنى فلان جابة حسنة واذا أرادوا المصدر قالوا أجاب اجابة بالالف انتهى كلامه وقال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى فى فصل المقال فى شرح كتاب الامثال قال أبو عمرو المطرز ناديت فلانا فأجابنى اجابة وجوابا وجابة وجيبة وجيبا فالجابة اسم للجواب كالطاعة والطاقة فاذا أردت المصدر قلت اجابة واطاعة واطاقة قال الشاعر

ومامن تهتفين به لنصر * بأسرع جابة لك من هذيل

وقال أبو العتاهية فنظم هذا المثل

اذا مالم يكن لك حسن فهم * أسأت اجابة فأسأت سمعا

ولست الدهر متسعا لفضل * اذا ماضقت بالانصاف ذرعا

وقد ذكر الزبير فيما ثبت عنه فى الكتاب ان المثل لسهيل بن عمرو وذكر خبره قال ابن درستويه أصل الجابة من قولهم جاب يجوب البلاد اذا قطعها طوافا لأن الجواب هو ما يرجع الى السائل ومنه جواب الأخبار وقولهم هل من جائبة خبر وهى الواحدة من الجوائب التى تثوب وترجع

خرجت من شئ الى غيره * من واحد لاثنين زدت الثا

لكنه علم ولو أننى * أحلف فيه لم أكن حانثا

باب الجيم مع أختيها الحاء والخاء

وأج وأح وأخ * وأخ واخ وجل وجل

أما أج تقول أج الظليم يئج أجا اذا سمعت حفيفه فى عدوه وكذلك أجيج الكير من حفيف النار ومنه قول الشاعر يصف ناقته * تئج كما أج الظليم المفزع * والظليم ذكر النعام والحفيف الصوت وكذلك حفيف الماء صوت جريه واما أج فمصدر أج تقول سمعت أجة القوم يعنى حفيف مشيهم واختلاط كلامهم وكذلك تقول أجت النار أجيجا وائتج الحر والأجاج الماء المر أو الملح كما قال تعالى وهذا ملح أجاج وقراءة طلحة بن مصرف هذا ملح بفتح الميم وكسر اللام أراد ملح فحذف الالف ويقال للماء الملح ماج وقد ماج يمئج مؤوجة وقال الجوهرى مؤج الماء يمؤج مؤوجة فهو مأج اذا صار أجاجا والمأج الاحمق المضطرب كان فيه ضوى (ع) ويقال ماء ملح وسمك مالح وقد قيل فى الماء أيضا مالح والأفصح ملح وفى حديث موسى عليه السلام مع الخضر حين سأل السبيل الى لقيه فقيل له تزود حوتا مالحا خرجه مسلم والملح والملح الرضاع كما قال الشاعر * وانى لأرجو ملحها فى بطونكم * وسيأتى أكثر من هذا ويقال فى وج أج وهى أرض الطائف قال يعقوب فى كتاب الامثال ويقال له وج بالواو وهو المشهور قال أمية بن أبى الصلت

ان وجا وما يلى بطن وج * دار قومى بربوة ورتوق

فى الحديث ان آخر وطأة وطئها الرب بوج معناه آخر غزوة وآخر وقعة كانت

بأرض العرب بوج لانها آخر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير هذا وهذا أحسن والله أعلم وان كانت آخر غزواته صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فانما أراد الروم وقال فى هذا الحديث بوج وهى آخر غزواته للعرب صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج قبيلة من قرأهما بالهمز فاشتقاقه من أج الحر كما تقدم ومن لم يهمزهما جاز أن يكونا من يججت ومججت وجاز أن يكونا أعجميين وجاء فى السيرة ان على بن أبى طالب رضى الله عنه انطلق بالراية يأجج وفى غير رواية ابن اسحاق يؤجج ومعناه يسرع يقال أجت الناقة تؤج اذا أسرعت فى مشيها ومن رواه يأنج فهو من الأنيج وهو علو النفس يقال أنج يأنج أنوجا اذا تأذى من مرض أو بهر فتنخع ولم يئن وقال غيره فى مصدره أنجا وأنوجا وقوم أنج مثل راكع وركع واسم الفاعل آنج وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه رأى رجلا يأنج ببطنه فقال ما هذا فقال بركته من الله تعالى فقال بل هو عذاب عذب به وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

لا طائش رعش ولا * ذو علة بالحمل آنج

وأما أح فحكاية تنخع أو توجع وأح الرجل اذا ردد التنخع فى حلقه وأح ايضا يؤح أحا اذا سعل قال الشاعر

ما أتنى سب اللئيم القبح * يكاد من تنخع وأح * يحكى سعال الشرق الأبح *

وتقول سمعت لفلان أحة وأحاحا وأحيحا اذا رأيته يتوجع من غيظ أو حزن وفى قلبه أحاح وأحيح ومنه اشتقاق أحيحة بن الجلاح قال الشاعر الراجز

* يطوى الحيازيم على احاح * والاحاح العطش والاحاح أيضا الغيظ والاحاح والأحيحة والاحة الطعن والحيازيم جمع حيزوم وهو ما اشتملت عليه الاضلاع من الصدر والوحوحة الصوت والوحواح الحديد النفس والوحوحة أيضا صوت الذى يصيبه البرد وهو أن يقول أح أح يقال سمعت له وحاوح ووحوحة أيضا وكذلك تقول سمعت له قعقعة وزقزقة ومنه الحديث مالك تزقزقين وقد تقدم وجاء فى كتاب الاصوات لابن السكيت يقال للتيس بس بس وللبقر وح وح وأما أخ مثقل وأخة فلغة لبعض العرب فى الأخ المخفف ذكر ذلك ابن الكلبى والمستعمل المخفف كما قال الله عز وجل وله أخ أو أخت ولكن قد روى أبو بكر بن أبى أويس عن نافع انه قرأ الأخ مثقلا اذا كان معرفا بالالف واللام وقال

الشاعر فى الاخ وان لم يكن من القدماء فهو من الحكماء

اصحب الناس على * ما كان فيهم وتوخى

كل ذى عقل ودين * فاتخذه لك أخا

وهذا الشاعر هو ابراهيم الشامى رحمه الله ومن معنى البيت الأخيخة وهو حساء رقيق من دقيق بزيت أو سمن قال الراجز

يصفر فى أعظمه المخيخه * تحشؤ الشيخ عن الأخيخه

شبه صوت مصه العظام التى فيها المخ بحشاء الشيخ لانه مسترخى الجلد وسيأتى الكلام فى المخ وأما المخ بالحاء غير المعجمة فهو صفرة البيض وجمع أخ اخوان واخوة واخوة واخاء وتأخيت الرجل اتخذته أخا وآخيته وواخيته لغة ويجوز أن تصنع بأخ ما صنعت بأب وقد تقدم فتقول فى تثنيته أخان وفى جمعه أخون كما قال الشاعر

وكان بنو فزارة شر قوم * وكنت لهم كشر بنى الأخينا

ويجمعه أيضا اخوة عن الفراء والاخوان أكثر ما استعمل فى الاصدقاء قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين والاخوة فى الولادة وقد جاء فى ان الاخوة اثنان على مذهبهم ان الاثنين جماعة قال الله تعالى فان كان له اخوة قال العلماء هم الاثنان فما فوق وهذا أيضا على حد قولهم نحن فعلنا ونحن صنعنا يقوله الاثنان فما فوق نعم والواحد العظيم وقد تقدم وأصل أخ أخو لانه جمع على آخاء مثل أب وآباء فالذاهب منه واو والنسبة اليه أخوى وللاخت كذلك لانك تقول أخوات وقال يونس أختى وليس بقياس والأخية عود يعرض فى الحائط تشد اليه الدابة والجمع أواخى ومنه حديثه عليه الصلاة والسلام مثل المؤمن والايمان كمثل الفرس فى أخيته يجول ثم يرجع الى أخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع الى الايمان فسره أبو عبيد رحمه الله قال الاخية العروة التى تشد بها الدابة وتكون فى وتد أو سكة مثبتة فى الارض وقال غيره يقال أخية وأخون وجمعها أخايا وأخاوين وأواخى قال والاخية أيضا الحرمة والذمة تقول فعلت ذلك به لأواخى وأسباب تدعوله * وأما أخ فكلمة تقال عند التأوه قال ابن دريد وأحسبها محدثة قد جاءت فى الشعر الذى فيه * لا خير فى الشيخ اذا ما اجلخا * وسيأتى وفيه * وقال للوصل الغوانى أخا * ومعنى اجلخ سقط حاجباه على عينيه من الكبر وأما اخ فان ابن دريد قال يقال للجمل اخ ليبرك ولا يقولون أخخت الجمل انما يقولون

أنخته قال (ع) نخخت الابل اذا زجرتها فقلت لها اخ اخ والنخ من الزجر للابل يقال نخها ونخبها وهو السوق الشديد وأنشد

أكرم أمير المؤمنين النخا * فالنخ لم يبق لهن مخا

والنخ بالضم ان تناخ النعم قريبا من المصدق وأنخه والنخة الحمر وجاء من هذا الحديث ليس فى النخة صدقة والنخ أيضا بالضم بساط طويل جمعه نخاخ وجاء من هذه اللفظة فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمله أوناقته اخ اخ انتهى *(فصل من الفوائد)* قد تقدم فى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه انطلق بالراية يأنج وكان هذا الفعل منه يوم خيبر اذ أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم فجاء وهو أرمد فتفل فى عينيه النبى صلى الله عليه وسلم فبرئ قال فما وجعت عينه حتى مضى لسبيله قال وكان يلبس القباء المحشو الثخين فى شدة الحر فلا يبالى الحر ويلبس الثوب الخفيف فى شدة البرد فلا يبالى البرد وسئل عن ذلك فأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له يوم خيبر حين رمدت عينه أن يشفيه الله وأن يجنبه الحر والبرد فكان ذلك واذ ذاك قال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وتقدم ذكر يأجوج ومأجوج وانهما قبيلة وقع فى كتاب الطاعة لعلى بن معبد رحمه الله بسنده الى جبير بن نفيل قال ان يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كالأرز وصنف طولهم وعرضهم سواء وصنف يفترش الرجل اذنه ويلتحف الأخرى فتغطى سائر جسده وعن حسان بن عطية رضى الله عنه قال يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف ليس منها أمة تشبه الأخرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الأرض ستة أجزاء خمسة فيها يأجوج ومأجوج وجزء فيه سائر الخلق اه وهم من ولد يافث ابن نوح عليه السلام وعن ارطاة بن المنذر قال هم ذر جهنم ما كان منهم صديق قط وفيما قرأته بالاسكندرية على الحافظ رحمه الله بالاسناد المتصل الى حذيفة رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر بين يديه من صلبه كلهم قد حملوا السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت وما الأرز قال شجر بالشأم

طول كل شجرة عشرون ومائة ذراع فى السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش اذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشأم وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وذكر أبو عبيد البكرى أن الذى وجهه الواثق بالله الى السد سأل من هنالك هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج فذكروا انهم رأوا مرة منهم عددا فوق شرف السد مقدار الرجل منهم فى رأى العين شبر ونصف ثم هبت ريح سوداء فألقتهم الى ناحيتهم وسيأتى ذكر السد فى تفسير ألفاظ القرآن عند قوله تعالى زبر الحديد فى باب الراء والزاى ان شاء الله تعالى وتقدم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جملة أوناقته اخ اخ خرجه البخارى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أخت عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم وزوج الزبير بن العوام رضى الله عنهم وأسوقه هنا بسندى اعظاما لما فيه من العلم وصنيع الله تعالى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعريف بحالهم أولا وآخرا ولأطرز به هذا الكتاب لعل الله تعالى ينفع به الكاتب والجامع والقارئ والسامع قرأت على الشيخ الفقيه الحافظ أبى عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بابن الفخار رحمه الله تعالى قال حدثنى الفقيه الامام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى رحمه الله قال حدثنى أبى عن أبى عبد الله بن منظور عن أبى ذر قال أبو ذر أخبرنا أبو محمد الحمروى وأبو اسحاق المستملى وأبو هاشم الكشميهنى عن الفربرى عن الامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه قال حدثنى محمود قال حدثنى أبو أسامة قال حدثنا هشام قال أخبرنى أبى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت تزوجنى الزبير وماله فى الارض من مال ولا مملوك ولا شئ غير ناضح وغير فرس فكنت أعلف فرسه وأسقى الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز وكان يخبز لى جارات من الانصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسى وهى منى على ثلثى فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسى فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الانصار فدعانى ثم قال اخ اخ ليحملنى خلفه فاستحييت ان أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد استحييت فمضى

فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت حتى أرسل الي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني هذا كان أمر الزبير أولا ثم انظر ما كسب بعد ذلك من المال وما أنفق في سبيل الله وفي وجوه البر وما أفاء الله عليه في غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم خرج البخاري بسنده الى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وأمه هي أسماء ابنة أبي بكر المتقدمة الذكر قال عبد الله لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت الى جنبه فقال يا بني انه لا يقتل اليوم الا ظالم أو مظلوم واني لا أراني الا سأقتل اليوم مظلوما وان من أكبر همي لديني أفترى ديننا يبقى من مالنا شيئا فقال يا بني بع مالنا واقض ديني وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه يعني لبني عبد الله بن الزبير يقول ثلث الثلث فان فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين فثلثه لولدك قال هشام وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيب وعباد وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات قال عبد الله فجعل يوصيني بدينه ويقول يا بني ان عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي قال فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت يا أبت من مولاك قال الله قال فوالله ما وقعت في كربة من دينه الا قلت يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه فقتل الزبير ولم يدع دينارا ولا درهما الا أرضين منها الغابة وأحد عشر دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر قال وانما كان دينه الذي عليه ان الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فاني أخشى عليه الضيعة وما ولي امارة قط ولا جباية خراج ولا شيئا الا أن يكون في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان قال عبد الله بن الزبير فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف قال فلقي حكيم بن حزام عبد الله ابن الزبير فقال يا ابن أخي كم على اخي من الدين فكتمه وقال مائة ألف قال حكيم والله ما أرى أموالكم تسع لهذه فقال له عبد الله أفرأيتك ان كان ألفي ألف ومائتي ألف قال ما أراكم تطيقون هذا فان عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي قال وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف ثم قام فقال من كان له على الزبير حق فليوافينا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر

وكان له على الزبير اربعمائة ألف فقال لعبد الله ان شئتم تركتها لكم فقال عبد الله لا فقال ان شئتم جعلتها فيما تؤخرون ان أخرتم فقال عبد الله لا قال فاقطعوا لي قطعة قال عبد الله لك من هاهنا الى هاهنا قال فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال معاوية بكم قومت الغابة قال كل سهم مائة ألف قال كم بقي قال أربعة أسهم ونصف قال المنذر قد أخذت سهما بمائة ألف وقال عمرو بن عثمان قد أخذت سهما بمائة ألف وقال ابن زمعة قد أخذت سهما بمائة ألف فقال معاوية كم بقي قال سهم ونصف قال قد أخذته بخمسين ومائة ألف قال وباع عبد الله ابن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف قال فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير أربع نسوة ودفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف قلت ذكر في هذا الحديث وما ولي امارة قط قد ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الامارة ولكنه مات وعليه من الدين ثمانية وعشرون ألفا لم يأكل منها خبيصا ولا لبس منها قميصا بل كانت جبته مرقعة بالجلود وباب منزله من الجريد لكنه أنفق هذا المال في سبيل الخير لا غير فلما فرغت حياته وحانت وفاته قال لابنه عبد الله ولابنته حفصة رضي الله عنهما اني قد أصبت من مال الله شيئا وانى أحب ان ألقى الله عز وجل وليس في عنقي منه شئ فبيعا فيه حتى تقضياه فان عجز عنه مالي فسلا في بني عدي فان بلغ والا فلا تعدوا قريشا فباع عبد الله من معاوية دار عمر التي يقال لها دار القضاء بالمدينة وباع ماله بالغابة فقضى دينه فلذلك قيل لداره دار القضاء رضي الله عنه وقد فعل مثل هذا من هو فوقهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال لابنته عائشة رضي الله عنها انظري يا بنية فما زاد في مال أبي بكر منذ ولينا هذا الأمر فرديه على المسلمين فوالله ما ملكنا من أموالهم الا ما أكلنا في بطوننا من جريش طعامهم ولبسنا على ظهورنا من خشن ثيابهم فنظرت فاذا بكر وجرد قطيفة لا تساوي خمسة دراهم وحبشية فلما جاءها الرسول الى عمر قال له عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين أتسلب هذا ولد أبي بكر قال كلا ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر

فى حيانه وأتحملها من بعد موته رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعبا ومعنى تأثم طرح الاثم عن نفسه وقد تقدم شرح ذلك * انظر رحمك الله هذه الأخبار بعين الاعتبار وكيف كانت سيرة القوم ومعاملاتهم وأماناتهم ودياناتهم هذا كله ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودعائه لهم بالخير كما دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة وكان قدم المدينة وليس عنده شئ فقال دلونى على السوق وحديثه مشهور وقيل له ماسبب يسارك قال ثلاث ماردت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسأة ويقال انه باع ألف ناقة بربح عقلها باع كل عقال بدرهم قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بعد دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو رفعت حجر الرجوت ان أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتى كلت فيه الايدى وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثلاثين الفا وأوصى بخمسين ألفا هذا كله بعد صدقاته الفاشية العميمة وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها * ويروى عن قتادة قال ذكر لنا أن عبد الرحمن ابن عوف جاء بنصف ماله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا نصف مالى وتركت نصفه لعيالى فدعا له النبى عليه السلام أن يبارك الله له فيما أعطى وفيما أمسك زاد فى الرقائق ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله وذكر أبو عمر رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلم حض يوما على الصدقة فأتى عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله أربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار واتى عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر فلمزهما المنافقون وقالوا هذا رياء وجاء أبو عقيل بصاع تمر فقال مالى غير صاعين نقلت بهما الماء على ظهرى حبست أحدهما لعيالى وجئت بالآخر فقال المنافقون وتضاحكوا به ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وكان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه من المياسير قال عمرو بن العاص رضى الله عنه ان ابن الصعبة يعنى طلحة ترك مائة بهار كل بهار ثلاثة قناطير ذهبا واذ وقعنا فى هذا الباب فاسمع مافيه تلقيح للالباب

خرجت من اج فهو يؤجج اجا * ومن يأجوج والملح الاجاج
وتصريفي لذلك واشتقاقي * لغات ذكرها للقلب راج
فالآن أمدّ باعي باتباعي * لسبل الجود في سبل الفجاج

قد يستحسن الكلام في ذكر الكرام وان كانت طريقهم اليوم قفرا مابها أنيس ففي المرور بالذكر عليها للقلوب تأنيس وللنفوس تنفيس لا تلمني في ارتيادي للأنفس من فعال الناس الأعلى والانفس فصفات الجود له تثبت وتدرس وصفات البخل تنسى وتدرس * الاجواد في الجاهلية ثلاثة حاتم بن عبد الله وهرم ابن سنان وكعب بن مامة ولكل واحد منهم مكارم واخبار ولا حاجة لنا في ذكرها الا على جهة الاعتبار اذ أربابها كفار وسكان النار فلنذكر أجواد الاسلام سكان دار السلام أما الصحابة رضي الله عنهم فأجودهم على التحقيق أبو بكر الصديق رضي الله عنه أتى بماله كله صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك لنفسه ثمن درهم وأما عمر رضي الله عنه فأتى بنصف ماملك ولم يتلبس بشئ من الدنيا حين ملك حتى هلك وقلت

ذكر الاجواد

وقد فتحت عليه كنوز كسرى * وجبته ترقع بالجلود
خطام بعيره من حبل ليف * ومسكنه بباب من جريد

وهذان البيتان من قصيدة لي مطوّلة يزيد على المائة انظره في التكميل هذا والله هو الزهد ومبلغ الجهد وسيأتي من ذكره وفضائله في هذا الكتاب كثيران شاء الله تعالى وأما عثمان رضي الله تعالى عنه فجهز جيش العسرة وهي غزوة تبوك انفق فيها فيما قال ابن هشام ألف دينار وقال قتادة حمل في جيش العسرة على ألف بعير الا خمسين فكملها بخمسين وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض رضي الله عنه وارضاه وقال فيه أيضا وقد أتى بدنانير في غزوة تبوك ما على عثمان ما عمل بعد هذا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم مرتين واشترى بئر رومة وكانت ركية ليهودي يبيع للمسلمين ماءها بالمدينة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بذلك مشرب في الجنة فأتى اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى

نصفها

نصفها باثنى عشر ألف درهم فجعله للمسلمين فقال عثمان ان شئت جعلت على نصفى قرنين وان شئت فلى يوم ولك يوم فكان اذا كان يوم عثمان استقى الناس ما يكفيهم يومين فلما رأى ذلك اليهودى قال لعثمان افسدت على ركيتى فاشتر النصف الآخر فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم من يزيد فى مسجدنا فاشترى عثمان رضى الله عنه موضع خمس سوارى فزاده فى المسجد وفيه يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وفيه قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال هو عثمان بن عفان رضى الله عنه وبلغ من شدة حيائه انه كان يكون فى البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء ان يقيم صلبه وسيأتى فى باب الميم من ذكر الحياء من هذا النوع كثير ان شاء الله تعالى وهذه بعض فضائل عثمان صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحائز منتهى المنى وغاية السؤل بما أنفق من المال الجزيل فى كل وجه جميل من البر والسبيل وأما على رضى الله عنه فكانه على وشرفه سنى أول من دخل فى الاسلام وزوج فاطمة عليها السلام بنت النبى صلى الله عليه وسلم وقد نظم فى أبيات المفاخرة وذكر فيها ما آثره حين فاخره بعض عداه ممن لم يبلغ مداه فقال رضى الله عنه يفخر بحمزة عمه وبجعفر ابن أمه رضى الله عن جميعهم

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى
وبنت محمد بيتى وعرسى * منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها * فأيكم له سهم كسهمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمى
سبقتكم الى الاسلام طفلا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وأوجب لى الولا حقا عليكم * رسول الله يوم غدير خم

يريد بذلك قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولما ولى الخلافة كان يقسم بيت المال فى كل جمعة حتى لا يبقى فيه شيئا ثم يرشه ويقيل فيه وفى رواية ثم يصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة ويتمثل بهذا البيت

هذا جناى وخيره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

وكان يقول اذا نظر الى مافيه من الذهب والفضة ابيضى واصفرى وغرى غيرى انى واثق من الله بكل خير وقدم عليه مال من أصبهان فقسمه سبعة أسباع وكان فيه رغيف فقسمه سبعة كسر وجعل على كل جزء كسرة ثم أقرع بينهم أيهم يأخذ أولا وفضائله رضى الله عنه لا تحصى ومن يعد الحصى وجوده وكرمه أكثر من ان يعد وفضله أكبر من أن يحد فمن جوده وفضله انه عمل خصلتين لم يعملهما أحد قبله احداهما انه لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة أشفق المسلمون من ذلك وشق عليهم لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فعمد على رضى الله عنه فتصدق بدينار وناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رحم الله المسلمين ونسخ ذلك عنهم بقوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فهذه آية نسخها العلى ولم يعمل بها غير على رضى الله عنه وكان سبب نزول الآية ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على النبى صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأراد الله التخفيف عنه فكف كثير من الناس ثم وسع الله عليهم بالآية التى بعدها قاله ابن عباس وقيل نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبى عليه السلام و يقولون انه أذن يسمع كل ماقيل له وكان لا يمنع أحدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين فلما أنزل الله ذلك انتهى أهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدى نجواهم صدقة وشق ذلك على المسلمين لضعف مقدرتهم كما تقدم فخفف الله عنهم بالآية الناسخة والله أعلم والخصلة الأخرى التى لعلى وحده رضى الله عنه انه أعطى مسكينا خاتما من فضة وهو راكع فأنزل الله تعالى فى ذلك الذى يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون قال مجاهد والسدى رضى الله عن جميعهم قيل خرج النبى صلى الله عليه وسلم ومسكين يسأل فى المسجد فسأله عليه الصلاة والسلام هل أعطاك أحد شيئا قال نعم قال ماذا قال خاتم من فضة قال من أعطاكه قال ذلك الرجل القائم فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فكبر رسول صلى الله عليه وسلم عند ذلك ونزلت الآية بدأت بذكر الاربعة الخلفاء الكرام الشرفاء الذين قال فيهم الشاعر ذو الوفاء

خيار الناس بعد المصطفى المفضال ذو اللسن
أبو بكر أبو حفص * أبو عمرو أبو الحسن

رضى الله عن جميعهم وقد تقدّم حديث عبد الرحمن بن عوف والزبير وما أنفقا في وجوه البر وسبل الخير ومنهم من جاد بأكثر من المال وهى النفس التى لها يكسب المال كما قال الشاعر

يجود بالنفس اذ ضنّ الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قال بعض العلماء هذا أمدح بيت قالته الشعراء وكذلك الصحابة رضى الله عنهم من عدم منهم المال الذى هو فى الحقيقة كالآل جاد بالنفس فى الجهاد الذى هو أفضل الاعمال ولى فيهم رضى الله عن جميعهم

أولئك قوم أتلفوا مهجاتهم * لاحياء دين الله بالطعن والضرب
بكل طويل من رماح رديئة * وكل حسام مرهف ذكر عضب
على كل محماص من انسال أعوج * يمرّ كمرّ الريح فى أثر السحب
غيوث اذا أعطوا ليوث اذا التقوا * معانون منصورون بالرهب والرعب

ذكر أجواد الزهاد

من شعر لى طويل وهو فى حقهم قليل ان أردته انظره فى التكميل ومن أجواد الزهاد ممن اذا أعطى آثر غيره حدبا على فقره وغيره مثل عائشة رضى الله عنها وجه اليها معاوية رضى الله عنهم مائة ألف درهم ففرّقتها فى يومها وان درعها لمرقوع وقالت لها الخادم وكانت صائمة لو اشتريت لنا لحما بدرهم فقالت لو ذكرتينى فعلت * فعلت هذا رضى الله عنها طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أوصاها فقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء وايالك ومخالطة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه وتمادت على فعلها الى ان ماتت رضى الله عنها خرج البخارى عن أيمن الحبشى قال دخلت على عائشة وعليها درع قطن ثمنه خمسة دراهم فقالت ارفع بصرك الى جاريتى انظر اليها فانها تزدهى ان تلبسه فى البيت وقد كان لى منه درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كانت امرأة تفن بالمدينة الا أرسلت الىّ تستعيره وقد فعل مثل فعل عائشة رضى الله عنها ابراهيم التيمى دفع اليه ستون ألفا وكان عليه دين وبه حاجات فأخرجها من يومه فعوتب فى ذلك فقال كرهت ان أمحو اسمى من ديوان الفقراء بستين الفا ويروى عن سعيد بن عامر بن حذيم لما بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه واليا على حمص اشتدّت فاقته حتى تحدّث الناس بفقره فبلغ ذلك عمر فأرسل اليه بألف دينار وكتب اليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله فلما قرأ الكتاب اهتم هما شديدا حتى تبين ذلك

عليه فقالت له امرأته نفسي فداك مالي أراك مهتما أبلغك موت أمير المؤمنين
قال أعظم من ذلك فقالت أبلغك عن ثغور المسلمين شئ قال أعظم من ذلك قالت
وما هو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل
بها وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر ألا فشر أيامي أيام عمر قالت
وماذاك بأبي أنت وأمي قال اني أخافك قالت اياي تعني قال نعم قالت فأنت آمن
من هذا قال فان أمير المؤمنين أرسل الي بأربعمائة دينار وعزم علي أن
أنفقها علي وعليك واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء
المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا والله ما أحب أن لي
حمر النعم واني أحبس عن الفوج الاول قالت فدونكها فاصنع بها ماشئت
فقال هل من خرق فأعطته درعا لها خلقا فمزقه خرقا ثم صر فيه ما بين أربعة
الى عشرة ثم طرحها في مخلاة ثم خرج الى باب الرستق من حمص فجعل يعطي
الناس صرة صرة حتى بقيت صرة في المخلاة فدفعها والمخلاة الى رجل ثم
رجع فذهب عنه واستراح * وذكر أبو نعيم الحافظ رحمه الله في كتابه الحلية
قال خالد بن معدان استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حذيم
الجمحي فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمص قال يا أهل حمص كيف وجدتم
عاملكم فشكوه اليه وكان يقال لاهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال
قالوا نشكو أربعا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال أعظم بها قال وماذا قالوا
لا يجيب أحدا بليل قال وعظيمة قال وماذا قالوا له يوم من الشهر لا يخرج فيه الينا قال
وعظيمة قال وماذا قالوا يغط الغطة بين الأنام حتى تأخذه موتة قال فجمع عمر بينهم
وبينه وقال اللهم لا يفيل فيه رأي اليوم ما تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى
يتعالى النهار قال والله ان كنت لأكره ذكره ليس لاهلي خادم فأعجن عجيني فأجلس
حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج اليهم فقال ما تشكون منه فقالوا
لا يجيب أحدا بالليل قال ما يقولون قال ان كنت لأكره ذكره اني جعلت النهار لهم
وجعلت الليل لله عز وجل قال وما تشكون قالوا ان له يوما من الشهر لا يخرج الينا فيه
قال ما يقولون قال ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف
ثم ألبسها ثم أخرج اليهم آخر النهار قال وما تشكون منه قالوا يغط الغطة بين الانام
قال ما يقولون قال شهدت مصرع خبيب الانصاري وقد بضعت قريش لحمه

ثم حملوه على جذعه ثم قالوا أتحب أن محمدا مكانك فقال والله ما أحب انى فى أهلى وان محمدا يشك بشوكة ثم نادى يا محمد فاذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحالة وانا مشرك لا أومن بالله العظيم الا ظننت ان الله لا يغفر لى بذلك الذنب أبدا قال فتصيبنى تلك الغطة فقال عمر الحمد لله الذى لم يقل رأيى فيك فبعث اليه بألف دينار وقال استعن بها على فقرك فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك فى خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا أحوج ما يكون اليها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصرها صرا شديدا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذهبة فقال أنفقى هذه ثم عاد الى عمله فقالت ألا تشترى لنا خادما فعل ذلك المال قال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه كذا رواه حسان وأبو خالد بن معدان وشبيه بقصة سعيد هذا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى أهل حمص اكتبوا لى فقراءكم فكتبوا اليه أسماء الفقراء وذكروا فيهم عمير بن سعيد وكان واليا عليهم فلما قرأ اسمه قال من عمير بن سعيد قالوا أميرنا قال أوفقير هو قالوا ليس أهل بيت أفقر منه قال فأين عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يمسك منه شيئا قال فوجه اليه بمائة دينار فأخرجها كلها فقالت له امرأته لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا فقال لو ذكرتينى فعلت ذكر هذه الحكايات أبو طالب رحمه الله فى باب الزهد من كتابه *وذكر من زهد عيسى ابن مريم عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما ارتفع رأسه من الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم أليس تزعم انك قد زهدت فى الدنيا قال نعم قال فهذا الذى قد وطأته تحت رأسك من أى شئ هو قال فرماه عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت من الدنيا ثم وضع رأسه على التراب وقد كان من الزهاد من لا يأخذ اذا أعطى *أمر بعض الامراء لأحد الفقراء بعطاء فقال لا حاجة لى به قال فيجرى عليك ما يكفيك طول عمرك قال له يا أمير المؤمنين أنا وأنت فى عيال الله تبارك وتعالى فحال أن يذكرك وينسانى وهذا رأس الزاهدين رسول رب العالمين اختار الفقر على الغنى والضيق على السعة وكان من دعائه عليه السلام اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبى المساكين

وقربهم فان الله يقربك يوم القيامة خرجه الترمذى وقال عن أبى هريرة يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وقال حديث صحيح وخرج أيضا قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انى لأحبك فقال انظر ماذا تقول فقال والله انى لأحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبنى فأعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه وفى الخبر ما اتضع امرؤ لآخر يريد عرض الدنيا الا ذهب ثلثا دينه وقالت عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض وكان عليه الصلاة والسلام لا يدخر شيئا لغد رواه أنس رضى الله عنه وقال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا أكل خبزا مرققا حتى مات وعن سهل بن سعد قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى حتى لقى الله فقيل له هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كانت لنا مناخل قيل فكيف كنتم تصنعون بالشعير قال كنا ننفخه فيطير ما طار ثم نثريه فنعجنه ولذلك كان أبو ذر رضى الله عنه يقول للصحابة أنا أقربكم مجلسا يوم القيامة من النبى صلى الله عليه وسلم قيل وكيف ذلك قال انه قال أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من تركته على حال فلم يتغير عنها وكلكم قد نخل الشعير غيرى فأقرب الناس من النبى صلى الله عليه وسلم أقربهم من الله وأقربهم من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسبقهم بالخيرات وأغرب من هذا ما خرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت انا كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ان هو الا الأسودان التمر والماء ومما قرأته على الحافظ رحمه الله بسنده الى بلال رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال قلت كيف لى بذلك يارسول الله فقال اذا رزقت فلا تخبأ واذا سئلت فلا تمنع قال قلت كيف لى بذلك يارسول الله قال هو ذاك والا فالنار وتحشأ رجل عنده فقال له عليه الصلاة والسلام كف عنا جشاءك فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا فى الآخرة أو كما قال * يروى ان أبا جحيفة قال فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تغدى لا يتعشى واذا تعشى لا يتغدى ومن بعض فضائل أبى سعيد الحسن بن أبى الحسن الكثير الخوف والحزن القليل النوم والوسن كان رحمه الله له كلام حر يشبه الدر يشفى من الضر ويبرى من

قوله نثريه أى نصب عليه الماء

العر وحق ذلك له فانه ارتضع ثدى أم سلمة رضى الله عنها ونفعه بالبركة التى نال منها
حدث عوف بن أبى جميلة الاعرابى قال كان الحسن ابنا لجارية لام سلمة زوج
النبى صلى الله عليه وسلم فبعثت أم سلمة جاريتها فى حاجتها فبكى الحسن بكاء
شديدا فرقت عليه أم سلمة فأخذته فوضعته فى حجرها وألقمته ثديها فأدر عليه
فشرب منه فكان يقال ان المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة بذلك اللبن الذى
شرب من أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وممن وصفه بالحزن علقمة بن مرثد
رحمه الله قال أما الحسن بن أبى الحسن فما رأينا أحدا من الناس كان أطول حزنا
منه ما كنا نراه الا انه حديث عهد بمصيبة وكان يقول نضحك ولا ندرى لعل الله قد
اطلع على بعض أعمالنا فقال لا أقبل منها شيئا ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله
طاقة انه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم
الصوف لو رأيتهم قلت مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا
شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا
أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم ولا
يجد عنده الا قدر ما يكفيه فيقول لا أجعل هذا كله فى بطنى لأجعلن بعضه لله عز
وجل فيتصدق ببعضه وان كان هو أحوج ممن تصدق عليه زاد غيره والله لقد
أدركت أقواما ما طوى لاحدهم فى بيته ثوب قط ولا أمر فى أهله بصنيعة طعام قط
وما جعل بينه وبين الارض شيئا قط وان أحدهم ليقول وددت انى آكل أكلة تصير
فى جوفى مثل الآجرة قال ويقول بلغنا أن الآجرة تبقى فى الماء ثلثمائة سنة ولقد
أدركت أقواما ان كان أحدهم ليرث المال العظيم قال وانه لجهود شديد الجهد
قال فيقول لاخيه يا أخى انى قد علمت ان ذا ميراث وهو حلال ولكنى أخاف أن يفسد
على قلبى وعملى فهو لك لا حاجة لى فيه قال فلا يرزأ منه شيئا أبدا زاد غيره والله لقد
صحبنا أقواما كانوا يقولون ليس لنا فى الدنيا حاجة ليس لها خلقنا وكان يقول
أدركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الارض
ثوبا قط قال وكان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه ثم ذكر تفاوت
الزاهدين ولأى شئ زهد وافقال منهم من زهد حياء من الله تعالى ومنهم من زهد
خوفا من الله ومنهم من زهد رجاء موعود الله ومنهم من زهد مسارعة منه لامر الله
ومنهم من زهد حبا لامر الله ومنهم من زهد حبا لله وهو أعلاهم وأدناهم من زهد

مخافة طول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهم من يوم القيام أشد حسابا من ذي الدرهم وان طريق المقربين لا يسلكه من ملك من الدنيا زوجين من شئ وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لا يصيب عبد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عند الله كريما وقيل له رضي الله عنه توفي فلان فقال رحمه الله قيل له يا أبا عبد الرحمن ترك مائة ألف فقال لكن هي لم تتركه وسمع رجلا يقول أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة فأراه قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فقال عن هؤلاء تسأل وقال عمران القصير للحسن ان الفقهاء يقولون كذا وكذا فقال وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة الله عز وجل ويقال ما أحد يعطى من الدنيا شيئا الا ويقال له خذه على ثلاثة أثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وان الرجل من الاغنياء ليوقف للحساب مالو ورد عليه مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء وانه ليرى منازله من الجنة وقال يوسف بن اسباط لو أن رجلا ترك الدنيا مثل أبي ذر وأبي الدرداء وسلمان رضي الله عنهم ما قلنا له انك زاهد لان الزهد لا يكون الا على ترك الحلال المحض والحلال المحض لا نعرفه اليوم وانما الدنيا حلال وحرام وشبهات فالحلال حساب والحرام عذاب والشبهات عتاب فأنزل الدنيا منزلة الميتة خذ منها ما يقيمك فاذا كانت حلالا كنت زاهدا فيها وان كانت حراما لم تكن أخذت منها الا ما يقيمك كما يأخذ المضطر من الميتة وان كانت شبهات كان العتاب يسيرا ومثله قول بعضهم ليس الزهد ترك كل الدنيا ولكن الزهد أن تهاون بها وأخذ البلاغ منها قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فأخبرانهم زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا وقد تكلم في الزهد في أي شئ هو فقال بشر الحافي ابن الحارث الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وقال غيره الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف لانه دنياك فبقدر ما تملك من بطنك تملك من الزهد وقال الفضيل الزهد القناعة فكن الدنيا عنده الحرص وقال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولبس العباءة قلت عجبا للمرء كيف لا يقصر أمله ودونه اجله ألم تسمع قول الشاعر

الكلام على الزهد

امنى من دونه اجلى * فتى افضى الى أمل

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مربعا وجعل في وسطه

خطا

خطا وجعل خطا آخر خارجا من المربع وجعل حول هذا الخط من داخل خطوطا كثيرة ثم قال هذا الانسان وهذا أجله قد أحاط به فى كل جانب وهذا أمله الخارج من المربع يعنى فتى ينتهى اليه والاجل قد أحاط به من كل جانب وقال لهذه الخطوط الكثيرة حوله وهذه الاعراض والاسقام ان أخطأه هذا أصابه هذا قلت سقت معنى الحديث لا لفظه وأقول أو كما قال صلى الله عليه وسلم ولى فى الامل

أؤمل آمالا ولست بعارف * أ أبلغها أم يقطع الموت قبلها
وللمرء نفس لا تزال بحرصها * تمنى وتهوى أن تبلغ سؤلها
وليست تبالى من سفاهة رأيها * أ كان عليها ذلك الامر أم لها

لكن مما رويته بالاسناد عن الحافظ رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما الامل رحمة من الله لولا الامل ما غرس غارس شجرا ولا جنى جان ثمرا وقال أبو سليمان الدارانى الدنيا كل ما شغل عن الله فكان الزهد عنده التفرغ لله وكان يقول من تخلى من الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فهو الزاهد فأما من تركها وتبطل فانما طلب راحة نفسه * وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه الزهد على ثلاث مقامات زهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك المشتبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال * وقال غيره الزهد اخفاء الزهد والزهد ترك ما يشغلك عن الله عز وجل وقال بعض الحكماء الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وفى الترمذى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى أيدى الناس وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك * قال تكلم فى اسناد هذا الحديث وخرج أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وفيه عنه عليه الصلاة والسلام قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وقال يا ابن آدم ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف * أخذ هذا المعنى شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله فقال وأنشدنيه

دع الدنيا لطالبها وجافى * بنفسك عن مزاحمة العوافى
وخذ منها كفافا من حلال * فانك لا تلام على كفاف

وفى الحديث أيضا طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع ولما قدم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الشأم صنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا النافا افقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا فى هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد بايعونا بونا بعيدا وقال لأبى عبيدة رضى الله عنه اذهب بنا الى منزلك قال ماتريد الا أن تعصر عينيك على قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر أين متاعك لا أرى الا لبدا وشنا وصحفة وأنت أمير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك لا تعصر عينيك على يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما بلغ المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا غيرك يا أبا عبيدة وقال الثورى وفضيل رضى الله عنهما جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجاء فى الخبر حب الدنيا رأس كل خطيئة فيخرج من دليل الخطاب ان بغضها رأس كل طاعة فعلى هذا ينبغى أن لا يؤخذ منها الا ما لا بد منه كما يروى عن عمير بن سعيد الذى تقدم ذكره انه قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنهما من حمص اذ كان أميرا عليها فقال له عمر ما معك من الدنيا يا عمير قال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها ثوبى ورأسى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى ووضوئى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله رضى الله عنهما تقدم فى الشعر الذى لى * وجبته ترقع بالجلود * قال أبو عثمان النهدى رأيت عمر بن الخطاب يطوف حول البيت وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة احداهن أدم أحمر وقد فعل مثل هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سعيد ابن جبير ان عليا قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازار ان قطريان قد رقع ازاره برقعة ليست بقطرية من ورائه فجاء اعرابى ينظر الى تلك الخرقة مخالفة فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت أو مقتول قال ان هذا خير لى فى صلاتى وأصلح لعملى وأشبه بهيئة الصالحين قبلى وأجدر أن يقتدى

بى من أتى بعدى وكان علم رضى الله عنه أنه مقتول اذ كان قد أخبره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويروى أنه أتى بابن ملجم اليه وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما ولا نأمن قتله ايانا قال ما أصنع به ثم قال رضى الله عنه

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

وقد تقدم القول فى هذا البيت وان أوله حيازيمك وان اشدد انما هو ابتداء كلام ليس من البيت * قال بعض العلماء ان لله عبادا جعلوا مارزقهم الله فى بطونهم وعلى ظهورهم كما يروى ان هشام بن عبد الملك كانت كسوة نفسه دون كسوة عياله وحشمه وقرسبعمائة جمل وعشرين جملا كان فيها اثنا عشر ألف قميص وسبعمائة تكة طول كل تكة سبعة أذرع وكان عمرو بن عامر ملك من ملوك اليمن يلقب مزيقيا لانه كان يلبس كل يوم حلة ثم يمزقها بالعشى يكره أن يعود فيها ويأنف أن يلبسها أحد غيره (قلت) أين هذا من الذى قيل له عند الموت أوص قال اذا مت تصدقوا على بقميصى قيل له أين ندفنك قال الذى يختار موضعى يدرى حيث ينقلنى أو كما قال * وقد تقدم كيف كان لباس الصحابة رضى الله عنهم وكان سالم بن عبد الله يلبس العباءة ثمنها نحو الدرهمين وكان يحيى بن اليمان أحد العلماء الفضلاء وهو الذى قال فيه شريك أو بالكوفة أحد يشبه يحيى بن اليمان قال يحيى تزوجت أم داود وما كان عندنا ليلة العرس الا بطيخة أكلت أنا نصفها وهى نصفها وولد لنا داود وما كان عندنا شئ نلفه فيه حتى اشتريت له كسوة بحبتين فلففناه فيه ويروى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كانت له نفس توافقه الى الكسوة والدنيا فى حدائة سنه فلما ولى الخلافة تخلى عن ذلك روى مالك قال بلغنا ان عمر بن عبد العزيز أمر رجلا أن يشترى له لحافا بستمائة درهم فلما جاءه به تسخطه فلما ولى الخلافة أمر ذلك الرجل أن يشترى له كساء بسبعة دراهم فلما جاءه به لبسه ثم تعجب لحسنه قال فضحك الرجل فقال له عمر انى لأظنك أحمق تضحك من غير شئ قال انما ضحكت لمكان اللحاف الذى أمرتنى أن أشتريه لك بستمائة درهم قال فصمت ساعة ثم قال اخشى ان لا يشترى أحد ثوبا بستمائة درهم وهو يخاف الله زاد غيره كانت لى نفس توافقه الى الدنيا فلما وليت الخلافة ناقت نفسى الى الجنة وكان يلبس الثوب المرقوع بعد ذلك يروى انه قومت ثيابه وهو يخطب باثنى عشر درهما

وكانت قباء وعمامة وقميصا وسراويل وبردا وخفين وقلنسوة قلت هكذا يكون الزهد كما قيل لبعض الزهاد زهدت فى الدنيا قال وفى أى شئ زهدت انما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فزهد فيها وفى مثل هذا أنشدوا

يعف عن الدنيا اذا عن تودد * وان برزت فى زى عذراء ناهد
اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * معصفرها الدنيا فليس بزاهد

وأنشد الحافظ رحمه الله قول الشاعر

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

صدق فى هذا المقال وهو لعمرى كما قال أذكرنى هذا البيت خبر بشر بن الحارث خرج أبو طالب مكى رحمه الله فى القوت قال كان بشر بن الحارث قد اعتل فسأل عبد الرحمن الطبيب عن شئ يوافقه من المأكولات فقال له عبد الرحمن تسألنى فاذا وصفت لك لم تقبل منى فقال له بشر صف لى حتى أسمع فقال نحتاج ان تستعمل ثلاثة أشياء فان فيهن صلاح جسمك قال وماهن قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفناخ فقال له بشر أتعلم شيئا اقل ثمنا من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وماهو قال الهندبا باخل تقوم مقامه ثم قال أتعرف شيئا أقل ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وماهو قال الخروب الشامى فى معناه ثم قال أتعرف شيئا أقل ثمنا من الاسفناخ يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وماهو قال ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن فأنت أعلم بالطب منى فلم تسألنى قلت انظر هذا الموفق كيف استعمل زهده حتى فى الدواء وأقل ما صنع انه زهد فى الدواء رأسا والله أعلم هكذا اظن به كما فعل غيره وغيره * ومن الزهد أيضا ماروى ان ملك الهند أهدى الى المنصور تحفا وأرسل معها بفيلسوف طبيب فأنزله واحسن اليه ثم دعاه بعد ذلك فقال له الفيلسوف جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال يتنافس الملوك فيها قال وماهى قال أخضب لحيتك سوادا لا ينصل أبدا وأعالجك بعلاج تتسع به فى المأكل فتأكل ماشئت ومتى شئت ولا يؤذيك الطعام وأقوى صلبك بقوة تنشط الى الجماع فتجامع ماشئت لا تمل ولا يضعف بصرك ولا ينقص من قوتك فأطرق المنصور ثم رفع رأسه اليه وقال قد كنت اظنك أعقل مما أنت أما ماذكرت من السواد فلا حاجة لى به لانه غرور وزور والشيب هيبة ووقار ولم أكن لأغير نورا جعله الله فى وجهى بظلمة السواد وأما ما

ذكرت من الاكل فوالله ما أنا بشره ومالى فى الاستكثار حاجة لانه يثقل الجسم
ويشغل عن الواجب وأقل مافيه اختلافى الى الخلاء فأرى ما أكره واسمع مالا
أحب وأما ماذكرت من النساء فان الجماع شعبة من الجنون وما أقبح بخليفة مثلى
يجثو بين يدى صبية ارجع الى صاحبك مذموما مدحورا * انظر هذا الموفق الآخر
كيف زهد مع الملك والقدرة فى الاشياء التى هى معنى الدنيا وجل شهواتها لاسيما
البطن كما قال بعضهم وسئل عن الزهد فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبمقدار ما تملك
من بطنك تملك من الزهد وكذلك قال وهب بن منبه لكل شئ وسط وطرفان فان
أمسكت باحد الطرفين مال الآخر وان أمسكت الوسط اعتدل الطرفان وكذلك
البطن وسط بين الجوارح ان أمسكته اعتدلت الاطراف السمع والبصر واللسان
والفرج والرجل وكذلك قال غيره اذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل
جارحة حظها من اللهو فجمحت بك النفس الى الهلكة واذا منعت البطن
حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك وقد تقدم لى فى هذا
المعنى طرف وان لم يكن بحجة فهو الحجة * تقدم فى أول الكتاب من كان همه بطنه
وفرجه فلا ترجه والابيات بعده التى أولها

اذا أعطيت بطنك مشتهاه * وفرجك سؤله انت البهيمه

وتقدم أيضا * أضر شئ على الانسان خصيته * الابيات قلت ولعمر الله ان الزاهد
لفى راحة وحال استراحة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا يريح
القلب والبدن ولقد صدق القائل

لا عيش يصفو للملوك وانما * تصفو وتحمد عيشة النساك

لذلك قال بعضهم ان كنت تريد أن تكون ملكا فى الدنيا والآخرة فازهد فى الدنيا
وقد تقدم لعبد الحق رحمه الله

فصرت غنيا بلا درهم * أتيه على الناس تيه الملك

وقال بعض من تزهد من الملوك لم أجد طيب العيش حتى استبدلت الخمص
بالكظة ولم آكل مما أغسل يدى منه ولم ألبس من ثيابى ما أخدمه * وقال اياس بن
معاوية لأن ألبس ثوبا أقى به نفسى أحب الى من أن ألبس ثوبا أقيه بنفسى وقال عون
ابن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أر أحدا أكثر هما منى أرى دابة خيرا من دابتى
وثوبا خيرا من ثوبى وصحبت الفقراء فاسترحت وقالوا عيب الغناء انه يورث البطنة

الكظة شئ يعترى الانسان عن الامتلاء من الطعام

وفضيلة الفقر انه يبعث الجبلة وقالوا مع الحاجة تقع الفكرة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة وقال اكتم بن صيفي ما يسرني انني مكفي كل أمر الدنيا قيل ولم قال أكره عادة العجز قلت لقد صدق عون رحمه الله اذ يقول من ترك الفضول فقد استراح والفضول هي الشهوات ألم تسمع قول الشاعر هو أبو الطيب المتنبي

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ما فاته وفضول العيش اشغال

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه أهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ويركبون ونركب ولهم فضول أموال ينظرون اليها وننظر اليها معهم عليهم حسابها ونحن منها برآء وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى

قنعت فنلت الغنى وادعا * وعشت هنيئا بستر الخمول
ونلت الذي نال منها الملوك * فلم يفضلوني بغير الفضول
وذاك الفضول متاع قليل * يكون عليه الحساب الطويل

وله أيضا ما الزهد يا قوم فلا تجهلوا * بلبس أسمال واخلاق
لكنه لبس ثياب التقى * مع حسن آداب وأخلاق

وله أيضا كفى بسليخة في البيت مرطا * معدا للشتاء وللمصيف
يكون وطاء جلد في مصيف * وفي زمن الشتاء وطاء صوف

وله أيضا ان السليخة والحصير كفاية * ولو اقتصرت على الحصير كفاني
ان القليل لمن يموت مبلغ * فان يبلغه قليل فاني
حسبي القليل وليتني أنجو غدا * عند الحساب عليه من ديان

وقال ورأى رجلا يبني ويشيد فذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام من بنى فوق سبعة أذرع أو تسعة نودي الى أين يا أفسق الفاسقين فقال

أطلت البناء وشيدته * وأنفقت ويحك فيه المئينا
وأنت تنادى ولا ترعوى * الى أين يا أفسق الفاسقينا
فهلا اقتصرت على قدرما * يوارى ويمنع عنك العيونا
فكنت على هدى من قد مضى * ووفرت وفرا وعرضا ودينا
ولم تك تحمله في غد * على الظهر شيدا وصخرا وطينا

ولبعض الزهاد

كسرة خبز وكوز ماء * ورقع ثوب مع السلامه

خير من الملك فى نعيم * تكون عقباه للندامه

وقال بعض أبناء الملوك ممن أضربه الدهر ورؤى فى هيئة رثة فرق له من رآه وقال الى هذا صار أمرك فقال رحمك الله ما فقدنا الا الفضول وجاء فى الحديث ما عال من اقتصد والاقتصاد الاقتصار على القوت وقال القناعة مال لا ينفد وقال الشاعر

كفاهم أقل الزاد اذ قنعوا به * ومن قنع استغنى عن القبض بالقبص

القبص بالصاد غير المعجمة الأخذ بأطراف الاصابع والقبض بالضاد الأخذ بجميع الكف ومما أنشدنيه أبو محمد عبد الحق رحمه الله لنفسه من قطعة أولها

رأيت القناعة أغنى الغنى * فصرت بامساكها أمتسك

وأعتقت نفسى ولم أشرها * ببخس فتملك فيمن ملك

فصرت غنيا بلا درهم * أتيه على الناس تيه الملك

وقرأت على الحافظ السلفى رحمه الله بسنده لبعضهم

منزلى منزل الكرام ونفسى * نفس حر ترى المذلة كفرا

واذا ما قنعت بالقوت دهرى * فلماذا أزور زيدا وعمرا

لعلك أن تقول سمعنا عن الزهاد ولم نرهم صدقت لو كنت منهم لرأيتهم ان فى عصرنا هذا الذى هو سنة ثلاث وستمائة رجلا باشبيلية عالما عاملا زاهدا فقيها شاعرا أديبا مشهورا بذلك كله وهو الفقيه أبو عمران موسى بن عمران القيسى المرتلى رضى الله عنه وقد تقدم من شعره فى هذا الكتاب كثير ومن شعره وما الزم نفسه به قوله رضى الله عنه

ألزمت نفسى والله المعين على * امضاء عزمى فيما بعد أذكره

فمن تصفح ما أملى ويعذرنى * فالله غنى يجزيه ويشكره

والمعزوم عليه والله المستعان ان لا أشهد مشهدا ولا أبرح عن منزلى الا للفرض ان استطعت وأعجل الانصراف بمشيئة الله ولا أبايت ولا أبايت ولا أخاطب مبتدئا ولا مجاوبا ولا أقبل هدية ولا دينارا ولا درهما لنفسى ولا لغيرى ولا تلج يدى فى طعام أحد ولا أدخل فى وساطة ولا فى حكومة ولا أقبل وديعة ولا أجيب لوليمة ولا أتعرف لمن لا يعرفنى وأقلل ما أمكننى من معرفة كثير ممن يعرفنى بالانقباض وحسن التلطف طلبا للسلامة لى وله ولا أجيب فى مشورة الا بالدعاء ولا آمل غير مولاى لى أولسواى ولا أتولى خطة ما كانت ولا أكون اماما ولا خطيبا ولا

أفعل شيئا من كل ما رسمته الا لحال ضرورة والله تعالى يغنى من سعة فضله ويعين على هذا كله

فحسبى نفسى وما كلفت * وفى ذاك لى شغل شاغل

وحسبى مولاى من خلقه * لقد خاب من غيره يامل

عمر الله قلوبنا بذكره ولا شغلنا عنه بغيره انه منعم كريم * وله فصول من كلام الحكماء مثل كل ما يفنى ماله معنى القناعة بالقوت واللباس خير من سؤال الناس من تقحم فيما لا يعنيه وقع فيما يتعبه ويعييه من خف قدمه كثر ندمه ومن تثبط اغتبط مالا ينفع لا يصنع ومن هذا النوع كثير * ومن أملح ما رأيت له وهو من الذى كلفت به من المعكوس رأى رجلا يكتب بطاقة فأشار الى القلم وقال احذر أن تلقى فى مكتوبك من مقلوبه وذلك ان مقلوب قلم ملق قلت أعاننا الله على طاعته ووفقنا لاتباع طريقة الصالحين آمين بكرمه وفضله * وأما أجواد الاسلام بعدهؤلاء فأحد عشر رجلا فى عصر واحد وبعضهم قريب من بعض لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم فأجواد أهل الحجاز ثلاثة عبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص وأجواد أهل البصرة خمسة فى عصر واحد عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الله ابن يعمر القرشى ثم السلمى ثم التيمى وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى وأجواد أهل الكوفة ثلاثة عتاب بن ورقاء الرياحى وأسماء بن خارجة الفزارى وعكرمة بن ربعى الفياض * فمن جود عبد الله بن عباس انه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال يا ابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوّبه فلم يعرفه ثم قال له ما يدك عندنا فقال رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يصب لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت فقال أجل انى لأذكر ذلك وانه ليتردد بين خاطرى وفكرى ثم قال لقيمه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده عندنا قال له الرجل والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيك ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم ثم شفع بك وبأبيك (قلت) والشئ يعرف بالضد كالوصل بالصد والعطاء بالرد انظر هذا السخى الجدين الحيى الخدين كيف استحيا أن يرد من سأله ويخيب من أمله وجعل يحدثه بما نصه انه يعرف تلك القصة ويحتمل ان يكون انما قال ذلك لهذا السائل خشية أن يخجل فيكدر عليه النائل

أجواد الاسلام

أين هذا مما أنشدنى الحافظ رحمه الله لبعضهم بالاسكندرية وهو عندى فى أجزائها المرويه قال رحمه الله

أتيت أخالى فى حاجة * وكنت عليه خفيف المؤن
فأنكر معرفة لم تزل * وأبدى مماذقة لم تكن
وقال وجاحدنى حبه * أبومن ومن ومن وابن من

ومن جود عبد الله بن جعفر انه اعطى امرأة سألته مالا عظيما فقيل له انها لم تعرفك وكان يرضيها اليسير فقال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى * ولد عبد الله بن جعفر هذا بأرض الحبشة ووافق ان ولد للنجاشى رحمه الله مولود يوم ولد عبد الله فأرسل الى جعفر يسأله كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشى أيضا ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله هذا فكانا يتواصلان حين كبرا بتلك الاخوة وولد لجعفر أيضا بأرض الحبشة محمد وعون الله رضى الله عن جميعهم ومن جود سعيد بن العاص انه كان يسمر معه ليلة قوم فانصرفوا وبقى رجل فعلم انه طالب حاجة ويمنعه الحياء من ذكرها فأمر سعيد باطفاء الشمعة وقال ما حاجتك يا فتى فذكر ان عليه دينا أربعة آلاف درهم فأمر له بها قال وكان اطفاؤه الشمعة أكثر من عطائه وعوتب فى كثرة العطاء فقال ان الله تعالى عوّدنى ان يتفضل علىّ وعوّدته ان أتفضل على عباده فأخاف ان قطعت أن يقطع وهو الذى أنشد له

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال ان هذا ليبخل الناس ولكن امطر والمعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنتم له أهلا * وقال الفضل بن سهل اذا لم أعط الا مستحقا فكانى انما أعطيت غريما * ومن السخاء ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من عالم بخيل * ومن جود عبد الله بن أبى بكرة رضى الله عنه ان رجلا أدلى اليه بجرمة فأمر له بمائة ألف درهم * ومن جود عبد الله بن عمر رضى الله عنه ان رجلا من أهل البصرة كانت له جارية وصف من حسنها وأدبها شيئا كثيرا وانه أملق فاحتاج الى بيع الجارية بعد ان استأذنها فى ذلك واعتذر اليها

وكان لها محبا وهى له كذلك فأشارت اليه ان يهديها لابن يعمر بعد ان اصلحت من شأنها ففعل وأوقفها بين يديه وقال له أصلحك الله هذه جارية ربيتها ورضيت لك أدبها فاقبلها منى هدية فقال مثلى لا يستهدى مثلك فهل لك فى بيعها فأجزل لك الثمن فيها حتى ترضاه قال الذى ترضاه قال يقنعك منى عشر بدر فى كل بدرة عشرة آلاف درهم فقال ياسيدى والله ما امتد أملى الى عشر ماذكرت ولكن هذا من فضلك المعروف وجودك المشهور فامر عبد الله باخراج المال حتى صار بين يدى الرجل وقبضه وقال للجارية ادخلى الحجاب فقال سيدها أعزك الله لو أذنت لى فى وداعها قال نعم فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان

أبوح بحزن من فراقك موجع * أقاسى به ليلا يطيل تفكرى
ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن يعمر

فقال عبد الله بن يعمر قد شئت ذلك فخذ بيد جاريتك وبارك الله لك فى المال فذهب بجاريته والمال وعاد غنيا * ومن الاجواد من غير من ذكر أبو مرثد مدحه بعض الشعراء فقال والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى الى القاضى وادع على بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها فتحبسنى على دينك فان أهلى لا يتركونى محبوسا ففعل فلم يمس حتى دفع اليه المال وكذلك كان عبد الله بن جدعان لما كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه من التصرف لفرط جوده فكان اذا أتاه الرجل يستعطيه يقول له ادن منى فاذا دنا منه لطمه وقال اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى فكانت بنو تيم ترضيه من ماله * ومن الاجواد أيضا من غير من ذكر عبد الله بن طاهر رضى الله عنه حدث بعض قواده انه فرق فى مقام بخراسان ألف ألف دينار ومنهم عبد الله ابن المبارك رضى الله عنه كان يفرق ماله على اخوانه ويؤثرهم بأرباحه ويلبس ثوبا بثلث دينار ويعطى صاحب الحمام دينارا والحجام دينارا ومنهم الفضل بن يحيى رضى الله عنه ذكر أنه جاءه رجل فذكر أن بينهما نسبا فقال وما هو قال جوار قريب واسمى مشتق من اسمك وولادتى تقرب من ولادتك فقال له أما الجوار فممكن وقد يوافق الاسم الاسم فما أعلمك بالولادة فقال أخبرتنى أمى أنها لما ولدتنى قيل لها قد ولد الليلة ليحيى ولد وسمى الفضل فسمتنى أمى فضيلا اكبارا لاسمك فتبسم الفضل وقال له كم لك من السنين قال خمس وثلاثون قال هو المقدار وأمر له

بألف لكل سنة * ومن الاجواد عروة بن الورد الذى يقول

أنهزأمنى أن سمنت وقد رثى * بجسمى مس الحق والحق جاهد
فانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

كان عبد الله بن مروان يقول من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد وما يسرنى ان أحدا من العرب ولدنى الا عروة بن الورد لقوله هذه الابيات ومثله الذى يقول

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له * أكيلا فانى لست آكله وحدى
قصيا كريما أو قريبا فاننى * أخاف مذمات الحديث لمن بعدى
وانى لعبد الضيف مازال نازلا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وكان يسمى عروة الصعاليك لانه كان يجمع الفقراء فى حظيرة ويرزقهم مما يغنمه * ومنهم الحكم بن حنطب وحنطب جده وهو الحكم بن المطلب بن عبد الله ابن المطلب بن حنطب وكان المطلب بن حنطب ممن أسر يوم بدر والحكم هذا كريم أهل زمانه وأسخاهم وتزهد فى آخر عمره ومات بمنبج وفيه يقول الراعى يرثيه

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا * فقلت انهما ماتا مع الحكم
ماتا مع الرجل الموفى بذمته * قبل السؤال اذا الميوف بالذمم

حكاية طريفة

ذكر الدارقطنى فى موته حكاية طريفة قال حميد بن معروف حضرت وفاة الحكم فأصابه من الموت شدة فقال قائل فى البيت اللهم هون عليه الموت فقد كان وقد كان يثنى عليه فأفاق الحكم فقال من المتكلم فقال الرجل أنا فقال الحكم يقول لك ملك الموت أنا بكل سخى رفيق ثم كأنما كانت قبيلة فطفئت فمن جوده أنه سأله اعرابى فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابى فقال ما يبكيك يا أعرابى لعلك استقللت ما أعطيتك قال لا والله ولكنى أبكى لما تأكل الارض منك وقيل لنصيب بن رباح خرف شعرك يا أبا محجن قال لا والله ولكن خرف الكرام لقد رأيتنى وقد مدحت الحكم بن حنطب فأعطانى ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة وروى القتيبى قال أخبرنا رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم ابن حنطب وهو مملق فأغنانا قلت له وكيف أغناكم وهو مملق قال علمنا المكارم

فعاد غنينا على فقيرنا وكان الليث بن سعد يستغل كل سنة خمسين ألف دينار وكان قد أمر لمالك بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الرشيد فشنع عليه وعابه فقال استحييت أن أنقصه عن غلة يوم وما وجبت عليه زكاة قط هكذا قرأته على الحافظ بالاسكندرية رحمه الله ورأيت في موضع آخر انه كان يستغل كل يوم ألف دينار ووصل مالك بن أنس بألف دينار وكان أبو شريح الخزاعي من عقلاء أهل المدينة وقال اذا رأيتموني أبلغ من أنكحته أو أنكحت اليه الى السلطان فاعلموا أني مجنون فاكووني وان رأيتموني أمنع جاري ان يضع خشبة في حائطي فاعلموا أني مجنون فاكووني ومن وجد لأبي شريح سمنا أو لبنا أو جذابة فهو له حل فليأكله وليشربه ويروى ان عبد الله بن عتبة باع غلة بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك قال انما أجعل هذا المال عند الله وأجعل الله ذخرا لولدي ثم أمر فقسم المال كله في أهل الحاجة * ونوع من هذا ما صنع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يروى ان سلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي توفي فيه فقال له يا أمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عالة ولا بد لهم من شيء يصلحهم فلو أوصيت بهم من أهل بيتك من يكفيك مؤونتهم فقال عمر أجلسوني فأجلسوه فقال له يا سلمة أما ما ذكرت أني فطمت أفواه ولدي من هذا المال وتركتهم عالة فاني لم أمنعهم حقا هو لهم ولم أعطهم حقا هو لغيرهم وأما ما سألت من الوصاة بهم فان وصيتي بهم الى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين انما بنو عمر أحد رجلين رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ورزقه من حيث لا يحتسب أو رجل عنده فجور فلا يكون عمر أول من أعانه على المعصية ثم دعا عمر بنيه وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد فيهم بصره ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم ثم قال يا بني اني تركتكم من الله بخير انكم لا تمرون بمسلم ولا معاهد الا واكم عليه حق واجب ان شاء الله يا بني اني نظرت بين أن تفتقروا في الدنيا وبين ان يدخل أبوكم النار فكان ان تفتقروا خيرا لمن دخول أبيكم النار يا بني عصمكم الله ورزقكم الله قالوا فما احتاج أحد من ولده ولا افتقر الى آخر الدهر وفي رواية انه قال لهم عصمكم الله من الشيطان الرجيم فلما ولوا قال بنفسي الفتية الذين تركتهم عيالا لا شيء لهم * ومنهم يزيد بن المهلب كان هشام بن حسان اذا ذكره قال والله ان كانت

السفن لتجرى فى جوده قيل ليزيد بن المهلب مالك لا تبنى قال منزلى دار الامارة أو الحبس ودخل عليه الفرزدق فى السجن فأنشده

أصبح فى قيدك السماحة والجد ... د وفك العناق والأغلال

فقال له أتمدحنى وأنا فى هذه الحالة فقال أصبتك رخيصا فاشتريتك فأمر له بعشرة آلاف ومنهم يزيد بن حاتم الذى يقول فيه الشاعر

شتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والأغر بن حاتم

فهم الفتى الأزدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

وبعد هذا * فلا يحسب التمتام انى هجوته * البيت وقد تقدم وكتب الى يزيد بن حاتم هذا بعض أصحابه يستوصله فبعث اليه بثلاثين ألفا وكتب اليه أما بعد فانى قد بعثت اليك بثلاثين ألفا لا أكثرها امتنانا ولا أقللها تحقرا ولا أستتنيك عليها ثناء ولا أقطع لك بها رجاء والسلام * ومنهم خالد بن عبد الله القسرى بينما هو جالس فى مظلمته اذ نظر الى اعرابى يخب به بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم فلا تحجبه فلما قدم أدخله الحاجب عليه فسلم وأنشأ يقول

أصلحك الله قل مالى يدى * فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهر ألقى بكلكله * فأرسلونى اليك وانتظروا

فقال خالد أرسلوك الى وانتظروا والله لا تنزل حتى تنصرف اليهم بما يسرهم وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة * ومنهم عدى بن حاتم دخل عليه ابن دارة فقال له انى امتدحتك فقال له أمسك حتى آتيك بمالى ثم امدحنى على حسبه فانى أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول لى ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى حبيس فى سبيل الله فامدحنى على حسب ما أخبرتك فقال

وأبقى الليالى من عدى بن حاتم * حسانا كنصل السيف سل من الخلل

الخلل جمع خلة بالكسر وهى جفن السيف

أبوك جواد لا يشق غباره * وأنت جواد لست تعذر بالعلل

فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

فقال له عدى أمسك لا يبلغ مالى أكثر من هذا * ومنهم معن بن زائدة الذى كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج أتاه رجل يستحمله فقال يا غلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هؤلاء لأعطيتك وحدثنى بعض الطلبة ونحن على ظهر مركب فى النيل

قف على سياحة المؤلف الى الصعيد

طالعين الى قوص سنة احدى وخمسين وستمائة قال يذكر أن اعرابيا دخل على معن يوم قعوده للناس فأنشده

أتذكر اذ لحافك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

قال له معن أذكر ذلك ولا أنساه يا أخا العرب فقال له

فسبحان الذى أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

فقال له معن سبحانه لا اله الا هو فقال له

فلست مسلما ما دمت حيا * عليك ولو لحونى بالامير

فقال له معن ذلك اليك ان شئت أن تسلم والا فلا تسلم فقال له

ولا أسكن بلادا أنت فيها * ولو نلت الشآم مع الثغور

فقال له معن ذلك اليك ان شئت أن تقيم وان شئت فارحل فقال له

فجد لى يا ابن ناقصة بشئ * فانى قد عزمت على المسير

فقال معن لخادمه يا غلام ادفع اليه ألف دينار فقال له الاعرابى

قليل ما منحت به فانى * لأطمع منك فى الشئ الكثير

فقال معن يا غلام ادفع له ألفا أخرى فقال

فثلث اذ ملكت الملك رزقا * بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بألف فكان الاعرابى استحيا فقال

فأنت المرء ليس له كفاء * ومن جدواه كالبحر الكبير

قال معن قد أعطيناه على هجونا ثلاثة آلاف فأعطه على مدحنا ثلاثة آلاف فأخذ الاعرابى ستة آلاف وانصرف * تقدّم ذكر عمر ومزيقيا وهو الذى خرج من اليمن بسيل العرم ومزيقيا لقب له وكان أبوه عامر بن حارثة الازدى من الاجواد أيضا وكان يلقب ماء السماء لانه كان اذا أجدب قومه مانهم حتى يأتيهم الغيث فقالوا ماء السماء لانه خلف منه وقيل لولده بنو ماء السماء وقد قال بعض الانصار فى شعر له يفخر بذلك

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدى * أبوه عامر ماء السماء

وجاء فى الحديث فى شأن هاجر فتلكم أمكم يا بنى ماء السماء وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الاحوص

ما من مصيبة نكبة أرمى بها * الا تشرفنى وترفع شانى

واذا سألت عن الكرام فاننى * كالشمس لا تخفى بكل مكان

وقال

وقال غيره

وقد شاع ذكرى فى البلاد فمن لهم * باخفاء شمس ضوءها متكامل

ومن الاجواد غير من ذكرا الجنيد الذى يقول فيه أبو جويرية

ذهب الجود والجنيد جميعا * فعلى الجود والجنيد السلام

أصبحا ثاويين فى بطن قبر * ما تغنى على الغصون الحمام

وقد احتجت أنا الى هذا المعنى فى حديث جرى فقلت فى قصيد مطوّل

صدق الشاعر المجيد الذى قا * ل يبكى خليله وصفيه

ذهب الجود والجنيد جميعا * فعلى الجود والجنيد التحيه

والشعر بكماله والحكاية بكمالها مذكورة فى التكميل والشئ يعرف بضدّه

وقال أبو على البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

ولكنّ البلاد اذا اقشعرت * وصوّح نبتها رعى الهشيم

ومما قلته فى الكرام

ذكرت الكرام ومامنهم * أنا غير أنى أحب الكرام

وانى أروم لحاقا بهم * فغيرى ذا الدمع الملك رام

فنال مناه وكم رمية * قد اردت وما جالب الهلك رام

ودونك شعرا قوافيه طرّا * ثلاث مرار الكرام الكرام

وها أنا أرجع من بعد ذا * بعون الاله لباقى الكلام

أذكرتنى هذه القافيه شعرا قلته فى أحد الاصحاب

أيا عبد الله أنت الوفى * وعن مثلك الخلف قد ينتفى

وعدت بوعد فهل لك يا * خليلى بما قلته أن تفى

وانى أحبك مهما وفيت * فهل تشتهى أنت فى أن تفى

وقافيه ان تأملتها * تجد ينبغى ان تفى ان تفى

وذلك فأل وحاشا لك أن * تكون كذا لك ولكن تفى

مبحث الصبر

واذا اجتمع الى الكريم الصدق والحلم وانضاف اليهما الصبر والعلم فقد تمت خصاله وتناهى كماله ويدخل تحت الصبر الشجاعه وما يحتاج اليه فى جميع أعمال الطاعه لان الطاعة عمل والصبر عليها بالمداومة عمل آخر وكفى بالصبر شرفا قول

النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الايمان فقال الصبر وفي حديث آخر قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وان يفترقا والصبر صبران صبر على الطاعة كما تقدم وصبر عن المعصية وجاء في الخبر الصبر على ثلاثة أوجه صبر على المصيبة وصبر على ما أمر الله به وصبر عما نهى الله عنه فمن صبر على المصيبة كان له بذلك ثلثمائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء الى الارض ومن صبر على ما أمر الله به كان له بذلك ستمائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء الى الثرى ومن صبر عما نهى الله عنه كان له بذلك تسعمائة درجة مابين كل درجتين كما بين العرش الى الارض السفلى ومما قيل في الصبر

وانى اذا الم ألزم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

وفوق الصبر درجة أعلى منه وهو الرضاء بالقضاء فمن رضي رضي الله عنه وكذا جاء في الحديث فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ولا تصدر هذه الأخلاق الا عن الكرماء الحلماء وأشجع الناس وأقواهم من ردّ غضبه بحلمه وقال عليه الصلاة والسلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب

الصرعة بوزن همزة من يصرع الناس

وقال علي رضي الله عنه الخير الذي لا شرّ فيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة وكم من منعم عليه غير شاكر ومبتلى غير صابر * ومن أمثالهم الحلم مطية وطيئة ويروى عن علي رضي الله عنه انه قال لرجل ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك وقال أيضا رضي الله عنه الحلم لا يظهر الا عند الغضب فمن أغضب ولم يحلم فليس بحليم وقال الشاعر

ليست الأحلام في حال الرضى * انما الأحلام في حال الغضب

يروى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أسمعه رجل كلاما محرجا فقال له عمر أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تنال مني غدا انصرف يرحمك الله وقال بعض العلماء اذا لم تكن حليما فتحلم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن تحر الخير يعطه ومن توق الشر يوقه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقري رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فاذا برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له هذا ابنك قتله أخوك هذا فوالله ما قطع كلامه ولا حل حبوته حتى فرغ من حديثه وأنشأ يقول

أقول للنفس تأنيسا وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ثم التفت الى أخيه وقال له يا أخى أنت رميت نفسك بسهمك وقتلت ابن أخيك ثم قال لابن له آخر قم يا بنى فوار أخاك وحل كتاف عمك واحمل الى أمك مائة ناقة دية عن ابنها فانها غريبة منا * ونوع من هذا يحكى عن صلة بن أشيم انه دخل عليه رجل وبين يديه طعام فنحى اليه أخاه فقال له هلم فتعجب الرجل وقال هل سبقنى اليك بنعيه أحد قال نعم قول الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وكل نفس ذائقة الموت وكان الاحنف يقول ما نازعنى أحد قط الا أخذت عليه فى أمرى باحدى ثلاث خصال ان كان فوقى عرفت قدره وان كان دونى أكرمت نفسى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه وقيل للاحنف من أحلم أنت أو معاوية فقال معاوية قدر فحلم وأنا أحلم ولا أقدر فكيف أقاس به وجعل لرجل ألف درهم على أن يسفه الاحنف فمال منه والاحنف عنه معرض فلما رآه لا يرد عليه أقبل يعض أنامله ويقول واسوأتاه والله ما يمنعه من جوابى الا هوانى عليه وفى مثل هذا أنشدوا

أسمعنى عبد بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له * ومن يعض الكلب ان عضا

ولى فى هذا المعنى وسمعت رجلا ينشد

اذا نطق السفيه فلا تجبه * ودعه فالسكوت له جواب
أيحمل باللبيب يعض كلبا * اذا ما عضه ماذا صواب

وقالوا فى هذا المعنى لا تعاقب شاتمك فما يعاقب الاحمق بمثل السكوت وأنشدوا

وما شئ أحب الى سفيه * اذا سب الكريم من الجواب
متاركة السفيه بلا جواب * أشد على السفيه من السباب

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ما يرى الحليم من بركة حلمه ان الناس كلهم أعوانه على الجاهل وقال أبو سليمان الدارانى أحضر الناس جوابا من لا يغضب * وشتم بعض السفهاء المهلب فلم يلتفت اليه فظن أنه لم يسمعه فقال ايالك أعنى فقال له المهلب وعنك أعرض وينشد فى مثل هذا

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فأجوز ثم أقول لا يعنينى

ووقع بين أبى مسلم وبين بعض أصحابه كلام فأغلظ له فيه فأطرق أبو مسلم فلما

سكنت فورة الغضب عن الرجل ندم وعلم أنه قد أخطأ فقال له أيها الامير والله ما انبسطت حتى بسطتنى ولا نطقت حتى استنطقتنى فاغفر لى قال قد فعلت قال انى أحب ان استوثق لنفسى فقال أبو مسلم سبحان الله كنت تسىء فأحسن فحين أحسنت أسىء وما أحسن قول الشاعر فى ذلك

فلم يرمنى ضعفة متشدد * ولم يرمنى شدة متلين

وقال رجل للاحنف ان قلت لى كلمة لتسمعن منى عشرا فقال له الاحنف لكنك لو قلت لى عشرا لم تسمع منى واحدة وقال عيسى عليه السلام احتملوا من السفيه كلمة تربحوا عشرا وقال رجل لابى بكر الصديق رضى الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال معك والله يدخل لا معى وقال رجل لاخيه انى مررت بفلان وهو ينال منك ويذكر أشياء رحمتك منها قال فهل سمعتنى أذكره بشىء قال لا قال فاياه فارحم وقال مساور الوراق

انى وهبت لظالمى ظلمى * وغفرت ذا لله على علم
مازال يظلمنى وأرحمه * حتى رثيت له من الظلم

وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف فضله * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان قال أوهفا * تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم

ومر عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من خاف الله تعالى لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال أبو الدرداء رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب وقال عليه الصلاة والسلام لرجل سأله أن يعلمه كلمات يعيش بهن وقال له الرجل لا تكثر على فأنسى فقال له لا تغضب * وقال بعض الحكماء الغضب يفسد الايمان كما يفسد العسل الصبر وشتم رجل الشعبى فقال له الشعبى ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك ومن

منثور الحكم اذا أردت أن تحتمل المكارم فاحتمل المكاره وشتم رجل يوما الحسن رضى الله عنه فبالغ فى شتمه فقال له الحسن أما أنت فلم تبق شيئا ومايعلم الله أكثر وكذلك قال الاحنف لمن سبه الذى ستر الله علينا أكثر مما قلت وكان معاوية رضى الله عنه يقول لو كانت بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت قيل وكيف قال اذا جبذوها أرسلتها واذا أرسلوها جبذتها وقال انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وقسم يوما قطفا فأعطى شيخا منها قطيفة فلم يرضها وأقسم أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه واخبره بقسمه فقال له معاوية أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ * الشيخ يقع على الكبير السن وكذلك الشيخة فى المرأة المسنة ويقع على الثيب من قوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ويقال الشيخ أيضا للرجل العالم وان لم يكن مسنا وكذلك الرجل العظيم القدر ولى من قطعة

يناديني ياشيخ لا عن كرامة * كما قد ينادى الناس أهل المراتب

يقال شاخ الرجل يشيخ شيخا وشيخوخة وشيخته دعوته شيخا للتعظيم والتبجيل وجمع الشيخ شيوخ وأشياخ وشيخة ومشيخة وشيخان ومشايخ ولى من قطعة عددها عشرة أبيات كل أحرفها منقوطة فيها ذكر الشيخ

تخضب شيبة تخضيب غش * شيخ نبذت نبذ شخص ضنين

وقبله خشيت تجنبى فخضبت شيبى * فغمتنى ببيت يقتضينى

تخضب البيت أنظرها فى التكميل مع أخرى * شيوخ ليس مثلهم شيوخا * وكيف أجيز هذا القسم بالمدح تارة وبالذم أخرى مع قسم آخر تشيخوا قبل أن تشيخوا وقال معاوية رضى الله عنه انى لأجد للعفو عن الذنب العظيم لذة وأريحية ما أجد لها الشئ من لذات الدنيا وطاف يوما بالكعبة فزحم جنده السائب بن صيفى فسقط فوقف عليه معاوية وهو يومئذ خليفة فقال ارفعوا الشيخ فلما قام قال ماهذا يامعاوية تصرعوننا حول البيت أما والله لقد أردت أن أتزوج بأمك فقال معاوية ليتك فعلت فجاءت بمثل أبى السائب يعنى عبد الله بن السائب وقال له أبو مسلم الخولانى يوما وكان قد حبس العطاء عن الناس شهرين أو ثلاثة يامعاوية ان هذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك فأشار معاوية الى الناس ان امكثوا ثم دخل فاغتسل ثم رجع فقال أيها الناس ان أبا مسلم قد ذكر ان هذا المال ليس بمالى

ولا مال أبى وصدق أبو مسلم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان من النار والماء يطفئ النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل أغدوا على عطاياكم على بركة الله * ومن جوده وحلمه رضى الله عنه انه بعث عامل من عماله اليه بأحمال فعرت الابل على الحسين بن على رضى الله عنهما فأخذ منها عشرة أحمال فعزلها وقال هذا حقى وبقى لى أكثر منه فلما بلغ ذلك معاوية كتب اليه

ياحسين بن على ذا الأمل * لك عندى وثبة لا تحتمل
ليس بعدى لك من يحملها * ليس بعد المال والوثب عمل
انما أحذر أن تبلى بمن * عذره قد سبق السيف العذل

وهذا المثل أول من قاله خزيم بن نوفل الهمدانى فى خبر طويل ذكره البكرى أذكر معناه مختصرا قاله لسعيد بن النعمان كان له اخوان فأراد تجربتهم فعمد الى كبش فذبحه ثم أضجعه فى قبته وغشاه بثوب ثم دعا أحد اخوانه وكان أوثقهم به فى نفسه فقال يا أبا فلان انى قتلت فلانا فما عندك قال وما تريد قال أن تعينى عليه حتى أخفيه قال لست لك بصاحب وفعل ذلك مع ابن نوفل المذكور فقال له لهان ما فزعت فيه الى أخيك وحضر ذلك عبد لسعيد فقال له هل الطلع على هذا غير عبدك هذا قال لا فأهوى خزيم الى العبد بالسيف فقتله وقال ليس عبد بأخ لك فقال سعيد ما صنعت انما أردت تجربتك فقال خزيم سبق السيف العذل انتهى كلامه * وأما الذى ذكر أبو عبيد رحمه الله بأن قائل ذلك ضبة بن أد كان له ابنان سعد وسعيد فخرجا فى طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ضبة كلما رأى شخصا مقبلا قال أسعدام سعيد فذهبت كلمته هذه مثلا وقد تقدم ذلك قبل فصل الحروف بيسير وجعل لرجل ألف درهم على ان يسأل عمرو بن العاص وهو على المنبر من أمه فسأله فقال له أمى سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بنى عذرة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان منه ثم صارت الى العاص فولدت فأنجبت فان كان جعل لك شئ فخذه * وقال بعض العلماء ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان حلم يردّه جهل الجاهل وورع يكفه عن المحارم وخلق حسن يداري به الناس * وقال الحسن رضى الله عنه من كان فيه أربع خلال حرمه الله على النار وأعاذه من الشيطان الرجيم من يملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب ويروى انه جرى بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين أخيه

محمد بن الحنفية رضى الله عن جميعهم كلام فافترقا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله كتب الى الحسين رضى الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن على بن أبى طالب الى الحسين بن على بن أبى طالب أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه أبونا على لا أفضلك فيه ولا تفضلنى وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان ملء الارض نساء مثل أمى ماوافين بأمك فاذا قرأت رقعتى فالبس رداءك ونعليك وتعال فترضنى واياك ان أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه فترضاه رضى الله عنهما وعمن اقتدى بهما * ومما يتعلق بهذا الباب العفو عن الجانى لاسيما مع المقدرة عليه كما يروى عن على رضى الله عنه اذا قدرت على عدوك فاجعل عفوك عنه شكرا للمقدرة عليه ومن أمثالهم فى هذا المعنى لا تشن حسن الظفر بقبيح الانتقام * ويروى عن يحيى بن خالد أن رجلا جفاه فأمر باحضاره وقال له أتعلم انى قادر على اساءتك قال بلى قال فانصرف فانما يمنعنى منك قدرتى عليك ومن أمثال الحكماء الاقتدار يمنع الحر من الانتصار وقيل لبعض الحكماء وكان من أهل المقدرة ان فلانا ينتقصك فلو عاقبته قال ذلك أعذر له فى انتقاصى هذا كله مع تركى اعتذار الخاطئ وأما اذا اعتذر وأقر بالذنب فالعفو عنه فى حكم المروءة واجب أو قريب منه ألم تسمع قول الشاعر

اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

آخر اذا امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

وقال بعضهم العفو عن الذنوب لذة لا يبلغها بذل العليل من الاستقام ويحكى ان المأمون عتب على ابراهيم بن المهدى فلما دخل عليه أنشده

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه

ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

ومثل هذا حكى ابن أبى داود قال ما رأيت رجلا عاين الموت مل عينيه فلا أذهله ولا أشغله عما كان يجب أن يفعله غير تميم بن جميل أتى به الى المعتصم بالله فى جناية جناها فدعا بالسيف والنطع وكان تميم رجلا وسيما يملأ العين فلما رآه المعتصم أراد أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره فقال له يا تميم تكلم وان كان لك عذر فأت به وان

مبحث العفو

كان لك حجة فأدل بها فقال أما وقد أذن أمير المؤمنين فى الكلام فانى أقول وذكر خطبة بليغة يقول فيها بعد كلام حسن * ان الذنب يخرس الألسنة ويصدع الأفئدة وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو أو الانتقام وأرجو أن يكون العفو أقربهما منك وأسرعهما اليك وأولاهما بك وأشبههما بخلائقك ثم أنشأ يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظنى من حيث لا أتلفت
وأكبر ظنى انك اليوم قاتلى * وأى امرئ مما قضى الله يفلت
وأى امرئ يدلى بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن ثعلب موقف * يسل على السيف فيه فأسكت
وماجزعى من أن أموت وانى * لأعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم * وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة * أذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

فضحك المعتصم وقال كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد وهبتك للصبية وعفوت عن الهفوة وخلع عليه وعقد له على شاطئ الفرات وأحسن وأجمل السيرة ومثل قول تميم * وماجزعى من أن أموت وانى * قول الدراج الضبابى

فلا السجن أبكانى ولا القيد شفنى * ولا اننى من خشية الموت أجزع
بلى ان قوما قد أخاف عليهم * اذا مت ان يعطوا الذى كنت أمنع

ذكر البيتين ثابت فى الدلائل وساق عليهما حكاية شريفة حدث عن بعض القرشيين انه قال لما قدم علينا عبد الرحمن بن الضحاك واليا بالمدينة اجتمع اليه القرشيون فقال يامعشر قريش لكم عندى ثلاث لعلى أن أقصر قالوا فما هن قال والله لا يأتينى فيكم خير الا عجلته ولا شر الا أخرته ولا أطلع على سر منكم من وراء حجاب وكان والله على أكثر مما قال ووليناسنتين وبعض أخرى ثم أتاه العزل فاجتمعنا اليه كاجتماعنا له قبل ولايته فاستعبر وانتحبنا حوله فقال أيكم ينشد قول الدراج الضبابى وذكر البيتين ثم قال والله ما بكائى جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية غير انى أخاف

أن يلى هذه الوجوه من لا يرعى لها حقا قلت هذا والله هو الوفاء لا الجفاء وعلى
الناكث العفاء واللفاء ان الحجاج على ما كان عليه من قلة الحياء وكثرة سفك الدماء
قد كان ينفع عنده الصدق أحيانا فيعقب الاساءة احسانا قال المدائنى حبس
الحجاج رجلا فى مائة ألف فأخذ فأتى به اليه فقال لقتيبة احتفظ به ليلتك ثم بكر به علىّ
فانصرف به قتيبة الى منزله فأحضر له العشاء فامتنع منه فقال له قتيبة مالك لا تتعشى
قال للذى فى صدرى أصلحك الله من البلبال والذى أشفيت عليه من الهلكة وان
أخالى هلك وأوصى الىّ فلست آمن على تركته الضياع وأنا محتاج الى ان أوصى فيها
قال له قتيبة لو كان لك من يضمنك لتركتك تأتى منزلك وتحكم أمرك قال الله كفيلى
قال قتيبة كفى بالله كفيلا انطلق فانطلق الرجل وخشى قتيبة أن يؤخذ به فجعل
لا يقار ليله حتى أصبح فأتاه الرجل مصبحا فقال له قتيبة ما الذى خلفك الى هذا
الوقت قال التجهز للموت أخرنى فركب قتيبة الى الحجاج وانطلق به معه فلما رآه الحجاج
قال أين صاحبك قال قد جئت به أيها الامير وأخبره خبره فقال له الحجاج فانى قد
وهبته لك فخرج اليه قتيبة فقال له ان الامير قد وهبك لى وقد وهبتك لله عز وجل
فقال الرجل نعم القادر الله ولم يزد عليها وانطلق الى المسجد فصلى ركعتين ثم أقبل الى
قتيبة فقال له قتيبة أعلمتك انى قد منتك عليك وأعتقتك فلم تشكرنى الشكر الذى يشبه
ما كان منى فقال أحببت ان أبدأ بشكر الله تعالى فأخلصه ولا أشرك به أحدا
فقلت ما سمعت ودخلت المسجد فصليت ركعتين وحمدت أمرك الى الله عز وجل
فكتب قتيبة على خاتمه من يومئذ نعم القادر الله * وشبيه بهذا الخبر ما يحكى ان ملكا
من الملوك كان له يوم بؤس اذا خرج فيه ولقى أحدا على صورة يكرهها حبسه أياما
معلومة ثم أمر بضرب عنقه فخرج يوما من تلك الايام فلقى رجلا غريبا قاصيا لم يكن
عنده علم بشأنه على الصفة التى كان ينكرها فأمر بحبسه وأعلم الرجل بالامر فحمد
الله وسلم للقدر فلما قرب الامر كتب الى الملك يرغبه فى تخلية سبيله ليودع أهله
ويوصى فى ماله فأحضره وقال له هذا أمر لا يكون الا بضامن آخذه بما أطلبك به
فنظر الرجل فى الحاضرين يمينا وشمالا ثم مد يده الى رجل منهم وقال هذا يضمننى
فقال الملك أتضمنه وقد عرفت ما يراد به قال نعم فأمر بحبسه مكانه ونهض المضمون الى
بلده فأوصى فى ماله وودع أهله وانصرف وقد وافق قدومه يوم تمام المدة فلما استأذن
على الملك امر باحضارهما معا وقال للضامن ما حملك على ضمانه والمخاطرة بنفسك

فى شأنه ولو تأخر ساعة لسبق السيف العذل قال له أيها الملك ما رأيت وقد وثق بى ان أخالف ظنه فى فرجع الى المضمون وقال له ما حملك بعد تخلصك على المجىء وقد علمت المراد بك قال له لم يكن يحمل بى ان أراه بمكان الثقة فيرانى بمكان الغدر فعجب من وفائهما جميعا وعفا عنهما ورفع بؤس ذلك اليوم فلم يقصده بعد * وكان يذكر أن ربعى بن خراش رضى الله عنه لم يكذب قط فأقبل ابناه من خراسان وكان الحجاج يجد فى طلبهما فأعلمه بعض العرفاء بوصولهما فبعث الحجاج الى ربعى ليختبر حقيقة ما وصف به فلما جاءه قال له أيها الشيخ قال له ما تريد قال له ما فعل ابناك قال الله المستعان هما فى البيت قال الحجاج لاجرم والله لا أسوءك فيهما أبدا هما لك ورب ربعى هذا هو الذى آلى أن لا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أم فى النار قال الحارث الغنوى وهو الذى روى هذا الحديث عنه فلقد أخبرنى غاسله عنه انه لم يزل متبسما على سريره وهو يغسله حتى فرغنا منه وكذلك كان أخوه ربيع بن خراش آلى أيضا أن لا تفتر أسنانه ضاحكا حتى يعلم أين مصيره قال فما ضحك الا بعد موته وكان لهما أخ تكلم بعد موته بكلام حسن فيه رجاء وخير والحمد لله * ذكر هذه الاخبار الامام أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى الدنيا فى كتاب الآيات ومن تكلم بعد الموت والكتاب قرأته على أبى الحسن على بن مؤمن القرطبى لقيته بمكة شرفها الله تعالى وقرأت عليه وأجازنى رضى الله عنه أذكرنى حديث ربعى رضى الله عنه قول الله تعالى وكان أبوهما صالحا انظر كيف أنجى الله الابنين بصلاح أبيهما ولم يسؤه فيهما وقد كان حصلا من الاسد فى شدقه فخلصهما الله بصدقه اذا فلا سلاح أحسن من الصلاح ولا جنة أوقى من التقى وانظر ماذا حصل لذلك النمام من الآثام ولم ينل فى غمه سوى ان شرق بهمه وغرق فى يمه ولم يثبت به فى قلب من سمعه من المحبة وزن حبه فقل يا بنى عبد الرحيم لذلك النمام الرجيم

الفلس لست تساوى * اذا عملت المساوى
بل انت للشيخ ابليس فى الفعال المساوى
فاحذر طريق المعاصى * فان فيها مهاوى
وكل من سار فيها * فانه ثم هاوى
وللهوى هوة من * هوى بها فهو تاوى

فاترك رأسا أخى لا * تركن اليه وتاوى
وكن لكل قبيح * معاديا ومناوى
وللجميل وفعل الصلاح ياتهم ناوى

وهذه ابيات لزوميات أضرب بها وجوه القتات ويكفيه المسود الوجه بعد هذا النجه ماقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة قتات ولى فى هذا المعنى الاولى ياصاح ان الله ينفع بالصلاح

عصيت الهى فخفت الدواهى * وخنت ولم أطع الناصحا
فلو كنت برا لما خفت ضرا * ونلت المنى غاديا رائحا
وكان سلاحى صلاحى وكان * يقينى يقينى لردى الفادحا
كذا سنة الله فى الخلق فاقرأ * وأما الجدار الى صالحا
تجد حفظ الابن من أجل صلاح أبيه فأصلح تكن رابحا
ولا حول للعبد فى ذلك الا بمولاه فاهتف به صائحا
الهى لى افتح طريق الصلاح فلاهم ان كنت لى فاتحا

وجاء فى التفسير فى قوله تعالى وكان أبوهما صالحا من قول ابن عباس رضى الله عنهما حفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا * وقال محمد بن المنكدر ان الله ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده و يحفظه فى دويرته والدويرات التى حوله مادام فيهم وقال خيثمة ان الله ليطرد بالرجل الواحد الشيطان من الأدور * وذكر ابن أبى الدنيا فى الكتاب المتقدم وقرأته بسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه قال عدت شابا من الانصار فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب فقال بعضنا لأمه احتسبيه قالت أوقد مات قلنا نعم قالت أحق ماتقولون قلنا نعم فمدت يدها الى الله تعالى وقالت اللهم انى آمنت بك وهاجرت الى رسولك فاذا نزلت بى شدة دعوتك ففرجتها عنى وأسألك اللهم أن لاتحمل على هذه المصيبة اليوم قال فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا * ومما جاء فى النمام فى بعض الآثار أن موسى عليه السلام خرج يستقى ببنى اسرائيل ثلاث مرات فلم يسقوا فقال الهى عبادك فأوحى الله اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك لان فيهم نماما قد أصر على النميمة فقال يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما

قلت والكذاب شر من النمام الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل أيكون المؤمن كذابا قال لا وقيل له أيكون المؤمن بخيلا قال نعم قيل أفيكون جبانا قال نعم وقال فى الكذاب لا وقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال الشاعر

ان النموم أعطى دونه خبرى * وليس لى حيلة فى مفترى الكذب

وقال آخر لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيله

من كان يكذب ما أراد فحيلتى فيه قليلة

ذكر هذه الابيات ثابت رحمه الله وقال قال أبو زيد يقال منه رجل نم من قوم نمين وامرأة نمة من نساء نمات * يروى عن عبد الله بن حسين انه كان يقول لكل تاجر رأس مال ورأس مال صاحب الحديث الصدق وقد تقدم عن النسابة البكرى يصف العلم حيث قال ان للعلم آفة وهجنة ونكدا ثم قال ونكده الكذب فيه وقال ابن المعتز لو تميزت الاشياء لكان الصدق مع الشجاعة والكذب مع الجبن والتعب مع الطمع والراحة مع اليأس والحرمان مع الحرص والذل مع الدين وهذا كلام جامع ولمن استعمله نافع وقال سليمان بن سعد لو صحبت رجلا فقال لى اشترط على خصلة واحدة ولا تزد عليها لقلت له لا تكذب اقتدى هذا بقول النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى جاءه وأسلم وقال له انى أستسر بخلال قال وما هى قال الزنا والكذب والسرقة وشرب الخمر فأيتهن تحب أن أدعها لك سرا تركتها قال له دع الكذب فلما خرج من عنده هم بالزنا ثم قال يسألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت كذبت ونقضت عهده وان أقررت لزمنى الحد فتركه وقال مثل ذلك فى السرقة وشرب الخمر فترك جميعها ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد تركتها أجمع يا رسول الله * وقال أبو حنيفة لرجل وسمعه يقول ما كذبت كذبة قط فقال ابو حنيفة أما هذه فواحدة أشهد بها عليك * وقال الاصمعى لرجل كذاب أصدقت قط قال أكره ان أقول لا فأصدق وفى الصحيح ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان * ويروى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعد رجلا من قريش أن يزوجه ابنته فلما كان عند موته أرسل اليه وزوجه وقال كرهت ان ألقى الله بثالث النفاق والكذب كله حرام وقبيح ومنتن مفضح وهو فى اللسان

لا فى القلب

لا فى القلب ومن قبحه وفضيحته ان اللسان يكذب فيكذبه القلب * وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول الكذب فجور والنميمة سحر فمن كذب فقد فجر ومن نم فقد سحر وقال النبى عليه الصلاة والسلام اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاءه ولم يرخص فى شئ منه الا فى ثلاثة مواطن عند الحرب فانها خدعة والرجل يصلح بين اثنين فيقول خيرا ويعنى خيرا والرجل يرضى امرأته وفى هذا كله لا يقصد الكذب المحض ولكنه يورى * وقد جاء ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ومعنى مندوحة أى سعة وفسحة يقال ندحت الشئ ندحا وسعته يعنى ان الرجل يتسع فى المعاريض عن الكذب اذا اضطر الى ذلك والمعاريض ما اذا اضطر الانسان اليه ورى بغيره وعرض بسواه والتورية مثل ما جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوة ورى بغيرها وهذه مكيدة من مكايد الحرب وحيلة والحرب خدعة مثال ذلك ان يريد غزوة الشرق مثلا فيسأل فى الظاهر عن طريق الغرب وكيف السفر فى تلك الجهة وكيف الماء وعن أشياء من هذا النوع حتى يشيع فى الناس انه يريد ذلك الوجه المخالف لمقصوده فتذهب بذلك الجواسيس فتأمن أهل الجهة التى يريد أن يقصدها فيلقى أهلها وهم قارون مطمئنون فيأخذهم بغتة وهذا ضرب من السياسة مستحسن عند أهل الرياسة وبقى هنا شئ وهو اذا كان مصلحة العسكر فى افشاء السر اما لبعد الطريق واما لكثرة العدو فلا يسعه الا اظهار الوجه الذى يقصده كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وكما جاء فى الحديث قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها فلما أراد غزو الروم ورى بتبوك واستقبل مفازات وسفرا بعيدا وغزو عدد كثير جلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك صلى الله عليه وسلم يروى عن ابراهيم ان رجلا أتاه فقال له انى اعترضت على دابة وانها نفقت ولست أعطى عطائى الا ان أحلف انها الدابة التى اعترضت عليها فقال ابراهيم اذهب فخذ دابة فاعترض عليها بجسدك ثم احلف انها الدابة التى اعترضت عليها وأنت تعنى اعتراضك بجسدك خرجه أبو عبيد رحمه الله وكما يروى ان أحد الفضلاء اضطره بعض الملوك الى أكل طعامه وكان لا يرضاه فقال له أصلحك الله الصائم لا يأكل صدق فى قوله وأخفى فطره فيه وكان بعضهم يقول لاهله اذا طلبت فى الدار فقولوا الطلبه فى المسجد ورب ما قيل لبعض الناس هل عندكم نار فيقول له مر للفرن

ولا يكذب وكان رجل له امرأتان فقالت له احداهما بحضرة الاخرى من تحب منا أكثر فقال لا أقول لكما الآن شيئا ثم اشترى رأسا وأكله مع احداهما وقال لها لا تعلمي بذلك ضرتك وفعل مع الأخرى مثل ذلك فلما اجتمعوا بعد ذلك قالت احداهما المقالة الاولى لمن تحب أكثر فقال للتي أكل معها الرأس فسكتت كل واحدة منهما وقالت في نفسها أنا وقد صنع مثل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه انه اجتمع عنده أزواجه ذات يوم وقلن يا رسول الله أينا أحب اليك فوعدهن الغداة ثم أعطى لكل واحدة منهن خاتما من غير أن يعلم غيرها ثم قال لهن بالغداة اجتمعن فلما اجتمعن قال صاحبة الخاتم أحب الي ويروى عن شريح انه دخل على زياد في مرضه فلما خرج من عنده قيل له كيف تركت الامير قال تركته يأمر وينهى فذكر ذلك لمسروق فقال ان شريحا صاحب تعريض فاسألوه ما معناه فسئل قال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء

(فصل في السعاية وقلة الرعاية) سعى بعض الناس الى بعض الولاة برجل فقال له من حدثك بذلك قال الثقة قال ان الثقة لا يبلغ وقال الشاعر

اذا الواشي سعى يوما صديقا * فلا تدع الصديق لقول واشي

أتى رجل الوليد بن عبد الملك وهو على دمشق لأبيه فقال للامير عندي نصيحة فقال ان كانت لنا فأظهرها وان كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها قال جارلي عصى من بعثته قال أما أنت فتخبر انك جار سوء فان شئت أرسلنا معك فان كنت صادقا أقضينا لك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركك قال بلى تاركني قال قد فعلت * وسأل رجل عبد الملك بن مروان الحلوة فقال لاصحابه اذا شئتم فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك على رسلك ايالك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك أو تكذبني فانه لا رأي للكذوب أو تسعى بأحد الي وان شئت أقلتك قال أقلني قال قد فعلت * ووشى واش برجل الى الاسكندر فقال له أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل منه ما قال فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر وقال ذو الرياستين قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبل وأجاز فامقت الساعي على سعايته وان كان صادقا للؤمه في هتك العورة واضاعة الحرمة مبارزة لله عز وجل بقول البهتان والزور وقال بعض المحدثين

لعمرك ما سب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

تقدّم من قول عبد الملك رحمه الله اذا شئتم وتلك علامة كانت بينه وبين أصحابه اذا أراد أن يقوموا عنه وكذلك قال أصحاب معاوية لمعاوية انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فكان يريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك فقال علامة ذلك أن أقول اذا شئتم وقيل ذلك ليزيد فقال اذا قلت على بركة الله وقيل ذلك لآخر فقال اذا ألقيت الخيزرانة من يدى * رجع الكلام الى ذكر الحجاج

خرجت من ذكر سفالك لأفالك * ومنهما لنموم بالبرى شاكى
بالله أيهم شر الثلاثة قل * هم سواسية مافيهم زاكى
لكنّ نفسى للحجاج قالية * لانه شر قتال وفتاك
لولم يكن غير قتل ابن الزبير كفى * وبعده ابن جبير الخاشع الباكى
الى ألوف سوى هذين حكم فى * رقابهم كل ماض الحدّ بتاك
جورا وظلما وعدوانا بكل فتى * برّ تقىّ زكى غير شكاك
لكننى لا أقول النار منزله * فالله يغفر كلا غير الاشراك

اتفق العلماء على تفسيقه واختلفوا فى تكفيره وذكروا له قبائح يشنع ذكرها فمن جراءته وظلمه ماخرج ابن قتيبة انه خطب يوما فقال فى خطبته سوطى سيفى ونجاده فى عنقى وقائمه فى يدى وذبابه قلادة لمن اغتر بى فقال الحسن بؤسا لهذا أما أغرّه بالله وحلف رجل بالطلاق ان الحجاج فى النار ثم أتى امرأته فمنعته نفسها فأتى ابن شبرمة يستفتيه فقال يا ابن أخى امض فكن مع أهلك فان الحجاج ان لم يكن فى النار لم يضرك أن تزنى وان كان فى النار برّت يمينك وهذا القول لا يغتر به وليس عليه العمل لانه أمر غيب وقد صرح ابن شبرمة ان الرجل على هذه الحالة زان لقوله لم يضرك أن تزنى والله أعلم بمذهبه وأخبار الحجاج كثيرة مروية وانما أردت أن لا أخلى هذا الكتاب من فائدة ويقال آخر ما قال الحجاج اللهم اغفر لى فان هؤلاء يزعمون انك لا تفعل * تقدّم فى البيت ذكر ابن الزبير وهو أبو خبيب ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه أسماء بنت أبى بكر الصدّيق رضوان الله عليه وهو أوّل مولود ولد فى الاسلام وقيل أوّل مولود ولد فى الاسلام الحسن بن على ولد سنة اثنتين من الهجرة وأوّل طعام دخل فى جوفه أعنى ابن الزبير ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش كما قال فيه عبد الله بن عمر رضى الله عنه حين وقف عليه مصلوبا فسلم وقال السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك

ذكر ابن الزبير

أباخبيب أماوالله لقد كنت أنهاك عن هذا أماوالله لقد كنت أنهاك عن هذا أماوالله لقد كنت أنهاك عن هذا أماوالله ماعلمتك الاصواما قواما وصولا للرحم أما والله لأمة انت شرها لأمة خير ثم نفذ عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله فأرسل اليه فأنزله عن جذعه وألقى فى قبور اليهود ثم ارسل الى أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فأبت أن تأتيه فأعادالها الرسول لتأتينى أو لأبعثن اليك من يسحبك بقرونك قال فأبت وقالت والله لاآتيك حتى تبعث الى من يسحبنى بقرونى قال فقال أروني سبيبتى فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذن حتى دخل عليها فقال كيف رأيتينى صنعت بعدو الله قالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك بلغنى انك تقول له يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا اخالك الا اياه قال فقام عنها ولم يراجعها هذا نص مسلم من قوله السلام عليك أباخبيب الى هنا وكان ابن الزبير رحمه الله اذا قال له عدوه يا ابن ذات النطاقين على جهة التعيير ينشد

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وصدر هذا البيت لابى ذؤيب الهذلى

وعيرنى الواشون انى أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فان أعتذر منها فانى مكذب * وان تعتذير يردد على اعتذارها

ويروى فتلك شكاة نازح عنك عارها * وهذا بين وأما الرواية الأخرى فمعنى ظاهر أى عال عنك أى ليس يصيبك ولا يلحقك ومن هذا المعنى قول الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أى يعلوا عليه وكذلك الحديث والشمس فى حجرتها قبل ان تظهر أى تعلو على السقف وفضائل ابن الزبير رضى الله عنه كثيرة روى ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال ذكرت ابن الزبير عند عبد الله بن عباس فقال رضى الله عنه كان عفيفا فى الاسلام قارئا للقرآن والله لاحاسن نفسه محاسنة لن أحاسنها لابى بكر ولا لعمر أبوه الزبير وأمه أسماء وجده أبو بكر وعمته خديجة وجدته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته عائشة رضى الله عنها وذكر حديثا طويلا رضى الله عنهم وكان سبب فتنته وقتله ان معاوية لما قدم مكة شرفها الله تعالى دعاه الى

البيعة ليزيد ابنه فأبى عليه وقال أكره أن أبايع لرجلين أيكما أطيع بعد أن أعطيكما العهود والمواثيق فان كنت ملكته الامارة فبايع ليزيد فنحن نبايعه معك وفى رواية أخرى انه قال اخترمنا خصلة من ثلاث قال ان فى ثلاث لمخرجا قال اما ان تفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا قال لم يستخلف أحدا قال وماذا قال أو تفعل كما فعل أبو بكر رضى الله عنه قال فعل ماذا قال نظر الى رجل من عرض قريش فولاه قال وماذا قال أو تفعل كما فعل عمر قال فعل ماذا قال جعلها شورى فى ستة من قريش قال ألا تسمعون انى قائم فقائل مقالا لئن صدقت فعلى صدقى وان كذبت فعلى كذبى والله لا ينطق احد منكم فى مقالتى الا ضربت عنقه ثم قام خطيبا فقال ان فلانا وفلانا قد بايعوا فبايعوا ثم ركب نجائبه وانصرف الى الشأم فبايعه الناس فلما مات معاوية تثاقل ابن الزبير عن طاعة يزيد بن معاوية فبلغ ذلك يزيد فأقسم لا يؤتى به اليه الا مغلولا والا ارسل اليه فقيل لابن الزبير ألا نصنع لك غلالا من فضة تلبس عليه الثوب وتبر قسمه فالصلح اجمل بك قال لا أبر والله قسمه ثم قال

ولا أبين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قال والله لضربة بسيف فى عز أحب الى من ضربة بسوط فى ذل ثم دعا الى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد فكان آخر أمره أن قتل رحمه الله فى المسجد الحرام وجعلت الجيوش تدخل من ابواب المسجد فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم ويقول * لو كان قرنى واحدا كفيته * وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمى عدوه بالآجر فأصابته آجرة فى مفرقه حتى فلقت رأسه فوقف قائما وهو يقول

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أعقابنا تقطر الدما

ثم سير اليه فأخذ رأسه ثم صلب منكوسا فجاءت امه وهى مكفوفة البصر فقالت للحجاج أما آن لهذا الراكب ان ينزل فقال الحجاج المنافق فقالت والله ما كان منافقا ان كان لصواما قواما برا فقال انصرفى يا عجوز فقد خرفت فقالت لا والله ما خرفت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج فى ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فأنت فلما أبى عليها قالت وددت أن لا أموت حتى يدفع الى فأغسله وأحنطه وأكفنه ثم أدفنه فلم يلبثوا أن جاء كتاب عبد الملك ان يدفع الى اهله فأتى به اسماء فغسلته ثم كفنته ثم دفنته وعاشت بعد ذلك ثلاثة أيام وكان سنها مائة سنة لم يسقط لها سن رضى الله عنهما * (فصل) * واما ابن

مقتل سعيد بن جبير

جبير ففضله ايضا مشهور وفى الدواوين مذكور * ذكر ابن قتيبة فى الامامة والسياسة انه لما قدم على الحجاج سعيد بن جبير قال له ما اسمك قال أنا سعيد بن جبير فقال الحجاج بل انت شقى بن كسير قال سعيد أمى أعلم باسمى واسم أبى قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد العلم يعلمه غيرك قال لأوردنك حياض الموت قال سعيد وأصابت أمى اذا اسمى قال الحجاج لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى قال سعيد لو أنى اعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال الحجاج فما قولك فى محمد صلى الله عليه وسلم قال سعيد نبى الرحمة ورسول رب العالمين وامام المتقين وسيد المرسلين قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال اشتمهم أو امدحهم قال سعيد لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسى قال الحجاج أيهم أحب اليك قال حالاتهم تفضل بعضهم على بعض قال الحجاج كيف قولك فى على بن أبى طالب رضى الله عنه أفى الجنة هو أو فى النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من فى النار من أهلها علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ وحجب عنك قال الحجاج فأى الرجلين انا يوم القيامة قال سعيد أنا أهون على الله من أن يطلعنى على الغيب قال الحجاج أبيت أن تصدقنى قال سعيد بل لم أحب ان أكذبك قال الحجاج دع عنك هذا كله أخبرنى مالك لم تضحك قط قال لم أر شيئا يعجبنى فكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ويوم القيامة حسابه وهو يصبح ويمسى وقد وصفت له النار قال الحجاج فأنا أضحك قال سعيد ليست القلوب كلها بالسواء قال الحجاج ما رأيت من اللهو شيئا قال لا أعلمه فدعا الحجاج بالعود والناى فلما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكى سعيد عند ذلك فقال الحجاج ما يبكيك قال ذكرتنى يا حجاج أمرا عظيما والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزينا ما رأيت قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو قال سعيد بل هذا والله الحزن يا حجاج أما هذه النفخة فقد ذكرتنى النفخ فى الصور وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك يوم القيامة وأما هذا العود فنحت من عود قطع بغير حق قال الحجاج أنا قاتلك قال سعيد فرغ من سبب موتى قال الحجاج أنا أحب الى الله عز وجل منك قال سعيد الله أعلم بالغيب منك قال الحجاج كيف ترى ما يجمع لامير المؤمنين قال لم أر منه شيئا فدعا الحجاج بالذهب والفضة والياقوت فوضع بين يديه فقال هذا لأمير المؤمنين كيف ترى يا سعيد قال ان تحملت له يا حجاج أن تشترى له بها الامن من الفزع الاكبر يوم القيامة فهو صالح

والا

والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ولا تنفع الاموال يوم القيامة الا ما طاب منها قال الحجاج فنحن نرى جميعها طيبا قال برأيك جمعته قال أتحب انه لك قال لا أحب ما لا يحبه الله قال الحجاج ويلك يا سعيد قال الويل يا حجاج لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار قال اذهبوا به فاقتلوه قال أشهد لك يا حجاج انه لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أستحفظكهن حتى ألقاك فلما أدبر به ضحك قال ما يضحكك يا سعيد قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك قال اضربوا عنقه قال حتى أصلى ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فقال الحجاج اصرفوه عن القبلة الى قبلة النصارى فصرف عن القبلة فقال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله فصلى سعيد ثم قال اللهم لا تترك له ظلمى ولا طلبه بدمى ولا تبقه بعدى واجعلنى آخر قتيل يقتله قال فضربت عنقه فما قضى حتى خولط الحجاج وجعل يصيح قيودنا قيودنا يعنى القيود التى كانت فى رجلى سعيد بن جبير متى كان الحجاج يسأل عن قيود أو يعنى بها ويروى انه قال اختر أى قتلة شئت فقال له ابن جبير بل اختر أنت لنفسك فان القصاص أمامك انتهى كلامه رحمه الله * استجاب الله دعاء سعيد التقى واستريح من الحجاج الشقى ويروى انه أخذه الكزاز على اثر قتل سعيد فما زال مكزوزا حتى مات وكان يصيح فى كزازه مالى ولسعيد بن جبير وقيل لما قتل سعيد ابن جبير خرج منه دم كثير فهال الحجاج ذلك فأرسل الى طبيب فسأله فقال انك قتلته وهو مستجمع ليس فيه من خوف شئ * وتوفى الحجاج بواسط فى آخر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وكانت امرته على العراق عشرين سنة وكان رجلا قصيرا صغير العينين ناتئ الجبهة جهير الصوت كأن صوته يخرج من شدقيه وكان سعيد بن جبير رضى الله عنه عبدا اسود يكنى ابا عبد الله لرجل من بنى أسد بن خزيمة قد اشتراه سعيد بن العاص فى مائة عبد فأعتقه وكان مجاب الدعوة يروى انه كان له ديك فى قفص يضعه عند رأسه فاذا صاح قام الى الصلاة فاعتل ليلة الديك فلم يصح فنام سعيد فدعا عليه فقال قطع الله صوتك قال فما صاح بعد ذلك وكانت أمه تقول له لا تدعون على شئ وكان قد فر الى مكة من أجل الحجاج وترك امرأته حبلى فولدت غلاما فسمته عبد الله فلم يره سعيد حتى قدم عليه مكة وقد اخضر شاربه ولقى سعيد وهب بن منبه رضى الله عنهما يمنى فشكى اليه

خروجه من وطنه وخوفه من الحجاج وقال له قد خرجت وتركت جنينا فى بطن أمه فما رأيته حتى اخضر شاربه خوفا من الحجاج فقال له وهب ان الصالحين كانوا قبلكم اذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا فقالوا ماذا يريد بنا ربنا فسرى عن سعيد بن جبير وقال الاوزاعى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا سلط عليه من يظلمه وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه اذا أراد الله أن يخف العبد سلط عليه من يظلمه وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما أغبط رجلا لم يصبه فى هذا الامر اذى (قلت) يعنى عمر رضى الله عنه ما أصاب العلماء والفضلاء من المحن والفتن اذ كانوا يؤمرون بأن يقولوا القرآن مخلوق ويحملون على سب الصحابة وعلى البيعة لمن لا يرضون فمنهم من ضرب ومنهم من حلق رأسه ولحيته ومنهم من سجن ومنهم من اختفى وستره الله فمن ضرب سعيد بن المسيب رحمه الله جلد مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وطيف به حتى ان كانت الدور بالمدينة لتغلق كراهية النظر اليه اعظاما له وما يسمع فيها الا بكاء بالسوط وبعد ذلك أمر به الى السجن وسبب ذلك انه لما جاءت بيعة سليمان مع بيعة الوليد بن عبد الملك ابن مروان كره أن يبايع لهما جميعا فأمر أن يفعل به ما تقدم ولما جاء الكتاب بذلك سألوا الوالى أن لا يعجل عليه وأن يخوفه بالقتل فعسى أن يجيب فأرسلوا مولى له وقالوا اذهب فأخفه فجاءه وهو فى مسجده وهو يصلى فبكى المولى فقال له سعيد ما يبكيك ويحك قال مما يراد بك جاء كتاب فيك ان لم تبايع قتلت فجئتك لتتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك قال ويحك قد وجدتنى أصلى أفترانى كنت أصلى ولست بطاهر وثيابى غير طاهرة وأما ما ذكرت من العهد فانى أضل ممن أرسلك ان كنت بت ليلة ولم أفرغ من عهدى فانى لم أكن لأبايع بيعتين فى الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت بيعتان فاقتلوا الحدث فحمل الى الوالى فعل به ما ذكر ثم انه لما خلى سبيله اتى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فسمع المؤذن فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له مالك يا أبا محمد قال ما سبقنى اليه المؤذن منذ أربعين سنة وكان يسمى حمامة المسجد ويوم الحرة لم يبق فى المسجد غيره وكان أعمى فكان اذا كان وقت الصلاة سمع أذانا من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واقامة الصلاة فكلما سمع الاذان قام وصلى وحده وكان أهل الشأم يدخلون عليه زمرا فيقولون انظروا الى هذا الشيخ المجنون

وسيأتي طرف من فضائله في باب الواو ان شاء الله تعالى وكذلك ممن ضرب من أهل المدينة محمد بن المنكدر وربيعة بن عثمان التيمي وربيعة بن أبي عبد الرحمن وحلق رأسه ولحيته وأقيم للناس وعثمان بن عبد الله بن رافع ومحمد بن عمران بن طلحة ونفي من المدينة والضحاك بن عبد الله بن محمد بن عون وعبد الرحمن ابن عبد الله الجهني وضرب الدراوردي وضرب مالك بن أنس فوق القميص مائة سوط وخلعت كتفه فكان اذا مشى اتكأ على معن بن عيسى فكان يقال له عصية مالك لطول مكثه معه وأصابه فتق في بطنه فكان يخرج منه الريح فلم يشهد جماعة ولا جمعة سبع سنين وممن ضرب من أهل البصرة قتادة بن دعامة السدوسي وعبد الله بن عوف وثابت البناني وأبو نصر ومن أهل الكوفة عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن الأسود وأبو حنيفة وسجن ومات في السجن وكان أريد على القضاء فأبى فقيل له ان الوالي قد حلف ان لا يخرجك حتى تلي فقال لو سألني أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل وحلف ان لا يلي فقيل له قد حلف أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني فمات مسجونا وله سبعون سنة وممن ضرب من أهل اليمن وهب بن منبه وضرب أحمد بن حنبل وغيرهم رضي الله عنهم نقلت هذا كله من كتاب محمد بن شبل رحمه الله وممن توارى وفر امام الخلفاء سفيان الثوري رضي الله عنه وكان فراره من أبي جعفر المنصور فر الى مكة منه فدخل ومنادي أبي جعفر ينادي ألا من آوى سفيان الثوري فقد برئت منه الذمة فمال سفيان الى بعض أزقة مكة فرفع يديه نحو السماء وهو يقول يارب حرمك وأمنك يأمن فيه الطير والوحش وسفيان لا يأمن فيه فبينما هو يطوف بالبيت اذ رآه في الطواف معه فقيل له يا أمير المؤمنين هذا الثوري الذي تجعل فيه الجعائل فلما حاذاه ضرب على منكبه فخس به فقال له أتعرفني قال ما أعرفك ولكني أحسست في ضربتك انها ضربة جبار قال له أبو جعفر ما منعك ان ترفع الينا ظلامات الناس وتعظنا فأفعل وأفعل فقال له سفيان يا أمير المؤمنين علمت انك رجل تقرأ القرآن وكل من يقرأ القرآن ولم يتعظ به لا يتعظ بشئ أبدا قال فكان مالك رحمه الله يعجبه هذا الكلام من الثوري ويراه وجه العمل في ذلك قال أبو عمر بن عمر الشيباني ودخل سفيان الثوري على المهدي فالتفت اليه الحاجب وقال له يرسل اليك أمير المؤمنين وتأبى أن تأتيه ما أولاك كانه يتهدده فقال اسكت يا هامان فقال يا أمير المؤمنين

ألا تسمع مايستقبلني به عندك فقال له ويلك اسكت اذا أنت عنده هامان فما أنا عنده فجلس الثوري عنده ساعة ثم قال اني أردت البول فقال له المهدي على ان ترجع فقال له نعم فمضى الثوري ثم رجع فأخذ نعليه فاستبطأه المهدي فقال ياقوم أما تخشون أن تسقط السماء علينا كسفا ياقوم أما تخشون أن تنشق الارض من تحتنا فنذهب فيها سفالا قيل له ماهو يا أمير المؤمنين قال مثل الثوري يكذب فقيل له انه قد رجع فأخذ نعليه ومضى فقال خدعنا والله قال ومات الثوري متواريا عند حماد بن زيد بالبصرة فغسله حماد وأخرجه الى باب المسجد فقالوا جنازة الثوري فذهب به الى المقابر في نحو من عشرة أو خمسة عشر قال حماد فوالله مابلغنا المقابر حتى صرنا في نحو من عشرة آلاف رقبة فأقام الرجال والنساء على قبره ثلاثة أيام يصلون عليه رضي الله عنه ومات رحمه الله وهو ابن أربع وستين سنة وحدث أحمد بن عبيد في أخبار الحجاج انه لما حضره الموت قال أسندوني وأذن للناس فدخلوا عليه فذكر الموت وكربته واللحد ووحشته والدنيا وزوالها والآخرة واقبالها ثم أنشأ يقول

ان ذنبي وزن السموات والارض وظني بخالقي أن يحابي
فلئن من بالرضى فهو ظني * ولئن مر في الكتاب عذابي
لم يكن ذاك منه ظلما وهل يظلم رب يرجى لحسن المآب

ثم بكى وبكى جلساؤه ثم أمر بكتاب يكتب الى الوليد بن عبد الملك بن مروان أما بعد فقد كنت أرعى غنما أحوطها حياطة الناصح الشفيق فجاء الاسد فبطش بالراعي ومزق المرعى كل ممزق وقد نزل بمولاك ماتزل بأيوب الصابر وأرجو أن يكون ذلك تكفيرا لما حصل من ذنوبه ثم كتب في آخر الكتاب

اذا ما لقيت الله عني راضيا * فان سرور النفس فيما هنالكا
فان مت فاذكرني بذكر محبب * فقد كان عما في رضائك سالكا
لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا * ونحن نذوق الموت من بعد ذلكا

في أبيات كثيرة ثم دخل عليه أبو يعلى بن مجالد المجاشعي فقال كيف ترى مابك ياحجاج من غمرات الموت وسكراته فقال يا أبا يعلى أرى ألما فظيعا ونزاعا جريضا وسفرا طويلا وزادا قليلا فويلا وويلا ان لم يرحمني الجبار فقال له انما يرحم الله من عباده

الرحماء أولى الرحمة والتحنن والتعطف على عباده وأنت قتلت الصالحين وأفنيتهم وأطعت المخلوق فى معصية الخالق وضربت الابشار وسست سياسة متكبر جبار عززت بنى مروان وأذللت نفسك وعمرت دورهم وخربت دارك فاليوم لا يحزنك ولا يغمونك لقد كنت لهذه الامة اهتماما وغما وعناء وبلاء فالحمد لله الذى أراحها منك فكأنما قطع لسانه عنه فلم يحر جوابا وتنفس الصعداء وخنقته العبرة ثم قال

رب ان العباد قد آيسونى * ورجائى بك الغداة عظيم

ولما مات رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة فقيل له فما تنتظر قال ما ينتظره الموحدون وقال على بن جدعان أخبرا الحسن بموت الحجاج فسجد وقال اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة * أحصى من قتل الحجاج بين يديه صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا سوى من قتل بسببه فى الملاحم والحروب وأطلق سليمان بن عبد الملك من سجنه سبعين ألفا قد حبسهم للقتل وأمر أن يبتتوا معناه يكسوا بتا بتا وجمع البت بتوت والبتى الذى يعمله والبت ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ لونه أخضر كدر افسره ثابت قال وقد يجوز أن يكون معنى يبتتوا يزودوا وأنشد على المعنى الأول قول الراجز

يارب بيضاء عليها بت * بت السويق لحمها واللت * كما بتى بخت العراق القت

واستشهد على القول الآخر بقول طرفة بن العبد

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

قال البتات هو من لم تستزده زادا وكان الحجاج بلاء على الناس لا يبالى بما يقول ولا بمن يوقع وحسبك أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال فيه لو جاءت كل أمة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وقد كان سجن رجلا من اليمن وحبس معه ابراهيم التيمى فكان الحجاج اذا أراد أن ينام أتاه فى المنام آت يقول له أخرج اليمانى فلم يزل كذلك ليلته كلها حتى أصبح فلما أصبح دعاه فأخرجه وقال له اذهب بسلام ثم أتى اليمانى الى السجن ليودع ابراهيم التيمى فقال ادع الله لى فقال اليمانى ان أطعته لم يعصك أو لم يخالفك * خرج ثابت من حديثه ان الحجاج قال ماذكرت قول ابن عمر وأنا على المنبر كذبت الا ندمت أن لا أكون ضربت عنقه فقال له عبد الله بن عبد الله

ابن عمر لو فعلت لصعر الله رأسك فى جهنم ذكره ثابت فى الدلائل وسيأتى فى باب الواو بقية الخبر وذكره أبو عبيد وقال لسكوسك الله فى النار رأسك اسفلك وذلك ان الحجاج قال وهو على المنبر ان ابن الزبير بدّل كلام الله وغيره فقال له عبد الله بن عمر كذبت وكذلك قال لأنس بن مالك رضى الله عنه لأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة فقال أنس من يعنى الامير قال اياك أعنى وقال كلمة سبه بها أجل مولاى انساعن ذكرها رضى الله عن أنس خرج هذا ثابت ورأيت لغيره ان أنس بن مالك رضى الله عنه قال بينما الحجاج جالس وقد أمر باخراج خيله اذ التفت الىّ فقال أين هذه الخيل من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنس هيهات هيهات ياحجاج وأين هذه الخيل من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل رسول الله قد أعدها فى سبيل الله أرواثها وأبوالها ثقل فى الميزان ونور يوم القيامة وخيلك هذه أعددتها فى سبيل الشيطان أرواثها وأبوالها نقص فى الميزان وظلمة عليك يوم القيامة فالتفت الحجاج اليه فقال والله لقد هممت بقتلك فقال له أنس ما أنت على ذلك بقادر ياحجاج قال ولم ألست الامير عليك قال بلى ولكنى خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فعلمنى كلمات اذا أنا قلتها فى يومى وليلتى لم أخف شيطانا ماردا ولا سلطانا جائرا مع تيسير الحوائج وقضائها فقال له الحجاج هاتها فقال له أنس والله ما أراك لهن بأهل فلما حضرت الوفاة أنا بعث الى أخ له من اخوانه فقال له اكتب ما علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى بعثه بالحق لولا ما حضرنى من الوفاة ما علمتكها قل اذا أصبحت وأمسيت الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على كل شئ أعطانى ربى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله خير الاسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله ربى ولا أشرك به شيئا اللهم انى أسألك من خيرك الذى لا يعطيه غيرك أللهم اجعلنى فى عياذك وجوارك وأعذنى من الشيطان الرجيم وأستجيرك من جميع ما خلقت وأعوذ بك منهم ثم اقرأ قل هو الله أحد قال عبد الملك بن حبيب وانا أحب للرجل أن يدعو بهذا الدعاء كلما أصبح وأمسى قلت واذ وقعنا فى الدعاء فلا نخلى هذا الكتاب من فائدة فيه حدثنى العثمانى رحمه الله بالاسكندرية بلفظه من الحديث المسلسل الى جعفر بن محمد رضى الله عنه كل شيخ فى السند يقول حدثنى فلان ويقول عن هذا الدعاء الذى يأتى ذكره

فكتبته فجعلته فى جيبى وذلك لعظمه عندهم لان الله أنقذه راويه جعفر بن محمد من أمر عظيم والحمد لله انظره بسنده وحكايته فى المسلسلات قال محمد بن جعفر حدثنى أبى عن جدى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خزبه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول دعاء الفرج اللهم ارحمنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بكنفك الذى لا يرام وارحمنى بقدرتك على أنت ثقتى ورجائى فكم من نعمة أنعمت بها على قل لك بها شكرى وكم بلية ابتليتنى بها قل لك بها صبرى فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويا من قل عند بلائه صبرى فلم يخذلنى ويا من رآنى على الخطايا فلم يفضحنى أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم أغنى على دينى بدنياى وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى الى نفسى فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالا يضرك واغفر لى مالا ينقصك يا الهى أسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية وأسألك دوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله * ورأيت فى كتاب محمد بن شبل ولم أروه انه لما دخل على ابى جعفر حرك شفتيه فلما رآه أبو جعفر نهض اليه فاعتنقه وأجلسه معه ثم عاتبه وقال له قد رفع الى أن الاموال تجبى اليك بلا سوط ولا عصى ثم أمر بالرافع فأحضر فقال له أبو عبد الله أحق ما رفعت الى أمير المؤمنين قال نعم قال فاستحلفه يا أمير المؤمنين قال أبو جعفر فرد اليمين عليه فقال له أبو جعفر احلف فقال والله الذى لا اله الا هو فقال له أبو عبد الله رضى الله عنه ليس هكذا الأن العبد اذا مجد الله فى يمينه أمهله بالعقوبة ولكن قل أنا برىء من الله والله برىء منى وأنا خارج من حول الله وقوته راجع الى حول نفسى وقوتها قال فحلف فوالله ما رفع الا ميتا فراع ذلك أبا جعفر وقال انصرف يا أبا عبد الله فلست أسألك بعدها عن شئ قال فسئل عن الذى حرك به شفتيه عند دخوله فقال قلت اللهم بك أستفتح وبك أستنجح وبنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أتوجه اللهم ذلل لى حزونته وكل حزونة وسهل لى صعوبته وكل صعوبة اللهم أعطنى من الخير فوق ما أرجو واصرف عنى من الشر فوق ما أحذر فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وهذا دعاء آخر حسن أيضا اللهم ان استغفارى اياك مع كثرة ذنوبى للؤم وان تركى للاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك

لعجز الهى كم تتحبب الى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنا فقير اليك سائلك عند بابك قد ذهبت أيامه وبقيت آثامه وانقطعت شهواته وبقيت تبعاته فارض عنه فان لم ترض عنه فاعف عنه فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راض سبحان من اذا توعد عفا واذا وعد وفى لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير * رجع الكلام يروى ان الحجاج أتى بمانوى فأمر بقتلهم فلما وصل الى أحدهم قال له يا حجاج لا جزاك الله عنا السنة خيرا فان الله عز وجل يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله عز وجل فى كتابه وقد قال شاعركم

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل القلائد

فقال لهم الحجاج ويحكم أفعجزتم عن مثل هذا وأمسك عن الباقين وأمر بقتل آخر وجعل يسبه اقتلوا ابن الفاعلة فقال له بئس ما أدبتك به أمك يا حجاج أبعد الموت منزلة أصانعك عليها أما خشيت أن أرد عليك مثل الذى قلت لى فاستحيا منه وأمر باطلاقه * هذا الرجل هو عمران بن حطان كان ممن خرج على الحجاج فلما أطلقه قال له أصحابه والله ما أطلقك الا الله فارجع الى حربه فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * يد تقر بأنها مولاته
انى اذا لأخو الدناءة والذى * ظهرت على أفعاله جهلاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته
وتحدث الأقوام أن صنائعا * غرست لدى فتظللت نخلاته
أأقول جار على انى فيكم * لأحق من جارت عليه ولاته
تالله لا كدت الامير بآلة * وجوارحى وسلاحها آلاته

وأتى يوما بامرأة حرورية فقال لاصحابه ما تقولون فى هذه فقالوا اقتلها أصلح الله الامير ونكل بها ليعتبر غيرها قال فتبسمت الحرورية فقال لها لم تبسمت فقالت لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك يا حجاج قد استشارهم فى قتل موسى فقالوا أرجه وأخاه وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلى ففحك الحجاج وأمر باطلاقها وكذلك يروى انه أمر بتقديم قوم للقتل فقام رجل من الأسرى فقال أيها الامير ان لى عندك يدا قال وما هى قال سمعت ابن الاشعث يسبك فرددت عليه قال ومن يشهد

لك بذلك فقام الرجل فقال أنشد الله رجلا سمع مقالتي الا شهد لي فقام رجل من الأسرى فقال صدق فقال الحجاج أطلقوا هذا ثم أقبل على الآخر فقال ما منعك ان ترد عليه أنت كما رد عليه هذا قال لقديم بغضي فيك فقال وهذا أيضا أطلقوه لصدقه ويروى ان معن بن زائدة كان عزم على قتل جماعة من الاسرى وكان من الكرام كما تقدم فلما أمر باخراجهم للقتل ومثلوا بين يديه قام اليه أصغر القوم سنا وقال له يا معن أتقتل الاسرى وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم بطعام وشراب فلما أكلوا وشبعوا وارتووا قام اليه فقال له يا معن أتقتل أضيافك فخلى عنهم وخلى سبيلهم وتعجب من حيلة الفتى وأما سوء سيرة الحجاج وقبح سريرته فقد خرج ابن قتيبة في عيون الأخبار انه خطب الناس حين أراد الحج فقال أيها الناس اني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني هذا وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار أوصى أن يقبل من محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم واني أمرته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم ستقولون بعدي مقالة لا يمنعكم من اظهارها الا مخافتي ستقولون لا أحسن الله له الصحبة ألا واني معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل * قلت والشيء يذكر بضده ويعرف بنده أنظر هذا الكلام وهذه النية أين هي من نية عبد الرحمن بن الضحاك والي المدينة الذي تقدم قبل وأين هذا وهذا من نية أحد الأمراء الذي أصيب في سمعه فتأسف لذلك وقال والله ما أسفي على سمعي وانما أسفي على اني لا أسمع نداء المظلوم ثم قال لا جرم ان كان ذهب سمعي فقد بقي بصري لا يلبس ثوبا أحمر الا المظلوم ثم جعل يطوف في البلد يتفقد المظلومين قلت والكلام أيضا في هذا الفن طويل عريض وفي الناس الصحيح والمريض

دع عنك تذكار حجاج وسيرته * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

واذكر حديث فتى ما ان أراق دما * أيام دولته هذا سما فعلا

حدث عن أحد الولاة المتأخرين انه أقام في رعيته مدة ما أراق فيها لأحد محجمة دم الا رجلا واحدا أخذ في جريرة فسجنه مدة ثم ألح عليه فيه فاستفتى فيه فقهاء ذلك الموضع فأفتوا بقتله وصلبه فأمر به فقتل وصلب فكان يركب فيقف عليه ويقول الله يعلم أيها الانسان اني بريء من دمك * وأغرب من هذا ما خرج أبو عمر في كتاب الصحابة رضي الله عنهم عن ابراهيم بن ميسرة قال ما بلغني ان عمر بن عبد العزيز

جلد سوطا فى خلافته الا رجلا شتم معاوية عنده فجلده ثلاثة أسواط قلت كذلك ضرب الظهور وسفك الدماء شديد وقد جاء فيه أشد الوعيد اللهم الا فى اقامة الحدود فانها تعفر فيها الخدود وتقام على الآباء والجدود والحديث الجامع فى هذا المعنى كما تكونوا يول عليكم وقال عليه الصلاة والسلام خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم وقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة وذكر البخارى من وصية لصفوان ان أول ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم اهراقه فليفعل ولا بد للناس من سلطان به يستقيم أمرهم وبه صلاحهم فالدعاء اذا لهم مهم كما قال بعض الصالحين لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها فى السلطان ولى فى هذا المعنى من قطعة مطولة فى وصايا

الدعاء لولاة الامور

وأخلص فى الدعا للخلق طرا * وخص به القضاة مع الولاة
فان صلحوا فيصلح من سواهم * فما المرعى الا بالرعاة

وقال عمر بن الفضل سألت أبا العلاء والحجاج فى غيابه فقلت يا أبا العلاء أسب الحجاج قال ادع الله له بالصلاح فان صلاحه خير لك من فساده وكذلك قال الحسن رضى الله عنه أيها الناس تعلمن والله ما سلط الحجاج عليكم الا عقوبة من الله فلا تعارضوا عقوبة الله بالحمية والسيوف ولكن عليكم بالذلة والاستكانة والتضرع والدعاء والتوبة وكان يتلو هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وكان يقول انى لأعجب ممن خف عليك كيف خف مع هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى * وقد روى ان مالك بن دينار قال وجدت فى بعض الكتب يقول الله عز وجل أنا ملك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وكذلك قال الرشيد لعلى بن عتيق فى جملة ما وصاه به أطع الله يعطفنى عليك وقال سهل رحمه الله أطيعوا السلطان فى سبعة ضرب الدراهم والدنانير والمكاييل والاوزان والاحكام والحج والجمعة والجهاد ولا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا استخفوا بهذين فسدت دنياهم وأخراهم

وقال

وقال آخر من لم يرطاعة السلطان على نفسه فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن يأتيه من غير دعوة فهو جاهل فان كان السلطان عادلا فقد تمت النعمة وان كان جائرا فالصبر عليه خير من القيام عليه واعتزاله سلامة وقال سحنون اذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام متوالية بلا حاجة فينبغي أن لا تقبل شهادته وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل على السلطان الجائر وقال ابن عباس رضي الله عنهما للرجل الذي سأله أمر امامي قال ان كان فيما بينك وبينه فان خفت أن يقتلك فلا وقال الفضيل ليس الآمر والناهي من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم انما الآمر والناهي من اعتزلهم وللفقيه ابي عمران الميرتلي رحمه الله

تباعد عن السلطان لا تغش بابه * فتسلب دينا أو تصاب بفاقره
فليس بناج من ألم ببابه * وان هو أغناه وسد مفاقره
وماهو الا النار يحرق من دنا * اليه فلا تقربه واخش بوادره

وقال ابن المبارك من اعتزلهم فقد أمرهم ونهاهم قلت هذا كله في غشيانهم واتيانهم فكيف بمن أكل من حلوائهم وانحط في أهوائهم فكانه لم يسمع ما قيل فيمن أخذ منهم الدراهم فضلا عن المثاقيل المتلبس بمال السلطان كالسفينة في البحران أدخلت بعضه في جوفها أدخل جميعها في جوفه وما أقبح بالعالم أن يزور العامل ولذلك قال الاوزاعي ما شئ أبغض على الله من عالم يزور عاملا * وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صاحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما في يديه خاض في بحار جهنم بعدد خطاه * وقال سعيد بن المسيب اذا رأيت العالم يغشى الامراء فهو لص * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأيت العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب * وقال الفضيل بن عياض لو كان للعلماء صبر ما تمندل هؤلاء بهم وقال أيضا واسوأتاه من أن يقال فلان القارئ قدم حاجا في نفقة فلان الفاجر والكلام الجامع في هذا المعنى من اقترب من السلطان افتتن ومن ابتلي بالدخول عليهم والقرب منهم فليسكت كما فعل الاحنف عند معاوية رضي الله عنهما روى الحسن قال ذكروا شيئا عند معاوية فتكلموا فيه والاحنف ساكت فقال معاوية يا أبا بحر مالك لا تتكلم فقال أخشى الله ان كذبت وأخشاكم ان صدقت ومثله ما حدث سفيان قال قدم الحجاج على عبد الملك وافدا ومعه معاوية بن قرة فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال

ان صدقناكم قتلتمونا وان كذبناكم خشينا الله فنظر اليه الحجاج فقال له عبد الملك لا تتعرض له فنفاه الحجاج الى السند وأقوى من هؤلاء ما قال بعض العلماء من ابتلى بالدخول عليهم فعليه أن يقول الحق ولا يداهن ولا يمالئ ويصبر على الاذاية فى الله ولا تأخذه فى الله لومة لائم وعليه ان يقول الحق وان كان مرّا ويتقى الله سرا وجهرا فيحب فى الله البعيد ويبغض فى الله القريب كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أحب لله وابغض لله وعاد فى الله ووال فى الله فانه لا تنال ولاية الله الا بذلك ولا يجد رجل طعم الايمان وان كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين تحببوا الى الله ببغضكم أهل المعاصى وتقربوا الى الله بمباعدكم منهم والتمسوا رضاه بسخطهم وتمام الخبر قالوا يا روح الله فمن نجالس قال من تذكركم بالله رؤيته ومن يزيد فى علمكم منطقه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله وقول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فيه تصديق لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم فكان ذلك كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام بسطت عليهم الدنيا كما روى عبد الله بن حوالة الازدى رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر والعرى وقلة الشئ فقال أبشروا فوالله لأنا بكثرة الشئ أخوفنى عليكم من قلته والله لا يزال هذا الامر حتى تفتح لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشأم وجند بالعراق وجند باليمن وحتى يعطى الرجل منكم مائة دينار فيسخطها قال ابن حوالة فقلت يا رسول الله ومن يطيق الشأم وبها الروم ذات القرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستخلفنكم الله فيها حتى تظل العصابة منهم البيض قعهم المحلقة أقفاؤهم قياما على رؤس الاسود منكم المحلوق ما أمرهم به من أمر فعلوه وان بها اليوم رجالا لأنتم أهون فى عيونهم من القردان فى أعجاز الابل قال ابن حوالة قلت يا رسول الله خرلى ان أدركنى ذلك قال أختار لك الشأم فانها صفوة الله من بلاده واليها يجبى صفوته من عباده يا أهل الاسلام فعليكم بالشأم فمن أبى فليلحق بيمنه فان الله قد توكل لى بالشأم وأهله قال عبد الرحمن بن بجير فعرف أصحاب النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم نعت هذا الحديث فى جزء بن سهل السلمى وكان ولى الاعاجم وكان أويدم
قصيرا فكانوا يمرون به وتلك الاعاجم حوله قياما بأمرهم بأمره وينتدرون اليه
فيتعجبون من نعت هذا الحديث خرجه ثابت فى الدلائل وفسره فمما فسره منه قوله
أخوفنى قال هى لغة بمعنى أخوف منى عليكم قال وفيه لغة أخرى أخوفى عليكم
بياء الاضافة وقال القمع جمع قمعة وهى من البعير السنام فأراد عليه الصلاة
والسلام بقمعهم بيض ألوانهم وذكر القمع وهو مغرز العنق كما يقولون بيض
السوالف وبيض الطلى لا يريدونها خاصة انما يدلون بها على بياض جميع الجسد
وقال فى صفوة ثلاث لغات صفوة وصفوة وصفوة فاذا نزعوا الهاء قالوا صفو لا غير
وخرج فى حديث آخر ان رجلا قام اليه فقال يارسول الله تخرقت عنا الخف
وأمرح بطوننا التمر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا بمكة وجل
طعامنا البربر وانا قدمنا المدينة على اخواننا وانما جل طعامهم التمر فأسو ونا فيه
وانى لو قدرت لكم على الخبز واللحم لاطعمتكم منه وعسى أن يبقى منكم بقية حتى
يغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى قال فقالوا يارسول الله أنحن اليوم خير أم ذلك
اليوم قال بل أنتم اليوم خير أنتم اليوم متحابون وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب
بعض أراه قال متباغضون * البربر ثمر الأراك واحدته بربرة وبه سميت بربرة وهو
أسود وقد يقال له أيضا البريم واحدته بريمة ومنه قولهم حته الله حت البريمة
ومعنى أمرح أسهل وأوهى وقال صاحب العين الخنيف ثوب أبيض غليظ وقد طول
الكلام على هذا البيت وليته لو طال ليت لأن فيه زائدا عن العلم ذكر فضائل أهل
الكرم والحلم وما أجملها من اخلاق يرضى بها الملك الخلاق ولا ينكرها الا من
ليس له فى الادب من خلاق وقد سقت هنا حكاية طريفه عن امرأة من الاعراب
ظريفه أختم لك بها هذا الفصل فاستملها فهى نعم الاصل يروى ان امرأة من
الاعراب وقفت على جماعة فقالت لهم ما الكرم يرحمكم الله قالوا بذل المعروف
والايثار على النفس قالت هذا فى الدنيا فما هو فى الدين قالوا طاعة الله سبحانه
وتعالى وبذل المجهود فى عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده طيبة بذلك
نفوسنا قالت لهم أتريدون بذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة
عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فأين الكرم
قالوا فما هو يرحمك الله قالت هو أن يعبد الله حق عبادته ولا يراد على ذلك جزاء حتى

يفعل بكم مولاكم مايشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشئ * قيل لرابعة العدوية رضى الله عنها هل عملت عملا قط ترينه قبل منك قالت ان كان فخوفى أن يردّه علىّ * ولى أيها الاخ المعظم فى هذا الكلام منظم وهو

الجود والكرم * والحفظ للحرم * والرعى للذمم * من أرفع الهمم
وبارئ النسم * مولا لأقدقسم * بين الورى القسم * فى كلها الامم
فأبؤس تغنم * وأنعم تدعم * فاسمع أيا ابن عم * قولى وقل نعم
أشكر على النعم * واصبر على النقم * وارض الذى حكم * العادل الحكم
وهذه حكم * تضم لا تذم * نظمتها ابن أم * فاقصد لها وأم
ودن بها ودم * وانهض بها وقم * فانها شيم * ماان لها قيم

خرجت من شئ الى غيره * ولم أقفها أنا ذا أخرج
لكنّ من علم الى مثله * أنت له من غيره أحوج

معكوس البيت

وحاء وخاء وحاء وحا * وجاء وجاء وحل وجل

أما الحاء فحرف هجاء يمد ويقصر وقد تقدم ان اسمها اسم صورتها وانها من حروف الحلق وكذلك الخاء والحاء تشبه الهاء فى النطق حتى تجعل احداهما مكان الأخرى قال رؤبة * لله در الغانيات المرّه * يريد المرّح ويروى المزه يريد المزح وجاء فى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمرة حتى تشقح وفى لفظ آخر حتى تشقه بالهاء ثم فسراجميعا بمعنى واحد قلت وما تشقح والآخر وما تشقه قال تحمارّ وتصفارّ ويؤكل منها وتقول العرب هذا الامر مهم لى ومحم وقالوا أنه يأنه فهو آنه من قوم أنه فى معنى أنح يأنح فهو آنح من قوم أنح وقد تقدم هقهق فى السير وحقحق والأبه مثل الأبح والأجله مثل الأجلح وفى الشعر المتقدّم

لله در الغانيات المرّه * سبحن واسترجعن من تأله

أى من تعبد وتنسك وقبل هذا يروى * برّاق أصلاد الجبين الأجله * ومن الأبه البوهة وهى البومة الصغيرة ويشبه بها الرجل الاحمق ومنه * ياهند لا تنكحى بوهة * وقال النعمان بن المنذر لرجل ذكر عنده رجلا بأمر أراد به شينه فكان ذلك زينه أردت أن تذيمه فمدهته يريد مدحته * قوله أردت أن تذيمه أراد

أتذمه يقال ذمه يذمه ذما فهو مذموم وذامه يذيمه ذيما فهو مذيم وذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤوم وقال الله تعالى اخرج منها مذؤما مدحورا ومن الذام المثل لا تعدم الحسناء ذاما وربما أبدلت الحاء من العين في مثل معهم في لغة من سكن العين فتقول محهم ولكن لا بد من التثقيل حكى ذلك عن بعض العرب وقالوا بعثرت الشيء وبحثرته كشفته واستخرجته وقالوا دح في قفا هيدح في دع يدع بمعنى دفع وقد تقدم وقال الخليل لولا بحة في الحاء لأشبهت العين ولذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة وكذلك الهاء ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة معنى على حدة نحو قولك حي هل وكما قال هيهاؤه وحهله فحي معناه هلم وهلا جئتنا ومنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وسيأتي الكلام عليه بأكثر من هذا ان شاء الله تعالى تقدم قول الخليل في العين والحاء وانهما لم يأتلفا في كلمة واحدة ومن قوله أخذ المعري بيته الذي يقول فيه

بعض الأقارب مكروه تقاربهم * وان أتو لذوي قربى وأرحام
كالعين والحاء تأبى أن تقاربها * في لفظة قدحماها قربها حام

قال ابن السيد في شرحه لشعر المعري لا يوجد في كلام العرب عج ولا جع وكذلك الحروف التي مخارجها من الحلق أكثرها لا تتجاور في التأليف فلا يوجد في الكلام حاء تجاورها خاء مقدمة عليها ولا مؤخرة عنها وكذلك العين والغين فأما العين غير المعجمة فانها تتجاور الخاء المعجمة في التأليف اذا تقدمت الخاء كقولهم النخع ولا تقدم العين عليها وأما الهمزة فتجاور الهاء متقدمة وكذلك العين تجاور الهاء في التأليف اذا تقدمت العين نحو عهد وعهن ولا تتقدم الهاء عليها وأما الهمزة فتجاور الهاء متقدمة ومتأخرة كقولك أهأت وهأهأت بالابل وتجاور جميع حروف الحلق اذا تقدمت عليها فاذا تقدمت هي قبل الهمزة فمنها ما تجاورها ومنها ما لا تجاورها ومما جاء مزجا في الكلام قولهم ابن المائة لاحاء ولا ساء أي لا محسن ولا مسيء ويقال معناه لا يستطيع أن يقول حاء وهو أمر التيس بالسفاد ولا ساء وهو دعاء للحمار وجاء في الحديث بيرحاء وهو اسم حائط أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه الذي تصدق به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح يروى بيرحاء وبيرحاء بفتح الراء وضمها والهمز والمد وأحسنها بيرحا بفتح الراء وقصر الألف على انه اسم مركب كبعلبك ورامهرمز والله أعلم وكان الاصيلي يقيدها بيرحاء بالمد وضم الراء وغيره يقول فيها بيرحا

بفتح الباء والقصر ويقال انما سميت بير حابر جزالا بل عنها وذلك ان الابل يقال لها اذا زجرت عن الماء حاحا وحاء حيّ من مذحج قال الشاعر

طلبت الثار من حكم وحاء * وبنو حاء من حاء بن معد وحاء موضع بالشأم وقوله في الحديث رابح بالباء من الربح ورائح بالهمز بمعنى الرواح أي يروح عليك بخير أو رائح الى الله تعالى يعني انه متقبل والله أعلم والحائط عند العرب النخل المجتمع وان لم يكن عليه بناء وان كان محوّطا بالحيطان فهو حديقة وبستان

حاء

(وأما حاء) فاسم فاعل من حاء واما وحا فالواو أصلية والوحا مقصور بمعنى السرعة ومنه قولهم الوحا الوحا أي العجلة العجلة ومنه قول أبي بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه أين الوضاة وجوههم والمحجبون بثيابهم أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور فالوحا ثم الوحا ثم النجا ثم النجا خرجه الثقفي في الاربعين وقرأته على الحافظ رحمه الله ومنه اشتقاق الوحى أي انه يجيء بسرعة وقد جاء الوحا في الشعر ممدودا ذكره ابن دريد رحمه الله في قصيدته التي جمع فيها بين المقصور والممدود فقال

واذا سمعت وحا الزمان فلا تقصر في الوحاء

وفسر الممدود بالسرعة والمقصور بالصوت وقال يقال سمعت وحا القوم أي صوتهم والفعل من هذا ثلاثي قال الراجز * وحى لها القرار فاستقرت * يعني الارض أمرها بالقرار فقرت ويقال سخرها وأما أوحى بالالف فيتصرف على وجوه منها الارسال كما قال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح ومنها الالهام كما قال تعالى وأوحى ربك الى النحل أي ألهمها ويكون للاشارة كما قال الله تعالى فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ويكون للاعلام في المنام كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية ويقال وحى يحى وحيا اذا كتب وأوحى لغة فيه أيضا قال العجاج

* بقدر كان وحاه الواحى * وفي مقصورة ابن دريد

لابدّ أن يلقى امرؤ ما خطه * ذو العرش مما هو لاق ووحا

ويقال سمعت وحاة الرعد وهو صوته الممدود الخفي قال الراجز

يحدو بها كل فتى هيات * تلفاه بعد الوهن ذا وحات * وهنّ نحو البيت عامدات *

نصب عامدات على الحال والوحى السيد ومعكوس شكل هذه اللفظة اذا كتبتها

وجاء بالالف احو يقال احواحو للكبش اذا أمر بالسفاد ومقلوبها حوى الشئ يحويه حيا وحواية اذا ملكه أجمع والحوية مركب يهيأ للمرأة وفى الحديث فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوى لها حوية خلفه يعنى صفية رضى الله عنها والحوية أيضا واحدة الحوايا وهى المباعر ويقال الحوايا ما تحوّى فى البطن أى استدار ويقال الحوايا بنات اللبن وهى منحوّية أى مستديرة وواحدتها أيضا حاوية وحاية وجمعها حاويات والحاوى صاحب الحيات واشتقاقه من الحية وقيل من التحوّى وهو الاستدارة والاوّل أحسن لانا نقول فى تحقيرها حيية قال الجوهرى الحاوى ليس من الحية وانما هو من كونه يحويها فى أوعيته وكذلك الحوى والحية تكون للذكر والانثى وانما دخلتها الهاء لانها واحدة من جنسه كبطة ودجاجة على انه قد روى عن العرب رأيت حيا على حية أى ذكرا على أنثى وفلان حية ذكر والنسبة الى حية حيوى والحيوت ذكر الحيات وأنشد لرؤبة وتأكل الحية والحيوتا * وقد تقدّم ومن التحوّى ما شرح الخطابى رحمه الله من حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبريل ليلة أسرى بى بالبراق فقال اركب يا محمد فدنوت منه لاركب فأنكرنى فتحيا منى قال قوله فتحيا منى انما هو تحوّى أبدل الواو ياء والتحوّى أن يلتوى ويستدير ويقال انما سميت الحية لتلويها يقال حويت الحية تحوى حويا اذا استدارت ويقال بل سميت حية لطول حياتها وهى فيما يقال طويلة الحياة ويقال انها من أطول الحيوان زمانا وسيأتى فى آخر هذا الباب الحواء والاحواء والحوّان شاء الله تعالى ويقال للرامى اذا أخطأ أحيى واذا أصاب قيل له برحى ومجموع الوحى كل شئ دللت به من كلام أو كتاب أو اشارة أو رسالة وأصله كله السرعة ومنه وحى الحاجبين والشفتين والعينين والله أعلم وجمع الوحى وحى كحلى وحلى ومن شكل الوحى الوخى بالخاء المعجمة ومعناه القصد تقول العرب جزى الله الوخى خيرا أى العجلة وأما جاء فهو فعل ماض تقول منه جاء يجئ مجيئا ومجيئة والجيئة أيضا قطعة نعل ترقع بها نعل أخرى ويقال أجئ هذا النعل بجيئة والجئة بكسر الجيم مجمع ماء فى بسطة والجئوة بسكون الهمزة وبالواو سير يخاط به والجياءة بالمد وعاء توضع فيه القدر وجمعها اجاء مثل جراحة وجراح ويقال فيها أيضا جياء هذا قول الاصمعى وقال أبو عمرو الجياء والجواء يعنى بذلك الوعاء وقال الآخر مثله وفى حديث على رضوان

جاء

الله عليه لأن أطلى بجواء قدر أحب الى من ان طلى بزعفران وأما الخرقة التى ينزل بها القدر عن الاثافى فهى الجعال فان قدمت الهمزة من جاء فقلت جأى فمعناه عض يقال جأى عليه جأيا اذا عضه ويقال فلان لا يجأى مرغه أى لا يحبس لعابه وسقاء لا يجأى شيئا أى لا يمسكه وأما وجاء فصدر اعراه فى البيت فاعل بجاء والواو أصلية من وجأته وجأ والوجء فى الفحل أن ترض انثياه لينقطع ضرابه يقال منه وجئ وجاء فهو موجوء فاذا انزعت انثياه نزعا فهو الخصاء يقال منه خصيته خصاء فهو خصى وجاء منه فى الحديث أخصيته اخصاء وستراه بعد فاذا اشتدت الانثيان حتى تندرا يقال عصبته عصبا فهو معصوب فاذا قطع جميع ماهنالك فهو مجبوب وقد تقدم فى الحديث فعليه بالصوم فانه له وجاء وبقى من الباب مما لا يتزن والواو أصلية وجاء مقصورا نوع من الضرب فيه عض ورض يقال منه وجأيجأ ومنه فى الحديث فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى عائشة رضى الله عنها يجأ فى عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ فى عنقها رضى الله عنهم كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده وكن سألنه النفقة وجاء فى الحديث أيضا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا نعوذ بالله من سخطه وفى الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سقيما فوصف له الوجيئة وأمره أن يأتى الحارث بن كلدة أخا ثقيف وأنه يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن ثم ليدلك بهن ذكره الخطابى وقال الوجيئة التمر يبل بلبن أو سمن حتى يلزم بعضه بعضا ويؤكل والوجيئة أيضا الجراديق ثم يلت بسمن أو بزبد ويقال التمر يخرج نواه ثم يبل بلبن أو سمن ومن شكل هذه اللفظة وجاوهو الحفا مقصور يكتب بالياء يقال منه وجى الفرس بالكسر وهو ان يجد وجعا فى حافره فهو وج وأوجيته انا وانه ليتوجى ووجيت الدابة وجى فهى وجيئة ووجآى اذا حفيت وأوجيت الرجل زجرته وسألنى فأوجيت عليه اذا منعته ومن مضاعف جاء جأجأ تقول جأجأت بالابل اذا دعوتها لتشرب فقلت لها جئ جئ والاسم الجيء وهأهأت بها اذا دعوتها للعلف ثم قد تستعمل فى غير الابل قال الشاعر

وما كان على الجيء * ولا الهيء امتداحيكا

الجيء الشراب أو الجيء الطعام ومن مقلوبها جوى فهو جو والجوى الماء المنتن قال الشاعر

قوله اذا عضه الذى فى القاموس وتاج العروس وجأى جأوا عطى يقال أجئ عليك هذا أى عطه اه

ثم كان المزاج ماء سحاب * لا جوآجن ولا مطروق

فالجوى المتغير المنتن ومنه حديث يأجوج ومأجوج انهم ليموتون فتجوى الارض منهم أى تنتن والآجن المتغير وهو دون الجوى فى النتن وهو الذى يروى فيه الحديث عن الحسن وابن سيرين رخص فيه الحسن وكرهه ابن سيرين وأما المطروق فهو الماء الذى خوضته الابل وبالت فيه فهو مطروق ويقال فيه أيضا لطرق والطرق فى غير هذا الضرب بالحصى وهو ضرب من الزجر ومنه الحديث الطيرة والعيافة والطرق من الجبت قال لبيد

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

واجتويت الطعام واستجويته كرهته واجتويت الارض اذا لم توافقك وفى الحديث من هذا فى العرنيين الذين اجتووا المدينة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى البادية وأن يشربوا من ألبان الابل وأبوالها الحديث والجوى موضع ويقال الجواء ايضا والجياء بالياء موضع توضع فيه القدر ومن شكل الجواء الحواء بالحاء المهملة أخبية يدانى بعضها بعضا والجمع أحوية والحواء أيضا ما يجعل على كفل البعير من كساء أو حلس مطوى ملوى شبه الكعكبة يردفه الراكب وجاء منه فى الحديث فى شأن احدى نسوة النبى صلى الله عليه وسلم قال الراوى فرأيته يحوى لها خلفه ومنه قول المرأة التى نازعها زوجها فى ولدها فقالت ابنى يا رسول الله كان له بطنى وعاء وثدى سقاء وحجرى حواء الحديث والحوّ جمع أحوى وفى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم خير الخيل الحوّ والأحوى أهون سوادا من الجون وهو من أحمد الالوان قال الفرزدق * أغرّ من الحوّ اللهاميم اذجرى * البيت وسيأتى ان شاء الله تعالى والحوبا بالفتح مصدر حوى ومنه قولهم فلان لا يعرف الحوّ من اللوّ أى ما حوى مما لوى وربما قالوا فى هذا لا يعرف الحى من اللى يضرب مثلا للرجل الجاهل بالامور وأصلها حيو وليو اجتمعت واو وياء فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء كما قالوا طويت طيا وشويت شيا والقياس ان تبدل الياء من حوى واوا وتدغم فى الواو التى قبلها اتباعا للوى كما قالوا انى لآتيه بالغدايا والعشايا وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى والحوّة لون يضرب الى السواد ومنه قيل شفة حواء وامرأة حواء الشفة ورجل أحوى اذا كان كذلك وقال الشاعر

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب

وفى القرآن العزيز فجعله غثاء أحوى قيل ان أحوى من نعت المرعى تقديره أخرج المرعى أحوى أى اخضر فجعله غضا يضرب الى السواد من نعومته وخضرته ويجوز أن يكون حالا من مرعى وقيل هو من نعت الغثاء أى يابسا أحوى أى أسود من قدمه والغثاء مايقذف به السيل على جانبى الوادى من الحشيش ومن شكل أحوى أخوى بالخاء المنقوطة يقال أخوى النجم وخوى اذا سقط ولم يكن معه مطر على ما كانت العرب تستعمله فى كلامها وسيأتى ان شاء الله تعالى

خرجت من شئ الى غيره * ولم أطق ياصاح ان أسكتا

ومن يكن يعلم علما فلا * يصلح اذ يعلم أن يصمتا

(فصل من الفوائد) تقدم قول النعمان أردت أن تذعه فدهته مثل هذا قول الشاعر

ان الذى تكرهون منى * ذاك الذى يشتهيه قلبى

وكما قال ابن شرف

وربما عابه مايفخرون به * يثنى من الحصر مايهوى من الكفل

وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها أبا الحسن على بن أبى الرجا الشيبانى وهى من أحسن ماقال رحمه الله وفيها بيت عجيب وهو الذى أخبرتك عنه فى أول الكتاب ان القاضى أبا الفضل عياض بن موسى رحمه الله استشهد به فى بعض تآليفه فى ضرب من البلاغة ولعمر الله انه لغريب وهو قوله

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والأفواه والمقل

فانظر كيف بنى هذا البيت على ثلاثة ألفاظ وهى سل وانطق وانظر ثم أتى بالجواب فى ثلاثة ألفاظ تطابق كل لفظة مقابلتها على التوالى بلا تقديم ولا تأخير فان ملء المسامع مقابل لسل والافواه لانطق والمقل مطابقة لانظر ويكفى ابن شرف من الشرف ان استشهد به القاضى أبو الفضل وتلك غاية الفضل وقد رأيت ان أثبت لك هنا من هذه القصيدة ما أحفظه فانها من غرر القصائد وحسنها للالباب صائد أولها

رسم الأشجى البكا فى الرسم والطلل * والدمع حيلة أهل الفقد للحيل

أفنى دموعى وجسمى طول هجركم * حتى جرت دمعتى طلا على طلل

أبكى فلا جسدى أبقى ولا جلدى * مالو أصيب به جسم البلى لبلى

وحسن صبرى فلا يغررك عن ضرر * مثل الملاحة فى أجفان ذى السبل

وهذا البيت أيضا غرة فى المعنى وذلك ان السبل داء ويكسب العين ملاحة وجمالا يقول فلا تغتر بحسن صبرى فانه يؤدى آخرا الى الهلاك ثم قال من مديحها

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل

اسم حكاه المسمى فى الفعال فقد * حاز العليين من قول ومن عمل

فالسيد الماجد الحر الكريم له * كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

زان العلى وسواه شانها وكذا * للشمس حالان فى الميزان والحمل

وربما عابه البيت وبعده سل عنه البيت أيضا * وتقدم ببرحاء اسم حائط أبى طلحة الانصارى رضى الله عنه حين تصدق به فأنزل الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان أحب أمواله اليه ولما نزلت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الىّ ببرحاء وانها صدقة لله تعالى أرجو برها وذكرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت فيه وانى أرى أن تجعله فى الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة رضى الله عنه فى أقاربه وبنى عمه ومن فضائل أبى طلحة وامرأته الرميصاء وهى المكناة أم سليم رضى الله عنهما وكان سبب اسلامه على يديها خطبها فقالت يا أبا طلحة مثلك لا يرد ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لى أن أتزوجك وفى رواية يا أبا طلحة ألست تعلم ان الهك الذى تعبد خشبة تنبت من الارض نجرها حبشى بنى فلان قال بلى قالت أفلا تستحى أن تعبد خشبة من نبات الارض نجرها حبشى بنى فلان ان أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره فقال حتى أنظر فى أمرى فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قالت يا أنس زوج أبا طلحة وكان أنس هذا ابنها وفى رواية قالت ومامهرى قال الصفراء والبيضاء قالت فانى لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الاسلام قال فمن لى بذلك قالت لك بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبو طلحة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه فلما رآه قد جاء قال قد جاءكم أبو طلحة غرة الاسلام بين عينيه فجاء فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما قالت أم سليم فتزوجها

على ذلك وكانت امرأة مليحة العينين فهما صغير ثم قضى أن ولد له منها ولد فعاش ماشاء الله ثم اشتكى فاشتد شكواه ثم توفى وأبو طلحة عند النبى صلى الله عليه وسلم فانصرف من عنده حين صلى المغرب وقد لقيته أم سليم فجعلته فى ناحية من بيتها فأهوى اليه أبو طلحة فقالت عزمت عليك بحقى أن لا تقربه فانه لم يكن ينام منذ اشتكى خيرا منه الليلة فقربت اليه فطره فأفطر ثم أخذت طيبا فأصابته ثم ذنت الى أبى طلحة فأصابها فلما كان فى السحر قالت يا أبا طلحة لو رأيت جيرانا أعاروا جيرانا لهم عارية حتى ظنوا أن قد تركوها لهم فلما طلبوها منهم وجدوا فى أنفسهم قال بئسما صنعوا قالت فان الله تعالى أعارك فلانا ثم قبضه منك وهو أحق به فغدا الى النبى صلى الله عليه وسلم حين أصبح فأخبره الخبر فقال اللهم بارك لهما فى ليلتهما فحملت بعبد الله بن أبى طلحة رضى الله عنه قال الراوى فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن * (فصل) * قد فعل مثل فعل أبى طلحة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى انفاق ما يحب اشترى له أبو موسى جارية بثمانمائة درهم فبعث بها اليه فوقعت منه موقعا فسماها زينب فدخلت عليه يوما تقرأ هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فقال اللهم انك تعلم انى أحب زينب وانها حرة ثم تبعتها نفسه فأراد أن يتزوجها فقال له ابنه عبد الله أتتحدث العرب انك تزوجت هذه العلجة فوالله لئن تزوجتها لأمشين بين وصليها فخاف عمر بعض هنات عبد الله وبلغ الناس ماقال فيها فخطبها اشراف قريش والعرب فجعل يردهم عنها حتى خطبها مؤذن لعمر فقال يازينب هل لك فى هذا وهو خير لك منهم ان أولئك كانوا يتخذونك أمة وانك تتخذين هذا عبدا قالت نعم فزوجها اياه خرجه ثابت رحمه الله وفسر قوله وصليها فقال أحد الوصلين موصل مابين عجز البعير وفخذه وهما الوركان والوصل الآخر موصل الظهر فى العنق قال ذو الرمة

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر

وقد أخذ على ذى الرمة فى هذا ويشبه معنى البيت الحديث الذى يروى أن امرأة أخذت أسيرة مع لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت على ناقة من اللقاح حتى قدمت المدينة ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى نذرت ان نجانى الله عليها أن أنحرها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما جزيتها أن نجاك الله عليها ثم تنحريها الحديث وأحسن من قول ذى الرمة ومن قول المرأة قول عبد الله

ابن رواحة رضى الله عنه

اذا أدنيتنى وحملت رحلى * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلالك ذم * فلا أرجع الى أهلى ورائى

يقول هذا وهو يسير فى الغزو الى مؤتة حيث قتل هو وزيد وجعفر رضى الله عنهم وقوله وخلالك ذم أى فارقك الذم فلست له بأهل وقد أحسن رضى الله عنه فى هذا المعنى وأحسن من اتبعه فى ذلك كقول أبى نواس

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

وقول الآخر

عوفيت من حل ومن رحلة * ياناق ان قربتنى من قثم
انك ان أوصلتنيه غدا * أحيى لى اليسر وماتت العدم

وقد عيب قول الشماخ أيضا

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

ذكر عن الحسن بن هانئ انه كان يشنؤه اذا ذكر هذا البيت وكان أبو تمام يشينه من أجل ذلك وتقدم الوحى والوحى الذى أوحى الى نبينا صلى الله عليه وسلم كان على سبع صور أولها ما يراه عليه السلام من الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى وقد قال ابراهيم عليه السلام يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فقال له ابنه افعل ما تؤمر فدل هذا على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان الوحى يأتيهم فى النوم كما يأتيهم فى اليقظة ويحتمل أن يكون جبريل عليه الصلاة والسلام جاء نبينا صلى الله عليه وسلم فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لان أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل عليه الصلاة والسلام فكان يترآى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحى والشئ ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام فجاءه بالقرآن والوحى فهاتان صورتان والثالثة ان ينفث فى روعه الكلام نفثا كما قال عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال مجاهد وأكثر المفسرين فى قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا قال هو أن ينفث فى

أقسام الوحى

روعه بالوحي والرابعة أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع به قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى والخامسة أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة وكان لفرط جماله اذا قدم المدينة لم تبق معصر الا خرجت تنظر اليه وقال ابن سلام في قوله تعالى تجارة أولهو اقال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية بفتح الدال وكسرها والسادسة أن يتراآى له جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته التي خلقه الله تعالى فيها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت والسابعة أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب اما في اليقظة كما كلمه في ليلة الاسراء واما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي قال أتاني ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدري فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي وتجلى لي علم كل شيء وقال لي يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت في الكفارات فقال وما هن قلت الوضوء عند المكريهات ونقل الاقدام الى الحسنات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فمن فعل ذلك عاش حميدا ومات حميدا وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه وذكر هذا الحديث نقلت هذا من كلام الاستاذ رحمه الله على معناه مخلصا ملخصا وتقدم الوجاء ومنه حديث ابن مظعون انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني رجل تشق علي هذه العزوبة في المغازي أفتأذن لي في الخصاء قال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فانه يخضر وقد تقدم انه يقطع شهوة النكاح والله أعلم وكرهت طائفة من العلماء هذا الفعل بالبهائم واحتجوا بما رواه البزار عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صبر ذي الروح وعن خصاء البهائم نهيا شديدا وبأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكره ويقول فيه اتلاف الخلق وقد جاء في تفسير قوله تعالى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال هو الخصاء وهو من أمر الشيطان وكذلك الوسم وأما مالك رحمه الله فقال لا بأس بخصاء الانعام فيه صلاح للحومها وأكره خصاء الخيل وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين موجئين هذا كله في الحيوان وأما في بني آدم فحرام ومن فعله بعبده أعتق عليه وكان ولاؤه له وعند غيره لبيت مال المسلمين وحجة من قال بهذا ما خرج أبو داود في المملوك الذي جب سيده مذاكيره فشكى ذلك العبد سيده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله

المعصر الجارية أول ما تحيض لانعصار رحمها وانما خص المعصر بالذكر للمبالغة في خروج غيرها من النساء اه نهاية

عليه

عليه وسلم اذهب فأنت حر فقال يارسول الله على من نصرتى قال على كل مؤمن أو قال مسلم وذكر البزار من طريق ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مثل بمملوكه فهو حر وهو مولى لله ورسوله وخرج الامام أبو حفص عمر بن شاهين رحمه الله فى الناسخ والمنسوخ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ثم قال ألفيت الخلاف فى ذلك وذكر حديثا عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال جاءت جارية الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت ان سيدى اتهمنى وأقعدنى على النار حتى احترق فرجى فقال لها عمر بن الخطاب رضى الله عنه هل رأى ذلك عليك فقالت لا قال فاعترفت له قالت لا قال عمر على به فأتى به فلما رأى عمر الرجل قال أتعذب بعذاب الله عز وجل قال يا أمير المؤمنين اتهمتها فى نفسها فقال أرأيت ذلك عليها فقال الرجل لا قال فاعترفت لك به قال لا قال والذى نفسى بيده لولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقاد مملوك من مالكه ولا مولود من والده لأقدتك بها فعزره فضربه مائة سوط ثم قال لها اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى وأنت مولاة لله تعالى ورسوله أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حرق بالنار ومثل به فهو حر وهو مولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم * وذكر ثابت فى الدلائل ان أول من اتخذ الخصيان من بنى أمية هشام بن عبد الملك فأقبل مسلمة ليدخل على هشام فقام اليه فتى هشام فدفعه فى صدره وقال له لا تدخل على أمير المؤمنين بغير اذن فلما توصل مسلمة الى هشام قال يا أمير المؤمنين علام يحول هذا فى قصرك فوالله لقبلة من هذا أحب الهن من عصد منا قال فأخرجه هشام * فسر ثابت العصد بالجماع قال وهو العصد والعزد والعسد بالسين والزاى والصاد ويقال خصيان وخصية * يروى ان معاوية رضى الله عنه دخل على ميسون بنت بجدل الكلبية ومعه خديج الخصى فاستترت منه فقال لها معاوية رضى الله عنه ان هذا بمنزلة المرأة فعلام تستترين منه فقالت له كأنك ترى المثلة التى به أحلت له منى ما حرم الله رضى الله عنها * رجع الكلام الى الذين يعذبون الناس بالخصاء ولقد حدثنى بعض من أثق به من اخوانى الصالحين عمن حدثه ممن يثق به انه رأى فى النوم أحد الولاة الذين كانوا يعذبون الناس فى الدنيا وكان هذا الوالى ربما بنى الانسان فى الحائط وتركه حتى يموت جوعا وعطشا وربما نفخه بالكير فى دبره حتى يتشقق

أول من اتخذ الخصيان

فرآه فى النوم فقال له مافعل الله بك فأنشده

من سره العبث فى الدنيا بخلقته من * يصور الخلق فى الأرحام كيف يشا

فليحزن اليوم حزنى عند سخطته * معذبا يمتط جمر الغضا فرشا

رجع ومعنى صبر ذى الروح أن تنصب الدجاجة أو الشاة أو مافيه الروح فترمى بالسهام حتى تموت ومعنى أملحين قال (ع) الملحة والملح بياض يشوبه شئ من سواد وكبش أملح منه وعنب ملاحى فى حبه طول يقال ملاحى بالتخفيف وشاهده

ومن تعاجيب خلق الله غاطية * يعصر منها ملاحى وغربيب

ويقال أيضا ملاحى بالتشديد كما قال الآخر * كعنقود ملاحية حين نورا * قال أبو حنيفة رحمه الله من قال الملاحية بالتشديد شبهه بالملاح وهو ثمر الأراك وفيه ملوحية قال والغربيب اسم لنوع من العنب والغربيب اذا أطلق لفظه ولم يقيد بذكر شئ موصوف به فانما يفهم منه العنب الذى هذا اسمه خاصة انتهى كلامه قال الاستاذ رحمه الله ولعلك أن تفهم من هذا معنى قوله تعالى وغرابيب سود فسود على هذا بدل وليس بنعت قال غيره ومن شأن العرب أن تنعت الالوان اذا ذكرتها تقول أسود حالك وأسود غربيب وأحمر قان وأصفر فاقع وأبيض يقق وقوله فى البيت الاول غاطية معناه مرتفعة يريد الحبلة وهى شجرة العنب يصفها بالارتفاع من الارض كأنها عريش والله أعلم ومن غطى بمعنى ارتفع قول حسان رضى الله عنه

رب حلم أضاعه عدم المال وجهل غطى عليه النعيم

وقال الاستاذ رحمه الله غطى بتخفيف الطاء انشده يونس بن حبيب قال ومعناه ارتفع وعلا كما تقدم *رجع* ويقال ملح الرجل ملاحة صار مليحا وأملح جاء بملحة وهى الكلمة المليحة وملحت الشئ وأملحته جعلت فيه من الملح بقدر مايصلحه وملحته أفسدته وملحت بمعنى أرضعت وقد تقدم الملح والملح الرضاع وفى الحديث قول الرجل من بنى سعد بن بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ غنم سبى هوازن يوم حنين لو كنا ملحنا للحارث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منزلك هذا لحفظ ذلك لنا وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك ثم قوله ملحنا بمعنى أرضعنا وانما قال ذلك لانه عليه الصلاة والسلام كان مسترضعا فى بنى سعد والملاح صاحب السفينة والملاح بالضم من نبات الحمض والمملحة المواكلة *تقدم كبش أملح وفى الحديث منه اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت كأنه كبش أملح فيذبح على

الصراط ويقال خلود فلا موت وجاء فى التفسير فى قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة يعنى به ذبح الموت اذ يؤتى به فى صورة كبش أملح وينادى أهل الجنة وأهل النار بالخلود وقيل يوم الحسرة يوم يرث أهل الجنة منازل أهل النار التى كانت لهم فى الجنة لو أطاعوا لانه ليس من نفس الا ولها منزل فى الجنة ومنزل فى النار فمن أطاع حصل له منزله من الجنة ومنزل الكافر من الجنة أيضا وحصل للكافر منزله من النار ومنزل المؤمن من النار أيضا والملاح المليح وفى حديث جويرية ان عائشة رضى الله عنها قالت دخلت على فما هو الا أن رأيتها فكرهت مكانها لأنها كانت حلوة ملاحة ذكره ثابت وقال يقال مليح وملاح وذكر أبو حاتم عن أبى زيد يقال امرأة حسانة فى نسوة حسانات وأنشد رحمه الله

دار الفتاة التى كنا نقول لها * ياظبية عطلا حسانة الجيد

ويقال رجل جسام فى رجال جسامين وكذلك الناقة والنوق وهو العظيم الطويل ورجل كرام من قوم كرامين من نسوة كرامات وهم الكرام قال الخطابى رحمه الله وذكر المرأة الملاحة وسماها جويرية بنت الحارث وفسرها الموصوفة بالملاحة وقال أبو عبيدة العرب تحوّل لفظ فعيل الى فعال ليكون أشد مبالغة فى النعت وقال غيره فاذا أرادوا التأكيد شدّدوا فقالوا رجل أمّان أى أمين قال الاعشى

ولقد شهدت التاجر الامّان مورودا شراؤه

ورجل قراء للقارئ قال الشاعر

بيضاء تصطاد الغوىّ وتستبى * بالحسن قلب المسلم القرّاء

وقالوا وضاءة من الوضاءة وهو الحسن قال

والمرء يلحقه بفتيان الندا * خلق الكريم وليس بالوضاء

قلت وفى القرآن العزيز من هذا ومكر وامكرا كبارا فسروه كبيرا قال الاستاذ رحمه الله الملاح أبلغ من المليح فى كلام العرب وكذلك الوضاء والبكار كذلك مع الكبير غير انه لا يوصف البارى سبحانه وتعالى بهذا اللفظ فيقال فيه كبار بمعنى كبير لانه على بنية الجمع نحو ضراب وشهاد فلفظ كبير أبعد من الاشتراك وأدل على الوحدانية وأما الملاح فأصح ما فيه انه مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه وكذلك اذا بالغوا فى المدح قالوا مليح قريح أى مطيب بالافاويه وهى الاقراح ويدلك على بعد معنى البياض من الملاح قولهم فى الأسود مليح وفى العينين

اذا اشتد سوادهما وجاء فى التفسير فى قوله تعالى وألقيت عليك محبة منى قيل ملاحة فى العينين قال الاصمعى الحسن فى العينين والجمال فى الانف والملاحة فى الفم وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها انك لجميل يا أبا صفوان فقال كيف وليس عندى رداء الجمال ولا برنسه ولا عموده يريد الطول وسواد الشعر والبياض ولكن قولى انك لمليح ظريف

خرجت من شئ الى غيره * ولم أطق ياصاح ان أسكتا
ومن يكن يعلم علما فلا * يصلح اذ يعلم أن يصمتا

مقلوب البيت حرف بين ألفين

وأجا وأحا وأخا وآخا * وواخا اخاء وجل وحل

أجا وأحا مصدران منصوبان من الباب الذى قبله من أج وأح وأخا كذلك مثقل أخ وآخا من قولك آخيت بين الرجلين أى جعلت كل واحد منهما لصاحبه أخا وفى الحديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وواخى مثله يقال آخيته وواخيته مواخاة واخاء * فرغ البيت على أن فيه واوا زائدة على الشكل فى واخا وناقصة من اخاء بحسب الضرورة وبقى من هذا الشكل مما لم يتزن أجاء زيد والالف للاستفهام وأجأ مقصور مهموز اسم جبل وله يقول عبد الله ابن رواحة رضى الله عنه

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى * تخب تراثعا خبب الركاب

وبقى من هذا الباب أجاء بمعنى ألجأ قال الله تعالى فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قال ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما ألجأها ويقال معناه جاءبها وأصل الكلمة من المجيء يقال جاءت بى الحاجة اليك وأجاءتنى الحاجة اليك قال زهير

وجاء جاء معتمدا عليكم * أجاءته المخافة والرجاء

وفى مثل شر ما يجيئك الى مخة عرقوب يعنى يحوجك ومن هذا الباب أجأى يقال بعير أجأى بين الجؤوة والجأى وهو سواد فى غبرة وحمرة قال زهير * أصك مصلم الأذنين اجنى * ويروى أجأى من الجؤوة المذكورة وسيأتى البيت بكماله وتفسيره فى آخر بيت ان شاء الله تعالى ويقال من هذا اللون كتيبة جأوى أى سوداء والجو جو السماء وهو الهواء وجو البيت وهو داخله لغة شامية ومنه قول بعضهم لامرأته اكفينى جوا أكفك برا يعنى اكفينى شغل داخل البيت أكفك

خارجه

خارجه ولذلك يقولون الجوانى والبرانى وربما كنوا بذلك عن أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه لكل امرئ جوانى وبرانى فمن يصلح جوانيه اصلح الله برانيه ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه وكانت العرب تسمى اليمامة جوّا قال الشاعر

فاستنزلوا أهل جوّ من منازلهم * وهدموا شاخص البنيان فاتضعا

ومن معكوس جوّ وج وهى ارض الطائف وقد تقدّم فى أوّل الباب * ومن مضاعف هذا الحرف الجؤجؤ يهمز ولا يهمز وهو الصدر وجمعه جآجئ قال الشاعر

* باد جآجئ صدرها ولهاعنى *(فصل من الفوائد تقدم) * فى الحديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه حين قدموا المدينة فجعل مع أنصارى مهاجريا فائتلفوا أحسن ائتلاف ولم يكن بينهم اختلاف رضى الله عنهم ونفعهم وحشرنا معهم وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال هذا أخى وكان حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين وكانوا يتوارثون فى أوّل الاسلام بتلك الاخوة حتى أنزل الله الفرائض والمواريث ثم انظر كيف كان فعلهم رضى الله عنهم ورضاهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وسخاؤهم وكرم طباعهم خرج البخارى فى جامعه لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن انى أكثر الانصار مالا فاقسم مالى نصفين ولى امرأتان فانظر أعجبهما اليك فسمها الى أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك فى أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بنى قينقاع فما انقلب الا ومعه فضل من أقط وسمن ثم ذكر باقى الحديث فانظر هممهم مع فقرهم الذى مدحهم الله تعالى به فقال الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا رضى الله عنهم ثم قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبينهم النخل قال لا قالوا يكفونا المؤنة ويشركوننا فى التمر قالوا سمعنا وأطعنا ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال للانصار ان شئتم قسمت بنى النضير بينكم وبين المهاجرين وأنتم على مواساتكم فى ثماركم وان شئتم أعطيتها المهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونهم من ثماركم فقالوا بل تعطيهم دوننا وتمسك ثمارنا فأعطاها

رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين فاستغنوا بما أخذوا واستغنى الانصار بما رجع اليهم من ثمارهم * وتقدم في البيت أجأ وهو اسم جبل وفي الحديث في غزوة تبوك ان رجلا ألقته الريح بجبلي طيء وهما أجأ وسلمى عرف أجأ بأجأ بن عبد الحي كان صلب في ذلك الجبل لما فجر بسلمى بنت حام أو هم بذلك وصلبت سلمى بالجبل الآخر فسمي بهما وصلبت العوجاء معهما أيضا وهي امرأة كانت تحضن سلمى وكانت السفير بينهما فيما ذكر فصلبت بجبل ثالث قريب منهما فسمي الجبل بالعوجاء والله أعلم * وتقدم فأجاءها المخاض والمخاص دنو الولادة قال ابن عباس رضي الله عنهما حملت به وولدته في ساعة وقال مجاهد حملت به في ستة أشهر وقيل ثمانية وذلك آية لانه لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش وكذلك أيضا لستة أشهر لا يعيش وقد تقدم * وجذع النخلة يروى انه كان جذعا يابسا بغير رأس وكان شتاء فأنبت الله له رأسا وجعل فيه رطبا جنيا وهو ما أخذ من الثمرة طريا فسبحان اللطيف الخبير الذي هو على كل شيء قدير * (مقلوبه أيضا الف بين حرفين) *

وجاح وجاح وحاج وخاج * وحاح وخاخ وخل وخل

يقال جاحتهم السنة تجوحهم جوحا وجياحة ومنه الجائحة جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو بعت من أخيك ثمرا وأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا لم تأخذ مال أخيك بغير حق واجتاحهم العدو أتى عليهم وفي الحديث من هذا فصبحهم الجيش فاجتاحوهم نعوذ بالله من سخطه * وخرج أبو داود ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مالا وولدا وان والدي يجتاح مالي قال أنت ومالك لوالدك ان أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم ويقال وجح الطريق اتضح وأوجحت النار وأوجحت غرة الفرس اتضحت والوجاح الستر ويقال فيه الاجاح والهمزة مبدلة كما قالوا اكاف ووكاف وقد تقدم (وأما حاج) فجمع حاجة وحاجات كما يقال ساعة وساعات ويقال باع منه الشيء مباوعة كما يقال مساومة والحوج الحاجات وكذلك الحوائج وحاجة حائجة وقد أحوج الرجل اذا احتاج وأحوجه الله والتحوج طلب الحاجة وأصل حوائج حواجي ثم قلب قال المطرز حائجة وحوائج هذا أصله والحاج ضرب من الشوك ومنه الحديث الذي يروى أن ابن آدم لما قتل أخاه غضب الله على الارض فأنبتت الحاج والشوك خرجه ثابت في الدلائل قال والحاج

ضرب من الشولك وخرج أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل جاءه يشكو الحاجة انطلق فاحتطب ولا تحقرن شوكا ولا حاجا ففعل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا خير من أن تأتي يوم القيامة وفي وجهك نكتة المسألة وقال عليه الصلاة والسلام للرجل الذي باع له القدح والحلس فيمن يزيد انطلق الى هذا الوادي فلا تدع حاجا ولا حطبا ولا تأتني خمسة عشر يوما ذكره الخطابي وقال الحاج ضرب من الشولك قال الشاعر * من حسك التلعة أو من حاجها * ويقال في الحاجة حوجاء ولكن توصل بلوجاء يقال أصابته حوجاء ولوجاء وتصغيرها حويجاء ولويجاء تقول مالي في أمرك حويجاء ولا لويجاء وهي بمعنى الضرورة الفاقة لا تصالها بلوجاء من الالتجاء والحاجة والفقر والمسكنة والضراعة الى الناس كما أنشدني الفقيه أبو محمد عبد الحق لنفسه من قطعة يقول فيها

والمرء لا يصغر مقداره * الا اذا احتاج الى الناس

ويقال حاج يحوج حوجا اذا احتاج والتجأ والحاجة أيضا من حوائج البيت وهو قريب من الاول لانها انما سميت بذلك للافتقار اليها والحاجة أيضا الامر يعرض في النفس كما قال تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضاها قيل في التفسير خاف عليهم العين اذا دخلوا من باب واحد وقيل خاف أن يستراب بهم اذا دخلوا مجتمعين والحاجة أيضا الحسد من قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا يعني الانصار مما أوتي المهاجرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاهم غنائم بني النضير ولم يعط الانصار منها شيئا حاشا رجلين منهم كانا فقيرين وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة وقد ذكر ان الحارث بن الصمة كان ثالثهما فلم تحسدهم الانصار على ذلك فحدهم الله تعالى على ذلك فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي حسدا والله أعلم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهي الحاجة التي يختل بها الحال وأصله من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة انفراد بالحاجة ومقلوب هذه اللفظة حجا والحجا العقل ويقال حاجيته فحجوته اذا ألقيت عليه كلمة محجية مخالفة لمعنى اللفظ وجاء في الدلائل انه لحجي به ان يفعل كذا أي حري به وما أحجاه كذلك وقال غيره انه لحج بكذا كما تقول حر وحري أي حقيق ومثله قن وقين وقد قالوا حر وحري وحرى كله بمعنى وقالوا في مثله عس قال المعرى * فان مثلي بهجران القريض عسى * وتقول أج بهذا الامر أي أحر به

حجا

وما أحراه وكذلك يقولون فى مثل هذا انه لحرى ان يفعل وحر وفى الحديث من هذا انه لحران خطب أن لا ينكح وان شفع ان لا يشفع ومثل هذه الالفاظ جدير وخليق وقمن ويقال فى هذا قمن بالفتح وقمين بالياء بمعنى حقيق بكذا ومنه قولهم بالحر أن يكون كذا كما يقولون هو يحرى بمعنى يقصد والحجوى هى الحاجاة وتصغيرها الحجيا وهى الأحجية والأحجوة ويقال حجيا لما كذا والحجا أيضا ما بنى على السطوح من حاجز يمنع من التردى وهو الاجار أيضا وقال الشاعر

لا تمنع المرء أحجاء البلاد ولا * تبنى له فى السموات السلاليم

وجاء فى الحديث من بات على ظهر بيت ليس عليه حجا فقد برئت منه الذمة أو قال فلا يلومن الا نفسه ومن ركب البحر اذا التج أو ارتج فقد برئت منه الذمة قال بعض العلماء يريد ذمة الشهادة والله أعلم ومثله الحديث الذى يروى عن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه انه أراد أن يبيت على سطح أجلح ثم قال كدت أبيت ولا ذمة لى خرجه ثابت وقال الأجلح الذى ليس له بناء يرد الرجل ويقال له أيضا الحواط وقد روى فى هذا الحديث فرشنا له على سطح ليس له حواط فقال كنت أبيت ولا ذمة لى وهو مشتق من المنع مثل العقل يعقل صاحبه ويمنعه من أن يقع فى هوة الجهل والحجا مفتوح مقصور الحصن وجمعه أحجاء والحجاء بالمد والكسر زمرمة المجوس والفعل يحجو الشول اذا هدر بها فانصرفت اليه والحجاة قفاعة ترتفع فوق الماء والجمع حجوات والحجوة الحدقة وحجأت بالشئ حجأ فرحت به وكنت مولعا به ضنينا يهمز ولا يهمز قال الشاعر

فانى بالجموح وأم بكر * ودوح فاعلموا حجئ ضنين

ومن شكل حجا خجا بتقديم الخاء المنقوطة على الجيم ومعناه نكح قاله يعقوب (وأما حاج) فاسم الفاعل من حج يحج وربما قالوا فى اسم الفاعل منه حجاج للمبالغة كما يقولون فى المخاصم بالحجاج المبالغ فى ذلك حجاج وبه سمى الرجل ومن حجاج الكثير الحج قول الشعبى وقد سئل عن الاسود بن يزيد النخعى فقال كان صوّاما قوّاما حجاجا ومعنى الحج القصد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت أى قصده للعبادة وحج علينا فلان أى قدم قال الشاعر * يحجون سب الزبرقان المزعفرا * والسب العمامة وكانت السادات يصبغون عمائمهم بالزعفران وقد يقال أيضا لجماعة الحجاج حجيج وحاج يقال قدم الحاج والحاج العام كثير ومن شكل حجة

حجة التي يحتج بها الانسان كانه يوضح عن نفسه ومنه المحجة التي هي الطريق الواضح والحجة السنة وجمعها حجج قال الله تعالى على ان تأجرني ثماني حجج والحجة واحدة الحجات وقد تقدم والحجة أيضا شحمة الاذن التي يعلق فيها القرط وأنشدوا * يرضن صعاب الدر في كل حجة * البيت قاله ابن دريد قال والحجة أيضا خرزة أو لؤلؤة تعلق في الاذن وبها سميت حاجة بالتشديد والحجة واحدة الحج وحجج الرجل اذا نكص وحجبت البيت الحرام وحججت الشجة أي أدخلت الميل فيها لتقيسها والميل المرود ومنه الحديث ان الشمس تدنو من الخلائق حتى تكون منهم بمقدار ميل قال الراوي فما أدري ما أراد بالميل أمسافة الارض أو الميل الذي تكحل به العين والحجيج جماعة الحاج كما تقدم والحجيج أيضا المشجوج الذي عولج والشجة حاجة ويقال الحجيج الذي اختلط الدم بدماغه فيصب عليه السمن المغلي حتى يظهر الدم والحجاج والحجاج العظم المستدير حول العين والجمع أحجة ومنه حديث أبي عبيدة في الدابة التي وجدوها على ساحل البحر قال وجلس في حجاج عينها نفر والحجيج أيضا الحجاج عن القوم والخاصم عنهم وهو من حاج وهي اللفظة التي في البيت مأخوذة من ج يحج اذا غلب خصمه بالحجة ومنه الحديث فحج آدم موسى عليهما السلام وحاج زيد عمرا ومنه قوله تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وقال تعالى وحاجه قومه والحجاج فعال من هذا ومقلوب حاج أجح يقال أجحت الكلبة والسبعة اذا أثقلت فهي مجح والجمع مجاح وفي الحديث من هذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة مجح فسأل عنها فقالوا هذه أمة فلان قال أيلم بها قالوا نعم قال لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه في قبره كيف يستخدمه وهو لا يحل له أم كيف يورثه وهو لا يحل له قال أبو عبيدة المجح الحامل المقرب والمجاح السيد وجمعه جحاجح قال الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا

قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

ويأتي من مقلوبه أيضا جحا وهو المضروب به المثل عند العامة ومعكوس ج ح ج تقول ج ح الشئ يجحه جحا اذا سحبه لغة يمانية وكل شجر انبسط على وجه الارض نحو الحنظل والبطيخ فهو عندهم الجح وكأنهم يريدون انجح على الارض اذا انسحب ومن مضاعفه حجج نكص ومصدره كذلك اذا أراد ان يقول ما في

نفسه فأمسك ومن شكله أيضا جخ تقول جخ الرجل اذا تحوّل من مكان الى مكان والخجخاج من الرجال الذى ليس لكلامه جهة قاله ابن السكيت وتجخجخ اذا صاح ونادى قاله ع وقال وجخ برجله وجخى بها اذا نسف بها التراب فى مشيه وربما قالوا اجخ بها ونجابها ويقال خج ببوله اذا رمى به حتى يخدّ به الارض (وأما حاح) فلقب وهو عندنا مشهور فى رجل يعرف بالحاحى وكانه مأخوذ من صوت زاجر الطير فانه يصيح عليها فى ابان الزراعة وعند ما يصير الحب فى السنبل حاح حاح ويرميها بالحجارة ووقع فى التعاليق على كتاب سيبويه لابى على الحسن بن على بن أحمد النسوى ما يدل على ان العرب تستعمل هذه اللفظة قال أبو على رحمه الله الالف فى حاحيت بدل من ياء كان أصله حيحيت وليست هذه الالف بألف فاعلت نحو راميت والدليل على ذلك قولهم فى مصدره الحيحاء والحيحأة على مثال الزلزال والزلزلة ووقع فى كتاب العين حاحيت بالكبش وحاحأت وأنكر ذلك الزبيدى وقال انما هو حاحيت لاغير وكذلك قال (ع) حوحأت بالعنز اذ زجرتها فقلت لها حوو أنكر ذلك (ز) وقال الصواب حوحيت ويقال حاح بضأنك وحاى وقال أبو زيد خاى بكذا كذا رأيته بالخاء المنقوطة وقال معناه أعجل جعله صوتا مبنيا على الكسر يستوى فيه الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وأنشد للكميت

اذا ما شحطن الحادين سمعتهم * بخائبك الحق يهتفون وحهل

وقال ابن سلمة معناه خيبت وهو دعاء منك عليه تقول بخائبك أى بأمرك الذى خاب وخسر كذا رأيته فى كتاب تاج اللغة بخائبك متصلا (وأما خاخ) فوضع معروف بين مكة والمدينة يقال له روضة خاخ ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها امرأة معها صحيفة الحديث قال البخارى بعد ذكر هذا الحديث قال ابو عوانة خاخ وحاج تصحيف وخاخ أصح وهو موضع وهشيم يقول خاخ ويروى فى هذا الحديث خاخ منونا وخاخ مسكنا * بقى من هذا الشكل جاخ فانظر فما لم يعجبك من ألفاظ البيت فاجعل هذا عوضا منه قد نطقت به العرب رأيت فى طرة كتاب الجمهرة جاخ الوادى السيل يجوخه جوخا وباخت النار تبوخ بوخا وقد تقدم جخ الرجل قبل هذا وكذلك جخجخ بتقديم الجيم على الخاء وبقى ما هو بتقديم الخاء على الجيم تقول خجعت الريح تخجع فى هبوبها اذا التوت وهى

الخجوج والخجحجة سرعة الاناخة والحلول والخجحجة أيضا الانقباض فى موضع خفى واخجحج الجمل فى سيره اذا لم يستقم * وقال صاحب العين الخجاجة الرجل الاحمق وقال الجوهرى والهلباجة الاحمق قال الاحمر لقيت أعرابيا فسألته ما الهلباجة قال الاحمق الاكول الضخم القدم الذى جمع كل شر ومن خاخ أحد شعراء ابن عباد رحمه الله * تفسير القوافى * دامت لنا ولكم العوافى جل وجل أول ما أبدأ به من الكلام على الجيم هى من الحروف المجهورة ومن الحروف الشديدة ومخرجها من اللهاة واختها الشين فى المخرج ولذلك تجد كلمات كثيرة ينطق بها تارة وبهذه أخرى لاسيما فى لسان العجم وأكثر ما يوجد ذلك فى أنسابهم مثل البرجانى وابن أبرج رجل من المحدثين لما قرأته على الحافظ رحمه الله قال لى الفظ به بين الجيم والشين فسألته عنه فقال هو السحاب بلغتهم وربما كتبوا الحرف جيما وكتبوا عليه شينا حرصا على البيان ليعلموا كيف النطق بهذا الحرف وأما العامة فعندهم من ذلك كثير مثل جحيه وأصلها من القش وكذلك بلج للذى يغلق به الباب وكذلك فورجة وفنجة وغير ذلك مما لا يحتاج الى ذكره ولذلك لا تجتمع الطاء والجيم فى لسان العرب ولذلك قالوا الطاجن والطيجن معرب عربته العرب وهو الطاجن يقلى عليه ذكره الجوهرى فى تاج اللغة ومن شكل جيم ختم بالخاء المنقوطة والتاء وهو معلوم من ختم أى طبع وختم بالحاء المهملة وهو الواجب وسيأتى ومن شكله أيضا خيم بالخاء والياء جمع خيمة وخيم بكسر الخاء وفتح الياء بعدها وهو موضع قال طفيل

لمن طلل بذى خيم قديم * يلوح كأن باقيه رسوم

ولجرير الرجز المشهور

أقبلن من نهيان أو وادى خيم * قد طويت بطونها طى الادم

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنختاها الى باب الحكم

جم

واما الكلام على تصريف حروف الجيم فان حذفت ياءه جاء منه جم ومستقبله يجم تقول جم الشئ واستجم كثر والجمة البئر الكثيرة الماء ويروى انه وضع لعبد الملك ابن مروان غداؤه فقال لآذنه ادع لى خالد بن يزيد بن معاوية قال مات يا أمير المؤمنين قال ادع لى روح بن زنباع الجذامى قال مات يا أمير المؤمنين قال ادع لى عبد الله بن

خالد بن أسيد قال مات يا أمير المؤمنين قال ارفع ويحك نعصت علينا ثم أنشأ يقول

ذهبت لداتي وانقضت آجالهم * وغبرت بعدهم ولست بغابر
وغبرت بعدهم فأسكن مرة * بطن العقيق ومرة بالظاهر
العيش منقطع وان أحببته * والموت موردة الهيوب النافر
ماء بمنقطع الموارد كلها * فالبرّ وارد حوضها كالفاجر
ولقد علمت لأشربن بجمة * يوما ولست اذا وردت بصادر

والجمة البئر الواسعة الكثيرة الماء كما تقدم وهذا من الدلائل واللدات جمع لدة وهو الذي يولد معك في وقت واحد أو قريب منه ويجمع أيضا لدون وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يستحسن في اللدة قول ابن قيس الرقيات في امرأة

لم تلتفت للداتها * ومضت على غلوائها

اى سبقت نظراءها وأقرانها وقوله مضت على غلوائها يقال كان ذلك في غلوائه أى حين يغلو فيطول وغلا النبت يغلو غلوا اذا طال وكذلك غلا الصبي اذا شب ويقال للجارية اذا شبت شبابا حسنا وجاوزت لداتها قد غلا بها عظم قال الشاعر

خمصانة قلق موشحها * رود الشباب غلا بها عظم

رود الشباب ناعمة الشباب ومثله

حتى اذا غلا بني واحتجن * وزانه الشحم والشحم زين

أراد زين ففتح الياء للاتباع كما كسر الجيم والراء الآخر في قوله

علمنا اخواننا بنو عجل * شرب النبيذ واصطفاقا بالرجل

والجمة الشعر الكثير وهي أكثر من اللمة والجمع جمم وجمام وتصغيرها جميمة وفي الحديث من هذا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة وقول عائشة رضي الله عنها وفي شعري جميمة والجمة القوم يسألون في الدية قال الشاعر

وجمة تسألني أعطيت * وسائل عن خبري لويت * فقلت لا أدري وقد دريت *

ومن الجم الذي هو الكثير قولهم الجم الغفير اى المجتمعون ويقال جاؤا جماء غفيرا بالهمز والمد وجما غفيرا والجماء هي بيضة الحديد تعرف بالجماء والصلعاء فاذا جعل معها المغفر فهي غفيرها هذا أصله ومعناه الاجتماع والاحاطة وشاة جماء

لا قرن لها والذكر أجم ومن أمثالهم عند النطاح يغلب الكبش الاجم يضرب مثلا للرجل الذى لا سلاح له لانه يقال له أجم ومنه قول امية بن أبى الصلت

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

أى لم يلم بمعصية وكذلك فسر فى التنزيل ويحبون المال حبا جما والله أعلم وجمع الاجم جم وهو من هذا الباب قال الاعشى

وان معاوية الاكرمين * حسان الوجوه طوال الامم
متى تدعهم للقاء الحروب تأتك خيل لهم غير جم
وأما اذا ركبوا فالوجوه فى الروع من صدأ البيض حم

معاوية قبيلة ويستشهد بقافية البيت الأول فى باب أمة التى هى القامة وجمعها امم كما رأيت وبقافية البيت الثانى على هذا الباب وأما الثالث من صدأ البيض حم فى الفصل بعد هذا الاحم الادهم وجمعه حم خرج البيت الثانى أبو عبيد رحمه الله وأنشده * متى تدعهم لقراع الكماة * واستشهد به على قول ابن عباس رضى الله عنهما أمرنا أن نبنى المساجد جما والمدائن شرفا وفسره بنحو مما تقدم من قولهم شاة جماء اذا لم يكن لها قرن وكذلك الرجل الذى لا سلاح معه وكذلك البناء اذا لم يكن له شرف فهو أجم وجمعه جم ويقال جم الفرس يجم جما ويجم أيضا اذا عفا من التعب وقال أبو زيد جم وأجم وأجمه أنا كذلك جمامة اذا ترك الضراب ويقال أعطنى جمام فرسك وجمت البئر تجم وتجم جموما اذا تراجع ماؤها وضم الجيم فى البئر أكثر من كسرها فى المستقبل وفى الحديث من أحب أن يستجم له الرجال قياما وجبت له النار أى يستجمعون له قائمين وجمة الركى معظم مائها والجمع جمام قال الشاعر * جمام الركايا أنكرتها الملاتح * ويقال أجمت الحاجة حانت والجميم النبات الكثير والجمام الكيل الى رأس المكيال * ومن مضاعفه جمجم فى صدره شيئا اذا أخفاه ولم يبده والمصدر الجمجمة ويكون ذلك من غير عى والجمجمة القحف وهو مستقر الدماغ وجماجم العرب القبائل التى تجمع البطون فينسب الهادونهم اذا قلت كلبى استغنيت أن تنسب الى شئ من بطونه وهم السادة أيضا ومعكوس جم مج التراب من فيه والماء يجه مجا رمى به وهو المجاج ومجاج العنب شرابه ومجاج المزن مطره ومجاج النحل عسله وللجراد مجاج ومن الرواة محمود بن الربيع وكان صغيرا ولكنه عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم

مج

وعقل مجة مجها في وجهه من دلو في بئرهم فعد بذلك من رواة الصحابة رضي الله عنهم وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم من حسن خلقه ومما زخته لاصحابه حتى للصبيان وقد نضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما فيها وأتى بدلو من ماء زمزم فجج فيه فصار أطيب من المسك صلى الله عليه وسلم والجج حب كالعدس والجج بضم الميم والجيم فرخ الحمام قال ابن دريد ولا أعرف ما صحته والمأج الاحمق وقد تقدم ومن مضاعفه الجمجمة تخليط الكتاب اذا ضربت عليه بالقلم أو غيره فهو مجمج * ومن شكل جم حم تقول حم الله له كذا وكذا اذا قضاه وأحمه أيضا وينشد * وليس لشئ حمه الله دافع * وينشد على أحم بالالف * أحم الله ذلك من لقاه * أي قضاه وفرس أحم بين الحمة وهي بين الدهمة والكمتة والحم الشحم المذاب فما بقي منه فهو حمشة قال الشاعر يصف المطر وانسكابه

كأنه لما وهى سقاؤه * وانهل من كل غمام ماؤه * حم اذا أحمشه قلاؤه *

يروى أحمشه بالحاء المهملة وبالخاء المنقوطة أي أحرقه من قولهم سنة حموش اذا أحرقت النبت * ومن الحم قول مسلمة بن عبد الملك رحمه الله أقل الناس في الدنيا حما أقلهم في الآخرة هما خرجه ثابت وقال الحم المال وأصله الشحم ضرب مثلا للمال كما يقال فلان ماله طرق اذا كان ضعيفا وأصل الطرق الشحم ويقال الحم ما أذبت من اهالته والواحدة حمة وأنشد ابن الاعرابي * يهم فيه القوم هم الحم * قال هم الرجل الشحم يهمه هما اذا أذابه ويقال هملك ما أحمك أي أذاب جسمك هذا الحديث الذي يقلقك وأما الحمة مخففة فهي حدة السم ومنه الحديث لا رقية الا من عين أو حمة وحم الرجل من الحمى فهو محموم ويقال أحمه الله أيضا وحم الفرخ اذا نبت زغبه وكذلك الرأس اذا حلق ثم نبت شعره والحمام قضاء الموت وحممت وجه الرجل اذا سودته بالحمم وهو الفحم واحدته حممة ومنه حديث اليهودي الذي رجمه النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل اليهود عن فعلهم بالزاني قالوا نحممهم ويفضحون واليحموم الدخان * ومن شكل حم حم اسم السورة وقد تقدم الكلام فيه في أول الكتاب عند فواتح السور وفي الحديث منه كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حم لا ينصرون وقال الشاعر

حم

يذكرني حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم

*ومن شكل حم أيضا حم وهو قريب المرأة كابن العم ونحوه وفيه لغات حم كما تقدم وحما مثل قفا وحمو وحمء وفي الحديث من هذا وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول الرجال على النساء فنهى عن ذلك فقيل يا رسول الله أرأيت الحمو قال الحمو الموت وتقدم أحم ومعكوسه محا يقال محوت أمحو ومحيت أمحي وفي حديث علي رضي الله عنه ما أنا بالذي أمحاه يعني اسم النبي صلى الله عليه وسلم ومن مضاعفه الحمحمة صوت الخيل حمحم الفرس حمحمة اذ ردد الصوت ولم يصهل كالمتنخم وأسود حمحم وحماحم شديد السواد *ومعكوسه مح تقول مح الثوب وأمح يمح ويمح محوحا اذا أخلق فهو ممح وخرج مسلم عن الربيع بن سبرة في حديث متعة النساء ان أباه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة قال فأقمنا بها خمسة عشر ثلاثين بين ليلة ويوم فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء فخرجت أنا ورجل من قومي ولي عليه فضل في الجمال وهو قريب من الدمامة مع كل واحد منا برد فبردي خلق وأما برد ابن عمي فبرد جديد غض وذكر الحديث بطوله وكيف تلقتهما المرأة وقالت لاحدهما ان برد هذا خلق وفي رواية ان برد هذا خلق مح *والمح صفرة البيض وخالص كل شيء محه ورجل محاح للذي يرضى بالكلام بلا فعل ومن مضاعفه رجل محمح قالوا خفيف نزق وقالوا ضيق بخيل وقد قيل في هذا رجل محاح يوصف به البخيل وقد تقدم المحاح ومن شكل حم خم تقول خم اللحم يخم ويخم وأخم خما وخموما واخماما اذا تغيرت رائحته وأكثر ما يستعمل في المطبوخ فأما الشيء فيقال صل وأصل وسيأتي في باب الصاد ان شاء الله تعالى قال الشاعر

وشمة من شارف مزكوم * قد خم أو زاد على الخموم

ويروى * وقبلة من شارف معكوم * الشارف الشيخ والناقة المسنة ولا يقال للمذكر انما يقال عود وتقول خممت البيت أخمه خما اذا كسحته والمخمة المكسحة والخمامة الكساحة وكذلك القمامة والكناسة والمقمة والمخمة المكنسة ورجل مخموم القلب اذا كان نقيا من الغل وغدير خم معروف وقد تقدم انه على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة على الطريق وخم أيضا بئر بمكة شرفها الله تعالى حفرتها بنو كلاب ومنه قول الشاعر *ولا تسقني الا بخم أو الحفر * والحفر بئر أيضا قال الشاعر

وسقيت بالماء النمير ولم * أبرد الاطم حماة الحفر

محا

مح

خم

خرجه ثابت وفسره قال قال قطرب الماء الغمير الذى يعسى عليه المال ملحا كان أو عذبا وقال الاصمعى ماء غمير اذا كان مريئا وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه ان رجلا صنع له طعاما فدعاه فلما فرغ قال الحمد لله الذى أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير وسقانا الغمير قال والحبير الحبرة وأما النقاخ فهو الماء العذب وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم لما شرب من دومة قال هذا النقاخ فسره الخطابى بأنه العذب كما تقدم قال وسمى نقاخا لانه يكسر العطش والنقخ الكسر وأنشد

فان شئت حرمت النساء عليكم * وان شئت لم أشرب نقاخا ولا بردا

قال والمسوس فى العذوبة دون النقاخ والفرات أعذب العذب * ومن معكوس خم مخ وهو ما أخرج من عظم وسيأتى الكلام عليه فى باب الراء ان شاء الله تعالى ومن مضاعفه الخمخمة تقول خمخمت ما فى العظم وتخمخمته وسيأتى فان حذفت الميم من لفظ جيم بقى جى وجى بلد معروف بأصبهان قاله لى الحافظ رحمه الله وأنشد لنفسه من قطعة مطولة جى

سقيا لأيام بجى قد مضت * لى بين أهل الفضل من خلان

أهل الفصاحة والبراعة معشر * فاقوا الشيوخ وهم من الشبان

انظر هنا بكمالها فى التكميل وهو بلد سلمان الفارسى رضى الله عنه جاء عنه انه قال كنت رجلا من أهل جى وقال ابن دريد الجى غير مهموز جفان تمسك الماء الواحدة جية وجئ بالهمز أمر من جاء وجى ء مبنى لما لم يسم فاعله قال الله عز وجل وجىء يومئذ بجهنم أعاذنا الله منها ومن شر كله حى ضد ميت والحى من أحياء العرب وبنو حى بطن من العرب ومن أسماء رجال الحديث حى وكنيته أبو حية والحى الحياة قال الشاعر * وقد نرى أن الحياة حى * وحى على كذا وكذا أى عجل وحهل كذا وكذا أى عجله قال الشاعر * بحيهلا يرجون كل مطية * وقال أبو الخطاب فان أول الأذان حيهل الصلاة نصبوا الصلاة والفلاح على الاغراء والتحضيض ثم ان بعضهم ألغى هل وأتى مكانها على وذلك على اظهار المعنى فجروا الصلاة والفلاح وقال الاصمعى قال بعضهم حى على الثريد أى عجلوا على الثريد وجاء فى الحديث اذا ذكر الصالحون فحيهل بعمر أى عجل بذكر عمر ويقال حيهلا وحيهل وحى هل بعمر من كتاب ابن السكيت وقد يقولون حى من غير أن يقولوا هل من ذلك قولهم فى الأذان حى على الصلاة حى على الفلاح وانما هو دعاء الى الصلاة والفلاح قال

ابن أحمر أنشأت أسأله مابال رفقته * حى الحمول فان الركب قد ذهبا
قال أنشأ يسأل غلامه كيف أخر الركب وحكى سيبويه عن أبى الخطاب ان
بعض العرب يقول حى هل الصلاة يصل بها كما يوصل بعلى فيقال حى هل الصلاة
ومعناه ائتوا الى الصلاة واقربوا من الصلاة وهلموا الى الصلاة وقد حيعل
المؤذن كما يقال حوقل وتعيشم مركب من كلمتين قال الشاعر

ألا رب طيف منك بات معانقى * الى أن دعا داعى الصلاة فحيعلا

وربما ألحقوا به الكاف فقالوا حيهلك كما يقال رويدك والكاف للخطاب فقط ولا
موضع لها من الاعراب لانها ليست باسم قال ابو عبيد وسمع أبو مهدية الاعرابى
رجلا يدعو بالفارسية رجلا يقول زوذ زود فسأل أبو مهدية عنها فقيل له يقول عجل
عجل فقال هلا يقول حيهلك أى هلم وتعال وقول الشاعر * هيها ؤه وحيهله * فانما
جعله اسما ولم يأمر به أحدا وسيأتى طرف من هذا المعنى فى باب الهاء ان شاء الله
تعالى * فرغ الجيم * بقيت القوافى قافية أول بيت وجل وجل أما جل الشئ فعناه جل
عظم فهو جلال وجليل ومنه قول الناس جل الله عظم ملكه وشأنه والجلل العظيم
والجلل الصغير وهو من الاضداد ويستشهد على الجلل الصغير بقول المرأة من
الانصار التى قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
أحد فلما نعوا لها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد
الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وجل
الرجل اذا كبر من السن وروى قوم بيت جميل * وجنّ اللواتى قلن عزة جلت *
أى كبرت والرواية المشهورة جنت ويقال جلت الهاجن عن الولد أى صغرت
والهاجن الصبية الصغيرة تزوج قبل بلوغها وكذلك الصغيرة من البهائم يقال لها
أيضا هاجن يقال جلت العلبة عن الهاجن أى كبرت العلبة والعلبة اناء يحلب
فيه وهو اناء كبير وقد تقدم وجل كل شئ عظمه والجل نقيض الدق ومنه الحديث
اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله والجل سوق الزرع المحصود ومنه حديث عمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه قال يحيى بن يحيى الغسانى كتبت اليه أسأله عن رجل
أحرق جلا فى براح فطارت شرارة فأحرقت شيئا لجاره فكتب الى عمر بن عبد
العزيز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العجماء جبار وأرى ان النار جبار
خرجه ثابت وقال الجل سوق الزرع اذا حصد عنه السنبل قال وقد روى أيضا

جل

حديث مرفوع فى النار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجمماء جرحها جبار والمعدن جبار والنار جبار وفى الركاز الخمس قال وكانت العرب تسمى السيل جبارا أى لا يودى ما قتل ولا يقوم ما أفسد والجلة وعاء من خوص ورب ما جعل فيها التمر وجمعها جلل قال الشاعر * وعندهم البرنى فى جلل تجل * الأثجل العظيم البطن ومنه قول الشاعر

بتنا وجلتنا الصهباء بينهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين

فأصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى يلقى المساكين

والجلة البعر والابل الجلالة التى تأكل العذرة ومنه الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن الجلالة وفى حديث آخر عن أكل الجلالة وألبانها وزاد الدارقطنى رحمه الله فى هذا الحديث وأن لا تركب حتى تعلف أربعين ليلة وذكر ضعف الحديث وأما الجل فمعروف جل الدابة وحكى جل بالفتح لغة عيمية وجلال كل شئ غطاؤه ومنه جلال البدن وجل موضع بالعراق وجل بالفتح وجلان حى من العرب والجل أيضا بالضم الورد فارسى معرب قال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسمين * والمسمعات بقصابها

يعنى المزامير ويروى بأقصابها جمع قصب وهى الأمعاء ومنه يجر قصبه فى النار وسيأتى والجلة الصحيفة وكذلك يروى بيت النابغة * مجلتهم ذات الاله ودينهم * يريد الصحيفة كأنهم كانوا نصارى فأراد الانجيل وفى الحديث فى الذى قال عندى مجلة لقمان والجليل يقع على الجلة ويعنى به السيد الكبير ويعنى بالسيد أيضا الجليل الكبير خرج ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجذع من الضأن خير من السيد من المعز قال داود بن قيس السيد الجليل قال غيره وكذلك هو عندنا ألم تسمع قول الاعشى

قد حملوه حديث السن ما حملت * ساداتهم فأطاق الحمل فاضطلعا

أى اضطلع وهو صغير السن بما لا يضطلع به الا الجلة الأكابر وفى الحديث فقالت امرأة جليلة كأنها من نساء مضر والجليل أيضا الثمام واحدته ثمامة يعرف ذلك بلال بن حمامة وقد تقدم قوله وهو عليل * وحولى اذخر وجليل * مع قول أبى بكر مولاه فى مرضه رضى الله عنهم ومن أحسن ما رأيت فى هذه اللفظة

بطل تناول فارسين بطعنة * فرأيتموه أتى بذاك جليلا

هذا يقوله بكر بن النطاح والجلجل معروف ودارة جلجل مكان يعرفه امرؤ القيس لا كان اذ ينشد القوم ولا سما يوم قال الكلبي دارة جلجل عين كندة وسمي الجلجل جلجلا لشدة صوته يقال جلجل الحجر والرعد ورجل مجلجل شديد الصوت وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها ودخل عليها بجارية وعليها جلاجل يصوتن فقالت لا تدخلنها علي الا أن تقطعن جلاجلها وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس وقال في حديث آخر لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وقال في حديث آخر الجرس من أمر الشيطان خرج هذا والذي قبله مسلم رحمه الله والجلجلان ثمر الكبرة * وبقي من هذا الشكل جل أمر من جال يجول جولة وجولانا وجولات في الارض وفي الحديث فكانت للمسلمين جولة أي زوال عن مواضع القتال والجولان التراب تجول به الريح والجول معقول القلب والجول والجال جانبا البئر * ومن معكوس جل لج يلج ويلج لجاجا اذا ألحف ويقال لحاجة ومنه الخبر الخير عادة والشر لجاجة وقد تقدم بسنده وفي الصحيح لأن يلج أحدكم في يمينه أثم له عند الله من أن يعطي الكفارة التي أوجب الله عليها أو كما جاء ولجج القوم دخلوا لجة البحر وجمع لجة لج ولجج وفي حديث ابن الزبير رضي الله عنهما لو وضعوا اللج على قفي قالوا يعني السيف شبه بريقه بلجة البحر ويقال التج الظلام والتجت الاصوات اختلطت ولم تفهم وسمعت لجة القوم أي أصواتهم * وخرج البخاري في الجهر بالتأمين أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى ان للمسجد للجة وفيه أيضا رجة بالراء وجاء في حديث التكبير بمنى حتى ترتج منى تكبيرا * وخرج في حديث عذاب القبر ضج المؤمنون ضجة واللجلجة كلام غير بين وتلجلجت اللقمة في الفم اذا لم يسغها آكلها كما قال زهير * يلجلج مضغة فيها أنيض * وسيأتي البيت في باب الضاد ان شاء الله تعالى واللج من أسماء السيف وقد تقدم وتلجلج بالشئ تبادر به وتقول العرب الحق أبلج والباطل لجلج وهو المختلط الذي ليس بمستقيم والأبلج المضيء المستقيم وقيل لاعرابي ما البرد قال اذا دمعت العينان وقطر المنخران ولجلج اللسان خرجه ثابت ومن اللجلجة حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ليس يهودي يموت حتى يؤمن بعيسى فقيل لابن عباس أرأيت ان ضربت عنق أحدهم قال يلجلج لسانه وقال الشاعر فلجلج بالتوحيد من غير نية * مخافة أن تلقى علاوته صبرا

جل

لج

وسيأتي تفسير العلاوة واليلنجيج واليلنجوج والالنجوج عود طيب الريح وبقي من هذا الشكل لجأمر من ولج يلج وسيأتي ان شاء الله تعالى * وأما قافية البيت الثاني وحل وجل فكلام في معنى الكلام قبله لانه وحاء وجاء وحل وجل فيكون وجل فاعل بحل أي نزل فزع وخوف فالكلام أولا في حل يقال حل بالمكان يحل حلولا اذا نزل به وحل العقدة يحلها حلا وحل الدين محلا أي وجب وفي التنزيل ثم محلها الى البيت العتيق والهدى معكوفا أن يبلغ محله وأحل من احرامه احلالا فهو حلال ومحل والمحل الذي لا عهد له ويسمى القرآن الحال المرتحل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل قال الحال المرتحل قيل ما الحال المرتحل قال الخاتم المفتتح حينئذ والمحل الذي لا يرى حرمة الشهر الحرام ولا البلد الحرام وأنشد فقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه المحلة أخت المحل

حل

وتقول حل من احرامه أيضا فهو حلال وفعل ذلك في حله وحرمه أي وقت احلاله واحرامه وقرئ وحرم على قرية وحرام أي واجب على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون أي لا يتوبون يقال حرم وحرام كما يقال حل وحلال وأحل أيضا معناه حلق وفي الحديث الذي ذكر فيه اعتمار النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة مع محرش بن عبد الله وفيه وأحله محرش يعني حلقه وجاء في الحديث أيضا من قوله عليه الصلاة والسلام أحلوا الله يغفر لكم فسره ثابت قال يعني أسلموا قال وفي موضع آخر الاحلال الحلق وهو شبيه بقوله عليه الصلاة والسلام يرحم الله المحلقين والله أعلم * والحل خلاف الحرم والحل الحلال ومنه قولهم هذا لك حل وبل وقد تقدم القول في بل انه اتباع وأنه مباح وقال الله تعالى للنبي عليه الصلاة والسلام وأنت حل بهذا البلد وهذه الجملة في موضع الحال والمعنى أقسم به محلولا أنت فيه ولم يكن يوم فتح مكة حلا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده قاله ابن يزيد ومن الحل الذي هو ضد الحرام قول عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر برقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل وهو مع أبيه عبد المطلب يوم فدى بالابل فدعته الى نفسها ورأت في وجهه نور النبوة وأحبت أن تحمل منه فتلد هذا النبي المبارك صلى الله عليه وسلم فقال لها عبد الله

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

xxi. 95.

ثم دخل على آمنة فحملت به صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ويشبه هذا قول بعضهم
* أما الحرام فاست أركب محرما * والحل بفتح الحاء دهن السمسم ومحلة القوم
ومحلهم موضع حلولهم وقد تقدم بيت النابغة مجلتهم ويروى محلتهم ذات الاله يريد
الشأم والارض المقدسة والمحلة القوم النزول ومكان محلال يكثر فيه الحلول ويجمع
الحال على حلال وحلل وحلول * وتحلة اليمين تحليلها وفى القرآن العظيم قد فرض
الله لكم تحلة أيمانكم وفى الحديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه
النار الا تحلة القسم قالوا فيه قوله تعالى وان منكم الا واردها أى الا داخلها فيجعلها
الله على المؤمنين بردا وسلاما كما جعلها الله على ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويقال
ضربه ضربا تحليلا أى غير بالغ ومنه قول زهير بن أبى سلمى * نجائب وقعهن الارض
تحليل * وكذلك قول امرئ القيس * غذاها غير الماء غير المحلل * يقول ليس بيسير
ويحتمل أن يريد غير منزول عليه فيكدر ويفسد والحليل والحليلة الزوج والمرأة
والحلال مركب من مراكب النساء والمحلل فى غير هذا الذى يتزوج المرأة فيحلها
لزوجها الذى طلقها ويسميه الناس التيس المعار وهذه التسمية صحيحة خرج
الدارقطنى عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم
بالتيس المستعار قالوا بلى قال هو المحلل ثم قال لعن الله المحلل والمحلل له وجاء عن عمر
رضى الله عنه انه ما أتى بحال ولا محلل له الا رجمهما ذكره أبو عبيد رحمه الله وقال يقال
رجل حال اذا كان محفوظا وهو من أحللت المرأة لزوجها وانما الكلام أن يقال
محل انتهى كلامه والحلال متاع الرجل والحلال جماعات بيوت الناس والبيوت
أربعة ما كان من مدر فهو بيت وما كان من صوف أو وبر فهو خباء وما كان من جلود
فهو طراف وما كان من حجارة فهو أقنة والحلال أيضا متاع الرجل قال الاعشى

وكأنها لم تلق ستة أشهر * ضرا اذا وضعت اليك حلالها

قال الاصمعى هو كذبان لو أراد فى ستة أشهر الصين لأتاه وقال يعقوب يقال رجل
كذبان وكيذبان وقال غيره وقد صرف لفظة كذب ويقال كذب يكذب كذبا
وكذابا فهو كاذب وكذاب وكذوب وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبة مثل
همزة وكذبذب مخففا ويقال مشددا قال

واذا أتالك بأننى قد بعتها * بوصال غانية فقل كذبذب

والكذب جمع كاذب كراكع وركع والكذب جمع كاذب مثل صابر وصبر وقد قرأ

بعضهم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب نعتا للالسنة وقالوا فى قوله تعالى بدم كذب طرى (رجع) والحلان الجدى ويقال فيه أيضا حلام بالميم وسيأتى والحلة موضع حزن وصخور والحلة ازار ورداء لا يقال حلة لثوب واحد والحلة بقلة شائكة وجمعها حلل قاله ابن دريد والاحليل مخرج البول من الذكر ومخرج اللبن من طبى الفرس وخلف الناقة وأحلت الشاة فهى محل اذا نزل اللبن فى ضرعها بلا نتاج * ومن مضاعفه حلحل يقال حلحلت الشاة وحلحلت بالشاة اذا قلت لها حل حل وفى الحديث من هذه اللفظة وستأتى فى باب العين ان شاء الله تعالى والحلاحل السيد الشجاع وحلحل موضع ذكره ابن دريد وحلحلة اسم رجل وهو حلحلة ابن قيس سيد فزارة ومعكوس حل لح تقول لحت عينه ولحت لحا ولحا اذا التصقت أجفانها لكثرة الدمع وتراكم أشفارها وغلظت ومنه قولهم ابن عمه لحا اذا ألصق نسبه بنسبه وألح فلان فى الشئ الحاحا اذا كثر سؤاله اياه كاللاصق به وفى الحديث من هذا ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى آخر ألححت على ربك يقوله أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويقال رجل ملحاح اذا كثر ذلك منه ورجل ملحاح وكذلك السرج والقتب اذا لصق بالظهر وعضه وتلحلح القوم أقاموا بمكانهم وجاء فى الحديث ان ناقة النبى صلى الله عليه وسلم لما انتهت به الى المدينة بركت موضع مسجده وفيه وتحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أى بعنقها كذا قال بتقديم الحاء وكذا وقع فى السيرة وفسره ابن قتيبة على تلحلح بتقديم اللام أى لزم مكانه ولم يبرح قال الاستاذ وهذا معناه ومعنى رزمت أقامت من الكلال وأما أرزمت بالالف فمعناه رغت ورجعت فى رغائها (وأما وجل) فالواو فيه أصلية وهو الفزع والخوف كما تقدم تقول وجل يوجل فهو وجل كما قال تعالى انا منكم وجلون قالوا لا توجل ويقال أيضا وجل يجل ويجل فهو واجل اذا أقام وقد تقدم * ومن مقلوبه جلو تقول جلوت السيف جلاء صقلته وجليت عن الشئ أظهرته وجلوت العروس جلوة وجلوة أبرزتها وتجليته نظرت اليه وفى التنزيل فلما تجلى ربه للجبل أى ظهر أو أظهر من أمره ما شاء من تجلى القدرة على ما يليق ان يوصف به تعالى وتقول جلى الغيم انكشف وأجلوا عن قتيل أفرجوا عنه وأجليت عنه الهم فرجته ورجل أجلى وقد جلى اذا ذهب الشعر من مقدم رأسه وجبهة جلواء واسعة وجلى القوم عن المكان جلاء تركوه وفى التنزيل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء

حلحل

لح

جلو

والجلاء الاثمد لانه يجلو البصر قال الشاعر

وأكحلك بالصاب أو بالجلا * ففتح لكحلك أو غمض

جول وما أقت الاجلاء يوم أى بياضه * ومن مقلوبه أيضا جوّل تقول جوّل فى الارض جولانا وجال الرجل يجول جولة وفى الحديث كانت للمسلمين جولة أى زوال عن موضع حربهم وقد تقدّم والمجول درع تجول به الجارية والجول معقول القلب يقال ماله جول ولا مغفر والجول والجال جانبا البئر * ومقلوبه ولج فى الشئ ولوجا دخل قال الله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل أى يدخل ما نقص من أحدهما فى الآخر والوليجة بطانة الرجل من الناس وفى كتاب الله تعالى ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أصله من الولوج وهو ان يتخذ رجل من المسلمين دخيلا من المشركين خليطا والتولج كناس الظبى وقد أولجه وألجه وشر تالج ووالج والتاء هنا مبدلة من واو * ومن شكل وجل وحل يقال وحل يوحل وحلا وقع فى الوحل والجمع أوحال ووحول وقد استوحل المكان ولى مقطوعة لزومية فيها ذكر الاوحال أنظرها فى التكميل * ومقلوبه لوح وهو معروف وفى القرآن العزيز فى لوح محفوظ وسيأتى ان شاء الله تعالى وألواح الجسد عظامه العريضة والملواح العظيم الالواح ولحته ببصرى لوحا وكذلك لوّحت به اذا رأيت لوحه ولاح الشئ لوحا ولؤوحا اذا استبان وألاح البرق أضاء واللوح الهواء واللوح العطش والتاح الرجل اذا عطش والملواح المعطاش وفى التنزيل لواحة للبشر أى مغيرة من لاحه اذا غيره وقيل المعنى تلوح لأهلها مسيرة خمسمائة عام نعوذ بالله من غضبه ومعكوسه حول عام تقول حال حولا وحؤولا وأحال الشئ أتى عليه حول وأحول أيضا لغة واستحال الشئ وحال حولا وحؤولا اذا تغير وتحوّل عن حاله وفى التنزيل لا يبغون عنها حولا أى تحويلا ويقال أرض محوالة تركت أحوالا لم تزرع والحول والمحالة والحيلة سواء وفى التنزيل شديد المحال قال ابن عباس رضى الله عنهما أى الحول وقال قتادة الحيلة وقال الحسن المكر والهلاك وسيأتى تفسير المكر الذى يليق بجلال الله تعالى وقال أبو عبيدة هو من المحل وهو الشدّة فمن جعله من الحول فوزنه مفعل ومن جعله من محل فوزنه فعال قال أبو على تكون الميم فى المحال زائدة لانه لو كان كذلك لم تعل العين كما لم تعل فى نحو المقول والمعول ونظائره ولم نعلم شيئا من هذا جاء معتلا وأيضا فان المصدر يكون على مفعل وتقول رجل حول ذو حيل

وحوالى أيضا ورجل محوال كثير المحال والمحالة أيضا البكرة وجاء منه فى الحديث
العصفور أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة قد حرمتها الا العصفور وقتب أو مسد
عيدان القتب محالة والحولاء كالعنباء مشيمة الناقة والحوال مابين الشيئين وحالت الناقة حيالا
اذا لم تحمل عامها فهى حائل والجمع حيال وحوّل وحول وكذلك الشجرة وحال
فى متن الفرس حؤولا اذا وثب وأحلت الغريم حوالة وحولت عينه حولا
واحولت واحوالت واحتوله القوم اذا صاروا حوله وحواليه والحال حال
حال الانسان والحال الوقت الذى انت فيه والحال التراب اللين وفى الحديث ان جبريل
عليه الصلاة والسلام كان يدس فى فرعون من حال البحر أى من طين البحر
لئلا يؤمن عقوبة له على عظيم ماصنع * ومن مقلوبه الوليحة الفخم الواسع من الجوالق
والجمع الوليح * ومن مقلوبه حلوض المرّ حلا يحلو حلوا وحلاوا واحلولى وحليت
السويق وقال فى موضع آخر وحلأت السويق يهمز على غير قياس وأما حلأت
الابل اذا حبستها عن الورد فهموز وقال الشاعر
حلأ لحائم حام حتى لا حوام به * محلأ عن سبيل الماء مطرود
وقال الآخر وأعجبنى مشى الحزقة خالد * كمشى أتان حلئت عن مناهل
وحلأت فلانا مخفف حلاا ذا كحلته بالحلاءة وهى حكاكة حجرين يكتحل بها ويقال
له أيضا حلوء قال الشاعر كأنما أغضى على مضاض
من الحلوء صادق الامضاض * فى العين لا يذهب بالترحاض
الترحاض الغسل يقال رحضت الشئ غسلته وحلاوة القفا وسطه وفى الحديث
بينما موسى عليه السلام فى قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه
وهذا فى الحديث فاذا هو بالخضر مسجى بثوب مستلقيا على القفا أو قال حلاوة
القفا والحلاوى نبت واحدته حلاوية والحلوى اسم لما يؤكل حلوا ويقال أيضا
حلواء يمد ويقصر وجاء فى الحديث يادنيا مرى على أوليائى لا تحلولى لهم
فتفتنهم فالماضى من هذا الفعل احلولى ولم يجئ على هذا المثال غيره ورى
الفرس اذا صار عريا والحلوى ضد المرى يقال خذ الحلوى وأعطه المرى قالت
امرأة فى بناتها صغراهن مراهن ويقال تحالت المرأة اذا أظهرت حلاوة وعجبا
قال الشاعر * اذا ما تحالى مثلها لا أطورها * وفى الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى والعسل وتقول حلوت الرجل أحلوه

حلوانا اذا أعطيته شيئا كالرشوة وحلوان الكاهن منه وفى الحديث من هذه اللفظة قال عليه الصلاة والسلام وحلوان الكاهن حرام والحلوان ما أخذ الرجل أيضا لنفسه من مهر ابنته قال الشاعر * ونأخذ الحلوان من بناتنا * ومن شكل ما تقدم مقلوبا خول وهم العبيد وغيرهم من الحاشية ويقال الراعى يخول خولا اذا حفظ والخولى والخائل الراعى وخول اللجام أصل فأسه وتخولت الرجل تعهدته وفى الحديث من هذا قول عبد الله بن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وتقول أخول الرجل اذا كان ذا أخوال كرام واسم الفاعل منه مخول قال الشاعر * مخول فى عشيرته معمّ * وقد تقدم وتخوّلت خالا * ومن معكوسه ولخ الولخ من العشب الطويل يقال ائتلخ العشب اذا طال وامتدّ وأرض مؤتلخة * ومن مقلوبه لخو مصدر لخا واللخا المسعط تقول لخوت الصبى واللخونعت للقيل المضطرب الكثير تقول لخا الرجل لخاء اذا أكثر الكلام فى الباطل ورجل ألخى وامرأة لخواء * ومن مقلوبه خلو رجل خلولا هم له والجمع أخلاء وكذلك خلى والجمع أخلياء ومنه قولهم يا ويح الشجى من الخلى ومنه قول الموثقين عند كتب صداق المرأة خلو من الزوج والعدّة ومنه قولهم فى الطلاق هى خلية اذا قاله الرجل لامرأته بانت منه والخلية ناقة خلت عن ولدها ورعت غيره والخلية السفينة دون ملاح قال الشاعر * خلايا سفين بالنواصف من دد * والخلية واحدة الخلايا وهى الاجباح وسيأتى ذكرها وخلا الشئ يخلو اذا مضى وخليته أرسلته والسيف يختلى الأيدى والارجل اذا أبانها وخلى الطريق وغيره خلاء وأرض خلاء لا شئ فيها والخلاء موضع قضاء الحاجة مشتق منه والخلاء البثور وقد خليت شفتى أى بثرت وهى قروح تخرج فى الشفاه اثر الحمى (ج ه) وفلان يخلو فلانا اذا خادعه وخلا استثناء جاءنى القوم خلا أخالك وما خلا أخالك * والخلى الحشيش واحدته خلاة والمخلاة منه وخليت الحشيش واختليته وفى الحديث فى المدينة لا يختلى خلاها ويقال خلأت الناقة تخلأ خلاء اذا لم تبرح * وفى الحديث حين بركت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم به قالوا خلأت القصوى وقال عليه الصلاة والسلام ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل وتقول خلا الانسان يخلو اذا لم يتزوج فهو خال قال امرؤ القيس * وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى *

خول

ولخ

لخو

خلو

قوله عبد وخلى فى يده خلى تصغير خلى وهو النبات الرطب كما فى تاج العروس وانظر الصحاح وبه تعلم ماوقع من الخطأ فى تصحيح أمثال الميدانى

وفى المثل خلاؤك أقفى لحيائك أى منزلك اذا خلوت فيه ألزم لحيائك ويقال عبد وخلى فى يديه * وأما قافية البيت الثالث وحل وجل فلا كلام فيه لأنه مثل قافية البيت قبله وقد تقدم الكلام فيه وأما الرابع وخل وخل فأفردت فيه الخاء أما الخل فالصاحب تقول خالت الرجل خلة وخلالا فهو لى خل وخلة وخليل والجمع خلان والخل بالفتح من عصير العنب وغيره معروف وقد جاء فى الحديث نعم الأدم الخل وفى الحديث أيضا ما أقفر بيت فيه خل أى لم يخل من أدم من قولهم خبز قفار اى غير مأدوم فسمى الخل ادما والخل الطريق بين الرمال يقال حية خل كما يقال أفعى صريمة والخل عرق يتصل بالرأس قال ابن دريد هو عرق فى العنق وأنشد * ثم الى صلب شديد الخل * والخل وادمن أودية مذحج والخل موضع قبل سلع وسلع متصل بالمدينة قال الشاعر

سكن الخل والصفاح ومرّان وسلعا وتارة نجديا

والخل مصدر خللت الشئ أخله خلا اذا جمعت أطرافه بخلال وخللت الخباء أخله خلا اذا جمعت سجوفه والخل الفصيل والخل الثوب البالى والخل المهزول من الرجال وقال ابن دريد الخل الرجل الخفيف الجسم النحيف وأنشد * ان جسمى من بعد خالى لخل * ويقال ثوب خل اذا أخذ منه البلاء وبعث أحد الولاة رجلا على الصدقة فجاء بفصيل مخلول أو محلول فسره بسىء الحال مهزول أى بادى الضر والهزال وخللت الرجل بالرمح واختللته أى طعنته واختللت لسان الفصيل شددت عليه خلالا لئلا يرضع والفصيل مخلول والخلل الفرجة بين الشيئين والجمع خلال قال الشاعر * ينظرن من خلل الستور بأعين * البيت وفى التنزيل وفجرنا خلالهما نهرا وتفجر الانهار خلالها تفجيرا أى بين ماتقدم ذكره والخلل الوهن فى الأمر والخليل الفقير المحتاج وعلى ذلك فسر بيت زهير

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

والخلة الحاجة وفى مثل الخلة تدعو الى المسألة والرجل أخل ومختل ويقال اختل الرجل الى الرجل اذا احتاج اليه * وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم فان أحدكم لا يدرى متى يختل اليه أى متى يحتاج الى ماعنده وفى بعض كتب السلف الصدقات للأخل الأقرب والخلة الخصلة يقال فى فلان خلة حسنة أى خصلة والجمع خلال والخلة من النبت ماليس بحمض واذا رعت الابل الخلة فأهلها مخلون

قال الراجز * جاؤا مخلين فلاقوا حمضا * وقال الآخر * وخلة داويت بالاحماض *
ومثل لهم اذا جاء الرجل متهددا أنت مختل فتحمض وسيأتي هذا في باب النون
ان شاء الله تعالى مستوفى وأخللت بالشئ قصرت به وكذلك أخللت بالرجل اذا
خذلته وقت حاجته والخلل والخلال مايبقى بين الاسنان من الطعام ومنه قول امرأة
انه لأكلة تكله يأكل من جشعه خلله أي مابين اسنانه يستكثر بذلك والخلالة
والخلالة والخلالة بالفتح والضم والكسر الصداقة والمودة قال الجعدي

وكيف تواصل من أصبحت * خلالته كأبي مرحب

وأبو مرحب كنية الظل وقيل كنية عرقوب والخلال البلح واحدته خلالة والخلة
بالكسر جفن السيف والخلة كل جلد منقوش وقال ابن دريد الخلة بطائن كانت
تغشى بها أجفان السيوف وتنقش بالذهب وجمعها خلل وأنشد

لابنة الجين بالجو طلل * دارس الآيات عاف كالخلل

وقد تقدم الجواسم اليمامة والخلخال معروف والمخلخل موضعه وخلخل لغة
في الخلخال أو يكون مقصورا منه قال الشاعر * براقة الجيد صموت الخلخل *
ويقال خل كساءه وثوبه يخله خلا اذا شكه بالخلال وعم فلان وخل وخلل
ايضا والمخلل الذي يخص وأنشد

قد عم في دعائه وخلا * وخط كاتباه واستهلا

وقال أبو عبيد ما فلان بخل ولا خمر أي لا خير فيه ولا شر ولبعض الكتاب ان لم يكن خمر
فخل وان لم يصبها وابل فطل ويقال اختل جسم فلان اذا انتقص وهزل ومنه الحديث
ان مصعب بن عمير رضي الله عنه كانت تترفه أمه وكان لا يبيت الا وضعت عند
رأسه الجيس فلما أسلم مصعب اختل جسمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رآه بكى قال أبو عبيد يقال فصيل خل أي مهزول وفصيل خل أي سمين وهو من
الاضداد ومن الخل الذي هو موضع قول الشاعر * أقبلتها الخل من سودان
صادرة * وهذا البيت يقوله أبو شجرة بن عبد العزى السلمي خرجه ثابت وقال
أقبلتها تقول أقبلت الابل طريق كذا وكذا اذا استقبلت بها الابل بوقك
وأقبلت الأباعر الماء * ومعكوس خل لخ تقول لخت عينه تلخ لخيخا اذا كثر دمعها
وغلظت أجفانها وأنشد

لا خير في الشيخ اذا ما الخا * وسال غرب عينه ولخا

والتوت الرجل فصارت فخا * وكان أكلا دائما وشخا
تحت رواق البيت يغشى الدخا

معنى شخ بال والدخ لغة فى الدخان وفى حديث ابن صياد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبأ له فى نفسه فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين وقال له قد خبأت لك خبأ فقال له ابن صياد هو الدخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك وهذا تفسير الراوى وقال غيره قبض من دخان مر به بيده والدخن أيضا لغة فيه وأما الدخن المذكور فى الحديث هدنة على دخن فانما هو فساد فى القلب عن باقى عداوة ذكر هذا البكرى وردّ على أبى عبيد رحمه الله قوله فيه انما هو من الدخان المعلوم والله أعلم * وقد تقدم معنى اجلخ وان معناه ألقى بنفسه ولم يكن منه حراك والغرب مسيل الدمع قال ابن دريد وربما يقال لخخت عينه مثل لخت سواء واللخلخة ضرب من الطيب واللخلخانية البخمة ورجل لخلخانى اذا كان غير فصيح وقد تقدم ان الخاء من حروف الحلق واللخى مقصور كثرة الكلام فى الباطل يقال رجل ألخى وامرأة لخواء واللخاء بكسر اللام والمد الغذاء للصبى سوى الرضاع والصبى يلتخى اذا أكل الخبز المبلول وألخيته ولخيته أوجرته الدواء والملاخاة الوشى تقول لاخيت به أى وشيت * فرغ الكلام فى الخاء

خرجت من شئ الى غيره * كذلك العالم اذ ينسخ
يكتب هذا ثم هذا وذا * لعله فى قلبه يرسخ

* (فصل من الفوائد) * تقدم الخلة الحاجة ومن أحسن ما رأيت فى ذلك ما كان يدعو به الربيع بن خيثم رحمه الله كان يقول فى مناجاته أشكو اليك حاجة لا يحسن بثها الا اليك وأستغفرك منها وأتوب اليك وسيأتى ذكر الايثار وما فى ذلك من الآثار فى باب الهاء ان شاء الله تعالى وتقدم ذكر الحسد وفى تركه بقاء الجسد حدثنى الحافظ رحمه الله قراءة عليه من فوائد أبى القاسم الادريسى قال بسنده الى أبى العباس يعنى ثعلبا قال قيل لاعرابى وقد أتى عليه مائة وعشرون سنة ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا الحسود لا يسود قال سفيان بلغنى ان الله تعالى يقول الحاسد عدو نعمتى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وفى الحديث ان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد ولمنصور رحمه الله

ألا قل لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله * اذا أنت لم ترض لى ماوهب
جزاؤك منه الزيادة لى * وأن لا يتم لك المطلب

وقد تقدم ذكر الأسود بن يزيد كان من المجتهدين فى العبادة وكان قد حج ثمانين حجة وعمرة وكان يقوم الليل ويصوم النهار انما كان نومه بين المغرب والعشاء وكان رضى الله عنه يصوم حتى يخضر جسمه ويصفر لونه وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد فيقول راحة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقيل له ماهذا الجزع فقال مالى لا أجزع ومن أحق بالجزع منى والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهمنى الحياء منه مما قد صنعت ان الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحييا منه * وعلقمة المذكور قيل كان أيضا من العباد العلماء القراء وكان حسن الصوت وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يرسل اليه فيقرأ عليه القرآن قال فكنت اذا فرغت من قراءتى قال زدنا من هذا وقرأ عليه مرة فقال له رتل فداك أبى وأمى فانه زين القرآن وقيل لعلقمة لو جلست فأقرأت الناس القرآن وحدثتهم قال أكره ان يوطأ عقبى وان يقال هذا علقمة هذا علقمة ولما احتضر قال لا تنعوني كنعى أهل الجاهلية ولا تؤذنوا بى أحدا وأغلقوا على الباب ولا تتبعنى امرأة ولا تتبعونى بنار وان استطعتم أن يكون آخر كلامى لا اله الا الله وقال لامرأته يا صبية خير تزينى واقعدى عند رأسى لعل الله يرزقك بعض عوادى وماترك اذمات الا داره وبرذونا ومصحفه وأوصى به لمولى له كان يقوم عليه فى مرضه وكان يحسن علم الفرائض روى الاعمش عن ابراهيم رحمه الله أنه قال له علمنى الفرائض قال أمت جيرانك * وتقدم الحاج قال مجاهد قلت لابن عمر وقد دخلت القوافل ما أكثر الحاج فقال ما أقلهم ولكن قل ما أكثر الركب قال ذلك رحمه الله حين نظر الى ما أحدث الناس فى الحج من الزى والرفاهية والتنعم وكذلك كان العلماء قديما اذا نظروا الى المترفهين قد خرجوا الى مكة يقولون لا تقولوا خرج فلان حاجا ولكن قولوا خرج فلان مسافرا ويقولون حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة قيمته أربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عنى مناسككم وكان يقول لبيك اللهم لبيك حجا لا رياء فيه ولا سمعة * قلت هذه المحامل مما أحدث الحجاج

فى السفر للحجاج تجعل على ظهور الجمال للفخر والجمال فتنتفع بها الركاب ويستنضر بها الركاب * وقال ابن مسعود رضى الله عنه انما هو رحل وسرج فرحل الى بيت الله الحرام وسرج فى سبيل الله فسره أبو عبيد رحمه الله أراد أن البيت انما يزار على الرحال كانه كره المحمل لانه مما أحدث الناس كما تقدم وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما اذا حططتم الرحال فشدوا السروج والحج أحد الاركان الخمسة التى بنى الاسلام عليها وفى الخبر من أمكنه الحج فمات ولم يحج فلا يبالى أمات يهوديا أو نصرانيا وعن عمر رضى الله عنه لقد هممت أن أكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وفى رواية والله ماهم بمسلمين والله ماهم بمسلمين * وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه لو مات لى جار موسر ولم يحج لم أصل عليه وكذلك قال الاسود بن يزيد لغلامه لو مت ولم تحج لم أصل عليك وقال الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال لابراهيم عليه السلام وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق أى بعيد وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام قال ومايبلغ صوتى فقال له الله تعالى أذن وعلى البلاغ أو كما قال هذا معناه قال مجاهد فقام على المقام فتطاول المقام بابراهيم عليه السلام حتى كان كأطول جبل على ظهر الارض فنادى عباد الله أجيبوا الله عباد الله أطيعوا الله قال فأسمع من تحت الارض السابعة فقالوا لبيك أجبنا لبيك أطعنا فمن حج الى يوم القيامة فهو ممن أجاب دعوة ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ويشهد لذلك قوله تعالى يأتوك رجالا ولم يقل يأتونى وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة الزاد والراحلة ذكره أبو طالب فى القوت وقال اذا وجد العبد زادا وراحلة لزمه فرض الحج فان أخره بعد وجود ذلك كان مكروها له فان مات ولم يحج أو مات عن عدم الامكان بعد وجوده كان عاصيا لله من حين أمكنه الى يوم موته ولم يكن كامل الايمان لان الله تعالى أكمل الاسلام بالحج لما أنزل هذه الآية فى الحج يوم عرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ومن كان ذا قوة على المشى أو ممن يصلح له أن يؤاجر نفسه وأمن التهلكة فى خروجه فحج على ذلك كان فاضلا فى فعله وللحاج الماشى بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة وللراكب بكل خطوة تخطوها دابته سبعون حسنة والقوة من الاستطاعة ولو لم يكن الحج فرضا لكان القصد الى بيت الله والطواف به من أفضل القربات لانه ليس على وجه الارض اليوم عمل

أفضل من الطواف بالبيت لانه يستوعب بطواف أسبوع مائة وعشرين رحمة تكون كل رحمة ماشاء الله لانه سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء وأقل ماله بكل رحمة عشر حسنات لانه فى حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وأعظم لذة عندى فى الدنيا تقبيل الحجر الأسود لان كل شئ قد تغير عن حاله الا الحجر قد قبله جبريل وميكائيل وجميع الملائكة وآدم ومحمد وما بينهما من النبيين وجميع عباد الله الاولياء والصالحين صلى الله على جميعهم ورضى الله عنهم كلهم * يقال انه ما يرسل ملك من السماء فى حاجة الى الارض الا بدأ بالبيت فطاف به وحينئذ يمضى لما أمر به فانظر عظيم فضله جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه وذو الحجة شهر الحج وقال الله تعالى الحج أشهر معلومات وهى ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وقيل عشر منه وقال تعالى واذكروا الله فى أيام معدودات وقال تعالى ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات فالايام المعدودات أيام التشريق يوم النحر ويومان بعده وقيل لها أيام التشريق لان اللحم يشرق فيها أى يقطع ويقدد وقال الاصمعى التشريق صلاة العيد وانما أخذه من شروق الشمس لان ذلك وقتها ومنه حديث على رضى الله عنه لا جمعة ولا تشريق الا فى مصر جامع وقال أبو عبيد وقولهم أيام التشريق هى تبع ليوم النحر وقيل لتشريق اللحم فيها كما تقدم والايام المعلومات عشر ذى الحجة قاله ابن عباس رضى الله عنهما وروى نافع عن ابن عمر أن الايام المعدودات والايام المعلومات يجمعهن أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام بعده فاليوم الاول معلوم غير معدود واليومان اللذان بعده معلومان معدودان والرابع معدود غير معلوم وهو مذهب مالك وغيره وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حجات حجتين قبل الهجرة ثم حجة الوداع واعتمر من المدينة أربع عمر كلهن فى ذى القعدة الا التى مع حجته فانه ابتدأ بها فى ذى القعدة وفرغ منها فى ذى الحجة أولها عمرة الحديبية اذ صدّه المشركون فى ذى القعدة وعمرة القضاء بعدها فى العام المقبل فى ذى القعدة وعمرة من الجعرانة سنة الفتح فى ذى القعدة بعد ما قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة خرجه مسلم رضى الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح سنة تسع لعشر مضين من رمضان وصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ودخل مكة

لعشرين بقين من الشهر ولم يحج فى هذا العام لان الحج كان منقولا عن وقته كان المشركون ينقلونه على حساب الشهور الشمسية ويؤخرونه كل سنة أحد عشر يوما وكان فيهم من يطوف عريانا فلما انحى أمر الشرك وعاد زمان الحج الى وقته الذى فرضه عز وجل فيه ولم يطف بالبيت عريان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع وأعلم الناس برجوع الحج الى وقته فقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم هذه متصلة ورجب منفرد وكان قبل حجته قد وجه أبا بكر رضى الله عنه سنة تسع فأقام للناس الحج وأمره أن ينادى بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين ثم أردفه بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل أنزل فى قرآن قال لا ولكن أردت أن لا يؤدى عنى الا من هو من أهل بيتى قال أبو هريرة فأمرنى على أن أطوف على المنازل بمنى بسورة براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى فقيل له بم كنت تنادى فقال بأربع أن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له وقيل فى قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم أراد ذا الحجة والمحرم من ذلك العام وذلك أجل من لا عهد له من المشركين ومن كان له عهد فالى انقضاء أربعة أشهر أولها يوم النحر وبعد هذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر خرج من المدينة لخمس بقين من ذى القعدة وقدم مكة صبح رابعة من ذى الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة بدأ بالصفا والاسلام قد صفا وأثر الجاهلية قد عفا ولما اعتدل الحج على أثبت قاعدة أنزل الله تعالى هذه الآية من سورة المائدة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فى يوم جمعة والحمد لله على نعمه التى لا تعد ومننه التى لا تحد * وقد تقدم فى حديث أبى عبيدة فى حجاج عينها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه أميرا فى ثلثمائة راكب يرصدون عيرا لقريش قال فأقمنا فى الساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط فسمى جيش الخبط وألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر وادّهنا من ودكها حتى ثابت أجسامنا قال فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعها

فنصبها

فنصبها ثم نظر الى أطول رجل فى الجيش وأطول جمل فحمل عليه فمرّ تحته قال وجلس فى جحاج عينها نفر وفى رواية أخرى أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها قال فأخرجنا من عينها كذا وكذا قلة ودلك قال وكان معنا جراب من تمر فكان أبو عبيدة يعطى كل رجل منا قبضة قبضة ثم أعطانا تمرة تمرة فلما فنى وجدنا لفقده خرجه مسلم ووقع فى تفسير ابن سلام ان النفر كانوا يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها من الماء ثم يمصها الآخر وذلك فى غزوة تبوك وتقدّم فى قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه جاء فى التفسير عن قتادة انه نمروذ وهو أوّل ملك تجبر فى الارض وهو صاحب الصرح ببابل قال قتادة رضى الله عنه ذكر لنا انه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيى الآخر فقال أنا أحيى وأميت أى أستحيى من شئت وأقتل من شئت قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر أى انقطعت حجته وفى التنزيل أيضا فى قصة ابراهيم عليه السلام وحاجه قومه وقد جعت شكل حجة فى أبيات سببها انه استشفع بى رجل اسمه على لصاحب لى اسمه محمد فى كتاب صداقه فكتبت اليه ولم أمش اليه

أخى محمد مالى * فى ترك قصدك حجه
لكن فؤادى قد جج ذا الكلام فحجه
وقال حظك يغنيك عن ركوب المحجه
فابعث عليا سيرعى * صلاته ثم حجه
واكتب له المهر يكتب * لكم به ألف حجه
وهاك شكرى جزاء * لو عشت ألفين حجه

وكتبت له أيضا فى شأنه سيدى وفقت لفعل صالح على هذا أبو الحسن على رجل فيه عفه وفى ماله خفه وهو على هذه الخلقه ما عنده ما يسدّ به حلقه ولا يملك أستغفر الله سوى ابرة وخلقه وكانت عادته لافراط ايمانه يحلف باسقاط ايمانه فهفا ذات مرة بوساطة الشيخ أبى مرة فجعل أيمانه لازمه وله نفس حازمه ولكن لابدّ للطرف من عثره ولو بلغ الطرف والنثره ومن الذى ليس عليه للشيطان سلطان وها هو بعد أن طلق عرسه علق بالرجوع نفسه وتاب وندم وعليكم قدم فأذهبوا روعته واكتبوا رجعته واعتاضوا منه اجرا ثوابه وأجرى والمرأة قد نكحت وآمت ثم

حلت وصلت وصامت والله سبحانه يغنيك ويعينك ويبقيك غوثا للهفان راغبا
عن الفان ولو أنه ألفان ياقدحى المعلى * بحرمة الصداقه
اذا أتى عـلىّ * فاكتب له صداقه
واجعل له أخى * من عندك البطاقه
وكل ذاك منكم * بالفضل لا بطاقه
قد جاءه كساء * يمد فيه ساقه
وانه شكور * لله حين ساقه

هذه الملح من الكتابه لى بها صبابه فنى وقعت فى رياضها ارتعت وتمتعت ومتى دفعت عنها ومنعت تقنعت فتمنعت لكن لتفسير اللغة أرجع وان تكعكعت وجحجعت وتقدم قول الفرزدق

ترى الغرّ الجحاجح من قريش * اذا ما الامر فى الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

يعنى سعيد بن العاص بن أمية ويقال ان مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشده هذا البيت حسده عليه فقال قل قعودا ينظرون الى سعيد يا أبا فراس فقال لا والله يا أبا عبد الملك الا قياما على الاقدام وسعيد بن العاص هذا قد تقدم فى الاجواد ومن أحسن ما قيل فى نظر الهلال

للناس فى الشهر هلال ولى * من وجهها فى كل يوم هلال

وقبل هذا البيت

تمت وتم الحسن فى وجهها * فكل حسن ما عداها محال

بعض أخبار جحا

وتقدم جحا وقد سألت عنه فقيل لى انما هو بجا بتقديم الجاء وهو العقل فصحفه الناس ولقد رأيت فى أخباره جزءا كبيرا مما ألفه بعض الادباء لبعض الخلفاء وفيه حكاية تدل على عقله عند نفسه وحمقه عند الناس قال دخل ذات يوم جحا فى دار الرحا فجعل يأخذ من قمح الناس ويجعله فى قفته فقيل له لأى شئ تصنع هذا فقال لانى أحمق فقيل له فلم لا تجعل شيئا من قمحك فى قفاف الناس فقال كنت أكون اذا أحمقين * وأما الاصبهانى فقد ذكره فى كتاب الامثال له فقال أحمق من جحا وقال كان رجلا من بنى فزارة وكان يكنى أبا الغصن فمن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمى مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا فقال له مالك يا أبا الغصن فقال انى دفنت

فى هذه الصحراء دراهم ولست أهتدى الى مكانها فقال عيسى كان يجب أن تجعل عليها علامة قال قد فعلت قال ماذا قال سحابة كانت فى السماء تظلها ولست أرى العلامة أيضا وذكر له أشياء مثل هذه وأنت ياذا المعقول وقارئ هذا المنقول أرالك تضحك من هذه الحكايات محدثا انها احدى السخافات

كم من كلام مبك قد قرأت بهذا السفر لم تبك منه للسخافات
فلا أقل من ان تبكى لموعظة * كما ضحكت اذا تتلو الخرافات
عسالك من شر ذا تنجو بصالح ذا * رأسا برأس فتحظى بالمعافاة
وبعد ذلك قل يارب عاقبة * حسنى وعافية من كل الآفات

وتقدم الحاحى وكان من الصالحين وجار عليه بعض العمال فكلمته فيه فتشاغل عنه ونسى اسمه وأنكره فكتبت اليه

ان الذى أنكرت ياصاح * ذاكم المدعو بالحاحى
فاصنع به ما أنت أهل له * ولا تضيع فيه الحاحى

وقد أنشد فى بعض الاصحاب فى هذا المعنى ولم يسم قائله

نصبت الفخ ثم قعدت عنه * بعيدا كى أرى فيه فلاحا
اذا قرد مقيم عند فخى * يقول لمقبلات الطير حاحا

وقلت لعلك أن تقول أرى ابن شيخ * يجىء بلفظ حاح فى الكتاب
وبالحاحى وبعد يقول لى اقرأ * كأنى جاهل قصد الصواب
فان تلك قلت ذا فاسمع جوابا * يرد لك للمتاب من العتاب
كتابى ذا كروض فيه لب اللباب يضاف للنجب العجاب
ينشط قارئا ويفيد علما * وأرجو فيه مدخور الثواب
خشيت تصيبه عين فعلقت فيه جماجما قل من كلاب
أنا طبعى أقول الشعر سهلا * بغير تكلف ملأى عباب
ومهما قلت سوأ قلت غفرا * الهى أعطنى حسن المآب
تقول يردنى لا والذى لا * اله سواه ماهذا جوابى
اله اغفر لقارئ ذا الكتاب * وجد للكل منا بالمتاب

واذ وقع ذكر الجماجم فاسمع فيها حديثا أيها الواجم وقع فى بعض التراجم خرج أبو داود فى المراسيل له عن على بن عمر بن على عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال يامعشر قريش انكم تحبون الماشية

فأقلوا منها فانكم بأقل الارض مطرا واحترثوا فان الحرث مبارك وأكثروا فيه من الجماجم وقال عمر بن علي بن حسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمر بذلك من أجل العين وخرج البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالجماجم أن تنصب في الزرع قال أحد رواته من أجل العين وسيأتي حديث في فضل الزرع والغرس في حرف الزاي ان شاء الله تعالى وتقدم روضة خاخ والى ذلك المكان نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هيتا المخنث حين سمعه يقول اذا فتح الله عليكم الطائف الحديث فقيل انه يموت بها جوعا فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة واليه أيضا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي ويروى المقداد عوض أبي مرثد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فأتوني بها قال علي رضي الله عنه فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسير على بعيرها وقد كان كتب الى أهل مكة بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أين الكتاب الذي معك فقالت ما معي كتاب فأنخنا بها بعيرها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا فقال صاحباي ما نرى معها كتابا قال فقلت لقد علمنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حلف علي والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك فأهوت الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة فأتوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله مالي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد أدفع بها عن أهلي ومالي وليس من أصحابك أحد الا له هناك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله قال صدق وما تقولوا له الا خيرا قال فقام عمر فقال يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه قال أوليس من أهل بدر وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة فاغرورقت عيناه وقال الله ورسوله أعلم قال بعض العلماء وذكر هذا الحديث ان في هذا الخبر معجزتين احداهما الكتاب مع الظعينة والثانية الظعينة في المكان المسمى قلت وفيه معجزة ثالثة انه من حاطب وأخرى انه الى أناس من

المشركين

المشركين وكان فى الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ماوعده وقول عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنقه دليل على قتل الجاسوس وفى مسند الحارث ان حاطبا قال يارسول الله كنت عزيزا فى قريش وكانت أمى بين ظهرانيهم فأردت أن يحفظونى فيها أونحو هذا ثم فسر العزيز وقال هو الغريب وفى حاطب نزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وفى هذه السورة عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قيل هى مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى سفيان بن حرب ومن حديث أبى سفيان هذا فى أول اسلامه انه كان يوما فى المسجد فخرج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى نفسه ليت شعرى بأى شئ غلبتنى فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده بين كتفيه وقال بالله غلبتك يا أباسفيان ويروى ان أباسفيان قال لزوجته هند ذات ليلة لم أعطى محمدا النبوة وانا أكثر منه مالا فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم غداة تلك الليلة فقال يا أباسفيان ما الذى قلت لامرأتك هند فى حديث النبوة أما علمت ان النبوة سماوية لا أرضية وهو يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء فقال أبو سفيان فى نفسه اذا عدت اليها لأطلقنها لما أفشت سرى فعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فقال يا أباسفيان لا تطلق هندا فلئن أخبرتنى هند بحديث البارحة فمن أخبرنى الساعة بتفكرك فى انك تطلقها اذا عدت هذا اعلام سماوى لا أرضى هذا اعلام الهى وكان أبو سفيان كما تقدم كثير المال كثير الجاه شيخ قريش وعزيزها فى الجاهلية فلما أسلم ذل للحق وانقاد له وكان عمر بن الخطاب شديدا عليه فى الجاهلية فى الحق والاسلام بلغ من شدته عليه ما خرج بعض أهل التواريخ ان رجلا من بنى مخزوم استعدى عمر بن الخطاب على أبى سفيان بن حرب رضى الله عنهما وذكر انه ظلمه حدا فى موضع كذا وكذا فقال عمر انى لأعلم الناس بذلك وربما لعبت أنا وأنت فيه ونحن غلمان فاذا قدمت مكة فأتنى بأبى سفيان فلما قدم مكة أتاه المخزومى بأبى سفيان فقال له عمر يا أباسفيان انهض بنا الى موضع كذا وكذا فنهضوا ونظر عمر رضى الله عنه فقال يا أباسفيان خذ هذا الحجر من هاهنا فضعه هاهنا فقال والله لا أفعل فقال عمر والله لتفعلن فقال لا أفعل فعلاه عمر بالدرة وقال

خذه لا أم لك فضعه ها هنا فانك ما علمت قديم الظلم فأخذ أبو سفيان الحجر ووضعه حيث قال عمر ثم ان عمر استقبل القبلة فقال اللهم لك الحمد اذ لم تمتني حتى غلبت أبا سفيان على رأيه وأذللته بالاسلام فاستقبل أبو سفيان القبلة وقال اللهم لك الحمد اذ لم تمتني حتى جعلت في قلبي من الاسلام ما ذللت به لعمر وخرج الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الحارث بن هشام وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية قال فتابوا بعد وحسن اسلامهم وهاجر الحارث بن هشام الى الشام فلم يزل بها جاهدا مجاهدا حتى استشهد هنالك رضي الله عنه والعذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في لعنه القوم المذكورين ان الله علم منهم ما لم يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نهاه انتهى وأيضا فانه عليه الصلاة والسلام قال اني اشترطت على ربي عز وجل فقلت انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة وفي حديث آخر فايما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة والحارث بن هشام هذا هو الذي اعتذر من فراره يوم بدر وقال

القوم أعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسي بأشقر مزبد
وعرفت اني ان أقاتل واحدا * أقتل ولا ينكى عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

يقال انه لم يقل في الفرار أحسن من هذا وأنشد ذلك بعض الاكاسرة فلما فسره قال قاتل الله العرب حسنوا بشعرهم كل شئ حتى الفرار أو كما قال وممن اعتذر من فراره أيضا هبيرة بن أبي وهب زوج أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما هرب يوم فتح مكة الى نجران وقال

لعمري ما وليت ظهري محمدا * وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكنني قدمت أمري فلم أجد * لسيفي غناء ان ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي * رجعت لعود كالهزبر أبي الشبل

قال خلف الاحمر ان أبيات هبيرة خير في الاعتذار من قول الحارث بن هشام وقال الاصمعي قول الحارث أحسن (رجع) وأذكر لك حديثا في سنده رجل اسمه خاخ

أخبرنا أبو الطاهر السلفي رضي الله عنه اجازة قال كتب الي أبو سعيد عبد الجليل ابن محمد بن الحسن الساوي من بغداد قال أنبأنا أبو عبد الله القضاعي قال انبأنا عمرو بن عثمان قال حدثنا الوليد بن مسلم عن مروان بن خاخ عن يونس بن ميسرة ابن حابس سمعت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير عادة والشر لجاجة وتقدم جاخ وكان محسنا وهو الذي يقول

أهديت من شعري اليك قصيدة * يبلى الزمان وذكرها متمادى
من شاعر لم يطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفة بمداد

وكان يدعي انه أمي كما ترى ولا أدري كيف هذا وهو الذي يقول

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على صحن خدّ ندى

شبه انعطاف الصدغ على الخد بالعقارب تدب وهو مقلوب البراقع وهذا لا يعلمه الا كاتب ولعله أعلم بذلك فقاله والله أعلم وهذا البيت من قصيدة له منها

ولما وقفنا غداة الفراق * وقد أسقط البين ما في يدي
رأيت الظعائن فيها البدور * عليها براقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على صحن خدّ ندى
تسالم من وطئت خده * وتلسع قلب السجي الأبعد
تحامى عن الورد أن يجتني * فقد أمن الورد من معتد

من قصيدة حسنة هذا ذوقها لم يمكن سوقها فاقنعوا مني أيها الاقارب بما حضر وكونوا من تلكم العقارب على حذر * وتقدم قول سلمان الفارسي رضي الله عنه كنت رجلا من أهل جي قال كان أهل قريتي يعبدون الخيل البلق فكنت أعرف أنهم ليسوا على شيء فقيل لي ان الدين الذي تطلب انما هو قبل العرب فلم يزل يطلب ذلك الدين من بلد الى بلد حتى بيع وتداولته بضعة عشر رجلا كلهم يرسله من واحد الى آخر وكان آخر أمره ان انتهى الى طيبة مدينة الاسلام وصحب النبي عليه الصلاة والسلام وكان له بها أعلام ومشاهد كرام انظر حديثه في السيرة التي اختصر ابن هشام وكان سلمان مواخيا لابي الدرداء رضي الله عنهما وبلغه ان سلمان اشترى خادما فكتب اليه يا أخي اني حدثت انك اشتريت خادما وأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يخدم فاذا خدم وجب عليه الحساب وان أم الدرداء سألتني خادما وانا يومئذ موسر فكرهت ذلك لما سمعت

من الحساب و يا أخي من لي ومن لك بأن نوافي يوم القيامة ولا نخاف حسابا وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لا يزال العبد يزداد من الله بعدا كلما مشى خلفه قلت سلمان هذا رضي الله عنه وعظ فاتعظ وحفظ فحفظ عهد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب حدثني الحافظ رحمه الله بسنده الى مورق العجلي ان سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه وهو يبكي فقالا ما يبكيك يا أبا عبد الله قال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب قال مورق فنظروا في بيته فاذا اكاف وقرطاط قيمته عشرون درهما القرطاط للسرج بمنزلة الولية للرحل وقد ذكره اكتساب الخادم أيضا أبو مسلم الخولاني جاءت امرأة الى زوجته فقالت لها زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم فلما جاء الى امرأته قالت له أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته لأخدمنا وأعطانا فقال اللهم من أفسد علي امرأتي فأعم بصره فبينما المرأة التي وصلت امرأته جالسة في بيتها اذ أنكرت بصرها فقالت ما السراجكم طفئ فقالوا لا فعرفت ذنبها فأقبلت الى امرأة أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل أن يرد بصرها اليها قال فرحمها أبو مسلم ودعا الله عز وجل فرد بصرها عليها والذي يقتدى به في هذا الشان سيد الاولين والآخرين رسول رب العالمين شكت سيدة النساء فاطمة ابنته رضي الله عنها ما تلقى من الشقاء وكانت قد طحنت بالرحى حتى أثر في يدها وكنست البيت حتى دنست ثيابها وسألته من يكفيها ذلك فلم يشكها خرج أبو نعيم الحافظ رحمه الله تعالى في كتاب الحلية عن علي رضي الله عنه ان فاطمة كانت حاملا وكانت اذا خبزت صادف حرف التنور بطنها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال لا أعطيها وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ألا أدلك على خير من ذلك اذا أويت الى فراشك تسبحين الله ثلاثا وثلاثين وتحمدينه ثلاثا وثلاثين وتكبرينه ثلاثا وثلاثين وذكر تمام الخبر وتقدم قول بكر بن النطاح

بطل تناول فارسين بطعنة * فرأيتموه أتى بذاك جليلا

يقوله في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وذلك انه لقي أكرادا قطعوا الطريق في عمله وقد ارتدف منهم فارس رفيقا له فطعنهما جميعا فانتظمهما بطعنة فقال بكر

البيت

البيت المتقدم وبعده

لا تعجبوا لو كان طول قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وتقدم قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد قال ابن عباس رضى الله عنهما أحل الله له فيه القتل ولم يحله لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل بها أحدا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت الى يوم القيامة أو كما قال عليه الصلاة والسلام وأمر بقتل ابن خطل وان وجد متعلقا باستار الكعبة فقتل وقيناه وكان قد أمن أهل مكة الا نفرا سماهم هذا أحدهم والثانى مقيس بن صبابة قتل بالسوق والثالث عكرمة بن أبى جهل هرب من مكة ثم جاء وأسلم وحسن اسلامه والرابع عبد الله بن أبى سرح يكنى أبا يحيى كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق بالمشركين فلما كان يوم الفتح اختبأ حتى استؤمن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه وأسلم وحسن اسلامه وعرف مكانه وجهاده مع عمر وبن العاص حين افتتح مصر وعبد الله هذا افتتح افريقية سنة سبع وعشرين وغزا الأساود وهادنهم الهدنة الباقية الى اليوم ولما قام الناس على عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل الفتنة ودعا الله عز وجل ان يقبضه ويجعل وفاته باثر صلاة الصبح فصلى بالناس يوما الصبح وكان يسلم تسليمتين فلما سلم الاولى عن يمينه وذهب يسلم الاخرى قبضت نفسه رضى الله عنه وذلك بعسقلان وممن توفى ساجدا أبو ثعلبة الخشنى رضى الله عنه كان يقول انى لأرجو أن لا يخنقنى الله بالموت كما يخنقكم قال الراوى لهذا الحديث فسألت كيف مات فقيل لى بينما هو فى صرحة داره سحرا وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بيته فخر ساجدا حتى قبض رحمه الله ذكر ذلك ثابت وفيه صرحة الدار قال يقال ساحة الدار وباحة الدار وصرحة الدار كله واحد وروى بهز بن حكيم قال صلى زرارة بن أوفى الغداة فقرأ فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير فخر مغشيا عليه فحملناه ميتا * وتقدم حل وجاء منه فى الحديث ان رجلا قال لبعيره حل فقال صاحب الحسنات ما هى حسنة فأكتبها وقال صاحب السيئات ما هى سيئة فأكتبها فأوحى الله الى صاحب الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه ذكره مكى فى الهداية وقال عمرو بن الحارث بلغنى ان الرجل اذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال اكتب فيقول لا بل أنت اكتب فيمتنعان فينادى مناد

اصاحب الشمال اكتب ماترك صاحب اليمين ذكر هذا فى تفسير قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد قال مجاهد الذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيئات قال سفيان بلغنى ان كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا أذنب قال له لا تعجل لعله يستغفر وفى رواية ان الله جل ذكره جعل لصاحب اليمين على صاحب الشمال سلطانا يطيعه فاذا كان الليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال تعال ألاقك أطرح أنا حسنة واطرح أنت عشر سيئات حتى يصعد صاحب السيئات لا سيئات معه * وتقدم ذكر حلحلة بن قيس سيد فزارة وهو القائل حين قتل صبرا فى حديث طويل لما قدم ليقتل قال له قائل صبرا يا حلحل فقال اى والله أصبر من ذى ضاغط عركرك * أتى بوانى زوره للبرك

ذكره ابن يزيد فى الكامل وذكر ان عبد الملك أحضره ليقاد منه وكان قد قتل الاسود الكلبى فى خبر طويل ثم قال حلحلة لابن الاسود أجد الضربة فانى والله ضربت أبالك ضربة أسلحته فعددت النجوم فى سلحته وقال عبد الملك أيضا لسعيد ابن أبان بن عيينة بن حصن وقد أحضره أيضا كذلك صبرا سعيد وقال

أصبر من عود بجنبيه جلب * قد أثر البطان فيه والحقب

تقدم قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل أى يدخل ما نقص من أحدهما فى الآخر والليل والنهار كل واحد منهما اثنا عشر ساعة فاذا كمل الليل طالت ساعاته وقصرت ساعات النهار وكذلك العمل فى النهار ذلك تقدير العزيز العليم وذكر أبو طالب أن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وان الساعة ثلاثون شعيرة ويأخذ كل واحد منهما من صاحبه فى كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة فى شهر وبين أول الشهر وآخره ثلاثون درجة الشهر كل يوم فى درجة قال وتفسير ذلك انه اذا مضى من أيلول وهو شينير بالحجمية سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك الشهر فى كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلاثين يوما فتزيد ساعة حتى يمضى سبعة عشر يوما من كانون الأول فينتهى طول الليل وقصر النهار فكانت تلك الليلة أطول ليلة فى السنة وهى خمس عشرة ساعة وكان ذلك اليوم أقصر يوم فى السنة وهو تسع ساعات ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبع عشرة ليلة من أدار وهو مارس استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثنتى عشر ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم

شعيرة حتى اذا مضى سبعة عشر يوما من حزيران وهو يونية بالعجمية كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت تسع عشرة ليلة من أيلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك والقول الاول أدخل فى الشرع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم الجمعة من راح فى الساعة الأولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكذا ومن راح فى الساعة الثالثة فكذا على نجزئة ست ساعات فى النهار فلو كان على هذا الحساب الاخير لامتد وقت الجمعة الى قرب العصر ويمكن الجمع بين المذهب الاول والآخر بأن يكون هذا على تقدير اليوم القصير من اليوم الطويل واليوم الطويل من القصير قاله بعض الناس والله أعلم وذلك لبعد الشمس عن بعض البلدان وقربها من بعض وارتفاع بعض الارض على غيرها ألا تراها فى البلاد التى هى فى خط الاستواء كيف يستوى فيها الليل والنهار أبدا لا يختلف فى شتاء ولا صيف كل يوم اثنتا عشرة ساعة والليل كذلك وذلك فى مثل أرين وسرنديب وخط الاستواء آخذ من البحر المحيط على وسط بلاد السودان وبلاد النوبة الى جزائر الهند الى أقصى المشرق حيث تطلع الشمس والله أعلم فسبحان المقدر العظيم * وقد ذكر الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق الاصبهانى رحمه الله فى كتاب الحلية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والارض من نور وجهه كان مقدار كل يوم من أيامكم هذه عنده اثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالامس أول النهار فينظر فيها ثلاث ساعات ويسبحه ويسبح حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل عليه السلام بالقرن فلا يبقى شئ الا سمع صوته فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة فتلك ست ساعات ثم يؤتى بالارحام فينظر فيها ثلاث ساعات وهو قوله تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما الآية فتلك تسع ساعات ثم يؤتى بالارزاق فينظر فيها ثلاث ساعات وهو قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كل يوم هو فى شان قال هذا من شأنكم وشأن ربكم عز وجل وقد اختلف العلماء أيضا فى الساعات المذكورة يوم الجمعة فذهب مالك وغيره ان الساعات التى ذكرت فى الحديث انما أجزاء

فى الساعة الرابعة من ساعات النهار وهو أدخل فى كلام العرب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم راح والرواح لا يكون فى السحر ولا فى أول النهار على اختلاف فى ذلك أيضا ويحتج له بقوله عليه الصلاة والسلام مثل المهجر كالذى يهدى بدنة والتهجير لا يكون أول النهار لانه مأخوذ من الهجير وهى القائلة والله أعلم ومنهم من رآها ساعات النهار المعلومة وهو مذهب جماعة من العلماء وتمسك قائل هذا بذكر تسمية الساعات وتجوز فى لفظ التهجير والرواح حتى كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لاجل صلاة الجمعة ورجا بات أيضا ليلة السبت وذلك والله أعلم من أجل الحديث الآخر لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولا يوم الجمعة بصيام من بين الايام وهذا أيضا قد اختلف فيه فأجازت ذلك طائفة وكرهته طائفة ومن الناس من كان يصلى الصبح يوم الجمعة فى الجامع ويقعد فينتظر صلاة الجمعة وعامة المؤمنين كانوا ينحرفون من صلاة الغداة من مساجدهم فيتوجهون الى جوامعهم ويقال أول بدعة حدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنت ترى يوم الجمعة سحرا وبعد صلاة الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كما ترون اليوم فى الأعياد ويروى ان ابن مسعود رضى الله عنه بكر يوما الى الجمعة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه للبكور فوجم لذلك وجعل يقول رابع أربعة يعنى نفسه وما رابع أربعة ببعيد وكذلك كانوا يفعلون فى الاغتسال للجمعة حتى جعله بعضهم واجبا وجوب الفرائض حتى رأى بعض الصحابة ابنه يغتسل يوم الجمعة فقال ألليلة الجمعة غسلك هذا قال لا بل من جنابة فقال أعد غسلك ثانيا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واجب على كل مسلم أن يغتسل يوم الجمعة قال وكان أهل المدينة يتسابون فيما بينهم فيقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وهذا أيضا قد اختلف فيه فجعل بعضهم قوله عليه الصلاة والسلام واجب كغسل الجنابة يعنى فى الصفة وحمل الوجوب على وجوب السنن وحجتهم قول عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان رضى الله عنهما الوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل فالغسل عندهم على الندب ولولا ذلك لما صح لعمر أن يترك عثمان حتى يرده فيغتسل ولما ساغ لعثمان أيضا أن يترك الغسل والله أعلم وتقدم أيضا الخل الصاحب والخليل فوق الحبيب والخلة ماخوذة من تخلل الاسرار بين الحبيبين ومعهما يكون حقيقة الحب والايثار

فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وقد رفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى مقام المحبة فأعطاه الخلة ليلحقه بمقام ابراهيم عليهما الصلاة والسلام أبيه اذ يقول الله فيه واتخذ الله ابراهيم خليلا فكانت الخلة مزيد المحبة وجاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر مستبشرا فقال ألا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله وقال لو كنت متخذا من الخلق خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفى رواية اخرى ولكن أخى وصاحبى وفى رواية أخرى ولكن أخوة الاسلام فلما اتخذه الله خليلا لم يصلح أن يشرك فى خلة الخالق خلة خلق ثم قال ولكن أخوة الاسلام فأوقفه مع الاخوة كما فعل بعلى رضى الله عنه اذ قال على منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة فأقامه مقام الاخاء وعدل به عن النبوة وكذلك فعل بأبى بكر رضى الله عنه منعه ايثار التوحيد وقيام شهادة الوحدانية ومقتضى صفة الربوبية والغيرة على خليله وهو به تبارك وتعالى من أن يشرك معه أحدا فى هذه التسمية وجاء مفسرا فى حديث آخر لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله وفى حديث آخر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وفى القرآن واتخذ الله ابراهيم خليلا واختلف العلماء فى اشتقاق هذه اللفظة فقال قوم الخليل المنقطع الى الله تعالى الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقال آخرون هو مأخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابراهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه ولم يجعلها قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو فى المنجنيق ليرمى به فى النار فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وقال قوم الخلة مشتقة من صفاء المودة التى توجب الاختصاص لتخلل الاسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك فى كتابه تعالى بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا القائل والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط

والأسباب أولى بزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفى ألطافه عندهما باستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالهما حب لغيره وحب الله تعالى للعبد هو تمكينه من سعادته وعصمته وترفيعه وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقد تقدم نوع من هذا الكلام فى باب تاب وقد ذكرت فيه مقطوعة من شعرى فى صفة المحبة والحمد لله وكفى شرفا لنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وكفى بنا عزا أن هذه صفة نبينا عليه الصلاة والسلام فالحمد لله الذى جعلنا من أمته ثبتنا الله على محبته وحشرنا فى زمرته برحمته وقال بعض العلماء هذه الآية أمدح آية لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام لانه قال انما يبايعون الله بل جرده من ذلك كله فقال يبايعون الله فهذه غاية الشرف ونهاية الترفيع صلى الله عليه وسلم وقال غيره ومن رفيع مدحه قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك أى اذا ذكرت ذكرت معى وذلك ان الايمان لا يتم الا بقول لا اله الا الله محمد رسول الله وكذلك قرن مع اسمه فى الأذان وفى التشهد وفى كثير من الاذكار وليس ذلك لغيره وقال ثابت رحمه الله فى قوله تعالى أنقض ظهرك أى أثقله حتى سمع نقيضه تقول أنقضت بالرجل وبالحمار اذا أصعقت طرف لسانك بالغار الأعلى ثم تصوت بجانبه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه وجاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود بنى قينقاع بدارسهم فرآى رجلا متحلقا فأنقض أو قال فنقض به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لعله عروس قال وان كان فاذهب فاغسله ثم انهكه ثم اغسله ثم انهكه ثم اغسله ثم انهكه والنهك المبالغة ويقال انما سمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم خليلا للفظة قالها وذلك أنه أصاب أهل ناحيته جدب فارتحل الى خليل له بالموصل وقيل هو من أهل مصر يمتار طعاما منه لأهله فلم يصب عنده حاجته فرجع فلما قرب من أهله مر بمفازة فيها رمل فقال لو ملأت غرائرى من هذا الرمل لئلا أغم أهلى بدخولى اليهم بغير ميرة وليظنوا أنى قد أتيتهم بما يحبون فحول الله تعالى ما فى غرائره من الرمل دقيقا فعجنوا منه وخبزوا واستيقظ فسألهم عن الدقيق الذى خبزوا من أين هو فقالوا من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك فعلم ما صنع الله له فقال نعم من عند خليلى فسماه الله بذلك خليلا * وتقدم فى الحديث

ما أقفر بيت فيه خل فسمى الخل ادا ما قال أبو عبيد من حلف أن لا يأكل ادا ما فأكل بعض ما يصنع مثل الخل والزيت والارى واللبن فهو حانث وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حديث فيه طول ان الخل نعم الادام قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من فى نبينا صلى الله عليه وسلم قال طلحة فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر خرجه مسلم و فى بعض طرقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل به بعض حجر نسائه ثم قال هل من غداء فقالوا نعم فأتى بثلاثة أقرصة فوضعت على بتى ويروى على بنى فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه وأخذ قرصا آخر فوضعه بين يدى ثم أخذ الثالث فكسره باثنين فجعل نصفه بين يديه ونصفه الآخر بين يدى ثم قال هل من ادام قالوا الا الا شئ من خل قال هاتوه فنعم الادام هو كذا وقع فى هذا الحديث بتى وعليه مكتوب نبى وفى الطرة فى مسند ابن أبى شيبة فوضع من على بتى وفسره ابن وضاح طبق من خوص وقال أيضا مائدة من حلفاء انتهت الطرة وقد تقدم والبت كساء غليظ وقد تقدم أيضا وأنشد

من يك ذا بت فهذا بتى * مقيظ مصيف مشتى
تخذته من نعجات ست * سود دعاج من نعاج الدست

وخرج مسلم أيضا عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يتخذ خلا فقال لا وسئل مالك رحمه الله عن تخليل الخمر فكرهه فان تخللت من غير فعل أحد فهى حلال * و بقى هنا نكتة حسنة ان كان فى اناء قلة أو خابية فلا يستسقى من أعلاها لان جوانبها نجسة فتى تحرك الخل بالاستقاء مس فى الجوانب فتنجس ولكن يثقب فى أسفل الخابية برفق و يستخرج منه قال مالك ولا بأس بما خلله النصرانى من الخمر فان فعله مسلم ففيها قولان والأحوط تركه وللمحريرى رحمه الله فى رجوع الخمر خلا شعر لغز يستحلى ولا ينبغى أن يخلى قال

وما شئ اذا فسدا * تحول غيه رشدا
وان هو رق أو صافا * أثار الشر حين بدا
زكى الأصل والده * ولكن بئس ما ولدا

وتقدم ان لم يكن خمر فخل وأنشدنى الحافظ رحمه الله بالاسكندرية لبعضهم

أوسع دارى لمن قد نزل * وزادى مباح لمن قد أكل

أقدم حاضر ما عندنا * وان لم يكن غير زيت وخل

وليس قراى كما قلته * ولكنما هو ضرب المثل

ولى فى لفظة خل أبيات لزوميات كان أحد اصحابى قد ارسل معى بقلات ثمانية فاحتجتها فغرستها وكتبت اليه بعد كلام

ثمانية الأبقال انى غرستها * فبارك لنا فى تلك يا أيها الخل

ولا تعقب الاحسان منك اساءة * فيضحى لذيذ الشهد خالطه خل

فما لك لى حل لانك لى خل * صحيح وبعض الناس فى وده خل

وأنت امرؤ قد رام شأو لئيمة * وشدوا فلم يترك سبيل ولا خل

ففتهم حتى يقول أشدهم * أياقوم منا خلوا الطريق له خلوا

فتى يمتطى من أكرم النجب بازلا * تريدون أن تلفوا وما كوبكم خل

الخل ابن مخاض وقد تقدم وتقدم ذكر مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو الذى قتل يوم أحد فلم يوجد له ثوب يكفن فيه الا نمرة اذا غطى بها رأسه بدت رجلاه واذا غطيت رجلاه بدا رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر ولى فيه من الشعر الطويل

ومصعب مات لم يوجد لديه * من الأكفان بال أو جديد

سوى ثوب ولم يستره حتى * كسوه باذخر لهم خضيد

وتقدم قول ابى شجرة * أقبلتها الخل من شوذان صادرة * وكان سبب قوله ذلك أنه جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقسم على الناس فقال يا أمير المؤمنين أعطنى فانى ابن سبيل قال فمن أنت قال أبو شجرة قال يا عدو الله ألست القائل

وروّيت رمحى من كتيبة خالد * وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

ثم علاه بالدرة حتى سبقه عدوا فأتى راحلته فركبها راجعا الى بلاده وهو يقول

قد ضنّ عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق

مازال يضربنى حتى حديت له * وحال من دون بعض الرغبة الشفق

ثم ارعويت اليها وهى جاثية * مثل الرتاج اذا مازه الغلق

أقبلتها الخل من شوذان صادرة * انى لأزرى عليها وهى تنطلق

وكدت أترك أثوابى وراحلتى * والشيخ يضرب احيانا فينحمق

خرجه ثابت رحمه الله * أذكرتنى هذه الحكاية من فعله رضى الله عنه بضبيع كان

ضبيع رجلا اتهم برأى أهل الاهواء وكان يسأل عن آى من كتاب الله عز وجل مثل والذاريات والمرسلات والنازعات وما أشبههن من القرآن وكان يأمر الناس بالتفقه فى ذلك وانه قدم على عمرو بن العاص رضى الله عنه بمصر فسأله عن ذلك فقال له عمرو أنا أدلك على من يفتيك فى مسائلك هذه أنا أكتب لك الى أمير المؤمنين فكتب له الى عمر وأرسل معه رسولا بالكتاب وسار ضبيع مع الرسول فدخل الرسول على عمر رضى الله عنه فلما قرأ الكتاب أوعده ان فاته فخرج الرسول فأتاه به فقال ما الذى تسأل عنه فسأله عن والذاريات والنازعات والمرسلات فضربه بجرائد النخل حتى أو برجسده ثم حبسه حتى اذا كاد أن يبرا أخرجه أيضا ثم ضربه ثم سجنه ففعل به ذلك مرارا فقال له ضبيع عند آخر ذلك يا أمير المؤمنين ان كان تريد قتلى فقتل جميل وان كنت تريد دوائى فقد بلغنى الدواء قال فأطلقه عمر ونفاه الى العراق وكتب الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن لا يجالسه أحد قال فكان ضبيع يدور فى المسجد ويجلس فيه ولا يجلس اليه أحد قال ثم كتب أبو موسى الى عمر انه قد حسنت توبته فأمره عمر فخلى بينه وبين الناس

خرجت من شئ الى غيره * لكن عن العلم فلن أخرجا
ما أملح العلم اذا كنت فى * ضيق تراه عنك قد فرجا
ومن يكن واسع علم متى * يخطئ يجد من قوله مخرجا

الى هنا تم الجزء الاول من الف با ويليه الجزء الثانى وأوله
(باب الالف مع الدال وأختها)

قد تم بعون الله وعنايته هذا القسم الثانى وهو تمام الجزء الاوّل من كتاب ألف با
و يليه ان شاء الله الجزء الثانى منه وقد بلغ ما انتهى طبعه وصرف الى أربابه من
الكتب التى تطبع الآن على ذمة جمعية المعارف غير هذا القسم عشرة أقسام وهى
جزآن من تاريخ ابن الوردى وأربعة أقسام من أسد الغابة وقسم من شرح تاريخ
العتبى وقسم من ألف باو قسمان من تاج العروس على التوالى وتم الآن نحو خمسه
على غير التوالى وعند اتصال طبع أجزائه بعون الله سبحانه يوزع على أربابه
ولا يخفى انه من صعوبة التصحيح والتشغيل بمكان لا ينكر الا انه جار فيه مزيد الهمة
كغيره من كتب الجمعية لاسيما ومما يزيد فى همة هذه الجمعية ويشد أزرها
ويعلى قدرها ان حضرة الوزير المفخم والمشير المعظم المجبول على حب
المعارف وجلائل الشيم صاحب الرشد والاصابه والدولة والنجابه محمد توفيق
باشا أكبر انجال الحضرة الداوريه وولى عهد الخديوية المصريه قد شرفها
بحمايته الجليلة وكفايته الجميلة وقد توجه الى مقره الكريم حضرة الامير الكبير
ذى الفضل الشهير عارف باشا وكيل الجمعية وجماعة من أكابر أعضائها النبلاء
لاداء ما يجب لذلك من الشكر والدعاء فقابلهم جناب المشير المشار اليه بما
فوق المأمول من الاقبال والقبول وأبدى لهم مزيد الابتهاج والحبور والانس
والسرور بهذه الجمعية وأنه يكون معهم فى التعاون على ما يفيدها دوام
حسن الحال والترقى فى درجات الكمال فى ظل الحضرة العلية وبهمة حضرات
أعضائها وأثنى على حسن مقاصدهم وجميل سعيهم فأدام الله الجناب
الخديوى محفوفا بتوفيقه ممتعا بنيل مقاصده الكريمة مسرورا بأنجاله الكرام
و بقاء دولته على مدى الايام

COLUMBIA UNIVERSITY
0026811529